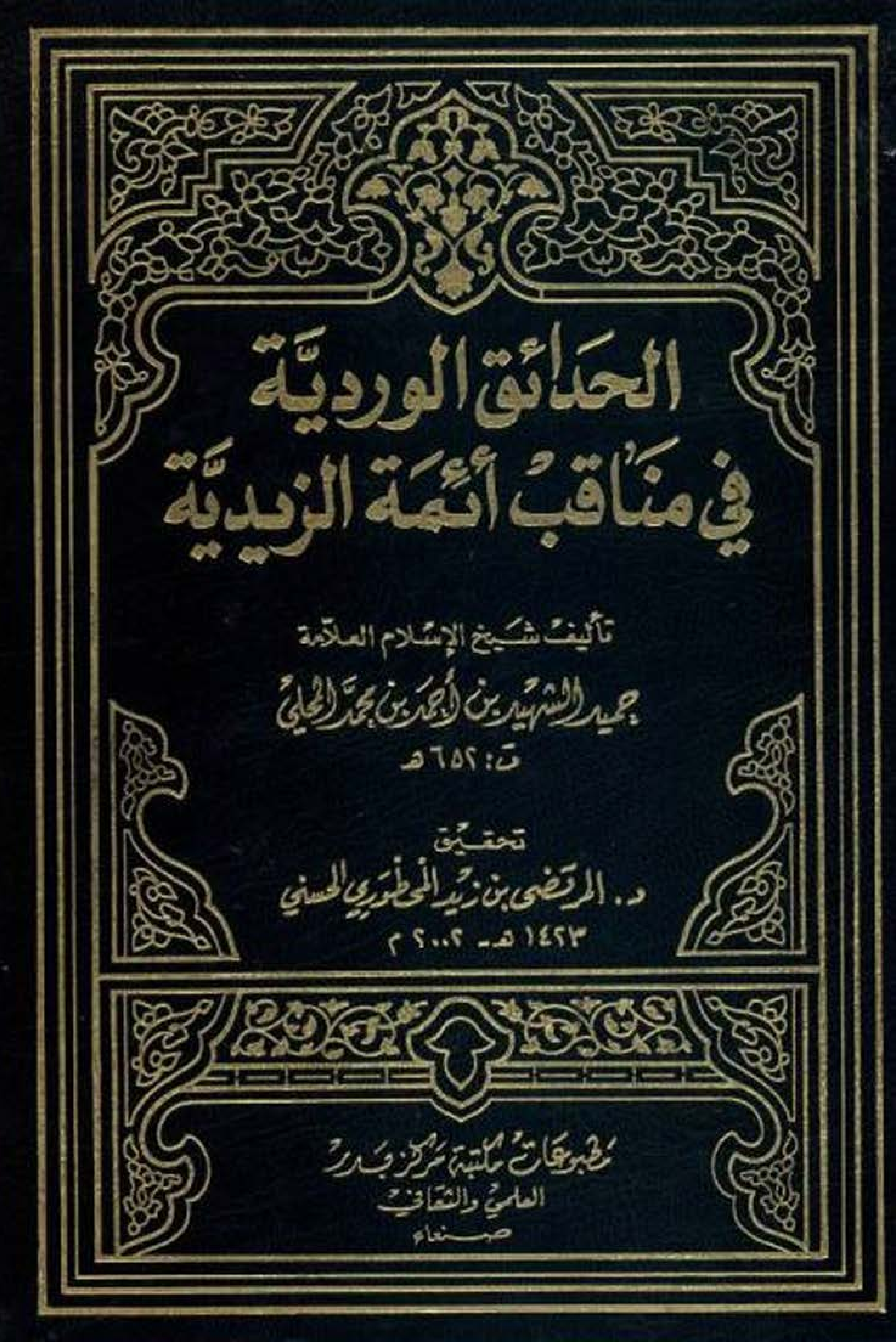
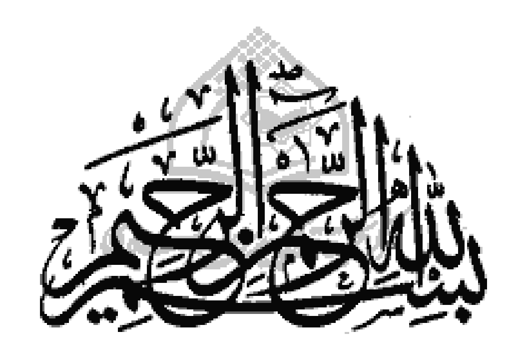

الحدائق الوردية
في مناقب أئمة الزيدية
تأليف شيخ الإسلام العلامة
حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلي
ت: ٦٥٢هـ
تحقيق
د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م
مطبوعات مكتبة مركز بدر
العلمي والثقافي
صنعاء



الحدائق الورديّة
في مناقب أئمة الزيديّة



الحدائق الورديَّة
في مناقب أئمة الزيديَّة

تأليف شيخ الإسلام العلاّمة

حميد الشهيد بن أحمد بن محمَّد المحلي

ت: ٦٥٢هـ

الجزء الأول

تحقيق

د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

مطبوعات مكتبة مركز بدر
العلمي والثقافي
صنعاء

الطبعة الأولى

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م



توزيع

مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع

• الجمهورية اليمنية - صنعاء
تلفون: ٢٦٩٠٩١ -
فاكس: ٢٦٩٠٧٩ - ص.ب: ٣٨٠١

Republic of yemen - Sana'a
Tel: 269091 -
Fax: 269079. P.O. Box: 3801

E.-mail: almahatwary@hotmail.com

المقدمة وترجمة المؤلف

مر في هذه الدنيا رجال حفروا تأريخهم في العقول، ونقشوه في القلوب ورغم أن العظماء يتزاحمون في الذاكرة ويتنافسون على الصدارة إلا أن البعض منهم ينساب إلى القلب، ويتسرب إلى العقل كأنه النسيم يحمل ريح الجنة. ومن هؤلاء العظام الشهيد **حميد بن أحمد المُحَلِّي** رحمه الله الذي كان بطلا وفيا في زمن الغدر والجبن، فقد أبى رحمه الله إلا أن يموت شهيدا تحت راية الإمام الزاهد والعادل المجاهد الشهيد أحمد بن الحسين الملقب بأبي طير الذي خانه حتى شيخه أحمد محمد الرصاص، وغدر به ابن عمه الأمير أحمد بن عبدالله بن حمزة؛ إذ قتل الإمام واحتز رأسه وجيء به إلى خيمة أحمد بن المنصور والرصاص.

أي سوأة وقع فيها هؤلاء تحجب عنهم الرحمة، وتدخلهم النار، إن وحشيا قتل حمزة بن عبد المطلب رضوان الله عليه وهو مشرك، ولما أسلم وحشيٌّ هذا لم يقو إسلامه على إخراجه من لعنة التأريخ ومزبلة الغدر والخيانة كقاتل نبي الله يحيى بن زكريا، وقاتل علي بن أبي طالب وقاتل الحسين، ومثل هؤلاء قاتل أحمد بن الحسين، ياللفجيعة !إن المنحدر السحيق الذي وقع فيه قتلة الأولياء يقابله مقام الشهداء الذي باعوا مهجهم فداء للحق وتضحية من أجل الفضيلة، ما أبعد ما بين الموقفين.

إن الشهيد حميد بن أحمد يشبه الصحابي الجليل والشيخ الوقور عمار بن ياسر الذي قتل شهيدا تحت راية إمامه علي بن أبي طالب، وقد روي أن رأس الشهيد حميد كان يتكلم بالأذان وهو مقطوع، فإذا صحت هذه الكرامة فإنما هو يتأسى برأس النبي يحيى بن زكريا. إن الشهيد المحلي بوأه الله مع الشهادة كرامة العلم فكان طودا شامخا وعَلَمًا بارزا.

وأكرمه الله بكرامة الولاء لأهل البيت الطاهر وهي مكرمة لم يكتسبها عن

بيع ولا شراء وإنما ورثها عن آباء كرام وسلف صالح : رضعها من ثدي أمه الطاهر . ولمثله يصدق قول القائل :

لاعذب الله أمي أنها شربت ... حب الوصي وأسقتنيه في اللبن

وأن لي والدا يهوى أبا حسن ... وأنني مثله أهوى أبا حسن

ثم إنه تبوأ كرامة المصاحبة لأئمة العلم والجهاد من آل البيت عليهم السلام ونهل من علومهم وتشبع بأخلاق الوصي التي ورَّثها لهم فكأنه مع النبي ﷺ وآله ووصيه وسبطيه والزهراء (ع) وجها لوجه ينظر إلى خمسة الكساء من خلال المهدي أحمد بن الحسين سلام الله عليه فالشهيد المحلي خط طريقه عن قناعة ، إنها قناعة المؤمن التقي الحازم ، خط عمار وأبي ذر والأشتر وقيس بن سعد ، خط الرجال الأحرار الأوفياء الذين ماسال ولايسيل لعابهم لمتاع الدنياولهوها ولم يخدعوا بمكرها وسحرها ، إنهم أهل الله وحملة لواء المعروف والوفاء والشهامة والنبل والزهد والفطنة والقناعة والتواضع والشجاعة ، وحري بهم أن ينشد فيهم :

إن لله عبادا فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

إن هذا القديس الذي ألّف (الحدائق الوردية في تأريخ الأئمة الزيدية) أراد أن يجاهد لنصرة آل النبي ﷺ وآله بسنانه ولسانه وبنانه وبيانه ، فكتبه الله شهيداً فأجرى ذكر الشهيد على الألسن فصار لا يعرف إلا بالشهيد حميد .

وقد أجرى الله القبول والإستحسان لهذا الكتاب النفيس والثروة الضخمة والمخزون الذي يحوي من تأريخ أئمة آل البيت عليهم السلام وأيامهم ووقائعهم وشعرهم ونثرهم وغزير علمهم وعجائب عدلهم وشدة تحرجهم عن متاع الدنيا وعزوفهم

عن ملذاتها وما كابدوا من مكائد ولا قوا من شدائد ما يجعله أنفس من كنوز سليمان، وما حوته خزائن بني عثمان .

وقد آن الأوان لهذه الكنوز أن تثري المكتبة الإسلامية والإنسانية . وإنه لمن دواعي الأسف في عصر ثورة المعلومات أن تبقى خزائن السادة الزيدية من المخطوطات عرضة للسلب والنهب والضياع والإهمال. وإن تيسر طباعة شيء منها فلا يليق بها أن تطبع بغرض التجارة بل بغرض خدمة العلم والتراث وتقدير وحب وإجلال لنتاج علماء اليمن الكبار وإنصافهم وإخبار الدنيا أن في الزوايا خبايا وأن اليمن الحبيب بلد الإيمان والحكمة حقيقة لا مجاز .

عملنا في التحقيق :

أ : ١- حسب قواعد البحث الحديث فقد بحثنا عن نسخة المؤلف كأغلى أمنية نحققها فعثرنا على نسخة قديمة لعلها نسخة المؤلف أو قريب منها وهي بخط غير منقوط من مكتبة السيد الحجة محمد بن محمد المنصور وقال السيد العلامة محمد بن محمد المنصور في أولها : والخط في غالب ظني هو خط مؤلفها الشهيد رحمه الله تعالى بالمقابلة على خطه في منهاج الأنظار . وثبوت ذلك أنه لم يذكر في آخرها الأم التي نسخت منها ولم يذكر تأريخ النسخ وهي الجزء الأول فقط ، وأولها مبتور وتبدأ من قوله : قالوا: اللهم لا نعلمه ، قال: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم أيها النفر جميعا هل فيكم من أحد صلى القبلتين غيري .

٢- وجدنا نصف نسخة جميلة وصحيحة من مكتبة السيد العلامة ناصر الدرة أعارنا إياها ولده السيد العلامة يحيى الدرة حرسه الله وتفضل بإبقائها لدينا للمقابلة،ونصفها في مكتبة الشهاري المتوكل لم نجد سبيلا إليها .

٣- نسخة صورناها من مكتبة الجامع الكبير.

٤- نسخة مصورة متداولة في السوق .

٥- نسخة مصورة من نسخة السيد العلامة مجدالدين المؤيدي أطال الله بقاه

ب - ١- تم صفها بالكمبيوتر ثم دخلنا في معركة التصحيح والمقابلة والتحقيق وفك الغامض من بليغ كلام الأئمة وشعرهم وكم كانت دهشتنا ونحن نفتش معاجم اللغة وغريبها أن هؤلاء الفصحاء كانوا على اطلاع تام وإلمام شامل بمفردات اللغة كإلمام ابن منظور والفيروز آبادي ومحمد مرتضى الزبيدي والأزهري ناهيك عن فقههم فهم ورثة باب علم المصطفى .

٢- ضبط الآيات وتخريجها .

٣- تخريج الأحاديث التي تيسر لنا إخراجها ، و لم نجد ضرورة للتوسع في تخريج أحاديث الفضائل نظرا لأن الكتاب تأريخي وليس كتاب حديث مع أنا لم نهمل الإشارة الضرورية لأهم الأحاديث التي لها عندنا مراجع ، ومالم نجد له مرجعا فقد تركناه على عهدة المؤلف ، وقد استوعبنا غرر أحاديث فضائل أهل البيت في الروضة الندية شرح التحفة العلوية لإمام المحدثين السيد محمد بن إسماعيل الأمير وهو مطبوع بتحقيقنا والحمد لله .

٤- محاولة موازنة ألفاظ الشعر عندما لا نجد مرجعا لها ولا تتفق النسخ ولا يستقيم الوزن .

٥- تكميل بعض العبارات المقطوعة في بعض النسخ من النسخ الأخرى أو مما نجده من مراجع نقل منها كأن ينقل المؤلف كلاما عن الإمام علي عليه السلام فنجده في نهج البلاغة باختلاف يسير فنعتمد النهج عند الضرورة لاستقامة اللفظ والمعنى وعند اختلاف كل النسخ مع النهج .

٦- عندما نجد خطأ إملائيا أوسبق قلم في إحدى النسخ أو خطأ واضحا فنصلحه دون إثقال الكتاب بالهوامش .

نسب المؤلف :حميد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عبدالوهاب بن عبدالرزاق بن إبراهيم بن أبي القاسم بن علي بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن يزيد بن يعيش المحلي الوادعي الصنعاني الهمداني.

مشائخ المؤلف :

أخذ عن أئمة كبار ومشائخ بحار منهم :

١- الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة .

٢- محمد بن أحمد بن الوليد القرشي .

٣- أحمد بن الحسن الرصاص .

٤- الفقيه علي بن أحمد الأكوع .

٥- الشيخ عمران بن الحسن الشتوي .

٦- الفقيه عمرو بن جميل النهدي .

٧- الشيخ تاج الدين زيد بن أحمد البيهقي . القادم إلى اليمن عام عشر وستمائة .

٨- المرتضى بن شراهنك الحسني المرعشي .

تلاميذه :

١- ولده أحمد حميد .

٢- يحيى بن القاسم الحمزي .

٣- يحيى بن عطية .

٤- عبدالله بن زيد العنسي .

مؤلفاته :

خلف الشهيد حميد رحمه الله ثروة ضخمة من المؤلفات النفيسة منها :

١- عمدة المسترشدين في أصول الدين. ٣ أجزاء- مكتبة الجامع الكبير ٥٦٩، ٥٦٨، ٥٧٠.

٢- محاسن الأزهار في فضائل إمام الأبرار.

٣- مناهج الأنظار العاصمة من الأخطار - مكتبة السيد العلامة محمد بن محمد المنصور.

٤-الرسالة الكاشفة عن لوازم الإمامة لطالب الأمن في القيامة .

٥- العقد الفريد .

٦- الوسيط المفيد الجامع بين الإيضاح والعقد الفريد - مصور بمكتبة مركز بدر العلمي .

٧- الرد على المجبرة .

٨- الحسام البتار في الرد على القرامطة الكفار.

٩- نصيحة الولاة الهادية إلى النجاة - تحت تحقيق الدكتور محمد المأخذي.

١٠- الرد على المطرفية .

١١- الثعبان النفاث بهلاك أهل المسائل الثلاث .

وفاته: استشهد رحمه الله في يوم الجمعة ١٢ رمضان ٦٥٢هـ ، ومشهده بقرية الرحبة من مديرية السود بمحافظة عمران، وتبعد عن صنعاء ٨٧ كم شمالا، وقد كتبت على مشهده أبيات للإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين في رثاء الشهيد وهي:

وقفت بمشهد السهم الشهيد ... حميد بن أحمد النجل السعيد

فتى ساد الهدى وبنى المعالي ... وأرسى سامي الشرف المشيد

فَظُفِّر بالشهادة يوم حانت ... منيته فقدس من شهيد

أما حذر الذي لاقى حميدا ... كؤوس الموت من نار الوقيد

لقى من قاتليه بغير جرم ... كما لاقى ابن حيدر من يزيد

وشابهه ابن ملجم في مراد ... وظاهاه قدور في ثمود

وما نقم الخوارج من حميد ... سوى الإيمان بالله الحميد

ونشر العلم في يمن وشام ... وطمس رسوم إبليس المريد

وتعظيم الأئمة من علي ... ونشر علومهم نشر البنود

قام قناة مذهبهم وجلّى ... دجى الأفاق من شبه الأسود

وبعد القتل قد شهدت عداه ... بأن الرأس أذن في الجنود

فبل الله تربته بعفو ... وكافاه بجنات الخلود

وقد قمت بزيارة قرية الشهيد حميد التي فيها ضريحه، وتحدثنا مع آل حميد هناك وهم حوالي ٦٠٠ نسمة عن فضائله ومكانته، وقالوا: إن ذرية الشهيد تتوزع على كثير من الجهات في لواء حجة و خولان و بلاد الروس وبني حشيش وريمة ورداع وشرس وصنعاء وتعز وبني مطر (بيت ردم) وصعدة وشبام وغيرها.

المراجع:

١ - طبقات الزيدية الكبرى ١/ ٤٢١.

٢- أعلام المؤلفين الزيدية ٤٠٨.

٣- مآثر الأبرار (خ).

٤ - مطلع البدور (خ).

٥- لوامع الأنوار ٢/ ٤٥، ٤٦ .

٦- تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/ ٣٠٥ .

وقد تم الفراغ من آخر تصحيح ومقابلة كتاب حميد الشهيد بعد شروق يوم الإثنين ٢٥محرم ١٤٢٣هـ الموافق ٨/ ٤/ ٢٠٠٢م في مناسبة الشهيد الإمام الأعظم زيد بن علي عليه السلام ، جزى الله المؤلف عن دينه وأهل بيت نبيه خير الجزاء .

وأشكر الجهود الشاقة التي قام بها الأولاد الكرام في قسم التحقيق من مقابلة وتصحيح وتخريج وطباعة في إنجاز هذا العمل العظيم، وفي مقدمتهم / محمد حسين عيسى شرف الدين، وعبدالرحمن عبدالله المحطوري، وعبدالقادر المهدي، وعباس حسين عيسى شرف الدين كتب الله أجر الجميع .

د. المرتضى بن زيد المحطوري الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أفاضَ علينا أنوارَ الهِدَايَة، وزحزحنا بلطفه عن مدارج الغواية، وحمانا بتأييده عن الانخداع بتمويهات أرباب الضلالة، وألهمنا النظر في البراهين التي ينجو من اعتصم بها[1] من الجهالة، ووفقنا لإدراك حقيقة الحق والاستمساك بالقول الصدق، وحدا قلوبنا إلى معرفته، وجذبها إلى العلم بحكمته، فأشرقت بأنوار المعارف الإلهية، وتلألأت بضياء العلوم الربانية[2] فأنوارها لا تخبو لحنادس الشبهات، وجواهرها لا تلوث بورود المشكلات، يقصر عن ضيائها شعاع الشمس الظاهر، ويتضائل عنها نور القمر الباهر؛ إذ ظهر لها مالا يظهر للعيون، وتجلّى لها من التوحيد سرّه المصون، فأصبحت في رياض التوحيد قاطنة، وفي حدائق العدل عادنة غير ظاعنة، متنعمة ببرد اليقين، متحققة أن بارئها بالتقديس جديرٌ قَمِين[3]، إن طاف بهامن الشك والتخمين طائفٌ أذهبته بروق يقينها المتلألئة الخواطف، قد حرسها الله بنور هدايته، وكلأها[4] بعين حياطته عن دياجير ظلم الضلال، وغياهب سُدف[5] الإشكال، فالحمد لله على ما أكرمنا به من عرفانه، وحبانا به من إدراك التوحيد وإتقانه، حمداً يكون كفاءً لهذه النعم العميمة، وقياماً بشكر هذه المنن الجسيمة.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا مثيل، ولا ضدّ ولا ندّ ولا عديل، شهادةً صادرة عن يقين صاف عن كَدَر التشبيه، وإخلاص غير مشوب بشبهات أهل الزيغ والتمويه، قاضيةً بالزلفى يوم القيامة، مسلّمةً من أهوال

(١) في (ب): إنشاء الله.

(٢) في (أ): الدينية.

(٣) القمين: الخليق الجدير. القاموس: (١٥٨١).

(٤) في (ب) وتلاها.

(٥) المراد به الظلمة. القاموس: (١٠٥٩).

الطامة، وأشهد أن محمداً عبده المختار، ونبيه المجتبى الداعي إلى دار القرار، المبعوث على حين فترة، وضلال أمة، فدعا الخلق بألطف دعا، وناداهم بأرفق نداء، حتى دخلوا في دين الله أفواجا، وبادروا إليه أفراداً وأزواجا، المخصوص بالحكم الغريبة، والبلاغة العجيبة، وجوامع الكلم الغُرّ، وبدائع الألفاظ الزهر، فاستشفى بها أهل الإسلام، واستنبطوا منها غرائب الأحكام، وارتووا من معينها الصافي، واستقوا من سَلسَالها الشافي، صلى الله عليه صلاةً تقضي له بالوسيلة، وبلوغ عوالي الرتب الجليلة، وتُرَقِّيه من الجنة ذرى غرفها، وتُبلّغه السامي من تحفها، وتكون مؤديةً لحقه الواجب، وسببًا للخروج عن عهدة فرضه اللازب، وحاكمةً باستحقاق شفاعته، والانخراط في سلك زمرته، والإرتواء من حوضه السلسل المعين، والتفيُّؤ في ظل لوائه يوم الدين، وعلى وصيه وأخيه ووليه، السابق لأهل الإسلام، المعصوم من مقارفة الآثام، مدمّر سباع الكفار، المردي لعمرو يوم زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وقل المحامي والناصر، الفائز يوم أحد بمحاسن الثناء، المسموع من ناحية السماء، حيث نادى رسول المليك العلي: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي[1]. الذي أخاه الرسول من بين صحابته، وزوّجه بإذن ربه بابنته، بعد أن زوجه فوق عرشه الملك الجليل، وأشهد على ذلك ميكال وجبريل، صفوة الصحابة الأخيار، مولى المهاجرين والأنصار، المنفرد دونهم بصدقة المناجاة، الذي قال فيه الرسول ﷺ: «من كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه»[2] المحبوِّ من ثمار الجنان بأترجِّها والرمان، زاكي المناسب، أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) المحب الطبري في ذخائره ص ٧٤.

(٢) هذا الحديث متواتر وله طرق كثيرة رواه أحمد بن حنبل رقم ٩٦١، ٢٥٠ ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٣. وتذكر الحفاظ ١/ ١٠ وأحمد بن عيسى ٤/ ٣١٠، وفضائل الصحابة ٢/ ٧٤١، والنسائي في الخصائص رقم ٨٢- ٨٥، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٦٨ وكنز العمال رقم ٣١٦٦٢، والطبراني في الكبير ١/ ١٧٩ رقم ٣٠٤٩، والحاكم ٣/ ٣٧١، وغيرهم كثير.

طالب، وعلى عترته الزكية، وسلالته النبوية، أطواد الفخر وأعلامه، رعاة الإسلام وقُوَّامه، سفينة النجاة، ذرية النبي الأوّاه، ورثة علم الله، حفظة وحي الله، صلاةً تقضي لهم بالزلف العظام، والتحف الجسام، أما بعد:

فإن أولى من أُسعف مراده من صفى في الدين اعتقاده، وخلص لأرباب الحق وداده، وقد بلغنا كتاب القاضي الأجل الأوحد الأعز الأسعد أدام الله إسعاده، وأحسن إرشاده، رافلاً في حلل الأدب، كاشفاً عن شريف أخلاقه والمذهب، ينم بفضل مُنشيه، ويشهد بكرم مُبديه، منطوياً على السؤال عن نكت شافية، وغرر كافية، مَن أخبار السابقين من ذرية النبي الأمين، والأنزع البطين سلام الله عليهم أجمعين، فرأينا الإجابة من فروض الدين، ولوازم المتقين؛ إذ كان الكلام في أحوالهم وحكاية أفعالهم من جملة القرب العظام إلى ذي الجلال والإكرام، ولَقد طلب أدام الله إسعاده، وأنجح مقصده ومراده، وأحسن سداده، وأصلح معاده، أمراً عرض عنه الخلق بجمهورهم، ونبذوه وراء ظهورهم، غير أن لله عباداً يخصهم بالتوفيق، ويلهمهم فوائد التحقيق، تناولهم دعاء الخليل إلى الملك الجليل، حيث يقول: ﴿**رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ**﴾ [إبراهيم: ٣٧].

فالحمد لله الذي أكرمنا وإياهم بالدخول في ضمن هذا الدعاء الشريف، الذي نرجوا به إن شاء الله تعالى الفوز في المعاد، والأمن يوم التناد، إذا دُعي كل إنسان بإمامه، وحَسَر الحق عن لثامه، وباء المبطلون بعبء الباطل وآثامه، فحينئذ ظهرت حسرتهم، وعظمت مصيبتهم، حيث تركوا اتّباع الهداة السادة، الذين اختُصوا بشرف الولادة، وحُكم لهم على الأمة بالسيادة، وهنالك يجذَل المؤمنون، ويُحبَر المتقون، الذين قفوا مناهج الذرية النبوية،

وسلكوا أدراج العترة الزكية، وإلى مثل ذلك أرشد القرآن، وأعرب عنه الفرقان، وأوضح هذا المعنى وأبان، فقال جل ذكره: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ [الإسراء:٧١]، فَبَخٍ بَخٍ لمن دُعي يوم التناد، بذرية النبي الهاد، فإنهم لا محالة تحت لواء أبيهم في ذلك المقام، وهم السقاة على الحوض والقوَّام، وويل وثبور لمن دُعي يوم القيامة بمن عداهم[1] من الأئمة المضلين، والقادة المخلّين.

وقد توخينا الإيجاز فيما سأل أرشده الله عزوجل إلاّ فيما تدعوا إليه الضرورة مع أنه اقترح ما يقتضي الإسهاب، ويستدعي الإطناب، حيث طلب الوقوف على جوامع أخبارهم، ومحاسن آثارهم، ونكت من منظومهم، ولُمع[2] من منثورهم، والله تعالى يرشدنا لموافقة محبوبه، ويرزقنا الإتيان بمطلوبه، فإن أعظم الأشياء قبولاً ما وافق الخاطر، ولم يُعرِّج عن غرض الناظر، ونحن نذكر ذلك حسبما ذكره من عني بهذا الشأن من أئمتنا عليهم السلام وغيرهم من نقلة السير، ولولا اقتراحه أن نَلي ذلك بأنفسنا، لكان الإتكال على ما وضعوه يكفي، ولكل ذي قلب يشفي، إلا أنه طلب منا أمراً فقمنا برضاه، وانحططنا في هواه والله تعالى ينفع السائل والمسئول، ويمنَّ علينا بالاعتصام بذرية الرسول، لنسعد في المبدأ والمآل، وننجوا من موبقات الضلال، وقد سلكنا في ذلك طريقة المصنفين، وذكرنا نكتاً[3] مما ذكروه، ونظمنا لُمعًا مما نقلوه، ونُقدِّم أمام ذلك فصلاً يتضمن طرقًا من الأحاديث التي نقلناها بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ في فضل العترة عليهم السلام؛ ليعلم الناظر أولاً أن أئمة الزيدية هم الصفوة من الأمة، والخيرة من أهل الإسلام، فيكون ذلك أقرب إلى رعاية حقهم والإعتراف بفضلهم، وليتحقق المنصف أنهم أحق الأمة بالزعامة، وأجدرهم بالإمامة.

---

(١) في (ب): عاداهم.

(٢) في (ج): ولؤلؤ.

(٣) في (ب) شيئا.

فصل :

فمن ذلك ما رويناه من أمالي السيد أبي طالب عليه السلام وقد أخبرنا به الشيخ العالم الورع الفاضل محيي الدين عمدة الموحدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن الوليد القرشي رضي الله عنه[1] يرفعه إلى السيد الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني عليه السلام بإسناده إلى علي بن موسى الرضى عن آبائه عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : قال : رسول الله صلى الله عليه وآله « حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وقاتلهم ، وعلى المعين عليهم ، أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ، ولا يكلمهم الله يوم القيامة ، ولا يزكيهم ، ولهم عذاب أليم »[2]

وبالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب عليه السلام يرفعه إلى حنش الكناني[3] قال : سمعت أبا ذر يقول وهو آخذ بباب الكعبة : أيها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر الغفاري سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها هلك» .[4]

وبإسناده إلى السيد أبي طالب يرفعه إلى ابن عباس قال : قال رسول الله عليه السلام : «أيها الناس أوصيكم بعترتي أهل بيتي خيراً فإنهم لحمتي وفصيلتي ،

---

(١) ولد سنة ٥٣٨هـ حافظ مسند من كبار علماء الزيدية ، اشتغل بتحصيل كتب الأئمة ، وله سبعة وعشرون مصنفا مفيدة ، توفي سنة ٦٢١هـ من مؤلفاته مختصر تفسير الحاكم الجشمي ، مختصر جلاء الأبصار ، تحرير زوائد الإبانة ، وسيرة الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة ، منهاج السلامة في مسائل الإمامة وغيرها . التحف ٢٣٦ ، ومطلع البدور ٤/ ٩٩ .

(٢) أمالي أبي طالب ص١٢١ ، صحيفة علي بن موسى ص٤٦٣ .

(٣) حنش بن المعتمر ، ويقال بن ربيعة أبو المعتمر الكوفي ، من أصحاب علي عليه السلام روى عن عليم الكندي ، وعلي بن أبي طالب ، وأبي ذر الغفاري ، روى له أبو داود والترمذي والنسائي في خصائص علي وفي مسنده . تهذيب الكمال ٧/ ٤٣٣ ، أعيان الشيعة ٦/ ٢٥٧ .

(٤) أمالي أبي طالب ص٣٦. الهادي في الأحكام ١/ ٤٠ ، وعلي بن موسى الرضى ٤٦٤ ، والمرشد بالله ١/ ١٥٢ ، والمستدرك ٢/ ٣٤٣ ، ٣/ ١٥٠ ، على شرط مسلم وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، والطبراني في الأوسط ٥/ ٥٣٩٠ ، والكبير ٣/ ٤٥ رقم ٢٦٣٦ ، والبزار ٢/ ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ .

فاحفظوا منهم ما تحفظون مني »[1]. وروينا عنه عليه السلام يرفعه إلى شهر بن حوشب[2] عن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ ثوبًا فجلّله على علي عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فجئت لأدخل معهم فقال: «مكانك إنك على خير»[3].

وروينا بالإسناد الموثوق به من غير أمالي السيد أبي طالب إلى أبي الحمراء[4] رحمه الله تعالى قال: شهدت النبي صلى الله عليه وآله وسلم أربعين صباحًا فيجيء إلى باب علي وفاطمة عليهما السلام فيأخذ بعضادتي الباب ويقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، الصلاة يرحمكم الله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣][5].

وبالإسناد إلى السيد أبي طالب يرفعه إلى جعفر بن محمد الصادق[6] عن

---

(١) أمالي أبي طالب ص١٣٠.

(٢) الأشعري تابعي قرأ القرآن على عبدالله بن عباس وابن عمر وثقه أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وقد طعن فيه بعضهم، توفي سنة ١١١هـ وقيل غير ذلك سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٧٢، وتهذيب الكمال ١٢/ ٥٧٨.

(٣) الأمالي ١٣٠، ومسلم ٤/ ١٨٨٣، ومسند أحمد بن حنبل رقم ٢٦٥٧٠، ٢٦٦١٢، ٢٦٨٠٧، والترمذي ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٧، والمستدرك ١/ ١٤٦، وقال صحيح على شرط الشيخين، وسنن البيهقي ٢/ ١٥٢، وابن أبي شيبة ٦/ ٣٧٠، والعمدة ٧٥، والطبراني ٣/ ٥٢ من رقم ٢٦٦٢-٢٦٧٤، وتفسير الطبري ٢٢/ ١١، وتاريخ الخطيب ١٠/ ٢٧٨، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٤، وشواهد التنزيل ٢/ ٤٧.

(٤) مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل اسمه: هلال بن الحارث، وقيل: هلال بن ظفر، ينظر أسد الغابة ٦/ ٧٥، الاستيعاب ٣/ ١٩٨.

(٥) ذخائر العقبى ص٢٤، تفسير الطبري ٢٢/ ١٢، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٨٣.

(٦) جعفر الصادق ولد سنة ٨٠هـ وقيل ٨٣هـ وفضله وعلمه وزهده وورعه أشهر من أن يذكر، سمي بالصادق لصدقه، قال مالك بن أنس: ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد فضلا وعلما وورعا. توفي سنة ١٤٨هـ. أعيان الشيعة ١/ ٦٥٩.

آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليًا من أهل بيتي، موكَّلاً به، يذب عنه، يعلن الحق، وينوره، ويرد كيد الكائدين، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وتوكلوا على الله»[1].

وبالإسناد إليه عليه السلام يرفعه إلى أبي هريرة قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله إلى علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فقال: «أنا حرب لمن حاربهم، وسلم لمن سالمهم»[2] وبالإسناد إليه يرفعه إلى محمد بن الحسين بن علي بن الحسين[3] عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له خَزِيرَةً[4] وأهدت إلينا أم أيمن قعباً من لبن وزبداً وصَحْفَةً من تمر، فأكل رسول الله صلى الله عليه وآله وأكلنا معه، ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وآله فمسح رأسه ولحيته بيده ثم استقبل القبلة، ودعا الله جل ذكره ما شاء ثم أكبَّ إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، ثم أكبَّ إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات، فَهِبْنا أن نسأله صلى الله عليه وآله، فوثب الحسين فأكب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى، فضمَّه إليه وقال له: «بأبي أنت وأمي وما يبكيك؟»، فقال: يا أبت إني رأيتك تصنع مالم تصنع مثله، فقال: «يابني إني سررت بكم اليوم سروراً لم أسر بكم قبله، وإن حبيبي جبريل أتاني فأخبرني بأنكم قَتْلَى، وأن مصارعكم شتى، فحزَّنني ذلك فدعوت الله لكم» فقال الحسين عليه السلام: يا رسول الله من يزورنا على تشتتنا وتباعد قبورنا؟ فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله «طائفة من أمتي يريدون بذلك بِرِّي وصِلَتي، إذا كان

---

(١) الأمالي ١١٩.

(٢) أمالي أبي طالب ١١٠، الترمذي ٥/ ٦٥٦ رقم ٣٨٧٠، ابن ماجة رقم ١٤٥، الطبراني ٣/ ٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١، والمستدرك ٣/ ١٤٩، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٣، كنز العمال ١٢/ ٣٤١٥٩، ٣٤١٦٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٩.

(٣) ولد سنة ١١٤هـ مدني نزل الكوفة، روى عن أبيه عن جده وتوفي سنة ١٨١هـ. معجم الرجال لأبي القاسم الخوئي ١٧/ ١٨.

(٤) شبه عصيدة مع اللحم. القاموس ص٤٩١.

يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضادهم فأنجيهم من أهوالها وشدائدها»[1].

وبالإسناد إليه يرفعه إلى جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «الإسلامُ لباسُه الحياء، وزينته الوفاء، ومروّته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»[2].

وبالإسناد إليه عليه السلام يرفعه إلى علي بن موسى الرضى عن آبائه عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة أنا شفيع لهم يوم القيامة: الضارب بسيفه أمام ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»[3] ومن كتاب المناقب لابن المغازلي وقد أخبرنا الفقيه الأجل العالم الزاهد بهآء الدين أبو الحسن علي بن أحمد الأكوع رحمه الله[4] يرفعه بإسناده إلى المصنف وهو القاضي العدل الخطيب أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجُلاَّبي المعروف بابن المغازلي الشافعي رحمه الله[5] روى بإسناده عن ابن امرأة زيد ابن أرقم قال: أقبل نبي الله ﷺ من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة بين مكة والمدينة فأمر بالدوحات فَقُمَّ ما تحتهن من شوك، ثم نادى: الصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحرّ، وإنَّ منا لمن يضع رداءه على رأسه وبعضه على قدمه من شدة الرمضاء، حتى انتهينا

---

(١) أمالي أبي طالب ص١١٢، فضل الزيارة ٣١.

(٢) الأمالي ص٣٧٨.

(٣) أمالي أبي طالب ص٤٤٣.

(٤) فقيه عابد وعالم فاضل، ناصر الإمام عبد الله بن حمزة، جمع الإختيارات المنصورية. ينظر مطلع البدور ج٢ ص٨٢ «خ».

(٥) فاضل، عالم برجالات واسط وحديثهم، وكان حريصا على سماع الحديث وطلبه. ت: ٤٨٠هـ وله كتاب مناقب الشافعي، والأربعين في فضائل قريش، والقضاء والشهادات على مذهب الشافعي، وشرح الجامع الصحيح للبخاري، وكتاب مناقب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ينظر ترجمته في مقدمة المناقب ص ٩، والأنساب ٢/ ١٣٧.

إلى رسول الله ﷺ» فصلى بنا الظهر ثم انصرف إلينا، فقال: الحمدلله نحمده ونستعينه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن ضل، ولا مضل لمن هدى.

وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله أما بعد: أيها الناس فإنه لم يكن لنبي من عُمُره إلا نصف من عمر من قبله، وإن عيسى بن مريم لبث في قومه أربعين سنة، وإني قد أشرعت في العشرين، ألا وإني أوشك أن أفارقكم، ألا وإني مسؤل وأنتم مسؤلون فهل بلغتكم؟ فماذا أنتم قائلون؟ فقام من كل ناحية من القوم مجيب يقولون: نشهد أنك عبد الله ورسوله قد بلغت رسالته، وجاهدت في سبيله، وصدعت بأمره، وعبدته حتى أتاك اليقين، فجزاك الله عنا خير ما جزى نبيًا عن أمته. فقال: ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟ قالوا: بلى، قال: فإني أشهد أن قد صَدَقْتكم وصدَّقتموني. ألا وإني فرطكم على الحوض وأنتم تبعي، توشكون أن تردوا عليَّ الحوض فأسألكم حين تلقونني عن ثَقَلَيَّ كيف خلفتموني فيهما؟ قال: فأُعيل علينا ما ندري ما الثقلان؟! حتى قام رجل من المهاجرين فقال: بأبي وأمي أنت يا نبي الله ما الثقلان؟ قال: الأكبر منهما كتاب الله، سَبَبٌ طرفٌ بيد الله وطرفٌ بأيديكم فتمسكوا به ولا تولَّوا ولا تضلوا، والأصغر منهما عترتي: مَنِ استقبل قبلتي واستجاب دعوتي فلا تقتلوهم، ولا تقهروهم، ولا تقصِّروا عنهم، فإني قد سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني: ناصرهما لي ناصر، وخاذلهما لي خاذل، ووليهما لي ولي، وعدوهما لي عدوّ، ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تتديَّن بأهوائها، وتظَّاهر على نبوتها[1]، وتقتل من قام بالقسط، ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام فرفعها وقال: «من كنت مولاه فهذا مولاه، من كنت وليُّه فهذا

---

(١) في (ب) بيوتها.

وليُّه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه» قالها ثلاثاً[1].

وروى ابن المغازلي في كتابه بإسناده إلى علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وكفَّ غضبه، وسجن لسانه، وبذل معروفه، واستغفر لذنبه، وأدّى النصيحة لأهل بيتي، فقد استكمل حقائق الإيمان، وأبواب الجنة له مفتَّحة»[2].

وروى بإسناده أيضاً عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «فضل أهل بيتي على الناس كفضل البنفسج على سائر الأدهان»[3].

وروى بإسناده عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «اشتد غضب الله تعالى وغضبي على من أهرق دمي وآذاني في عترتي»[4].

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه؟ وعن جسده فيما أبلاه؟ وعن ماله فيما أنفقه؟ ومن أين اكتسبه؟ وعن حبنا أهل البيت؟»[5].

وروى بإسناده عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلَّف عنها غرق، ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»[6].

وروى بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي»[7].

---

(١) المناقب ص٦٧.

(٢) المناقب ص٩٠.

(٣) المناقب ص٩٠.

(٤) المناقب ص٩١، ولسان الميزان ٥/ ٣٦٢، ورواه أحمد رقم(٢٥٣) باب فضائل علي.

(٥) أمالي أبي طالب ٧٣، المناقب ص١٤١، وأخرجه الطبراني في الكبير ١١/ ١٠٢ رقم ١١٠٧٧، ومجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٦، ولسان الميزان ٢/ ١٥٩.

(٦) المناقب ١٤٩، ١٥٠، والطبراني في الكبير ١/ ٤٥ رقم٢٦٣٦، وميزان الاعتدال ١/ ٢٢٤.

(٧) المناقب ص١٥١، المستدرك ٣/ ١٥٠ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، وتاريخ بغداد ٤/ ١٦٠، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٩، وحليه الأولياء ٣/ ٣٤٤.

وروى بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال : صعد رسول الله ﷺ المنبر فقال : «والذي نفس محمد بيده لا يبغض أهل البيت أحدٌ إلا أكبَّه الله في النار»[1].

وروى بإسناده عن كثير بن زيد[2] قال : دخل الأعمش[3] على المنصور وهو جالس للمظالم، فلما بَصُرَ به قال : يا سليمان تَصَدَّر ، فقال : أنا صَدْرٌ حيث جلست ، ثم قال : حدثني الصادق ، قال : حدثني الباقر قال : حدثني السجَّاد قال : حدثني الشهيد قال : حدثني التقي - وهو الوصي أمير المؤمنين - علي بن أبي طالب عليه السلام قال : حدثني النبي ﷺ، قال : «أتاني جبريل آنفًا فقال : تختَّموا بالعقيق ، فإنه أول حجرٍ شهد لله بالوحدانية ، ولي بالنبوة ، ولعلي بالوصية ، ولولده بالإمامة ، ولشيعته بالجنة » قال : فاستدار الناس بوجوههم نحوه فقيل له : تَذْكر قوماً فتعلم مالا نعلم ، فقال : الصادق جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، والباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب ، والسجَّاد علي بن الحسين ، والشهيد الحسين بن علي ، والوصي وهو التقي علي بن أبي طالب عليهم السلام .[4]

وروى بإسناده عن السُّدِّي[5] في قوله عزوجل : ﴿ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ

---

(١) المناقب ١٥١ ، والمستدرك ٣/ ١٥٠ ، وكنز العمال ١٢/ ١٠٤ رقم ٣٤٢٠٤ ، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٩٦ .

(٢) الأسلمي السهمي وثقه ابن حبان وغيره ، وضعفه آخرون ، روى له البخاري وأبوداود والترمذي وابن ماجة ، توفي آخر أيام أبي جعفر المنصور وكانت وفاة أبي جعفر ١٥٨هـ . ينظر تهذيب الكمال ٢٤/ ١١٣ .

(٣) سليمان بن مهران الأسدي أبو محمد ولد سنة ٦١ هـ مقرئ محدث حافظ ناسك عابد ، توفي ١٤٧هـ . ينظر سير أعلام النبلاء ٦/ ٢٢٦ .

(٤) المناقب ص٢٤٢ .

(٥) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة ، محدث ومفسر توفي ١٢٧هـ . ينظر سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٥٦ .

لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣] قال: المودّة في آل الرسول ﷺ.[1] وفي قوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥] قال: رضى محمد ﷺ أن يدخل أهل بيته الجنة.

وروى بإسناده عن علي بن جعفر قال: سألت الحسن عن قول الله عزوجل: ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: (المشكاة) فاطمة، (والمصباح) الحسن، والحسين: ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ قال: كانت فاطمة عليها السلام ككوكب دريّ من بين نسآء العالمين: ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ فالشجرة المباركة إبراهيم: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾: لا يهودية ولا نصرانية، ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ قال: يكاد العلم أن ينطق منها، ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال: فيها إمام بعد إمام: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥] قال: يهدي الله عزوجل لولايتنا من يشآء[2].

وروى بأسانيده إلى الأعمش قال: بعث إليّ أبو جعفر المنصور[3] فقلت للرسول: لما يريدني أمير المؤمنين؟ فقال: لا أعلم، فقلت: أبلغه أني آتيه، ثم تفكّرت في نفسي، فقلت: ما دعاني في هذا الوقت لخير، ولكن عسى أن يسألني عن فضآئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فإن أخبرته قتلني، قال: فتطهّرتُ ولبستُ أكفاني وتحنطتُ ثم كتبتُ وصيتي ثم صرت إليه فوجدت عنده

---

(١) المناقب ٢٦٣، ومجمع البيان ٩/ ٤٩، وتفسير القرطبي مج ٨/ ١٦/ ١٧، وشواهد التنزيل ٢/ ١٤٧. ومسند أحمد ١/ ٤٢٥ رقم ١٧١٩، ومجمع الزوائد ٩/ ١٢٥، والطبراني في الكبير ٣/ ٧٩.

(٢) المناقب ص ٢٦٣.

(٣) عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الدوانيقي ولد سنة ٩٥هـ. تولى الخلافة سنة ١٣٦هـ. وكان من المسرفين في قتل أهل البيت، وقتل من قريش ومضر واليمن والعجم والفقهاء والشعراء الكثير. توفي سنة ١٥٨هـ. ينظر المسعودي ٣/ ٢٩٣، والأعلام ٤/ ١١٧.

عَمْرو بن عبيد [1]، فحمدت الله تعالى على ذلك، وقلت : وجدت عنده عون صدق من أهل البصرة، فقال لي : ادن يا سليمان، فدنوت فلما قربت منه أقبلت على عمرو بن عبيد أسآئله وفاح مني ريح الحنوط، فقال : يا سليمان ما هذه الرآئحة؟ والله لتصدقني وإلا قتلتك!

فقلت يا أمير المؤمنين : أتاني رسولك في جوف الليل، فقلت في نفسي ما بعث إلي أمير المؤمنين في هذه الساعة إلا ليسآئلني عن فضآئل علي فإن أخبرته قتلني، فكتبت وصيتي ولبست كفني وتحنطت، فاستوى جالساً وهو يقول : لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: أتدري يا سليمان ما اسمي؟ قلتُ : نعم يا أمير المؤمنين، قال: ما اسمي؟ قلتُ: عبدالله الطويل بن محمد بن علي بن عبدالله ابن عباس بن عبد المطلب قال: صدقت، فأخْبِرْني بالله وبقرابتي من رسول الله ﷺ كم رويت في عليٍّ من فضيلة من جميع الفقهآء وكم تكون ؟ قلت: يسيراً يا أمير المؤمنين . قال عليٌّ ذاك. قلت : عشرة آلاف حديث ومازاد، قال: فقال: يا سليمان لأحدثنك في فضآئل علي عليه السلام حديثين يأكلان كل حديث رويته عن جميع الفقهاء، فإن حلفت لي أن لا ترويهما لأحد من الشيعة حدثتك بهما. فقلت: لا أحلف ولا أخبر بهما أحداً منهم. فقال : كنت هاربًا من بني مروان، وكنت أدور البلدان أتقرب إلى الناس بحبِّ علي عليه السلام وفضآئله، وكانوا يؤونني [2]، ويطعمونني، ويزورونني، ويكرمونني، ويحملونني، حتى وردت بلاد الشام، وأهل الشام كلما أصبحوا لعنوا عليًا عليه السلام في مساجدهم؛ لأن كلهم خوارج وأصحاب معاوية، فدخلت مسجداً وفي نفسي منهم ما فيها، فأقيمت الصلاة فصليت الظهر وعليَّ كسآء خَلِق، فلمّا سلَّم الإمام اتّكأ على الحآئط،

---

(1) شيخ المعتزلة في وقته ومفتيها وله خطب ورسائل وكلام كثير في العدل والتوحيد وغير ذلك، توفي ١٤٤ هـ. ينظر المسعودي ٣/٣٠٣.

(2) في النسخ : يأوون إلي.

وأهل المسجد حضور، فجلست فلم أر أحداً منهم يتكلم توقيراً لإمامهم فإذا بصبيين قد دخلا المسجد فلما نظر إليهما الإمام قال: ادخلا مرحبًا بكما، ومرحبًا بمن سميتكما بأسمآئهما، والله ما سميتكما بأسمآئهما إلا بحب محمد وآل محمد، فإذا أحدهما يقال: له الحسن، والآخر الحسين.

فقلت: فيما بيني وبين نفسي قد أصبت اليوم حاجتي ولا قوة إلا بالله، وكان شابًا إلى جنبي فسألته من هذا الشيخ؟ ومن هذان الغلامان؟ فقال: الشيخ جدهما وليس في هذه المدينة أحد يحب عليًا عليه السلام غير هذا الشيخ، ولذلك سماهما الحسن والحسين فقمت فرحًا، وإني يومئذ لصارم لا أخاف الرجال، فدنوت من الشيخ فقلت: هل لك في حديث أقرُّ به عينك؟ قال: ما أحوجني إلى ذلك وإن أقررت عيني أقررت عينك.

فقلت: حدثني أبي عن جدي عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لي: من والدك؟ ومن جدك؟ فلما عرفت أنه يريد أسمآء الرجال، قلت محمد بن علي ابن عبدالله بن العباس قال: إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا فاطمة عليها السلام قد أقبلت تبكي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت يا أبتاه: إن الحسن والحسين قد غبرا، وقد ذهبا منذ اليوم ولا أدري أين هما، وإن عليًا يمشي على الدالية منذ خمسة أيام يسقي البستان، وإني قد طلبتهما في منازلك فما أحسست لهما أثراً، وإذا أبو بكر عن يمينه فقال يا أبا بكر: قم فاطلب قرة عيني، ثم قال: قم يا عمر فاطلبهما، يا سلمان، يا أبا ذر، يا فلان، يا فلان، قال: فأحصينا على رسول الله صلى الله عليه وآله سبعين رجلاً بعثهم في طلبهما وحثهم، فرجعوا ولم يصيبوهما فاغتمَّ النبي صلى الله عليه وآله لذلك غمًا شديداً، ووقف على باب المسجد وهو يقول: بحق إبراهيم خليلك، وبحق آدم صفيك إن كانا قرتي عيني وثمرة فؤادي أخذا براً أو بحراً فاحفظهما وسلّمهما، فإذا جبريل عليه السلام قد هبط فقال: يا رسول الله، إن الله يقرئك السلام ويقول لك:

لا تحزن ولا تغتمّ، الصبيّان فاضلان في الدنيا فاضلان في الآخرة، وهما في الجنة وقد وكّلت بهما ملكاً يحفظهما إذا ناما وإذا قاما، ففرح رسول الله ﷺ فرحاً شديداً، ومضى جبريل عن يمينه والمسلمون حوله حتى دخل حظيرة بني النجار، فسلم على ذلك الملك الموكل بهما، ثم جثى النبي ﷺ على ركبتيه وإن الحسن معانق للحسين وهما نائمان وذلك الملك قد جعل أحد جناحيه تحتهما والآخر فوقهما، وعلى كل واحد منها دراعةٌ من شعرٍ أوصوف، والمداد على شفتيهما فما زال النبي ﷺ يلثمهما حتى استيقظا، فحمل النبي ﷺ الحسن، وحمل جبريل الحسين، وخرج النبي ﷺ من الحظيرة.

قال ابن عباس: وجدنا الحسن عن يمين النبي ﷺ والحسين عن يساره وهو يقبلهما ويقول: «من أحبّكما فقد أحبّ رسول الله، ومن أبغضكما فقد أبغض رسول الله ﷺ» فقال أبو بكر: يا رسول الله أعطني أحدهما أحمله، فقال له رسول الله ﷺ: نعم المحمولة ونعم المطية تحتهما، فلما أن صارا إلى باب الحظيرة لقيه عمر، فقال له مثل مقالة أبي بكر، فرد عليه رسول الله ﷺ كما ردَّ على أبي بكر فرأينا الحسن متشبثًا بثوب رسول الله ﷺ متكئًا على رسول الله فدخل النبي ﷺ المسجد فقال: «لأشرفنّ ابنيَّ اليوم كما شرفهما الله»، فقال: يا بلال عليّ بالناس، فنادى بهم فاجتمع الناس فقال النبي ﷺ: «معشر أصحابي بلغوا عن نبيكم ﷺ سمعنا رسول الله ﷺ يقول: ألا أدلكم اليوم على خير الناس جدًّا وجدة؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: عليكم بالحسن والحسين، فإن جدَّهُما مُحمدٌ رسولُ الله، وجدَّتهما خديجة بنت خويلد سيدة نسآء أهل الجنة. هل أدلكم على خير الناس أبًا وأمًّا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن أباهما علي بن أبي طالب وهو خيرٌ منهما شابٌّ يُحبُّ اللهَ ورسولَه، ويُحبُّه اللهُ ورسولُه، ذو المنفعة والمنقبة في الإسلام، وأمّهما فاطمة بنت رسول الله ﷺ وهي سيدة نسآء أهل الجنة.

معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس عمّا وعمة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن عمهما جعفر ذو الجناحين يطير بهما في الجنان مع الملائكة، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب. معشر الناس ألا أدلكم على خير الناس خالاً وخالة؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: عليكم بالحسن والحسين فإن خالهما القاسم، وخالتهما زينب بنت رسول الله ﷺ. ألا يا معشر الناس أعلمكم أن جدهما في الجنة وجدتهما في الجنة، وأبوهما في الجنة وأمهما في الجنة، وعمهما في الجنة وعمتهما في الجنة، وخالهما في الجنة وخالتهما في الجنة، وهما في الجنة. ومن أحب ابني عليٍّ فهو غداً معنا في الجنة، ومن أبغضهما فهو في النار، وإن من كرامتهما على الله أن سماهما في التوراة شبّراً وشبيراً».

فلما سمع الشيخ الإمام هذا قَدَّمني وقال: هذه حالك وأنت تروي في علي عليه السلام هذا! فكساني حلة وحملني على بغلة بعتها بمائة دينار، ثم قال لي: أدلُّك على من يفعل بك خيراً، هاهنا إخوان لي في هذه المدينة أحدهما كان إمام قوم، وكان إذا أصبح لعن عليًا ألف مرة كل غداة، وإنه لعنه يوم الجمعة أربعة آلاف مرة فغيَّر الله ما به من نعمة فصار آية للسائلين، فهو اليوم يُحبُّه، وأخ لي يُحبُّ عليًا عليه السلام منذ خرج من بطن أمه، فقم إليه ولا تحتبس عنده، والله يا سليمان لقد ركبتُ البغلة وإني يومئذ لجائع، فقام معي الشيخ وأهل المسجد حتى صرنا إلى الدار، وقال الشيخ: انظرْ لا تحتبس، فدققتُ الباب وقد ذهب من كان معي، فإذا شاب آدم قد خرج إلي، فلما رآني والبغلة، قال: مرحبًا بك والله ما كساك أبو فلان خلعته ولا حملك على بغلته إلا أنك تحب الله ورسوله، إن أقررت عيني لأقرنَّ عينك.

والله يا سليمان إني لأنفسُ بهذا الحديث الذي سمعته وتسمعه، أخبرني أبي عن جدي عن أبيه قال: كنا مع رسول الله ﷺ جلوسًا بباب داره، فإذا فاطمة

قد أقبلت وهي حاملة للحسين وهي تبكي بكآءً شديداً، فاستقبلها رسول الله ﷺ فتناول الحسين منها، وقال لها: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا أبت عيرتني نسآء قريش، وقلْنَ زوَّجك أبوك مُعدمًا لا شيء له.

فقال النبي ﷺ مهلاً يا فاطمة وإياي أن أسمع هذا منك، فإني لم أزوجك حتى زوجك الله من فوق عرشه، وشهد على ذلك جبريل وإسرافيل، وإن الله تعالى اطّلع على أهل الدنيا، فاختار من الخلآئق أباك فبعثه نبيًا، ثم اطّلع الثانية، فاختار من الخلآئق عليًا، فأوحي إليَّ فزوجتُك إياه، واتخذتُه وصيًا ووزيراً، فعليٌّ أشجع الناس قلبًا، وأعلم الناس علمًا، وأحلم الناس حلمًا[1]، وأقدم الناس إسلامًا، وأسمحهم كفًّا، وأحسن الناس خلقًا، يا فاطمة، إني آخذ لوآء الحمد ومفاتيح الجنة بيدي فأدفعها إلى علي فيكون آدم ومن وَلَد تحت لوآئه، يا فاطمة إني غداً أقيم عليًا على حوضي يسقي من عَرَفَ من أمتي، يا فاطمة، وابناك الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة. وكان قد سبق اسمهما في توراة موسى، وكان اسمهما في الجنة شبّراً وشبيراً، فسماهما الحسن والحسين لكرامة محمد ﷺ على الله تعالى ولكرامتهما عليه، يا فاطمة، يكسى أبوك حُلّتين من حُلَل الجنة، ويكسى عليٌّ حلّتين من حلل الجنة، ولوآء الحمد في يدي، وأمتي تحت لوآئي، فأناولُه عليًا لكرامته على الله تعالى، وينادي مناد: يا محمد نعم الجدُّ جدُّك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، وإذا دعاني ربُّ العالَمين دعا عليًا معي، وإذا جثوتُ جثى عليٌّ معي وإذا حَيِيت حيي عليٌّ معي، وإذا شَفَّعَني شَفَّعَ عليًا معي، وإذا أُجبتُ أجيب عليٌّ معي، وإنه في المقام عوني على مفاتيح الجنة، قُومي يا فاطمة فإنّ عليًا وشيعته هم الفآئزون غداً.

وقال: بينما فاطمة عليها السلام جالسة إذ أقبل رسول الله ﷺ حتى جلس إليها، فقال يا فاطمة: مالي أراك باكية حزينة؟ قالت: بأبي وأمي كيف

(١) في (ب) وأحكم الناس حكمًا.

لا أبكي، وتريد أن تفارقني ؟ فقال لها: يا فاطمة لا تبكي ولا تحزني فلا بد من مفارقتك قال: فاشتد بكآء فاطمة عليها السلام، ثم قالت: يا أبت أين ألقاك؟ قال: تلقيني على تل الحمد أشفع لأمتي، قالت يا أبت: فإن لم ألقك؟ قال: تلقيني على الصراط وجبريل عن يميني وميكآئيل عن يساري، وإسرافيل آخذ بحجزتي، والملآئكة من خلفي، وأنا أنادي يارب أمتي أمتي هوّن عليهم الحساب، ثم أنظرُ يمينًا وشمالاً إلى أمتي، وكلُّ نبي يومئذ مشتغل بنفسه يقول: يا رب نفسي، وأنا أقول: يارب أمتي أمتي، وأول من يلحق بي يوم القيامة أنت وعليٌّ والحسنُ والحسينُ، فيقول الربُّ يا محمد: إن أمتك لو أتوني بذنوب كأمثالِ الجبال لعفوت عنهم ما لم يشركوا بي شيئًا، ولم يوالوا لي عدوا».

قال: فلمَّا سمع الشاب هذا مني أمر لي بعشرة آلاف درهم، وكساني ثلاثين ثوبًا، ثم قال لي: من أين أنت؟ قلتُ: من أهل الكوفة. قال: عربي أنت أم مولى؟ قلتُ: بل عربي. قال: فكما أقررتَ عيني أقررتُ عينك، ثم قال: إيتني غدًا في مسجد أبي فلان، وإياك أن تخطئ الطريق، فذهبت إلى الشيخ، وهو جالس ينتظرني في المسجد فلما رآني استقبلني، وقال: ما فعل أبو فلان؟ قلت: كذا وكذا. قال: جزاه الله خيرًا جمع الله بيننا وبينهم في الجنة، فلما أصبحتُ يا سليمان ركبتُ البغلة، وأخذتُ في الطريق الذي وصف لي، فلما صرت غير بعيد تشابه عليَّ الطريق، وسمعتُ إقامةَ الصلاة في مسجد، فقلت: والله لأصلينَّ مع هؤلآء القوم، فنزلت عن البغلة ودخلت المسجد، فوجدت رجلاً قامته مثل قامة صاحبي فصرت عن يمينه، فلما صرنا في ركوع وسجود إذا عمامته قد رمى بها من خلفه، فتفرّستُ في وجهه، فإذا وجهه وجه خنزير ورأسه وحلقه ويداه ورجلاه، فلم أعلم ما صليت وما قلت في صلاتي متفكرًا في أمره، وسلَّم الإمام وتفرس في جهي، وقال: أنت أتيت أخي بالأمس فأمر لك بكذا وكذا، قلت: نعم، فأخذ بيدي، فأقامني، فلما رآنا أهل المسجد تبعونا، فقال للغلام:

أغلق الباب، ولا تدع أحداً يدخل علينا، ثم ضرب بيده إلى قميصه فنزعه؛ فإذا جسده جسد خنزير، فقلت يا أخي: ما هذا الذي أرى بك؟! قال: كنتُ مؤذن القوم، وكنت إذا أصبحتُ ألعن علياً عليه السلام ألف مرة بين الآذان والإقامة، قال: فخرجت من المسجد ودخلت داري هذا، وهو يوم جمعة؛ وقد لعنته أربعة آلاف مرة، ولعنت أولاده، فاتكأتُ على الدكان فذهب بي النومُ، فرأيت في منامي كأنما أنا بالجنة قد أقبلت، فإذا علي عليه السلام فيها متكئ، والحسن والحسين عليهما السلام معه متكئان، بعضهم ببعض مسرورين، تحتهم مُصَلّيات من نور، وإذا أنا برسول الله صلى الله عليه وآله جالس والحسن والحسين قدامه وبيد الحسن كأس، فقال صلى الله عليه وآله للحسن: اسقني، فشرب، ثم قال للحسن: إسقِ أباك علياً فشرب، ثم قال للحسن: إسقِ الجماعة، فشربوا، ثم قال: اسق المتكئَ على الدكان، فولى الحسن بوجهه عني، وقال يا أبت: كيف أسقيه وهو يلعن أبي في كل يوم ألف مرة، وقد لعنه اليوم أربعة آلاف مرة، فقال صلى الله عليه وآله: مالك - لعنك الله - تلعن علياً، وتشتم أخي لعنك الله، وتشتم أولادي الحسن والحسين، ثم بصق النبي صلى الله عليه وآله فملأ وجهي وجسدي، فانتبهت من منامي فوجدت موضع البصاق الذي أصابني من بصاق النبي صلى الله عليه وآله قد مسخ كما ترى وصرت آية للسائلين.

ثم قال يا سليمان: سمعت في فضائل عليٍّ عليه السلام أعجب من هذين الحديثين، يا سليمان «حب علي إيمان، وبغضه نفاق، لا يحب علياً إلا مؤمن، ولا يبغضه إلا كافر»، قلت: يا أمير المؤمنين، لي الأمان؟ قال: لك الأمان. قال: قلت فما تقول يا أمير المؤمنين في من قتل هؤلآء؟ قال: في النار. لا أشك، فقلت: فما تقول فيمن قتل أودلاهم وأولاد أولادهم، قال: فنكّس رأسه ثم قال: يا سليمان، الملكُ عقيم، ولكن حدّثْ في فضائل علي عليه السلام بما شئت، قال: قلت فمن قتل ولده فهو في النار؟ قال عمرو بن عبيد: صدقت يا سليمان، الويل لمن قتل ولده، فقال المنصور: يا عمرو، أشهدُ عليه أنه في النار؟ فقال

عمرو : أخبرني الشيخ الصادق - يعني الحسن - عن أنس : «أن من قتل أولاد علي عليه السلام لا يشم رائحة الجنة» قال : فوجدت أبا جعفر وقد حَمص وجهه ، قال : فخرجنا ، فقال أبو جعفر : لولا مكان عمرو ما خرج سليمان إلا مقتولاً[1].

قال علي بن محمد بن الشرفيَّة : حضر عندي في دكاني بالورَّاقين بواسط يوم الجمعة خامس ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسمائة ، القاضي العدل جمال الدين نعمة الله بن علي بن أحمد بن العطار ، وحضر أيضًا عندي الأمير شرف الدين أبو شجاع بن العنبري الشاعر ، فسأل شرفُ الدين القاضيَ جمال الدين أن يسمعنا المناقب ، فابتدأ بالقرآءة عليه من نسختي التي بخطي في دكاني يومئذ ، وهو يرويها عن جده لأمِّه الإمام العدل المعمَّر أبي عبدالله (محمد) بن علي بن المغازلي[2] عن أبيه المصنف ؛ فهُما في القرآءة وقد اجتمع عليهما جماعة إذ اجتاز أبو نصر بن قاضي العراق وأبو العباس بن زنْبقه وهما ينبزان بالعدالة ، فوقفا يغوغيان وينكران عليه قرآءة المناقب ، وأطنب بن قاضي العراق في التهزي والمجون ، وقال - في جملة مقالته على طريق الاستهزآء : أيْ قاضي اجعل لنا وظيفة كل يوم جمعة بعد الصلاة تسمعنا شيئًا من هذه المناقب في مسجد الجامع ! فقال لهم القاضي نعمة الله بن العطار : ما أنتما من أهلها ، أنتما قد حضرتما في درب الخطيب وذكرتُما أن عليًا عليه السلام ما كان يعرف سورة واحدة من كتاب الله تعالى ، والمناقب تتضمن أنه ما كان في الصحابة أقرأ من علي بن أبي طالب عليه السلام ، فما أنتما من أهلها ، فأكثرا الغوغآء والتهزي . فضجر القاضي نعمة الله بن العطار وقال - بمحضر جماعة كانوا وقوفًا : اللهم إن كان لأهل بيت نبيك عندك حرمة ومنزلة فاخسف به داره ، وعجِّل نكايته ؛ فبات ليلته تلك ، وفي صبيحة يوم

---

(١) المناقب ص١٥٤ ، وجلاء الأبصار ٣٤٠ .

(٢) كان شيخا فاضلا عالما ، سمع أباه وغيره ، تولى القضاء والحكومة بواسط نيابة عن أبي العباس ابن بختيار المانداني ، توفي ٥٤٣ . شذرات الذهب ٢٥١/٦ ، والأنساب للسمعاني ١٣٦/٢ .

السبت سادس ذي القعدة من سنة ثمانين وخمسمآئة خسف الله تعالى بداره، فوقعت هي والقنطرة وجميع المسنَّاة إلى دجلة، وتلف منه فيها جميع ما كان يملك من مال وأثاث وقماش، فكانت هذه المنقبة من أطرف ما شوهد يومئذ من مناقب آل محمد صلوات الله عليهم، فقال علي بن محمد بن الشرفيَّة في ذلك اليوم في هذا المعنى:

يا أيها العـــدل الذي	هو عن طريق الحق عـــادل
متجنبًا سبل الهدى	وإلى سبيل الغي مـــائل
أبمثل أهل البيت يا	مغرور ويحك أنت هازل
دع عنك أسباب الخلا	عة واستمع مني الدلآئل
بالأمس حيث جحدت من	أفضالهم بعض الفضآئل
وجريت في سنن التمر	د لست تسمع عذل عاذل
نزل القضآءُ على ديا	رك في صباحك شرٌّ نازل
أضحت ديارك سآئخا	ت في الثرى خسف الزلازل
وبقيت يا مغرور في الـ	ـدَّارين لن تحظَ بطآئل
هذا الجزآء بهذه الدّ	نيا غدًا ما أنت قآئل

وهذه القصيدة مذكورة في نسخة المناقب[1] وهي لنا مسموعة.

ومن كتاب السفينة للحاكم[2] الإمام رحمه الله وقد أخبرنا به الفقيه الأجل

---

(١) المناقب ص٣٤٩.

(٢) هو أبو سعيد المحسِّن بن كرامة الجشمي البيهقي الحاكم ينتهي نسبه إلى محمد بن الحنفية ولد سنة ٤١٤هـ ونشأ نشأة كريمة تليق بمكان أسرته بإقليم خراسان، شهرته تُغني عن التعريف به فهو علامة عصره وفريد دهره في علم التفسير والعدل والتوحيد، كتبه شاهدة له بالتقدم والتبريز، كان معتزليا في الأصول وحنفيا في الفروع، لكنه تحول إلى مذهب الزيدية، وتوفي شهيدا بالبلد الحرام بسبب كتابه (رسالة إبليس إلى إخوانه المناحيس) وله التهذيب في التفسير قيل إن الكشاف مأخوذ منه بزيادة تعقيد، وله تنبيه الغافلين عن فضائل أمير المؤمنين، وعيون المسائل وشرحه، والمؤثرات، والإمامه، وتنزيه الأنبياء والأئمة، وجلاء الأبصار في تأويل الأخبار، والسفينة، والرسالة الغراء، =

تـاج الـدين أحمد بن الحسن البيهقي[1] مناولةً عن السيد الإمام مجد الدين يحيى ابن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي بن علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن أحـمـد بن محمد زبارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي الوصي أمير المؤمنين عليهم السلام يرفعه إلى الحاكم رحمه الله، وأخبرنا به أيضًا القاضي شهاب الدين خطيب الزيدية بنيسابور عبدالعزيز بن الحسن الزنقي الزيدي إجازةً على لسان الفقيه الأجل جمال الدين عمران بن الحسـن بن ناصر- أدام الله عزَّه - عمَّن يوثق به من الإخوان[2] يرفعه إلى الحاكم رحمه الله قال: روى السيد أبو طالب بإسناده عن جُويبر عن الضحاك عن ابن عباس عن النـبي صلى الله عليه وآله قـال: لما أمر الله تعالى آدم بالخروج من الجنة رفع طرفه نحو السماء، فرأى خمسة أشباح على يمين العرش، فقال: إلهي خلقت خلقًا من قبلي؟ فأوحى الله إليه: أما تنظر إلى هذه الأشباح؟ قال: بلى، قال: هؤلاء صفوتي من نوري اشتققت أسماءهم من اسمي، فأنا الله المحمود وهذا محـمـد، وأنا العالي وهذا علي، وأنا الفاطر وهذه فاطمة، وأنا المحسن وهذا الحسن، ولي الأسماء الحسنى، وهذا الحسين. فقال آدم: فبحقِّهم اغفر لي، فأوحى الله إليه قد غفرت لك، وهي الكلمات التي قال الله تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ**﴾ [البقرة: ٣٧][3].

= وترغيب المبتدئ، وتذكرة المنتهي، ونصيحة العامة، والمنتخب في فقه الزيدية وغيرها. ينظر مطلع البدور، ولوامع الأنوار ١/ ٤٥٤، والحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير تأليف د/ عدنان زرزور.

(١) يسمى زيد وأحمد بالاسمين بن الحسن البيهقي، قدم إلى هجرة حوث ٦١٠هـ في أيام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، وأجاز لابن الوليد وحميد وغيرهم وأثنى عليه العلماء وكان حافظا. ينظر الشافي ١/ ٥٦، ومطلع البدور ٢/ ١٣٣.

(٢) في (ب) كثرهم الله.

(٣) المناقب لابن المغازلي ص١٠٤، والعمدة ٤٣٩، وفي الدر المنثور ١/ ١١٩ عن ابن النجار عن ابن عباس قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه، قال: سأل بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت عليَّ فتاب عليه. ورواه أيضا في مجمع البيان ١/ ١٧٥ بصيغة أخرى.

وروينا بالإسناد من غير السفينة عن النبي ﷺ أنه قال: «رأيت على باب العرش مكتوباً بالذهب لا بمآء الذهب لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على باغضهم لعنة الله»[1].

وبالإسناد إلى الحاكم رحمه الله قال: حدَّث زيد بن علي عليهما السلام قال: مُطر الناس بالمدينة مطراً جَوْداً[2] فخرج النبي ﷺ إلى ناحية المدينة، وقال لفاطمة عليها السلام إن جآء زوجك وابناك فابعثيهم إليَّ، فبينا رسول الله ﷺ ثَمَّ، إذ أتاه علي عليه السلام فسلَّم، فرد النبي ﷺ عليه السلام، ثم أخذ بيده وأجلسه عن يمينه، ثم أقبل الحسن والحسين فسلَّما عليه فرد السلام وأجلسهما، فبينما هم جلوس إذ هبط جبريل عليه السلام معه جام من ذهب مجلل مكلل، عليه منديل من نور، فقال: يا محمد إن ربك عز وجل يقرئك السلام، وأحب أن يعجل لك شيئًا من فاكهة الجنة، فأخذه النبي ﷺ فلما صار الجام في يده قال الجام: سبحان الله والحمدلله ولا إله إلا الله والله أكبر، ثم دفعه إلى علي عليه السلام فقال: مثل ذلك، ثم دفعه إلى الحسن ثم إلى الحسين فقال: مثل ذلك.

وروى الحاكم رحمه الله في كتاب السفينة من كتاب الفتوح لابن أعثم[3] عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ رجع من سفر له وهو متغير اللون. فخطب خطبة بليغة وهو يبكي، ثم قال: أيها الناس: إني قد خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي وأُرومتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ألا وإني أنتظرهما، ألا وإني أسألكم يوم القيامة في ذلك عند الحوض، ألا وإنه سيرد علي يوم القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة: راية سودآء فتقف، فأقول: من أنتم؟ فينسون ذكري،

---

(١) شمس الأخبار ١/١٢١.

(٢) الجَوْدُ: المطر الغزير. القاموس ٣٥١.

(٣) ٤/٣٢٥، وابن أعثم: اختلف في اسمه فقيل: لوط بن أحمد بن محمد بن أعثم، وقيل: أحمد بن محمد بن أعثم، وهو مؤرخ كوفي، ت ٣١٤هـ. الأعلام ١/٢٠٦، والذريعة ١٦/١١٩.

فيقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول: أنا محمد نبي العرب والعجم فيقولون: نحن من أمتك. فأقول: كيف خلفتموني في عترتي، وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعناه، وأما عترتك فحرصنا على أن نُبيدهم! فأوَلّي وجهي عنهم، فيصدرون عطاشا قد اسودت وجوههم، ثم ترد راية أخرى أشد سواداً من الأولى، فأقول لهم: مَن أنتم؟ فيقولون كالقول الأول: نحن من أهل التوحيد، فإذا ذكرت اسمي قالوا: نحن من أمتك، فأقول: كيف خلفتموني في الثقلين كتاب الله وعترتي؟ فيقولون: أما الكتاب فخالفنا، وأماالعترة فخذلناهم ومزقناهم كل ممزق! فأقول لهم: إليكم عني، فيصدرون عطاشا مسودةً وجوههم، ثم ترد عليَّ راية أخرى تلمع نوراً، فأقول: مَنْ أنتم؟ فيقولون: نحن أهل كلمة التوحيد والتقوى، نحن أمة محمد، ونحن بقية أهل الحق، حملنا كتاب ربنا فأحللنا حلاله، وحرَّمنا حرامه، وأحببنا ذرية محمد فنصرناهم من كل ما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا من ناوأهم، فأقول لهم: أبشروا فأنا نبيكم محمد، ولقد كنتم كما وصفتم، ثم أسقيهم من حوضي فيصدرون رِوآءً، ألا وإن جبريل أخبرني: بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كربٍ وبلآء، ألا ولعنة الله على قاتله وخاذله أبد الدهر».

ثم نزل، ولم يبق أحد إلاوتيقن أن الحسين عليه السلام مقتول، فلما كان أيام عُمَر وأسْلَمَ كعب الأحبار وقدم المدينة، وجعل الناس يسألونه عن الملاحم وهو يُحدِّثهم، قال كعب الأحبار: نعم وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبداً وهو الفساد الذي ذكره الله في الكتب وذكره في كتابكم فقال: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ﴾ [الروم: ٤١] الآيات، وإنما فُتح بقتل هابيل وختم بقتل الحسين بن علي عليهما السلام قال كعب: ولعلكم تهوِّنون قتل الحسين، أوَلا تعلمون أنه يفتح يوم قتله أبواب السموات كلها، ويؤذن للسمآء بالبكآء فتبكي دماً فإذا رأيتم الحمرة قد ارتفعت من جنباتها شرقيًا وغربيًا فاعلموا أنها تبكي حسينًا،

والذي نفس كعب بيده لتبكين زمرة من الملائكة في السموات لا يقطعون بكاهم آخر الدهر، وإن البقعة التي يدفن فيها هي خير البقاع بعد بيت مكة والمدينة وبيت المقدس، وما من نبي إلا وقد كان زارها وبكى عليها، ولها في كل يوم زيارة من الملائكة، فإذا كانت ليلة الجمعة أو يوم الجمعة نزل إليها سبعون ألف ملك يبكونه، ويذكرون فضله ومنزله عندهم، وأنه يسمى في السموات حسيناً المذبوح، وفي الأرضين أبا عبدالله المقتول، وفي البحار الفرخ الأزهر المظلوم[1].

وروى الحاكم رضي الله عنه: عن النبي ﷺ أنه قال: «نحن يا علي من شجرة: أنا أصلها، وفاطمة فرعها، وأنت لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، لو أن رجلاً صام حتى يكون كالوَتَر، وصلى حتى يكون كالحني، وكان في قلبه وزن ذرة من بغضك أكبَّه الله على وجهه في النار»، «يا علي لا يحبك إلا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلا منافق شقي»[2] نظمه أبو يعقوب الطبراني فقال:

يا حبذا شجر في الخلد نابتة	ما مثلها نبتت في الأرض من شجر
المصطفى أصلها والفرع فاطمة	ثم اللقاح علي سيد البشر
والهاشميان سبطاه لها ثمرٌ	والشيعةُ الوَرَقُ الملتف بالشجر
هذا مقال رسول الله جاء به	أهل الرواية في العالي من الخبر
إني بحبهمُ أرجو النجاة غداً	والفوز في زمرة من أفضل الزمر[3]

روى الصادق عن آبائه عن النبي ﷺ قال: «إن في السماء لحرساً وهم الملائكة، وفي الأرض حرساً وهم شيعتك يا علي»[4] ذكره الناصر. وذكر

(١) ج٤/ ٣٢٥.

(٢) أخرجه الكنجي في الكفاية ٤٢٥، والحاكم ٣/ ١٦٠، وذخائر العقبى ١٦، والمناقب لابن المغازلي ١٢٢، ومعناه في ميزان الاعتدال ٢/ ١٨٣، ولسان الميزان ٤/ ٤٣٤، ٢/ ٢٢٦، وتأريخ دمشق ٤٢/ ٦٥، ٦٦ رقم ٨٤٠٩ - ٨٤١٣.

(٣) كفاية الطالب ٤٦٢.

(٤) تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص١٧٤.

بإسناده عن النبي ﷺ قال : « يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب » قال علي عليه السلام : مَنْ هم يا رسول الله؟ قال : هم شيعتك ، وأنت إمامهم »[1] وذكر عن الباقر أنه قال : إن نبي الله ﷺ قال : «إن عن يمين العرش رجالاً وجوههم من نور عليهم ثياب من نور ، ما هم بنبيئين ولا شهدآء ، يغبطهم النبيئون والشهدآء ، قيل : مَن هم؟ قال : أولئك أشياعنا وأنت إمامهم يا علي». عن علي عن النبي ﷺ قال : «من آذاني في أهل بيتي فقد آذى الله ، ومن أعان على أذاهم ، وركن إلى أعدآئهم فقد أذن بحرب من الله ورسوله ، ولا نصيب له في شفاعة رسول الله ﷺ » .

(روى) أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهلَ البيت أحدٌ إلا أدخله الله النار»[2].

وعنه ﷺ : « لظالموا أهل البيت عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار» [3] (روى) جابر عن النبي ﷺ : « لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ، ولا يبغضنا إلا منافق رديء »[4] [وعن] الصادق في قوله تعالى : ﴿ فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ◆ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴾ [الشعراء : ١٠٠ - ١٠١] . قال : نزلت فينا وفي شيعتنا ، وذلك أنا نشفع وتشفع شيعتنا ، فإذا رأى ذلك من ليس منهم ، قال : ما لنا من شافعين ولا صديق حميم . روى ذلك كله الحاكم رضي الله عنه[5].

وروينا عن النبي ﷺ قال : «من أحسن إلى أحد من أهل بيتي بعدي

---

(١)المناقب للكوفي ٢/ ٢٨٥ ، والمناقب لابن المغازلي ٢٤٩ ، وتنبيه الغافلين عن فضائل الطالبين ص١٧٤ .

(٢)سبق تخريجه .

(٣)المناقب لابن المغازلي ١٠٦ .

(٤)المناقب للكوفي ٢/ ١٨١ ، وذخائر العقبى ١٨ ، وللحديث شواهد كثيرة .

(٥) تنبيه الغافلين ص١٧٤ .

شفعت له يوم القيامة، ويكون في الجنة معي». وروينا عنه ﷺ أنه قال: «ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة»[1].

وروينا عن أنس بن مالك ﷺ أنه قال: دخلت على رسول الله ﷺ فقال: قد أعطيت الكوثر؟ قلت: يا رسول الله وما الكوثر؟ قال: نهر في الجنة عرضه وطوله مابين المشرق والمغرب، لا يشرب منه أحدٌ فيظمأ، ولا يتوضأ منه أحد فيشعث، لا يشربه إنسان خفر ذمتي ولا قتل أهل بيتي»[2].

وروينا عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «نحن أهل بيت شجرة النبوءة، ومعدن الرسالة، ليس أحد من الخلائق يَفْضُلُ أهل بيتي غيري»[3].

وروينا عن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبد حتى كون أحبَّ إليه من نفسه، وتكون عترتي أحب إليه من عترته، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، وتكون ذاتي أحب إليه من ذاته»[4].

وروينا عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «ويلٌ لأعدآء أهل بيتي المستأثرين عليهم لا نالتهم شفاعتي، ولا رأوا جنة ربي».

وروينا عن جرير بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مات على حب آل محمد مات شهيداً، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورًا له، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تآئبًا، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله زوّار قبره بالرحمة الملآئكة، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما

---

(١) رواه الإمام الهادي في درر الأحاديث ص٥١، وتنبيه الغافلين ص١٧٤.

(٢) الدر المنثور ٦/٦٨٧، وشمس الأخبار ١/١٢٤.

(٣) شمس الأخبار ١/١٢٤.

(٤) تنبيه الغافلين ص٢١٣.

تزف العروس إلى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيسٌ من رحمة الله ، ألا و من مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة أبدًا »[(١)].

وروينا عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما نزلت ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [الشورى : ٢٣] قالوا : يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله عز وجل بمودتهم؟ قال : « فاطمة وولدها »[(٢)]، وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ **سَلاَمٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ** ﴾ [الصافات : ١٣٠] قال : «على آل محمد»[(٣)]، وعنه في قوله تعالى :﴿ **وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا** ﴾[الشورى : ٢٣] قال : المولاة لآل محمد ﷺ»[(٤)].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ **ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً** ﴾ [البقرة : ٢٠٨] قال : «ولايتنا أهل البيت» .

وعن ثابت البُناني[(٥)] في قوله تعالى : ﴿ **وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طه : ٨٢] قال : «إلى ولاية أهل نبيه »[(٦)].

---

(١) الكشاف ٤/ ٢٢٠ في تفسير قوله تعالى ﴿ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُم عَلَيهِ أَجْرًا إلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى ﴾ [الشورى : ٢٣] والصواعق المحرقة ٢٣٢ ، والقرطبي ١٦/ ١٦.

(٢) الدر المنثور ٦/ ٧٠١ ، والقرطبي ١٦/ ١٦ ، وتفسير الخازن والبغوي ٥/ ٣٨٠ ، ومجمع البيان ٩/ ٤٨ ، وتفسير ابن كثير ٤/ ١١٢ ، والمناقب لابن المغازلي ٢٥٩ ، والكشاف ٤/ ٢٢٠ ، وذخائر العقبى ٢٥ ، وشواهد التنزيل ٢/ ١٠٣ ، والطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤١ .

(٣) الدر المنثور ٥/ ٥٣٩ ، والقرطبي ١٥/ ٧٩ ، ومجمع البيان ٨/ ٣٣٠ .

(٤) سبق تخريجه .

(٥) ولد في أيام معاوية بن أبي سفيان ، وهو من تابعي البصرة ومحدثيهم ، ت ١٢٧ هـ ، وقيل غير ذلك . ينظر سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٢٠ .

(٦) مجمع البيان ٧/ ٤٥ ، والطبري ١٦/ ٢٤٣ ، وروح المعاني ١٦/ ٣٥٢ ، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ١٠٣ .

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة - على ما بهم من العيوب والذنوب - وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فُرِّجت عنهم الشدائد، وسهِّلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عنهم الأحزان، يخاف الناس ولا يخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة قد ذللت من غير مهانة، ونجبت من غير رياضة»[1].

وروينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «أيها الناس اعلموا أن العلم الذي أنزله الله تعالى على الأنبيآء من قبلكم في عترة نبيكم؛ فأين يتاه بكم عن أمرٍ تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة؟ هؤلآء مثلها فيكم، وهم كالكهف لأصحاب الكهف، وهم باب السلم فادخلوا في السلم كآفة، وهم باب حطة من دخله غفر له، خذوا عني عن خاتم المرسلين حُجَّةً من ذي حُجَّة، قالها في حَجَّة الوداع: إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله، وعترتي أهل بيتي؛ إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

---

(١) المناقب لابن المغازلي ٢٥١، والصواعق المحرقة ٢٣٢، وشمس الأخبار ١/ ١٤٣.

(٢) رواه الإمام زيد بن علي عن آبائه في المجموع ص ٤٠٤. وعلي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ص٤٦٤. ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/ ١٨٧٣ رقم٢٤٠٨، عن جابر. والترمذي عن جعفر بن محمد عن أبيه ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦، وقال: حديث حسن غريب. وقال: وفي الباب عن أبي ذر وأبي سعيد وزيد بن أرقم وحذيفة بن أسيد، وقال: حسن غريب من هذا الوجه، ورواه برقم ٣٧٨٨ عن زيد بن أرقم، وقال: حسن غريب. والطبراني في الكبير عن زيد ٥/ ١٨٦ رقم ٥٤٠. ومسند أحمد عن أبي سعيد ٤/ ٣٠رقم ١١٠٤. وج٧/ ٨٤ رقم ١٩٣٣٢ عن زيد بن أرقم. وج٨/ ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ عن زيد بن ثابت. وابن كثير في البداية النهاية ٥/ ٢٢٨. وقال: قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي: وهذا حديث صحيح.

وروينـا عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه قال : «أنزلوا آل محمد ﷺ بمنزلة الرأس من الجسد ، وبمنزلة العينين من الرأس ، فإن الجسد لا يهتدي إلا بالرأس ، وإن الرأس لا يهتدي إلا بالعينين » .

وروينا عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : « إن لهذه الأمة فرقة وجماعة ، فجامعوها إذا اجتمعت ، فإذا افترقت فارقبوا أهل بيت نبيكم ، فإن سالموا فسالموا ، وإن حاربوا فحاربوا ، فإنهم مع الحق والحقُّ معهم ، لا يفارقهم ولا يفارقونه» . وقيـل ليحيى بن مـعاذ رضي الله عنه [1] : ما تقول في أهل البيت عليهم السلام؟ قال : ما أقول في طينة عجنت بمآء النبوءة ، وغرست بأرض الرسالة ، فهل ينفح منها إلا ريح الهدى وعنبر التقى .

ولنقتصر على هذا المقدار من رواية الآثار في مناقب العترة عليهم السلام ، فإن الكثير منها ينطوي على مجلدات عدة ، وإنما ذكرْنا قطرة من مطرة ، ومجة من لجة ؛ رعاية لحقهم الذي أرشد الحكيم إليه ، حيث يقول : ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْرًا إِلاَّ المَوَدَّةَ فِي القُرْبَى** ﴾ [الشورى: ٢٣] ونعود بعد ذلك إلى المقصود بالكتاب ، وهو الكلام في ذكر الأئمة السابقين على الولآء حسب ما اتصل بنا من أخبارهم ، وبلغ إلينا من آثارهم ، ونبتدئُ بذكر إمام الأئمة والأمة ، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، ونختم بذكر الإمام المنصور بالله عليه وعليهم السلام إن شآء الله تعالى ومنه التوفيق وهو المرجوّ لسلوك أهدى طريق .

---

(١)ابن جعفر الرازي واعظ حكيم زاهد، له كلمات سائرة، نزل الري ثم انتقل إلى نيسابور وبها توفي ٢٥٨هـ . ينظر صفوة الصفوة ٤/ ٦٠ ، وحلية الأولياء ١٠٠/ ٥٣ ، و الأعلام ١٧٣/٨ .

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام[1]

أمّا نسبه : فهو علي بن أبي طالب، واسمه عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي وهو زيد بن كلاب بن مُرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فِهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خُزيمة بن مُدركة بن الياس بن مضر ابن نزار بن مَعدّ بن عدنان. شعر :

نسبٌ كأن عليه من شمس الضحى رأْداً[2] ومن فلق الصباح برودا

وأمُّه عليها السلام : فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وهي أول هاشمية وَلَدت لهاشمي، فهو شريك النبي صلى الله عليه وآله في نسبه الشريف، وقسيمه في جوهره العالي المنيف، كما قال الشاعر :

إنَّ علي بن أبي طالب جداً رسول الله جدّاهُ

أبو علي وأبو المصطفى من طينة طهَّرها اللهُ

ولدته أمه عليها السلام في الكعبة، وذلك أنها لما اشتكت المخاض التجأت إلى الكعبة تبركاً بها، فطلقت طلقة فولدته عليه السلام، فحصل له هذا الشرف العظيم بولادته في أشرف بقعة في الأرض، ثم حمله رسول الله صلى الله عليه وآله إلى منزلها، وكان قد سار

---

(١) لترجمة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام العديد من المصادر منها : الاستيعاب ١/ ١٩٧، والافادة ٢٠، ومروج الذهب ٢/ ٣٥٨، وطبقات الشيرازي ٤١، تقريب التهذيب ١/ ٤٨، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٣٤، والعبر ٥٢٤، وتاريخ الخلفاء ١٦٦، والجرح والتعديل ٦/ ٢٩١، وتاريخ الاسلام ٣/ ٨، وصفوة الصفوة ١/ ١٣٠، والأعلام ٤/ ٢٩٥، وحلية الأولياء ١/ ٦٩، والاصابة ٢/ ٥٠٧، وأسد الغابة ٤/ ٨٦، ومقاتل الطالبين ٢٤، وطبقات ابن سعد ٣/ ١٣، وطبقات الزيدية (خ)، والغدير ١-١١ مجلداً، وأعيان الشيعة ١/ ٣٢٣، والاستيعاب ٣/ ١٩٧، ومناقب الإمام علي (ع) للكوفي ١ - ٣ مجلدات، والمصابيح ٢٩٧، وترجمة أمير المؤمنين في تاريخ دمشق لابن عساكر ١-٣ بتحقيق محمد باقر المحمودي، وسير أعلام النبلاء ١٧/ ١٦٩.

(٢) الرأد : رونق الضحى، وقيل : هو بعد انبساط الشمس وارتفاع النهار. لسان العرب ج٣/ ١٦٨.

مع عمه أبي طالب حين دخل الكعبة، وأجلس أبو طالب فاطمةَ بنت أسد رحمها الله في الكعبة، [1] وهي أوّلُ امرأة بايعت رسول الله ﷺ، وكانت من المهاجرات ودفنها رسول الله ﷺ بالروحا [2] مقابل حمام أبي قطيفة، ولما ماتت رحمها الله دفنها رسول الله ﷺ وكفنها في قميصه ونزل في قبرها، وفي بعض الأخبار وتمرّغ في لحدها فقيل له في ذلك؟ فقال: إن أبي هلك وأنا صغير، فأخذتني هي وزوجها فكانا يوسعان عليَّ، ويؤثراني على أولادهما، فأحببت أن يوسع الله في قبرها. وفي بعض الأخبار: أما قميصي فأمان لها يوم القيامة، وأما اضطجاعي في قبرها فليوسِّع الله عليها [3].

وهو أصغر أولادها، وولدت أربعة ذكور بين كل ذكرين عشر سنين: طالب [4] وعقيل وجعفر وعلي.

كنيته عليه السلام: كان عليه السلام يكنى بأبي الحسن ويكنى بأبي تراب كنّاه بها رسول الله ﷺ، وذلك فيما رويناه بالإسناد الصحيح إلى عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب عليه السلام رفيقين في غزوة العُشَيرة، فلما نزلها رسول

---

(١) المناقب لابن المغازلي ص ٥٨.

(٢) في الأصل وكانت مهاجرة بالروحا. والروحا: موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة.

(٣) روي في الاستيعاب ٤/ ٤٤٦، والإصابة ٤/ ٣٦٨، وأسد الغابة ٧/ ٢١٢ عن عبد الله بن عباس قال: لما ماتت فاطمة أم علي بن أبي طالب، ألبسها رسول الله قميصه، واضطجع معها في قبرها، فقالوا: ما رأيناك صنعت ماصنعت بهذه؟ فقال: إنه لم يكن أحد بعد أبي طالب أبرَّ بي منها، إنما ألبستها قميصي لتكسى من حُلل الجنة، واضطجعت معها ليهون عليها، ينظر مقاتل الطالبيين ٤.

(٤) كان شاعرا، وهو الذي قال حين خرج مع المشركين يوم بدر، وقد خرج كرها:

لاَهُمَّ إما يغزون طالب ❖ في مقنب من هذه المقانب

فليكن المسلوب غير السالب ❖ والراجع المغلوب غير الغالب

وقيل رجع إلى مكة، وقيل لم يرجع واستهوته الجن فلم يوجد له أثر بين القتلى والأسرى. ينظر هامش جمهرة النسب ١/ ١٢٨.

الله ﷺ فأقامَ بها، وإذ هناك ناس من بني مُدْلج[1] يعملون في عين لهم في نخل، فقال علي عليه السلام: يا أبا اليقظان هل لك في أن نأتي إلى هؤلآء فننظر كيف يعملون؟ قال: قلت إن شئت، قال: فجئناهم ثم نظرنا إلى عملهم ساعة ثم غشينا النوم، فانطلقت أنا وعليٌّ عليه السلام حتى اضطجعنا في صَوْر[2] من النخل ودقعآئها فوالله ما أهبّنا إلاّ رسول الله ﷺ يحركنا برجله، وقد تتربّنا من تلك الدقعآء[3] التي نمنا فيها، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليٍّ عليه السلام: «مالك يا أبا تراب!؟ لما يرى عليه من التراب، ثم قال: «ألا أحدثكم بأشقى الناس؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: أُحَيمرُ ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا عليُّ على هذه - ووضع يده على قرنه حتى تُبل منها هذه وأخذ بلحيته»[4].

هذه طريق في تكنيته بأبي تراب.

وفي راوية أخرى بالإسناد الموثوق به أنه وقع بينه وبين فاطمة عليها السلامُ كلامٌ فخرج، فقال النبي ﷺ لإنسان: ابغِ عليًا، قال: هو ذاك في المسجد، قال: فأتاه النبي ﷺ والريح تسفي عليه التراب، فقال: «قم يا أبا تراب»، قال سهل بن سعد: وهو الذي انتهت إليه الروايةُ - فوالله إن كانت لأحب الأسمآء إلى علي عليه السلام[5] وفي طريق أخرى فقال سهل: فكنا نمدحه بهذا فإذا ناسٌ يعيبونه، قال الشاعر وهو السوسي:

---

(١) بنو مُدْلجَ: قبيلة من كنانه وهو مَدْلجَ بن مرة بن عبد مناة بن كنانه. تاج العروس ٣/ ٣٧٢

(٢) الصَّوْرَ: النخل الصغار أو المجتمع. تاج العروس ٧/ ١١٢.

(٣) الدقعاء: التراب. ص ٩٢٤ القاموس.

(٤) المناقب لابن المغازلي ٥٩، والخصائص ١٣٠، والمسند ١٨٣٤٩. والطحاوي مشكل الآثار ٢/ ٢١٨. والبيهقي في الدلائل ٣/ ١٢. وصححه الحاكم على شرط مسلم ٣/ ١٤١. ووافقه الذهبي. و ابن هشام ١/ ٦٠٠. والحلبية ٢/ ١٢٦. وعيون الأثر ١/ ٣٥٧ وما بعدها. وابن كثير ٢/ ٣٦٣. وتأريخ خليفة ٥٧. الطبقات ٢/ ٩.

(٥) المناقب لابن المغازلي ص ٦٠، والدولابي ص٣٤ رقم ١٤، والبخاري في صحيحه ١/ ١٧٠ رقم ٤٣٠ ج٣/ ١٣٥٨ رقم ٣٥٠٠، ٥/ ٢٢٩١ رقم ٥٨٥١.

أنا وجميعُ مَنْ فوقَ الترابِ فداءُ تراب نَعْل أبي تراب[1]

وأقام مدة مع أبويه حتى وقعت أزمة شديدة، فضمَّه رسولُ الله ﷺ إليه تخفيفًا عن أبي طالب، فتأدب بآدابه الكريمة، وتخلق بأخلاقه الشريفة حتى ظهرت فيه آثاره المطهرة.

صفته وحليته عليه السلام :

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام في كتاب الإفادة وقد أخبرنا الفقيه الأجل تاج الدين أحمد بن أحمد بن الحسن البيهقي بِحُوث، قدمها سنة عشر وستمائة عن عالم الزيدية وزاهدهم في وقته شعيب بن دابسون الجيلي رحمه الله بإسناده إلى السيد الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الحسني عليه السلام قال: قال أبو إسحاق السبيعي فيما روينا عنه -: أدخلني أبي المسجد يوم جمعة فرفعني حتى رأيت عليا عليه السلام شيخًا أصلَعَ، ناتىءَ الجبهة، عريضَ ما بين المنكبين، له لحيةٌ قد ملأت صدره، وفي عينيه اطرغشاش[2]، قال داوود بن عبدالجبار راوي الخبر عن أبي إسحاق يعني لينا في العين، فقلت لأبي: مَنْ هذا يا أبه؟ فقال: علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ، وختَنُ رسول الله ﷺ، وأخو رسول الله ﷺ، وأمير المؤمنين[3].

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد الإمام الموفق بالله أبي عبدالله الحسين ابن إسماعيل الحسني الجُرجَاني عليه السلام يرفعه إلى زياد المخارقي قال: سألت محمد ابن الحنفية فقلت: صف لي عليًا عليه السلام؟ فقال: كان ضخم الهامة، عريض المنكبين، عظيم المشاش، ضخم البدن، حَمِشَ الساقين، كأنما كُسِّرتْ عظامُه ثم جُبِّرَتْ، والله لو أخذ الأسد لافترسه.[4]

---

(١) هو الصاحب كما في ديوانه ص ١٨٥.

(٢) في الأصل: اطرغاش.

(٣) المقاتل ص ٢٧، الإفادة ص ٣٩.

(٤) انظر صفة الإمام علي عليه السلام فقد أتت بروايات عديدة بمعنى واحد في تاريخ دمشق ٤٢/ ٢٠، وذخائر العقبى ٥٧، وغيرها في كتب التراجم.

صفة إسلامه ﷺ وزواجه بفاطمةَ عليها السلام:

لما أن بعث الله نبيه ﷺ يوم الإثنين أسلم عليٌّ ﷺ يوم الثلاثآء[1]، فهو أول ذكر أسلم على الصحيح من النقل وفيه إجماع العترة عليهم السلام.

واختلف في سنّه يوم أسلم، فقيل: إنه أسلم وله اثنتا عشرة سنة، وقيل: ثلاث عشرة سنة[2].

وفي سبقه إلى الإسلام آثارٌ كثيرة فمنها: ما رويناه بالإسناد إلى أبي ذر رحمة الله عليه، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليٌّ أولُ من آمن بي، وأول من يصافحني يوم القيامة، وهو الصديق الأكبر، والفاروق يفرق بين الحق والباطل»[3]. وعن سلمان قال قال رسول الله ﷺ: «أول الناس وروداً عليَّ الحوض أولهم إسلامًا علي بن أبي طالب»[4].

ورويناه عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: «أوّل من آمن برسول الله ﷺ من الرجال عليٌّ، ومن النسآء خديجة رضي الله عنهما» وعن سلمان رحمة الله

(١) المستدرك ٣/ ١٢١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢، والترمذي ٥/ ٥٩٨، والمنتظم ٥/ ٧٦، وتأريخ دمشق ٤٢/ ٢٧ وروى الحديث بعدة طرق، وأسد الغابة ٤/ ٨٩، والإستعياب ٣/ ٢٠٠، والطبراني ٢/ ٣٠٩، والكامل ٢/ ٣٧، والبداية والنهاية ٧/ ٣٦٩، وتهذيب الكمال ٢٠/ ٤٧٢.

(٢) وقيل عشر سنين. انظر ابن هشام ١/ ٢٤٥. والحلبية ١/ ٢٦٨. وتأريخ الطبري ٢/ ٣٠٩. وأسد الغابة ٤/ ٨٨. وعيون الأثر ١/ ١٧٩. والبداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٣٤-٣٥. ومحمد رسول الله ٦٨. ودلائل النبوة ٢/ ١٦٠. وابن كثير ١/ ٤٢٨. والطبري ٢/ ٣١٠. وتأريخ دمشق ٤٢/ ٢٧. والمصنف لعبدالرزاق ٥/ ٣٢٥. وقد أوسع في ذلك في شرح النهج ٤/ ٢١٩، وقد رجح أبو جعفر الاسكافي أن عمره حين أسلم ١٥ عامًا. .

(٣) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤١ رقم ٨٣٦٩، مناقب الكوفي ١/ ٢٩٩ رقم ٢٢٣ و٢/ ٥٣٥ رقم ١٠٣٧، و شمس الأخبار ١/ ٩٤، والطبراني في الكبير ٦/ ٢٦٩ رقم ٦١٨٥، ومختصر مسند البزار ٢/ ٣٠١ رقم ١٨٩٨، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢، والكنجي في كفاية الطالب ١٥٨.

(٤) تاريخ دمشق ٤٢/ ٤٠، والمناقب للكوفي ١/ ٢٨٠، وشمس الأخبار ١/ ٩٣، والمستدرك ٣/ ١٣٦، وتأريخ الخطيب ٢/ ٨١، وأسد الغابة ٤/ ٩٠، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢، والاستيعاب ٣/ ١٩٨، ومصنف ابن أبي شيبة ٦/ ٣٧١ رقم ٣٢١١٢، والمناقب لابن المغازلي ص ٦٧.

عليـه : «أن أول هـــذه الأمـة وروداً على نبـيـهـا ﷺ، أولهـم إيـمـانًا علي بن أبي طالـب عليه السلام»[1].

وروينا عن أمير المؤمنين، عليه السلام أنه قال على المنبر: أنا عبدالله وأخو رسول الله لا يقولها بعدي إلا مفترٍ كذّاب)[2]، فقالها رجل فأصابته جنّة، وكان يضرب برأسه الجدران حتى هلك، وقد ذكر عليه السلام سبقه إلى الإسلامَ في يوم الشورى بحضرةٍ من المهاجرين والأنصار فقال:

مـحـمـدٌ النبيُّ أخي وصـهـري	وحـمـزة سيـد الشـهـدآء عـمـي
وجـعـفـرٌ الذي يُمسي ويُضحي	يـطيـــر مع الملآئكة ابنُ أمي
وبنت مـحـمـد سكني وعـرسي	مـشـوط لحـمـهـا بدمي ولحـمي
وسـبطا أحـمـد ولداي منهـا	فـأيكمُ له سـهـم كـسـهـمي
سـبـقـتكمُ إلى الإسـلام طُرّاً	غـلامـاً مـا بلغت آوان حُلْمي
وأوجـب بالـولايـة لـي عـليكـم	رســول الله يـوم غــدير خُمٍّ
فـــويـل ثـم ويـل ثـم ويـل	لمن يلقى الإله غـــداً بظلـمي

وزوّجـه رسـولُ الله ﷺ فـاطـمـةَ عليـهـا السلام في صفـر سنة اثنتين من الهجره عَقْداً من غير دخول بها - بعد أن طلبها أبو بكر فامتنع وطلبها عُمر فامتنع في أسانيد كثيرة يطول ذكرها: منها ما رويناه بالإسناد الموثوق به من كتاب المناقب لابن المغازلي الشافعي[3] بإسناده إلى أنس بن مالك أنَّ أبا بكر خطب فاطمةَ عليها السلامُ إلى النبي ﷺ فلم يَرُدَّ إليه جوابًا، ثم خطبها عُمر فلَم يَرُدَّ إليه جوابًا، ثم جمعهم فزوجها علي بن أبي طالب عليه السلام، وقيل: أقبل على أبي بكر وعمرَ فقال:

---

(١) تاريخ الخطيب ٢/ ٨١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٠٢.

(٢) ابن ماجة ١/ رقم ١٢٠، والمستدرك ٣/ ١١٢، وكتاب السنة رقم ١٣٢٤، وخصائص النسائي رقم ٦ ص ٢٩، والمراتب ص ٣٣، ومعرفة الصحابة ١/ ٣٠١ رقم ٣٣٧، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ١٢٥، وفضائل الصحابة لأحمد بن حنبل رقم ١٠٥٥.

(٣) ص ١٨١.

إن الله عـز وجل أمـرني أن أزوجـهـا من عليٍّ، ولم يأذن لي في إفشـآئه إلا هذا الوقت، ولم أكن لأفشي ما أمر الله عزوجل به● وابتنى علي عليه السلام بفاطمة عليها السلام في سنة ثلاث من الهجرة في شهر صفر.

ورويـنـا بالإسناد الموثوق بـه إلى أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال: رسول الله صلى الله عليه وآله كُنت ذات يوم في المسجد أصلي إذ هبط عليَّ ملك له عشرون رأسًا فوثبت لأقبِّل رأسه فقال: مه! يا محمدُ أنت أكرم على الله من أهل السموات وأهل الأرض أجمعين، وقبَّل رأسي ويدي فقلت: حبيبي جبريل ما هذه الصورة التي لم تهبط علي بمثلها قط؟ قال: ما أنا بجبريل ولكن أنا ملك يقال لي: محمود، بين كتفي مكتوب لا إله إلا الله محمد رسول الله، بعثني الله أزوِّجُ النورَ بالنور. قلت: مَن النور؟ قال: فاطمة من علي، وهذا جبريل وإسرافيل وإسماعيل صاحب السمآء الدنيا وسبعون ألف ملك من الملآئكة قد حضروا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «ياعلي قد زوجتك على ما زوجك الله من فوق سبع سمواته».

ثـم التفـت النبي صلى الله عليه وآله إلى محمود فقال: منذ كم كُتِبَ هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله آدم بألفي عام، وناوله جبريل قدحًا فيه خَلُوقٌ من الجنة، وقال: حبيبي مُرْ فاطمة تلطخ رأسها وبدنها من هذا الخلوق، فكانت فاطمة عليها السلام إذا حكَّت رأسها شم أهل المدينة رائحة الخلوق»[1]

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: دخلت أم أيمن على النبي صلى الله عليه وآله وهي تبكي فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: ما يبكيك؟ لا أبكى الله لك عينًا، قالت: بكيت يا رسول الله؛ لأني دخلت منزل رجل من الأنصار، وقد زوج ابنته رجلاً من الأنصار فنثر على رؤسهم لوزًا وسكرًا فذكرت تزويجك لفاطمة من علي عليهما السلام، ولم تنثر عليهما شيئًا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: لا تبكي يا أم أيمن، فوالذي بعثني بالكرامة، واستخصني بالرسالة ما أنا زوَّجته،

---

(١) مناقب المغازلي ٢٨١.

ولكن الله تبارك وتعالى زوّجه من فوق عرشه، وما رضيَتْ فاطمة حتى رضي الله رب العالمين، يا أم أيمن لَمّا زوّج الله تبارك وتعالى فاطمة من عليٍّ؛ أمر الملآئكة المقربين أن يحدقوا بالعرش، وفيهم جبريل وميكآئيل وإسرافيل فأحدقوا بالعرش، وأمر الحور العين أن تتزين، وأمر الجنان أن تزخرف؛ فكان الخاطب الله تبارك وتعالى، والشهود الملآئكة، ثم أمر الله شجرة طوبى أن تنثر عليهم فنثرت اللولؤ الرطب مع الدرِّ الأخضر مع الياقوت الأحمر مع الدر الأبيض، فتبادرت الحور العين يلتقطن من الحلي والحلل ويقلن: هذا من نثار فاطمة بنت محمد عليهما السلام[1].

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: لما زوّج رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة من علي عليهما السلام، أتاه ناس من قريش فقالوا: إنك زوّجت عليا بمهر خسيس! فقال: ما أنا زوّجت عليا ولكن الله زوّجه ليلة أسري بي عند سدرة المنتهى، أوحى الله عز وجل إلى سدرة المنتهى أن انثري ما عليك، فنثرت الدر والجوهر والمرجان، فابتدرت الحور العين فالتقطنه فهنَّ يتهادينه ويتفاخرن، ويقلن: هذا نثار فاطمة بنت محمد عليهما السلام. فلمّا كانت ليلة الزفاف أتى النبي صلى الله عليه وآله ببغلته الشهبآء، وثنى عليها قطيفة، وقال لفاطمة: اركبي وأمر سلمان أن يقودها والنبي صلى الله عليه وآله يسوقها، فبينا هو في بعض الطريق إذ سمع النبي صلى الله عليه وآله وجبةً فإذا هو بجبريل صلى الله عليه في سبعين ألفًا وميكآئيل عليه السلام في سبعين ألفًا، فقال النبي صلى الله عليه وآله: ما أهبطكم إلى الأرض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمة إلى زوجها علي بن أبي طالب، فكبَّر جبريل، وكبر ميكآئيل، وكبرت الملآئكة، وكبر محمد صلى الله عليه وآله فوقع التكبير على العرآئس من تلك الليلة[2].

---

(١) مناقب المغازلي ٢٧٨.

(٢) مناقب المغازلي ٢٨٠، وذخائر العقبى ٣٢.

ذِكْرُ طَرَفٍ مِنْ مَنَاقِبِهِ وأحوالِهِ عليه السلام:

اعلم أن التشاغل بمناقبه يخرجنا عن الغرض المقصود، ومناقبُه عليه السلام أشهر من النَّهار لذوي الأبصار، وإنما نذكر اليسير على وجه الرعاية لحَقِّهِ عليه السلام إذ كنا قد روينا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «ذكر عليٍّ عبادة»[1].

وقالت عائشة رضي الله عنها: «زينوا مجالسكم بذكر عليٍّ عليه السلام»[2].

فمن ذلك ما روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه لما قدم علي بن أبي طالب عليه السلام بعد فتح خيبر قال: «يا علي لولا أن تقول طائفة من أمتي فيك ما قالت النصارى في عيسى بن مريم لقلت فيك مقالاً لا تمر بملأ من المسلمين إلا أخذوا التراب من تحت رجليك، وفضل طهورك يستشفون بهما[3]، ولكن حسبك أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، وأنت تبريء ذمتي، وتستر عورتي، وتقاتل على سنتي، وأنت غداً في الآخرة أقرب الخلق مني، وأنت على الحوض خليفتي، وإن شيعتك على منابر من نور، مُبْيَضَّةٌ وجوههم حولي أشفع لهم، ويكونون في الجنة جيراني؛ لأن حربك حربي، وسلمك سلمي، وسريرتك سريرتي، وإن ولدك ولدي، وأنت تقضي ديني، وأنت تنجز وعدي، وإن الحق على لسانك وفي قلبك ومعك وبين يديك ونصب عينيك، الإيمان مخالط للحمكَ ودمك كما خالط لحمي ودمي، لا يَردُ عليَّ الحوض مبغضٌ لك، ولاَ يغيبَ عنه محبٌّ لك، فخرَّ عليٌّ عليه السلام ساجداً وقال: الحمد لله الذي منَّ عليَّ بالإسلام، وعلمني القرآن، وحببني إلى خير البرية، وأعزِّ الخليقة، وأكرمِ أهل السموات والأرض على ربه، خاتمِ النبيين وسيد

---

(١) مناقب المغازلي ١٩٥، والفردوس ٢/ ٢٤٤ برقم ٣١٥١ عن عائشة، وكنز العمال ١١/ ٦٠١ رقم ٣٢٨٩٤، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ٢٣٤.

(٢) مناقب المغازلي ١٩٩.

(٣) مجمع الزوائد ٩/ ١٣١، والطبراني في الكبير ١/ ٣٢٠ رقم ٩٥١.

المرسلين، وصفوة الله في جميع العالمين، إحساناً من الله إليَّ، وتفضلاً منه عليَّ. فقال له النبي ﷺ: «لولا أنت يا علي ما عرف المؤمنون بعدي»[1]، لقد جعل الله عز وجل نسل كل نبي من صلبه، وجعل نسلي من صلبك يا علي؛ فأنت أعز الخلق وأكرمهم علي وأعزهم عندي، ومُحِبُّكَ أكرم من يرد عليَّ من أمتي»[2].

ورُوينا عن عبدالله قال: مرض رسول الله ﷺ مرضةً، فغدا إليه علي ابن أبي طالب عليه السلام في الغلس، وكان لا يحب أن يسبقه أحد، فإذا هو بصحن الدار، ورأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام عليك. قال: وعليك السلام ورحمة الله، أما أني أُحِبُّكَ ولك عندي مديحة أزفها إليك قال: قل، قال: أنت أمير المؤمنين، وأنت قائد الغر المحجلين، وأنت سيد ولد آدم يوم القيامة ما خلا النبيين والمرسلين، لوآء الحمد بيدك، تزف أنت وشيعتك إلى الجنان زفّاً زفّاً، أفلح من تولاك وخاب وخسر من تخلاك، بحُبِّ محمد أحبُّوك، وببغضك لم تنلهم شفاعة محمد، ادْنُ إلى صفوة الله أخيك وابن عمك فأنت أحق الناس به قال: فدنا علي بن أبي طالب عليه السلام فأخذ برأس رسول الله أخذاً رفيقاً وصيَّره في حجره فانتبه رسول الله ﷺ فقال: «يا علي ما هذه الهمهمة؟ فأخبره علي عليه السلام الحديث، فقال رسول الله ﷺ: «لم يكن ذلك دحية بن خليفة، كان ذلك جبريل عليه السلام سمَّاكَ بأسمآء سمَّاك الله بها، وهو الذي ألقى محبتك في صدور المؤمنين، وهيبتك في صدور الكافرين، ولك يا علي عند الله أضعاف كثيرة».

ورُوينا عن أنس بن مالك قال: أُهديَ لرسول الله ﷺ طآئر فوضعه بين يديه، فقال: «اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، قال: فجآء علي بن أبي طالب فدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا علي، فقلت:

---

(١) مناقب المغازلي ١٠٩.

(٢) أخرجه ابن المغازلي ٢١٥ بلفظه، والكفاية للكنجي ٢٦٤.

إن النبي ﷺ على حاجة، فعل ذلك ثلاثًا، فجآء الرابعة فضرب الباب برجله فقال النبي ﷺ: ما حَبَسَكَ؟ فقال: قد جئت ثلاث مرات [يردني أنس]، فقال النبي ﷺ: ما حملك على ذلك؟ قال: كنت أحب أن يكون رجلاً من قومي [1].

---

(١) هذا الحديث أخرجه المئات من أعلام أهل السنة في القرون المختلفة عن عشرات من التابعين، عن اثني عشر شخصاً من صحابة رسول رب العالمين عليه وآله الصلاة والسلام وهم: أمير المؤمنين علي ﷺ، وسعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وأبو رافع، وأبو الطفيل عامر بن واثلة، وجابر ابن عبدالله الأنصاري، وحبشي بن جنادة، ويعلى بن مرة، وابن عباس، وسفينة مولى رسول الله، وأنس بن مالك، وعمرو ابن العاص في كل من تاريخ البخاري ٢/ ٣ برقم ١٤٨٨، والمعجم الكبير للطبراني ٧/ ٨٢ برقم٦٤٣٧ والمعجم الأوسط ٢/ ٢٠٧ برقم ١٧٤٤، ٥٨٨٦، ٦٥٦١، ٧٤٦٦، ٩٣٧٢، والمغازلي ص/ ٥٠، والحاكم في المستدرك٣/ ١٣٠، والذهبي في تاريخ الإسلام ص٦٣٣، والترمذي ٥/ ٥٩٥ برقم ٣٧٢١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٢٦، والمحب الطبري في الذخائر ص ٦١، والرياض النضرة ٢/ ١٦٠، والسيوطي في الجامع الكبير١٦/ ٢٦٩، برقم ٧٩١٩، والخصائص ٥. قال العلامة/ مجد الدين المؤيدي حفظه الله في اللوامع ٢/ ٤٦٠ ما لفظه: «خبر الطير» رواه أئمة العترة عليهم السلام منهم المنصور بالله في الشافي ٣/ ١٤٦، والأمير الحسين في الينابيع قال: وهذا الخبر مما احتج به أمير المؤمنين ﷺ يوم الشورى بمحضر الصحابة ولم ينكر عليه منهم منكر انتهى. قال عنه الذهبي في تذكرة الحفاظ في ترجمة الحاكم ٣/ ١٠٤٣: أما حديث الطير فله طرق كثيرة، وقد أفردتها في مصنف ومجموعها يوجب أن يكون له أصلاً، وابن الأثير في أسد الغابة ٤/ ٣٠، وأخرجه صاحب فضائل الخمسة بكل طرقه ٢/ ١٨٩، ١٩٥، وابن البطريق في العمدة ١٣٠، وتذكرة الخواص ٤٤، وتهذيب التهذيب في ترجمة أبي الهندي ١٢/ ٢٦٨، وأخبار أصبهان لأبي نعيم ١/ ٢٣٢، وميزان الاعتدال رقم ٢٢٨٠، وتاريخ بغداد ٩/ ٣٦٩، ومصابيح السنة ٢/ ٥١٧ برقم ٢٦٧٧، وترجمة الإمام علي لابن عساكر ٢/ ١٠٥ و١٥٨ برقم ٦١٢ - ٦٤٥، وجامع الأصول ٨/ ٦٥٣ برقم ٦٤٩٤، وأسد الغابة ٤/ ١٠٤، وكنز العمال ٣٩٦٤ - ٣٦٥٠٥، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/ ٢٦٩ برقم ٧٩١٦، ٧٩١٨، ٧٩١٩، والعلل المتناهية لابن الجوزي ١/ ٢٢٥، ولسان الميزان ١/ ٧١، ٨٥، والعقيلي في الضعفاء ١/ ٤٦، ٤/ ٨٣، ١٨٩. والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٨٧، وكفاية الطالبين ٤٤، وابن عدي في الكامل ١/ ٢١٤، وحلية الأولياء ٥٤/ ٣٩٥، ٦/ ٣٧١ برقم ٨٩٧٣، ومختصر مسند البزار لابن حجر العسقلاني ٢/ ٣١٥ - ٣١٦ برقم ١٩٢٥ - ١٩٢٦، وكشف الأستار ٢٥٤٨. وقد أفرد السيد الميلاني له جزأين ١٣، ١٤، وأخرج جميع من روى هذا الحديث، وبين طرقه، ورد على من ضعفه فتأمل.

وروينا عن ابن عباس قال: بينما رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة إذ بدت رمانة من الكعبة، فاخضرَّ المسجدُ لحسن خضرتها، فمد رسول الله ﷺ يده إليها فتناولها ومضى رسول الله ﷺ في طوافه، فلما انقضى طوافه صلى بالمقام ركعتين، ثم فلق الرمانة نصفين كأنها قدَّت، فأكل النصف وأطعم عليًا عليه السلام النصف فرنخت [أي استرخت] أشداقهما لعذوبتها، ثم التفت رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال: «إن هذه قطف من قطوف الجنة لا يأكله إلا نبي أو وصي نبي ولولا ذلك لأطعمناكم» وروينا عن زيد الباهلي أن رسول الله ﷺ آخى بين المسلمين وقال: «يا علي أنت أخي، أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، أما علمت يا علي أن أول من يُدعى به يوم القيامة يُدعى بي، فأقوم عن يمين العرش في ظله فأكسى حُلةً خضرآء من حلل الجنة، ثم يدعى بالنبيين بعضهم على بعض فيكونون سِمَاطَين[1] عن يمين العرش، ثم يكسون حللاً خُضراً من حلل الجنة، وإني أخبرك يا علي أن أمتي أول الأمم يحاسبون، ثم إنه أول من يدعى بك لقرابتك مني ومنزلتك عندي، ويدفع إليك لوآئي وهو لوآء الحمد، وتسير به بين السماطين، آدم عليه السلام وجميع خلق الله يستظلون بظل لوآئي يوم القيامة طوله مسيرة ألف سنة، سنانه ياقوتة حمرآء، قصبته من فضة بيضآء، زُجُّه[2] درة خضرآء، له ثلاث ذوآئب من نور: ذؤآبة في المشرق، وذؤآبة في المغرب، والثالثة وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطر: الأول بسم الله الرحمن الرحيم، والثاني الحمدلله رب العالمين، والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله، طول كل سطر مسيرة ألف سنة، وعرضه مسيرة ألف سنة، فتسير باللوآء والحسن عن يمينك والحسين عن يسارك حتى تقف بين يدي

---

(١) سِمَاطُ القوم: صفهم. قاموس ٨٦٧.

(٢) الزُّجّ: الحديدة التي في أسفل الرمح. مختار الصحاح ٢٦٨.

إبراهيم عليه السلام في ظل العرش، ثم تكسى حلة خضراء، ثم ينادي مناد من تحت العرش نعم الأب أبوك إبراهيم، ونعم الأخ أخوك علي، أبشر يا علي إنك تُكسى إذا كُسيتُ، وتُدعى إذا دُعيتُ، وتحبىٰ إذا حُبيتُ»[1]. **ورويناه** بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنت فارس العرب، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، وأنت رفيقي في الجنة، وأنت أخي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وأنت سيف الله الذي لا يخطئ»[2].

وروينا[3] بالإسناد عن عامر بن واثلة قال: كنت على الباب يوم الشورى إذ دخل علي عليه السلام وأهل الشورى وحضرهم عبدالله بن عمر فسمعت عليًا عليه السلام يقول: «بايع الناس أبا بكر، فسمعت وأطعت، ثم بايعوا عمر فسمعت وأطعت، ثم يريدون أن يبايعوا عثمان إذًا أسمع وأطيع، ولكني محتج عليكم: أنشدكم الله هل تعلمون فيكم أحدًا أحق برسول الله صلى الله عليه وآله مني؟ قالوا: اللهم لا. **قال**: أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له عمٌ مثل عمي حمزة أسد الله وعم رسوله وسيد الشهدآء؟ قالوا: اللهم لا. **قال**: أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له أخ كأخي جعفر له جناحان أخضران يطير بهما مع الملآئكة؟ قالوا: اللهم لا. **قال**: أنشدكم بالله هل فيكم من أحد له زوجة مثل زوجي فاطمة سيدة نسآء الجنة؟ قالوا: اللهم لا. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم صلى الله عليه وآله هل فيكم من

---

(1) في (ب): وتحيى إذا حييتَ. مناقب المغازلي ٤٦.

(2) أمالي أبي طالب ص ٦٦، وورد برواية أنت قاتل الناكثين والمارقين والقاسطين في المصادر التالية: ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١/ ٢٠٠ - ٢١٤ برقم ١١٢٠٦ إلى ١٢١٩، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٣٨، و ٩/ ٢٣٥، ومختصر الزوائد ٢/ ١٧٤ برقم ١٦٤٠، وابن عدي في الكامل ٢/ ٢٣٦، والمعجم الأوسط ٨/ ٢١٣ برقم ٨٤٣٣، وتلخيص الحبير ٤/ ٤٤، وأسد الغابة ٤/ ١٠٨، ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٧٢٥، وتاريخ بغداد ٨/ ٣٠٤، والبداية والنهاية ٧/ ٣٣٨ - ٣٣٩، والسيوطي في الجامع الكبير ١٦/ ١٦٨ - ١٦٩.

(3) مناقب المغازلي ٢٤٦، وكفاية الطالب ٣٨٩٦، وميزان الاعتدال ١/ ٢٠٥.

أحد له سبطان مثل سبطيَّ الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة إلا ابني الخالة[1]؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم ﷺ هل فيكم من أحد وحَّد اللهَ قبلي؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**[2]: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم أيها النفر جميعًا هل فيكم من أحد صلى القبلتين غيري[3]؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد نصر أبوه رسولَ الله ﷺ وهو مشرك[4] غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد أقْتَلُ لمشركي قريش في حرب رسول الله ﷺ وإخراجه ناجزاً عنه عند كل شديدة تنزل مني؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد مسح رسول الله ﷺ عينيه وأعطاه الراية يوم خيبر وقال: لأعطين الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله يفتح الله عليه، ليس برعديد ولا جبان غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق

---

(١) يعني بهما يحيى بن زكريا، وعيسى بن مريم سلام الله عليهما.

(٢) من هنا تبدأ النسخة الأصل والتي بخط المؤلف. ظن.

(٣) المعلوم أن النبي ﷺ صلى في المدينة إلى بيت المقدس ثم حولت القبلة إلى الكعبة. وعليه فليس في هذا احتجاج، ولكن علياً عليه السلام صلى قبل الناس مع رسول الله سبع سنين وكانت القبلة هي بيت المقدس وكان الرسول يحب التوجه إلى الكعبة؛ لأنها قبلة آبائه.

(٤) بمعنى نصر النبي ﷺ وهو مشرك، ثم أسلم واستمر في النصرة، وهو متظاهر بالشرك؛ لأنه كتم إسلامه وهذه من مناقبه؛ لأن القوم الذين احتج عليهم علي عليه السلام لم يعرف من آبائهم إلا الشرك والمعارضة للنبي ﷺ، وأما إسلام أبي طالب فمشهور فهو الذي ظل يدافع عن رسول الله ﷺ قرابة نصف قرن وعندما مات، سمّى رسولُ الله ﷺ ذلك العام: عام الحزن وقد روي عن علي عليه السلام (ما عَبَدَ أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبدمناف صنما قط. قيل فماذا كانوا يعبدون؟ قال: كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل متمسكين به). وقد أفرد العلامة زيني دحلان كتابا في ذلك وسمّاه (أسنى المطالب في إسلام أبي طالب).

نبيكم هل فيكم من أحد نصبه رسول الله ﷺ للناس ولكم يوم غدير خم، فقال: من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والِ من والاه، وعادِ من عاداه غيري؟ قالوا: اللهم لا. **قال**: فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد واخاه رسول الله ﷺ يوم آخى بين المسلمين وقال له: أنت أخي وأنا أخوك ترثني وأرثك، وأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد بارز عَمْرًا بن عبد ودًّ. يوم الخندق وقتله غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق رسول الله ﷺ هل فيكم من أحد وقف مع الملائكة يوم حنين غيري -حين ذهب الناس-؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد اشتاقت الجنة إلى رؤيته بقول نبيكم غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو وصي رسول الله ﷺ في أهله غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله هل فيكم من أحد له سبق مثل سبقي في الأسلام؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد ورث سلاح رسول الله ﷺ ودوابَّه عند موته غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد له شقيق مثل شقيقي، ووزير مثل وزيري[1]؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو أغنى عن رسول الله ﷺ مني حين اضطجع في مضجعي[2]، وأضجعني في مضجعه، وبذلت له مهجة دمي وأقيه بنفسي؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال**: فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم هل

---

(١) هكذا في المخطوطات. في هامش الأمالي الصغرى ص١١٩ ما لفظه: في هامش نسخة العلامة محمد يحيى مطهر: الشقيق: يحتمل أن يكون أراد به جعفر(ع) كل ذلك بشرف انفراده عنهم، وكذلك الوزير يحتمل الأخ كما تقدم. انتهى ذكر معناه حميد في محاسنه. تمت.

(٢) في نسخة: مضجعه.

فيكم من أحد له سهمان كسهمي سهم في الخاصة، وسهم في العامَّة؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم هل فيكم من أحد هو أحدث عهداً برسول الله ﷺ مني؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم، هل فيكم من أحد وَلِيَ غسل رسول الله ﷺ بالروح والريحان مع الملآئكة المقربين غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله، وبحق نبيكم، هل فيكم من أحد قال له رسول الله ﷺ: اغسلني فإنه لا يرى أحدٌ شيئًا من عورتي إلاَّ عُمِيَ غيرك يا علي؟، قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد وضع رسول الله ﷺ في حفرته ولفَّ عليه أكفانه غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم، هل من أحد أمر الله بمودَّته من السمآء حيث يقول: ﴿ **قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [الشورى: ٢٣] غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد جارُ رسول الله ﷺ في مسجده، يحل له فيه ما يحل لرسول الله، ويحرم عليه ما يحرم على رسول الله ﷺ، وأمر الله نبيه بسد أبواب المهاجرين، وأخرجهم غيري؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال:** فأنشدكم بالله وبحق نبيكم هل فيكم من أحد قال له رسول الله ﷺ حين قال له ذووا قرابته: سددت أبوابنا وأخرجتنا من مسجدك، وتركت عليًا عليه السلام فقال رسول الله ﷺ: ما أنا أخرجتكم، ولا سددت أبوابكم ولا تركت عليًا، لكن الله أمرني بإخراجكم، وترك عليًا ولم يخرجه؟ قالوا: اللهم لا نعلمه. **قال علي** عليه السلام: اللهم اشهد، وكفى به شهيداً بيني وبينكم، أسمع وأطيع وأتبع وأصبر حتى يأتي الله بالفتح من عنده، شأنكم فاصنعوا ما بدا لكم، ثم قال هذه الأبيات:

محمد النبيُّ أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي يضحي ويمسي	يطير مع الملآئكة ابن أمي
وبنت محمد سكني وعرسي	مشوط لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمد ولداي منها	فأيكمُ له سهم كسهمي
سبقتكم إلى الإسلام طرّاً	غلامًا ما بلغت أوان حلمي
وأوجب بالولاية لي عليكم	رسول الله يوم غدير خم

وروينا بالإسناد عن أبي الفرج عبدالواحد بن محمد المخزومي الشاعر المعروف بالببغا[1]، قال: كنت بصور في سنّي نيف وخمسين وثلاثمائة عند أبي علي محمد بن علي المستأمن، وإنما لقب بذلك لأنه استأمن من عسكر القرامطة إلى أصحاب السلطان بالشام وهو على حماية البلد، فجآءه قاضيها أبوالقاسم بن إبان وكان شابًا أديبًا فاضلاً جليلاً واسع المال عظيم الثروة ليلاً فاستأذن عليه فأذن له، فلما دخل عليه، قال: أيها الأمير قد حدث الليلة أمر ما لنا بمثله عهد، وهو أن في هذه البلد رجلاً ضريراً، يقوم كل ليلة في الثلث الأخير فيطوف في البلد ويقول بأعلى صوته: يا غافلين اذكروا الله، يا مذنبين استغفروا الله، يا مبغض معاوية عليك لعنة الله، وأن رابّتي التي ربتني كانت لها عادة في أن تنتبه على صياحه، فجآءتني الليلة وأيقظتني قالت: كنت نآئمة فرأيت في منامي كأن الناس يهرعون إلى المسجد الجامع فسألت عن السبب، فقالوا: رسول الله ﷺ هناك؛ فتوجهت إلى المسجد فدخلته ورأيت النبي ﷺ على المنبر وبين يديه رجل واقف، وعن يمنيه ويساره غلامان واقفان، والناس يسلمون على رسول الله ﷺ ويردُّ عليهم السلام، حتى رأيت ذلك الضرير الذي يطوف في البلد ويذكُر، ويقول: كذا وكذا – و أعادت ما يقوله في كل ليلة- قد دخل فسلَّم على النبي ﷺ فأعرض عنه، وعاوده فأعرض عنه، فقال الرجل الواقف: يا رسول الله

---

(١) قال في الحاشية: لقب بذلك للثغة كانت فيه.

رجل من أمتك ضرير يحفظ القرآن يسلّم عليك فلِمَ حرمته الرد عليه؟ فقال له: يا أبا الحسن هذا يلعنك ويلعن ولدك منذ ثلاثين سنة، فالتفت الرجل الواقف فقال: يا قنبر، فإذا أنا برجل قد برز، فقال: اصفعه فصفعه صفعةً فخر على وجهه، ثم انتبهت فلم أسمع له صوتًا! وهذا هو الوقت الذي جرت عادته بالصياح والطواف والتذكير. قال أبو الفرج: فقلت أيها الأمير تنفذ من يعرف خبره، فأنفذنا في الحال رسولاً قاصداً ليخبر أمره، فجآءنا يُعرِّفنا أن امرأته ذكرت أنه عرض له في هذه الليلة حكاك شديد في قفاه[1] فمنعه من التطواف والتذكير، فقلت لأبي علي المستأمن: أيها الأمير هذه آية ونحب أن نشاهدها، فركبنا وقد بقيت من الليل بقية يسيرة، وجئنا إلى دار الضرير فوجدناه نائمًا على وجهه يخور، فسألنا زوجته عن حاله، فقالت: انتبه وحك هذا الموضع، وأشارت إلى قفاه، وكان قد ظهر فيه مثل العدسة، وقد اتسعت الآن وانتفخت وتشققت، وهو الآن على ما تشاهدون يخور ولا يعقل، فانصرفنا وتركناه، فلما أصبح توفي فأكب أهل صور على تشييع جنازته وتعظيمه. قال أبو الفرج: واتفق أني لما وردت إلى باب عضد الدولة بالموصل في سنة ثمان وستين وثلاثمآئة لزمتُ دار خازنه أبي نصر خرَّشيذ يزديار بن مافنّه، وكان يجتمِع فيها كل يوم خلق كثير من طبقات النا س، فحدثت بهذه الحكاية جماعة في دار أبي نصر: منهم القاضي أبو علي التنوخي رحمه الله، وأبو القاسم الحسين بن محمد الجنَّابيّ، وأبا إسحاق النصيبي، وابن طُرخان وغيرهم، فكلهم ردَّ عليَّ واستبعد ما حكيته على أشنع وجه غير القاضي أبي علي رحمه الله فإنه جوَّز أن تكون هذه الحكاية صحيحة وشيَّدها وحكى في مقابلتها ما يقاربها، ثم مضت على هذه مُديدة[2] يسيرة،

---

(١) في الأصل سقطت (قفاه).

(٢) في الأصل: (مدة).

فحضرت دار أبي نصر على العادة واتفق حضور أكثر الجماعة، فلما استقر بي المجلس سلَّم عليَّ فتًى شاب لم أعرفه فاستثبته . فقال: أنا ابن أبي القاسم بن أبان قاضي صور، فبدأت فأقسمت عليه بالله يمينًا مكررة مؤكدة وبأيمان كثيرة مغلظة محرجة إلا صدق فيما أسأله عنه، فقال: نعم عندي أنك تريد أن تسألني عن المنام والضرير المذكَّر وميتته الطريفة، فقلت: نعم هو ذاك فبدأهم وحدثهم بمثل ما حدثتهم به، فعجبوا من ذلك واستطرفوه وأنشد الساري قال أنشدنا والدي لنفسه:

لن يبلغوا مدح النبي وآله ... قوم إذا ما بالمدائح فاهوا

رجل يقول إذا تحدث قال لي ... جبريل أرسلني إليك الله

وهو عليه السلام في الجهاد السابقُ في الميدان، المبيدُ للأقران، المقطِّر للشجعان. روينا عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قال لي معاوية: أتحب عليًا ؟ قلت: وكيف لا أحبه وقد سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول له: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي، ولقد رأيته بارز يوم بدر وهو يحمحم كما يحمحم الفرس، ويقول:

(ما تنقم الحرب العَوانُ مني)[1]

بازل عامين حديثٌ سنِّي ... سنحنح الليل كأني جني

ثم قال: ... لمثل هذا ولدتني أمي

فما رجع حتى خضَّبَ سيفه دمًا[2]. وروينا عن عبدالله قال: دخل علي بن أبي طالب عليه السلام - يوم قتل عمرو بن عبد ودٍّ - على رسول الله صلى الله عليه وآله وسيفه

---

(١) ما بين القوسين في (آ) فقط. والعوان: من الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة كأنهم جعلوا الأولى بكرا. مختار الصحاح ٤٦٣.

(٢) مناقب ابن المغازلي ٤٨ رقم ٤٨، وعمدة عيون الصحاح ١٨١ برقم ٢٠٧، وينابيع المودة ١٤/ ٥٩.

يقطر دمًا فقال ﷺ: اللهم اتحف عليًا بتحفة لم تتحف بها أحدًا قبله، ولا تتحف بها أحداً بعده، قال: فهبط جبريل على النبي ﷺ بأترجّة، فإذا فيها سطران مكتوبان: هدية من الطالب الغالب إلى علي بن أبي طالب[1]، وأنشد عليه السلام في قتل عمرو بن عبد ودّ:

أعليَّ تقتحم الفوارس هكذا	عني وعنهم أخبروا أصحابي
اليوم يمنعني الفرار حفيظتي	ومصمّمٌ في الهام ليس بنابي
آلى ابن عبد حين شدّ ألِيَّةً	وحلفت فاستمعوا منَ الكذاب
أن لا يصد ولا يهلل فالتقى	رجلان يضطربان أيَ ضراب
فصددت حين رأيته متقطراً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو انني	كنتُ المقطَّرَ بزّني أثوابي

وروينا عن سعيد بن المسيب قال: لقد أصابت عليًا عليه السلام يوم أحد ست عشرة ضربة، كل ضربة تلزمه الأرض، فما كان يرفعه إلا جبريل عليه السلام.

وروينا عن المنتجع بن قارض النهدي أن أباه حدّثه، وكان جاهليًا قال: شهدت هوازن يوم هوازن، وكنت امرأً نَدْبًا يسودني قومي، ولقينا رسول الله ﷺ، فرأيت في عسكره رجلاً لا يلقاه قرن إلا دهدهه، ولا يبرز إليه شجاع إلا أرداه، فصمد له وبرز إليه الجلموز بن قريع، وكان والله ما علمته حوشي القلب، شديد الضرب، فأهوى له الرجل بسيفه، فاختلى قحف رأسه على أم دماغه، فحدْتُ عنه وَجَعَلْتُ أرمقه وهو لا يقصد ركاكة، ولا يؤمُّ إلا صناديد الرجال، لا يدنو من رجل إلا قتله، وكانت الدائرة لمحمد ﷺ علينا، فأسلمت بعد ذلك، فتعرَّفتُ الرجلَ، فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، وتالله لقد رأيت زنده فخلته أربع أصابع، وإن أول خنصره كأخر مفصل من مرفقه. وروينا عن عبدالله

---

(١) كفاية الطالب للكنجي ٧٨.

ابن الحسن عليه السلام قال: بارز علي بن أبي طالب عليه السلام بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله اثنين وسبعين مبرزاً.

وروينا في خبر أنه صلى الله عليه وآله لما قفل من غزوة تبوك، وقسم للناس الغنائم، دفع إلى علي عليه السلام سهمين، فأنكر ذلك قوم! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: أيها الناس هل أحدٌ أصدق مني؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: أيها الناس أما رأيتم صاحب الفرس الأبلق أمام عسكرنا في الميمنة مرة، وفي الميسرة؟ قالوا: رأيناه يا رسول الله. فماذا؟ قال: ذلك جبريل عليه السلام قال لي يا محمد: إن لي سهمًا مما فتح الله عليك، وقد جعلته لابن عمك علي بن أبي طالب فسلّمه إليه، قال أنس: فكنت فيمن بشر عليًّا عليه السلام بقول رسول الله صلى الله عليه وآله. وكان عليه السلام في العلم البحر الذي لا ينتهي إلى قراره، والغمام الذي لا يقلع ديمة مدراره.

وقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأت الباب»[1] وقال صلى الله عليه وآله: «أنا مدينة الحكمة

(١) ابن عساكر ٢/ ٤٦٤ برقم ٩٨٤ - ٩٩٧، وشواهد التنزيل للحسكاني ١/ ٣٣٤ برقم ٤٥٦، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٢٦، ١٢٧، وأسد الغابة ٤/ ٩٥، وابن المغازلي ٨١، وكفاية الطالب ٢٢٠، وينابيع المودة ٧٧، والاستيعاب ٣/ ٢٠٥، وابن أبي الحديد ٧/ ٢١٩، وذخائر العقبى ٧٧، وجامع الأصول ٩/ ٤٧٣ برقم ٦٤٨٩، وفضائل الخمسة ٢/ ٢٥٠، ومسند الكلابي ٣٦٣، والجامع الصغير للسيوطي ١/ ٤٥١، والجامع الكبير للسيوطي ١٦/ ٢٥٩ برقم ٧٨٨١، والرياض النضرة ٢/ ٢٥٥، والعقيلي في الضعفاء ٣/ ١٥٠، وأبو نعيم في معرفة الصحابة ١/ ٣٠٨ برقم ٣٤٦، وتاريخ جرجان ٦٥، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٩٦، وتفسير القرطبي ٩/ ٣٣٦، والصواعق المحرقة ٣٣٧، وحاوي الفتاوى للسيوطي ٢/ ١١٧، وتهذيب التهذيب ٧/ ٣٨٧، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٩، والفوائد المجموعة للشوكاني ٣٤٩. والفردوس للديلمي ١/ ٤٤، وتاريخ بغداد للخطيب ٤/ ٣٤٨، ٧/ ١٧٣، ١١/ ٤٨، والمواهب اللدنية ١/ ١٨٣، والطبراني في الكبير ١١/ ٦٦، وأسنى المطالب في مناقب آل أبي طالب ٦٩، وابن عدي في الكامل ١/ ١٩٣، ١٩٥، ٣/ ١٢٤٧، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٥٠-٣٥٣، ومجمع الزوائد ٩/ ١١٧، والأميني في الغدير ٦/ ٦١، من مائة وثلاثة وأربعين مصدراً، وكنز العمال برقم ٣٢٩٧٨، ٣٢٩٨٠، ٣٦٤٦٣، ولقد خصص له الميلاني ثلاثة مجلدات من كتابة نفحات الأزهار ١٠، ١١، ١٢.

وعلي بابها، فمن أراد الحكمة، فليأت الباب»[1]. وعن عمر أنه قال: لا أبقاني الله لمعضلة لا أرى فيها ابن أبي طالب[2]، وعنه: «لولا علي لهلك عمر»[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: وجدنا العلم على ستة أسداس: لعلي منها خمسة أسداس خاصة، ولسائر الناس سدس واحد، ويشاركهم فيه. وعنه رحمه الله تعالى قال: «لعلي عليه السلام خصالٌ قواطع: بسطة في العشيرة، وصهر بالرسول صلى الله عليه وآله، وعلم بالتنزيل، وفقه بالتأويل، وصبر إذا دعيت نزال».

وعنه في صفة أمير المؤمنين عليه السلام: «كان والله يشبه القمر الباهر، والحسام الباتر، والربيع الباكر، والفرات الزاخر، والليث الخادر، فأشبه من القمر ضوءه وبهاءه، ومن الحسام حدَّه وجلاءه، ومن الربيع خصبه وحياءه، ومن الفرات جوده وسخاءه، ومن الليث شجاعته ومضاءه.

وروينا عن سعيد بن كلثوم قال: كنت عند جعفر بن محمد، فذكر علي بن أبي طالب عليه السلام فأطراه، ثم قال: والله ما أكل عليٌ من الدنيا حرامًا قط حتى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قط هما لله برضى إلا أخذ بأشدهما عليه في دينه، وما نزلت برسول الله صلى الله عليه وآله نازلةٌ إلا دعاه فقدَّمه أمامه ثقةً به، وما أطاق عملَ رسول الله صلى الله عليه وآله من هذه الأمة غيرُه، وإن كان ليعمل عمل رجل كأنَّ وجهه

---

(١) الترمذي ٥/ ٥٩٦ برقم ٣٧٢٣، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٠٤، ومناقب أحمد ٢ برقم ١٠٨١، ولسان الميزان ٤/ ٣٣٢، ٥/ ٧٠، وابن عدي ٥/ ١٨٢٣، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٥١٦ برقم ٢٦٧٩، وذخائر العقبى ٧٧، وكنز العمال ١١/ ٦٠٠ برقم ٣٢٨٨٩، ومناقب ابن المغازلي ١١٩ برقم ١٢٨.

(٢) فرائد السمطين ١/ ٣٨٤، والفخر الرازي ١٦/ ٣٢/ ١١ تفسير سورة التين، وذخائر العقبى ٨٢، وابن عساكر ٣/ ٥٠.

(٣) الأحكام ٢/ ٢٢٠، مجموع الإمام زيد ٣٣٥، وفرائد السمطين ١/ ٣٥١، الرياض النضرة ٢/ ١٩٤، الغدير ٦/ ٨٣، وأسد الغابة ٣/ ٢٠٦.

بين الجنة والنار، يرجو ثواب هذه، ويخاف عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله ألف مملوك في طلب وجه الله، والنجاة من النار، مما كدَّ بيده، ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوِّت أهله بالزيت والخل والعجوة، وما كان لباسه إلا الكرابيس، إذا فضل شيء عن يده من كمِّه دعا بالجلم فقصه، وما أشبهه من ولده ولا أهل بيته أحدٌ، وإن كان أقرب القوم شبهًا به في لباسه وفقهه علي بن الحسين عليهما السلام.

وعن عروة بن الزبير قال: كنا جلوسًا في مسجد رسول الله ﷺ، فتذاكرنا أعمال بدر، وبيعة الرضوان، فقال أبو الدرداء: ألا أخبركم بأقل القوم مالاً، وأكثرهم ورعًا، وأشدهم اجتهاداً في العبادة؟ قالوا: مَن هو؟ قال: علي ابن أبي طالب، قال: فوالله إن كان في جماعة أهل المجلس إلا معرضٌ عنه بوجهه، ثم انتدب له رجلٌ من الأنصار فقال له: يا عويمر لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها فقال أبو الدرداء: يا قوم إني قائل ما رأيت، وليقل كل امرء ما رأى؛ شهدت عليًا عليه السلام، وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بفسلان النخل، فافتقدته فقلت: لحق بمنزله، فإذا أنا بصوت حزين، ونغمة شجي، وهو يقول: إلهي كم من موبقة حلمت عن مقابلتها بنعمتك، وكم من جريرة تكرمت عن كشفها بكرمك، إلهي إن طال في عصيانك عمري، وعظم في الصحف ذنبي، فما أنا مؤمل غير غفرانك، ولا أنا براجٍ غير رضوانك، فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فإذا هو علي عليه السلام بعينه، فاستترت منه، وأخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فزع إلى الدعاء والاستغفار والبكاء، والبث والشكوى، فكان مما ناجى به ربه أن قال: إلهي أفكر في عفوك فتهون عليَّ خطيئتي، ثم أذكر العظيم من أخذك فتعظم عليه بليتي، ثم قال: آه إن أنا قرأت في الصحف سيئة أنا ناسيها وأنت محصيها، فتقول: خذوه، فياله مَن مأخوذ لا تنجيه عشيرته، ولا تنفعه قبيلته، يرحمه الملأ إذا أذن فيه بالنداء، ثم قال: آهٍ من نار تنضج الأكباد والكلى، آهٍ من نار نزاعة للشوى، آهٍ من ملهبات لظى.

قال: ثم أنعم في البكآء فلم أسمع له حسًا ولا حركة، فقلت: غلبه النوم بطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر فأتيته، فإذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته فلم يتحرك، فزويته فلم ينزوِ، فقلت: إنا لله وإنا لله راجعون، مات والله علي بن أبي طالــب، قال: فأتيتُ منزله مبادراً أنعاه إليهم، فقالت فاطمة عليها السلام: يا أبا الدردآء هي والله الغشية التي تأخذه من خشية الله، ثم أتوه بمآء فنضحوه على وجهه فأفاق، فنظر إليَّ وأنا أبكي، فقال: ما بكآؤك؟ فقلت: مما أراه تنزله بنفسك، فقال: يا أبا الدردآء فكيف لو رأيتني وقد دعيت إلى الحساب، وأيقن أهل الجرآئم بالعقاب[1]، واحتوشتني ملآئكة غلاظ، وزبانية أفظاظ، فوقفت بين يدي الملك الجبار قد أسلمني الأحبآء، ورحمني أهل الدنيا؛ لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفى عليه خافية!

قال أبو الدردآء: ما رأيت أحدًا من أصحاب محمد ﷺ مثل ذلك.

وروينا عن محمد بن السآئب عن أبي صالح قال: دخل ضرار بن ضمرة الكناني على معاوية، فقال له: صف لي عليًا، فقال: أو تعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: لا أعفيك، قال: إذ لا بد، فإنه كان والله بعيد المدا، شديد القوى، يقول فصلا، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه[2]، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، وكان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفيه، ويحاسب نفسه، يُعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن.

كان والله كأحدنا يدنينا إذا آذناه، ويجيبنا إذا سألناه، وكان مع قربه منا لا نكلمه هيبةً منه، وإن تبسمً فمثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين، ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله

---

(١) في (ج): بالعذاب.

(٢) في (ب،ج): نواجذه.

لقد رأيته في بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغارت نجومه، مُمثّلاً في محرابه، قابضًا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكآء الحزين، وكأني أسمعه الآن وهو يقول: يا ربنا يا ربنا يتضرع إليه، ثم يقول للدنيا : أبي تعرّضت، أم بيَّ تشوّقت، هيهات هيهات غرّي غيري لا حان حينك، قد بَتَتُّك ثلاثًا، فعمرك قصير، وخطرك كبير، آه آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق، قال: فوكفت دموع معاوية على لُحيته ما يملكها، وجعل ينشفها بكمّه، وقد اختنق القوم بالبكآء، فقال: كذا كان أبو الحسن فكيف وَجْدُكَ عليه يا ضرار؟ قال: وَجْدُ من ذُبح واحدُها في حجرها، لا ترقأ دمعتُها، ولا يسكن حزنها، ثم قام فخرج [1].

وروينا عن زيد بن علي عليهما السلام قال: اجتمع نفر من قريش فيهم علي ابن أبي طالب عليه السلام فتفاخروا، فقالوا شيئًا من الشعر حتى انتهو إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقالوا : يا أبا الحسن قل فقد قال أصحابك، فقال عليه السلام :

الله أكرمنا بنصر نبيه ... وبنا أقام دعآئم الإسلام

وبنا أعزَّ نبيه وكتابه ... وأعزّه بالنَّصر والإقدام

في كل معترك تطير سيوفنا ... فيها الجماجم من قراح الهام

ينتابنا جبريل في أبياتنا ... بفرآئض الإسلام والأحكام

فنكون أوّل مستحلٍّ حلّه ... ومحرّمٍ لله كل حرام

نحن الخيار من البرية كلها ... ونظامها وزمام كل زمام

الخآئضو غمرات كل كريهة ... والضامنون حوادث الأيام

والمبرمون قوى الأمور بعزمهم ... والناقضون مراير الإبرام

سآئل أبا كرب وسآئل تُبّعًا ... عنا وأهل العير والأزلام

إنا لنمنع من أردنا منعهم ... ونجود بالمعروف والإنعام

---

(١) حلية الأولياء ١/١٢٦ رقم ٣٦١، والاستيعاب ٣/٢٠٩ وصفة الصفوة.

وترد عــادية الخـمـيس سـيـوفُنا   وتقـيم رأس الأصيـد القـمـقـام[1]

وروينا عن علي بن الحسين عليهما السلام قال : قال أهل الشام لمحمد بن الحنفية ، وقد برز في بعض أيام صفين : هذا ابن أبي تراب ، هذا ابن أبي تراب ، فقال لهم محمد بن الحنفية : إخسئوا ذريَّة النَّار ، وحشو النفاق ، وحَصَب جهنم أنتم لها واردون ، عن الأسل النافذ ، والنجم الثاقب ، والقمر المنير ، ويعسوب المؤمنين ، من قبل أن تطمس وجوه فتردّ على أدبارها ، وتلعنوا كما لعن أصحاب السبت ، وكان أمر الله مفعولاً .

أو لا تدرون أي عقبة تتسنمون ، بل ينظرون إليك وهم لا يبصرون ، أصنْوَ رسـول الـله ﷺ تستهدفون؟ ضلةً بكم ، هيهات برّز والله بسبق ، وفاز بخصل محرزاً القصبات سبقه ، فانحسرت عنه الأبصار ، وتقطعت دونه الرقاب ، واحتفزت دونه رجال ، وكرّثهم السعي ، وفاتهم الطلب ، وأنَّى لهم التناوش من مكان بعيد . فخفضًا أقلُّوا لا أبًا لأبيكم من اللوم ، أو سدوا المكان الذي سدوا ، وأنَّى تسدون مسدّ أخي رسول الله ﷺ إذ شفعوا ، وشبيه هارون إذ منحوا ، والبادي ببدر إذا ابتدروا ، والمدعو إلى خيبر إذ نكلوا ، والصابر مع هاشم يوم هاشم إذ حصَّلوا ، والخليفة على المهاد ومستودع الأسرار!

تلك المكارم لا قعبان من لبن   شـيـبـا بمآء فـعـادا بعـد أبوالا

وأنَّى يبعد عن كل مكرمة وعُلاً وقد نمته ورسول الله أبوةٌ ، وتفيئا في ظل ، ودرجا في سكن ، وربِّيا في حجر ، منتجبان مطهران من الدنس ، فرسول الله ﷺ للنبوءة ، وأمير المؤمنين عليه السلام للخلافة ، خلافة قد رفع الله عنها سُنَّة الاستبداد ، وطمس عنها وسم الذلة فقد حلأها عن شربها أخذاً بأكظامها ، يرحضُها عن مال الله حتى عضّها الثقاف ، و مضها فرض الكتاب ، فجرجرت جرجرت العود ، فلفظته أفواهها ، ومجته شفاهها ، ولم يزل على ذلك وكذلك ،

---

(١) ديوان الإمام علي ص ٩٢ ، وتاريخ ابن عساكر ٤٢ / ٥٢٢ .

حتى أقشع عنكم ريب الذّلة، واستنشقتم ريح[1] النَّصفَة، وتطعمتم قسمة السوآء، سياسة مأمون الخرفة[2]، مكتهل الحنكة، طبٌّ بأدوآئكم، فَمن بدوآئكم، يبيت بالربوة، كالياً لحوزتكم، جامعًا لقاصيتكم، يقتات الجريش، ويلبس الهدْم، ويشرب الخمس، وأنتم تريدون أن تطفئوا نور الله بأفواهكم: ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢].

ثم إذا تكافح السيفان، وتبادرت الأقران، وطاح الوشيج، واستسلم الوشيظ وغمغمت الأبطال، ودَعَت نزال، وغرّدت الكماة، وقلّصت الشفاه، وقامت الحرب على ساق، وسألت عن أبراق، الفيتَ أمير المؤمنين مثبتًا لقطبها، مديرًا لرحاها، دلافًا للبُهم، ضرابًا للقلل، سَلابًا للمُهج، ترّاكًا للونية[3]، مُثكل أمهات، ومُؤيِّم أزواج، ومؤتم أطفال، طامحًا في الغمرة، راكدًا للجولة، يهتف بأولاها فتنكفئ على أُخراها، فآونة يكفها، وفينة يطويها طي الصحيفة، وتارة يفرقها فرق الوَفرة، فبأي مناقب أمير المؤمنين تكذبون، وعن أي امرءٍ مثل حديثه تروون، وربنا المستعان على ما تصفون، وتفصيل مناقبه عليه السلام تخرجنا عن المراد وإنما نبهنا عن اليسير دون الكثير.

وقد روينا في مثل هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «لو أن الغياض أقلام، والبحار مداد، والجن كُتّاب، والإنس حُسَّاب ما أحصوا فضآئل علي بن أبي طالب»، فكيف يروم أحد مع ذلك الإحاطة بمناقبه والإحصآء لمكارمه.

هذا وقد روينا في قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٦١] أن رسول الله صلى الله عليه وآله دعا عليًّا وفاطمة عليهما السلام، والحسن والحسين، فكانت الأنفس المراد بها نفس النبي ونفس علي صلوات الله عليهما، والنسآء المراد بها فاطمة عليها السلام،

---

(١) في (ج): روح.

(٢) في (ب): الحرفة.

(٣) في (ج): للوثبة.

والأبناء المراد بها الحسن والحسين عليهما السلام[1]، وهذا شرف لا يسامى، وفضل لا يداني، ومَن مدحه مُحكم التنزيل؛ اكْتُفِيَ في ظهور فضله عن التطويل، ولله القائل:

يفنى الكلام ولا يحاط بمدحكم   أيحيط ما يفنى بما لا ينفد

ذكر بيعته ونُبَذٌ من سيرته عليه السلام

بُويعَ له عليه السلام بالخلافة يوم الجمعة بعد العصر بالمدينة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة. وهو اليوم الذي قُتلَ فيه عثمان، وبويع له في الغد يوم السبت، وامتدت البيعة على ما قيل ثلاثة أيام[2]، وأول من بايعه طلحة، ثم الزبير، ثم من حضر من المهاجرين والأنصار وسواهم، وكان يأخذ البيعة على الناس عمّار بن ياسر، وأبو الهيثم بن التَّيِّهان، ولما بويع له على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقف خزيمة بن ثابت الأنصاري بين يدي المنبر[3] وأنشأ يقول:

---

(١) ينابيع النصيحة ٣٤٩، ومسلم ٤/ ١٨٧١ فضائل علي عليه السلام، والترمذي ٥/ ٥٩٦ رقم ٣٧٢٤، وأحمد بن حنبل ١/ ٣٩١ رقم ١٦٠٨، والنسائي في الخصائص ٣٢ رقم ٩، والحاكم في مستدركه ٣/ ١٣٣، وشواهد التنزيل للحسكاني ١/ ١٢٠ برقم ١٧٦١٦٨، ومناقب ابن المغازلي ٣٣١ برقم ٣١٠، وكفاية الطالب ١٤١- ١٤٤، وتفسير الطبري ٣/ ٢١١-٢١٣، وابن كثير ١/ ٣٧٠، وتفسير الكشاف للزمخشري ١/ ٢٨٢-٢٨٣، وتفسير القرطبي٢/ ٤/ ٦٧، وأسباب النزول للواحدي ٥٨، وفتح القدير للشوكاني ١/ ٣٤٧-٣٤٨. وتفسير الفخر الرازي ٤/ ٩٠-٩١ وجامع الأصول لابن الأثير ٨/ ٦٥٠ برقم ٦٤٩١، وذخائر العقبى ٢٥، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ١٥٨ وتفسير الخازن ١/ ٤٦٦، وتفسير البغوي ١/ ٤٦٧، وأسد الغابة ٤/ ٩٩، والإصابة ٢/ ٥٠٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٣٧٦، وتفسير أبي السعود ٢/ ٤٦، ومصابيح السنة للبغوي ٢/ ٥٢١ برقم ٢٧٠٠، ومجمع البيان ٢/ ٣/ ١٠١، والدر المنثور ٢/ ٦٨-٧٠، وتفسير الماوردي ١/ ٣٩٨، والجلالين ٧٧، وتفسير الميزان ٣/ ٢٢٩.

(٢) أعيان الشيعة ١/ ٤٤٣، والطبري ٤/ ٤٢٧، والاستيعاب ٣/ ٥٩ - ١٦٠.

(٣) في (ج): أمير المؤمنين.

إذا نحن بايعنا عليًا فحسبنا أبو حَسَنٍ مما نخاف من الفتن
وجدناه أولى الناس بالناس إنه أطب قريش بالكتاب وبالسنن
وإن قريشًا ما تشق غباره إذا ما جرى يومًا على الضُمَّرِ البُدُن
وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم كل الذي فيه من حسن

وقال خزيمة بن ثابت رحمه الله أيضًا عند اختلاف الناس على علي عليه السلام بعد البيعة – وكان يسمَّى ذا الشهادتين، قطع به رسول الله صلى الله عليه وآله وحده –:

ويلكم إنه الدليل على اللـ ـه وداعيه للهدى وأمينه
وابن عم النبي قد علم النّاس جميعًا وصنوه وخدينه
كل خير يزينهم هو فيه وله دونهم خصال تزينه
ثم ويل لمن يبارز في الرو ع إذا ضمت الحسام يمينه
ثم نادى أنا أبوالحسن القر م فلا بد أن يطيح قرينه

(وقعة الجمل)

ولما استقرت له البيعة عليه السلام أتاه طلحة والزبير فاستأذناه للحج، فقال: ما الحج تريدان! ولكن اذهبا فذهبا، والتقوا بعائشة مقبلة من الحج، وعبدالله بن عامر، وجاء يعلى بن مُنية[1] من اليمن– وكان عاملاً فيه لعثمان، فاشتَوَرُوا واتفقت آراؤهم على الخروج إلى البصرة لمخالفة علي عليه السلام، والطلب بدم عثمان، وهؤلاء من عيون أهل عصرهم في الدنيا والدين[2]، ولهذا قال علي عليه السلام: في حربهم بُلِيتُ بأشجع الناس في الناس –يعني الزبير، وأطوع الناس في الناس–

(١) هو يعلى بن أميه، ومنية هي أمه لقب بها. أسد الغابة ٥/ ٤٨٦.

(٢) الطبري ٤/ ٤٥٠، والبداية والنهاية ٧/ ٢٥٧، والكامل ٣/ ١٠٦، ومروج الذهب ٢/ ٣٥٦، وتأريخ اليعقوبي ٧/ ٧٩، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٥١.

يعني عائشة، وأغنى الناس في الناس يعني- يعلى بن منية[1]، و راودوا أم سلمة رضي الله عنها على الخروج معهم فأبت[2].

وكتبت عائشة إلى زيد بن صُوحان العبدي: بسم الله الرحمن الرحيم من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين زوجة النبي ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان أمّا بعد: إذا جآءك كتابي هذا فأقم في بيتك، واخذل الناس عن علي حتى يبلغك أمري، ولَيَبْلُغْني عنك ما أُسَرُّ به، فإنك من أوثق أهلي عندي والسلام. فلمّا قرأ كتابها قال: أُمِرَتْ بأمر وأمرنا بغيره، أُمِرَتْ أن تجلس في بيتها، وأن تَقَرَّ فيه، وأمرنا أن نقاتل حتى لا تكون فتنة، فركبتْ ما أُمرنا، وتأمرُنا أن نركب ما أُمِرتْ به[3]. ثم إن عائشة وطلحة والزبير ومن انضاف إليهم ساروا حتى نزلوا البصرة، وفيها عامل علي عليه السلام عثمان بن حنيف رحمه الله تعالى، فهَمُّوا بقتله، ثم حبسوه وحلقوا لحيته، وقتلوا رجالاً كثيراً كانوا معه على بيت المال وغير ذلك من أعماله[4]، فلمّا بلغ عليّاً عليه السلام مسيرُهم خرج مبادراً إليهم واستنجد أهل الكوفة، ثم سار بهم إلى البصرة وهم بضعة عشر ألفًا، فخرج إليهم طلحة والزبير وعائشة بأهل البصرة فاقتتلوا قتالاً شديداً، وهُزِمَ عسكرُ عائشة، وأمر أمير المؤمنين صلوات الله عليه بردِّها إلى المدينة، وقد كان رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمر، فإذا كان ذلك فارددها إلى مأمنها». **وروينا** أن عليًّا عليه السلام خرج على بغلة رسول الله ﷺ فنادى بأعلى صوته: «ادعوا لي الزبير، فَدُعِيَ به، فقال علي: أنشُدُكَ الله، أتذكر يوم مرَّ بك رسول الله ﷺ، ونحن في مكان كذا؟ فقال: يا زبير أتحب

---

(١) الاستيعاب ٢/ ٣١٨، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٦٣.

(٢) كتاب الفتوح ٢/ ٤٥٤، وتأريخ اليعقوبي ٢/ ٧٨.

(٣) الطبري ٤/ ٤٧٦، والبداية والنهاية ٧/ ٢٦١، وتأريخ اليعقوبي ٢/ ٨٠.

(٤) الطبري ٤/ ٤٦٩، ومروج الذهب ٢/ ٣٥٨، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٥٩.

عليًا؟ فقلت: ألا أُحبُّ ابن خالي وابن عمي، ومَنْ على ديني! فقال: يا علي أتحبُّه؟ فقلت: ألا أحب ابن عمتي، ومن على ديني! فقال: يا زبير أما والله لتقاتلنَّه وأنت له ظالم، فقال الزبير: بلى والله لقد نسيت منذ سمعته، ثم تذكرته الآن، والله لا أُقاتلُكَ، فرجع الزبير يشقُّ الصفوف، فعرض له ابنه عبدالله، فقال: مالك؟ قال: ذكَّرني عليٌّ عليه السلام حديثًا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لَتُقاتلنَّه وأنتَ لهُ ظالمٌ»[1] فلا والله لا أقاتله، ثم ولَّى وأنشد:

تَرْكُ الأمور التي تُخشَى عواقبُها ... لله أجمل في الدنيا وفي الدين

نادى عليٌّ بأمر لستُ أُنكرُه ... قد كان عَمْرُو أبيك الخيرَ مُذْحين

فاخترت عاراً على نار مؤجَّجَة ... أنَّى يقوم لها خلق من الطين

ثم ذهب حتى نزل بوادي السباع، فقتله ابن جرموز وأتى برأسه عليًا عليه السلام فقال: أشهد أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «بشر قاتل ابن صفية بالنار»[2] فقال ابن جرموز:

أتيت عليًّا برأس الزبير ... وقد كنت أرجو به الزلفة

فبشر بالنار قبل العيان ... فبئست بشارة ذي التحفة

فسيان عندي قتل الزبير ... وضرطة عنز بذي الجُحْفَة[3]

ودعى عليٌّ عليه السلام أيضًا بطلحة فقال له: نشدتك الله، هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «مَن كنتُ مولاهُ فعليٌّ مَولاهُ، اللهم والِ مَن والاه، وعاد من عاداه»؟ قال: نعم. قال: فلمَ تُقاتلُني؟ قال: لم أذكر، وانصرف[4].

وروي أنه لما رُمِيَ بسهم قال بعد ما أفاق من غشيته: ما رأيتُ مصرع قرشي

---

(١) أمالي أبي طالب ص ٧٠.

(٢) القرطبي ٨/ ٢١١.

(٣) الاستيعاب ٢/ ٩٢، والبداية والنهاية ٧/ ٢٦٩، ومروج الذهب ٢/ ٣٦٢، وكتاب الفتوح ٢/ ٤٦٩، وتأريخ اليعقوبي ٢/ ٨١.

(٤) الاستيعاب ٢/ ٣١٨، ومروج الذهب ٢/ ٣٦٤.

أضل من مصرعي. وروي أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه دفع رايته يوم الجمل إلى محمد بن الحنفية، وقال: تقدمَ يا بني، فتقدم، ثم وقف ساعة، فصاح به: اقتحم لا أم لك، فحمل مُحمدٌ وطعن بها في أصحاب الجمل طعنًا منكرًا فأُعجب به عليه السلام، فجعل يُنشدُ:

اطعن بها طعن أبيك تُحمد لا خير في الحرب إذا لم توقد

ورجع ثم استل أمير المؤمنين عليه السلام سيفه وحمل على القوم فضرب فيهم يمينًا وشمالاً ورجع وقد انحنى سيفه فجعل يسويه بركبتيه، فقيل له: نحن نكفيكها يا أمير المؤمنين، فلم يجب أحدًا حتى سواه، ثم حمل ثانيًا حتى اختلط بهم، ثم رجع، وقد انحنى سيفه فوقف يسويه بركبتيه، ويقول: والله ما أريد بذلك إلا وجهَ الله والدارَ الآخرة، ثم التفت إلى ابنه محمد وقال: هكذا فاصنع يا بني.

وخرج عمرو بن اليثربي وقتل ثلاثة من أصحاب أمير المؤمنين، وطلب البراز، فخرج إليه عمّار، وألقاهُ عن فرسه وجرهُ حتى ألقاه بين يدي أمير المؤمنين، فأمر بضرب عنقه، فقال: استبقني لأقتل منهم مثل ما قتلتُ من أصحابك، فقال: أبعد ثلاثة من أصحابي! فقالَ: أدْن مني أُذُنَك أكلمك، فقال: أنت رجل متمرد، وقد أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بكل متمرد، فقال: لو أدنيت مني لقطعت أُذُنك، وقُتلَ، فخرج أخوه عبدالله بن اليثربي يرتجز ويقول:

أضـربْكم ولو أرى عليّا عممته أبيض مشرفيا

فخرج عليٌّ عليه السلام وهو يقول:

أُثبت لتلقاه به مليّا مهذبًا سميدعًا كميا

فحمل عليه علي عليه السلام فضربه ضربة رمى بنصف رأسه فقتله وانصرف. فصاح صائح من خلفه، فالتفت فإذا بعبد الله بن خلف الخزاعي صاحب منزل عائشة، فقال: ما تشآء يا ابن خلف؟ فقال: هل لك في المبارزة؟ قال: ما أكره ذلك، ولكن

ما راحتُك في القتل؟ فقال: تُرَى أيُّنا يقتل صاحبه؟ ثم جعل يرتجز:

إن تدن مني يا علي فـتـرا ... فـإنني دان إليك شـبـرا
بصارم يسـقـيك كـأسًا مرًا ... ها إنَّ في صـدري عليك وِتْرا

فَثَنى عليٌّ عليه السلام عنانه، وأنشأ يقول:

يا ذا الذي يطلب مني الوَتْرا ... إن كنت تبغي أنْ تزور القبرا
حقًا وتصلى بعد ذاك الجمرا ... فـادْنُ تجـدني أسـداً هِزَبْرا
أسْعطك اليوم زعافاً مُرّا

وتطاعنا وتضاربا فضربه علي عليه السلام ضربة رمى بيمنه، ثم ثناه ضربة أخرى فأطار قحف رأسه، ثم وقف عليه وجعل يرتجز:

إياي تدعو في الوغى يا ابن الأرب ... . . . من أبيـات

ولما عُرْقِبَ الجمل ووقع، دنا أمير المؤمنين على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله فقرع الهودج برمحه وقال: يا عائشة، أهكذا أمرك رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت عائشة: قد ظفرت فأحْسِنْ، فقال لمحمد بن أبي بكر: شأنك بأختك، فأدْخلها البصرة ثم ردّها إلى المدينة.

وروي عن أبي جعفر عليه السلام أن أمير المؤمنين صلوات الله عليه يوم الجمل كان في خمسة عشر ألفًا، وطلحة والزبير في خمسة وثلاثين ألفًا، فما كان إلا ثلاثُ ساعات أو أربع حتى قُتل من الفريقين زُهَاء نَيِّف وعشرين ألفًا، ولما انهزم أصحاب الجمل بعث أمير المؤمنين ابن عباس إلى عائشة في خمسين نسوة من أهل البصرة يأمرها بالانصراف إلى بيتها بالمدينة الذي تركها فيه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال له: قل لها: إن الذي يردها خير من الذي يخرجها، ثم نادى مناديه: لا تجيزوا على جريح، ولا تَتْبَعُوا مدبراً، ولا تقتلوا شيخًا فانيًا ولا امرأة: مَنْ دخل داره وألقى سلاحه فهو آمن، وما حوت المنازل والدور فهو ميراث. وإنما فعله؛ لأنه لم يكن لهم فِئَة.

وروينا بالإسناد[1] إلى السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم[2] الحسني رضي الله عنه بإسناده إلى ابن مسعود قال: قلت: يا رسول الله من يغسلك إذا متّ؟ قال: يغسّل كلَّ نبي وصيُّه، قال: قلت: يا رسول الله مَنْ وصيك؟ قال: علي بن أبي طالب، قلت: يا رسول الله كم يعيش بعدك؟، قال: ثلاثين سنة، وإن يوشَع بن نون عاش بعد موسى ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى، وقالت: أنا أحق بالأمر منك، فقاتلها وقاتل مقاتلتها، وأسرها وأحسن أسرها، وإن بنت أبي بكر ستخرج على علي في كذا وكذا ألفًا من أمتي، فيقاتلها ويقاتل مقاتليها، ويأسرها ويحسن أسرها، وفيها وفي صفراء أنزل الله: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ [الأحزاب: ٣٣][3]، يعني صفراء في خروجها على يوشع بن نون.

وروينا عنه رضي الله عنه رواه بإسناده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لنسائه: ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأذنب؟ لا تخرج حتى تنبحها كلاب الحوأب، يقتل عن يمينها، وعن يسارها قتلى كثير في النار[4].

قال الشيخ العالم أبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الزيدي رضي الله عنه في كتاب المحيط بالإمامة: ولا شبهة عند أهل النقل أن النبي ﷺ كان أخبر عائشة أن كلاب الحوأب تنبحها في سيرها، وأنها لمّا بلغت الحوأب ونبحتها كلابه، سألت الجمّال عن ذلك الموضع فعرّفها أنه الحوأب، فأمرت أن يناخ بعيرها واضطربت، حتى جاء أصحابها، وحلف -على ما في الخبر- نحوُ ثلاثين

---

(١) في (ب): الموثوق به.

(٢) (أحمد بن إبراهيم) ساقط من (أ).

(٣) المصابيح ٣٠٥ برقم ١٥١.

(٤) المصابيح ٣٠٦ برقم ١٥٤، وحكى ما يوافق ذلك الاستيعاب رقم ٤٧٤، وكنز العمال ٥/ ٤٩٢.

رجلاً، وفي رواية أخرى خمسين رجلاً أن ذلك الموضع ليس بالحوأب، واشتهرت القصة في ذلك حتى ذكر أهل اللغة كلاب الحوأب في كتبهم.

قال الخليل في كتاب العين: الحوأب موضع حيث نبحت الكلاب على عائشة، وقال ثعلب في كتاب الفصيح: وهي كلاب الحوأب مهموز، وذكر القتيبي في أدب الكتّاب: ولشهرته استُدل بذلك على مُعجز النبي صلى الله عليه وآله، وأنه كان أخبر أن كلاب الحوأب تنبحها في مسيرها، وأن الأمر كان كما قال صلى الله عليه وآله.

وروينا بالإسناد عن السيد أبي العباس رضي الله عنه بإسناده عن أم هانيء: (قد علم من جرت عليه المواسي أن أصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي، وقد خاب من افترى)[1]. وبالإسناد إليه رضي الله عنه بإسناده إلى عليٍّ عليه السلام قال: (لقد عَلمَتْ صاحبةُ الجمل أن أصحاب النهروان وأصحاب الجمل ملعونون على لسان النبي الأمي صلى الله عليه وآله)[2].

وروى صاحب المحيط في الإمامة رضي الله عنه بإسناده عن ابن عباس قال: مرض عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله ليعوده في مرضه فرأى طلحة عند رأسه والزبير عند رجليه فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وآله: (يشتد عليكما مرض علي؟ فقالا: سبحانه الله! وكيف لا يشتد علينا مرض علي؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «والذي نفسي بيده إنكما لا تَخرُجان من الدنيا حتى تقاتلاه وأنتما له ظالمان»[3]. وقتل طلحةَ مروانُ بن الحكم[4]. وفي الرواية لما صُرِعَ مَرَّ به رجل من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أمِن أصحابنا؟ أم من أصحاب أمير المؤمنين؟

(١) المصابيح لأبي العباس ٣٠٦ رقم ١٥٥.

(٢) المصابيح ٣٠٧ رقم ١٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٥٠٢.

(٤) المصابيح ٣١٣ رقم ١٦٠ وابن عبدالبر في الاستيعاب (٢/ ٣١٦-٣٢١) وشرح النهج ٩/ ١١٣.

فقال: بل من أصحاب أمير المؤمنين فقال: ابسط يدك لأبايعك لأمير المؤمنين فألقى الله علي بيعته، أما والله ما كفتنا آية من كتاب الله، وهي قوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾ [الانفال: ٢٥] فوالله لقد أصابت الذين ظلموا منا خاصة.

وكانت وقعة الجمل لعشر خلون من شهر جمادى الأخرى سنة ست وثلاثين، وكانت عدة القتلى ثلاثين ألفاً برواية وكيع، ولما انقضى حرب الجمل بالفتح المبين لأمير المؤمنين عليه السلام، وبلغ إلى معاوية ذلك؛ كتب إلى علي عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

لعلي بن أبي طالب من معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد: فو الله ما بقي أحد أحب أن يكون هذا الأمر إليه منك، ولقد عرفت رأي أبي قبل، لقد جاءك يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وآله يدعوك إلى البيعة، فأنا إلى ذلك اليوم أسرع إن أعطيتني النَّصَفَ، أو تحاملت على نفسك لقرابتي؛ إن استعملتني على الشام، وأعطيتني ما أثلج به لا تعزلني عنه بايعت لك ومن قِبَلي وكنا أعوانك، فقد رأيتَ عمر قد ولاني فلم يجد علي، وإن لم تفعل فوالله لأجلبن عليك خمسين ألف حصان قارح في غير ذلك من الخيل[1]. فلما قرأ علي عليه السلام الكتاب استشار فيه عبدالله بن عباس، والحسن بن علي، وعمّار بن ياسر رجلاً رجلاً، فقال عمّار: والله ما أرى أن تستعمله على الزرقاء وإنما بها خمسة أنفس، فقال علي عليه السلام: اطو ذلك، ثم دعا الحسن وابن عباس، فقالا قد كنا أشرنا عليك أن تُقرَّه على عمله ولا تحركه حتى إذا بايع الناس أخذت ما أردت وأقررته إن رأيته أهلاً لذلك[2].

---

(١) المصابيح ٣٠٨.

(٢) المصابيح ٣٠٨،

وروينا عن السيد أبي العباس بإسناده أن عليًا عليه السلام قال: كان المغيرة بن شعبة قد أشار عليَّ أن استعمل معاوية على الشام وأنا بالمدينة فأبيت عليه؛ ولم يكن الله ليراني أن اتخذ المضلين عَضُداً[1]، قال: قال الواقدي في حديثه: فلمّا علم معاوية ذلك من علي عليه السلام قال: والله ما كتبت إليه وأنا أريد أن آليَ له شيئًا، ولا أبايعه، ولكن أردت أن أخدعه وأقول لأهل الشام انظروا إلى عليٍّ، وإلى ما عرض عليَّ فيزيدهم بصيرة، ويختلف أهل العراق عليه، فأحضر العشية حتى تُسمع كلامي، فقام فحمد الله وأثنى عليه [و] قال: وكان إمامكم إمام الرحمة، والعفو، والبر، والصلاة، والصلة عثمان بن عفان، فبطر علي بن أبي طالب النعمة، وطالت عليه المدة، واستعجل أمر الله قبل حينه، وأراد أن يكون الأمر له فقتل إمامكم، وفرّق جماعتكم، وأطمع عدوكم فيكم. ومعه قميص عثمان وهو يقول: يا أهل الشام ذبح على هذا القميص كما تذبح الشاه، ثم بكى وأبكى أهل الشام ساعةً طويلةً، ثم قال: يا أهل الشام عمد ابن أبي طالب إلى البصرة، فسار إليها فلقي رجالاً لا يعرفون قتاله، وأنتم أهل مناصحة في الدين، وأهل طاعة للخلفاء، يا أهل الشام إن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وأنتم ولاة دم خليفتكم، والقائمون به، وأنا معكم، فأجابه أهل الشام: سِرْ بنا حيث نصر إمامنا ونطلب بدمه، والذي أمره بذلك- في حديث نصر بن مزاحم- عمرو بن العاص، قال نصر: حدثنا محمد بن عبيدالله، وعمر بن سعد، أن معاوية كتب إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين أما بعد: فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما بلغك، وقد سقط إلينا مروان بن الحكم في رافضة أهل البصرة، وقدم إلينا جرير بن عبدالله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك حتى تأتيني، فلما قدم الكتاب

(١)المصابيح ٣٠٩.

على عمرو استشار ابنيه عبدالله ومحمداً فقال عبدالله : قِرَّ في منزلك ولاتكن حاشية لمعاوية على دنيا قليلة ، وقال محمد: إنك شيخ قريش ، وإن يضرم[1] هذا الأمر وأنت فيه خامل تصاغر أمرك ، فالحق بجماعة أهل الشام ، واطلب بدم عثمان ، فسار حتى قدم على معاوية ، فقال: أبا عبدالله إن عليًا نزل بالكوفة متهيئًا للمسير إلينا ، فقال: والله ما تُسوِّي العرب بينك وبينه في شيء إلا أن تظلمه .

وفي حديث عمر بن سعد أنه قال: أدعوك إلى جهاد هذا الرجل الذي عصى ربه ، وشق عصى المسلمين ، وقتل الخليفة ، فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعليٌّ بعكمَي بعير ، فما تجعل لي أن أبايعك على ما تسمع من العز والخطر .

وفي حديث عمر بن سعد أنه قال: أبا عبدالله ، إني أكره أن تحدث العرب أنك دخلت في هذا الأمر لغرض دنيا ، قال عمرو : دعني منك فإن مثلي لا يخدع لأنا أكيس من ذلك ، فما تعطيني؟ قال: مصر طعمةً. فخرج عمرو من عنده ، فقال ابناه: ما صنعت؟ قال: أعطانا مصر. قالا : وما مصر في ملك العرب؟ قال: لا أشبع الله بطونكما إن لم تشبعا بمصر[2] .

ثم إن أمير المؤمنين عليه السلام أمر مناديه ، فنادى في الناس أن اخرجوا إلى معسكركم بالنُّخَيْلة فأجابوه ، ولم يبرح في النخيلة حتى قدم إليه ابن عباس مع أهل البصرة ، ثم سار حتى إذا جاوز الجسْر نزل في مسجد أبي سَبْرة فقصر فيها صلاة الظهر ، ثم سار حتى نزل دير أبي موسى على فرسخين من الكوفة فصلى العصر ، وقدم زياد بن النضر الحارثي في ثلاثة آلاف ، وشريح بن هاني في ألفين فمضيا حتى إذا جازا عرض الجزيرة فلقيهما أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي في حد الشام في خيل عظيمة ، فدعواه إلى الطاعة فأبى إلا القتال ، فراسلا أمير

---

(١)في (ب) : وإن انصرم .

(٢)ابن مزاحم في وقعة صفين ص٣٨ ، وابن أبي الحديد شرح النهج ٢/ ٦٥ .

المؤمنين، فدعا عليٌ عليه السلام مالك بن الحارث الأشتر رحمه الله، وقال: إذا قدمت عليهم فأنت أمير، ولا تبدأ القوم بالقتال إلا أن يبدؤك، واجعل على ميمنتك زيادًا، وعلى ميسرتك شريحًا، ولا تحاربهم حتى نقدم عليك، فمضى الأشتر، وخرج أمير المؤمنين عليه السلام في أثره حتى بلغ صِفّين وهو من الرقة على عشرة أو خمسة فراسخ.

وروينا من غير طريق السيد أبي العباس أن عليًا عليه السلام لما سار جعل يقول: سيروا إلى قتال أهل الشام العتاة الطغاة، سيروا إلى أولياء الشيطان، وأعداء السنة والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، سيروا إلى الكذبة الفجار وقتلة المهاجرين والأنصار، وجعل عمار بن ياسر يرتجز ويقول:

سيروا فخير الناس أتباع علي سيروا إلى الأحزاب أعدآء النبي
وَقَودُنا الخيل وهَزُّ السَّمْهَرِيّ هذا أوانٌ طاب سل المشرفي

ولما خرج عليه السلام من الأنبار سائرًا أخرج في طريقه عينًا بقرب دَيْرٍ، فسئل الراهب؟ فقال: إنما بُنِي هذا الدير لهذه العين، وإنه عين رَاحُومَا ما استخرجها إلا نبي أو وصي نبي، ولقد شرب منها سبعون نبيًا، وسبعون وصيًا، فأخبروا بذلك عليًا عليه السلام.

وكانت تعبئة أمير المؤمنين عليه السلام لعسكره: على خيل ميمنته الحسن والحسين، وعلى رجّالتها عبدالله بن جعفر ومسلم بن عقيل، وعلى خيل الميسرة محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر، وعلى رجّالتها هاشم بن عتبة، وعلى جناح القلب عبدالله بن العباس، وعلى رجّالته الأشتر والأشعث، وعلى الكُمَّين عمار بن ياسر.

وروي أنه عليه السلام كان في تسعين ألفًا، ومعاوية لعنه الله في مائة وعشرين ألفًا، وكان في عسكره عليه السلام من الأنصار، ثمان مائة أو تسع مائة ممن بايع تحت

الشجرة، وثمانون بدريًا، وأول وقائعهم وقعة الأشتر مع أبي الأعور السلمي وكانا قد سبقا العسكرين، ثم وقعة الماء عند نزول العسكر بصفين. قال السيد أبو العباس رحمه الله: قتل في اليوم الأول زيادة على ألف رجل سوى الجرحى، وأميرهم يومئذ عمار بن ياسر رحمه الله في خمسة عشر ألفًا[1].

قال: وفي حديث أبي مِخنَف لوط بن يحيى الأزدي أن أمير المؤمنين عليه السلام شخص من النخيلة لخمس مضين من شوال، ولم يقاتلوا إلا غرة صفر، إلا ما كان من القتال حين وردوا الماء أولاً، ثم اتصل القتال شهر صفر كله إلى ليلة الهرير من ربيع الأول، وكانت في صفين أخبار يطول ذكرها.

فمن ذلك ما روي أن عليًا عليه السلام خطب في بعض أيام صفين وحث الناس على القتال، فقام قيس بن سعد بن عبادة فتكلم، فلامه المشيخة على أن تكلم أوّلاً فقال: إنكم لسادتي وعمومتي ولكن وجدت الدين في صدري قد جاش فلم أجد بُدًا من الكلام، وكتب إلى معاوية كتابًا أوله:

معاوي قد كنت رِخْوَ الْخناق ... فألقحْتَ حربًا تُضيقُ الخناقا

من قصيدة. وخرج في بعض أيام صفين يرتجز ويقول:

أنا ابن سعد وأبي عبادة ... والخزرجيُّون رجالٌ سادة

ليس فراري في الوغى بعادة ... يا ذا الجلال لَقِّني الشهادة

شهادة تتبعها سعادة ... حتى متى تثنى لي الوسادة

فخرج إليه بسر، فجرحه قيس وانهزم بسر، وروي أن معاوية دعا بالنعمان ابن بشير وسلمة بن مجالد، وذم الأنصار، وقال: ما لقيت منهم؟ لا أسأل عن رجل إلا قيل: قتله[2] فلان الأنصاري، فبلغ ذلك قيسًا، فقال بعد كلام: بلغني أن

---

(١) المصابيح ٣١٢- ٣١٣.

(٢) في (ج): قتل.

ابن آكلة الأكباد قال: كذا وكذا، وقد أجاب عنكم صاحبكم النعمان بن بشير، ولعمري لأن وترتموه في الإسلام لقد وترتموهم في الجاهلية، وأنتم اليوم مع ذلك اللواء الذي كان يقاتل جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره، والقوم يقاتلون مع لوآء أبي جهل والأحزاب، وقال قصيدة يذم معاوية أولها:

يا ابن هند دع التوثب في الحر ب إذا نحن في الحروب دنونا

ثم خرج من الغد وحمل عليهم وأثّر أثراً منكراً حتى قال معاوية: إذا رأيتم هذا الرجل فاحترسوا عنه فإنه الأسد الضرغام.

وروينا بالإسناد عن ابن عباس رضي الله عنه قال: ما رأيت رئيسًا كأمير المؤمنين علي عليه السلام، ولقد رأيته يوم صفين وعلى رأسه عمامة بيضاء، وكأنّ عينيه سراجًا سليط وهو يحمش أصحابه إلى أن انتهى إليّ وأنا في كُثُف من المسلمين، فقال معشر المسلمين: استشعروا الخشية، وتجلببوا السكينة، وأخملوا اللّوم، وأخفوا الـجُبْنَ[1]، وأقلقوا السيوف في الغمد قبل السلة، والحظو الشَّزْرَ، واطعنوا النشر، ونافحوا بالظبا، وصلوا السيوف بالخطا، وامشوا إلى الموت سُجُحًا، وعليكم بالرواق المطنَّب فاضربوا ثبجه، فإن الشيطان راكدٌ في كِسْرِه، نافج حضنيه، مفترش ذراعيه، قد قدّم للوثبة يداً، وأخّر للنكوص رجلاً.

وروينا أنه كان لمعاوية مولى يقال له: حريث. وكان من أشجع الناس وأشبههم بمعاوية، وكان إذا حمل أيام صفين قال الناس: حمل معاوية، وكان لا يقوم له قائم، وكان معاوية مسروراً بموضعه، فقال له يومًا: يا حريث، بارز كل من بارزك، وقاتل كل من قاتلك؛ إلا عليًا فإنه لا طاقة لك به، فحسد عمرو ابن العاص حريثًا؛ لما يظهر من نجدته وبسالته فقال له: يا حريث، إن معاوية نَفِسَ عليك بقتل عليٍ؛ لأنك عبد، ولو كنت عربيًا وذا شرف لرضيك لهذا الأمر

(١) في (ب، ج): واعملوا اللؤم وأخفوا الجبّن.

والمنزلة، فإن قتلت عليًا انصرفت براية الفخر، وأعلا ذروة الشرف، فعمل في حريث قول عمرو. فلما برز علي عليه السلام أحجم الناس عنه، فتقدم إليه حريث، فضربَ عليًا عليه السلام ضربةً لم تؤثر فيه، وضربه علي عليه السلام فقتله، فاتصل الخبر بمعاوية فقلق وجزع، وقال: من أين أُتي حريث وقد كنت حذّرته عليًا، ومنعته من قتاله؟ فقيل: إن عمراً أشار عليه بذلك، فأنشا معاوية يقول:

حريث ألم تعلم وعلمك ضائع ... بأن عليًّا للفوارس قاهر
وأن عليًّا لم يبارزه واحدٌ ... من الناس إلاّ أقعصته الأظافر
أمرتك أمراً حازمًا فعصيتني ... فخدك إذ لم تقبل النصح عاثر
ودلاّك عمرو والحوادث جَمَّةٌ ... فلله ما جرَّت عليك المقادر
وظن حريث قول عمرو نصيحةً ... وقد يُهلك الإنسان ما لا يُحاذر

وخرج المخارق بن عبدالرحمن من أصحاب معاوية، فقتل أربعة من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وكشف عوراتهم، واحتز[1] رؤوسهم، فتنكر عليٌّ عليه السلام، وخرج فقتل ثمانية نفر من أصحاب معاوية واحتز رؤوسهم، ولم يكشف العورة، فقال معاوية لغلام له بطل: اكفني هذا الرجل، فقال: إني أرى رجلاً لو برز إليه جميع عسكرك لأفناهم، ولم يخرج، فجال علي عليه السلام ساعة ثم رفع المغفر وقال: أنا أبو الحسن. وخرج مولىً لعثمان يقال له: أحمر للمبارزة، فخرج إليه كيسان مولىً لعلي عليه السلام فحمل عليه أحمر فقتله، فقال علي عليه السلام: قتلني الله إن لم أقتلك، فحمل عليه فاستقبله أحمر وهو لا يعرفه فمدَّ علي عليه السلام يده إليه وقبض على ثوبه فضرب به الأرض وكسر منكبه وأضلاعه.

وحمل أمير المؤمنين عليه السلام في بعض المواقف على عمرو بن العاص فأسقطه عن فرسه فرفع عمرو رجله وأبدى عورته، فأعرض عنه أمير المؤمنين ورجع. ومعاوية يضحك فقال: مم تضحك؟ فقال: منك ومن علي، والله لقد وجدته

---

(١) في (ج): وأكب يحتز.

هاشميًا مليًا بالنزال، لا ينظر إلى عورات الرجال، وقال احمد اللهَ يا عمرو وعورتَك، فقال عمرو: يا معاوية، أما والله لو بدا له من صفحتك لأوجع قذالك وأيتم عيالك، وأنهب مالك.

وفي بعض الأخبار أن معاوية ضحك، فقال عمرو: مم تضحك؟ فقال: يضحكني دفعك عليًا عن نفسك بالإستاه، ولقد كان كريمًا لا ينظر إلى عورات الرجال، فقال له: هلا ضحكت إذ دعاك علي إلى البراز، فَاحْوَلَّتْ عيناك، ومالت شدقاك، وارتعدت فرائصك، وبدا من أسفلك شيءٌ أكره ذكره.

وخرج بعد أيام بسر بن أرطأة إلى علي عليه السلام وهو لا يعرفه، فلما بصر به عرفه، وحمل عليه علي عليه السلام، فسقط عن فرسه، ورفع رجله، وكشف عورته، وصرف علي عليه السلام وجهه، ووثب بسر هارباً، فضحك معاوية من بسر، وقال: لا عليك، فقد نزل بعمرو ما نزل بك، وصاح فتى من أهل الكوفة ويلكم يا أهل الشام أما تستحيون لقد علَّمكم عمرو بن العاص في الحرب كشف الإستاه، ثم أنشأ يقول: –

أفي كل يوم فارس ذو كريهة	له عورة وسط العجاجة باديه
يكف له عنه علي سنانه	ويضحك منه في الخلاء معاويه
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه	وعورة بسر مثلها حذو حاذيه
فقولا لعمرو وابن أرطأة انظرا	سبيلكما لا تلقيا الليث ثانيه
فلا تحمدا إلا الخنا[1] وخصاكما	هما كانتا والله للنفس واقيه
فلولا هما لم تنجوا من سنانه	وتلك بما فيها عن العنود ناهيه

وكان بسر مرة يضحك من عمرو، وعمرو يضحك من بسر.

وتحامى أهل الشام عليًا عليه السلام وخافوه خوفًا شديداً، وصار حديث عمرو

---

(١) الخنا: الفحش. المختار ١٩٢.

مثلاً حتى قال أبو فراس:

ولا خير في دفع الردى بمذلّة — كما ردّها يومًا بسوءته عمرو

وخرج علي عليه السلام يومًا ووقف وأنشأ يقول:

أنا عليٌّ فاسألوني تخبروا — ثم ابرزوا لي في الوغى أو أدبروا

سيفي حسام وسناني يزهر — منا النبي الطاهر المطهَّر

وحمزة الخير ومنا جعفر — وفاطم عرسي وفيها مفخر

هذا لهذا وابن هند مُخْجَر — مذبذب مطرد مؤخَّر

فقال معاوية: إنه ليدعوني أبدًا إلى البراز حتى لقد استحييت من قريش. فقال أخوه عتبة: الهَ عن كلامه فإنك تعلم أنه قتل حريثًا، وفضح عَمْراً، ولا تَقَدَّمَ إليه امرؤ إلا وقد أيس من نفسه، ولو برزت إليه لا شممت رائحة الحياة أبداً.

وروى الحاكم رحمه الله عن علقمة والأسود بن يزيد، قال: أتينا أبا أيوب الأنصاري فقلنا له: يا أبا أيوب إن الله تعالى أكرمك بنبيه صلى الله عليه وآله إذ أوحى إلى راحلته فبركت على باب دارك، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله ضيفًا لك فضيلة من الله فضلك بها، أخبرنا بمخرجك مع علي عليه السلام يقاتل أهل لا إله إلا الله، فقال أبو أيوب: فإني أقسم لكما بالله تعالى لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله معي في هذا البيت الذي أنتما معي فيه، وما في البيت غير رسول الله صلى الله عليه وآله وعليٌّ عليه السلام جالسٌ عن يمينه، وأنا جالس عن يساره، وأنس قائم بين يديه، إذ حرّكَ الباب، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أنس انظر من بالباب فخرج أنس فنظر، ثم رجع فقال: يا رسول الله هذا عمار بن ياسر، فقال رسول صلى الله عليه وآله: افتح لعمار الطيب المطيّب، ففتح أنس الباب فدخل عمّار فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله فرحب به، ثم قال لعمّار: «إنه سيكون في أمتي من بعدي هَناتٌ حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضًا، وحتى يتبرأ بعضهم من بعض، فإذا أنت رأيت

ذلك فعليك بهذا الأصلع عن يميني يعني علي بن أبي طالب فإن سلك الناس كلهم واديًا وسلك علي واديًا فاسلك وادي علي، وخل عن الناس، يا عمار إنَّ عليًّا لا يردك عن هدى، ولا يدلك على ردى، يا عمار طاعة عليٍّ طاعتي، وطاعتي طاعة الله».

ولما قُتلَ عمار رضي الله عنه قويت بصائر المسلمين في الجهاد بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام، وكان خزيمة بن ثابت كافًا لسلاحه حتى قتل عمار فسل سيفه، وقال: قد حلَّ لي القتال فقاتل حتى قتل رحمه الله.

وقال عبدالله بن عمرو بن العاص: اليوم صح لي أنك يا معاوية على الباطل؛ لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»[1] فقال معاوية: أنحن قتلناه؟ إنما قتله من جآء به. قال: فإنما قَتَلَ حمزة النبي صلى الله عليه وآله، ولما رأى علي عليه السلام عمّاراً مقتولاً وقف عليه وقال: «إنا لله وإنا إليه راجعون، إن امرءاً لم تدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو من الإسلام في شيء» ثم قال: «رحم الله عماراً يوم قُتلَ، ويوم يُبعثُ، ويوم يُسئلُ» فوالله لقد رأيت عماراً، وما يذكر من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ثلاثة إلا كان رابعهم، ولا أربعة؛ إلا كان خامسهم، إن عماراً وجبت له الجنة في غير موطن، فهنيئًا له الجنة، ولقد قتل مع الحق، والحق معه، فَقَاتِلُ عمّار وسالب عمار، وشاتم عمار في النار، وصلى عليه عليٌّ عليه السلام ودفنه.

وروى الحاكم رحمه الله عن عبدالله بن سلمة قال: رأيت عمارًا يوم صفين شيخًا آدم طُوالاً أخذ الحربة بيده، ويده ترتعد وهو يقول: والذي نفسي بيده لقد قاتلت هـذه الراية مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وهـذه الرابعة والذي نفسي بيده

---

(1) أخرجه مسلم ٤/ رقم ١٨٧٤، والطبراني في الأوسط ٤/ رقم ٣٤٣٨، والبيهقي في السنن ٢/ ١٤٨، ومسند أحمد ٤/ ٣٧ رقم ١١١٣١، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٨، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٢، والدارمي ٢/ ٤٣٢، والشجري ١/ ١٤٣.

لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعرفنا أنّا على الحق وهم على الضلالة، وقال ﷺ لعمار: «تقتلك الفئة الباغية» وآخر زادك ضَياحٌ[1] من لبن، فلما كان اليوم الذي قتل فيه شرب شربة من لبن، ثم كان يقول الجنة الجنة تحت الأسنة، اليوم ألقى الأحبة محمداً وحزبه.

وممن كان مع أمير المؤمنين عليه السلام يوم صفين أُوَيْس القَرَني المشهور فضله، رحمة الله عليه ورضوانه، وكانت الوقائع بصفين تسعين وقعة، وأقام أمير المؤمنين عليه السلام بصفين ومعاوية مائة يوم وعشرة أيام حتى أفضى الأمر إلى التحكيم.

قال السيد أبو العباس رحمه الله بإسناده عن الحارث بن أدهم: إن الناس بصفين زحف بعضهم إلى بعض وارتموا بالنبل حتى فنيت، ثم تطاعنوا بالرماح حتى تكسَّرت، ثم مشى بعضهم إلى بعض بالسيوف وعُمُد الحديد فلم يسمع السامعون إلا وقع الحديد بعضه على بعض لهو أشد هولاً في صدور الرجال من الصواعق. وأخذ الأشتر رحمة الله عليه فيما بين الميمنة والميسرة فاجتلدوا بالسيوف وعمد الحديد من صلاة الغداة إلى نصف الليل لم يصلوا لله صلاة، فلم يزل يفعل ذلك الأشتر بالناس حتى أصبح من المجالدة، وهي ليلة الهرير[2].

وفي رواية من غير السيد أبي العباس رحمه الله، أن عليّاً عليه السلام قَتَلَ في ليلة الهرير خمسمائة ونيفًا وثلاثين رجلاً. قال السيد أبو العباس: قال نصر عن عمر ابن سعد عن عمارة بن ربيعة قال: مرَّ بي والله الأشتر فأقبلت معه فقال: شدوا فداكم عمي وخالي شَدَّةً ترضون الله بها وتعزون بها الدين، ثم شد بالقوم حتى انتهى بهم إلى عسكرهم، ثم قاتلوا عند العسكر قتالاً شديداً، وأخذ علي عليه السلام لما رأى الظفر قد جاء من قبله يمده بالرجال، وجعل علي عليه السلام يقول لم يبق منهم إلا

(١) ضياح: اللبن الرقيق الممزوج. لسان العرب ٢/ ٥٢٧.

(٢) المصابيح ٣١٨ رقم ١٦٥، وشرح نهج البلاغة ١/ ٤٢٠، وقعة صفين لابن مزاحم ٤٧٤.

آخر نَفَس، فدعا معاوية عمرو بن العاص فقال: ما ترى، فقال: إن رجالك لا يقومون برجاله، ولست مثله يقاتلك على أمر وتقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون من علي إن ظفر بهم، ولكن ألق إليهم أمرًا إن قبلوه اختلفوا، وإن ردوه اختلفوا، ادعهم إلى كتاب الله حكمًا فيما بينك وبينهم، فإنك بالغ به حاجتك[1].

قال نصر: حدثنا عمرو بن سمرة بإسناده عن جابر قال: سمعت تميم بن خزيم يقول: لما أصبحنا من ليلة الهرير، نظرنا فإذا المصاحف ربطت على رؤوس الرماح. قال أبو جعفر وأبو الطفيل: وضعوا في كل مجنبة[2] مائتي مصحف، فكان جميعها خمسمائة مصحف، ثم نادوا هذا كتاب الله بيننا وبينكم، وأقبل الأشتر على فرس كميت قد وضع مغفره على قربوس السرج يقول: اصبروا يا معشر المسلمين، قد حمي الوطيس واشتد القتال. قال نصر في حديث عمر بن سعد: فلما رفع أهل الشام المصاحف قال علي عليه السلام: أنا أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني لأعْرَفُ بهم منكم، صحبتهم صغاراً ورجالاً، وكانوا شر صغار، وشر كبار[3]، وما رفعوها إلا خديعة، فجاءه من أصحابه قدر عشرين ألفًا مقنعين في الحديد، سالّي سيوفهم على عواتقهم، قد اسودّت جباههم من أثر السجود، فقالوا: يا علي أجب القوم إلى كتاب الله أو نقتلك كما قتلنا ابن عفان، وابعث إلى الأشتر فيأتيك، فقال الأشتر: أمهلوني فواق ناقة لقد أحسست بالظفر، فقالوا له: تحب أنك ظفرت ويقتل أمير المؤمنين، أو يُسَلَّمَ إلى عدوه، فأقبل حتى انتهى

---

(١) المصابيح ٣١٨، وقعة صفين (٤٧٦-٤٧٧).

(٢) المجنَبة: بكسر النون المشددة: ميمنة الجيش وميسرته، وبفتحها مقدمة الجيش.

(٣) في (ب، ج): ورجال.

إليهم، فصاح: يا أهل الذلّ والوهن، أحين علوتم فظنوا أنكم قاهرون رفعوا المصاحف، حدثوني عنكم فقد قتل أماثلكم، متى كنتم محقين؟ أحين قتل خياركم! فأنتم الآن حين أمسكتم عن القتال مبطلين! أم أنتم محقون؟ فقتلاكم الذين كانوا خير منكم في النار! قالوا: دعنا منك يا أشتر، قال: خدعتم فانخدعتم، فسبوه وسبهم، وضربوا بسياطهم وجه دابته، وضرب دوابهم، وصاح بهم علي عليه السلام فكفوا، فبعث علي عليه السلام نفراً قُرآءً من أهل العراق، وبعث معاوية من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفين ومعهم المصاحف، واجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، ويميتوا ما أماته، وعلى أن يحكموا رجلين أحدهما من أصحاب علي عليه السلام، والآخر من أصحاب معاوية، فقال أهل الشام: اخترنا عمرا ابن العاص، فقال الأشعث والخوارج: رضينا بأبي موسى، فقال علي عليه السلام: إني لا أرضى به وليس برضى، وقد فارقني وخذل الناس عني، ثم هرب مني ولكن هذا ابن عباس، قال[1]: والله ما نبالي أنت كنت أو ابن عباس، قال: فإني أجعل الأشتر. فقال الأشعث: وهل ضيَّق سعة الأرض علينا إلا الأشتر، فقال علي عليه السلام: فإني أخاف أن يخدع يمنيُّكم، فإن عمراً ليس من الله في شيء، قال الأشعث: هو أحب إلينا، فقال علي عليه السلام: قد أبيتم إلا أبا موسى؟! قالوا: نعم. فبعثوا إلى أبي موسى، فجاء الأحنف بن قيس إلى علي عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين إن شئت أن تجعلني حكمًا، أو ثانيًا، أو ثالثًا فإنه لا يعقد عقدة إلا حللتها، ولن تحل إلاّ عقدت، فأبى الناس ذلك، ثم إن أبا موسى وعَمْرَ ابن العاص أخذا على علي عليه السلام ومعاوية عهدَ الله بالرضى بما حكما به من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، على أن الحكمين أن يحكما بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله، فإن لم يفعلا برئت الأمة من حكمهما، وللحكمين أن ينزلا منزلاً

(١) أي الأشعث قبحه الله.

عدلاً بين أهل العراق والشام لا يحضرهما فيه إلا من أحبا عن ملأ منهما وتراض، والناس آمنون على أنفسهم وأهليهم، وأموالهم إلى إنقضاء مدة الأجل، والسلاح موضوع، والسبيل مخلاة، وكان الكتاب في صفر، والأجل الذي يلتقي إليه الحكمان شهر رمضان، ثم إن الأشعث خرج بالكتاب يقرؤه على الناس، فرضي به أهل الشام، ثم مر برايات عَنَزَه وكان منهم مع علي عليه السلام أربعة الآف مجفف، فلما قرأه عليهم قال معدان وجعد (أخوان): لا حكم إلا لله، فهما أول من حكّم، ثم حملا على أهل الشام، ثم مرّا به على مراد، فقال صالح بن شقيق:

ما لعلي في الدمآء قد حكَم … لو قاتل الأحزاب يومًا ما ظلم

لا حكم إلا لله ورسوله، وقال بنو راسب كذلك، وكذلك رجل من تميم، وآخر يقال له: عروة بن أُديَّة حتى قالوا: يحكمون[1] الرجال، وقالوا لعلي: ارجع وتب كما تبنا وإلا برئنا منك فإنا لسنا نرضى بما في الصحيفة، ولا نرى إلا قتالهم، فقال علي عليه السلام: ولا أنا رضيت لكن لا رأي لمن لا يطاع، ولا يصلح الرجوع إلا أن يعصى الله ويتعدى حدود ما في كتابه فيقاتل من ترك أمره، ثم إن الناس أقبلوا على قتلاهم يدفنونهم[2]. ثم إن عليًا عليه السلام بعث شريح بن هاني في أربع مائة، وعبدالله بن عباس يصلي بهم، ومعهم أبو موسى. وجاء عمرو بن العاص في أربعمائة إلى دومة الجندل، فنزل عمرو بأصحابه، وابن عباس وشريح وأبو موسى مقابلهم. وكتب النجاشي شاعر علي عليه السلام عند ذلك إلى أبي موسى قصيدة منها:

أبا موسى جزاك الله خيراً … عراقك إن حظك بالعراق

وإن الشام قد نصبوا إمامًا … من الأحزاب معروف النفاق

وإنا لا نزال لهم عدواً … أبا موسى إلى يوم التلاق

---

(١)في (ج): أتحكمون.

(٢)المصابيح ٣٢٢.

فلا تجعل معاوية بن صخر إماماً ما مشى قدم بساق

ولا يخدعك عمرو إن عمراً أبا موسى لداهية الرفاق

وكان ابن عباس يعظ أبا موسى ويقول: إنما هو عمرو فلا تغترّنّ بقوله، فتدافعا قريباً من شهرين يجتمعون بين يومين وثلاثة، وكان رأي أبي موسى في ابن عمر، فقال له عمرو: يا أبا موسى كنّا مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر نجاهد ونقاتل المشركين، واليوم كما ترى وبكى، ثم نال من معاوية وذكر أنه لا يرضى بشيء من فعله. فقال أبو موسى: وأنا كذلك لا أرضى بعلي وذمّه. وجعل ابن عباس يستقره ما يجري بينهما، ويكتمه أبو موسى، ثم إن أبا موسى أتى عمراً واستخبره ما يريد، فقال: إن شئت أحيينا سنة عمر، فقال: إن كنت تريد أن تبايع ابنه فما يمنعك في ابني؟ فقال: إنه رجل صدوق ولكنك غمسته في الفتنة، قال: صدقت، واتفقا على أن يخلعا علياً عليه السلام ويجعلا الأمر في عبدالله ابن عمر، وبذلك خَدَعَ عمروٌ أبا موسى، ثم أقبلا إلى الناس وهم مجتمعون، وقال له عمرو: اصعد وتكلم، وقد كان ابن عباس قال له: قدِّم عمراً قبلك ثم تكلم بعده فإنه رجل غدّار، فصعد أبو موسى المنبر بين العسكرين فقال: اشهدوا أني قد خلعت علياً ونزع خاتمه، وقال: كما ترون... خلعت هذا الخاتم، ثم صعد عمرو.. فحمد الله وأثنى عليه، وقال: سمعتم خلعه صاحبه وقد خلعته أنا وبيده خاتم، وقال: وأثبت صاحبي كما أثبت الخاتم في إصبعي هذه وأدخل إصبعه، فقال أبو موسى: لا وفقك الله... غدرت وخنت، مثلك مثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، فقال عمرو: ومثلك مثل الحمار يحمل أسفاراً، والتمس أصحاب علي عليه السلام أبا موسى، فركب ناقته ولحق بمكة. فكان ابن عباس يقول: قبّح الله أبا موسى قد حذّرته فما عقل، فكان أبو موسى يقول: حذّرني ابن عباس غدرة الفاسق[1]، وقال بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام في

---

(١) المصابيح ٣٢٢-٣٢٣، وقعة صفين ٤٩٧-٥٤٨.

ذلك قصيدة أولها :

لَعمرُكَ لا أُلفَى مدى الدهر خالعًا علِيًا بقول الأشعري ولا عمرو

وقال بعضهم :

لو كان للقوم رأيٌ يعصمون به عند الخطاب رموكم بابن عباس

لله درُّ أبيـــــه أيما رجلٍ ما مثله لقضاء الحكم في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذُرى يَمَنٍ لم يدر ما ضربُ أخماس لأسداس

وروي أن أبا الأسود كان عند معاوية فذكر الحكمين، فقال: لو كنت مكان أبي موسى ما صنعت ما صنع، فقال له معاوية: فما كنت تصنع ؟ قال: كنت أجمع عدة من المهاجرين والأنصار، فأنشدهم بالله المهاجرون أحق بالخلافة أم الطلقاء؟ قال له معاوية: أقسمتُ بالله عليك لا تذكر هذا ما عشت.

وبلغ القتلى في أيام صفين من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفًا، ومن أصحاب علي عليه السلام خمسة وعشرون ألفًا، فيهم خمسة وعشرون بَدْريًا، وفيهم عمار بن ياسر رحمه الله، وهاشم بن عتبة، وعبدالله بن بُدَيْل بن ورقاء، وخزيمة ابن ثابت ذو الشهادتين في آخرين رحمة الله عليهم[1].

ثم كان أمر الخوارج وقتالهم[2]. وقد بينا أنهم أنكروا التحكيم الذي كان، واعتقدوا تكفير أمير المؤمنين صلوات الله عليه وكُفْرَ أنفسهم،[3] وطلبوا من علي عليه السلام التوبة، فقال علي عليه السلام: توبوا فلم تَكْفُرُوا، وارجعوا إلى حرب عدوكم، فقالوا: لا حتى تُقرَّ على نفسك، فقال: ويحكم أنتم فعلتم بأنفسكم وتركتم أمري. فخرج اثنا عشر ألفًا من العراقين، رئيسهم شَبث بن ربعي، وعبدالله بن الكوّا وعبدالله بن أوفى، ووهب الراسبي أصحاب الصوف والبرانس، فأرسل

---

(١)وقعة صفين ٥٥٧-٥٥٨ .

(٢)المصابيح ٣٢٤-٣٢٦ رقم ١٦٦ .

(٣)في (ب، ج) : كفرهم بأنفسهم .

علي ﷺ إليهم أبا أيوب الأنصاري، وصعصعة بن صوحان، ثم سار إليهم بنفسه في اليوم الثالث، واحتج عليهم فندمُوا على ذلك وانصرفوا إلى الكوفة، وأجمع أمير المؤمنين ﷺ على المسير إلى الشام، ووافقوه على ذلك، فجمع من الحجاز والبصرة ومن نواحيها أربعين ألفًا، وأنفذَ على مقدمته قيس بن سعد بن عُبادة في ستة الآف، فمضى إلى أرض الجزيرة[1]، وسار أمير المؤمنين صلوات الله عليه حتى نزل أرض مسكن، فلما كان في بعض الطريق من الليل خرج من أهل الكوفة والبصرة سبعة الآف، وقيل: ثمانية آلآف رجل فأغاروا وقتلوا عبدالله بن خبّاب ابن الأرت والي المدآئن وأمّ ولده وولداً له صغيراً ورجلا من بني أسد كان يحمل الميرة إلى عسكر علي ﷺ، فقيل لعلي ﷺ: كيف تخرج وعدونا في مكاننا يُغيْرُ علينا! فانصرفوا وانصرف أمير المؤمنين ﷺ إلى الكوفة، ومضى الخوارج إلى شَهْرزور ونواحيها، يغيرون، ويقتلون، ويَسْبُون، ورئيسهم من أهل الكوفة عبدالله بن وهب وزيد بن حصين، ومن أهل البصرة[2] مسْعَرْ بن فَدكي والمستوردْ ابن علقمة، فسار إليهم علي ﷺ مع قيس بن سعد وسهل بن حنيف ومَعْقلْ بن قيس وشريح بن هاني، ومالك الأشتر في زهآء عشرة آلآف حتى انتهى إلى النهروان في عسكره فوجد القوم قد تجردوا للقتال واستقبلوه بصدور الرماح؛ فنادى أمير المؤمنين ﷺ قنبراً فقال: يا قنبر ناد القوم ما نقمتم على أمير المؤمنين؟ ألم يعدل في قسمتكم، ويقسط في حكمكم، ويرحم مسترحمكم، لم يتخذ أموالكم دُولا، ولم يأخذ منكم إلا السهمين اللذين جعلهما الله سهمًا في الخاصة وسهمًا في العامّة، فقالت الخوارج: يا قنبر إن مولاك رجلُ جَدَلٍ، وهو رجل خَصِمٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨] وهو

---

(١) الجزيرة: موضع بعينه، وهو ما بين دجلة والفرات. مختار الصحاح ص١٠٢.

(٢) الجزيرة: موجودة في (ج) فقط.

منهم، وقد ردنا بكلامه الحلو في غير موطن. وجعلوا يقولون والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، فقال علي عليه السلام: يا ابن عبّاس، انهض إلى القوم فادعهم بمثل الذي دعاهم به قنبر، فإني أرجو أن يجيبوك، فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين أُلقِيْ عليَّ حُلتي، أو ألبس على سلاحي فإني أخافهم على نفسي، قال: بلى، فانهض إليهم في حُلَّتك،

من أي يومـيك من الموت تفـر ... من يوم لم يقـدر أم يوم قـدر

قال: فنهض ابن عباس إليهم ونـاداهم بمثل الذي أمره به[1]، فقالت طائفة: والله لا نجيبه حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين، وقال أصحاب الحجج في أنفسهم: والله لنجيبنَّه ولنخصمنَّه، ولنكفّرنّه، وصاحبه لاينكر ذلك، فقالوا: نقم عليه خصالا كلها موبقة مكفِّرة: أمّا أولاهُنَّ فإنه محى اسمه من أمير المؤمنين حيث كتب إلى معاوية؛ فإن لم يكن أمير المؤمنين فإنه أميرُ الكافرين؛ لأنه ليس بينهما منزلة، ونحن مؤمنون ولسنا نرضى أن يكون علينا أميراً.

ونقمنا عليه أن يُقَسِّمَ علينا يوم البصرة ما حوى العسكر. وسَفَكَ الدماء ومنعنا النسآء والذراري فلعمري إن كان حَلَّ هذا فما حرَّم هذا!

ونقمنا عليه يوم صفين أنه أحب الحياة وركن إلى الدنيا حُبّا بيِّنًا أن نقاتل معه وأن ننصره حيث رُفِعَتْ لنا مصاحف أهل الشام، فهلا ثبت وحرَّض على قتال القوم وضرب بسيفه حتى نرجع إلى أمر الله ونقاتلهم، واللهُ تعالى يقول: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّه لِلَّه ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وننقم عليه أنه حكَّم الحكمين فحكَمَا بجور لزمه وزْرُه[2].

ونقمنا عليه أنَّه ولّى الحكم غيره وهو عندنا من أحكم الناس.

---

(١) في (أ): بمثل الذي ناداهم به.

(٢) في (أ): ولزمه رده.

ونقمنا عليه أنَّه شَكَّ في نفسه حين أمر الحكمين أن ينظرا، فإن كان معاوية أولى بالأمر ولّوه، فإن شك في نفسه فنحن أعظم فيه شكًّا.

ونقمنا عليه أنَّه كان وصيًا فضيع الوصية، ونقمنا عليك يا ابن عباس حيث جئت ترفل إلينا في حُلّة حسنة تدعونا إليه. فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين قد سمعت ما قال القوم، فقال علي عليه السلام: لا ترتابنَّ ظفرت بهم والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، نادهم: ألستم ترضون بما أتيتكم به من كتاب الله لا تجهلون به، وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله لا تنكرونه؟ قالوا: اللهم بلى، قال: أبدأُ بما بدأتم به على مدار الأمر أنا كاتب رسول الله صلى الله عليه وآله حيث كتب: بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى سهيل بن عمرو وصخر بن حرب ومن قِبَلهما من المشركين عهداً إلى مدة، فكتب المشركون: إنا لو علمنا أنك رسول الله ما قاتلناك، فاكتب إلينا باسمك فإنه الذي نعرف، واكتب إلينا ابن عبدالله، فأمرني فمحوت رسول الله وكتبتُ ابن عبدالله، وكذلك كتبت إلى معاوية من علي أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومن قِبَلهما من الناكثين عهداً إلى مدة فكتبوا إنا لو علمنا أنك أمير المؤمنين ما قاتلناك؛ فاكتب إلينا من علي بن أبي طالب نُجبْك؛ فمحوت أمير المؤمنين وكتبت ابن أبي طالب كما محى رسول الله صلى الله عليه وآله وكما كتب، فإن كنتم تُلغون بسم الله الرحمن الرحيم أن محاها وتلغون رسول الله أن محاها ولا تثبتونه فَالغُوني ولا تثبتوني، وإن أثبتموه فإن الله تعالى يقول: ﴿وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]، وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] (فاستننتُ برسول الله صلى الله عليه وآله، قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه. قال: وأما قولكم: إني قسمت بينكم ما حوى العسكر يوم البصرة وأحللت الدماء ومنعتكم النساء

والذرية؛ فإني مننت على أهل البصرة لمّا افتتحتها وهم يَدّعون الإسلام كما منّ رسول الله ﷺ على أهل مكة وهم مشركون لَمّا افتتحها، وكان أولادهم ولدوا على الفطرة قبل الفرقة بدينهم[1] وإن عَدَوا علينا أخذناهم بذنوبهم، ولم نأخذ صغيراً بذنب كبير، وقد قال تعالى في كتابه: ﴿ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلا غلّ عقالا من الحرب لأتى يوم القيامة وهو مغلول به حتى يؤديه». وكانت أم المؤمنين أثقل من عقال، فلو غللتها وقسمت سوى ذلك فإنه غلول، ولو قسمتها لكم وهي أمكم لاستحل منها ما حرم الله، فأيكم كان يأخذ أم المؤمنين في سهمه وهي أمه؟ قالوا: لا أحد وهذه بحجتنا هذه.

وأما قولكم: إني حكّمت الحكمين، فقد عرفتم كراهتي لهما إلا أن تكذبوا. وقولي لكم: ولُّوها رجلاً من قريش، فإن قريشًا لا تُخْدَع فأبيتم إلا أن وليتموها من وليتم. فإن قلتم: سكت حيث فعلنا ولم تنكر، فإنما جعل الله الإقرار على النسآء في بيوتهن، ولم يجعله على الرجال في بيوتهم. فإن كذبتم وقلتم: أنت حكّمت ورضيت، فإن الله قد حكّم في دينه الرجال وهو أحكم الحاكمين، فقال: ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ ﴾ الآية [المائدة: ٩٥]، وقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٣٥]. فإنما على الإنسان الاجتهاد في استصلاح الحكمين، فإن عدلا كان العدل[2] فيما رأياه أولى، وإن لم يعدلا فيه وجارا كان الوزر عليهما، ولا تزر وازرة وزر أخرى، قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

---

(١) في (آ): فلا نأخذهم بذنبهم.

(٢) في (آ): الأمر.

وأمّا قَـولُكم: إني حكّمتُ وأنا أولى الناس بالحكم فـقـد حكَّم رسـول الله ﷺ سعد بن معاذ يوم اليهود فحكَم أن تقتل مقاتلتهم وتسبى ذراريهم وجعل أموالهم للمهاجرين دون الأنصار، فقالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

وأمّا قَولُكم: إني قلت للحكمينْ: انظرا في كتاب الله فإن كان معاوية أحق بها مني فأثبتوه وإن كنت أولى[1] بها فأثبتوني، فلو أن الحكمين اتقيا الله ونظرا إلى القـرآن عرفا أنني كنت من السابقين بإسلامي قبل معاوية، ومعاوية مشرك، وعرفتُ أنهم إذا نظروا في كتاب الله وجدوني يجب لي على معاوية الاستغفار؛ لأني سبقته بالإيمان، ولا يجب لمعاوية عليَّ الاستغفار، ووجدوني يجب لي على معاوية خُمُس ما غنمتم؛ لأن الله تبارك وتعالى أمر بذلك إذ يقول: ﴿ واعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ﴾ [الأنفال: ٤١]، فـإذا حكَما بما أنزل الله أثبتوني، ولو قلتُ: احكموا وأثبتوني أبى معاوية، ولكني أظهرت لهم النصفة حتى رضي. كما أن رسـول الله ﷺ لو قـال: أجعل لعنة الله عليكم أبوا أن يباهلوا، ولكن جعل لعنة الله على الكاذبين، فهم الكاذبون واللعنة عليهم، ولكن أظهر لهم النصفة فقبلوا، قالوا: صدقت هذه بحجتنا هذه.

وأمّا قَولُكم: إن كان معاوية أهدى مني فأثبتوه، فإنني قد عرفت أنهم لا يجدونه أهدى مني، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [القصص: ٤٩] فقد[2] عرفتُ أنهم لا يجدون معاوية أهدى مني.

وأما قولكم: إن الحكمين كانا رجلي سوء فَلِمَ حَكّمْتَهما؟ فإنهما لو حكما بالعدل لدخلا فيما نحن فيه وخرجا من سوئهما، كما أن أهل الكتاب لو حكموا

(١) في (أ): أحق.

(٢) في (ج): فكذلك.

بما أمر الله سبحانه حيث يقول: ﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإنْجِيْلِ بِمَا أنْزَلَ اللّهُ فِيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٧] خرجوا من كفرهم إلى ديننا، قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه. وأمّا قولكم: إني كنت وصيًا فضيّعت الوصية، فإن الله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [آل عمران: ٩٧] ولو ترك الحج من استطاع إليه سبيلا كفر ولم يكن البيت ليكفر، ولو تركه الناس لا يأتونه، ولكن كان يكفر من يستطيع إليه السبيل ولا يأتيه، وكذلك أنا إن أكن وصيًا فأنتم كفرتم لا أنا كفرت بكم وبما ترتكموني قالوا: صدقت وهذه بحجتنا هذه.

وأمّا قولكم: إن ابن عباس جآء يرفل في حُلّة حسنة يدعوكم إلى ما ندعوكم إليه، فقد رأيت أحسن منها على رسول الله ﷺ يوم حرب.

فرجع إليه من الخوارج أكثر من أربعة الآف، وثبت على قتاله أربعة الآف، وأقبلوا يحكمون، فقال علي عليه السلام: حكمُ الله أنتظر فيكم. ياهؤلاء أيكم قتل خباب بن الأرت وزوجته وابنه يظهر لي أقتله بهم، وانصرف عهداً إلى مدة حكم الله أنتظر فيكم؟ فنادوا: اللهم كُلّنا قتل خبابا وزوجته وابنه واشترك في دمآئهم. فناداهم أمير المؤمنين عليه السلام: أظهروا لي كتابًا وشافهوني بذلك فإني أكره أن يُقِرَّ به بعضكم في الضوضاء ولا يُقرُّ بعض، ولا أعرف ذلك في الضوضاء، ولا استحل قتل من لم يقر بقتل من أقرَّ، لكم الأمان حتى ترجعوا إلى مراكزكم كما كنتم، ففعلوا وجعلوا كلما جآء كتيبة سألهم عن ذلك، فإذا أقرّوا عزلهم ذات اليمين حتى أتى على آخرهم، ثم قال: ارجعوا إلى مراكزكم، فلما رجعوا ناداهم ثلاث مرات رجعتم كما كنتم قبل الأمان من صفوفكم، فنادوا كلهم نعم. فالتفت إلى الناس فقال: الله أكبر لو أقرَّ بقتلهم أهل الدنيا وأقْدرُ على قتلهم لقتلتهم، ثم شدَّ عليهم مرة بعد مرة، يرجع بسيفه يسويه على ركبتيه من اعوجاجة. ثم شدَّ

الناس عليهم فقتلوهم فلم ينج منهم تمام عشرة، فقال: ائتوني بذي الثدية فإنه في القوم، فقلب الناسُ القتلى فلم يقدروا عليه، فأتي فأخبر بذلك، فقال: الله أكبر، والله ما كَذَبْتُ ولا كُذبت وإنه لفي القوم، ثم قال: ائتوني بالبغلة فإنها هادية، فركبها ثم انطلق حتى وقف على قليب، ثم قال: قلّبوا فقلبوا سبعة من القتلى فوجدوه ثامنهم، فقال: الله أكبر هذا ذو الثدية، والذي خَبَّرَني رسول الله ﷺ أنه يقتل مع شرّجيل، ثم قال: تفرقوا فلم يقاتل معه الذين كانوا اعتزلوا، كانوا وقوفًا على حدَة، وقد كان عليه السلام قال لأصحابه: إنه لا يقتل منكم عشرة، ولا ينجو منهم عشرة، فكان الأمر كما قال[1].

وقد روينا في الخوارج عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «تمرق مارقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»[2].

وروينا عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كلاب أهل النار الخوارج»[3].

وروينا بالإسناد إلى عبدالله بن مسعود قال: أمر علي عليه السلام بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين[4]. وعن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا رسول الله ﷺ «بقتال الناكثين، والقاسطين، والمارقين، فقلنا: يا رسول الله أمرتنا بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فمع مَن؟ قال: مع علي بن أبي طالب».

والمراد بالناكثين: طلحة والزبير وأصحابهم؛ لأنهم نكثوا بيعة أمير المؤمنين صلوات الله عليه. **وبالقاسطين**: معاوية وأصحابه؛ لأنهم قسطوا

---

(١) المصابيح ٣٢٦، وشرح نهج البلاغة (٢/ ٢٧٥-٢٧٧).

(٢) صحيح مسلم رقم ١٠٦٤، وسنن أبي داوود رقم ٤٦٦٧، ومسند أحمد ١١٢٩٣، وفتح الباري رقم ٦٥٣٢، والسنن الكبرى رقم ٨٥١١، مسند أبي يعلى رقم ١٢٤٦.

(٣) ابن ماجة رقم ١٧٣، والمعجم الكبير رقم ٨٠٣٣، ٨٠٣٤، ٨٠٣٦، ٨٠٤٢، ومسند الطيالسي رقم ١١٣٦، ومسند أحمد بن حنبل رقم ١٩١٥٣، ١٩٤٣٤، مسند الحميدي رقم ٩٠٨.

(٤) الحاكم ٣/ ١٥٠ رقم ٤٤٧، والمعجم الكبير ١٠/ ٩١ رقم ١٠٠٥٣.

عن الحق أي جاروا وعدلوا. وبالمارقين: الخوارج ؛ لأنهم مرقوا عن طاعة أمير المؤمنين عليه السلام.

مُدَّة خلافته عليه السلام بَعْدَ البَيْعَة

كانت البيعة كما ذكرنا يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين من الهجرة، وضُرِبَ عليه السلام لتسع عشرة، وقيل: لسبع عشرة خلت من شهر رمضان، وتوفى ليلة إحدى وعشرين من الشهر على أثبت الروايات سنة أربعين من الهجرة ؛ فكانت مدة الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر وأيامًا على أصح الروايات، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام في الإفادة[1].

أولاد أمير المؤمنين عليه السلام: الحسن والحسين صلوات الله عليهما والمُحسِّن دَرَجَ صغيراً، وزينب الكبرى، وأم كلثوم الكبرى، أمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله. وأبو القاسم محمد، أمه خولة بنت جعفر بن قيس من بني بكر بن وائل ثم من بني حنيفة. والعباس وعثمان وجعفر وعبدالله قُتِلُوا مع الحسين صلوات الله عليه، أمهم أم البنين بنت حزام من ولد عامر بن صعصعة. وأبو بكر وعبيد الله، أمهما ليلى بنت مسعود الدّارمية. وعمر ورقية، أمهما الصهبآء وهي أم حبيب بنت ربيعة من بني تغلب بن وائل من سبي خالد بن الوليد. وعمر الأصغر أمه المُصْطَلقيّة. ومحمد الأوسط، ومحمد الأصغر، وعمر الأوسط على قول بعضهم، والعباس الأصغر، وجعفر الأصغر لأمهات شتى. وعبدالرحمن، وأمه أمامة بنت أبي العاص بن الربيع، وأمُّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وهي ابنة أخت فاطمة عليها السلام. وكانت أوصت إليه عليه السلام

---

(١) الإفادة ص٤٠، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٢.

بأن يتزوج بها بعدها. ويحيى وعون درجا صغيرين، وأمهما أسماء بنت عميس من ولد خثعم بن أنمار بن نزار. فهؤلآء عشرون ابنًا. هُم أكثر المعدودين من أولاده الذكور. ومن أصحاب الأنساب من لم يعد محمد الأوسط والأصغر، ولم يذكر عمر الأوسط، ومنهم من لم يذكر إلا عمر المعقب. والعقب لخمسة منهم: وهم الحسن، والحسين عليهما السلام، ومحمد، والعباس، وعمر.

والبنات اثنتان وعشرون بنتًا على اختلاف في ذلك بين أهل النسب. زينب الكبرى قد روت عن أمها فاطمة عليها السلام غير حديث، والصغرى. وأم كلثوم الكبرى، والصغرى، ورملة الكبرى، والصغرى، ورقية الكبرى، والصغرى، وأم هاني الكبرى، والصغرى، وأم الكرام واسمها الجمانة، وأم جعفر، وقد اختلف هل النسب فيها. فمنهم من يقول: جمانة هي أم جعفر، وهو قول يحيى ابن الحسن العقيقي. ابن الكلبي يقول: الجمانة غير أم جعفر. وأم سلمة. ونفيسة هي أم كلثوم الصغرى. وقال غيره: هي غيرها. وميمونة، وليلى، وأم الحسن، وفاطمة، وخديجة، وأمامة.

والعقب لأربع منهن: وهنّ زينب الكبرى عقبها في ولد عبدلله بن جعفر بن أبي طالب، وزينب الصغرى عقبها في ولد محمد بن عقيل ولدت له عبدالله بن محمد بن عقيل[1]، وأم الحسن عقبها في ولد جعدة بن هبيرة ابن أخت علي عليه السلام، وفاطمة عقبها فيّ ولد سعد بن الأسود بن أبي البختري. والبواقي منهن لم يتزوجن، ومنهن مزوجات من ولد عقيل والعباس بن عبد المطلب وقد انقرض عقبهن[2].

عمّاله عليه السلام: كاتبه عبيدالله بن أبي رافع. وحاجبه قنبر مولاه. وعامله على مكة مَعْبدْ بن العباس بن عبدالمطلب. وعلى المدينة قُثم بن العباس. وعلى اليمن

---

(١) ولدت له عبدالله بن عقيل، في (أ): ساقطة.

(٢) أنظر المصابيح ٣٣٠-٣٣١، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٣-١٥٥.

عبيدالله بن العباس هذه رواية[1] الزبير بن بكّار. وروى غيره أن مكة والطائف ونواحيها كان عليها قثم بن العباس. وكان على المدينة أبو أيوب الأنصاري، وهذا أظهر. وعلى مصر قيس بن سعد. ثم ولى محمد بن أبي بكر عليها. ثم ولى الأشتر عليها فلم يصل إليها وسُمَّ في الطريق بحيلة من معاوية. وعلى البصرة عثمان بن حنيف قُتِلَ في وقعة الجمل، ثم عبدالله بن العباس بعدها. وأبو الأسود الدؤلي كان على القضاء بها. وعلى قضاء الكوفة شريح بن الحارث. وعلى فارس وكرمان ونواحيها زياد. وعلى خراسان جعدة بن هبيرة. ثم خالد بن قُرَّة اليربوعي. وعلى المدائن سعيد بن مسعود الثقفي عم المختار بن أبي عبيد[2].

ذِكْرُ مَقْتَلِهِ وَمَبْلَغِ عُمُرِهِ وَمَوْضِعَ قَبْرِهِ عليه السلام :

روينا عن قيس بن الربيع قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام يفطر عند الحسن بن علي عليهما السلام فلا يزيد على ثلاثة لقم قال: فيقول: يا أبة لو زدت، فيقولُ: أحب أن ألقى الله خميصاً. وعن عثمان بن المغيرة قال: لمّا دخل رمضان جعل علي عليه السلام يتعشّى ليلة عند الحسن، وليلة عند الحسين، وليلة عند عبدالله بن جعفر، لا يزيد على ثلاث لقم يقول: يأتيني أمر الله حين يأتيني وأنا خميص، وإنما هي ليلة أو ليلتان[3]. ورأى أمير المؤمنين علي عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، قال علي: فشكوت إليه ما لقيت من أهل العراق فوعدني الراحة عن قريب، فما لبث بعد ذلك إلا جمعة أو جمعتين.

وروينا عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال علي عليه السلام: واشتكى شكوى، فلما أفاق قالوا: لقد خفنا عليك، قال: ما خفتم عليَّ؟ قالوا:

---

(١) في (ج): هذه الرواية عن الزبير.

(٢) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٥ - ١٥٦.

(٣) كنز العمال ١٣/ ١٩٥ برقم ٣٦٥٨٣.

لم نأمن عليك الموت، قال: لا، لعمري ما من الموت أمان، ولكن حدثني الصادق المصدوق البار ﷺ أني لن أموت حتى تخضب لحيتي هذه من دم رأسي، يضربني أشقى هذه، كما عقر ناقةَ الله أشقى ثمود(١).

وروى الحاكم رضي الله عنه عن عبدالله بن سَبُع قال: خطبنا علي عليه السلام وقال: فيما عهد إليّ رسول الله ﷺ: لتُخْضَبَنّ هذه من دم هذا، فقالوا: ألا تخبرنا به فنبيد عترته، فقال: أنشد الله رجلا قتل غير قاتلي.

وروى رضي الله عنه عن أبي الأسود الدؤلي قال: سمعت عليّا عليه السلام يقول: أتاني عبدالله بن سلام وقد أدخلت رجلي في الغرز، فقال: أين تريد؟ فقلت العراق، فقال: أما إنك لو جئتها ليصيبنَّك بها ذباب السيف، ثم قال عليٌّ عليه السلام: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: قبله، قال أبو الأسود: فتعجبتُ منه؛ رجلٌ محاربٌ يحدث بمثل هذا عن نفسه!

وروي عنه أنه عليه السلام لما أراد أن يخرج من الدار في الليلة التي ضرب فيها تعلق مئزره بالباب فانشأ يقول:

اشدد حيازيمك للموت فإن الموت لاقيكا
ولا تجزع من الموت اذا حلّ بواديكا(٢)

ثم مضى الى المسجد وهو يقول:

خلوا سبيل المؤمن المجاهد في الله لا يعبد غير الواحد
ويوقظ الناس إلى المساجد

وروينا أن عبدالرحمن بن ملجم، والبرك بن عبدالله، وعمرو بن بكر التميمي اجتمعوا بمكة فذكروا أمر الناس، وعابوا عمل ولاتهم، ثم ذكروا أمر أهل النهر فترحمّوا عليهم وقالوا: والله ما نصنع بالبقاء بعدهم شيئًا، فلو اشترينا

---

(١) الأمالي ٧٥ وبلفظ مقارب، وكنز العمال ١٣/ ١٩٣ رقم ٣٦٥٧٧ - ٣٦٥٧٨-٣٦٥٨٠.
(٢) مقاتل الطالبين ٣١، وصفوة الصفوة ١/ ١٤٠، وكتاب الفتوح ٤/ ٢٧٧.

أنفسنا وأتينا أئمة الضلالة فالتمسنا قتلهم وأرحنا منهم البلاد، فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم علي بن أبي طالب، وقال البرك: أنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا على ذلك، واتعدوا ليلة تسع عشرة من رمضان، وهي الليلة التي ضرب ابن ملجم فيها عليًا عليه السلام. فأقبل كل واحد منهم إلى المصر الذي فيه صاحبه[1].

فأما ابن ملجم فلقي أصحابه بالكوفة فكاتمهم أمره حتى إذا أتى ذات يوم أصحابًا له من تيم الرباب، وقد كان علي عليه السلام قتل منهم عدّة يوم النهر، فلقي من يومه ذلك امرأة يقال لها: قطام، وكان علي عليه السلام قد قتل أباها وأخاها يوم النهر، وكانت جميلة، فلما رآها التبست بقلبه فخطبها، فقالت: لا أتزوجك حتى تشتفي لي. قال: وما تشآئين؟ قالت: ثلاثة الآف، وعبد، وقينة، وقتل علي بن أبي طالب، فقال: والله ما جآء بي إلا قتل علي بن أبي طالب، قالت: فإني أطلب لك من يساعدك، وبعثت إلى رجل يقال له: وردان فكلمته فأجابها. وأتى ابن ملجم شبيب بن بحره ويقال: شبث، وقال: هل لك في قتل علي؟ فقال: ثكلتك أمك! كيف تقدر عليه؟ قال: أكمُنُ له في المسجد فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه، قال: ويحك! لو كان غير علي كان أهون، قال: أما تعلم بأنه قتل أهل النهر العبّاد المصلين، قال: بلى، قال نقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه، فجآءوا حتى دخلوا على قطام، وقال: هذه الليلة التي واعدت فيها صاحبيّ أن يقتل كل واحد منا صاحبه[2].

وروي أنها أعدّت له سيفًا، فلما دفعته إليه قالت: اقْتُلْ عليًا وارجع قرير العين مسرورًا، فقال: لا بل أرجع سخين العين مثبورًا، ثم إنهم أخذوا أسيافهم وجلسوا مقابل السدة التي يخرج منها علي عليه السلام، فخرج صلوات الله عليه لصلاة

---

(١) الطبري ٦/ ٨٣، وابن أبي الحديد ٢/ ٤٢، والبداية والنهاية ٧/ ٣٢٥، ومقاتل الطالبين ٢٩.
(٢) مقاتل الطالبين ٣٣.

الغداة فشد عليه شبث فوقع سيفه بعضادة الباب وبالطاق ولم يصبه، وضربه ابن ملجم على رأسه، وهرب وردان حتى دخل منزله، فدخل عليه رجل من بني أبيه وهو ينزع السيف والحريرة، وأخبره بما كان، فذهب إلى منزله وأخذ سيفه وعلاه به حتى قتله، وخرج شبث ونجا، وشدوا على ابن ملجم وأخذوه[1].

وروي أن الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن جبلة بن معاوية كان تلك الليلة بناحية من المسجد، وحجر بن عدي رحمه الله كان يصلي، فسمع الأشعث يقول له: النجا، فَضَحَكَ الصُّبْحُ، فقال: قتلته يا أعور قتلك الله، وكان الأشعث أعور، وكان ابن ملجم حليفًا لبني جبلة وابن أخت لهم، وجبلة هو الذي ينتمي إليه الأشعث، كما قدّمنا نسبه، فلما قُتِلَ علي عليه السلام قال قيس بن ربيعة الكندي يرثيه ويهجو الأشعث:

قتلت أمير المؤمنين تَخَوُّنًا	على غير شيء يابن واهصة الخصى[2]
وأنت لعلج من هرابذ فارس	تؤول لعلج ما تبوء لذي العلا
لشنجيت ترمي شر أبناء فارس	إلى شر منجول والأمَ مُنتمى
غدرت بميمون النقيبة حازم	وأكرم من ضمت حصاب ومن مشى
أخي الدين والإسلام والبر والتقى	وصهر الذي أصفى له الدين بالهدى
أبرَّ بذي قربى وأبعد من خنى	وأتقى لرب حين ميَّزَ ذوو النهى
وأشجع من ضرغامة ذي مهابة	وأجود من نوء السماك إذا سقى
أخا أحمد والوارث العلم بعده	وصي له في الغابرين ومن مضى
فأبشر أخا الإتراف والحوب والخنا	بما إن تلاقي أن تحش لكم لظى
مقارن إبليس بها عرف نارها	وقود لحاميها ليهْنَ لك السقا

(١) المصابيح ٢٣٥.

(٢) يعير الرجل فيقال: يابن واهصة الخصى إذا كانت أمه راعية. لسان العرب مادة: وهص.

فلا زلتَ موزوعًا لَعينًا مُبَغَّضًا وأبعدك الرحمان واجتاحك الردى[1]

وكان الأشعث دعيًا في كندة؛ ولذلك قال علي عليه السلام فيما حكى الأسود بن سعد بن قيس الهمداني: أن عليًا عليه السلام كان جالسًا في الرَّحبة إذ طلع الأشعث بن قيس فَسَلَّم ثم جلس فقال: يا أمير المؤمنين جئتُ خاطبًا، قال: لمن؟ قال: إليك قال أحمقة: كحمقة أبي بكر يا شعث، يأبى ذلك عليك شنجيت، فقال الأشعث: وما شنجيت؟ قال رجل من الفرس لما تمزق ملك بني عمرو بن معاوية شخص مع كندة إلى اليمن، وابنه خُرزاذ معه غلام، فلما انتهوا إلى حضرموت هلك شنجيت، فانتسب خرزاذ جدك الذي يقال له: معدي كرب إلى جبلة بن معاوية. وكان الأشعث لما ارتد عن الإسلام وتحصن بحصنه النحير بَعَثَ إليه أبو بكر زياد بن لبيد البياضي، فأخذه فمنَّ عليه أبو بكر وزوّجه أخته أم فروة؛ فلذلك قال علي عليه السلام: أحمقة كحمقة أبي بكر[2].

وروي عن محمد بن حنيف قال: والله إني لأُصَلّي تلك الليلة التي ضرب فيها ابنُ مُلْجَم عليًا عليه السلام قريبًا من السدة في رجال كثير من أهل البصرة، إذ خرج علي عليه السلام لصلاة الغداة، فنظرت إلى بريق السيف، وسمعت: الحُكْمُ لله لا لك يا علي ولا لأصحابك، ثم سمعت عليًا عليه السلام يقول: لا يفوتنكم الرجل، فلم أبرح حتى أُخِذَ ابن ملجم وأدخل على علي عليه السلام فسمعته يقول: النفس بالنفس إن هلكت فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأي. فبيناهم عنده- وابن ملجم مكتوف بين يدي الحسن عليه السلام- إذ نادت أم كلثوم بنت علي عليه السلام: إنه لا بأس على أبي، واللهُ مخزيك يا عدو الله، فقال: فعلام تبكين؟ فوالله لقد شريته بألف، وسمّمته بألف، ولو كانت هذه الضربة لجميع الناس ما بقي منهم

---

(١) المصابيح ٣٣٦.

(٢) المصابيح ٣٧٧.

أحـد. وأقـبل علي عليه السلام على ابن ملجم، وقـال: أرأيت إن سـألتك عن ثلاث خصال تصدقني إن سألـتك؟ قال: سلني، قال: سألتك بالله هل كنت تُدْعَى وأنت صغير: ابن راعية الكلاب؟ قال: اللهـم نعم. قال: فأسألك عن الثانية: أنشدك بالله أمرَّ بك رجل وقد تحركت فقال: أنت شقيق عاقر ناقة ثمود؟ قال: اللهـم نعم. قال: فإنـي سائلك عن الثالثة، وهي أشدهن عليك هل حدثتك أمك أنها حملت بك في حيضها؟ قال: اللهم نعم، ولو كنتُ كاتمًا شيئًا لكتمته[1].

وفي قطام وما كان منها يقول القائل وهو ابن مياس الفزاري:

ولم أر مـهـراً سـاقـه ذو سـمـاحـة كـمـهـر قطام من فـصيح وأعـجم

ثلاثة آلاف وعـبـد وقـيـنة وقـتل علي بالحـسـام المصـمم

فـلا مـهـر أغلى من علي وإن غـلا ولا فَتْكَ إلا دون فتك ابن ملجم[2]

وأما صاحبا ابن ملجم لعنه الله تعالى: فإن البرك بن عبدالله انطلق تلك الليلة التي ضرب فيها علي عليه السلام - إلى معاوية فوافقه يصلي بالناس فشدَّ عليه فطعنـه بالخنـجر في أليتـه، فأُخذ فقُتل. ويقـال: بل قطع يديه ورجليـه وخلى عنه. ودُوِّي[3] معـاوية وبريء، ثم بلغه أنه ولد له ولد[4]، فبعث إليه فقتله، ثم اتخـذ معـاوية المقـاصير والحـرس، وهو أول من اتخـذها في الإسـلام خوفًا على نفسه. وانطلق عمرو بن بكر إلى عمرو بن العاص، وكان عميداً يشتكي بطنه فلم يخرج تلك الليلة، وأمر خارجه قاضي مصر أن يصلي بالناس، فخرج يصلي بهم

---

(١) المصابيح ٣٣٨-٣٣٩.

(٢) ابن أبي الحديد ٢/ ٤٦، والاستيعاب ٢/ ٢٨٥، ومقاتل الطالبين ٣٧، وتاريخ الطبري ٥/ ١٥٠.

(٣) في (ج): وبري.

(٤) في هامش (أ): بلغه أنه لا يولد له بعد تلك الطعنة، وأن نسله ينقطع من أجلها، فأمر به يزيد بن معاوية فقتل.

فوافقه ابن بكر فقتله، فَأَمْسكَ فَانطُلقَ به إلى عمرو، وقال لعمرو : يا عدو الله والله ما أردت غيرك لكنَّ الله أبى إلاَ خارجه، ثم أمر به فقتل وصلب.

وروينا عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهم السلام: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يخرج إلى الصبح وفي يده درَّة يوقظ بها الناس، فضربه ابن ملجم، فقال علي عليه السلام : أطعموه واسقوه وأحسنوا إساره، فإن عشت فالحق حقي،[1] فإن شئت استقدت. وفي بعض الأخبار كفوا عنه وأوثقوه، فإن أعش فالحق حقي أرى فيه رأيي، وإن أمت فرأيكم في حقكم.

وضُربَ عليه السلام ليلة تسع عشرة من شهر رمضان. وروينا أنه عليه السلام لما ضرب جمع له أطباء أهل الكوفة فلم يكن فيهم أعلم بجرحه من أثير بن عمرو بن هاني السكوني، وكان متطببًا صاحب كرسي يعالج الجراحات، وكان من الأربعين غلامًا الذين كان خالد بن الوليد أصابهم في بيعة عين التمر فسباهم. وأن أثيرًا لما نظر إلى جُرح أمير المؤمنين عليه السلام دعا برئة شاة حارة فاستخرج عرقًا منها فأدخله الجرح ثم استخرجه فإذا عليه بياض الدماغ فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك فإن عدو الله قد وصلت ضربته إلى أم رأسك[2].

وروينا عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السلام قال: لما ضُربَ أمير المؤمنين علي عليه السلام الضربة التي توفي منها؛ استند إلى اسطوانة المسجد، والدماء تسيل على شيبته، وضجَّ الناس في المسجد كهيئة يوم قبض فيه النبي صلى الله عليه وآله، فابتدأ خطيبًا فقال- بعد الثناء على الله تعالى والصلاة على نبيه صلى الله عليه وآله : كل امرء ملاق ما يفر منه، والأجل تساق إليه النفس، والهرب منه موافاته. كم اطردت الأيام ابحثها عن مكنون هذا الأمر فأبى الله إلا ستره، وإخفاءه علمًا مكنونًا. أما

---

(١)في (ب): أرى فيه رأيي، وإن شئت...

(٢)ابن أبي الحديد ٢/ ٤٤، ومقاتل الطالبين ٣٨، أمالي أبي طالب ٧٩-٨٠.

وصيتي بالله عز وجل: فلا تشركوا به شيئًا، ومحمداً ﷺ فلا تضيعوا سنته، أقيموا هذين العمودين، حَمِّلَ كل أمرىء منكم مجهوده، وخفف عن العجزة ربٌ كريم رحيم، ودين قويم، وإمام عليم، كنتم في إعصار وذَرْو رياح، تحت ظل غمامة اظمحل راكدها، لِيَعظْكُم خفوتي وسكون أطرافي، إنه لأوعظ لكم من نطق بليغ. ودَّعتكم وداع امرىءٍ مرصد للتلاق، غدا ترون أيامي، ويُكْشَفُ لكم عن سرائري، فعليكم السلام إلى يوم اللزام، كنت بالأمس صاحبكم، وأنا اليوم عظة لكم، وغداً أفارقكم. فإن أبق فأنا ولي دمي، وإن أَفْنَ فالقيامة ميعادي، عفى الله عني وعنكم[1].

توفى عليه السلام ليلة إحدى وعشرين من شهر رمضان سنة أربعين. وولي غسله ابنه الحسن بن علي عليهما السلام، وعبيدالله بن العباس، وكفن في ثلاثة أثواب ليس فيها قميص، وصلى عليه ابنه الحسن بن علي عليهما السلام، وكبر خمس تكبيرات، ودفن عند صلاة الصبح أولا في الرحبة مما يلي باب كندة، ثم نقل ليلا إلى الغري[2]. وذكر السيد أبو طالب أن المشهور أن زيد بن علي عليهما السلام قال لأصحابه - وهم يسلكون معه طريق الغَرِيّ -: أتدرون أين نحن؟ نحن في رياض الجنة، نحن في طريق قبر أمير المؤمنين[3]. قال: ومن المعلوم الذي لا يخفى على من نظر في الأخبار أن جعفر بن محمد حضر الموضع وزار القبر، وقال لابنه اسماعيل: هذا قبر جدك أمير المؤمنين[4].

وروي عن الحسن بن علي عليهما السلام أنه قال: حملناه ليلا ودفناه بالغري[5]. فهذا كلام سادة العترة عليهم السلام، فكيف تدعى النواصب أن

---

(١) أمالي أبي طالب ١٨٨-١٨٩.

(٢) مقاتل الطالبين ٤١، المصابيح ٣٣٩.

(٣) الإفادة ٣٠-٣١، والأمالي ٧٩، والمصابيح ٣٣٩-٣٤٠.

(٤) الإفادة ٣١.

(٥) الإفادة ٣١.

موضع القبر ليس بمعلوم! لولا عمى بصائرهم وشدة انحرافهم عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله.

وروينا بالإسناد عن الأسود الكندي والأجلح قالا: توفي أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو ابن أربع وستين سنة، قال السيد أبو طالب عليه السلام: وهو الأصح[1].

وعن جعفر بن محمد قال: قتل علي عليه السلام وهو ابن ثمان وخمسين، وعن محمد ابن الحنفية لما جاوز خمسا وستين سنة قال: جاوزتُ سن أبي بسنتين.

ولما دفن عليه الصلاة والسلام، دعا الحسن بن علي عليهما السلام - بعد دفنه أباه ابن ملجم لعنه الله فأتي به فأمر بضرب عنقه، فقال له: إن رأيت أن تأخذ عليَّ العهود أني أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك بعد أن أمضي إلى الشام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله وإلا قتلته، ثم عدت إليك فتحكم فيَّ بحكمك؟ فقال له الحسن عليه السلام: هيهات، والله لا تشرب الماء البارد أو تلحق روحك بالنار، ثم ضُرِبَتْ عنقه، فاستوهبت أم الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه، فوهبها لها، فاحرقتها بالنار[2].

وروينابالإسناد عن ابن شهاب قال: قدمت دمشق غازيًا فدخلت على عبدالملك بن مروان، فإذا هو على فرش يفوت القائم، والناس سماطين بين يديه فسلمت، فأخذت مجلسًا، فقال: يا ابن شهاب، أتعرف ما كان في بيت المقدس صباح ليلة قتل فيها علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم، قال: هَلُمَّ فدرت خلف السماط حتى أتيته من خلف القبة، فتحول إليّ فولاَّني[3] رأسه، فقال: ما كان؟ فقلت: ما رُفِعَ حجر في بيت المقدس إلا وجد تحته دم![4] فقال: ما بقي أحد يعرف هذا غيري وغيرك فلا يخرجنَّ منك، فما حدثت به حتى مات.

---

(١)الإفادة ٣٤ .

(٢)الأمالي ٨٥ ، ومقاتل الطالبين ٤١ .

(٣)في (ب،ج): فولاً.

(٤)في (ب): غبيطاً .

ورُوينا بالإسناد إلى الحاكم رضي الله عنه رواه عن جعفر بن محمد بإسناده عن النبي ﷺ وآله قال لعلي: يا علي من زارني في حياتي، أو بعد وفاتي، أو زارك في حياتك، أو بعد موتك، أو زار ابنيك في حياتهما، أو بعد موتهما، ضمنت له يوم القيامة أن أخلصه من أهوالها وشدائدها حتى أصيره معي في درجتي»[1].

وروي عن الرضى عليه السلام أنه قال: من زار قبر أمير المؤمنين فليصل عند رأسه ست ركعات؛ فإن في قبره عِظَامَ آدم، وجَسَدَ نوح، وأميرَ المؤمنين عليهم السلام، فمن زار أمير المؤمنين فقد زار آدم ونوحًا وأمير المؤمنين. وعنه رضي الله عنه عن الصادق عليه السلام: إذا بعدت بأحدكم الشقة ونَأَتْ به الدار فَلْيُصَلِّ ركعتين، ولْيَوْمَ بالسلام إلى قبورنا، فإن ذلك يصل إلينا.

وقالت أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب ترثي أمير المؤمنين عليًا عليه السلام[2]:

ألا يا عين ويحك أسعدينا	ألا تبكي أميـر المؤمنينا
رُزِئنا خيـرَ من ركب المطايا	وفارسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها	ومن قرأ المثاني والمثينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين	رأيت البدر راع الناظرينا
فلا والله لا أنسى عليًّا	وحُسْنَ صلاته في الراكعينا
يقيم الحد لا يرتاب فيه	ويقضي بالفرائض مستبينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا	بخير الناس طرًا أجمعينا

---

(١) درر الأحاديث النبوية ٤٩ عن الحسن بن علي (ع) قال للنبي ﷺ وآله ما لمن زارنا؟ فقال رسول الله «من زارني حياً أو ميتاً، أو زار أباك حياً أو ميتاً أو زارك حياً أو ميتاً كان حقيقاً على الله أن يستنقذه يوم القيامة».

(٢) إختلف الرواة في ترتيب هذه الأبيات كما أختلفوا في نسبتها، وقد نسبها الطبري في تأريخه ٥/ ١٥٠ لأبي الأسود الدؤلي.

كـأن الناس إذ فـقـدوا عليّـا ... نَعَـامٌ حـال في بلـد سنينا

وكُنَّا قـبل مـهلكه بخـيـر ... نرى فـينا وصي المسلمـينا

أشـاب ذؤابتي وأطال جُـهْـدي ... أُمَـامَـةُ حين فـارقت القـرينا

وعَـبْـرَةُ أمِّ كلثـوم بحـزن ... تجـرعـهـا وقـد رأت اليـقـينا

فـلا تَشْـمَتْ معـاويةُ بن صـخر ... فـإن بقـيـة الخلفـاء فـينا[1]

ولما دفن أمير المؤمنين صلوات الله عليه، قام صعصعة بن صوحان، وأخذ التراب ووضعه على رأسه، وأنشأ يقول:

ألا من لي بسـرك يا أُخـيّـا ... ومن لي أن أبثك مـا لـديّا

طوتك منون دهرك بعـد نشـر ... كـذلك دَأبُهُ نشـرا وطَيًّـا

فلو نشـرت طواك لي المنايا ... شكرت إليك مـا صنعت إليَّـا

كـفى حـزنًا بفـقـدك ثم إني ... نفضت تراب قـبرك من يديّا

بكيـتك يا عليّ بملء عـيني ... فلم يغن البكاء عليك شـيًّـا

وكـانت في حـياتك لي عظاة ... فـأنت اليـوم أوعظ منك حـيـا

وقال عمران بن حطان الخارجي في عبد الرحمن بن ملجم لعنهما الله -حين ضرب عليًا عليه السلام[2]:

يا ضـربة من تقي مـا أراد بهـا ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضـوانا

إنـي لأذكـره يومًـا فأحسبـه ... أوفى البـرية عند الله مـيـزانا

أخْلقْ بقوم بطونُ الطير أقبرهم ... لم يخلطوا دينهم كفرًا وعـدوانا

فأجابه القاضي أبو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الفقيه الشافعي بهذه الأبيات:

إني لأبرءُ مما أنت قـائله ... عن ابن مُلْجَمِ الملعـون بهـتـانا

يا ضـربة من شـقي مـا أراد بهـا ... إلا ليـهـدمَ للإسـلام أركـانا

---

(١) مقاتل الطالبين ٤٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ٣٧ .

إني لأذكره يومًا فألعنه ... دينًا وألعن عمرانا وحطانا

عليك ثم عليه الدهر متصلا ... لعائن الله إسرارًا وإعلانا

فأنتما من كلاب النار جآء به ... نص الشريعة برهانًا وتبيانًا

وروى صاحب كتاب الاستيعاب الفقيه الحافظ[1] أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد النميري لبكر بن حماد التاهرتي يعارض ابن حطان:

قتلتَ أفضل من يمشي على قدم ... وأول الناس إسلامًا وإيمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما ... سَنَّ الرسول لنا شرعًا وتبيانا

صهر النبي ومولاه وناصره ... أضحت مناقبه نورًا وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له ... مكان هارون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفًا صارمًا ذكرًا ... ليثًا إذا لقي الأقران أقرانا

ذكرت قاتله والدمع منحدرٌ ... فقلت: سبحان رب الناس سبحانا

إني لأحسبه ما كان من بَشَرٍ ... يخشى المعاد ولكن كان شيطانا

أشقى مرادٍ إذا عُدت قبائلها ... وأخسر الناس عند الله ميزانا

قد كان يخبرهم أن سوف يخضبها ... قبل المنية أزمانا فأزمانا

فلا عفى الله عنه ما تحمّله ... ولا سقى قبر عمران بن حطانا

لقوله في شقي ظل مجترمًا ... ونال ما ناله ظلمًا وعدوانا

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

بل ضربة من غوي أوردته لظى ... مخلدًا قد أتى الرحمن غضبانا

كأنه لم يرد قصدًا بضربته ... إلا ليصلى عذاب الخلد نيرانا

وروي له أيضًا:

وهز عليٌّ بالعراقين لحيةً ... مصيبتها جلّت على كل مسلم

فقال: سيأتيها من الله حادثٌ ... ويخضبها أشقى البرية بالدم

---

(١) في (أ): بدون الحافظ.

فـبـاكـره بالسـيف شلت يمينه ... لشـؤم دعـاه عند ذاك ابن ملجم

فيا ضربة من خاسر ظل سعيه ... تَبَـوَّءَ منهـا مـقـعـداً في جـهنم

فـفـاز أمـيـر المؤمنين بحظه ... وإن طرقت فـيـه الليـالي بمعظم

ألا إنما الدينـا بلاءٌ وفـتـنة ... حلاوتها شِيْبَتْ بصابٍ وعلقمِ

ذِكْرُ نُكَت مِنْ كَلامِهِ وَسِيْرَتِهِ عليه السلام :

كلامه عليه السلام في الطبقة العالية في كل فن من فنونه لفظًا ومعنًى، وهو بحر يطمي تياره، ويتلاطم زخّارُه، وإنما نذكر مجة[1] من لجٍ زاخر، وقطرة من وابلٍ ماطر. من ذلك ما رويناه بالإسناد الموثوق به عن الحارث أن عليًا عليه السلام لما اختلف أصحابه خطبهم حين اجتمعوا عنده مبتديًا بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله، ثم قال: أما بعد:

فذمتي بذلك رهينة، وأنا به زعيم، مَنْ صرَّحت له العبر فيما بين يديه من المثلات حجزه التقوى عن ارتكاب الشُّبهات، وإنه لن يظمأ على التقوى زرع قوم ولن[2] يبلى على الهدى سِنْخُ أصل، وإن الخير والخيرة في معرفة الإنسان قَدْرَه، وكفى بالمرء جهلا أن لا يعرف قدره، وإن أحب خلق الله إلى الله عبد أعانه الله على نفسه فاستشعر الحزن، وتجلبب الخوف، وأضمر اليقين، وزهرت مصابيح الهدى في قلبه، فسهَّل على نفسه الشديد، وقرب عليها البعيد، فلم يَدَعْ مبهمة إلاكشف غطاءها، ولا مظلمةً إلا قصد جلاها، ولا معضلة إلا بلغ مداها، مُعاين طريقته، مشاهد من كل أمر حقيقته، شرب نهلا، وسلك طريقًا سهلا، يحط حيث القرآن حط رحله، وأين[3] نزل كان منزله، فهو من خاص[4] أولياء الله.

---

(١)في (ب،ج): لجة.

(٢)في (ب): ولكن.

(٣)في (أ): وإن.

(٤)في (ب): أخص.

وإن أبغض خلق الله إلى الله عبد وكله إلى نفسه جآئر عن قصد السبيل ، مشغوف بكلام بدعة ، فهو فتنة لمن افتتن بعبادته ، ضآل عن هدي من كان قبله ، مضل لمن اقتدى به ، حمَّال خطايا غيره ، رهين بخطيئته ، قَمَشَ جهلا من الجُهال فأوطأ الناس عشوة ، غاراً بأوباش الفتنة[1] ، قد لَهَج بالصلاة والصوم ، فسمَّاه أشباهه من الناس عالمًا ولم يغن في العلم يومًا سالمًا ، تكثر فاستكثر ، وما قل منه خير مما كثر ، حتى إذا ارتوى من آجن وأكثر من غير طائل ، قعد حاكمًا بين الناس ، ضامنًا لتخليص ما اشتبه عليهم ، إن نزلت به إحدى المبهمات هيأ لها حشواً من رأيه ، فهو من[2] قطَعِ الشبُهات في مثل غزل العنكبوت إن أصاب[3] ، وإن أخطأ لم يعلم ؛ لأنه لا يعلَم أصاب أم أخطأ لا يحسب أن العلم في شيء مما ينكر ، ولا أن من ورآء ما بلغه غاية ، إن قاس شيئًا لم يكذب بصره ، وإن أظلم عليه أمرٌ كتم ما يعلم من نفسه ؛ لكيلا يقال : لا يعلم ، ركّاب عشوات ، وخائض غمرات ، ومفتاح ظلمات ، ومعتقد شبهات ، لا يعتذر مما لا يعلم ، ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيسلم ، يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم ، تصرخ منه الدمآء ، وتبكي منه المواريث ، ويستحل بقضائه الفروج[4] الحرام ، ويُحرِّم بقضآئه الفروج الحلال ، لا مليءٌ بإصدار ما ورد عليه ، ولا أهل لإصلاح ما فرط منه ، فأبصروا معادن الجور ، واستقصوا آثارها ، واستروحوا إلى طاعة الله من لا تعذرون بجهالته ، ثم ردُّوا هذا عذب فرات ، واحذروا هذا ملح أجاج ، واعلموا أن العلم الذي هبط به آدم عليه السلام ، وما فصلته الأنبيآء ، في عترة نبيكم صلى الله عليه وآله فأين يتاه بكم عن أمر تنوسخ من أصلاب أصحاب السفينة ؟ هؤلاء مثلها فيكم ، وهم لكم كالكهف لأصحاب الكهف ، وهم باب حطة ، وباب السلم ، فادخلوا في السِّلم كآفة ، خذوا عني عن

---

(١) في النهج : عاد في أغباش .

(٢) في (ب) : في .

(٣) في النهج من لبس الشبهات في مثل نسج العنكبوت .

(٤) في (ج) : الفرج .

خاتم المرسلين حجة من ذي حجة قالها في حجة الوداع : إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض »[1].

ورويناباالإسناد الموثوق به : أن رجلا قام إلى علي بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ، كيف كان ربنا؟ فقال علي عليه السلام : كيف لم يكن وربنا لم يزل تبارك وتعالى ، وإنما يقال : لشيء لم يكن كيف كان؟ فأما ربنا فهو قبل القبل ، وقبل كل غاية ، انقطعت الغايات عنده ، فهو غاية كل غاية ، فقال : كيف عرفته؟ فقال : أعرفه بما عرَّف به نفسه ، ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ❖ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ٢-٤] ، لا يدرك بالحواس ، ولا يقاس بالناس ، متدان في علوه ، عال في دنوه : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ ، وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ ، وَلاَ أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلاَ أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ﴾ [المجادلة: ٧] قريب غير ملتصق ، بعيد غير متقص ، يعرف بالعلامات ، وثبت بالآيات ، يوحَّد ولا يبعض ، ويحقق و لايمثل ، لا إله إلا هو الكبير المتعال[2].

وروينا عن أبي المعتمر قال : حضرت مجلس أمير المؤمنين علي عليه السلام في جامع الكوفة ، فقام إليه رجل مصفار اللون ، كأنه من متهودة اليمن ، فقال : يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك وانعته لنا حتى كأنا نراه وننظر إليه ، فسبح علي عليه السلام ربه عز وجل وعظمه ، وقال : الحمدلله الذي هو أول لا بُدئَ مما ، ولاباطن فيما ، ولا هو ممازج مع ما ، ولا حَالٌ بما ، ليس بشبح فيرى ، ولا بجسم فيتجزى ، ولا بذي غاية فيتناهى ، ولا بمحدث فيتصرف ، ولا بمستتر فيتكشف ، ولا كان بعد أن لم يكن ، بل حارت الأوهام أن تكيف المكيِّف للأشياء ، من لم يزل لا بمكان ، ولا يزول لاختلاف الأزمان ، ولا يقلبه شأن بعد شأن ، البعيد من تَخَيُّلِ القلوب ،

---

(١) نهج البلاغة ص ٢٧ خطبة رقم ١٧ بخلاف يسير.

(٢) الأمالي ١٨٨ .

المتعالي عن الأشباه والضروب، علام الغيوب، فمعاني الخلق عنه مَنفيَّة، وسرائرهم عليه غير خفية، المعروف بغير كيفية، ولا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، لا تدركه الأبصار، ولا تحيط به الأقدار، ولا تُقَدِّره العقول، ولا تقع عليه الأوهام[1].

ومن **خطبة له** ﷺ **قوله**: الحمد لله الذي لا من شيء كان، ولا من شيء خلق ماكوّن، يستشهد بحدوث الأشيآء على قدمه، وبما وسمها من العجز على قدرته، وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه، لم يخل منه مكان فيدرك بأينيَّة، ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية، ولم يغب عن شيء فيعلم بحيثيه، مباين لجميع ما جرى في الصفات، وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الأدوات، وخارج بالكبريآء والعظمة من جميع تصرم الحالات، لا تحويه الأماكن لعظمته، ولا تدركه الأبصار لجلاله، ممتنع من الأوهام أن تستعرفه، وعن الأذهان أن تتمثله.

وفي رواية أخرى: فليست له صفةٌ تنال، ولا حدٌ يضرب له فيه بالأمثال، كلَّ دون صفاته تخابير اللغات، وضل هنالك تصاريف الصفات، وحارَ دون ملكوته عميقات مذاهب التفكير، وانقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير، وحال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب، تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول، واحد لا بعدد، دائم لا بأمد، قائم لا بعمد، ليس بجنس فتعادله الأجناس، ولا بشبح فتضارعه الأشباح، ليس لها محيص عن إدراكه لها، ولا خروج عن إحاطته بها، ولا احتجاب عن إحصائه لها، ولا امتناع من قدرته عليها، كفى بإتقان صنعه لها آية، وبتركيب خلقها عليه دلالة، وبحدوث ما فطر على قدمه شهادة، فليس له حد منسوب، ولا مثل مضروب، ولا شيء هو عنه محجوب، تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علواً كبيراً[2].

---

(١) الأمالي ١٩٠، وحلية الأولياء ١/ ٧٢، والسيوطي في الكبير ٢٥٨ رقم ٥٦٤٩.
(٢) الأمالي ١٩٨-١٩٩.

ومن كلام له عليه السلام حين وقع خلاف من خالفه

بعد حمد الله والثناء عليه ثم قال: ما شآء الله توكلت على الله الذي لا إله إلاهو، حيٌّ بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا قوي بعد ما كوّن، ولا كان ضعيفًا قبل أن يكوّن، ولا كان مستوحشًا قبل أن يبتدع، ولا خلواً من الملك قبل إنشآئه، ولا يكون خلواً بعد ذهابه، كان إلهًا حيًا لا بحياة، وملكًا قبل أن ينشئ شيئًا، ومالك قبل إنشآئه، وليس يكون له كيف ولا أين، ولا له حد يعرف، ولا شيء يشبهه، ولكن سميع بلا سمع، وبصير بغير بصر، وقوي بغير قوة من خلقه، لا تدركه حدق الناظرين، ولا يحيط به سمع السامعين، إذا أراد شيئًا كان بلا مشاورة ولا مظاهرة، ولا يسأل أحدًا عن شيء خلقه وأراده، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، العلي الجبار، أيتها الأمة المخدوعة انخدعت وعرفت خديعة من خدعها، فأصرت على ما عرفت، واتبعت هواها، وضربت في عشوآء غوايتها، وقد استبان لها الحق فصدت عنه، والطريق الواضح فتنكبته، أما والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، لو اقتبستم العلم من موضعه، وشربتم المآء بعذوبته، وأخذتم من الطريق واضحه؛ لأنهجتُ لكم السبل، وبدتْ لكم الأعلام، ولأكلتم رغداً، ولا عال فيكم عائل، ولا ظلم منكم مسلم ولا معاهد، ولكنكم سلكتم سبل الظلام، فأظلمتْ عليكم دنياكم برحبها، وسددتم عليكم أبواب العلم، فقلتم بأهوائكم، واختلفتم في دينكم، فأفتيتم في دين الله بغير علم، واتبعتم الغواة فأغوتكم، وتركتم الأئمة فتركوكم، فإذا حزب الأمر سألتم أهل الذكر، فإذا أنبأوكم قلتم: هو العلم بعينه، فكيف وقد تركتموه ونبذتموه وخالفتموه، رويداً عما قليل تحصدون غب ما تزرعون، وتجدون وخيم ما اجترحتم، وينزل بكم ما وُعِدتم كما

نزل بالأمم قبلكم، وإلى الله غدا تصيرون وسيسألكم الله عن أئمتكم، والحمدلله رب العالمين[1].

ومن كِتاب نَهْجِ البَلاغة:

وقد أخبرنا الشريف الأجل السيد الأفضل الزاهد العابد الورع الصالح أبو طالب المرتضى شَراهَنْكَ الحسيني أدام الله علوّه، وأخبرنا به أيضًا الفقيه الأجل العالم الزاهد المجاهد بهآء الدين علي بن محمد الأكوع رضوان الله عليه، مناولة يرفعانه إلى المصنف، وهو الشريف السيد الفاضل الرضي أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه: ما وحّده من كيَّفه، ولا حقيقته أصاب من مثَّله، ولا إياه عنى من شبَّهه، ولا صمده من أشار إليه وتوهمه، كل معروف بنفسه مصنوع، وكل قائم في سواه معلول، فاعل لا باضطراب آلة، مقدِّرٌ لا بجول فكرة، غني لا باستفادة. لاتصحبه الأوقات، ولا ترفده الأدوات، سبق الأوقات كونُه، والعدمَ وجودُه، والابتداء أزلُه، بتشعير المشاعر عرف ألاّ مشْعرَ له، وبمضادته بين الأمور عرف ألاّ ضدّ له، وبمقارنته بين الأشيآء عرف ألاّ قرين له، ضادَّ النوربالظلمة، والوضوح بالبهمة، والجمود بالبلل، والحرور بالصرد، مؤلف بين متعادياتها، مقارن بين متبايناتها، مقرب بين متباعداتها، مفرق بين متدانياتها، لا يشمل بحد، ولا يحسب بعد، وإنما تحد الأدوات أنفسها، وتشير الآلات إلى نظائرها، منعتها منذ القدمية، وحمتها قد[2] الأزلية، وجنبتها لولا التكملية، بها تجلى صانعها للمعقول، وبها امتنع من نظر العيون، لا يجرى عليه السكونُ والحركةُ، وكيف

---

(١) الأمالي ٢٠٧.

(٢) في (ب): قدم.

يجري عليه ما هو أجراه، ويعود فيه ما هو أبداه، ويحدث فيه ما هو أحدثه؟! إذاً لتفاوتت ذاته، ولتجزأ كنهه، ولامتنع من الأزل معناه، ولكان له وراء إذ وجد له أمام، ولاَلْتَمَسَ التمامَ إذ لزمه النقصانُ! وإذاً لقامت آية المصنوع فيه، ولتحول دليلا بعد أن كان مدلولا عليه، وخرج بسلطان الإمتناع من أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره! الذي لايحول ولا يزول، ولا يجوز عليه الأفول، لم يلد فيكون مولوداً، ولم يولد فيصير محدوداً، جلّ عن اتخاذ الأبناء، وطهر عن ملامسة النساء، لا تناله الأوهام فتُقدّره، ولا تتوهمه الفطن فتصوّره، ولا تدركه الحواس فتُحسّه، ولا تلمسه الأيدي فتمسُّه، لا يتغيّر بحال، ولا يَتبدَّل في الأحوال، لا تبليه الليالي والأيام، ولا يغيره الضيآء والظلام، ولا يوصف بشيء من الأجزاء، ولا بالجوارح والأعضاء، ولا بعَرَضٍ من الأعراض ولا بالغيرية والأبعاض، ولا يقال له: حد ولا نهاية، ولا انقطاع ولا غاية، ولا أن الأشياء تحويه؛ فتقله أو تهويه، أو أن شيئًا يحمله فيميله أو يعدله، ليس في الأشياء بوالج، ولا عنها بخارج، يخبر لا بلسان ولهوات، ويسمع بلا خُرُوقٍ وأدوات، يقول ولا يلفظ، ويحفظ ولا يتحفظ، ويريد ولا يضمر، يحب ويرضى من غير رقّة، ويبغض ويغضب من غير مشقة، يقول لما أراد كونه: كن فيكون، لا بصوت يقرع، ولا نداء يُسمع، وإنما كلامه - سبحانه- فِعْلٌ منه أنشأه ومثّله، ولم يكن من قبل ذلك كائنًا، ولو كان قديمًا لكان إلهًا ثانيًا، لا يقال كان بعد أن لم يكن، فتجري عليه الصفات المحدثات، ولا يكون بينه وبينها فصل ولا له عليها فضل، فيستوي الصانع والمصنوع، ويتكافأ المبتدع والبديع. خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره، ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، أنشأ الأرض فأمسكها من غير اشتغال، وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصنها من الأوَد والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج، أرسى أوتادها، وضرب

أسدادها، واستفاض عيونها، وخد أوديتها، فلمَ يهن ما بناه، ولا ضَعُفَ ما قَوّاه. هو الظاهر[1] عليه بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه، ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه، ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه، خضعت الأشياء له فذلت مستكينةً لعظمته، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه ولا ضره، ولا كُفْوَ له فَيُكَافيه، ولا نظيرَ له فيساويَه، وهو المفني لها بعد وجودها، حتى يصير موجودها كمفقودها. وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها، فكيف لو اجتمع جميع حيوانها: من طيرها وبهائمها، وما كان من مراحها وسائمها، وأصناف أسناخها وأجناسها، ومتبلِّدات أممها وأكياسها، على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها، ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها، ولتحيرت عقولُها في علم ذلك وتاهت، وعجزت قواها وتناهت، ورجعت خاسئةً حسيرة، عارفةً بأنها مقهورة، مُقرةً بالعجز عن إنشائها، مذعنة بالضعف عن إفنائها، وأنه سبحانه يعود بعد فناء الدنيا وحده، لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها، كذلك يكون بعد فنائها، بلا وقت ولا مكان، ولا حين ولا زمان، عدمت عند ذلك الآجال والأوقات، وزالت السنون والساعات، فلا شيء إلا الواحد القهار، الذي إليه مصير جميع الأمور، بلا قدرة منها على ابتداء خلقها، وبغير امتناع منها كان فناؤها، ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها، لم يَتَكَأَدْهُ صُنْعُ شيء منها إذ صنعه، ولم يَؤُدْهُ منها خلق ما برأه وخلقه، ولم يُكَوِّنْها لتشديد سلطان، ولا لخوف من زوال ونقصان، ولا للاستعانة بها على ندٍّ مكاثر، ولا للاحتراز بها عن ضد مثوار[2]،

---

(١) في (أ): وهو القاهر.

(٢) المثوار: المواثب المهاجم.

ولا للازدياد بها في ملكه، ولا لمكاثرة شريك في شركه، ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها، ثم هو يفنيها بعد تكوينها، لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتدبيرها، ولا لراحة واصلة إليه، ولا لثقل شيء منها عليه، لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها، لكنه سبحانه دبرها[1] بلطفه، وأمسكها بأمره، وأتقنها بقدرته، ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها، ولا استعانة بشيء منها عليها، ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استئناس، ولا من حال جهل[2] وعمى إلى علم والتماس، ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة، ولا من ذل وضعة إلى عز وقدرة[3] .

ومن خطبة له عليه السلام وهي المعروفة بالشُّقْشقيَّة[4]:

أمَا والله لقد تَقَمّصَها فلان، وإنه ليعلم أن مَحَلّي منها مَحَلُّ القطبِ من الرَّحى: ينحدرُ عني السيلُ، ولا ترقى إليّ الطيرُ. فسدلتُ دونها ثوبًا، وطويتُ عنها كَشْحًا، وَطفقْتُ أرتئي بين أنْ أصول بيد جَذَّاء، أو أصْبِرَ على طَخْيَة عمياء، يَهْرَمُ فيها الكبير، ويَشيبُ فيها الصغيرُ، ويَكْدَحُ فيها مؤمنٌ حتى يلقى ربَّهُ. فرأيتُ أنَّ الصبرَ على هَاتا أحْجى. فصبرْتُ وفي العينِ قَذى، وفي الحَلق شَجًى، أرَى تُراثيْ نَهْبا، حتى مضى الأولُ لسَبيله، فأدْلَى بها إلى فلان بَعْدَهُ (ثُمَّ تَمَثَّلَ عليه السلام بهذا البيت):

شَتَّانَ ما يَومي على كُورِها وَيومُ حَيَّانَ أخي جَابِرِ

فيا عجبًا بَيْنَا هو يَستَقيلُها في حَياته، إذ عقَدها لآخَرَ بعدَ وفَاته، لَشَدَّ

(١)في (أ): برأها .

(٢)في (ب، ج): جهد .

(٣)نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٤ ص٤٣٩ .

(٤)نهج البلاغة، الخطبة ج/ ١ رقم: ٣ ص١٠٢ .

ما تشطَّرَا ضَرْعَيْهَا فصيَّرها في حوزة خَشْنَاءَ، يَغلُظُ كَلْمُهَا، ويخْشُنُ مسُّها، ويكثُر العثارُ فيها، والاعتذارُ منها، فصاحبُها كراكب الصعْبَة، إنْ أشْنَقَ لها خَرَمَ، وإن أسْلَسَ لهـا تَقَـحَّم، فَـمُنِيَ الناسُ - لعَـمـرُ اللّه - بخـبط وشـمـاس وتلوُّن واعتراض؛ فصَبرتُ على طُول المُدَّة، وشدَّة المحنَة. حتى إذا مَضى لسَبيله، جَعَلَها في جماعة زعَمَ أنِّي أحدُهُم، فَيَا للّه وللشُّورَى! مَتَى اعترضَ الرَّيْبُ فيَّ مَعَ الأوَّل منهمْ حَتى صرتُ أُقْرَنُ إلى هَذه النَّظَائر! لَكنني أسْفَفْتُ إذْ أسَفُّوا، وطرتُ إذْ طَارُوا، فَصَغَى رجُلٌ منهمُ لضغنه، وَمَالَ الآخَرُ لصهره، مَعَ هَنٍ وَهَنٍ، إلَى أن قَامَ ثَالثُ القَومِ نَافجًا حضنَيه بَينَ نَثيله وَمُعتَلَفه، وَقَامَ معهُ بنُو أبيه يَخضمُونَ مالَ اللّه خَضْمَ الإبلِ نبتَةَ الرَّبيع، إلَى أن انتَكَثَ فَتْلُهُ، وأجْهَزَ عليه عَمَلُهُ، وكَبَتْ به بطْنَتُهُ، فمَا راعني إلا والناس كعُرف الضَّبُع إليَّ، يَنثالُونَ عليَّ من كُلِّ جانب، حتّى لقد وُطئَ الحَسنَان، وشُقَّ عطفَاي، مُجتَمعينَ حولي كرَبيضَة الغَنَم فلمَّا نهضتُ بالأمر نكثتْ طائفةٌ، ومَرَقتْ أُخرى، وقسط آخَرونَ، كَأنَّهُم لم يَسْمَعوا كَلامَ اللّه حَيثُ يقُول: ﴿تلْكَ الدَّارُ الآخرَةُ نَجْعَلُهَا للَّذينَ لا يُريدُونَ عُلُوًّا في الأرْضِ وَلا فَسَادًا وَالعَاقبَةُ للْمُتَّقينَ﴾ [القصص: ٨٣] بَلَى والله لقَد سَمعوها ووَعَوها ولكنَّهم حَليت الدُّنيا في أعيُنهم وراقَهم زبرجُها..

أما والذي فَلقَ الحَبَّةَ، وَبرَأَ النَّسَمَةَ لولا حُضُورُ الحاضر، وقيامُ الحُجَّة بُوجود النَّاصر، وَمَا أخَذَ اللّهُ على العُلَمَاء أن لا يُقارُّوا على كَظَّة ظالم، ولا سَغَب مظلُوم، لألقَيْتُ حَبْلَها على غاربها، ولسقيتُ آخرَها بكَأس أوَّلها، ولألفَيتُم دُنْياكُم هَذه أزْهَدَ عندي من عَفْطَة عَنز.

ومن كلامٍ له ﷺ وقد قال له قائل: إنك يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص، فقلت: بل أنتم والله أحرص مني عليه وأبعد، وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقًّا لي، وأنتم تحولون بيني وبينه، وتضربون وجهي دونه

فلما قرعتُه بالحجة في ملأ من الحاضرين بُهِتَ لا يرى مايجيبني به.

اللهم إني استعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي، وصغّروا عظيم منزلتي، وأجمعوا على منازعتي أمرًا هو لي، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن تأخذه، وفي الحق أن تتركه[1].

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابًا وهو من محاسن الكتب أما بعد:

فقد أتاني كتابك تذكر أصطفاء الله عز وجل محمداً صلى الله عليه وآله لدينه، وتأييده بمن أيّده من أصحابه، فلقد خبأ لنا الدهر منك عجبًا إذ طفقت تخبرنا ببلاء الله عندنا، ونعمته علينا في نبينا صلى الله عليه وآله، فكنت في ذلك كناقل التمر إلى هَجَر، وداعي مسدّده إلى النِّضال، وزعمت أن أفضل الناس في الإسلام فلان وفلان، فذكرت أمرًا إن تم اعتزلك كلُّه، وأن نقص لم يلحقك ثَلْمُه، وما أنت والفاضلَ والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين، وترتيب درجاتهم، وتعريف طبقاتهم؟ هيهات! لقد حن قدح ليس منها، وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها، ألا تَرْبَعُ أيها الإنسان على ظَلْعك، وتعرف قصور ذَرْعك، وتتأخر حيث أخرك القَدَر! فما عليك غلبة المغلوب، ولا لك ظفر الظافر، وإنك لذهّاب في التيه، روّاغ عن القصد، ألا ترى- غير مُخبرلك، لكن بنعمة الله أُحَدِّثُ- أن قومًا استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكل فضل، حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء، وخصه رسول الله صلى الله عليه وآله بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أولا ترى أن قومًا قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا فعل بواحدنا كما فعل بواحدهم، قيل: الطيار في الجنة، وذو الجناحين، ولولا ما نهى الله عنه من تزكية المرىء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة تعرفها قلوب المؤمنين، ولا تمجها آذان السامعين، فدع

---

(١) نهج البلاغة ص٤٠٦، خطبة رقم ١٧٠.

عنك ما مالت به الرميّة ، فإنا صنائعُ ربنا ، والناس بعد صنائع لنا . لم يمنعنا قديم عزنا ، وعادي طَوْلنا على قومك أن خلطناكم[1] بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا فعل الأكفاء ولستم هنالك ! وأنى يكون ذلك كذلك؟ ومنَّا النبي ﷺ ، ومنكم المكذِّب؟ ومنا أسد الله ، ومنكم أسَدُ الأحلاف؟ ومنا سيدا شباب أهل الجنة ، ومنكم صبية النار؟ ومنَّا خير نسآء العالمين ، ومنكم حمالة الحطب؟ في كثير مما لنا وعليكم . فإسلامنا[2] قد سمع ، وجاهليّتنا لا تُدفع ، وكتاب الله يجمع لنا ما شذّ عنَّا وهو قوله تعالى : ﴿ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥] ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِيْنَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِيْنَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٨] فنحن مرة أوْلى بالقرابة ، وتارة أوْلى بالطاعة ، ولَمّا احتج المهاجرون على الأنصار يوم السقيفة برسول الله ﷺ ، فَلَجُوا عليهم : فإن يكن الفلج به فالحق لنا دونكم ، وإن يكن بغيره فالأنصار على دعواهم !

وزعمتَ أني لكل الخلفاء حسدتُ ، وعلى كلهم بغيت ، فإن يكن ذلك كذلك فليس الجناية عليك فيكون العذر إليك « وتلك شكاة ظاهر عنك عارها » .

وقلتَ : إني كنت أقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أبايع ، ولعمر الله لقد أردتَ أن تذم فمدحت ، وأن تفضَحَ فافتضحت ! وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلومًا مالم يكن شاكًا في دينه ، ولا مرتابًا بيقينه ، وهذه حجتي إلى غيرك قَصْدُها ، ولكني أطلقت لك بقدر ما سنح من ذكرها .

ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه ، فأينا كان أعدى له ، وأهدى إلى مقاتله؟ أمَنْ بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه؟ أم

---

(١) في (أ) : خلطناهم .

(٢) في (ب ، ج) : ما قد سمع .

من استنصره فتراخى عنه، وبث المنون إليه حتى أتى قدره عليه؟ كلا والله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: ١٨] وماكنت اعتذر من أني كنت أنقم عليه أحداثاً، فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايتي له، فربّ ملوم لا ذنب له:

وقد يستفيد الظِّنَّة المُتنصِّحُ

وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب. وذكرتَ أنه ليس لي ولأصحابي عندك إلا السيف! فلقد أضحكت بعد استعبار! متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعدآء ناكلين، وبالسيوف مخوَّفين؟

لَبِّثْ قَليلا يلحق الهيجا حَمَلْ[1]

فيطلبك من تطلب، ويقرُبُ منك ما تستبعد، وأنا مرقلٌ نحوك في جحفل من المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان، شديد زحَامهُم، ساطع قتامهم، متسربلين سرابيل الموت، أحبُّ اللقآء إليهم لقآء ربهم، قد صحبتهم ذُرِّيَّة بدرية، وسيوف هاشميّة، قد عرفت مواقع نصالها في أخيك، وخالك، وجدك، وأهلك، وما هي من الظالمين ببعيد[2].

ومن كلام له عليه السلام: رويناه من أمالي السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن الحارث أن أمير المؤمنين عليه السلام خطب فقال: ألا إن الحق لو أخلص له لم يَخْفَ على ذي حجى، ألا وإن الباطل لو أخلص لم يخف على ذي حجى، ولكنه يؤخذ من هذا ضغثٌ ومن هذا ضغث فيمزجان، فحينئذ استولى الشيطان على حزبه، ونجا حزبَ الله الذين سبقت لهم من الله الحسنى. ألا وإن الباطل خيل شُمُس ركبها أهلها وأرسلوا أزمتها فسارت حتى انتهت بهم إلى نارٍ وقودها الناس والحجارة،

---

(١) يشير إلى بيت قائله حمل بن بدر.

(٢) نهج البلاغة رقم٢٨ ص٥٦٥.

ألا وإن الحق مطايا ذُلُلٌ ركبها أهلها وأعطوا أزمتها فسارت بهم الهوينا حتى أتَتْ ظلاً ظليلاً ، فعليكم بالحق فاسلكوا سبله ، واعملوا به تكونوا من أهله ، ألا وإنه مَن خاف حذر ، ومن حَذَرَ جانب السيئات ، ألا وإنه من خاف السيئات أدلج إلى الخيرات في السُّرى ، ومن أراد سفراً أعدّ له زادا ، فأعدوا الزاد ليوم المعاد ، واعملوا لجزآء باق ، فإني والله لم أر كالجنة نام طالبها ، ولم أر كالنار نام هاربها[1] .

وروينا أن أمير المؤمنين عليه السلام شيع جنازة ، فلما وضع الميت في لحده عج أهله وبكوا ، فقام أمير المؤمنين عليه السلام فقال -وهو قائم على قدميه على من تبكون؟ أما والله لو عاينتم ما عاين ميتكم ، لأذهلتكم معاينتكم عن البكآء ، ثم قال : الحمدلله أحمده وأستعينه ، وأومن به وأتوكل عليه ، وأستهدي الله الهدى وأعوذ بالله من الضلالة والردى ، من يهد الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطاهرين ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله الذي ضرب لكم الأمثال ، ووقّت لكم الآجال ، وجعل لكم أسماعًا ؛ لتعي ما عناها ، وأبصاراً لتجلوا عن عشاها ، وأفئدة لتفهم ما دهاها في تركيب صورها ، ومدة عمرها ، فإن الله لم يخلقكم عبثًا ، ولم يُهملكم سُدًى ، ولم يضرب عنكم الذكر صفحًا ، بل أكرمكم بالنعم السوابغ ، وأرفدكم بالرفد الروافد ، وأحاط بكم الإحصآء ، وأرصد لكم الجزآء في السرآء والضرآء ، فاتقوا الله عباد الله ، وأجدُّوا في الطلب ، ونجاة الهرب ، وبادروا بالعمل قبل منقطع النهدات ، وهادم اللذات ، فإن الدنيا لايدوم نعيمها ، ولا تؤمن فجعاتها ، ولا تتوقى سوءاتها ، غرور حائل ، وشح قاتل ، وسناد مآئل ، تضيء مستطرفها ، وتردي مستزيدها ، تُخيِّل مصرعها ، وتصرم حبالها ، فاتعظوا عباد الله بالعبر ، واعتبروا بالأثر ، وازدجروا بالنذر ،

---

(1) الأمالي ١٨٩ .

حل بكم طالب المنية، وضُمِّنتُم بيت التراب، ودهمتكم الساعة بنفخة الصور، وبَعثَرة القبور، وسياقة المحشر إلى الحساب بإحاطة قدرة الجبار، كل نفس معها سآئق وشهيد يسوقها لمحشرها، وشاهد يشهد عليها بعملها: ﴿ **وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الزمر:٦٩]، فارتَجَّت الأرض لندآء المنادي، وكشف عن ساق، وكان يوم التلاق، فكورت الشمس، وحشرت الوحوش، وارتجت الأفئدة، ونزل بأهل النار من الله سطوةٌ مجتاحة، وعقوبة متاحة، وقُرِّبَت الجحيم لها كَلَبٌ ولجب، ولهب ساطع، وتغيظٌ وتلظ، وزفير ووعيد، تأجج جحيمها، وغلى حميمها، وتوقد سَمُومُها، لايهرم خالدها، ولا يظعن مقيمها، ولا تقصم كبولها، معهم ملآئكة الزجر، يبشرونهم بنُزُلٍ من حميم، وتصلية جحيم، هم عن الله محجوبون، ولأوليآئه مفارقون، وإلى النار منطلقون، حتى إذا أتوا جهنم قالوا: ﴿ **فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ۞ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۞ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢] قيل لهم: ﴿ **وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ** ﴾ [الصافات: ٢٤] وجهنم تناديهم، وهي مشرفة عليهم إليَّ بأهلي، وعزة ربي لأنتقمن اليوم من أعدآئه، ثم يناديهم ملك من الزبانية، ثم يسحبهم حتى يلقيهم في النار على وجوههم، ثم يقول: ﴿ **وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ** ﴾ [الحج: ٢٢] ثم أزلفت الجنة للمتقين، مخضرة[1] للناظرين، فيها درجات لا يبيد نعيمها، ولا ييأس ساكنها، أمنوا الموت فصفى لهم ما فيها: ﴿ **فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى** ﴾ [محمد: ١٥] مع أزواج مطهرة، وحور عين: ﴿ **كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ** ﴾ [الرحمن: ٥٨]، مع حلية وآنية من فضة، ولباس السندس الأخضر، والفواكه الدائمة، تدخل الملآئكة عليهم فتقول: ﴿ **سَلَامٌ عَلَيْكُمْ**

(١) في (ب، ج): مخضرة مخضلة.

بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤] فلا تزال الكرامة لهم حين وفدوا إلى خالقهم، وقعدوا في داره، ونالهم ﴿سَلامٌ قَولاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]، فاسألوا الله أن يجعلنا وإياكم من أهل الجنة، الذين خلقوا لها وخلقت لهم، عباد الله اتقوا الله تقيَّة من كنع فخنع، ووجل فحذر، واجتنب هايبًا، ونجا هاربًا، وأفاد ذخيرة، وأطاب سريرة، وقدم للمعاد، واستظهر بالزاد، وكفى بالله منتقمًا، وخصيمًا، وكفى بالجنة ثوابًا ونوالا، وكفى بالنار عقابًا ونكالا[1] .

ومن خطبة له عليه السلام في الاستسقآء:

اللهم قد انصاحت جبالنا، واغبرّت أرضنا، وهامت دوابُّنا، وتحيّرت في مرابضها، وعجت عجيج الثكالى على أولادها، وملّت التردُّد في مراتعها، والحنين إلى مواردها. اللهم فارحم أنين الآنّة، وحنين الحآنة، اللهم فارحم حيرتها في مذاهبها، وأنينها في موالجها. اللهم خرجنا إليك حين اعتكرت علينا حدابير السنين، وأخلفتنا مخايلُ الجود، فكنت الرجآء للمبتئس، والبلاغ للملتمس، ندعوك حين قنط الأنامُ، ومُنِعَ الغمام، وهلك السّوام، ألاّ تؤاخذنا بأعمالنا، ولا تأخذنا بذنوبنا، وانشر علينا رحمتك بالسحاب المنبعق، والربيع المغدق، والنبات المونق، سحابًا وابلا، تحيي به ما قد مات، وترد به ما قد فات، اللهم سُقْيا منك مُحْيِيَة، مروية، تامة، عامة، طيبة، مباركة، هنيئة، مريعة، زاكيًا نبتُها، ثامرًا فرعها، ناضرًا ورقها، تُنعشُ بها الضعيف من عبادك، وتحيي بها الْمَيتَ من بلادك. اللهم سقيًا منك تُعشبُ بها نجادنا، وتجري بها وهادنا، ويُخصبُ بها جنابنا، وتُقبلُ بها ثمارنا، وتعيش بها مواشينا، وتَنْدى بها أقاصينا، وتستعين بها ضواحينا من بركاتك الواسعة، وعطاياك الجزيلة على بريتك المرملة،

---

(١) الأمالي ١٩٣ - ١٩٥ .

ووحشك المهملة، وأنزل علينا سمآء مخضلة، مدراراً هاطلة، يدافع الودقُ منها الودقَ، ويحفزُ القطرُ منها القُطرَ، غيرُ خلّبٍ بَرْقَها، ولاجهام عارضها، ولا قَزَعٍ رَبَابُهَا، ولا شفان ذهابها حتى يخصب لإمراعها المجدبون، ويحيا ببركتها المسنتون، فإنك تنزل الغيث من بعد ما قنطوا وتنشر رحمتك وأنت الولي الحميد[1].

قال السيد الرضي رضي الله عنه: قوله ﷺ: «انصاحت جبالنا» أي: تشققت من الْمُحُول، يقال: انصاح الثوب، إذا انشق، ويقال أيضًا: انصاح النبت، وصاح وصوّح إذا جفّ ويبس. وقوله: «هامت دوابُّنا» أي: عطشت، والهيام: العطش. وقوله: «حدابير السنين» جمع حدبار وهي: الناقة التي أنضاها السير، فشبه بها السنة التي فشا فيها الجدب. قال ذو الرمة:

حدابير ما تنفك إلا مُناخةً ... على الخسف أو نرمي بها بلداً قفرا

وقوله: «لا قزع ربابُها» القزع: القطع الصغار المتفرقة من السحاب. وقوله: «ولا شفّان ذهابها» فإن تقديره: ولا ذات شفّان ذهابها. والشفان: الريح الباردة. والذهاب: الأمطار اللّينة. فحذف «ذات» لعلم السامع به[2].

وروينا عن أبي مطر البصري قال: كنت من شباب ذلك الزمان، فبينا أنا أمشي في المسجد وقد أسبلت إزاري، وأرخيت شعري، إذ نادى رجل من خلفي يا عبدالله، ارفع إزارك، فإنه أنقى لثوبك، وأتقى لربك، وجزَّ من شعرك إن كنت امرأً مسلمًا، فإذا رجل كأنه أعرابي، فجئت حتى قمت من خلفه، فقلت لامرىء من المسلمين: من هذا؟ فقال: أغريب أنت؟ فقلت: نعم، من أهل البصرة، فقال له: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فمشيت خلفه حتى خرجت من المسجد، فمرَّ بأصحاب الإبل، فقال: يا أصحاب الإبل، بيعوا ولا تحلفوا، فإن اليمين تزيّن البيع، وتمحق البركة. ثم مشى حتى

---

(١) نهج البلاغة ٣٠٤ رقم ١١٣.

(٢) نهج البلاغة ٣٠٦.

أتى أصحاب التمر فإذا هو بجارية تبكي، فقال: يا جارية، ما شأنك؟ قالت: بعثني مولاي بدرهم، فابتعت من هذا تمراً، فأتيتهم به فلم يرضوه، فلما أتيته به أبى أن يقبله، فقال: ياعبدالله، إنها خادمة، وليس لها أمر، فاردد إليها درهمها وخذ التمر. فلم يعرفه الرجل، وقام إليه ليلكزه، فقال له رجل من المسلمين: أتدري من هذا؟ هذا أمير المؤمنين! فانخزل[1] الرجل واصفرّ، وأخذ التمر، فنثره ورد إليها درهمها، ثم قال: يا أمير المؤمنين، ارض عني، فقال: ما أرضاني عنك إن أنت أصحلت أمرك[2]، ثم مشى حتى توسطهم، فقال: يا أصحاب التمر أطعموا المساكين وابن السبيل؛ فإن ربحكم يربو. ثم مشى حتى أتى أصحاب السمك، فقال: ألا لا يباع في سوقكم طاف. ثم مشى فأتى قوماً يبيعون قمصاً من هذه الكرابيس، فابتاع قميصاً بثلاثة دراهم فلبسه فكان ما بين الرسغين إلى الكعبين، فلما وضعه في رأسه قال: بسم الله والحمدلله الذي رزقني من اللباس ما أتجمل به في الناس وأواري عورتي؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين، أشيء قلته برأيك أم سمعته من رسول الله ﷺ؟ فقال: لا بل سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا القول عند الكسوة، ثم مشى حتى أتى المسجد فجلس فيه، ثم أخذ بلحيته، فقال: ما يحبس أشقاها أن يخضب هذه من هذا، وأشار بيده إلى رأسه فوالله ما كَذبتُ ولا كُذبتُ، فقام إليه رجل، فقال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن وضوء رسول الله ﷺ، فدعا بكوز من مآء فتوضأ فغسل يديه ثلاثًا، ثم تمضمض واستنشق ثلاثًا، ثم غسل وجهه ثلاثًا، ثم غسل ذراعيه ثلاثًا، ثم مسح رأسه، ثم غسل رجليه ثلاثًا، ثم قال: أين السآئل عن وضوء رسول الله ﷺ؟ فقال الرجل: أنا، فقال: هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ.

---

(١) الانخزال: مشية في تثاقل، القاموس ص١٢٨٢.

(٢) في (أ): نفسك.

قال أبو مطر : وكأني أنظر إلى المآء يهطل من لحيته على صدره، ثم أتيته وقد ضربه ابن ملجم لعنه الله.

فسمعته وهو يقول: امشوا بي بين الأمرين، لا تسرعوا ولا تبطئوا، ولا تغالوا في كفني، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الكفن سَلَبٌ سريع إن يكن من أهل الجنة يكفن من الجنة، وإن يكن من أهل النار يكفن من النار».

وروينا أن عليًا عليه السلام استعمل عاملاً على عكبرى قال: ولم يكن السواد يسكنه المصلون، فقال لي بين أيديهم: استوف منهم خراجهم، ولا يجدوا منك رخصة، ولا يجدوا فيك ضعفًا، ثم قال لي: إذا كان عند الظهر فرُح إليَّ، فرُحتُ إليه، فلم أجد عنده حاجبًا يحجبني دونه، فوجدته جالسًا وعنده قدح وكوز فيه مآء، فدعا بظبية. قال: قلت في نفسي لقد أمنني حتى يخرج لديَّ جوهرًا، ولا أدري ما فيه، قال: فإذا عليها ختم فكسر الختم فإذا فيه سويق، فأخرج منه، فصب في القدح وصب عليه مآء، فشرب وسقاني، فلم أصبر أن قلت : يا أمير المؤمنين، بالعراق تصنع هذا ؟طعام العراق أكثر من ذلك! قال: والله ما أختم عليه بُخْلاً به، ولكنني أبتاع ما يكفيني، فأخاف أن يفتح فيوضع فيه من غيره، فإنما حفظي لذلك، وأكره أن يدخل جوفي إلا طيِّب، وإني لا أستطيع أن أقول لك إلا الذي قلت بين أيديهم لأنهم قَومٌ خَدَعَه، ولكني آمرك الآن بما تأخذهم به فإن أنت فعلت وإلا أخذك الله به دوني، وإن بلغني عنك خلاف ما آمرك به عزلتك، لا تبيعن لهم رزقًا يأكلونه، ولا كسوة شتآء ولا صيف، ولا تضربن رجلاً منهم سوطًا في طلب درهم؛ فإنا لم نؤمر بذلك، ولا تبيعن لهم دابة يعملون عليها، إنما أمرنا أن نأخذ منهم العفو. قلت: إذًا أجيئك كما ذهبت، قال: ففعلت فاتبعت ما أمرني به، فرجعت والله ما بقي درهم إلا وفيته.

وروينا بالإسناد عن الأصبغ بن نباته قال: قام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه في سوق الكوفة على دابته، فنادى ثلاثًا : يا معشر الناس،

أوصيكم بتقوى الله، فإنه وصية الله في الأولين والآخرين، و﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [الشعراء: ١٨١-١٨٣] ولاتغشوا هذه الفضة الجيدة بالزئبق، ولا بالكحل فتكونوا غداً من المعذّبين[1].

ورويناً بالإسناد إلى أبي صادق قال: بلغ عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام أن خيلاً لمعاوية أغارت على الأنبار وقتلوا عامله حسان بن حسان البكري، فقام علي عليه السلام يجر ثوبه حتى أتى النخيلة، فقالوا: نحن نكفيك يا أمير المؤمنين فقال، ما تكفوني ولا تكفون أنفسكم، قال: واجتمع الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن الجهاد باب من أبواب الجنة، من تركه ألبسه الله الذلة، وسيم الخسْف، وديِّثَ بالصغار، وقد دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً ونهاراً، وسراً وإعلاناً، وقلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غُزي قومٌ في عُقْر دارهم إلا ذلُّوا، فتثاقلتم وتواكلتم، وثقل عليكم ذلك، حتى شُنّت عليكم الغارات، وهذا أخو غامد قد نزلت خيله الأنبار، وقتلوا حسان بن حسان، ورجالاً صالحين ونساءً، ولقد بلغني أنه كان يدخل على المرأة المسلمة، والأخرى المعاهدة، فينتزع رعاثها، وحجلها، ثم انصرفوا موفورين، لم يُكْلم أحد منهم كلماً، والله لو أن امرءاً مسلماً مات من دون هذا أسفاً لما كان عندي ملوماً، بل كان عندي بذلك جديراً، يا عجباً؛ عجباً يميت القلب، ويكثر الهمّ، ويبعث الأحزان، من اجتماع هؤلاء القوم على باطلهم، وفشلكم عن حقكم، حتى صرتم غرضاً تُرمَونَ وَلا تَرْمُون، وتُغْزَونَ وَلا تَغزُون، ويُغار عليكم ولا تُغيرون، ويُعصى الله وترضون! يا أشباه الرجال ولا رجال، أحلام الأطفال، وعقول ربات الحجال، إذا قلت لكم: اغزوهم في الحر قلتم: هذه حمارّة القيظ، فمن يغزو فيها!؟ أمهلنا حتى ينسلخ

---

(١) الأمالي ص٢٠٨.

الحر عنا، وإذا قلت لكم : اغزوهم في البرد، قلتم: هذه أيام قُرٍّ وصرّ، أمهلنا حتى ينسلخ القرُّ عنا، فإذا كنتم من الحر والقر تفرون، فأنتم والله من السيف أفر! أما والله لوددت أني لم أركم، ولم أعرفكم معرفة -والله- جرت ندمًا، وملأتم قلبي غيظًا، وأفسدتم عليَّ رأيي بالخذلان، حتى لقد بلغني أن قريشًا تقول: إن ابن أبي طالب رجل شجاع ولكنه لا علم له بالحروب. لله أبوهم! وهل منهم أشد لها مراسًا مني!؟ لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين، وها أنا الآن قد نيّفت على الستين، ولكن لا رأي لمن لا يطاع[1]. قال: فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أنا وأخي كما قال الله تعالى: ﴿ لاَ أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي ﴾ [المائدة: ٢٥] فها أنا ذا، وهذا أخي، فمرنا بأمرك فوالله لنضربن دونك ولو حال بيننا جمر الغضا، وشوك القتاد، قال: فقال علي عليه السلام: يرحمكما الله، وأين تقعان مما أريد[2]؟!

وروينا بالإسناد إلى الحسن البصري قال: كنت جالسًا بالبصرة، وأنا حينئذ غلام أتطهر للصلاة، إذ مرّ بي رجل راكب بغلةً شهباء متلثم بعمامة سوداء، فقال لي: يا حسن أحْسِن وضوءك يحسن الله إليك في الدنيا والآخرة، يا حَسَن، أما علمت أن الصلاة مكيال وميزان؟ قال: فرفعت رأسي فتأملت فإذا هو علي عليه السلام، فأسرعت في طهوري، وجعلت أقفو أثره إذ حانت منه التفاتة، فقال لي: يا غلام، ألك حاجة؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. تفيدني كلامًا ينفعني الله به في الدنيا والآخرة، قال: يا غلام إنه من صدق الله نجا، ومن أشفق من ذنبه أمن من الردى، ومن زهد في هذه الدنيا قرّت عيناه بما يرى من ثواب الله غدا، ثم قال: يا غلام، ألا أزيدك؟ قلت: بلى يا أمير المؤمنين، قال: إن سرّك أن تلقى الله وهو عنك راض فكن في هذه الدنيا زاهدًا، وفي الآخرة راغبًا، وعليك بالصدق في

---

(١) نهج البلاغة رقم ٢٧ ص ١٤٠، بخلاف يسير.

(٢) الأمالي ١٨٦، ونهج البلاغة ١٤ رقم ٢٧ بخلاف يسير.

جميع أمورك تنجو مع الناجين غداً، يا غلام، إن تزرع هذا الكلام نصب عينيك ينفعك الله به، ثم أطلق عنان البغلة من يده، وقرص بطنها بعقبه، فجعلت أقفو أثره، إذ دخل سوقًا من أسواق البصرة، فمسعته عليه السلام يقول: يا أهل البصرة، يا أهل البصرة، يا أهل المؤتفكة، يا أهل تدمر- أربعًا - إذا كنتم بالنهار؛ الدنيا تخدمون، وبالليل على فراشكم تتقلبون، وفي خلال ذلك عن الآخرة تغفلون، فمتى ترمون الزاد؟ ومتى تفكرون في المعاد؟ فقام إليه رجل من السوقة فقال: يا أمير المؤمنين، أبدٌ من طلب المعاش؟ فقال: أيها الرجل، إن طلب المعاش لا يصرفك عن طلب الآخرة. ألا قلت: أبدٌ[1] من طلب احتكار، فأعذرك إن كنت معذورًا فولى الرجل وهو يبكي، فمسعته عليه السلام يقول: أقبل عليَّ يا ذا الرجل أزيدك تبيانًا، إنه لابد لكل عامل من أن يوفى في القيامة أجر عمله، وعامل الدنيا إنما أجره النار، ثم خرج من السوق، والناس في رنة من البكاء، إذ مرَّ بواعظ يعظ الناس، فلما بصر بأمير المؤمنين عليه السلام سكت ولم يتكلم بشيء، فقال عليه السلام: فكم، وإلى كم توعظون فلا تتعظون؟ قد وعظكم الواعظون، وزجركم الزاجرون، وحذّركم المحذّرون، وبلّغكم المبلّغون، ودلت الرسل على سبل النجاة، وقامت الحجة وظهرت المحجة، وقرب الأمر والأمد، والجزاء غداً ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]. يا أيها الناس، إنه لم يكن لله تبارك وتعالى في أرضه حجة ولا حكمة أبلغ من كتابه، ولا مَدَح الله منكم أحدًا إلا من اعتصم بحبله، وإنما هلك من هلك عندما عصاه، وخالفه واتبع هواه، واعلموا أن جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، والله ما هو شيء قلته من تلقاء نفسي، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ما من عبد جاهد نفسه، فردها عن معصية الله إلا باها الله به كرام الملآئكة، ومن باها الله به كرام الملآئكة

---

(١) في (آ): ساقطة أبدٌ.

فلن تمسه النار»، ثم قال: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١][1].

وروينا أنه لما قفل أمير المؤمنين عليه السلام من صفين، وأكثر كثير من أصحابه والمحكِّمة القولَ في الحكمين، أمر فنودي بالصلاة جامعة، ثم خطب الناس فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ثم قال: اللهم هذا مقام من فَلَجَ فيه كان أولى بالفلج يوم القيامة، ومن نطف[2] أو أوعث[3] أو أسرف فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا، نشدتكم الله، هل تعلمون أنهم حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله فقلت لكم: إنهم ليسوا بأهل دين ولا قرآن، ولقد صحبتهم وعرفتهم أطفالاً ورجالاً، وهم شرُّ أطفال ورجال، امضوا على صدقكم وحقكم، فإنما رفعوا المصاحف خديعة ومكيدة، فرددتم قولي، وقلتم: لا بل نقبل منهم، فقلت لكم: اذكروا قولي لكم، ومعصيتكم إياي، وإذا أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين، أن يحييا ما أحيا القرآن، وأن يميتا ما أمات القرآن؛ لأنهما إن حكما بحكم القرآن لم يكن لنا خلاف على من حكم بما في القرآن، وإن أبيا كنا من حكمهما برآء، وكنا على رأس أمرنا، قالوا: أَفَعَدْلٌ يحكم الرجال في الدمآء، قال: إنا لسنا الرجال حَكَّمْنا، إنما حكمنا القرآن، وهذا القرآن إنما هو خط مخطوط مستور بين الدفتين، وإنما ينطق بحكمه الرجال، قالوا: فَخَبِّرْنا عن الأجل لِمَ جعلته فيما بينك وبينهم؟ قال: ليعلم الجاهل، ويثبت[4] العالم، ولعل الله يصلح في هذه المدة أمر هذه الأمة، ادخلوا مصركم فدخل أصحابه عن آخرهم.[5]

---

(١) الأمالي ١٧٧ - ١٧٩.

(٢) نَطَفَ: اتهم بريبة وتلطخ بعيب، وفسد. قاموس ١١٠٨ مادة نطف.

(٣) أوعث: وقع في الوعث وأسرف في المال. قاموس ٢٢٧ مادة وعث.

(٤) في (ج): وينيب.

(٥) الأمالي ص١٩٨.

وروينا أنه عليه السلام لما فتح البصرة صلى بالناس الظهر، ثم التفت إليهم فقال: سلوا، فقام إليه رجل فقال: والله ما قسمت بيننا بالسوية إذ تقسم بيننا ما حوى عسكرهم، وتدع أبناءهم ونسآءهم؟ فقال علي عليه السلام: إن كنتَ كاذبًا فلا أماتك الله حتى تدرك غلام ثقيف، ثم قال عليه السلام: ويحك إنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير، وقد اجتمع أبواه على رشده، وولد على الفطرة، ولكننا نربيه من الفيء، ونتأنى به الكبر، فإن عدا علينا أخذناه بذنبه، وإن لم يعد لم نأخذه بذنب غيره، ويحك أما علمت أن دار الحرب يحل ما فيها، وأن دار الهجرة يحرم ما فيها.

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام فيما رواه أن عقيلاً رضي الله عنه كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام لعبدالله أمير المؤمنين من عقيل سلام عليك أما بعد:

فإن الله جارُك من كل سوء، وعاصمك من كل مكروه، أعلمك أني خرجت معتمراً، فلقيت عبدالله بن أبي سرح في نحو من أربعين راكبًا من أبنآء الطلقاء مصدرين ركابهم من قُدَيد، فقلت لهم -وعرفت المنكر في وجوههم-: أين يا أبنآء الطلقاء، أبالشام تلحقون عداوةً تريدون بها إطفآء نور الله وتغيير أمره؟ فأسمعني القوم وأسمعتهم، فسمعتهم يقولون: إن الضحاك بن قيس الفهري أغار على الحيرة، وأصاب من أموال أهلها ما شآء ثم انكفأ راجعًا، فأُفٍّ لحياة في دهر جرَّ عليك ما أرى، وما الضحاك إلا فَقْعٌ بقَرْقَرٍ[1]، وقد ظننت حين بلغني ذلك أن أنصارك خذلوك، فاكتب إليَّ يا ابن أبي برأيك وأمرك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك ببني أخيك وولد أبيك، فعشنا معك ما عشت، ومتنا معك ما مت، فوالله ما أحب أن أبقى بعدك فُواقًا، وايم الله الأعز الأجل إنَّ عَيشًا أعيشه في هذه الدنيا لغير هنيء ولا مريء والسلام.

فأجابه علي عليه السلام أما بعد: فكلأك الله كلاءة من يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد، قدم عليَّ عبيدالله بن عبدالرحمن الأزدي بكتابك، تذكر أنك لقيت ابن

---

(١) مثل يقال للذليل «أذل من فقع بقرقر» والفقع: نبتة بيضاء من الكمأة لا أصل له ولا فرع توطأ بالأرجل. والقرقر: القاع الأملس. قاموس مادة فقع ص٩٦٦، ومادة قرقر ص٥٩٣.

أبي سرح في نحو من أربعين راكبًا متوجهين إلى المغرب، وإن ابن أبي سرح طال والله ما كاد الإسلام، وضلَّ عن كتاب الله وسنة نبيه وبغاها عوجًا، فدع ابن أبي سرح وقريشًا وتراكضهم في الضلالة، وتجاولهم في الشقاق، فإنها اجتمعت على حرب أخيك اجتماعها على حرب رسول الله ﷺ.

وأمّا الذي ذكرت من إغارة الضحاك على الحيرة فهو أذلُّ من أن يكون مَرَّ بحبنباتها، ولكن جآء في جريدة خيل فلزم الظهر، وأخذ على السماوة حتى مر بواقصة، فسرّحت إليهم جندًا من المسلمين، فلما بلغه ذلك ولى هاربًا، فتبعوه ولحقوه في بعض الطريق، وقد أمعن حين طفلت الشمس للإياب، ثم اقتتلوا فلم يصبروا إلا قليلاً، فقتل من أصحاب الضحاك بضعة عشر رجلاً، ومضى جريحًا بعد ما أخذ منه بالمخنق.

وأما ما سألتني أن أكتب إليك برأيي فإن رأيي جهاد القوم مع المسلمين حتى ألقى الله لا تزيدني كثرة الناس حولي عزّة، ولا نفورهم عني وحشة؛ لأني محقٌ والله مع المحق، والله ما أكره الموت على الحق، لأن الخير كله مع الموت لمن عقل ودعا إلى الحق.

وأما ما عرضتَه عليَّ من مسيرك إليَّ ببنيك وولد أخيك، فإنه لا حاجة لي في ذلك، أقم راشدًا مهديًا، فو الله ما أحبُّ أن يهلكوا معي لو هلكت، فلا تحسبن ابن أمك و إن أسلمه الناس يخشع أو يتضرع، وما أنا إلا كما قال أخو بني سليم:

فإن تسأليني كيف أنتَ؟ فإنني ... صبورٌ على ريب الزمان صليبُ

يَعِزُّ عليَّ أن تُرى بي كآبةٌ ... فيشمَتَ عاد أو يُسَآءَ حبيب[1]

ورَوينا عن السيد أبي طالب فيما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: لم أزل مظلومًا في صغَري وكبَري، فقيل له: قد عرفنا يا أمير المؤمنين ظلم الناس إياك في كبرك، فمَا ظلمهم في صغرك: فقال: إن عقيلاً كان في عينه وجع، فإذا أرادت الأم أن تذرّ في عينه ذرورًا امتنع عليها، وقال: ابدءوا بعلي أوّلاً، فكانت

(١) أمالي أبي طالب ص٦٢، وشرح النهج ١/١٨٢، والغارات ٢٩٥، وأنساب الأشراف ٢/ ٧٥.

تذر في عيني ذروراً من غير وجع بها[1] .

وبالإسناد إلى السيد أبي طالب فيما رواه أن أمير المؤمنين عليه السلام قيل له : إنك يا أمير المؤمنين رجل مطلوب ، فلو ركبت الخيل في الحرب ، فقال عليه السلام : أنا لا أفر عمن كرَّ ، ولا أكرُّ على من فرَّ ، والبغلة تزجيني . وفسر أبو الحسن علي بن مهدي ، وهو الذي انتهت إليه رواية السيد أبي طالب عليه السلام الإزجي : بالسوق ، واستشهد عليه بقول الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ [النور: ٤٢] أي : يسوقه فقال : تزجيني البغلة أي : تسوقني إلى ما أريد[2] .

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام : إني لأستحيي من الله أن يكون ذنب إليّ أعظم من عفوي ، أوجهل أعظم من حلمي ، أو عورة لا يواريها ستري ، أو خَلّة لا يسدها جودي[3] .

وروينا بالإسناد أن رجلاً سأل أمير المؤمنين عليًا عليه السلام في مسجد الكوفة ، فقال : يا أمير المؤمنين هل تصف لنا ربنا ؟ فنزداد له حبًا وبه معرفة ، فغضب علي عليه السلام ونادى الصلاة جامعة ، فاجتمع الناس حتى غصّ المسجد بأهله ، ثم صعد المنبر ، وهو مغضبٌ متغير اللون ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال :

الحمد لله الذي لا يَفِرُه المنع ، ولا يكديه الإعطاء ، ثمّ كل معط يُنْتَقَصُ سواه ، هو المنان بفوائد النعم ، وعوائد المزيد ، ضمن عيالةَ خلقه ، وأنهج سبيل الطلب للراغبين إليه ، وليس فيما سُئل بأجود منه فيما لم يسأل ، وما اختلف دهر فيختلف فيه الحال ، ولو وَهَب ما شقت عنه معادن الجبال ، وضحكت عنه أصداف البحار ، من فلزّ اللُّجَيْن ، وسبائك العقيان ، ونثارة الدرّ ، وحصائد المرجان لبعض عبيده ؛

---

(١)الأمالي ص٧٣ .

(٢)الأمالي ص٦٩ .

(٣)الأمالي ص٦٢ .

لما أثّر ذلك في جوده، ولا أنفد سعة ما عنده، ولكان عنده من ذخائر الإفضال مالم ينفده مطالب السؤال، ولا يخطر لكثرته على بال؛ لأنه الجواد الذي لا ينقصه المواهب، ولا يُبخِلُه إلحاح الملحّين، و ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨٢]، فما ظنكم بمن هو هكذا؟ سبحانه وبحمده. أيها السائل اعقل ما سألتني عنه، ولا تسألنَّ أحدًا عنه بعدي، فإني أكفيك مُؤنة الطلب، وشدّة التعمق في المذهب، وكيف يوصف الذي سألتني عنه!؟ وهو الذي عجزت الملائكة مع قربهم من كرسي كرامته، وطول وَلَهِهِمْ إليه، وتعظيم جلال عزّته، وقربهم من غيب ملكوت قدرته، أن يعلموا من علْمه إلا ما علّمَهُم، وهم من ملكوت القدس بحيث هم، ومن معرفته على ما فطرهم عليه، فقالوا: ﴿ سُبْحَانَكَ لاَ عِلْمَ لَنَا إِلاَّ مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]. فعليك أيها السائل بما دلك عليه القرآن من صفته، وتقدمك فيه الرسل بينك وبين معرفته، فأتَمَّ به واستضىء بنور هدايته، فإنما هي نعمة وحكمة أوتيتها، فخذ ما أوتيت وكن من الشاكرين، وما كلّفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه، ولا في سنة رسول الله ﷺ وآله، ولا عن أئمة الهدى أثره فَكِلْ علْمَه إلى الله سبحانه؛ فإنه منتهى حق الله تعالى عليك.

اعلم أيها السائل أنّ الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن الاقتحام على السُّدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من تفسير الغيب المحجوب، فقالوا: ﴿آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]، فمدح الله سبحانه اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علمًا، وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلّفهم البحث عنه منهم رسوخًا، فاقتصر على ذلك. واعلم أن الله لم يُحدَثْ فيمكنَ فيه التغير والانتقال، ولم يتصرف في ذاته كرور الأحوال، ولم يختلف عليه عُقب الأيام والليالي، وهو الذي خلق الخلق على غير مثال امتثله، ولا مقدار احتذى عليه من خالق كان قبله، بل أرانا من ملكوت قدرته، وعجائب

ما نطقت به آثار حكمته، واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمهم بتبليغ قوّته[1]، ما دلنا باضطرار قيام الحجّة له علينا على معرفته، ولم تحط به الصفات فيكونَ بإدراكها إيّاه بالحدود متناهيًا، وما زال هو الله الذي ليس كمثله شيء، عن صفة المخلوقين متعاليًا، وانحسرت وجل عن أن تنالَه الأبصار، فيكون بالعيان موصوفًا، وارتفع عن أن يحوي كنه عظمته فهاهات رويّات المتفكرين، وليس له مثل فيكون بالخلق مشبهًا، وما زال عند أهل المعرفة عن الأشباه والأنداد منزّهًا، كذب العادلون بالله إذ شبهوه بأصنافهم، وحلّوه بحلية المخلوقين بأوهامهم.

وكيف لما لا يُقْدَرُ قَدْره مقدارٌ في رويّات الأوهام؛ لأنه أجل من أن تَحدّه ألباب البشر بتفكير، وهو أعلى من أن يكون له كفوٌ فيشبّه بنظير، فسبحانه وتعالى عن جهل المخلوقين، وسبحانه وتعالى عن إفك الجاهلين، فأين يتاه بأحدكم؟وأين يُدرك ما لا يُدرَك والله المستعان[2].

قال السيد أبو طالب الحسني رحمه الله ما تشتمل هذه الخطبة عليه من ذكر عَجْز المخلوقين عن المعرفة على جميع صفات الله تعالى، المراد به العجز عن معرفة معلوماته ومقدوراته، وعجائب صنعه وخلقه على التفصيل، ومقادير نعمه على خلقه، وما اختص به تعالى من علم الغيوب، الذي لم يُطْلِعِ البشر عليه[3].

وروينا بالإسناد إلى محمد بن الحنفية رضي الله عنه قال: لما قدم أمير المؤمنين عليه السلام من البصرة -بعد قتال الجمل- دعاه الأحنف بن قيس، فاتخذ له طعامًا، وبعث إليه وإلى أصحابه، فأقبل إليه أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قال له: يا أحنف، ادعُ أصحابي فدعاهم، فدخل قوم متخشعون كأنهم شنان بوال. فقال له الأحنف بن قيس:

---

(١) الأمالي والنهج: إلى أن يقيمها بمسالك قدرته.

(٢) الأمالي ص٢٠٢، والنهج رقم ٨٩ص٢٣٦ باختلاف يسير.

(٣) الأمالي ٢٠٤.

يا أمير المؤمنين، ما هذا الذي نزل بهم من قلة الطعام؟ أم من هول الحرب؟ قال: لا يا أحنف. إن الله عز وجل إذا أحب قومًا تنسكوا له في دار الدنيا تنسُّك من هجم على ما علم من فزع يوم القيامة من قبل أن يشاهدوها، فحمَّلوا أنفسهم كل مجهودها، فكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى توهموا خروج عنق من النار تَحشُرُ الخلائق إلى ربهم عز وجل، وظهور كتاب تبدوا فيه فضائح ذنوبهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، وتطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانًا، وتفارقهم عقولهم إذا غَلَت بهم مراجل المردّ إلى الله عز وجل غليانًا، يحنون حنين الواله في دجى الظُّلَم، ذبَل الأجسام، حزينةً قلوبهم، كالحةً وجوههم، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، تراهم سكارى وليسوا بسكارى، هم سمَّار وحشة الليالي، متخشعون قد أخلصوا لله أعمالهم سرًا وعلانية، فلو رأيتهم في ليلهم ونهارهم، وقد نامت العيون، وهدأت الأصوات، وسكنت الحركات من الطير في الوكور، وقد نهنههم يوم الوعيد، ذلك قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧] فاستيقظوا لها فزعين، وقاموا إلى مضاجعهم يعولون ويبكون تارة، ويسبِّحون ليلة مظلمة بهماء، فلو رأيتهم يا أحنف، قيامًا على أطرافهم، منحنية ظهورهم على أجزاء القرآن لصلاتهم، إذا زفروا خلت النار قد أخذت منهم إلى حلاقيمهم، وإذا أعولوا حسبت السلاسل قد صارت في أعناقهم. فلو رأيتهم في نهارهم إذًا لرأيت قومًا يمشون على الأرض هونًا، ويقولون للناس حسنًا، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا، وإذا مرّوا باللغو مرّوا كرامًا، أولئك يا أحنف انتجعوا دار السلام، التي من دخلها كان آمنًا، فلعلك شغلك يا أحنف نَظَرُكَ إلى وجه واحدة تبيد الأسقام غضارة وجهها، ودار قد اشتغلت بتقريب فراقها، وستور علقتها، والرياح والأيام موكلة بتمزيقها، وبئست لك دارًا من دار البقاء، فاحْتَلْ للدار

التي خلقها الله عز وجل من لؤلؤة بيضاء، فشقّ فيها أنهارها، وغرس فيها أشجارها، وأظل عليها بالنضيج من ثمارها، وكبسها بالعواتق من حُورِها، ثم أسكنها أوليآءه وأهل طاعته. فإن فاتك يا أحنف ما ذكرتُ لك لترفلنّ في سرابيل القطران، ولتطوفن بينها وبين حميم آن، فكم يومئذ في النار من صُلْبٍ محطوم، ووجه مشؤوم[1]، ولو رأيت وقد قام منادٍ ينادي: يا أهل الجنة ونعيمها، وحليها وحللها، خلوداً ولا موت، ثم يلتفت إلى أهل النار فيقول: يا أهل النار، يا أهل السلاسل والأغلال، خلوداً ولا موت، فعندها انقطع رجاؤهم، وتقطعت بهم الأسباب، فهذا ما أعد الله عز وجل للمجرمين، وذلك ما أعد الله عز وجل للمتقين. وروينا بالإسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن علياً عليه السلام سمع رجلا يذمُّ الدنيا فأطنب في ذمّها، فصرخ به علي عليه السلام فقال: هلمّ أيها الذامُّ للدنيا، فلما أتاه قال له عليه السلام: أيها الذامُّ للدنيا ويحك لمَ تذمها؟ أنت المجترم عليها أم هي المجترمة عليك؟ فقال: بل أنا المجترم عليها يا أمير المؤمنين، قال: ويحك فيم تذمها؟ أليست منزل صدق لمن صدقها؟ ودار غنًا لمن تزود منها؟ ودار عافية لمن فهم عنها؟ مسجد أحبآء الله عز وجل، ومهبط وحيه، ومصلى ملآئكته، ومتجر أوليآئه، اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمُّها وقد آذنت ببينها، ونادت بانقطاعها، ومثلت ببلآئها البلآء، وشوقت بسرورها إلى السرور؟ راحت بفجيعة، وابتكرت بعافية، بتحذير وترغيب وتخويف، فذمّها رجال غداة النّدامة، حدثتهم فلم يصدّقوا، وذكّرتهم فلم يذّكروا، وحمدها آخرون ذكّرتهم فذكّروا، وحدثتهم فصدقوا. فأيها الذام للدنيا، المغتر بتغريرها، متى استذمّت إليك؟ بل متى غرتْك؟ أبمضاجع آبائك من البلى؟ أم بمصارع أمهاتك تحت الثرى؟ كم علّلت بيدك؟ وكم مرّضت بكفك؟ تلتمس له الشفاء، وتستوصف له

---

(١) في (أ): موسوم.

الأطباء، لم ينفعه شفآؤك[1]، ولم تغن عنه طلبتك، مثّلتْ لك ويحك الدنيا بمضجعه مضجعك، حين لا يغني بكاؤك، ولا ينفع أحباؤك[2].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام هذه الرواية بطريق أخرى، وذكر أنهما لا تختلفان إلاَّ في أحرف يسيرة. وفيها قال: ثم التفت إلى أصحابه، فقال: عباد الله، انظروا إلى الدنيا نظر الزاهدين فيها فإنها والله عن قليل تزيل الثاويَ الساكن، وتفجع المترف الآمن، لا يرجع ما تولى منها فأدبر، ولا يُدرى ما هو آت منها فينتظر، سرورها مشوبٌ بالحزن، وآخر الحياة فيها إلى الضعف والوَهَن، فلاَ يغرنكم كثرة ما يعجبكم فيها؛ لقلة ما يصحبكم منها، رحم الله عبداً تفكّر فاعتبر، وأبصر فازدجر، وعاين إدبار ما أدبر، وحضور ما حضر، فكأنّ ما هو كائن من الدنيا عن قليل لم يكن، وكأن ما هو كائن من الآخرة لم يزل، وكل ما هو آت قريب، واعلموا أنه إنما أهلك من كان قبلكم خبثُ أعمالهم لَمَّا لم ينههم الربانيون والأحبار عن ذلك. فَأمُرُوا بالمعروف وَانْهُوا عَن المنكر؛ فإن ذلك لن يقدِّم أجلاً، ولن يؤخِّر رزقًا، فإذا رأى أحدكم نقصًا في نفس أو أهل أو مال ورأى لأخيه صفوة فلا يكونن ذلك فتنة له، فإن المسلم البريء من الخيانة، ما لم يخش دنآءة يخشع لها إذا ذكرت، ويغرى بها لئام الناس كان كالفالج الذي ينتظر أول فوزة من قداحه، تذهب عنه المغرم، وتوجب له المغنم. وكذلك المرؤ المسلم ينتظر إحدى الحسنيين، إما رزقًا من الله تعالى، فإذا هو ذو أهل ومال، ومعه دينه وحسبه، وإما داعي الله فما عند الله خير للأبرار، المال والنبون زينة الحياة الدنيا والعمل الصالح حرث الدنيا وقد يجمعهما الله لأقوام[3].

وروينا من كتاب جلاء الأبصار عن الحاكم رحمه الله تعالى بإسناده إلى أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر صاحب أبي عثمان الجاحظ قال: كان الجاحظ يقول لنا

---

(١) في (ج): شفاعتك.

(٢) الأمالي ٢٧٣، ونهج البلاغة ٧٠٩ رقم ١٣١ باختلاف يسير.

(٣) الأمالي ٣٧٤.

زمانًا: إن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام مائة كلمة كل كلمة، منها تفي بألف كلمة من محاسن كلام العرب، قال: وكنت أسأله دهرًا بعيدًا أن يجمعها لي ويمليها علي، وكان يعدني بها ويتغافل عنها ضنًا بها. قال: فلما كان آخر عمره أخرج يومًا جملة من مسوّدات مصنفاته، فجمع منها تلك الكلمات، وأخرجها إليّ بخطه، فكانت الكلمات المائه هذه:

لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا. الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا. الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم. ما هلك امرؤ عرف قدره. قيمة كل امرء ما يُحْسِنُ. من عرف نفسه فقد عرف ربه. المرء مخبوءٌ تحت لسانه. مَن عَذُبَ لسانه كثر إخوانه. بالبرِّ يُستعبد الحرُّ. بشر مال البخيل بحادث أو وارث. لا تنظر إلى من قال، وانظر إلى ما قال. الجزع عند البلاء تمام المحنة. لاظَفَر مع بغي. لاثنآء مع كبر. لا برّ مع شُح. لا صحة مع نَهَمٍ. لا شرف مع سوء أدب. لا اجتنابَ لمحرَّمٍ مع حرص. لاراحة لحسود[1]. لا سؤدد مع انتقام. لامحبة مع مرآء. لازيارة مع زعارّة[2]. لاصواب مع ترك المشورة. لا مروءة لكذوب. لاوفاء لملول. لاكرم أعزُّ من التقى. لا شرف أعلى من الإسلام. لا معقل أحرز من الورع. لا شفيع أنجح من التوبة. لا لباس أجمل من السلامة. لا دآء أعيى من الجهل. لا مرض أضنى من قلة العقل. لسانك يقتضيك ما عودته. المرؤ عدو ما جهله. رحم الله امرءاً عرف قدره ولم يتعد طوره. إعادة الاعتذار تذكير بالذنب. النصح بين الملأ تقريع. إذا تم العقل نقص الكلام. الشفيع جناح الطالب. نفاق المرء ذلة. نعمة الجاهل كروْضة على مَزبَلَة. الجزع أتعب من الصبر. المسئول حرٌّ حتى يعد. أكبر الأعدآء أخفاهم مكيدة. من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعينه. السامع للغيبة أحد المغتابين. الذلّ مع الطّمع. الراحة مع اليأس. الحرمان مع الحرص. من كثر مزاحه

---

(١) في (ج): مع حسود.

(٢) الزعارّة: شرسة الخلق ولا فعل له. مختار ص ٢٧٢.

لم يَخلُ منْ حقْد عليه أو استخفاف به . عبد الشهوة أذلُ من عبد الرِّق . الحاسد مغتـاظ علَى منَ لا ذنـب له . كفى بالظَّفَر شفيعًا للمذنب . ربّ ساعٍ فيما يضره . لا تتكل على المنى فإنها بضائع النَّوكا . اليأس حرٌ والرجاء عبد . ظن العاقل كهانة . مَنْ نظر اعتبر . العداوة شغل القلب . القلب إذا أكره عمي . الأدب صورة العقل . لا حيآء لحريص . من لانت أسافله صلبت أعاليه . من أتي في عجانة[1] قل حياؤه ، وبَذّأ لسانه . السعيد من وُعظ بغيره . الحكمة ضآلة المؤمن . الشر جامع لمساوئ العيوب . كثرة الوفاق نفاق ، وكثرة الخلاف شقاق . ربَّ آمل خائب ، ورب رجآء يؤدي إلى الحرمان . ربَّ أرباح تؤدي إلى الخسران . ربّ طمع كاذب . البغي سائق إلى الحين . في كل جرعة شرقة ، ومع كل أكلة غصة . من كثر فكره في العواقب لم يشجُع . إذا حلّت المقادير ضلت التدابير . إذا حلّ المقدور بطل التدبير . إذا حل القدر بطل الحذر . الإحسان يقطع اللسان . الشرف العقل والأدب ، لا الأصل والحسب . أكرمُ الحسب حُسنُ الخلق . أكرم النسب حسن الأدب . أفقر الفقر الحُمْق . أوحش الوحشة العُجْب . أغنى الغنَى العقل . الطامع في وثاق الذل . احذروا نفار النعم فما كل شارد بمردود . أكثر مصارع ذوي العقول تحت بروق الأطماع . من أبدى صفحته للحق هلك . إذا أملقتم فتاجروا الله بالصدقة . من لان عوده كثفت أغصانه . قلب الأحمق في فيه ، ولسان العاقل في قلبه . من جرى في عنان أمله عثر بأجله . إذا وصلت إليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر . إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكر القدرة عليه . ما أضمر أحدٌ شيئًا إلا ظهر منه في فلتات لسانه وصفحات وجهه . اللهم اغفر رمزات الألحاظ ، وسقطات الألفاظ ، وشهوات الجنان ، وهفوات اللسان . البخيل مستعجل للفقر يعيش في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء . لسان العاقل ورآء قلبه ، وقلب الأحمق ورآء لسانه .

---

(١) العجان : الدبر أو الأست . ينظر لسان العرب مادة عجن .

قال الجاحظ -معناه: أن العاقل لا يطلق لسانه إلا بعد مراجعة فكره، ومفاحصة رأيه، فكأن لسان العاقل تابع لقلبه، وكأنَّ قلب الأحمق وراء لسانه.

وروينا بالإسناد إلى السيد أبي طالب رضي الله عنه بإسناده عن كميل بن زياد أن أمير المؤمنين عليًا عليه السلام قال: يا سبحان الله! ما أزهد كثير من الناس في الخير! عجبت لرجل يأتيه أخوه المؤمن في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلاً! فوالله لو كنا لا نرجو جنةً ولا ثوابًا، ولا نخشى نارًا ولا عقابًا- لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق؛ فإنها تدل على سبل النجاح. فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين أسمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: نعم. وما هو خير منه، لما أتانا سبايا (طيّ) وقعت جارية حَمّآء، حوّاء، لعسآء، لمياء، عيطآء، شمّاء الأنف، معتدلة القامة، ردما الكعبين، خدلجة الساقين، لفآء الفخذين، خميصة الخصرين، ضامرة الكشحين، فلما رأيتها أُعجبت بها، وقلت: لأطلبنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يجعلها في فيئي، فلما تَكَلَّمَتْ نسيت جمالها لما رأينا[1] فصاحتها، فقالت: يا محمد إن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي العرب، فإني ابنةُ سُرَّة قومي، كان أبي يفك العاني، ويشبع الجائع، ويُقري الضيف، ويفرّج عن المكروب، ويطعم الطعام، ويفشي السلام، وما ردَّ طالبَ حاجة قط عنها، أنا ابنة حاتم الطائي، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: هذه صفة المؤمن، لو كان أبوك إسلامياً ترحمنا عليه، خلّوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق واللهّ يحب مكارم الأخلاق، فقام أبو بردة فقال: يا رسول الله تحب مكارم الأخلاق؟ فقال: نعم يا أبا بردة لا يدخل الجنة أحد إلا بحسن الخلق[2].

قال الحاكم الإمام رضي الله عنه: حمّاء أي: سمرآء، وكذلك الحوّاء: من الحُوّة في اللون، وقيل: منه سميت امرأة آدم عليه السلام حوّاء. وفي الحديث «خير الخيل الحوّآء»

---

(١) في (أ): لما سمعت من.

(٢) الأمالي ٣٢٨.

يعني : الكميت التي يعلوها سواد ، وقد حوى الفرس حوّة .

وقوله : لمياء لعسآء ، اللمآء واللعس : سواد مستحسن في الشفة ، يقال : جارية لعسآء ، إذا كان في لونها أدنى سواد وشربة من الحمرة . قال ذو الرمة :

لمياءُ في شفتيها حُوَّةٌ لَعسٌ وفي اللثات وفي أنيابها شنب

وقوله : عيطآء : هي الطويلة في اعتدال ، والشمآء : من الشمم في الأنف ، وهو تطامُن القصبة ، وقوله : ردما : هي التي خفي العظم في ساقها غمض من كثرة اللحم وامتلائه ، والخدلّجة : الممتلئة الساقين سمنًا . وقوله : لَفّآء : هي من اللَفَف وهو اجتماع اللحم على الفخذ ، ومنه الشجر الملتفّ الأغصان ، والكَشْحُ والخَصر واحد ، ومنه الكاشح العدو ، الذي يضمر العدواة في كشحه ، وقولها : سُرَّة قومي : أي خالصهم وصميمهم[1] .

ومنه حديث ظبيان قال لما وفد على رسول الله ﷺ : نحن قوم من سُرة مذحج : أي خيارهم ، وقولها : ويفك العاني : أي يطلق الأسير ، ومنه : ﴿ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴾ [البلد : ١٣] ، ومنه الحديث : « أعتق النسمة ، وفك الرقبة » قيل : أو ليسا واحدة؟ قال : لا ، عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة : أن تعين في عتقها .

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام رواه عن عقبة بن أبي الصهبآء قال : لما ضرب ابن ملجم لعنه الله عليًا عليه السلام دخل الحسن عليه السلام وهو باك ، فقال له علي عليه السلام : ما يُبكيك يا بني ؟ قال الحسن عليه السلام : ومالي لا أبكي وأنتَ في أول يوم من الآخرة وآخر يوم من الدنيا ، فقال : يا بني احفظ عني أربعًا لا يضرك ما عملت معهن شيء ، فقال عليه السلام : ما هنّ يا أمير المؤمنين؟ فقال : «اعلم أن أغنى الغنى العقل ، وأكبر الفقر الحُمْق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكبر من الحسب حسن الخلق » فقال الحسن عليه السلام : يا أبة هذه الأربع فأعطني الأربع قال : يا بني إياك

---

(١) الأمالي ص٣٢٩ .

ومصادقةَ الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك ، وإياك ومصادقة الكذَّاب فإنه يقرب إليك البعيد ويباعد عنك القريب ، وإياك ومصادقة البخيل فإنه يَقعد عنك أحوجَ ما تكون إليه ، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه اليسير .

وروينا بالإسناد إلى السيد أبي طالب عليه السلام بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عليهم السلام أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام كتب إلى ابنه الحسن عليه السلام بعد انصرافه من صفين إلى قناصرين[1] :

من الوالد الفان ، المقرِّ للزمان ، المستسلم للدهر[2] ، الذامِّ للدنيا ، الساكن مساكن الموتى ، الظاعن منها إليهم غدًا ، إلى الولد المؤمِّل في دنياه ما لا يدرك ، السالك في الموت سبيل من هلك ، غرض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وقرين الأحزان ، ورمية المصايب ، وتاجر الغرور ، وغريم المنايا ، وأسير الموت ، ونصب الآفات ، وخليفة الأموات . أما بعد ، يا بني : فإن فيما تبينت من إدبار الدنيا عني ، وجنوح الدهر عليَّ ، وإقبال الآخرة إليَّ ما ينزع بي عن ذكري سواي ، والاهتمام بما ورآئي ، غير أني تفرَّد بي دون هموم الدنيا همُّ نفسي ، فصدَقني رأيي ، وصرفني عن هواي ، وصرَّح لي محض[3] أمري ، وأفضى بي إلى جِدٍّ لا يُزري بي لعبٌ ، وصدق لا يشوبه كذب . وجدتُك يا بني بعضي ، بل وجدتك كلي ، حتى كأن لو شيئًا أصابك أصابني ، وحتى لو أن الموت أتاك أتاني ، فعناني من أمرك ما يعنيني من أمر نفسي ، كتبت إليك كتابي هذا إن بقيت أو فنيت .

أوصيك بتقوى الله ، ولزوم أمره ، وعمارة قلبك بذكره ، والاعتصام بحبله ، فإن الله تعالى يقول : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] وأي سبب أوثق من سبب يكون بينك وبين الله ، فأحي قلبك بالموعظة ،

---

(١) في النهج والامالي (حاضرين) ، وهو : اسم بلدة في نواحي صفين .

(٢) (أ) في المتن : للحدثان .

(٣) في النسخ (فحص) .

ونوّره بالحكمة، ومرّنه على الزهد، وقوّه باليقين، وذلّله بالموت، وقرره بالفنآء، وبصره فجآئع الدنيا، وحذره صولة الدهر، وفحش تقلب الأيام والليالي، واعرض عليه أخبار الماضين، وذكّره ما أصاب من قبلك، وسر في ديارهم وآثارهم، وانظر ما فعلوا، وأين حلوا، وعمّا انقلبوا؟ فإنك تجدهم انقلبوا عن الأحبة، ونزلوا دار الغربة، فكأنك عن قليل صرت كأحدهم؛ فأصلح مثواك، ولا تبع آخرتك بدنياك، ودع القول فيما لاتعرف، والنظر في ما لم تُكلَّف، وامسك عن طريق إذا خفت ضلالته، فإن الوقوف عند حيرة الطريق خيرٌ من ركوب الأهوال، وأمر بالمعروف، وكن من أهله، وأنكر المنكر بلسانك ويدك، وباين مَنْ فَعَلَهُ بجهدك، وجاهد في الله حق جهاده، ولا يأخذك في الله لومة لآئم.

وفي رواية أخرى: وعوّد نفسك الصبر على المكروه، ونعم الْخُلُق الصبر[1]، وألجئ نفسك في أمورك كلها إلى إلهك؛ فإنك تلجئها إلى كهف حريز، ومانع عزيز، واخلص المسألة لربك؛ فإن في يديه العطاء والحرمان، وأكثر من الاستخارة، واحفظ وصيتي. ومن هاهنا اتفقت الروايتان: ولا تذهبن عنك صفحًا؛ فإن خير القول ما نفع.

واعلم يا بني أنه لا غناء بك عن حسن الارتياد، وبلاغ الزّاد، مع خفة الظهر، فلا تحمل على ظهرك فوق بلاغك، فيكون عليك ثقلاً ووبالاً، وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل زادك فيوافيك به حيث ما تحتاج إليه فاغتنمه؛ فإن أمامك عقبة كئوداً لا محالة، وإن مهبطها يكون على جنة أو على نار، فارتد يابني لنفسك قبل نزولك، وأحسن إلى غيرك كما تحب أن يحسن إليك، واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك، وارض من الناس بما ترضى لهم، ولرُب بعيدٌ أقرب من قريب، والغريب من ليس له حبيب، ولربّما أخطأ البصير قصده،

---

(١) في الأمالي والنهج: التصبر.

وأبصر الأعمى رشده .

يا بني : قطيعتك الجاهل تعدل مواصلة العاقل ، قلة التوقي أشد زلّة ، وعلّة الكاذب أقبح علّة ، وليس مع الاختلاف ائتلاف ، مَنْ أمِن الزمان خانه ، ومن تعاظم عليه أهانه ، ومن لجأ إليه أسلمه . رأس الدين صحة اليقين ، وخير المقال ما صدّقه الفعال ، سَلْ يا بني عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدّار ، واحتمل ضيم المدل عليك ، واقبل عذر من اعتذر إليك ، وكن من أخيك عند صرمه لك على الصلة ، وعند تباعده على الدنوّ منه ، وعند جموده على البذل ، حتى كأنه ذو نعمة عليك ، وإياك أن تفعل ذلك في غير موضعه ، أو تصنعه بغير أهله . لِنْ لمن غالطك فيوشك أن يلين لك ، ولا تَقُل ما لا تعلم ، بل لا تقل كل ما تعلم .

واعلم أن الانحراف عن القصد ضد الصواب وآفة ذوي الألباب ، فإذا اهتديت لقصدك فكن أخشى ما تكون لربك .

وفي رواية أخرى : وإياك والاتكال على الأماني ؛ فإنها بضائع النَّوْكَا ، وتثبيط عن الآخرة والأولى ، وخير حظ المرء قرينٌ صالح . قارب أهل الخير تكن منهم ، وباين أهل الشر تبن عنهم ، ولا يغلبن عليك سوء الظن ، فإنه لا يدع بينك وبين خليلك صلحًا ، وذكِّ قلبك بالأدب كما تُذك النار بالحطب . كفر النعمة لؤم ، وصحبة الأحمق شؤم ، واعلم أن الذي بيده خزائن السموات والأرض قد أذن بدعآئك ، وتكفّل بإجابتك ، وأمَرك أن تسأله ليعطيك ، وهو رحيم بصير ، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ، ولم يمنعك إن أسأت من التوبة ، ولم يعاجلك بالنقمة ، وفتح لك باب المتاب والأسباب ، فمتى شئت سمع دعآءك ونجواك ؛ فافض إليه بحاجتك ، وبث ذات نفسك ، وأسند إليه أمورك ، ولا تكن مسألتك فيما لا يعنيك ، ولا مما يلزمك خباله ، ويبقي عليك وباله ، فإنه يوشك أن ترى عاقبة أمرك حَسَنًا أو قبيحًا .

واعلم يا بني أنك إنما خُلقت للآخرة لا للدنيا ، وللبقآء لا للفنآء ، وللحياة لا للموت ، وأنك في منزل قُلْعَة ، وطريق إلى الآخرة ، وأنك طريد الموت الذي

لا ينجو هاربه ، فأكثر ذكر الموت ، وما تهجم عليه ، وتفضي بعد الموت إليه ، واجعله أمامك حيث تراه ، فيأتيك وقد أخذت حذرك ، واذْكُرِ الآخرةَ وما فيها من النعيم والعذاب الأليم ؛ فإن ذلك يزهدك في الدنيا ، ويصغرها عندك ، مع أن الدنيا قد نعت إليك نفسها ، وتكشّفت لك عن مساوئها ، وإياك أن تغتر بما ترى من إخلاد أهلها ، وتكالبهم عليها ، فإنما هم كلاب عادية ، وسباعٌ ضارية ، يَهرُّ بعضها على بعض ، يأكل عزيزها ذليلها ، وكثيرها قليلها . واعلم يا بني أن من كانت مطيته الليل والنهار فإنه يسار به وإن لم يسر ، وأن الله قد أذن بخراب الدنيا وعمارة الآخرة ، فإن تزهد فيما زهّدتك فيه منها ورغبت عما رغبت عنها فأنت أهل لذلك ، وإن كنت غير قابل نصيحتي فاعلم علمًا يقينًا أنك لن تبلغ أملك ، ولن تعدوا أجلك ، وإنك في سبيل من كان قبلك ، فاخفض في الطلب ، وأجمل في المكتسب ، فرُب طَلَبٍ جرَّ إلى حرب .

وانظر إلى إخوانك الذين كانوا لك في الدنيا مواسين ، ومعك لله ذاكرين متكاتفين ، قد خَلَوا عن الدور ، وأقاموا في القبور إلى يوم النشور ، وكأن قد سلكت مسلكهم ، ووردت منهلهم ، وفارقت الأحبة ، ونزلت دار الغربة ، ومحل الوحشة ، وجاورت جيرانًا افترقوا في التجاور ، واشتغلوا عن التزاور ، فاعمل لذلك المصرع ، وهول المطلع ، فيوشك أن تفارق الدنيا ، وتنزل بك العظمى ، وتصير القبور لك مثوى ، واعمل ليوم يجمع الله فيه الأولين والآخرين ، ويجيء فيه بصفوف الملآئكة المقربين ، حول العرش يجمعون على إنجاز موعد الآخرة ، وزوال الدنيا الفانية ، وتغير الأحوال ، وتبدل الآمال من عدل القضآء ، وفصل الجزآء في جميع الأشيآء ، فكم يومئذ من عين باكية ، وعورة بادية ، تُجَر إلى العذاب الأليم ، وتُسقى مآء الحميم ، في مساكن الجحيم ، إن صرخ لم يُرحم ، وإن صبر لم يُؤجر ، فاعمل لتلك الأخطار تتخلص من النار ، وتكون مع الصالحين الأبرار . . . يا بني : كن في الرخآء شكوراً ، وعند البلآء صبوراً ، ولربك ذكوراً ،

وليكن ما بينك وبينه معموراً، يا بني لن تزال بخير ما حمدت ربك، وعرفت موعظته لك، فإن قلوب المؤمنين رقيقة، وأعمالهم وثيقة، ونياتهم صدق وحقيقة، فالزم محاسن أخلاقهم، وجميل أفعالهم، لعلك تُحاسَب حسابهم، وتثاب ثوابهم.

يا بني: أزحتُ عنك العلّة، وألزمتك الحجة، وكشفت عنك الشبهة، وظهرت لك الآثار، ووضحت لك البينات، وما أنت بمخلد في الدنيا، فعيشها غرور، ما يتم فيها لذي لُبٍّ سرور، يوشك ما ترى أن ينقضي وتمر أيامه، ويبقى وزره وآثامه.

إن الدار التي أصبحنا فيها بالبلآء محفوفة، وبالفنآء موصوفة، كلما ترى فيها وبين أهلها دول سجال، وعوار مقبوضة، بينا أهلها فيها في رخآء وسرور إذ هم في بلآء وغرور، تتغير فيها الحالات، وتتابع فيها الرزيّات، ويساق أهلها للمنيات، فهم فيها أغراض ترميهم سهامها، ويغشاهم حمامها، قد أكَلَتْ القرون الماضية، وأشْرَعَتْ في الأمم الباقية، أكلهم ذعاق ناقع، وحمام واقع، ليس عنه مذهب، ولا منه مهرب، إن أهل الدنيا سفر نازلون، وأهل ظعن شاخصون، فكأن قد انقلبت بهم الحال، ونودوا بالارتحال، فأصبحت منهم قفاراً، ومن جميعهم بواراً، والسلام عليك[1].

ومن كلامه عليه السلام: أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل كنّ لها أهلاً: لا يرجوَنّ أحدٌ منكم إلا ربّه، ولا يخافَنّ إلا ذنبه، ولا يستحيين أحد منكم إذا سُئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيين أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم [بالصبر فإن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه، ولا في إيمان لا صبر معه].[2]

---

(١) الأمالي ص٨١، والنهج ص٥٧٢ رقم: ٣١.

(٢) ما بين القوسين ساقط من جميع النسخ، وموجود في هامش (آ) فقط. ينظر الأمالي ص١٤٥.

وقال عليه السلام : المغبون من غبن نفسه ، والمغبوط من سلم له دينه ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من انخدع لهواه وغروره .

وقال عليه السلام : بؤساً لنعمة تذهب لذتها وتبقى تَبِعَتُها .

وقال عليه السلام : ثلاثٌ من كنوز الجنة : كتمان الصدقة ، وكتمان المصيبة ، وكتمان المرض .

وقال عليه السلام : جميع الخير كله في ثلاث : النظر ، والسكوت ، والكلام . فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو ، وكل كلام ليس فيه ذِكْر فهو لغو ، وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة ، فطوبى لمن كان نظره عبرة ، وسكوته فكراً ، وكلامه ذكراً ، وبكى على خطيئته ، وأمن الناس شره .

وكتب عليه السلام إلى الأشتر : صل من قطعك ، وأعط من حرمك ، واعف عمن ظلمك ، وأحسن إلى من أساء إليك ، وقُل الحق على نفسك .

وروي عن الجاحظ أنه قال: صنفتُ ألف كتاب ما سمعت كلمةً إلا أتيتُ بنظيرها إلا تسع كلمات لأمير المؤمنين صلوات الله عليه : ثلاث في المناجاة ، وثلاث في الحكمة وثلاث في الأدب . أما التي في المناجاة : إلهي كفى لي فخراً أن تكون لي ربّاً ، إلهي كفى لي عزاً أن أكون لك عبداً ، إلهي أنت كما أُحبُّ فاجعلني كما تُحب .

وأما التي في الحكمة فقوله : استغن عمّن شئت تكن نظيره ، وارغب إلى من شئت تكن أسيره ، وتفضّل على من شئت تكن أميره .

وأمّا التي في الأدب فقوله : قيمة كلّ امرئٍ ما يُحسنه ، والمرء مخبوءٌ تحت لسانه ، وما هلك امرؤٌ عرف قدره .

ومن شعره عليه السلام قوله وقد توفيت فاطمة (ع) :

نفسي على زفراتها محبوسة ... يا ليتها خرجت مع الزّفرات

لا خير بعدَكِ في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثم أخذ في جهازها ودفنها وهو يقول :

وإنّ افتقادي فاطمًا بعد أحمد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليل

لكل اجتماع من خليلين فرقةً ... وكل الذي دون الفراق[1] قليل

ولَمَّا أقبل من قبرها زار قبر رسول الله ﷺ، وقال: إن الصبر لجميل إلا عنك، وإن الجزع لقبيح إلاّ عليك، وإن المصيبة بك لجليل، وأما بعدك فجلل، ثم أنشأ يقول :

ما غاض دمعي عند نازلة ... إلا جعلتُك للبكا سببَا

فإذا ذكرتُك سامَحتْك به ... مني الجفونَ ففاض وانسكبَا

وروى سعيد بن المسيب قال: دخلنا مقابر المدينة مع جنازة، فمال علي عليه السلام إلى قبر فاطمة عليها السلام وانصرف الناس فبكى وأنشأ يقول :

لكل اجتماع من خليلين فُرقة ... وإن الذي دون الفراق قليلُ

أرى علل الدنيا عليّ كثيرةً ... وصاحبها حتى الممات عليلُ

إذا انقطعت يومًا من العيش مدتي ... فإن غناء الباكيات قليلُ

وإن افتقادي فاطمًا بعد أحمد ... دليلٌ على أن لا يدوم خليلُ

وروي : وإنّ افتقادي واحدًا بعد واحد .

ثم نادى: يا أهل القبور، تخبرونا أخباركم، أم تريدون أن نخبركم، أم عن الجواب مُنِعْتُم، يا معشر الأخوان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته قال: فسمعنا صوتاً يقول : وعليك السلام ورحمة الله يا أمير المؤمنين، خبِّرنا بأخبارك، ما عندك؟ فقال عليه السلام : أما أزواجكم فقد زُوِّجوا، وأما أموالكم فقد اقتُسمت، وقد حشر في زمرة اليتامى أولادكم، والمنازل التي شيَّدتم وبنيتم قد سكنها أعداؤكم، فهذه أخباركم عندنا، فما أخبارنا عندكم؟ قال: فأجابه مجيبٌ وهو يقول : تخرَّقت الأكفان، وتناثرت الشعور، وتمغَّطت الجلود،

---

(١) في(أ): الممات.

وسالت الأحداق على الخدود، وسالت المناخر والأفواه بالقيح والصديد، وما قدَّمنا وجدناه، وما أبقينا خسرناه، ونحن مرتهنون بالأعمال.

وله عليه السلام يعظ ابنه محمداً عليه السلام:

إنْ عضَّك الدَّهرُ فانتظر فرجًا ... فإنه ناظرٌ لمنتظره
أوْ مسَّكَ العُسرُ فابتُليتَ به ... فاصبر فإن الرخاء في أثره
ربَّ معافىً شكا تقلُّبه ... ومُشتكٍ ما ينام من سهَره
وآمنٍ في عشاء ليلته ... دبَّ إليه البلاءُ في سَحَره
من صَحِبَ الدهر ذمَّ صحبَته ... ونال من صفوه ومن كدره

وله عليه السلام:

رضيت بما قسم الله لي ... وفوّضت أمري إلى خالقي
لقد أحسن الله فيما مضى ... كذلك يُحسن فيما بقي

وله عليه السلام:

انظر لنفسك هل ترى من ظالم ... إلاّ وصافي عيشه متكدّرُ
الله يمهل ثم يأخذ بغتةً ... وله جزاء عاجل ومؤخَّرُ

وله عليه السلام:

ما أحسن الدنيا وإقبالها ... إذا أطاع اللهَ من نالها
من لم يواس الناس من فضله ... عرَّض للإدبار إقبالها

وقال عليه السلام في رجل ضعيف يقال له: وَبَرَةٌ، ذي مال:

سبحان ربِّ العباد يا وبرة ... ورازق المسلمين والفَجَرة
لو كان رزق العباد من جَلَدٍ ... ما نلتَ من رزق ربنا وَبَرة

وقال عليه السلام:

لإن ساءني دهرٌ لقد سرَّني دهرُ ... وإن مسني عسرٌ لقد مسني يُسرُ
لكلٍّ من الأيام عندي عادةٌ ... فإن ساءني صبرٌ وإن سرني شكرُ

وله عليه السلام :

مـا أكـثـرَ النـاسَ لا بل مـا أقلَّهُمُ ... اللـهُ يـعـلـم أنـي لـم أقـل فـنَـدا

إني لأطبق جَـفني ثم أفـتـحُـه ... أرى كـثـيـراً ولكن لا أرى أحـدا

وله عليه السلام يخاطب جابراً :

لا تخـضـعنَّ لمخلوق على طمعٍ ... فـإنَّ ذلك نقصٌ منك في الدينِ

واسـتـرزق الله مما في خـزآئنه ... فـإن ذلـك بين الكاف والنونِ

روينا ما بعد وصية أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب السفينة إلى ها هنا .

وروينا من غيرها مما هو مسموعٌ لنا أيضاً لأمير المؤمنين عليه السلام أنه كان يقول :

إذا يقـضي لك الرحـمنُ رزقـاً ... يُعـدُّ لرزقـه المقـضيِّ بـابا

وإن يحـرمك لا تَسطع بحـولٍ ... ولا رأي الرجـال له اكـتـسـابا

فأقصر في خُطاك فلست تعدو ... بحـيلتك القـضـآء ولا الكتـابا

وله عليه السلام :

لا تعـتبنَّ على العـبـاد فـإنما ... يأتيك رزقك حين يؤذن فـيـه

سبق القـضـاء بوقـتـه فكأنما ... يأتيك حين الوقت أو تأتيـه

وَثقنْ بمولاك اللطيف فـإنه ... بالعـبـد أرأف من أب ببنيـه

وأَشِعْ غناك وكن لفـقـرك صـآئناً ... تُضني حـشـاك وأنت لا تبـديه

فـالحـرُّ يكتم جـاهداً إعـدامـه ... فكأنما عن نفـسـه يُخـفـيـه

وله عليه السلام :

لو كـانت الأرزاق تجـري على ... مـقـدار مـا يسـتـوجب العـبـدُ

لكان من يُخـدَم مـسـتـخـدمـاً ... وغـاب نحسٌ وبدا سـعـدُ

واعـتـذر الدهرُ إلى أهله ... واتصل السـؤدد والمجـدُ

لكنهـا تجـرى على سـمـتـهـا ... بما يريد الواحـد الفـردُ

ومن كلامه عليه السلام رواه مصنف نهج البلاغة[1]: واعجبًا أتكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة!

وروي له عليه السلام في هذا المعنى:

لأن كنتَ بالشورى ملكتَ أمورهم	فكيف بهذا والمشيرون غُيَّبُ
وإن كنت بالقربى حججتَ خصيمهم	فغيرُك أولى بالنبي وأقربُ

ومن دعائه عليه السلام - رواه أيضًا: اللهم اغفر لي ما أنت أعلم به مني، فإن عدتُ فعدلي بالمغفرة. اللهم اغفر لي ما رأيت من نفسي ولم تجد له وفاء عندي. اللهم اغفر لي ما تقربت به إليك ثم خالفه قلبي. اللهم اغفر لي رمزات الألحاظ، وسقطات الألفاظ وشهوات الجنان، وهفوات اللِّسان.[2]

ومن كلام له عليه السلام - رواه أيضًا: اللهم لك الحمد على ما تأخذ وتعطي، وعلى ما تعافي وتبتلي، حمدًا يكون أرضى الحمد لكَ، وأحبَّ الحمد إليك، وأفضلَ الحمد عندك، حمدًا يملأ ما خلقت، ويبلغ ما أردت، حمدًا لا يُحجبُ عنك، ولا يَقصُرُ دونك، حمدًا لا ينقطع عدده، ولا يفنى مَدَدُه، فلسنا نعلم كنه عظمتك، إلا أنا نعلم أنك حيٌّ قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، لم ينته إليك نظر، ولم يدركك بصر، أدركتَ الأبصار، وأحصيت الأعمار، وأخذتَ بالنواصي والأقدام، وما الذي نرى من خلقك ونعجب له من قدرتك، ونَصفُه من عظيم سُلطانك، وماتغيَّبَ عنَّا منه، وقصرت أبصارنا عنه، وانتهت عَقولنا دونه، وحالت سواتر الغيوب بيننا وبينه أعظم، فمن فرّغ قلبه، وأعمل فكْرَه؛ - ليعلم كيف أقمت عرشك، وكيف ذرأت خلقك، وكيف عُلّقت في الهوآء سماواتك، وكيف مددت على مَور المآء أرضك- رجع طرفُه حسيرًا، وعقله مبهورًا، وسمعه وَالهًا، وفكره حائرًا[3].

---

(1) (الحكم والأمثال) رقم ١٩٠ ص ٧٢١.

(2) النهج ص ٢٠٢ رقم: ٧٦.

(3) النهج ص ٣٨١ رقم: ١٥٨.

ومن كلامه عليه السلام: اللهمّ أنت أهل الوصف الجميل، والتعداد الكثير، إن تؤمّلْ فخيرُ مأمول، وإن تُرْجَ فخيرُ مرجوٍّ، اللهم وقد بسطت لي فيما لا أمدح به غيرك، ولا أثني به على أحد سواك، ولا أوجِّهه إلى معادن الخيبة، ومواضع الريبة، وعدلت بلساني عن مدائح الآدميين، والثناء على المربوبين المخلوقين. اللهمّ ولكل مُثنٍ على من أثنى عليه مثوبةٌ من جزآء، أو عارفة من عطآء، وقد رجوتك دليلاً على ذخائر الرحمة، وكنوز المغفرة. اللهمّ وهذا مقام من أفردك بالتوحيد الذي هُوَ لك، ولم يَرَ مستحقًا لهذه المحامد والممادح غيرَك، وبي فاقة إليك لا يَجْبرُ مسكنتها إلا فضلكَ، ولا يُنعشُ من خَلّتهَا إلا مَنُّك وجودُك؛ فهب لنا في هذا المقام رضاك، وأغننا عن مدِّ الأيدي إلى سواك، إنك على كل شيء قدير.

وبالإسناد الموثوق به من كتاب آخر أنه قال في مناجاته عليه السلام: إلهي ارحمنا إذا تضمنتنا بطونُ لحودنا، وأغميتْ باللّبن سقوفُ بيوتنا، واضطجعنا مساكين على الأيمان في قبورنا، وخُلِّفنا فرادى في أضيق المضاجع، وصرعتنا المنايا في أعجب المصارع، وصرنا في دار قوم كانت مأهولة منهم بلاقع. إلهي لقد رجوتُ ممن ألبسني من بين الأحياء ثوب عافيته ألا يعريني منه من بين الأموات بجود رأفته.

ومن كلام له عليه السلام في صفة النبي صلى الله عليه وآله: لم يكن صلى الله عليه وآله بالطويل المُمَّغط[1]، ولا بالقصير المتردِّد[2]. كان رَبْعة[3] من القوم، ولم يكن بالْجَعْد القَطَط[4] ولا السَّبْط، كان جَعْداً رجْلاً[5]، لم يكن بالمطهّم[6] ولا

(١) أي: لم يكن بالطويل البائن الطول. لسان العرب ٤٠٥/٧ مادة: مغط.

(٢) أي: القبيح الخلقة.

(٣) أي: بين الطول والقصر.

(٤) القطط: الشديد جعودة الشعر.

(٥) مسرح الشعر.

(٦) المطهّم: العظيم الجسم.

المُكَلْثم[1]، وكان أبيضَ مُشربًا بحمرة، أدعج[2] العينين، أهدب[3] الأشفار، جليل[4] المشاش والكتد[5]، دقيق المسربة[6]،

أجرد، شثن[7] الكفَّين والقدمين، إذا مشى تقلَّع[8] كأنه يمشي في صَبَب[9]، وإذا التفت التفت معًا، بين كتفيه خاتم النبوة، وهو ﷺ خاتم النبيين، أجود الناس كفًا، وأجرأ الناس صدراً، وأصدق الناس لهجة، وأوفى الناس ذمة، وألينهم عريكة، وأكرمهم عشرة. من رآه بديهة هابه، ومن خالطه أحبّه. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله ﷺ. رويناه من سيرة ابن هشام[10].

ومن كلامه عليه السلام في تعليم الناس الصلاة على النبي ﷺ: اللهم داحي المدحوَّات، وداعم المسموكات، وجابلَ القلوب على فطرتها، شَقيِّها وسعيدها: اجعل شرآئف صلواتك، ونوامي بركاتك على محمد عبدك ورسولك، الخاتم لما سبق، والفاتح لما انغلق، والمعلن الحقَّ بالحقِّ، والدَّافع جيشات الأباطيل، والدامغ صولات الأضاليل، كما حُمِّل فاضطلع قائمًا بأمرك، مُستوفزاً في مرضاتك، غير ناكلٍ عن قُدُمٍ، ولا واهٍ في عزمٍ، واعيًا لوحيك، حافظًا لوعدك، ماضيًا على نفاذ أمرك، حتى أورى قبس القابس، وأضآء الطريق للخابط، وهدنت به القلوب

---

(١) المكلثم: المستدير الوجه في صغر.

(٢) الأدعج: الأسود.

(٣) أهدب الأشفار: طويلها.

(٤) المشاش: عظام رؤوس المفاصل.

(٥) الكتد: ما بين الكتفين.

(٦) المسربة: الشعر الممتد من الصدر إلى السرة.

(٧) أي: غليظهما.

(٨) لم يثبت قدميه.

(٩) الصبب: ما انحدر من الأرض.

(١٠) ج٢ص١٤.

بعد خوضات الفتن، وأقام مُوضِحات الأعلام، ونيِّرات الأحكام، فهو أمينُك المأمون، وخازن علمك المخزون وشهيدك يوم الدين، وبعيثك بالحق، ورسولك إلى الخلق. اللهم افسح له مفسحًا في ظلّك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك. اللهم أعلِ على بناء البانين بناءه، وأكرم لديك منزلته، وأتمم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبولَ الشهادة، ومرضيَّ المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل. اللهمَّ اجمع بيننا وبينه في برد العيش، وقرار النعمة، ومُنَى الشهوات، وأهواء اللذات، ورخاء الدعة، ومنتهى الطمأنينة، وتحف الكرامة. رواه في نهج البلاغة [1]، ولنقتصر على حكاية هذا القدر، وإن كان قليلاً من كثير من كلامه عليه السلام، وهو كلُّه في الرفيع من منازل الفصاحة، والعالي من درجات البلاغة رضي الله عنه وأرضاه.

❖ ❖ ❖

(١) الخطبه رقم ٧٠ ص ١٦٤ .

الإمام الحسن بن علي عليهما السلام[1]

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، وأمه فاطمة عليها السلام ابنة رسول الله ﷺ. وروي أنها لما طُلِقَتْ[2] فاطمة عليها السلام بالحسن بن علي عليهما السلام أُخْبِر بذلك رسول الله ﷺ، فأرسل إلى أسماء بنت عميس وإلى عائشة، وقال: انطلقا إلى فاطمة، فإذا وضعت ما في بطنها فاقرءا بفاتحة الكتاب، وآية الكرسي، وآخر سورة الحشر، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، واعلماني بما وضعت، ففعلتا ذلك وبعثتا إليه، فأذَّن في أذنه اليمنى، وأقام في أذنه اليسرى، ولبَّاه بريقه فحنكه، وقال: اللهمَّ إني أعيذه بك وذريَّته من الشيطان الرجيم. وجاء علي عليه السلام، فقال: ما سميتَه؟ فقال: حرب يارسول الله، قال: هو حسن، ومن بعده حسين، وأنت أبو الحسن القرم[3].

ثم جاءت به أمُّه تحمله بعد ذلك، فقالت: يارسول الله، انحَلْ ابني، قال: قد نحلتُه المهابة والحياء، ونحلتُ حسيناً الشجاعة والجود، وهما سيدا شباب أهل الجنة، ومن أحبهما فبحبي أحبَّهما، ومن أبغضهما أو بغى عليهما فببغضي أبغضهما.

وولد الحسن عليه السلام للنصف من شهر رمضان، سنة ثلاث من الهجرة عام

---

(١) مقاتل الطالبين (٤٦)، الإفادة (٣٥)، تاريخ الطبري (٥/ ١٥٨)، الجرح والتعديل (٣/ ١٩١)، مروج الذهب (٣/ ١٨١) الحلية (٢/ ٣٥)، جمهرة أنساب العرب (٣٨)، الاستيعاب (٥٧٤)، تاريخ ابن عساكر (١/ ٤٩)، أسد الغابة (٢/ ٩)، الكامل (٣/ ٤٦٠)، تاريخ الإسلام (٢/ ٢١٦)، البداية والنهاية (٨/ ١٤)، مجمع الزوائد (٩/ ١٧٤)، تاريخ الخلفاء (١٨٧) سير أعلام النبلاء (٣/ ٢٤٥)، الأعلام (٢/ ١٩٩) صفوة الصفوة (١/ ٣٤٢)، أعيان الشيعة (١/ ٥٦٢).

(٢) طلقت: أصابها وجع الولادة قاموس مادة طلق ١١٦٧.

(٣) ذكرت برواية أخرى في أمالي أبي طالب ص ٩٤، تنبيه الغافلين ص ٧٣، رواه الترمذي ج ١/ ص ٢٨٦، أبو داود ج ٣/ ص ٢١٤، رواه أحمد بن حنبل ٦/ ٩، ٣٩١ وص ٣٩٢.

(أُحُد)[1] بعد الوقعة، وعقَّ عنه رسول الله ﷺ في اليوم السابع كبشاً، وحلقت فاطمة عليها السلام رأسه وتصدَّقت بوزنه فضةً على المساكين.

صفته عليه السلام: كان علي عليه السلام يقول: إن الحسن والحسين اقتسما رسول الله ﷺ، فالحسن أشبه الناس برسول الله ﷺ ما بين مفرق صدره إلى نحره، والحسين أسفل من ذلك.

وروي أنه كان أبيض اللون، حسن الوجه، على رُتَّة في لسانه[2] قال النبي ﷺ: أتته من قِبَل جدّه موسى عليه السلام، ونحله رسول الله ﷺ المهابة والحياء كما تقدم في الخبر.

ذكر طرف من مناقبه ومقاماته عليه السلام:

روينا عن النبي ﷺ أنه قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا حربٌ لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم»[3]، وقال ﷺ: «لما أُسري بي رأيت على باب الجنة مكتوباً بالذهب، لا بماء الذهب: لا إله إلا الله، محمد حبيب الله، عليٌّ ولي الله، فاطمة أمة الله، الحسن والحسين صفوة الله، على باغضهم لعنة الله»، وعنه ﷺ أنه قال للحسن: «اللهم إني أحبه فأحبه وأحب من يحبه»[4].

---

(1) في الأصل: (بدر) والصواب: (أحد)؛ لأن علي بن أبي طالب عليه السلام دخل بفاطمة عليها السلام بعد رجوعه من غزوة بدر، وكذلك غزوة بدر كانت في السنة الثانية، وميلاد السبط الحسن في السنة الثالثة. انظر المقاتل ص٤٨، والإفادة ص٤٩، والاستيعاب ج١ ص٤٣٦.

(2) في الإفادة ص٥٠: أنه فصيح اللسان، وفي هامش (أ) قال الزمخشري: إن الرتة كانت في الحسين عليه السلام.

(3) أمالي أبي طالب ١١٠، الترمذي ٥/ ٦٥٦ رقم ٣٨٧٠، ابن ماجة رقم ١٤٥، المعجم الكبير للطبراني ٣/ ٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١، ٥٠٣٠ والمستدرك ٣/ ١٤٩، والبداية والنهاية ٨/ ٢٢٣، كنز العمال ١٢/ ٣٤١٥٩، ٣٤١٦٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٩ وقال المقبلي حديث أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» قال لعلي والحسن والحسين وفاطمة.

(4) البخاري رقم ٣٥٣٩، ٥٥٤٥، ومسلم رقم ٢٤٢١، و٢٤٢٢، و الترمذي رقم ٣٧٨٣، ابن ماجة رقم ١٤٣، أحمد بن حنبل رقم ٧٣٩٢، ٨٣٦٢، ١٠٩٠٤، ١٨٥٢٤، ١٨٦٠٠، =

وعنه أنه قال: «إن ابني هذا سيد، ومن أحبني فليحب هذا في حجري»[1]،

وروينا عن سلمان رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين من أحبهما أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله الجنة جنة النعيم، ومن أبغضهما وبغى عليهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم خالداً فيها وله عذاب مقيم[2]».

وروينا عن **عبدالله بن الزبير**[3] قال: لقد رأيت الحسن بن علي عليهما السلام «يأتي النبي ﷺ» وهو ساجد فيركب على ظهره، وما يُنزله حتى يكون هو الذي يَنزل، ويأتي وهو راكع فيفرِّج له بين رجليه حتى يأتي من الجانب الآخر.

وفي ذلك يقول الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له:

ألم يكن والـــدي هُبِلْـتَ إذا صـ ـلَّى لـديه امـتطى على صلبـه
ثم يشـيـر اتركـــوه لا تَرَكَـتْـ ـكَ الرزايـا مـالاً لمنتـهـبـه

وعن عكرمة قال: بينا ابن عباس يُحدث الناس، إذ قام إليه نافع بن الأزرق، فقال: ياابن عباس، تفتي في النملة والقملة، صف لي إلهك الذي تعبده! فأطرق

= و البيهقي ٢٠٨٦١، و ٢٠٨٦٢، المعجم الكبير للطبراني ٢٥٨٢، وابن حبان رقم ٦٩٦٢، و٦٩٦٣، والمستدرك ٤٧٩١، وفتح الباري ٢٠١٦، النسائي ٨١٦٤، و٨١٦٥، ومسند أبي يعلى رقم ٩٦٠، ٦٣٩١، ومسند ابن الجعد رقم ٢٠٠٨، مسند الحميدي رقم ١٠٤٣، وتأريخ بغداد ١/ ١٣٩،.

(١) البخاري ٢/ ٩٦٢، ورقم ٢٥٥٧، ورقم ٣٤٣٠، ٣٥٣٦، ٦/ ٢٦٠٢، ورقم ٦٦٩٢، وسنن أبي داوود رقم ٤٣٩٠، ٤٦٦٢، وسنن البيهقي رقم ١١٧٠٥، ١٣١٦٧، ١٦٤٨٦، والمعجم الكبير رقم ٢٥٨٨، ٢٥٩٠، ٢٥٩١، ٢٥٩٢، ٢٥٩٣، ٢٥٩٤، ٢٥٩٥، وابن حبان ٦٩٦٤، والمستدرك رقم ٤٨٠٩، ٤٨١٠، وفتح الباري ٥/ ٣٠٧، ٧/ ٩٥، ٩/ ١٥٩، النسائي رقم ١٧١٨، ٨١٦٦، ١٠٠٨٠ - ١٠٠٨٥، ومسند ابن حنبل رقم ٢٠٤٠٨ وغيرها وكلها برواية «إن ابني هذا سيد ولعل سيصلح الله به بين فئتين من المسلمين».

(٢) الكنجي والحافظ ابن عساكر، وابن ماجة، والحاكم على شرط الشيخين ٣/ ص١٦٦، والترمذي ٥/ ص٦١٤ رقم الحديث ٣٧٦٩.

(٣) الخطبة رقم ٧٠ ص١٩٤.

ابن عباس إعظاماً لقوله، وكان الحسن عليه السلام جالساً في ناحية فقال: إليَّ يابن الأزرق، قال: لستُ إياك أسال، قال ابن عباس: يابن الأزرق، إنه من أهل النبوَّة، وهم ورثة العلم، فأقبل نافع نحو الحسن عليه السلام، فقال له الحسن: يا نافع، إنه من وضع دينه على القياس لم يزل دهره في التباس، قابلاً غير المنهاج، ظاعناً في الاعوجاج، ضالاً عن السبيل، قائلاً غير الجميل. يابن الأزرق، أصفُ ألهي بما وصف به نفسه، وأُعَرِّفُه بما عرَّف به نفسه: لا يُدرَك بالحواس، ولا يُقاسُ بالناس، فهو قريب غير ملتصق، وبعيدٌ غير متقص، يُوَحَّد ولا يُبعَّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلا هو الكبير المتعال، قال: فبكى ابن الأزرق، وقال يا حسن: ما أحسن كلامك! أما والله يا حسن لئن كان ذلك لقد كنتم منار الإسلام، ونجوم الأحكام، حتى بَدَّلْتُم فاستبدلنا بكم، فقال الحسن: إني أسالك عن مسألة، قال: سل، قال: هذه الآية: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف: ٨٢] يابن الأزرق، مَن حُفِظَ في الغلامين؟ قال: أبوهما، قال الحسن: فأبوهما خيرٌ أم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال ابن الأزرق: قد أنبانا الله بأنكم قوم خَصِمُون.

ورويناعن قتادة عن الحسن(البصري) رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا أبا سعيد، أمعاوية كان أحلم أم الحسن؟ قال: بل الحسن، قال إنما أعني معاوية بن أبي سفيان الذي كان أمير المؤمنين، قال الحسن رضي الله عنه: وهل كان ذلك إلا حماراً نهّاقاً.

وروينا أن الحسن والحسين عليهما السلام كانا يمشيان إلى الحج فلم يمرا براكب إلا نزل يمشي، فثقل ذلك على بعضهم فقالوا لسعد بن أبي وقاص: قد ثقل علينا المشي ولا نستحسن أن نركب وهذان الفتيان يمشيان، فقال سعد للحسن عليه السلام: يا أبا محمد، إن المشي قد ثقل على جماعة ممن معك، والناس إذا رأوكُما لم تطب أنفسُهم بأن يركبوا، فلو ركبتما، فقال الحسن عليه السلام: لا نركب قد جعلت على نفسي أن أمشي، ولكن أتنكب الطريق، فأخذَ جانباً.

وروينا عن المغيرة بن أبي نَجيح: «أن الحسن بن فاطمة عليهما السلام حجَّ خمسًا وعشرين حجةً وقاسم ماله ربَّه مرتين.

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب نسب آل أبي طالب بإسناده إلى عبدالله بن عبيد بن عمير قال: لقد حج الحسن بن علي خمساً وعشرين حجةً ماشياً، وإن النجائب لتقاد معه.

وروينا عن مدرك بن أبي راشد قال: كنَّا في حيطان لابن عباس فجاء الحسن والحسين عليهما السلام، فطافا بالبستان قال: فقال الحسن عليه السلام: عندك غداء يا مدرك؟ قال: قلت: طعام الغلمان، قال: فجئته بخبز وملح جريش وطاقات بقل، قال: فأكل ثم جيئ بطعامه وكان كثير الطعام طيبه، فقال: يامدرك، اجمع غلمان البستان، فجمعهم فأكلوا ولم يأكل، فقلت له في ذلك فقال: ذاك كان عندي أشهى من هذا، قال: ثم توضأ ثم جيئ بدآبته، فأمسك له ابن عباس بالركاب وسَوَّى عليه، ثم مضى بدآبة الحسين فأمسك له ابن عباس بالركاب فسوى عليه ثم مضى، قال: قلت له: أنت أسَنُّ منهما تمسكُ لهما؟ قال: يا لكع أو ما تدري مَنْ هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله، أوليس هذا مما أنعم الله به عليَّ أن أمسك لهما وأسوِّيَ عليهما!

وسمع الحسن عليه السلام رجلاً يسألُ الله عشرة آلاف فانصرف الحسن عليه السلام إلى منزله فبعث بها إليه.

وروي أن الحسن عليه السلام كان عند معاوية في جماعة من قريش، فذكر كل واحد منهم قومه وقديمه وحديثه، والحسن عليه السلام ساكت، فقال معاوية: يا أبا محمد، مالي أراك ساكتاً، فوالله ما أنت بكليل اللسان، ولا مأشوب الحسب، فقال الحسن عليه السلام: والله ما ذكروا مكرمة مونقة، ولا فضيلة قديمة إلا ولي محضها وجوهرها، ثم قال:

فيمَ المرآء وقد سَبقتُ مُبرِّزاً؟ سبق الجواد من المدى المتباعد

نحن الذين إذا القروم تخاطروا فزنا على رغم العدوِّ الحاسد

دانت لنا رَغْـمـاً بفـضل قـديمنا مُـضَـرٌ وقـومَنا طريق الحـايد

ومن مواقعه عليه السلام : ما روي أنه كان عند معاوية يوماً فافتخر معاوية فقال: أنا ابن بطحاء مكة، أنا ابن أغزرها جوداً، وأكرمها جدوداً، أنا ابن من ساد قريشًا فضلاً ناشئًا وكهلاً، فقال الحسن عليه السلام :أعليَّ تفتخر يا معاوية؟! أنا ابن عروق الثرى، أنا ابن مأوى التقى، أنا ابن من جآء بالهدى، أنا ابن من ساد أهل الدنيا بالفضل السابق، والجود اللآئق، والحسب الفائق، أنا ابن من طاعته طاعة الله، ومعصيته معصية الله، فهل لك أب كأبي تباهيني به؟ وقديم كقديمي تساميني به؟ قل نعم أو لا، قال: بل أقول لا، وهي لك تصديق، فقال الحسن عليه السلام :

الحقُّ أبلج مـا يُخيـل سـبـيله والحق يعـرفـه ذووا الألبـاب

ومن مقاماته عليه السلام **:**

ما روي أنه اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة بن أبي معَيط، والمغيرة بن شعبة فقالوا: يا معاوية، أرسل لنا إلى الحسن بن علي لنسُبَّ أباه ونوبِّخه ونُصَغِّرَهُ، وكانوا قد تواطئوا على أمر واحد، ثم قال عمرو: إن الحسن قد أحيا أباه، وخفقت النعال خلفه، وأمر فَأُطيع، وقال فَصُدِّق، وهذا رافعه إلى ما هو أعظم منه، فلو بعثت إليه، فأخذنا منه النصفَة كان رأياً، فقال معاوية: إني والله أخاف أن يقلِّدكم قلآئد تبقى عليكم في قبوركم، فوالله ما رأيتُه قط إلا خفتُ جنابه، وهبتُ عتابَه، وإن بعثت إليه والله أنصفتُه منكم، فقال عمرو: أتخاف أن يأتي باطلُه على حَقِّنا، أو مرضُه على صحتنا؟ قال: لا فابعثو إليه إذاً فالقوه بما في أنفسكم، ولا تُكَنُّوا[1] ولا تلجلجوا، وصرِّحوا ولا تعرضوا، فلن ينفعكم غير التصريح.

قال: فبعثوا إلى الحسن عليه السلام، فقال الرسول: أجب أمير المؤمنين معاوية، فقال من عنده؟ فسمَّاهم، فقال: مالهم خرَّ عليهم السقف من فوقهم وأتاهم

---

(١)في (ج): تكتموا.

العذاب من حيث لا يشعرون، ثم قال: ياجارية، أبلغيني ثيابي، ثم قال: اللهمَّ إني أدرأُ بك في نحورهم، وأعوذ بك من شرورهم، وأستعين بك عليهم، فأكفنيهم بما شئت، وكيف شئت، وأنَّى شئت بحولك وقوتك يا رحمان، ثم قال للرسول: هذه كلمات الفرج، فلمَّا أتى معاوية رحَّب به وناوله يده، فقال الحسن: إنَّ الترحيب سلامة، والمصافحة أمانة، قال: أجل، فلمَّا قعد قال له معاوية: ما أنا دعوتك ولكن هؤلآء أحرجوني فيك حتى أرسلت إليك فدعوتك لهم، وإنما دعوك ليقرروك أن عثمان قُتِلَ مظلوماً، وأن أباك قتله، فاسمع منهم وأجبهم، ولا يمنعك هيبتي ولا هيبتُهم أن تتكلم بصليب لسانك، فقال الحسن عليه السلام: سبحان الله! البيت بيتك، والإذن فيه إليك، والله لئن كنتَ أجبتَهم إلى ما قالوا[1] إنَّه استحياءٌ لك من الفحش، ولئن كانوا غلبوك على ما تريد إنه استحياءٌ لك من الضعف، فبأيِّهما تُقر؟ ومن أيِّهما تفر[2]؟ فهلاَّ إذْ أرسلت إليَّ أنبأتني فأجيء بمثلهم من بني هاشم، على أنهم مع وحدتي أوحش منهم مع جميعهم، وإن الله لوليِّي فَلْيقولوا فأسمع.

فبدأ عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر عليًا عليه السلام، فلم يترك شيئًا من الوقوع فيه حتى عَيَّره بأنَّه شتم أبا بكر، واشترك في دم عمر، وقتل عثمان مظلوماً، وادَّعى ما ليس له بحق، ثم قال: إنكم معشر بني هاشم لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخليفة، واستحلالكم ماحرَّم الله عليكم، وحرصكم على الملك، وإتيانكم ما لا يَحلُّ لكم، ثم أنت يا حسن: كيف تحدث نفسك أنك كائن خليفة؟ وليس عندك عقل ذلك ولا رأيه، فكيف تُراك تأتيه، وأنت أحمق قريش! وفيك سوء عقل أبيك، وإني دعوتك لأسُبَّكَ وأباك، ثم لا تستطيع أن تغيرَّه، ولا أن تكذبه، فأمَّا أبوك فقد كفانا الله شرَّه، وأمَّا أنت ففي أيدينا نتخيّر

---

(١) في (ج): أرادوا.

(٢) في (ج): تعتذر.

فيك، والله لو قتلناك ما كان في قتلك إثمٌ من الله، ولا عتب من الناس، فتكلّم، وإلا فأعلم أنك وأباك من شر خلق الله تعالى.

ثم تكلم عتبة بن أبي سفيان فقال: إنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، ثم لم تَدُوْهُ، ولم تقيدونا به، والله ما علينا لو قتلناك بعثمان إثم من الله، ولا لومٌ من الناس، وكان من الحق أن نقتلك وأباك، فأمّا أبوك فقد تفرّد الله بقتله وكفاناه، وأمّا أنت فقد أقادك الله به إذ كان أبوك شرَّ قريشٍ لقريش، أقطعهم لأرحامها، وأسفكهم لدمائها، وعليك القود في كتاب الله فنحن قاتلوك به. وأمّا رجآؤك الخلافة فليست قدحة رأيك، ولا رجح ميزانك.

ثم تكلم الوليد بن عقبة فقال: إنكم بني هاشم كنتم أخوال عثمان، ولنعم الولد كان لكم إذ كنتم أصهاره، ولنعم الصهر كان لكم، يعرف حقكم، ويكرمكم، وإنكم كنتم أول من حسده ودبَّ في قتله وفتك به، وكنتم أنتم قتلتموه، وأطعتم الناس في قتله؛ حرصاً على الملك، وقطيعة للرحم، فكيف ترون الله طلب بدمه؟ وكيف ترون منزلكم منازلكم؟ أمّا أبوك فقتله الله، وأما أنت فصرت إلى ما كرهت.

ثم تكلم المغيرة بن شعبة، فقال ياحسن: إن عثمان قُتل مظلومًا، ولم يكن لأبيك في ذلك عذر بري، ولا اعتذار مذنب، غير أنا ظننا أنه راض بقتله لضمّه قتلته، ومكانهم منه، وكان والله طويل اللسان والسيف، يقتل الحي ويعيب الميِّت، وبنو أمية لبني هاشم خير من بني هاشم لبني أمية، ومعاوية خير لك منك له.

ثم تكلم الحسن عليه السلام: فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا معاوية، والله ما شتمني غيرك فحشًا منك، وخلقًا سيئاً، وبغياً عليَّ، وعداوةً لرسول الله صلى الله عليه وآله قديماً وحديثاً، ولا أبدأُ إلا بك، ولا أقول إلا دون ما فيك، والله لو كنتُ أنا وهؤلآء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وحولنا أهل المدينة لما استطاعوا أن

يتكلّموا بالذي تكلّموا به، ولكن اسمعوا أيها الملأ، ولا تكتموا حقاً علمتموه، ولا تصدقوا باطلاً إن تكلمتُ به: أنشدكم الله، أتعلمون أن الرجل الذي شتمتم وتناولتم منه اليوم قد صلى القبلتين كلتيهما، وأنت يا معاوية كافر بهما تراهما ضلالة وتعبد اللات والعزّى، وبايع البيعتين بيعة الرضوان وبيعة الفتح وأنت يا معاوية بالأولى كافر وبالثانية ناكث.

وأنشدكم الله، أتعلمون أن عليًا لقيكم يوم الأحزاب ويوم بدر مع رسول الله ﷺ ومعه راية رسول الله ﷺ والمؤمنين ومعك يا معاوية لوآء المشركين من قريش في كل ذلك يفلج الله حجته، ويحقُّ دعوته، ويصدّق أحدوثته، وينصر رايته، وفي كل ذلك رسول الله ﷺ راضٍ عنه في المواطن كلّها.

وأنشدكم الله أتعلمون أن رسول الله ﷺ حاصر قريظة والنضير، فبعث عمر براية المهاجرين، وسعد بن معاذ براية الأنصار، فأمّا سعد فجيء به جريحًا، وأمّا عمر فرجع بأصحابه. فقال النبي ﷺ: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه يفتح الله على يديه»[1].

فتعرّض لها أبو بكر وعمر، وعليٌّ عليه السلام يومئذ أرمد، فدعاه النبي ﷺ وأعطاه إياها، فلم يلبث حتى فتح الله عليه، فاستنزلهم على حكم الله ورسوله، وأنت يومئذ مشرك بمكة عدو لله. بالله أتعلمون أن عليًا عليه السلام من أصحاب محمّد ﷺ ممن حرّم الشهوات، من الذين أنزل الله فيهم ﴿يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧] وكان في رهط هو عاشرهم، فأنبأهم الله أنهم مؤمنون، وأنت في رهط قريب من أولئك

---

(١) في هامش (ج): هذا كما ترى، والمشهور في السير أن سعد بن معاذ أصيب في أكحله يوم الخندق، ومحاصرة النبي ﷺ لبني قريظة وهو مريض ومات فيه (مات بعد انقضاء شأنهم وحكمه فيهم. ابن هشام ج٣ ص٢٦٢). القصة المشهورة في إعطاء الراية عليًا عليه السلام وهو أرمد في فتح خيبر، وقال النبي ﷺ قبيل إعطاء الراية ما قاله من قوله ﷺ: «لأعطين الراية ....» إلخ، وكان الفتح على يديه فتحقق.

لعنك رسول الله ﷺ».

ونشدتك بالله، أتعلم أنك كنتَ تسوق أباك يوم الأحزاب، ويقود به أخوك هذا القاعد: عتبة بن أبي سفيان على جمل أحمر بعد ما عمي أبو سفيان، فلعن رسولُ الله ﷺ» الجملَ والقائدَ والراكبَ والسائقَ.

ونشدتك بالله، أتعلم أنك كنتَ تكتب لرسول الله ﷺ». وكان يعجبه حسن خطك، فأرسل إليك يوماً، فقال الرسول: هو يأكل، فأعاد ذلك مراراً، كل ذلك يقول الرسول: هو يأكل، فقال الرسول ﷺ»: «اللهم لا تشبع بطنه»[1] فنشدتك الله، ألست تعرف تلك الدّعوة في نهمتك وأكلك ورغبة بطنك؟

ونشدتك بالله! أتعلم أن رسول الله ﷺ» لعن أبا سفيان في سبعة مواطن: **لعنه** يوم لقيه خارجاً من مكة مهاجراً إلى المدنية، وأبو سفيان جاء من الشام، فوقع فيه وسبّه وكذّبه وأوعده وهمّ أن يبطش به، فصدّه الله عنه. **ولعنه** يوم أحد، قال أبو سفيان: أُعل هبل، فقال ﷺ»: الله أعلى وأجل، فقال أبو سفيان: لنا العزّى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ»: الله مولانا ولامولى لكم. ولعنة الله وملائكته ورسله عليه. **ولعنه** يوم بدر إذ جاء أبو سفيان بجميع قريش، فردّهم بغيظهم، فأنزل الله فيهم آيتين: سَمّى أباك في كلتيهما وأصحابَه كافراً، وأنت يا معاوية يومئذ مع أبيك.

ولعنه يوم الهَدي معكوفًا أن يبلغ محله، فرجع رسول الله ﷺ»، ولم يطف بالبيت، ولم يقض نسكه. **ولعنه** يوم الأحزاب: جاء أبو سفيان بجمع قريش، وجاء عيينة بن حصن بن بدر بغطفان، وواعدكم قريظة والنضير، فلعن اللهُ القادةَ والاتباعَ، فأما الأتباع فلا تصيب اللعنة مؤمنًا، وأما القادة فليس فيهم مؤمن ولا مجيب ولا ناج. **ولعنه** يوم حملوا على رسول الله ﷺ» في العقبة، وهم اثنا عشر رجلاً: سبعة من بني أمية، وأبو سفيان فيهم، وخمسة من سائر

---

(١) مسلم ٢٠١٠ رقم ٢٦٢٤، مقدمة كتاب سنن النسائي وقد قتل بسببه.

قريش، لعن الله من على الثنية غير النبي ﷺ وناقته وسائقها وقائدها، فهل تردُّوا عليَّ مما قلت شيئًا؟.

ومنها: لعنك يوم أبوك همَّ أن يُسلم، فبعثت إليه بشعر معروف تنهاه عن الإسلام[1]، فهذه مواطن لعُنت فيها أنت وأبوك. ومنها: ولاك عمر الشام فخنته، وولاَّك عثمان فتربصت به، وقاتلت علياً عليه السلام على أمر كان أولى به منك عندالله، فلما بلغ الكتاب أجله، وصار إلى خير منقلب، وصرت إلى شرِّ مثوى، وقد خفَّفتُ عنك من عيوبك. وشعرُ معاوية إلى أبيه يرده عن الإسلام:

ياصخر لاتسلمنَّ طوعًا فتفضحنا	بعد الذين ببدر أصبحوا مزقا
جَـدِّي وخـالي وعمُّ الأم يالهمُ	قومًا وحنظلةُ المُهدي لنا الأرقا
لا تركنَنَّ إلى أمر يُقلدنـا	والراقصات به في مكة الخُرُقا
والموتُ أهون من قول السفاه لقد	خلّى ابن حرب لنا العزّى لنا فرقا
فإن أتيت أبينا ما تريد فلا	تثني عن اللات والعُزّى لنا عُنقا

وأمّا أنت يا عمرو: فإن أول لؤمك أنك وُلدت على فراش مشترك، وقد احتج فيك خمسة من قريش: أبو سفيان بن حرب، والوليد بن المغيرة، وعثمان ابن الحويرث، والنضر بن حارثة، والعاص بن وائل، كل واحد منهم يدّعي أنك ابنه، فغلب عليك جزّار قريش ألأمُها حسباً، وأخبثها منصباً، وأعظمها لعنة، ثم قمت خطيباً في نادي قريش، فقلت[2]: إني شانئٌ محمداً، فأنزل الله تعالى فيك: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣]، ثم كنت في كل يوم قاتَلَ فيه رسول الله ﷺ أشدهم له عداوةً وتكذيباً، ثم كنت من الفسقة الذين ركبوا إلى النجاشي في جعفر، فكذّبك الله وردّك بغيظك، فلما أخطأك ما رجوتَ أجلبتَ على صاحبك عمارة بن الوليد فقتلته. وأنت عدوّ بني هاشم في الجاهلية والإسلام،

---

(١) ذكر ذلك ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢/٤٦١ عن الحسن والأميني في الغدير ١٠/٨١.

(٢) قائل ذلك: هو أبوه العاص بن وائل، كما روي في كتب التفسير.

ولسنا نلومك على حسبك، ولا نستعتبك على حبٍّ، وقد هجوتَ النبي ﷺ بسبعين بيتًا، فقال نبي الله ﷺ: اللهم إني لا أحسن الشعر، ولكن الْعنْهُ بكل بيت لعنة[1]، فأما قولك في عثمان، فإنك ألهبتها عليه شانياً، ثم هربت إلى فلسطين، فلما بلغك قتلُه حبستَ نفسَك على معاوية، فبعته دينَك بدنياه، ولسنا نلومك على بغضنا، وأنت القائل حيث قلت :

تقول ابنتي: أين أين الرحيـ ... ـل؟ وما السير مني بمستنكرِ

فقلت: دعيني فإني امرؤٌ ... أريد النجاشي في جعفرِ

لأكويَه عنده كيَّة ... أقيم بها صَعَرَ الأصْعَرِ

ولا أنثني عن بني هاشم ... بما اسْطَعتُ في الغيب والمحضرِ

وعن عائب الّلات في قوله ... ولولا رضى الّلات لم نُمطرِ

وإني لأ شنى قريش له ... وأقْولهم فيه بالمنكرِ

وأجرا قريش على عيبه ... وإن كان كالذَّهب الأحمرِ

فإن بزَّني الأمر تابعته ... وإلاّ لويتُ له مشفرِ

وأما أنت يا عتبة: فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأعيبك، ولا فيك خيرٌ يُرتَجى، ولا شرٌّ يُتّقى، وأمّا وعيدُك إياي بالقتل فهلا قتلت الذي وجدتَ على فراشها قد غلبك على فرجها، وأشركك في ولدها؟ ولو كنتَ تستحيي من شيءٍ، أو تقتل أحداً لما أمسكتها بعد إذ بغت عليك، ولم تغر عليها ولا عليه، فكيف يخافك أحدٌ؟! أم كيف توعّد الناس بالقتل وقد تركته! ولا ألومك على سبِّ عليٍّ عليه السلام، وقد قتل خالك مبارزةً، واشترك هو وحمزة في جدك فقتلاه. وأما قولك في رجآئي الخلافة، فلعمري إن لي لَملبسًا، ولكنّك والله ما أنا بنظير أخيك، ولا خليفة أبيك، وكان حقًا لك أن تستحيي من قول نصر بن الحجاج حيث يقول :

---

(1) تهذيب تاريخ ابن عساكر ج٧/ ١٠٨ .

يا للرجال لحارث الأزمان ولسوءة سآءت أبا سفيان
نبئتُ عتبة قذّرته عرسه بصداقة الهُذلي من لحيان
ألفاه معها في الفراش فلم يكن حُراً وأمسك شرّة النسوان
لله درُّك خلِّ عنها إنها ليست وعندك علمها بحصان
واطلب سواها حرّة مأمونة ألقت عليك بشقلة الذيثان
لله درك إنها مكروهة قالوا الزنى ونكاحها سيّان
لا تُلْزمنْ يا عُتب نفسك حبّها إن النسآء حبآئلُ الشيطان

وأمَا أنت يا وليد : فلا ألومك أن تسبّ عليًا عليه السلام وقد جلدك في الخمر ، وقد قتل أباك بيده صبراً عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكيف تسبّه وقد سمّاه الله في عشر آيات مؤمنًا وسمّاك فاسقًا ! ، وكيف تسبّه وأنت علْجٌ[1] صفُّوريَّة ! .

وأما زعمك أنا قتلنا عثمان ، فوالله ما استطاع طلحة والزبير أن يقولا لعليٍّ ذلك ، ولو استطاعا لقالا ، وكأنك قد نسيت قول شاعرك حيث يقول :

أنزل الله في كتاب عزيز في عليٍّ وفي الوليد قرآنا

. . . القصيدة .

وأما أنت يا مغيرة : فوالله ما كنت حقيقًا أن تقع في هذا الكلام ، إنما مثلك مثل البعوضة حيث وقعت على النخلة ، فقالت لها : استمسكي فإني نازلةٌ عنك ، فقالت النخلة : والله ما شعرت بوقوعك فيشق عليَّ نهوضك ، ونحن والله ما شعرنا بعداوتك ولا غمّتنا إذ عرفناها ، ولكن أخبرني بأي الخصال تسبُّ عليًا : انتقاصًا في نسبه؟ أم بُعداً من رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ أم سوءَ بلآء في الإسلام؟ أم جَوْرَ حُكْم؟ أم رغبة في الدنيا؟ فلئن قلتَ واحدةً منها فقد كذبت ، أو جئت تزعم أن عليا عليه السلام قتل عثمان ، ولعمري لو قتله ما كنتُ من ذلك في شيء ، فأمّا قيلكم في الأمر والملك الذي أُعطيتم فإن الله تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وآله : ﴿ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ

---

[1] العلج : بوزن العجل - الواحد من كفار العجم . المختار ص٤٤٩ .

فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ [الأنبياء:١١١] **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾**[الإسراء:١٦]

والله ما نصرت عثمان حيًا، ولا غضبت له ميتًا، وما زالت الطآئف دارك حتى كان أمس، وأمّا اعتراضك في بني هاشم أو بني أميّة، فهو ادعاؤك إلى معاوية.

ونفض ثيابَه وخرج.

فقال معاوية: ذوقوا، قد نبأتكم، والله ما قام حتى أظلم عليَّ البيت، وقال معاوية شعرًا:

أمرتكم أمرًا فلم تسمعوا له	وقلتُ لكم لاتبعثُنَّ إلى الحسن
فإني وربِّ الراقصات عشية	بركبانها يهوين من سرّة اليمن
أخاف عليكم منه طولَ لسانه	وبعد مداه عند تجريره الرّسن
فلما أبيتم كنتُ فيه كبعضكم	وكان خطابي فيه غَبْنًا من الغَبَن
فأجمعتمُ بغيًا عليه وغدرةً	وقد يعثر العير المدلُّ من السمن
فكيف رأيتم غبَّ رأيي ورأيكم	على أنه دار السلاح على المحن
فحسبكم ما كان من نضج كَيِّه	وحسبي وحسب المرء في القبر والكفن

وقال قثم بن العباس:

والله لو جئتنا لما قال قائل	مع ابن رسول الله حرقًا مدى الدّهر
وانصرُه منكم وأنتم عصابةٌ	أذلُّ بحمد الله من عازب الوبر
دلفتم بعمرو واثقين بفحشه	إلى ابن رسول الله خُرقًا ولا ندري
وليس يساوي عَمروكم شسع نعله	ألا لا وشسْعُ النعل أفضل من عمرو
وقد كان للمرء المعيطي شاغلٌ	عن ابن رسول الله في الطهر والخمر
وقل لأبي سفيان عتبه زفّها	إليك عروسًا واترك الفخر في فهر
وما الأحمق الزّنّا إلا بعوضة	هوت في ذناب الريح في لجة البحر
ورأس خطاياهم معاوية الذي	يردُّ بطيسر الماء عادية الصقر

فلما أتاه الصقر أبصر صيده ... فظلت دماء الصيد في نحره تجري
أتؤذي نبي الله في أهل بيته ... وتوصل أرواثًا جُمعن من الحُمر
على غير ذنب كان منا علمته ... سوى ما قتلنا من قريش على الكفر

من قصيدة له طويلة، وكانوا يهابون الحسن عليه السلام بعد ذلك حتى قبض، وقال غيلان بن مسلمة من قصيدة له:

ألا أبلغا عني المغيرة مالكًا ... عجلت إلى أمر وفي عجلك الزّلَلْ
وغرّك عمروٌ والوليدُ سفاهةً ... وعتبة ممن كان فيه عسى وعلْ
دعوك وأعراض الحتوف كثيرة ... إلى الحيَّة الصمَّاء والقائل الفُعَل
إلى خير من يمشي على الأرض حافيًا ... ومنتعلاً في الهدي والقول والعمَل
إلى حسن من غير ذنب أتى به ... إليك ولا عار تَجر له[1] العلَل
فسمَّاك فيما كنت فيه بعوضة ... وكان بها فيما مضى يضرب المَثل
فوالله ما أخطى الذي أنت أهله ... ألا ربّ حاد قد حدا غير ذي جَمل
وعبت عليًا والحوادث جمَّةٌ ... فما لك في التقوى رجاءٌ ولا أمل

ومناقبه عليه السلام ظاهرة، وبدور شرفه باهرة.

ذكر بيعته عليه السلام

بُويع له بعد موت أمير المؤمنين عليه السلام، يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربعين، وكان من كلامه عليه السلام بعد الخطبة-وقد ذكر أمير المؤمنين فقال: خاتم الوصيين، ووصي خاتم الأنبياء، وأمير الصديقين والشهداء والصالحين، ثم قال: أيها الناس لقد فارقكم رجل ما سبقه الأولون، ولا يُدْركه الآخرون، لقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطيه الراية فيقاتل جبريل عن يمنيه، وميكائل عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، ما ترك ذهبًا ولا فضة إلا شيئًا على صبي له، وما ترك في المال إلا سبعمائة درهم فضلت من عطائه أراد أن يشتري بها خادمًا لأم كلثوم،

---

(١)في (ج): تحركه.

ثم قال: من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن محمد ﷺ، ثم تلا قول يوسف عليه السلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف:٣٨] أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله السراج المنير[1]، وأنا ابن الذي أُرسِلَ رحمة للعالمين، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذي كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرُج، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولايتهم، فقال فيما أنزل على محمد ﷺ: ﴿قُل لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى:٢٣] واقترافُ الحسنة مودتُنا.

ثم قام قيس بن سعد بن عبادة فقال- بعد حمد الله والثناء عليه :-

أما بعد : فإنَّ الله بعث محمداً بالهُدى ودين الحق ليظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، فأدّى عن الله رسالاته، ونصح الله في عباده حتى توفّاه، وقد رضيَ عمله، وغفر ذنبه ﷺ، ثم ذكر الذين ولوا الأمر من بعده، وذكر عثمان وقال: إنه خالف سنة من كان قبله، وسن سنن ضلالة لم تكن قبله، واستأثر بالفيء وحابى به قرباءه، ووضعه في غير موضعه، فرأى أهل الفضل من هذه الأمة أن ينفوا ما رأوا من إحداثه فقتلوه، ثم نهضوا إلى خير خلق الله بعد رسوله ﷺ، وأولاهم بالأمر من بعده فبايعوه، فأقام الكتاب، وحكم بالحق، وتخلى من الدنيا، ورضي منها بالكفاف، وتزود منها زاد البلغة، ولم يؤثر نفسه ولاأقرباءه بفيء المسلمين، فتوفاه الله حسن السيرة، تابعاً للسنة، ماحقاً للبدعة، وهذا ابنه وابن رسول الله ﷺ، وأولى عباد الله اليوم بهذا الأمر، فانهضوا إليه

(١)في (أ): اختلف ترتيب الجمل (كان جبريل ينزل عليهم، وعنهم كان يعرج، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجز وطهرهم تطهيراً، وأنا من أهل البيت الذين افترض الله مودتهم وولاينهم).

رحمكم الله، فبايعوه ترشدوا وتصيبوا، ثم قال: ابسط يدك يا ابن رسول الله أبايعك، فبسطها فبايعه، ثم تبعه العيون من أهل الفضل.

وروينا عن أبي بكر الهذلي قال: أتى أبا الأسود الدؤلي نَعْيُ أمير المؤمنين وبيعة الحسن بن علي عليهما السلام، فصعد المنبر فخطب الناس، ونعى عليًا عليه السلام وقال في خطبته: إن رجلاً من أعداء الله المارقة في دينه اغتال أمير المؤمنين كرم الله وجهه ومثواه في مسجده، وهو خارج لتهجُّده في ليلة يُرجى فيها مصادفة ليلة القدر فقتله، فيا لله من قتيل! وأكرم به وبروحه من روح! عرجت إلى الله بالبر والتقوى، والإيمان والهدى، ولقد أطفأ نور الله في أرضه، لا يُضاء بعده، وهدم ركنًا من أركان الإسلام لا يشاد مثله، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسب مصيبتنا بأمير المؤمنين، وعليه السلام ورحمة الله يوم ولد، ويوم قُتل، ويوم يُبْعَثُ حيًا. ثم بكى حتى اختلجت أضلاعه، ثم قال: وقد أوصى بالإمامة إلى ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وابنه وسليله وشبيهه في خلقه وهديه، وإني لأرجو أن يجبر الله به ما وهي، ويسد به ما انثلم، ويجمع به الشمل، ويطفي به نيران الفتنة، فبايعوه ترشدوا، فبايعت الشيعةُ كلها، وهرب قوم فلحقوا بمعاوية.

ولما فرغ الحسن عليه السلام من كلامه الذي تقدم، قام عبدالله بن العباس عليهما السلام يدعو الناس إلى بيعته ويأخذها عليهم، وأسرع الناس إلى بيعته، فبايعه: قيس بن سعد بن عبادة، وسليمان بن صُرَد الخزاعي، والمسيب بن نجبة الفزاري، وسعيد بن عبدالله الحنفي، وحجر بن عدي، وعدي بن حاتم، وكان يقول للرجل: تبايع على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله سلمٌ من سالمت، وحرب من حاربت، فعلموا أنه يريد الجدَّ في الحرب، وكان أمير المؤمنين عليه السلام قد أوصاه بذلك عند وفاته، ووردت عليه بيعة أهل مكة والمدينة وسائر الحجاز والبصرة واليمامة والبحرين والعراقين، وزاد عليه السلام المقاتلة عند البيعة مائة مائة، فتبعه الخلفاء

على ذلك، وهو أصل ما يسمى الآن مال البيعة .

وكتب عليه السلام إلى العمال يقرُّهم في أعمالهم، وبسط فيهم العدل، واستقامت له النواحي إلا الشام والجزيرة ومصر، قال أبو الفرج الأصفهاني: ودسَّ معاوية لعنه الله رجلاً من حمير إلى الكوفة، ورجلاً من بني القين إلى البصرة يكتبان إليه بالأخبار، فدُلَّ على الحميري عند لحام جرير، ودلّ على القيني بالبصرة في بني سليم فأُخذا وقتلا .

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية لعنه الله أما بعد: فإنك دَسسْتَ إليَّ الرجال كأنك تحب اللقآء، وما أشكُّ في ذلك فَتَوَقَّعه إن شاء الله تعالى، وقد بلغني أنك شَمتَّ بما لا يشمت به ذوو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأول:

قل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تجهّز لأخرى مثلها فكأن قد
وإنا ومن قد مات منّا لك الذي ... يروح فيمسي في المبيت ليغتدي[1]

فأجابه معاوية، أما بعد: فقد وصل كتابك وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمتُ بما حدث، فلم أفرح، ولم أشمت، ولم آس، وإنّ علي بن أبي طالب لَكَمَا قال أعشى قيس بن ثعلبة:

فأنت الجواد وأنت الذي ... إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقا ... ء تضرب منها النسآءُ النحورا
وما مزبد من خليج البحور ... يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده ... فيعطي المئين ويعطي البدورا[2]

وكتب الحسن عليه السلام إلى معاوية مع جندب بن عبدالله الأزدي:

---

(١) الاغتداء: الغدوّ، وغداه، فتغدى. مختار الصحاح ص٤٧٠.

(٢) المقاتل ص٥٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله الحسن أمير المؤمنين إلى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك، فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد:

فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ رحمة للعالمين، ومنة على المؤمنين، وكافة إلى الناس أجمعين ﴿لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [يس: ٧٠] فبلغ رسالات الله، وأقام على أمر الله، حتى توفاه الله وهو غير مقصر ولا وان، حتى أظهر به الحق، ومحق به الشرك، ونصر به المؤمنين، وأعزّ به العرب، وشرف به قريشًا خاصة، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الشورى: ٤٤] فلما توفي ﷺ تنازعت سلطانه العرب، فقالت قريش: نحن قبيلته، وأسرته وأولياؤه، ولا يحمُل لكم أن تنازعونا سلطان محمد ﷺ في الناس وحقه، فرأت العرب أن القول كما قالت قريش، وأن الحجة في ذلك على من نازعها أمر محمد ﷺ، فأنعمت لهم العرب، وسلمت ذلك.

ثم حاججنا نحن قريشًا بمثل ما به حاجّت العرب فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها؛ لأنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالإنصاف والاحتجاج، فلما صرنا أهلَ بيت محمد وأولياءه إلى محاجتهم، وطلب النصف منهم، باعدونا واستولوا بالإجماع على ظلمنا ومراغمتنا، والعيب منهم لنا، فالموعد الله وهو الولي والنصير، وقد عجبنا لتوثُّب المتوثبين في حقنا، وسلطان نبيئنا محمد ﷺ، وإن كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام، فأمسكنا عن منازعتهم مخافةً على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يثلمونه به، أو يكون لهم بذلك سبب لما أرادوا من إفساده، فليتعجب المتعجب من توثُّبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، فأنت ابن حرب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ ولكتابه، والله حسيبك، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، وبالله لتلقينَّ عن قليل ربك، ثم

ليجزينّك بما قدّمت يداك ، وما الله بظلام للعبيد .

إنّ عليًا عليه السلام لما مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم منّ الله عليه بالإسلام ، ويوم يبعث حيًا -ولاني المسلمون الأمر بعده ، فأسأل الله أن لا يزيدنا في الدنيا الفانية [1] شيئًا ينقصنا في الآخرة مما عنده من كرامته ، وإنما حملني على الكتاب إليك الإعذار فيما بيني وبين الله في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلت الحظ الجسيم ، وللمسلمين فيه صلاح ، فدع التمادي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي فإنك تعلم أني أحق بهذا الأمر منك عند الله ، وعند كل أواب حفيظ ، ومن له قلب منيب ، واتق الله ودع البغي ، واحقن دمآء المسلمين ، فوالله ما لك من خير في أن تلقى الله من دمآئهم بأكثر مما أنت لاقيه به ، وادخل في السلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحق به منك ؛ ليطفىء الله الثائرة بذلك ، ويجمع الكلمة ، ويصلح ذات البين ، فإن أنت أبيت إلا التمادي في غيّك نهدت إليك بالمسلمين فحاكمت حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . . . فكتب إليه معاوية لعنه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى الحسن بن علي سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو . . .   أما بعد :

فقد بلغني كتابك ، وفهمت ماذكرت به رسول الله صلى الله عليه وآله من الفضل ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله قديمه وحديثه صغيره وكبيره ، فلقد والله بلّغ وأدّى ، ونصح وهدى ، حتى أنقذ الله به من الهلكة ، وأنار به من العمى ، وهدى به من الضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبيًا عن أمته ، وصلوات الله عليه يوم ولد ، ويوم بُعثَ ، ويوم قبض ، ويوم يبعثه الله حيًا .

وذكرتَ وفاة النبي صلى الله عليه وآله وتنازع المسلمين من بعده ، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحواري الرسول

---

(١) في النسخة (ب) : الزائلة .

ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك؛ إنك امرؤٌ عندنا وعند الناس غير الظنين، ولا المسيء، ولا اللئيم، وأنا أحب لك القول السديد، والذكر الجميل، إن هذه الأمة لما اختلفت بعد نبيها ﷺ لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم، ولا قرابتكم من نبيكم ﷺ، ولا مكانكم في الإسلام ومن أهله، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش لمكانها من نبيها ﷺ، ورأى صلحاء الناس من قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس وعوامهم أن يولُّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلامًا، وأحكمها علمًا، وأحبها له، وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبا بكر، وكان ذلك رأي ذوي الدين والفضيلة والناظرين للأمة، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولم يكونوا بمتَّهمين، ولا فيما أتوا بالمخطئين، ولو رأى المسلمون أن فيكم من يغني غناه، أو يقوم مقامه، أو يذب عن حُرَم الإسلام ذبه، ما عدلوا بذلك الأمر إلى غيره رغبة عنه، ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحًا للإسلام وأهله، فالله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً.

وقد فهمت ما الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها وأبو بكر بعد النبي ﷺ، لو علمتُ أنك أضبط مني للرعية، وأحوط على هذه الأمة، وأحسن سياسة، وأقوى على جمع الأموال، وأكيدُ للعدو لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ورأيتك لذلك أهلاً، ولكن قد علمت أني أطول منك ولاية، وأقدم منك لهذه الأمة تجربة، وأكثر منك سياسة، فأنت أحق أن تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني، فادْخُل في طاعتي، ولك الأمر من بعدي، ولك ما في بيت مال العراق من مال بالغًا ما بلغ تحمله إلى حيث أحببت، ولك خراج أي كور العراق شئت معونةً لك على نفقتك يجبيها أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لا يُستولى عليك بالأشياء، ولا يُقضى دونك بالأمور، ولا تُعصى في أمر أردت به طاعة الله تعالى، أعاننا الله وإياك على طاعته إنه سميع مجيب الدعاء والسلام.

قال جندب : فلما أتيت الحسن عليه السلام بكتاب معاوية قلت له : إن الرجل سائر إليك فابدأه بالمسير إليه حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله ، فإما أن تقدّر أنه ينقاد لك فلا والله حتى يرى يومًا أعظم من يوم صفين فقال : أفعل ، ثم قعد عن مشورتي وتناسى قولي . قال : وكتب معاوية لعنه الله إلى الحسن :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فإن الله يفعل في عباده ما يشآء لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ، واحذر أن تكون منيتك على يدي رعاع من الناس ، وَأَيِس من أن تجد فينا غميزة ، وإن أنت أعرضت عمّا أنت فيه وتابعتني وفيّت لك بما وعدت ، وأجزت لك ما شرطت ، وأكون في ذلك كما قال أعشى بني[1] قيس بن ثعلبة :

وإن أحد أسدى إليك أمانةً فأوف بها تُدعى إذا متّ وافيا

ولا تحسد المولى إذا كان ذا غنى ولا تَجْفه إن كان في المال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي ، فأنت أولى الناس بها والسلام .

فأجابه الحسن عليه السلام . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد : فقد وصل إليّ كتابك تذكر فيه ما ذكرت ، فتركت جوابك خشية البغي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك فاتبع الحق تعلم أني من أهله ، وعليّ إثم أن أقول فأكذب والسلام .

فلما وصل كتاب الحسن عليه السلام إلى معاوية - لعنه الله - قرأه ، ثم كتب إلى عماله على النواحي بنسخة واحدة . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبدالله معاوية أمير المؤمنين إلى فلان بن فلان ، ومن قبله من المسلمين سلام عليكم ، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو . . . أما بعد :

---

(١) في (أ) : بدون : بني .

فالحمدلله الذي كفاكم مؤنة عدوكم، وقتلة خليفتكم، إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده فقتله، وترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جآءتنا كتب أشرافهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم فأقبلوا إليَّ حين يأتيكم كتابي بجدكم وجندكم، وحسن عدتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان، والسلام عليكم ورحمة الله.

قال: فاجتمعت العساكر إلى معاوية لعنه الله، وسار قاصداً إلى العراق، وبلغ الحسن عليه السلام خبر مسيره، وأنه قد بلغ جسر منبج فتحرك عند ذلك، وبعث حجر بن عدي يأمر العمال والناس بالتهيء للمسير، ونادى المنادي الصلاة جامعة، فأقبل الناس يثوبون ويجتمعون، فقال الحسن عليه السلام: إذا رضيت جماعة الناس فأعلمني، وجآءه سعيد بن قيس الهمداني، فقال له: اخرج، فخرج الحسن عليه السلام، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال أما بعد:

فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسماه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: (اصبروا إن الله مع الصابرين) فلستم أيها الناس نائلين[1] ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون، إنه بلغني أن معاوية لعنه الله بلغه أنا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرك لذلك، اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظروا ونرى وتروا.

قال: وإنه في كلامه لَيتخوّف خذلان الناس إياه قال: فسكتوا فما تكلم أحد منهم ولا أجابه بحرف، فلما رأى ذلك عدي بن حاتم قال: أنا ابن حاتم، بص بص، سبحان الله- ما أقبح هذا المقام! ألا تجيبون إمامكم، وابن بنت نبيكم؟ أين خطباء مصر، أين المتبلّغون، أين الخواصون من أهل المصر؟ الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا وجدوا الجد فَرواْغُون كالثعالب، أما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها.

---

(١)في (أ): تنالون.

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال: أصاب الله بك المراشد، وجنبك المكاره، ووفقك لما يُحمد وِرْدُه وصَدَرُه، قد سمعنا مقالتك، وأتينا إلى أمرك، وسمعنا منك، وأطعناك فيما قلت، وما[1] رأيت، وهذا وجهي إلى معسكري، فمن أحب أن يوافي فليواف، ثم مضى لوجهه فخرج من المسجد ودابته بالباب، فركبه ومضى إلى النخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، فكان عدي أول الناس عسكراً، ثم قام قيس بن سعد بن عبادة، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد بن حفصة التيمي، فأنّبوا الناس، ولاموهم، وحرّضوهم، وكلموا الحسن بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول، فقال لهم الحسن عليه السلام: صدقتم رحمكم الله ما زلت أعرفكم بصدق النية، والوفاء بالقول، والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً ثم نزل.

وخرج الناس فعسكروا ونشطوا للخروج، وخرج الحسن عليه السلام إلى المعسكر واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثهم ويخرجهم حتى تتالى[2] العسكر، ثم إن الحسن عليه السلام سار في عسكر عظيم، وعدّة حسنة، حتى أتى دير عبدالرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب فقال له: يا بن عم إني باعث معك اثني عشر ألفاً من فرسان العرب، وقرآء المصر، الرجل منهم يرد الكتيبة فسر بهم، وألِنْ لهم جانبك، وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وأدنهم من مجلسك، فإنهم بقية ثقة أمير المؤمنين صلوات الله عليه، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثم إلى مسكن، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإن أنت لقيته فاحبسه حتى آتيك فإني في أثرك وشيكا، وليكن خبرك عندي في كل يوم، وشَاوِرْ هذين يعني قيس بن سعد، وسعيد بن قيس، فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، فإن فعل

---

(١) في (أ): بدون: ما.

(٢) في (ج): أتوا.

فقاتله، فإن أُصبتَ فقيس على الناس، فإن أصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس، ثم أمره بما أراد، وسار عبيدالله على الزبيرة في شينور حتى خرج إلى شاهي، ثم لزم الفرات والفلوجة حتى أتى مسكن، وأخذ الحسن على حمام عمر حتى أتى دير كعب، فنزل ساباط دون القنطرة.

فلما أصبح نادى في الناس: الصلاة جامعة، فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فقال: الحمدلله كلما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلا الله كلما شهد له شاهد، وأشهد أن محمداً رسول الله أرسله بالحق، وائتمنه على الوحي ﷺ وآله أما بعد: فوالله إني لأرجو أن أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلقه لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم معتبة، ولا مريداً له بسوء ولا غائلة، ألا وإن ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة، ألا وإني ناظرٌ لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، ولا تخالفوا أمري، ولا تردوا عليَّ رأيي غفر الله لي ولكم، وأرشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضى.

قال: فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا: ما ترونه يريد بما قال؟ قالوا: نظنه والله يريد أن يصالح معاوية، ويسلِّم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل، ثم شدوا على فسطاطه فانتهبوه حتى أخذوا مصلاه من تحته، ثم شدَّ عليه عبدالرحمن بن عبدالله بن جعال الأزدي، فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير ردآء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصته وشيعته، ومنعوا منه من أراده، ولاموه وضعفوه لما تكلم به، فقال: ادعوا لي ربيعة وهمدان، فدعوا له فأطافوا به، ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهم، فقام إليه رجل من بني أسد من بني نصر بن قعين يقال له: الجراح بن سنان، فلما مرَّ في مظلم ساباط قام إليه فأخذ بلجامه وبيده معول فقال: الله أكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوك فطعنه فوقعت في فخذه، فشقه حتى خالط أربيته، فسقط الحسن إلى الأرض بعد أن ضرب الذي طعنه واعتنقه فخرا جميعاً

إلى الأرض ، فوثب عبدالله بن الخضل الطائي فنزع المعول من يده فخضخضه[1] به ، وأكب ظبيان بن عمارة عليه فقطع أنفه ، ثم أخذوا له الآجر فشدخوا وجهه ورأسه حتى قتلوه .

وحُمل الحسن على سرير إلى المدائن ، وبها سعد بن مسعود الثقفي وال عليها من قبَله ، وكان علي عليه السلام ولاّه فأقرّه الحسن عليه السلام ، قال : ثم إن معاوية وافى حتى أتى قرية يقال لها : الجنوبية بمسكن ، وأقبل عبيدالله بن العباس حتى نزل بإزائه ، فلما كان من غد وجّه معاوية بخيله إليهم ، فخرج إليهم عبيدالله بن العباس فيمن معه فضربهم حتى ردهم إلى معسكرهم ، فلما كان الليل أرسل معاوية لعنه الله إلى عبيدالله بن العباس أن الحسن راسلني في الصلح ، وهو مسلّم الأمر إليّ ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعًا ، وإلا دخلت وأنت تابع ، ولك إن جئتني الآن أعطيتك مائة ألف درهم يُعَجَّلُ لك في هذا الوقت نصفها ، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر ، فانسلّ عبيدالله ليلاً فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده .

وأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلي بهم فلم يخرج حتى أصبحوا فطلبوه فلم يجدوه ؛ فصلى بهم قيس بن سعد ، ثم خطبهم فقال : أيها الناس ، لا يهولنّكم ولايعظمنّ[2] عليكم ما صنع هذا الرجل ، الوله[3] الوزغ ، إنّ هذا و أباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط ، إنّ أباه عمُّ الرسول صلى الله عليه وآله خرج يقاتله ببدر ، وأسره أبو اليَسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ فداه فقسّمه بين المسلمين ، وإن أخاه ولاّه علي أمير المؤمنين عليه السلام على البصرة ، فسرق مال الله ومال المسلمين واشترى به الجواري ، وزعم أن ذلك له حلال ، وإن هذا أيضًا ولاّه عليٌّ عليه السلام اليمن ، فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولديه حتى قتلا ، وصنع الآن هذا الذي صنع .

---

(١) في (ج) : فخضضه .

(٢) ساقطة من (أ) .

(٣) الوَله : الذاهب العقل

قال فتنادى الناس : الحمدلله الذي أخرجه من بيننا ، انهض بنا إلى عدونا ، فنهض بهم ، وخرج إليهم بسر بن أرطأة في عشرين ألفًا فصاحوا هذا أميركم قد بايع ، وهذا الحسن قد صالح ، فعلام تقتلون أنفسكم؟ قال لهم قيس بن سعد : اختاروا إحدى اثنتين : إما القتال مع غير إمام ، وإما تبايعون بيعة ضلال ، قالوا : بل نقاتل بلا إمام ، فخرجوا فضاربوا أهل الشام حتى ردُّوهم إلى مصافهم .

فكتب معاوية إلى قيس بن سعد يدعوه ويمنيه ، فكتب إليه قيس : لا والله لا تقابلني أبدًا إلا وبيني وبينك الرمح ، فكتب إليه معاوية أما بعد : إنما[1] أنت يهودي ابن يهودي تشقي نفسك وتقتلها فيما ليس لك ، فإن ظهر أحبُّ الفريقين إليك نبذك وعزلك ، وإن ظهر أبغضهما إليك نكل بك وقتلك ، وقد كان أبوك أوتر غير قوسه ، ورمى غير غرضه ، فأكثر الحزَّ ، وأخطأ المفصل ، فخذله قومه ، وأدركه يومه ، فمات بحوران طريدًا غريبًا . والسلام .

فكتب إليه قيس بن سعد أما بعد : فإنما أنت وثن من هذه الأوثان ، دخلت في الإسلام كرهًا ، وأقمت عليه فرقًا ، وخرجت منه طوعًا ، ولم يجعل الله لك فيه نصيبًا ؛ لم يقدم إسلامك ، ولم يحدث نفاقك ، ولم تزل حربًا لله ولرسوله ، وحزبًا من أحزاب المشركين ، فأنت عدوٌ لله ورسوله والمؤمنين من عباده ، وذكرت أبي ، ولعمري ما أوتر إلا قوسه ، ولا رمى إلا غرضه ، فشغب عليه من لا يشق غباره ، ولا يبلغ كعبه ، وكان امرءًا مرغوبًا عنه ، مزهودًا فيه ، وزعمت أني يهودي ابن يهودي ، وقد علمت وعلمنا أنَّ أبي من أنصار الدين الذي خرجت منه ، وأعدآء الدين الذي دخلت فيه وصرت إليه ، والسلام .

فلما قرأ كتابه معاوية غاظه وأراد إجابته ، فقال له عمرو : مهلاً إن كاتبته أجابك بأشد من هذا ، وإن تركته دخل فيما دخل فيه الناس فأمسك عنه ، قال : وبعث معاوية عبدالله بن عامر ، وعبدالرحمن بن سمرة إلى الحسن عليه السلام للصلح

(١) في (ج) : فإنما أصلك .

فدعواه إليه، وزهّداه في الأمر، وأعطيّاه ماشرط له معاوية، وأن لا يتبع أحد بما مضى، ولا يُنال أحدٌ من شيعة علي عليه السلام بمكروه، ولا يُذكر علي عليه السلام إلا بخير، وأشيآء اشترطها فأجابه الحسن عليه السلام إلى ذلك.

قال أبو الفرج: وسار معه حتى نزل النخيلة، وجمع الناس بها فخطبهم قبل أن يدخلوا الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحد من الرواة تامة، وجآءت مقطعة في الحديث، وسنذكر ما انتهى إلينا من ذلك، فروى بإسناده عن الشعبي قال: خطب معاوية حين بويع له فقال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها، ثم إنه انتبه فندم فقال: إلا هذه الأمة فإنها فإنها.

وروى بإسناده عن أبي إسحاق قال: سمعت معاوية بالنخيلة يقول: ألا إن كل شيء أعطيته الحسن بن علي تحت قدميَّ هاتين لا أفي به. قال أبو إسحاق: وكان والله غداراً. وروى بإسناده عن سعيد بن سويد قال: صلى بنا معاوية بالنخيلة يوم الجمعة الضحى ثم خطبنا فقال: وإني والله ما قاتلتكم لتصلُّوا ولا لتصوموا ولا لتحجُّوا ولا لتزكُّوا، إنكم لتفعلون ذلك، ولكن إنما قاتلتكم لأتأمرً عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، قال شريك في حديثه: هذا هو التهتك.

وروى بإسناده عن حبيب بن أبي ثابت قال: لما بويع معاوية خطب فذكر عليّا عليه السلام فنال منه، ونال من الحسن فقام الحسين ليردَّ عليه فأخذ الحسن بيده، فأجلسه ثم قام وقال أيها الذاكر عليّا أنا الحسن وأبي علي، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأمي فاطمة، وأمك هند، وجدي رسول الله، وجدك حرب، وجدتي خديجة، وجدتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسبًا، وشرنا قدمًا، وأقدمنا كفراً ونفاقًا، فقال طوائف من أهل المسجد: آمين. قال: فضل، قال يحيى بن معين: ونحن نقول آمين، قال أبو عبيد: ونحن أيضًا نقول آمين، قال: فدخل معاوية الكوفة بعد فراغه من خطبته بالنخيلة بين يديه خالد بن عرفطة،

ومعــه رجل يقـال له : جبيــب بن حمار يحمل رايته حتى دخل الكوفة وصار إلى المسجد فدخله من باب الغيل واجتمع الناس إليه .

قال الشيخ أبو الفرج : ولما تم الصلح بين الحسن ومعاوية أرسل إلى قيس بن سعد بن عبادة يدعوه إلى البيعة فأُتي به ، قال : وكان رجلاً طويلاً يركب الفرس المشرف ورجلاه يخطان الأرض ، وما في وجهه طاقة شعر ، وكان يسمى خصي الأنصار ، فلما أرادوا أن يدخلوه إليه قال : إني قد حلفت أني لا ألقاه إلا وبني وبينه الرمح ، أو السيف ، فأمر معاوية برمح أو سيف ، فوضع بينه وبينه ليبر في يمينه . وروى الشيخ أبو الفرج بإسناد آخر قال : فأقبل على الحسن فقال : أنا في حلٍّ من بيعتك قال : نعم ، فألقي لقيسٍ كرسي وجلس عليه ، وجلس معاوية على سريره فقال له معاوية : أتبايع؟ قال : نعم ، فوضع يده على فخذه ، ولم يمدها إلى معـاوية ، فحـنى معـاوية على ســريره ، وأكب على قيس حتى مسح على يده ، فما رفع قيس إليه يده .

وروى بإسناده أن معاوية أمر الحسن أن يخطب لمّا سلّم إليه الأمر ، وظن أنه سَيُحصر ، فقال في خطبته : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وليس الخليفة من سار بالجور ، ذلك مَلِكٌ مَلَكَ مُلْكًا يُمَتَّع فيه قليلاً ، ثم تنقطع لذته ، وتبقى تبعته ، وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين ، قال : وانصرف الحسن عليه السلام إلى المدينة فأقام بها .

وروينا بالإسناد إلى السيد الإمام المرشد بالله يحيى بن الحسين الحسني الجرجاني عليه السلام ، رواه بإسناده عن الشعبي قال : شهدت الحسن بن علي بالنخيلة حين صالحه معاوية فقال له معاوية : إن كان ذا فقم فتكلم ، فأخبر الناس أنك قد سلّمت هذا الأمر ، وربما قال سفيان : أخبر الناس بهذا الأمر الذي تركته لي . فقام فخطب على المنبر فحمد الله وأثنى عليه . قال الشعبي : وأنا أسمع ، فقال : أما بعد : إن أكيس الكيس التقى ، وإن أحمق الحمق الفجور ، وإن هذا الأمر الذي

اختلفت فيه أنا ومعاوية: إما كان حقًا لي تركته لمعاوية؛ إرادة صلاح هذه الأمة، وحقن دمائهم، أو يكون حقًا كان لامرء أحقُّ به مني ففعلت ذلك. وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

وروى بالإسناد إلى ابن عون عن أنس قال -يعني ابن سيرين-: قال الحسن ابن علي عليهما السلام يوم كلَّم معاوية: ما بين جابرس وجابُلق رجل جده نبيٌّ غيري، وإني رأيت أن أصلح بين أمة محمد ﷺ وكنت أحقهم بذلك، ألا وإنا قد بايعنا معاوية، وما أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين.

ولـمًّا استقر الصلح بين الحسن بن علي عليهما السلام ومعاوية على ما تقدم وأن يكون الأمر بعده للحسن عليه السلام غرة شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين، لامَه جماعة من أصحابه على ذلك.

فروينا عن عمارة بن ربيعة قال: قال الحسين للحسن عليهما السلام: أجادٌّ أنت فيما أرى من موادعة معاوية؟ قال: نعم. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ثلاثًا، ثم قال: لو لم تكن إلاَّ في ألف رجل لكان ينبغي لنا أن نقاتل عن حقنا حتى ندركه أو نموت وقد أعذرنا. فقال الحسن: وكيف لنا بألف رجل مسلمين! إني أذكِّرك الله يا أخي أن تفسد عليَّ ما أريد، أو تردَّ عليَّ أمري، فوالله ما آلوك ونفسي وأمة محمد خيرًا، إنك ترى ما أقاسي من الناس، وما كان يقاسي منهم أبوك من قبلنا حتى كان يرغب إلى الله في فراقهم كل صباح ومسآء، ثم قد ترى ما صنعوا بي، فبهؤلاء ترجو أن ندرك حقنا! أنا اليوم يا أخي في سعة وعذر حيث قبض نبينا، قال: فكفَّ الحسين وسكت.

ورويناً بالإسناد عن سفيان بن الليل قال: دخلت على الحسن بن علي فقلت: السلام عليك يا مذل رقاب المسلمين، أنت والله بأبي وأمي أذللت رقابنا حين سلَّمت الأمر إلى معاوية اللعين ابن اللعين، ابن آكالة الأكباد، ومعك مائة ألف كلهم يموتون دونك، فقال: يا سفيان بن الليل، إني سمعت

أبي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يلي هذه الأمة أو أمتي رجل واسع البلعوم، رحب الضرس، يأكل ولا يشبع، لا ينظر الله إليه»، ثم قال: ما جاء بك يا سفيان؟ قال: حبكم أهل البيت، قال: إذاً والله تكون معنا هكذا وألصق بين أصبعيه السبابتين.

وروينا بالإسناد عن القاسم بن المفضل، قال حدثنا يوسف بن مازن الراسي قال: قام رجل إلى الحسن بن علي عليهما السلام قال: سوّدت وجوه المؤمنين، وفعلت وفعلت، دخلتَ مع معاوية، قال: لا تؤذني يرحمك الله، فإن رسول الله ﷺ قد رأى بني أمية يصعدون على منبره رجلاً رجلاً فساءه ذلك، فأنزل الله عزوجل: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ [القدر ١-٣] يملكها بنو أمية، قال القاسم: فحسبنا ذلك فإذا هو ألف شهر لا يزيد ولا ينقص!.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام بإسناده: أن مدة خلافته عليه السلام كانت خمسة أشهر وأياماً، وهذا إنما حكاه على أنَّ اعتزاله كان في غرة شهر ربيع الأول، قال: وروي أن اعتزاله كان في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين. فعلى هذا القول تكون مدة الخلافة ستة أشهر وأياماً.

أَولادُهُ عليه السلام:

الحسن بن الحسن، وأمه: خولة بنت منظور الفزارية، وكان وصي أبيه ووالي صدقته. وزيد بن الحسن، وأمه: أم بشير بنت أبي مسعود من ولد الحارث ابن الخزرج. وعمر، والقاسم، وأبو بكر، قتلوا بالطف مع عمهم، وعبدالله قتل بالطف، وعبدالرحمن، وحسين الأثرم، وطلحة وهو طلحة الجود، ذكره محمد ابن حبيب في الطلحات المعدودين في الأجواد، وأمه: أم إسحاق ابنة طلحة بن عبدالله التيمي. وإسماعيل، ويعقوب، ومحمد، وجعفر، وحمزة، لأمهات أولاد، فهؤلاء الأربعة عشر ابناً العقب منهم لاثنين وهما: الحسن بن الحسن،

وزيد بن الحسن. وانقرض اثنان منهم وهما: عمر بن الحسن، وحسين الأثرم، وقد كان اتصل عقبهما إلى أوائل أيام بني العباس ثم انقرض، والباقون درجوا.

والبنات ثمان: فاطمة، وأم عبدالله، وزينب، وأم الحسن، وأم الحسين، وأم سلمة، ورقية، وفاطمة الصغرى. أعقبت منهن أم عبدالله لأم ولد، وكانت عند علي بن الحسين سلام الله عليه فولدت له حسنًا وحسينًا الأكبر ودرجا، ومحمد الباقر، وعبدالله بن علي بن الحسين عليهم السلام.

عمّاله عليه السلام:

عمال أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وكاتبه كاتب أبيه عليه السلام عبدالله بن أبي رافع، والنافذ على مقدمته عند خروجه في حرب معاوية عبيدالله بن العباس، وعقد لقيس بن سعد لوآء وضمه إليه، وقال: لعبيدالله إن أُصبت فقيسٌ على الجيش، وإن أُصيبَ قيس فسعيد بن قيس الهمَداني، والذين أنفذهم لاستنفار الناس معقل بن قيس الرياحي، وشريح بن هانئ الحارثي، وعبدالرحمن بن أبي ليلى. وخليفته على الكوفة حين خرج عنها لحرب معاوية: المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره حين خرج باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه.

ذِكْرُ وَفَاتِهِ وَمَبْلَغِ عُمُرِهِ وَمَوْضِعِ قَبْرِهِ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ:

لما استثقل معاوية حياة الحسن بن علي عليه السلام مع ما كان ينطوي عليه من العدواة الشديدة له عليه السلام احتال في سَمِّه على يدي امرأته أم الحسن جعدة ابنة الأشعث، وبذل لها مائة ألف درهم، ووعدها بزواج يزيد، فسقته عليه السلام فوفى لها دون التزويج بيزيد فزوجت بعده في أولاد طلحة وأولدت أولاداً، فكان أولادها إذا جرى بينهم وبين غيرهم شيء قالوا: يا بني مُسمّة الأزواج. ولما احتضر الحسن عليه السلام قال: لقد سُقيت السمَّ ثلاث مرات ما منهن بلَغت مني ما بلغت هذه، لقد تقطعت كبدي.

وروي أنه لما احتضر عليه السلام بكى، فقيل له : ما يبكيك ؟ قال: أقدم على سيد لم أره، وأسلك طريقًا لم أسلكها، أخرجوا سريري إلى صحن الدار حتى أنظر في ملكوت السموات والأرض.

وتوفى عليه السلام بالمدينة، وله سبع وأربعون سنة، وقيل: ست، وقيل: خمس. وقيل: سنة اثنتين وخمسين، وقيل: سنة خمسين، وقيل: سنة تسع وأربعين، اختلفوا في تأريخ موته حسب اختلافهم في مبلغ عمره.

وكان عليه السلام قد أوصى أن يدفن إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله إلا أن يخاف أن يراق محجمة من دم، فلما سمعت عائشة بذلك، ركبت بغلاً واستنفرت بني أمية، وفيها يقول القائل :

فيومًا على بغل ويومًا على جمل

فجمع مروان من هناك من بني أمية وأتباعهم الأوغاد الطغاة، وبلغ ذلك الحسين ابن علي عليهما السلام فجآء هو ومن معه في السلاح ليدفنوا حسنًا في بيت النبي صلى الله عليه وآله، وأقبل مروان وأصحابه وذويه، وهو يقول : يا رُبَّ هيجا هي خير من دعة، أيدفن عثمان في البقيع، ويدفن الحسن بن علي في بيت النبي صلى الله عليه وآله؟ والله لا يكون ذلك وأنا أحمل السيف، فلما كادت الفتنة تستعر والحسين عليه السلام يأبى أن يدفنه إلا مع النبي صلى الله عليه وآله، فكلمه عبدالله بن جعفر، ومسور بن مخرمة؛ ليدفنه في البقيع، وقال له عبدالله بن جعفر: إنه عهد إليَّ أن أدفنه في البقيع، بحقي عليك عزمت ألا تكلَّمني بكلمة فمضى هنالك، واتصل الخبر بمعاوية بن أبي سفيان، فاستحمد مروان على ذلك، فقال مرتين : إيهًا مروان أنت! وحكي عنه أنه قال : إن يك ظني بمروان صادقًا لن يصلوا إلى ذلك أبدًا، فدفن عليه السلام في البقيع، وقبره هنالك ظاهر مشهور، وقال الحسين بن علي عليهما السلام يرثي أخاه الحسن بن علي عليهم السلام :

أأدهن رأسي أم تطيب مجالسي ... وخَدك مَعفورٌ وأنت سليبُ

أم استمتع الدنيا بشيءٍ أُحبُّه ... ألا كلما أدنى إليك حبيبُ

أم أشرب مآء المزن أم غير مائه ... وإلا لدمعي في الأنآء غروبُ

فلا زلت أبكي ما تغنَّت حمامةٌ ... عليك وما هبَّت صبًا وجنوبُ

وليس حريبًا من أصيب بماله ... ولكنَّ من وارى أخاه حريبُ

وما قطرت عين من المآء قطرةً ... وما أخضرَّ في دوح الحجاز قضيبُ

بكائي طويلٌ، والدموع غزيرةٌ ... وأنت بعيد والمزار قريبُ

ولَمَّا مضى عني أخي ذقت حرقةً ... له لم يُذقنيها سواه غريبُ

ولما نُعِيَ الحسن عليه السلام إلى معاوية، وعبدالله بن العباس بباب معاوية، فحُجب ابن عباس حتى أخذ الناس مجالسهم، ثم أذن له فقال: أعظم الله أجرك ياابن عباس قال: فيمن؟ قال: في الحسن بن علي قال: إذًا لا يزيد موته في عمرك، ولا يدخل عمله عليك في قبرك، فقد فقدنا من هو أعظم منه قدرًا، وأجل منه أمرًا، فأعقب الله عقبى صالحة فخرج ابن عباس وهو يقول:

أصبح اليوم ابن هند شامتًا ... ظاهر النخوة أن مات الحسنْ

ولقد كان عليه عمره ... مثل رضوى وثبير وحضنْ

فارتع اليوم ابن هند آمنًا ... إنما يقمص[1] بالعير السمنْ

واتق الله وأظهر توبةً ... إنما كان كشيءٍ لم يكنْ

وروينا عن الزهري من طريق السيد الإمام المرشد بالله يحيى ابن الإمام الموفق بالله أبي عبدالله الحسين بن إسماعيل الحسني الجرجاني عليهم السلام رواه بإسناده مع ما تقدم آنفًا قال: قدم ابن عباس على معاوية فمكث أيامًا لا يؤذن، ثم

(١) القمص: هو أن يرفع رجليه وينكس رأسه.

أُذن له ذات يوم فدخل فإذا معاوية مستبشر ومن يطيف به، فقال: يا ابن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ فقال: والله لا أدري ما حدث في أهل بيتي غير أني أراك مستبشراً ومن يطيف بك، قال: مات الحسن بن علي. قال: إنا لله وإنا إليه راجعون يكررها مراراً، ثم قال: أما والله يا معاوية لا يزيد موته في عمرك، ولا تسد حفرتُه حفرتك، ولقد أُصبنا بمن كان أعظم منه رسول الله ﷺ فكفانا الله، ثم خرج من عنده، قال: فمكث أيامًا لا يصل إليه، ثم وصل إليه ذات يوم فقال معاوية: يا ابن عباس أتدري ما حدث في أهل بيتك؟ قال: وما حدث في أهل بيتي؟ قال: مات أسامة بن زيد. قال ابن عباس: إنا لله وإنا إليه راجعون، رحم الله أسامة بن زيد، ثم خرج من عنده، وقد كان ابن عباس تقشف وكره أن يزيًا بزيّه، فيشهره أهل الشام فيضرُّ به ذلك عند معاوية، فلما رجع إلى منزله قال: يا غلام هات ثيابي فوالله لإن جلست أنا لهذا المنافق ينعي إليّ أهل بيتي[1] واحداً واحداً إني إذاً أحمق. قال: فقال عليّ بالمقطّعات فلبسها، قال: ثم قال: بعمامة له اسمها: تجوبية[2] فلبسها، وكان من أجمل الناس، أمدّهم جسمًا، وأحسنهم شَعَرًا، وأحسنهم وجهًا، قال: ثم أتى مسجد دمشق فدخل، فلما نظر إليه أهل الشام قالوا: من هذا؟ ما يشبه هذا إلا الملآئكة، ما رأينا مثل هذا! قالوا: هذا ابن عباس، هذا ابن عم رسول الله ﷺ، فجلس إلى سارية، وتقوض إليه الخلق، فما سُئل عن شيء إلا أجابهم به من تفسير من كتاب الله، ولا حلال ولا حرام، ولا وقعة كانت في جاهلية ولا إسلام، ولا شعر كان في جاهلية ولا إسلام إلا أجابهم به. قال: ومعاوية لا يشعر بشيء من هذا، فانتبه فقال للآذن: ائذن لمن بالباب، قال: أو بالباب أحد؟ قال: فأين الناس؟ قال:

---

(١) في (أ): أصحابي.

(٢) نسبة إلى تجوب وهي: قبيلة من حمير. القاموس ص٩٠.

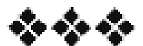
ذهبوا إلى ابن عباس ، قال : هاه قد فعلوها ! نحن والله أظلم منه ، وأقطع للرحم ، اذهب يا غلام ، وقل له : أجبْ أمير المؤمنين . فأتاه الرسول ، قال : فقال ابن عباس : إنا بنو عبد مناف لانقوم عن جليسنا حتى يكون هو الذي يقوم ، لكن قد تقاربت الصلاة فإذا صلينا أتينا أمير المؤمنين ، قال : فأتاه الرسول فأخبره . فقال : صدق ، دعه حتى يصلي ، قال : فلمّا صلى جآء ابن عباس حتى دخل عليه ، فقال له معاوية : ما حاجتك يا ابن عباس؟ قال : دينٌ عليّ ، قال : قد أداه الله عنك ، قال : وما أستعين به على الزمان . قال وذلك لك . أبقيت لك حاجة؟ قال : لا . قال : ادخل بيت المال ، فأحمل ما بدا لك ، قال : إنا بنو عبدالمطلب لا نأخذ من مال المسلمين إلاما احتجنا إليه ، قال : عزمت عليك إلاما فعلت ، قال : فدخل ابن عباس بيت المال ، فتلفت يمينًا وشمالاً فرأى برنسًا من خزٍّ أدكن فتدرّعه ثم خرج به ، قال : قد أخذت حاجتك؟ قال : نعم ، قال : الحق ببلادك ، قال : يا أمير المؤمنين إنك حيث نعيت إليَّ الحسن بن علي آليت على نفسي أن لا أسكن المدينة بعده أبداً ، ولا أجد مكانًا أجل من جوار أمير المؤمنين . قال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل ، قال : فبقيت لي حاجة هي أهم الحوائج إلي ، وهي لك دوني ، قال : فإن حاجة لك هي لنا دونك إنا نخاف أن نسارع إليها . قال : علي بن أبي طالب قدكفاك الله مؤنته ، ومضى لسبيله ، وقد عرفت منزلته وقرابته فكفَّ عن شتمه على المنابر ، قال : هيهات ليس إلى ذلك سبيل يا ابن عباس ، هذا موضع دين ، إنه غش رسول الله ﷺ ، وسمَّ أبا بكر ، وذم عمر ، وقتل عثمان ، فليس إلى الكفِّ عنه سبيل ، فقال له ابن عباس : الله حسبك فيما قلت ، ثم خرج فلم يلتقيا .

وروينا بالإسناد أنه لما دفن الحسن بن علي عليهما السلام ، قام أخوه محمد ابن الحنفية عليه السلام على قبره وقال : يرحمك الله أبا محمد ، لئن عزّت حياتك لقد

هـدَّت وفـاتك ، ولنـعم الـرُّوح رُوحٌ عُمِرَ به جسدُك ، وتضمنه كفنك ، وكيف لا يكون كذلك ! وأنت سليل الهدى ، وحليف أهل التقى ، غذتك كفُّ الإيمان ، ورضعتَ ثدي التقوى ، فطبت حيًا وطبت ميتًا ، وإن كانت أنفسنا غير طيبة بفراقك ، فإنها غير شاكة بأن الله قد اختار لك ، ثم بكى وأبكى من حوله .

وقال النجاشي الحارثي رحمه الله يرثي الحسن بن علي عليهما السلام :

يا جـعـد بكيـه ولا تسـأمي	بكـاء حق لـيس بالـبـاطـل
على ابن بنت الطاهر المصطفى	وابن ابن عم المرسل الفـاضل
كـان إذا شُـبّت له نارة	يرفـعـهـا[1] بالشـرف القـابل
لكي يراها بائس مـرملٌ	أو فـرد حيٍّ ليس بالآهـل
يغلي بنيِّ اللحم حـتى إذا	أنـضج لـم يـغـل عـلى الآكـل
لن تغلقي بابًا على مـثله	من حـافيءٍ يمشي ولا ناعل
أعني فـتى أسلمـه قـومُـه	للزمن المسـتـخـرج الماحل
نعم فتى الهـيجاء يوم الوغى	والسـيـد القـائل والفـاعل



(١) في هامش (أ ، ج) : يوقدها نسخة .

الحُسينُ بنُ عليٍّ عَلَيْهِمَا السلام[1]

هو أبو عبدالله الحسين بن علي عليهما السلام.

وأمه: فاطمة ابنة رسول الله ﷺ، وكان بين ولادتها للحسن بن علي وعلوقها بالحسين خمسون ليلة وولد عليه السلام لخمس ليال خلون من شهر شعبان سنة أربع من الهجرة، وأذّن رسول الله ﷺ في أذنه عند ولادته بالصلاة، وعقّ عنه في اليوم السابع، وحلقت أمه عليها السلام رأسه، وتصدقت بوزنه فضةً على المساكين، وسمّاه رسول الله ﷺ حسينًا[2].

وروينا عن أم الفضل ابنة الحارث: أنها دخلت على رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إني رأيت حلمًا منكرًا الليلة. قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد! قال: وما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري. فقال رسول الله ﷺ: خيراً رأيت، تلد فاطمة غلامًا فيكون في حجرك [قالت]، فولدت فاطمة الحسين، [و] كان في حجري كما قال رسول الله ﷺ، فدخلت يومًا على رسول الله ﷺ فوضعته في حجره، ثم كانت مني التفاتة، فإذا عينا رسول الله ﷺ تهريقان بالدموع، فقلت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله مالك؟ قال: أتاني جبريل عليه السلام وأخبر بأن أمتي ستقتل

---

(١) أنظر الإفادة ٤٢، ومقاتل الطالبين ٧٨، ونسب قريش ٥٧، والتاريخ الكبير ٨٤٦، والجرح والتعديل ٣/ ٣٤٩، وتاريخ الطبري ٥/ ٣٤٧، ومروج الذهب ٣/ ٣٤٨، والمستدرك ٣/ ١٧٦، وجمهرة أنساب العرب ٥٢، والاستيعاب ٣٩٢، وتاريخ بغداد ١/ ١٤١، وتاريخ ابن عساكر ٥/ ٦، وأسد الغابة ٢/ ١٨، والكامل ٤/ ٤٦، وتاريخ الإسلام ٢/ ٣٤٠، والبداية والنهاية ٨/ ١٤٩، وشذرات الذهب ١/ ٦٦، والتحف شرح الزلف ٥٧، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٨٠، ومناقب آل أبي طالب ٣/ ٣٦٧، وأعيان الشيعة ١/ ٥٧٨، الأعلام ٢/ ٢٤٣، والمصابيح ٣٥٣، وصفوة الصفوة ١/ ٣٤٣، ومناقب أمير المؤمنين ٣/ ٨٩.

(٢) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ص٤٢، وأبو داوود ٢٨٤١، والنسائي ٧/ ١٦٦، وذخائر العقبى ١١٩، ومجموع الإمام زيد بن علي ٤٦٨.

ابني هذا، وأتاني بتربة من تربته حمرآء![1].

وروي أن فاطمة عليها السلام لما ولدت الحسن عليه السلام قالت لعلي عليه السلام: سمِّه، قال علي عليه السلام: وكنت رجلاً محرابًا أحب أن أسميه حربًا، ثم قلت ما كنت لأسبق باسمه رسول الله صلى الله عليه وآله، فجآء رسول الله صلى الله عليه وآله، فقيل له: سمِّه. فقال: وما كنت لأسبق باسمه ربي جلَّ وعز، فأوحى الله تعالى إلى جبريل: إنه ولد لمحمد ابن، فاهبط فأقره السلام، وَهنِّه وقل له: إن عليًا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمّه باسم ابن هارون، فهبط جبريل فهنّاه من الله تعالى، ثم قال: إن الله يأمرك أن تسميه باسم ابن هارون، فقال: وما كان اسمه؟قال: شبَّر. قال: لساني عربي: قال: فسمه الحسن. فسمّاه الحسن.

فلما ولد الحسين أوحى الله إلى جبريل: قد ولد لمحمد ابن، فاهبط إليه وهنه وقل له: إن عليًا منك بمنزلة هارون من موسى، فسمِّه باسم ابن هارون. فلما نزل جبريل وهنّاه وبلّغه الرسالة، قال: وما كان اسم ابن هارون؟ قال: شبير. قال: لساني عربي. قال: فسمه الحسين. قال: فسمّاه الحسين[2].

صفته عليه السلام:

كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله من سرَّته إلى قدمه، وروي أنه كان شديد البياض حتى كان يهتدى إلى موضعه في الليل المدلهم؛ لشدة بياض وجهه ونحره[3].

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام:

هو عليه السلام ابن محمد المصطفى، وعلي المرتضى، وفاطمة الزهراء، وخامس

---

(١) المستدرك ٣/١٧٦ رقم٤٨١٨، في أمالي أبي طالب ٩٠.

(٢) بلفظ مقارب لأمالي أبي طالب ٩٥.

(٣) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٢.

أهل الكساء، الذين شهد بتطهيرهم التنزيل، وأثنى عليهم الملك الجليل، قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1] [الأحزاب:٣٣] فهم المطهّرون من الأدناس، المفضّلون على جميع الجنَّة والناس، ولله القائل:

بأبي خمسة هم جُنّبوا الرجـ ـس كرامٌ وطُهِّروا تطهيرا

أحمد المصطفى وفاطم أعني وعليًّا وشبّرًا وشبيرًا

من تولاهم تولاه ذو العر ش ولقّاه نضرة وسرورًا

وعلى مبغضيهمُ لعنة اللـ ـه وأصلاهم المليك سعيرًا

وفي الرواية أن النبي ﷺ حمل الحسن والحسين عليهما السلام ذات يوم على عاتقه، وهو يقول: «نعم المطي مطيكما، ونعم الراكبان أنتما، وأبوكما خيرٌ منكما»[2]، وفي ذلك ما يقول الشاعر:

أتى حسنًا والحسينَ الرسو لُ وقد برزا ضحوة يلعبان

فضمّهما وتفدّاهما وكانا لديه بذاك المكان

ومرّ وتحتهما منكباه فنعم المطيةُ والراكبان

وروينا عن عبدالله بن عمرو الخزاعي عن هند ابنة الجون قالت: نزل رسول الله ﷺ خيمة أم معبد، ومعه أصحاب له وكان من أمره في الشاة ما قد علمه الناس، فَقَالَ في الخيمة هو وأصحابه حتى أبردوا، وكان يومًا قائظًا شديدًا حرُّه، فلمّا قام من رقدته دعا بماء فغسل يديه فأنقاهما، ثم مضمض فاه ومجَّه إلى عوسجة كانت إلى جانب خيمة خالية، فلما كان من الغد أصبحنا وقد غلظت

---

(١) مسلم ج٤/ ص١٨٨٢ رقم الحديث ٢٤٢٤.

(٢) مجمع الزوائد ٩/١٨٢، والمعجم الأوسط ٤/٢٠٥ رقم ٣٩٨٧، وابن عساكر ١٣/٢١٦، وكنز العمال ١٣/٦٦٢ رقم ٣٧٦٨٥، والكبير ٣/٦٥ رقم ٢٦٧٧، وذخائر العقبى ١٣٠.

تلك العوسجة حتى صارت أعظم دوحة عادية رأيتها، وقد شذب الله شوكها، وساخت عروقها واخضرّ ساقها وورقها، ثم أثمرت بعد ذلك وأينعت بثمرٍ أعظم ما يكون من الكمئة في لون الورس المسحوق، ورائحة العنبر، وطعم الشهد، والله ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمئآن إلا روي، ولا سقيم إلا بري، ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلا درّ لبنها، ورأينا النما والبركة في أموالنا منذ نزل رسول الله ﷺ، وأخصبت بلادنا وأمرعت، فكنا نسمي تلك الشجرة: المباركة، وكان من ينتابنا من حولنا من البوادي يستشفون بها، ويتزودون من ورقها، ويحملونها معهم[1] في الأرض و[2] القفار، فيقوم لهم مقام الطعام والشراب، فلم نزل كذلك وعلى ذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمرها، واصفر ورقها، فحزنا لذلك وفزعنا له فما كان إلا قليلاً حتى جآء نعي رسول الله ﷺ، فإذا هو قد قُبض في ذلك اليوم، فكانت بعد ذلك تثمر دونه في الطعم[3] والعظَم والرائحة، وأقامت على ذلك ثلاثين سنة، فلما كان ذات يوم أصبحنا فإذا بها قد أشوكت من أولها إلى آخرها، وذهبت نضارة عيدانها، وتساقط جميع ثمرها، فما كان إلا يسيراً حتى وافانا مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، فما أثمرت بعد ذلك قليلاً ولا كثيراً، وانقطع ثمرها، ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا، فأقامت على ذلك مدة وبرهة طويلة، ثم أصبحنا وإذا بها يومًا قد انبعث من ساقها دم عبيط جار، وورقها ذابل يقطر مآء كمآء اللحم، فعلمنا أن قد حدث حدثٌ عظيم، فبتنا فزعين مهمومين نتوقع الداهية، فأتانا بعد ذلك قتل الحسين بن علي عليهما السلام، ويبست الشجرة

(١)في (أ): ساقطة معهم.

(٢)في (ج): بدون واو.

(٣)في (ج): ساقطة الطعم.

وجفت وكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك، فذهبت واندرس أصلها. قال محمد ابن سهل – وهو من رواة الحديث: فلقيت دعبل بن علي الخزاعي بمدينة الرسول ﷺ فحدثته بهذا الحديث، فقال حدثني أبي عن جده عن أمه سُعدى بنت مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة، وأكلت من ثمرها على عهد أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال دعبل: فقلت قصيدتي:

زر خير قبر بالعراق يزار ... واعص الحمار فمن نهاك حمار

لِمَ لا أزورك يا حسين لك الفدا ... نفسي ومن عطفت عليه يزار

ولك المودّة في قلوب ذوي النهى ... وعلى عدوِّك مقتة ودمار [1]

وروينا عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا كان يوم القيامة كنتَ وولداك على خيل بُلْقٍ، متوّجة بالدر والياقوت، فيأمر الله تعالى بكم إلى الجنة والناس ينظرون» [2].

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينًا، حسين سبط من الأسباط» [3].

وروينا بالإسناد عن عمرو بن مسعدة قال: دخلت على المأمون وبين يديه كتاب ينظر فيه، وعيناه تجريان بالدموع، قال عمرو: فقلت: يا أمير المؤمنين ما في هذا الكتاب الذي أبكاك لا أبكى الله عينك؟ قال: يا عمرو، هذا مقتل أمير المؤمنين علي، والحسين بن علي صلوات الله عليهما. فقلت: يا أمير المؤمنين إن الخاصة والعامة قد كثرت في أمرهما، فما يقول أمير المؤمنين في أهل الكساء؟ قال: فتنفس الصعدآء، ثم قال: هيهِ يا عمرو، هم والله آلُ الله، وعترة المرسل

---

(١) الديوان ١١٥، وأمالي أبي طالب ٣١.

(٢) الجامع الكبير المخطوط ٢/٢٠٦، وذخائر العقبى ١٣٥.

(٣) ابن ماجه رقم ١٤٤، والطبراني في الكبير رقم ٢٥٨٩، ورقم ٧٠٢، وصحيح ابن حبان رقم ٦٩٧١، والمستدرك رقم ٤٨٣٠، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ١٤٥٩٧.

الأوّاه- يعني إبراهيم عليه السلام، وسفينة النجاة، وبدُور[1] ظلام الدجى، وبحور بغاة الندى، وغيث كل الورى، وأشبال ليث الدين، ومبيد المشركين، وقاصم المعتدين، وأمير المؤمنين، وأخي رسول رب العالمين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، هم والله المعلنو التقى، والمسرُو الهدى، والمعلمو الجدوى، والناكبون عن الرّدى، لا لُحُظ ولاجُحُظ، ولا فُظُظٌ غُلُظ، وفي كل موطن يُقُظ، هامات هامات، وسادات سادات، غيوث جارات، وليوث غابات، أولو الأحساب الوافرة، والوجوه الزاهرة[2] الناضرة، ما في عودهم خَوَرٌ، ولا في زندهم قِصَرٌ، ولا في صفوهم كَدَرٌ، ثم ذكر الحسن والحسين عليهما السلام، فهمل منه دمع العين، في حلبة الخدين، كفيض الغرتين، ونظم السمطين[3]، وهي من القرطين، ثم قال: هما والله كبدري دجى، وشمسي ضحى، وسيفي لقاء، ورمحي لواء، وطودي حجى، وكهفي تقى، وبحري ندى، وهما ريحانتا رسول الله صلى الله عليه وآله، وثمرتا فؤاده، والناصرا دين الله تعالى، ولدا بين التحريم والتحليل، ودرجا بين التأويل والتنزيل، رضيعا لبان الدين والإيمان، والفقه والبرهان، وحكمة الرحمن، سيدا شباب أهل الجنة، ولدتهما البتول الصادقة بنت خير الشباب والكهول، وسمّاهما الجليل، ورباهما الرسول، وناغاهما جبريل، فهل لهؤلآء من عديل؟ بررةٌ أتقياء، ورثة الأنبياء، وخزنة الأوصيآء، قتلهم الأدعياء وخذلتهم الأشقياء، ولم تَرْعَوِ الأمة من قتل الأئمة، ولم تحفظ الحرمة، ولم تحذر النقمة، ويل لها ماذا أتت! بسخط من تعرّضت! في رضى مَن سعت! طلبت دنيا قليلٍ عظيمُها، حقيرٍ جسيمُها، ورِدَ المعاد أغفلت، إذا الجنة أزلفت، وإذا الجحيم سعرت، وإذا القبور بعثرت، ولحسابها جمعت، ويل لها ماذا

---

(١)في (أ): ويدر.

(٢)في (ج): ساقطة الزاهرة.

(٣)في (أ): السبطين وأظنه تصحيف.

حُرِمت، عن روح الجنان ونعيمها صُرِفت، وعن الولدان والحور غُيِّبت، وإلى الجحيم صُيِّرت، ومن الضريع والزقوم أُطعمت، ومن المهل والصديد والغسلين سُقيت، ومع الشياطين والمنافقين قُرِنت، وفي الأغلال والحديد صُفِّدت، ويل لها ماذا أتت، ثم هملت عيناه، وكثر نحيبه[1] وشهيقه، فقلت: يا أمير المؤمنين يشفيك ما إليه صار القوم، فقال: نعم إنه لشفآء، ولكني أبكي لأشجان وأحزان تحركها الأرحام وقال:

لا تقبل التوبة من تائب ... إلا بحب ابن أبي طالب
حبُّ علي واجبٌ لازم ... في عنق الشاهد والغائب
أخو رسول الله حلْفُ الهدى ... والأخ لا يُعدل بالصاحب
لو جمعا في الفضل يومًا لقد ... نال أخوه رغبة الراغب
بعد علي حبُّ أصحابه ... ما أنا بالمزري ولا العائب
إن مال عنه الناس في جانب ... ملت إليه الدهر في جانب
جآءت به السنة مقبولة ... فلعنة الله على الناصب
حبهم فرض علينا لهم ... كمثل حج لازم واجب

وروينا عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي عليه السلام قال: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه، والبيت غاصٌ بمن فيه قال: ادعوا لي الحسن والحسين قال: فجعل يلثمهما حتى أغمي عليه، قال: فجعل علي عليه السلام يرفعهما عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ففتح عينيه، فقال: دعهما يتمتعان مني وأتمتع منهما، فإنه سيصيبهما بعدي أَثَرَةٌ، ثم قال: أيها الناس، إني خلفت فيكم كتاب الله وسنتي وعترتي أهل بيتي، فالمضيع لكتاب الله كالمضيع لسنتي، والمضيع لسنتي كالمضيع لعترتي، أما إن ذلك لن يفترقا حتى اللقاء على الحوض»[2].

---

(١) في (أ): بزيادة ونشيجه.

(٢) أخرجه الإمام مسلم برقم ٢٤٠٨، والطبراني في الأوسط ٣/ ٣٧٤ برقم ٣٤٣٨، ومسند =

بيعته عليه السلام ومدة ظهوره وانتصابه بالأمر

خرج عليه السلام من المدينة حين ورد نعي معاوية، وطلب بالبيعة ليزيد، وامتنع من ذلك يوم الأحد لليلتين بقيتا من رجب سنة ستين إلى مكة، ودخلها ليلة الجمعة لثلاث خلون من شعبان، ووردت عليه كتب أهل الكوفة كتاب بعد كتاب - وهو بمكة - بالبيعة في ذي الحجة من هذه السنة، ولما وافته بيعة أهل الكوفة خرج من مكة سائراً إليها لثمان خلون من ذي الحجة.

وروي أنه لما أراد الخروج إلى العراق خطب أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن هذه الدنيا قد تنكّرت وأدبر معروفها، فلم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يُنهى عنه، لِيَرْغَب المرؤ في لقاء ربه، فإني لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا شقاوة. فقام إليه زهير بن القين العجلي فقال: قد سمعت مقالتك هديت، ولو كانت الدنيا باقيةً وكنا فيها مخلّدين، وكان في الخروج مواساتك ونصرتك، لاخترنا الخروج منها معك على الإقامة فيها، فجزاه الحسين بن علي عليهما السلام خيراً ثم قال:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً، وحارب مجرما
فإن عشت لم أندم، وإن مت لم أُلَمْ ... كفى بك داءً أن تعيش وترغما[1]

فلما نزل بستان بني عامر كتب إلى محمد أخيه وأهل بيته: من الحسين بن

= الإمام زيد ٤٠٤، والشجري ١/ ١٤٣ - ٣٣١، والبيهقي في السنن ٢/ ١٤٨، وابن حنبل ٤/ ٣٧ برقم ١١١٣١، والترمذي ٦٢٢ برقم ٣٧٨٨، وكنز العمال ١/ ٣٨٠ - ٣٨١، ومجمع الزوائد ٩/ ١٦٢ والدارمي ٢/ ٤٣٢.

(١) الطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٤، ومجمع الزوائد ٩/ ١٩٣، والطبراني في الكبير ٣/ ١١٤ برقم ٢٨٣٢، وذخائر العقبى ١٤٩، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨١، وأمالي أبي طالب ص٩١.

علي إلى محمد بن علي وأهل بيته أما بعد :

فإنكم إن لحقتم بي استشهدتم، وإن تخلفتم عني لم تلحقوا النصر، والسلام.

فلما وافى زُبالة [1] استقبله الطرمّاح الطائي الشاعر، فقال له الحسين عليه السلام: من أين خرجت؟ قال: من الكوفة، قال: كيف وجدت أهل الكوفة؟ قال: يا ابن رسول الله قلوبهم معك، وسيوفهم عليك [2].

فقال له الحسين عليه السلام: صدقت، الناس عبيد الدنيا، والدِّينُ لغوٌ على ألسنتهم يحوطونه ما درَّت معائشهم فإذا امتحنوا بالبلاء قلّ الديّانون.

فلما وافى كربلاء قال: في أي موضع نحن؟ قالوا: بكربلاء، قال: كربٌ والله وبلاء، هاهنا مناخ ركابنا، ومهراق دمآئنا، ثم أقبل في جوف الليل يتمثل ويقول:

يا دهر أُفٍّ لك من خليلِ ... كم لك بالإشراق والأصيلِ
من ميّتٍ وصاحبٍ قتيلِ ... والدهر لا يقنع بالبديلِ
وكل حيٍّ سالكُ السبيلِ

فقالت له أخته زينب: لعلك تخبرنا بأنك تغصب نفسك؟ فقال عليه السلام: لو ترك القطا لنام [3].

وفي بعض أخباره عليه السلام أنه لما بلغ بستان بني عامر لقي الفرزدق بن غالب- الشاعر، فقال: أين تريد يا ابن رسول الله؟ ما أعجلك عن الموسم؟ وذلك يوم التروية، فقال: لو لم أعجل لأُخِذتُ أخذاً، فأخبرني يا فرزدق الخبر؟ قال:

---

(١) اسم موضع بالكوفة.

(٢) الطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٨١ وأمالي أبي طالب ٩١، ٩٢.

(٣) البداية والنهاية ٨/ ١٩١-١٩٢، والطبري في تاريخه ٥/ ٤٢٠، ومقاتل الطالبين ١١٣، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨٥-٢٨٦، وأمالي أبي طالب ٩٢.

تركت الناس قلوبهم معك وسيوفهم مع بني أمية، قال: صدقني الخبر. ثم مرّ الحسين عليه السلام حتى إذا كان مكانه الذي كان فيه من بستان بني عامر بمرحلة أو مرحلتين لقي عبدالله بن مطيع العدوي، فقال له: أين تريد يا ابن رسول الله؟ قال: أريد الكوفة فإن أهلها كتبوا إليّ، قال: فإني أنشدك يا ابن رسول الله بالبيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام أن تعرض نفسك لبني مروان[1]؛ فوالله لئن عرّضت نفسك لهم ليقتلنك، قال: فمضى على وجهه عليه السلام[2].

وروينا عن زيد بن علي عن أبيه عليهم السلام: أن الحسين بن علي عليهما السلام خطب أصحابه فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، خُطَّ الموت على بني آدم كخط القلادة على جيد الفتاة، ما أولعني بالشوق إلى أسلافي اشتياق يعقوب عليه السلام إلى يوسف عليه السلام وأخيه، وإنّ لي مصرعًا أنا لاقيه كأني أنظر إلى أوصالي تقطعها وحوش الفلوات غبراً وعفراً، قد ملأت مني أكراشها، رضَى الله رضانا أهلَ البيت نصبر على بلائه؛ ليوفينا أجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حُرْمَتُه وعترتُه، ولن تفارقه أعضاؤه وهي مجموعة في حظيرة القدس، تقرّ بهم عينه، وتنجز لهم عدته، من كان فينا باذلا مهجته فليرحل فإني راحلٌ غداً إن شاء الله تعالى، ثم نهض إلى عدوه[3].

وقد كان عليه السلام لما أتته رسل أهل الكوفة، وقالوا: قد حبسنا أنفسنا عليك، ولسنا نحضر الجمعة مع الوالي، فأقدم إلينا، فبعث عليه السلام إلى مسلم بن عقيل ابن عمه فقال له: سر إلى الكوفة فانظر ما كتبوا به إليّ فإن كان حقًّا خرجت إليهم، فخرج مسلم حتى أتى المدينة، فأخذ منها دليلين فمرّا به في البريّة فأصابهم عطش

(١) هكذا ورد في النُسخ... والأولى لبني أمية؛ لأن الملك ما يزال في البيت السفياني الأموي، وما انتقل إلى البيت المرواني الأموي إلا فيما بعد.

(٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣/ ٢٧٦.

(٣) المصابيح ٣٧٢، وأمالي أبي طالب ١٩٩.

فمات أحد الدليلين، فكتب مسلم إلى الحسين عليه السلام يستعفيه، فكتب إليه الحسين عليه السلام أن امض إلى الكوفة، فخرج حتى قدمها، فنزل على رجل من أهلها يقال له عوسجة، فلما تحدث أهل الكوفة بمقدمه دنوا إليه، فبايعه منهم اثنا عشر ألفًا، فقام رجل ممن يهوى يزيد إلى النعمان، فقال له: إنك لضعيف أو متضعف قد فسّد البلاد، فقال النعمان: أكون ضعيفًا في طاعة الله عز وجل أحبُّ إليّ من أن أكون قويًا في معصية الله، وما كنت لأهتك سترًا ستره الله عز وجل، فكتب بقوله إلى يزيد بن معاوية، فدعى يزيد مولى له يقال له: سرجون[1]، قد كان يستشيره فأخبره الخبر، فقال له: أكنتَ قابلاً من معاوية لو كان حيًا قال: نعم، قال: فاقْبَلْ مني إنه ليس للكوفة إلا عبيدالله بن زياد فولها إياه[2]، وكان يزيد عليه ساخطًا، وقد كان همَّ بعزله، وكان على البصرة[3] فكتب إليه برضاه[4] وأنه قد ولاه الكوفة مع البصرة، وكتب إليه أن يطلب مسلم بن عقيل فيقتله إن وجده، فأقبل عبيدالله في وجوه أهل البصرة حتى قدم الكوفة[5] متلثمًا، فلا يمر على مجلس من مجالسهم فيسلم عليهم إلا وقالوا: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله، وهم يظنون أنه الحسين بن علي عليهما السلام حتى نزل بالقصر، فدعى مولىً له فأعطاه ثلاثة آلاف درهم، فقال له: اذهب حتى تسأل عن الرجل الذي يبايع أهل الكوفة فأعلمه أنك رجل من أهل حمص جئت لهذا الأمر، وهذا مال فادفعه إليه ليقوى به، فخرج الرجل فلم يزل يتلطف ويرفق حتى دُلّ على شيخ يلي البيعة، فلقيه فأخبره الخبر، فقال له الشيخ: لقد سرّني لقاؤك إياي، ولقد

---

(١) غلام أبيه معاوية.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٦٤.

(٣) في (أ): ساقطة وكان على البصرة.

(٤) في (ج): ترضاه.

(٥) في (ج): المدينة.

سآءني: فأما ما سرني من ذلك فما هداك الله عز وجل له، وأما ما سآءني فإن أمرنا لم يستحكم بعد، فأدخله على مسلم فأخذ منه المال وبايعه، ورجع إلى عبيدالله فأخبره، وتحول مسلم بن عقيل حين قدم عبيدالله من الدار التي كان فيها إلى منزل هانئ بن عروة المرادي.

وكتب مسلم بن عقيل إلى الحسين عليه السلام يخبره ببيعة اثني عشر ألفًا من أهل الكوفة ويأمره بالقدوم، قال: وقال عبيدالله لوجوه أهل الكوفة: ما بال هانئ بن عروة لم يأتني فيمن أتاني؟! قال: فخرج إليه محمد بن الأشعث، وأناس منهم، فأتوه وهو على باب داره، فقال له: إن الأمير قد استبطأك فانطلق إليه، فلم يزالوا به حتى ركب معهم فدخلوا به على عبيدالله، وعنده شريح القاضي، فلما نظر إليه قال لشريح: أتتك بحائن رجلاه[1]، فلمّا سلم عليه قال له: يا هانئ، أين مسلم؟ قال: ما أدري، فأمر عبيدالله صاحب الدراهم فخرج إليه، فلما رآه قطع به، قال: أصلح الله الأمير، والله ما دعوته إلى منزلي، ولكنه جآء فطرح نفسه علي، قال: ائتني به، قال: والله لو كان تحت قدميّ مارفعتهما عنه، قال: أدنوه إليّ، فأدنوه فضربه بالقضيب فشجّه على حاجبه، وأهوى هانئ إلى سيف شرطي ليستلّه فدُفع عن ذلك، وقال له: قد أحلّ الله دمك، وأمر به فحُبس في جانب القصر، وخرج الخبر إلى مذحج فإذا على باب القصر جَلَبَةٌ سمعها عبيدالله بن زياد، فقال: ما هذا؟ فقالوا: مذحج، فقال لشريح: اخرج إليهم فأعلمهم أني إنما حبسته لأسائله، وبعث عينا إليه من مواليه يسمع ما يقول: فمر شريح بهانئ، فقال هانئ: يا شريح اتق الله فإنه قاتلي، فخرج شريح حتى قام على باب القصر فقال: لا بأس عليه، إنما حبسه الأمير ليسائله، فقالوا: صدق ليس على صاحبكم بأس، فتفرّقوا، وأتى مسلم الخبر فنادى بشعاره، فاجتمع إليه أربعة الآف من أهل الكوفة، فقدّم مقدّمه، وهيّأ ميمنة وميسرة، وسار في القلب

---

(١) مثل يقال: للساعي على نفسه بالحين. المستقصى في أمثال العرب ١/ ٣٨.

إلى عبيدالله، وبعث عبيدالله إلى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده في القصر، فلما سار إليه مسلم، فانتهى إلى باب القصر أشرفوا من فوقه على عشائرهم، فجعلوا يكلمونهم ويردونهم، فجعل أصحاب مسلم يتسللون حتى أمسى في خمسمائة، فلما اختلط الظلام ذهب أولئك أيضًا، فلما رأى مسلم أنه قد بقي وحده تردّد في الطرق، فأتى بابًا فنزل عليه، فخرجت إليه امرأة، فقال لها: اسقيني ماء؛ فسقته ثم دخلت فمكثت ما شآء الله ثم خرجت فإذا هو على الباب، قالت: يا عبدالله إن مجلسك مجلس ريبة فقم، فقال: أنا مسلم بن عقيل فهل عندك مأوى؟ قالت: نعم ادخل، وكان ابنها مولى لمحمد بن الأشعث، فلما علم به الغلام انطلق فأخبره، فانطلق محمد إلى عبيد الله فأخبره، فبعث عبيدالله عمرو بن حريث المخزومي صاحب شرطته إليه ومعه محمد، فلم يعلم مسلم حتى أحيط بالدار، فلما رأى ذلك مسلم خرج إليهم بسيفه فقاتلهم فأعطاه محمد الأمان فأمكن من يده، فجاء به إلى عبيدالله بن زياد فأمر به فأصعد إلى أعلى القصر فضربت عنقه وألقى جثته إلى الناس، وأمر بهانئ فسحب إلى الكناسة فصلب هناك، وقال شاعرهم[1]:

فإن كنت لا تدرين ما الموت ... فانظري إلى هانئ بالسوق وابن عقيل
أصابهما أمر الأمير فأصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل
أتركب أسماء الهماليج آمنًا ... وقد طلبته مذحج بقتيل[2]

وأقبل الحسين عليه السلام بكتاب مسلم إليه حتى إذا كان بينه وبين القادسية ثلاثة أميال لقيه الحرُّ بن يزيد التميمي فقال له: أين تريد؟ قال: أريد هذا المصر، قال له: ارجع فإني لم أدع لك خلفي خيراً أرجوه، فهمَّ أن يرجع، وكان معه إخوة مسلم بن عقيل فقالوا: والله لا نرجع حتى نصيب بثأرنا أو نقتل، فقال: لا خير

---

(١) البداية والنهاية ١٦٥-١٦٦.

(٢) البداية والنهاية ٨/ ١٦٩، والكامل لابن الأثير ٣/ ٢٧٤-٢٧٥.

في الحياة بعدكم فسار، فلقيه أول خيل عبيدالله بن زياد، فلما رأى ذلك عدل إلى كربلاء وأسند ظهره إلى قصب أو خلاف لايقاتل إلا من وجه واحد، فنزل وضرب أبنيته، وكان أصحابه خمسة وأربعين فارسًا، ونحواً من مائة راجل، وكان عمر بن سعد بن أبي وقاص قد ولاه عبيدالله بن زياد وعهد إليه عهداً، فقال: اكفني هذا الرجل، فقال: اعفني، فأبى أن يعفيه، قال: فأنظرني الليلة، فأخّره فنظر في أمره، فلما أصبح غدا عليه راضيًا بما أمره به، فتوجه عمر بن سعد إلى الحسين بن علي عليه السلام، فلما أتاه[1]، قال له الحسين عليه السلام: اختر واحدةً من ثلاث: إما أن تَدَعُوني فألحق بالثغور، وإما أن تدعوني فأذهب إلى يزيد، وإما أن تدعوني فأنصرف من حيث جئت، فقبل ذلك عمر بن سعد، فكتب إلى عبيدالله ابن زياد، فكتب إليه عبيدالله: لا ولا كرامة حتى يضع يده في يدي، فقال الحسين ابن علي عليهما السلام: لا والله لا يكون ذلك أبداً[2].

أولاده عليه السلام:

علي الأكبر في قول العقيقي، وكثير من الطالبية، وهو الأصغر في قول الكلبي ومصعب بن الزبير، وكثير من أهل النسب. وله العقب، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عثمان. وروى عن جده أمير المؤمنين عليهما السلام. **وعبدالله** بن الحسين. قتل مع أبيه بالطف جآءته نشابة وهو في حجر أبيه فقتلته، وأمهما واحدة. **وعلي الأصغر** في قول العقيقي وكثير من الطالبية لا عقب له، قتل مع أبيه، وهو الأكبر في قول من ذكرنا من أهل النسب، وأمه: ليلى ابنة أبي مرة ابن عروة بن مسعود الثقفية، وأمها: ميمونة ابنة أبي سفيان بن حرب بن أمية بن

---

(١) في (ج): أراه.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٨، والبداية والنهاية ٨/ ١٨٣، وورد بلفظ آخر في الكامل لابن الأثير ٣/ ٢٨٧-٢٨٨، وتهذيب التهذيب ٢/ ٣١٩. هذه الرواية تناقض شجاعة الإمام الحسين عليه السلام ورفضه للذل.

عبد شمس، ولهذا ناداه رجل من أهل الشام حين برز للقتال بين يدي أبيه صلوات الله عليه، وقال له: إن لك رحمًا بأمير المؤمنين يعني يزيد، وهو يريد رحم ميمونة ابنة أبي سفيان، فإن شئت أمّناك! فقال له: ويلكم لَقَرابة رسول الله ﷺ أحق أن ترعى! وقاتل حتى قُتل[1].

وجعفر دَرَجَ صغيراً، وأمه بلويّة من بلي بن قضاعة، وذكر بعض أهل النسب إبراهيم، ومحمداً، وليس يعرفهما الطالبيون[2].

والعقب من ولد الحسين عليه السلام لواحد وهو: **علي بن الحسين الأكبر** في قول الطالبية، والأصغر في قول كثير من أهل النسب.

ومن البنات: **فاطمة** وأمها أم إسحاق ابنة طلحة بن عبيدالله عقبها في ولد الحسن بن الحسن عليهما السلام، وفي ولد عبدالله بن عمرو بن عثمان الملقب بالمطرَف[3]، وأمها الجربا، وسميت الجربا؛ لأنه كان لا يجلس معها أحد لجمالها وحسنها فلما تحامى النساء الجلوس معها شُبهت بالناقة الجربا التي يحمي[4] صاحب الإبل إبله عنها، وهي الجربا ابنة قسامة بن رومان من طي.

وسكينة واسمها: آمنة، وأمها: الرباب ابنة امرئ القيس بن عدي بن أوس، وسكينة انقرض عقبها إلا من ولد عبدالله بن عثمان بن عبدالله بن حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد بن عبدالعزى، فإنها ولدت له عثمان الملقب بقرين، وحكيماً، وربيحة[5].

---

(1) الإفادة في تاريخ الائمة السادة ٤٣٠، ومقاتل الطالبين ٨٠، ٨١.

(2) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٤.

(3) المطرَف: لقب به لحسنه.

(4) في (أ): تمنع.

(5) الإفادة ٤٤.

مقتله عليه السلام وموضع قبره وما يتصل بذلك

روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «يقتل ابني الحسين بظهر الكوفة، الويل لقاتله وخاذله، ومن ترك نصرته» وعنه صلى الله عليه وآله أنه قال: «تحشر ابنتي فاطمة ومعها ثياب مصبوغة بدم، فتعلق بقائمة من قوائم العرش وتقول: يا عدل يا جبار احكم بيني وبين قاتل ولدي، قال صلى الله عليه وآله فيحكم لابنتي ورب الكعبة»[1].

وروينا من أمالي السيد المرشد بالله أبي عبدالله يحيى بن الحسين الحسني عليه السلام يرفعه إلى عبدالله بن عمرو بن العاص أن معاذ بن جبل أخبره، قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله متغير اللون فقال: «أنا محمد أوتيت فواتح الكلام وخواتمه فأطيعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذُهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلُّوا حلاله وحرموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم الروح والراحة، كتاب من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رَسْلٌ جاء رسل، تناسخت النبوة فصارت مُلْكًا، رحم الله من أخذها بحقها، وخرج منها كما دخلها. أمسك يا معاذ وأحص» قال: فلما بلغت خمسة قال: يزيد لا بارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه صلى الله عليه وآله، ثم قال: نُعي إليَّ الحسين وأُتيت بتربته، وأُخبرتُ بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعونه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط عليهم شرارهم، وألبسهم شيعًا، ثم قال: واهًا لفراخ آل محمد من خليفة مستخلَف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف»[2] أمسك يا معاذ، فلما بلغت عشرة، قال: الوليد اسم فرعون هادم شرائع الإسلام، يبوء بدمه رجل

---

(١) مسند علي بن موسى الرضى ص ٤٦٠، وأورده السمهودي في جواهر العقدين، وشمس الأخبار ١١٨.

(٢) روي في درر الأحاديث النبوية للإمام الهادي ص ٢١: «ويح الفراخ، فراخ آل محمد صلى الله عليه وآله من خليفة مستخلف وعتريف مترف يقتل خلفي وخلف الخلف»، والمصابيح ٣٥٤.

من أهل بيته، يسأل الله سيفه فلا غماد له، واختلف الناس فكانوا هكذا، وشبك بين أصابعه، ثم قال: بعد العشرين ومائة موتٌ سريع، وقتل ذريع، وفيه هلاكهم، ويلي عليهم رجل من ولد العباس[1].

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «قاتل الحسين في تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل النار، قد شُدَّت يداه ورجلاه بسلاسل من نار، منكَس في النار، حتى يقع في قعر جهنم، وله ريح يتعوذ أهل النار إلى ربهم من شدّة ريح نتنه، وفيها خالدٌ ذائق العذاب الأليم، لا يفتر عنهم ساعة، ويسقى من حميم جهنم، الويل لهم من عذاب الله عز وجل»[2].

وروينا عن عائشة رحمها الله قالت: دخل الحسين بن علي عليهما السلام على رسول الله ﷺ وهو يُوحى إليه، فنزل على رسول الله ﷺ وهو منْكَبٌ ولعب على ظهره، فقال جبريل لرسول الله ﷺ: أتحبُّه يا محمد؟ قال: يا جبريل ومالي لاأحب ابني! قال: فإن أمّتك ستقتُله من بعدك، فمدَّ جبريل يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك، و اسمها الطَّفُّ، فلما ذهب جبريل عليه السلام من عند رسول الله ﷺ، خرج رسول الله ﷺ والتربة في يده وهو يبكي فقال: يا عائشة إن جبريل أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف، وأن أمتي ستفتتن بعدي، ثم خرج إلى أصحابه ومنهم عليٌ وأبو بكر، وعمر، وحذيفة، وعمار، وأبو ذر، وهو يبكي فقالوا: ما يُبكيك يا رسول الله؟ قال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف، وجآءني بهذه التربة، فأخبرني جبريل عليه السلام أن فيها مضجعه[3].

---

(١) مجمع الزوائد ٩/ ١٩٠، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٢٠ رقم ٢٨٦١.

(٢) مسند علي بن موسى الرضا ص ٤٧٠ بلفظ: من شدة نتنه، وأورده المناوي في فيض القدير وغيره بألفاظ قريبة.

(٣) في البداية والنهاية بلفظ مقارب ٨/ ٢١٦-٢١٧، وذخائر العقبى ١٤٧، وأحمد في مسنده ١٠/ ١٨٠ برقم ٢٦٥٨٦، والطبراني في الكبير ٣/ ١٠٦ برقم ٢٨١٣، ومجمع الزوائد ٩/ ١٨٧.

ولما اضطر عليه السلام إلى محاربة القوم وعبأ عمر بن سعد أصحابه لمحاربة الحسين عليه السلام، ورتّبهم مراتبهم، وأقام الرايات في مواضعها، وعبّأ أصحاب الميمنة والميسرة، وقال لأصحاب القلب: اثبتوا، وأحاطوا بالحسين عليه السلام من كل جانب حتى جعلوه في مثل الحلقة، فخرج عليه السلام حتى أتى الناس، فاستنصتهم فأبوا أن ينصتوا حتى قال لهم: ويلكم ما عليكم أن تنصتوا لي فتسمعوا قولي؟ فإني إنما أدعوكم إلى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المهتدين والمرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمري، غير مستمع قولي، فقد انجزلت[1] عطياتكم من الحرام، وملئت بطونكم من الحرام، فطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟ ألا تستمعون؟ فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا: أنصتوا له، فأنصتُوا، فقام الحسين عليه السلام فيهم: فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وآله، ثم قال: تبًا لكم أيتها الجماعة وترحا، أفَحين استصرختمونا وَلِهينَ متحيِّرين، فأصرخناكم موجزين مستعدِّين، سللتم علينا سيفًا في رقابنا! وحَشَشتم علينا نار الفتن، جناها عدوُّكم وعدوُّنا، فأصبحتم إلبًا على أوليائكم، ويدًا عليهم لأعدائكم، لغير عدل أفشوه فيكم، ولا أملٍ أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طعمتم فيه، من غير حدث كان منا، ولا رأي تفيّل[2]، فهلا لكم الويلات تجهمتمونا والسيف لم يشهر، والجأش طامن، والرأي لم يستخف، ولكن أسرعتم إلينا كطيرة الذباب، وتداعيتم كتداعي الفراش، فقبحًا لكم فإنما أنتم من طواغيت الأمة، وشذاذ الأحزاب، ونَبَذَة الكتاب، ونَفْثَة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرفي الكتاب، ومطفئ السنَن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيري عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، الذين جعلوا القرآن عضين، وأنتم ابن حرب وأشياعَه تعتمدون، وإيانا تحاربون.

---

(١) أي عظمت، المعجم الوسيط ١٢١.

(٢) تفيّل رأيه: أخطأ وضعف. (القاموس ص١٣٥٠).

أجل والله خذلٌ فيكم معروف، وشَجَت عليه عروقكم، وتوارثته أصولكم وفروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغشيت صدوركم، فكنتم أخبث شيء: سخى للناصب، وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين، الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، وأنتم والله هم، ألا إن الدعيَّ ابن الدعيُّ قد ركَّز بين اثنتين: بين القتلة والذلَّة، وهيهات منَّا أخذ الدنية، أبى اللهُ ذلك ورسولُه والمؤمنون، وجدودٌ طابت، وحجور طَهُرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوس أبية، لا تؤثر مصارع اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرتُ وأنذرتُ، ألا إني زاحف بهذه الأسرة، على قلة العتاد، وخذلة الأصحاب، ثم أنشأ يقول:

فإن نَهزِم فهزّامون قِدْمًا ... وإن نُهزَم فغيرُ مُهزّمينا

ألا ثم لا تلبثون بعدها إلا كريثما تركب الفرس حتى تدور بكم الرحى، عهدًا عهده إليَّ أبي، فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم كيدون جميعًا ولا تنظرون، إني توكلت على الله ربي وربكم، ما من دآبة إلاَّ هو آخذ بناصيتها إنَّ ربي على صراط مستقيم. اللهم احبس عنهم قطر السمآء، وابعث عليهم سنين كسنيِّ يوسف، وسلط عليهم غلام ثقيف يسقيهم كأسًا مرة، فلا يدع فيهم أحدًا إلا قتله بقتلة، وضربه بضربة، ينتقم لي ولأوليائي وأهل بيتي وأشياعي منهم؛ فإنهم غرُّونا وكذبونا وخذلونا، وأنت ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير. ثم قال: أين عمر بن سعد؟ ادعوا لي عمر. فدُعي له، وكان كارهًا لا يحب أن يأتيه، فقال: يا عمر، أنت تقتلني؟ تزعم أن يولِّيك الدعيّ ابن الدعيّ بلادي الرَّي وجرجان، والله لاتتهنأ بذلك أبدًا، عهدًا معهودًا، فاصنع ما أنت صانع، فإنك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة، ولكأني برأسك على قصبة قد نصبت بالكوفة تترا ماه الصبيان، ويتخذونه غرضًا بينهم، فاغتاظ عمر بن سعد من كلامه، ثم صرف بوجهه عنه، ونادى بأصحابه: ما تنتظرون به، احملوا بأجمعكم إنما هي أكلة

واحدة [1]. ثم إن الحسين عليه السلام دعا بفرس رسول الله صلى الله عليه وآله المرتجز، فركبه وعبأ أصحابه، وزحف إليهم عمر بن سعد لعنه الله، ونادى غلامه دريداً: قدم رايتك، ثم وضع سهمه في كبد قوسه، ثم رمى وقال: اشهدوا لي عند الأمير - يعني عبيدالله بن زياد لعنه الله وإياهم-أني أول من رماه، فرمى أصحابه كلهم بأجمعهم في أثره رشقة واحدة، فما بقي أحد من أصحاب الحسين عليه السلام إلا أصابه من رميهم سهم، ثم قاتل عليه السلام هو وأهل بيته وأصحابه حتى قُتلوا كلُّهم، وفيهم بضعة عشر شاباً من أهل بيته، فقَتَل الحسينَ بنَ علي عليهما السلام سنانُ بن أنس النخعي، وأجهز عليه خولي بن يزيد الأصبحي من حمير. **والعباس** بن علي بن أبي طالب، وأمه: أم البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة بن الوحيد العامري قَتَله زيد بن رقاد الجنبي بسهم، ولما ظفر به الشيعة بالكوفة نصبوه غرضاً ورموه حتى لم يبق قدر الدرهم من جسده إلا وفيه سهم، وحكيم بن طفيل الطائي السَّنْبِسي، وكلاهما ابتلي في بدنه. **وجعفر** بن علي بن أبي طالب، وأمه أيضاً أم البنين بنت حزام، قتله هانئ بن ثبيت الحضرمي. **وعبدالله** بن علي، وأمه أيضاً أم البنين رماه خولي بن يزيد الأصبحي بسهم، وأجهز عليه رجل من بني تميم بن أبان بن دارم. **ومحمد** بن علي بن أبي طالب الأصغر، قتله رجل من بني أبان بن دارم وليس بقاتل عبدالله بن علي، وأمه أم ولد. **وأبو بكر** بن علي بن أبي طالب، وأمه: ليلى بنت مسعود بن خالد بن مالك بن ربعي بن سلمى بن جندل بن نهشل بن دارم التميمي. **وعثمان** بن علي، وأمه أم البنين بنت حزام أخو العباس وجعفر وعلي ابني [2] علي لأمهم. **وعلي** بن الحسين الأكبر، وأمه: ليلى بنت مرة بن عروة بن مسعود بن معتب الثقفي، وأمها: ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، قتله مرة بن منقذ بن النعمان الكندي، وكان يحمل عليهم ويقول:

---

(١) ابن عساكر ١٤/٢١٨، وأمالي أبي طالب ٩٦.

(٢) في (أ): بن علي.

١

أنا علي بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبي

حتى قُتل صلى الله عليه. **وعبدالله** بن الحسين، وأمه: الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عكيم[1] الكلبي، قتله حرملة بن الكاهن الأسدي الوالبي، وُلدَ والحسين بن علي في الحرب، فأُتيَ به وهو قاعد، فأخذه في حجره ولبَّاه بريقه، وسمّاه عبدالله، فبينا هوكذلك إذ رماه حرملة بن الكاهن بسهم فنحره، فأخذ الحسين دمه فجمعه ورمى به نحو السمآء، فما وقعت منه قطرة إلى الأرض. قال فضيل: وحدثني أبو الورد أنه سمع أبا جعفر يقول: لو وقعت منه إلى الأرض قطرة لنزل العذاب، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

وعند غنيٍّ قطرةٌ من دمآئنا وفي أسد أخرى تُعَدُّ وتذكر

وكان علي بن الحسين عليه السلام عليلاً، وارتُثَّ[2] يومئذ وقد حضر بعض القتال فدفع الله عنه، وأُخذَ مع النسآء هو ومحمد بن عمرو بن الحسن، والحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. **وقتل أبو بكر** بن الحسن بن علي، وأمه: أم ولد، قتله عبدالله بن عقبة الغنوي. وعبدالله بن الحسن بن علي، وأمه أم ولد رماه حرملة بن الكاهن الأسدي بسهم فقتله. **والقاسم** بن الحسن بن علي، وأمه: أم ولد قتله عمرو بن سعيد بن نفيل الأزدي. **وعون** بن عبدالله بن جعفر ابن أبي طالب، وأمه: جمانة بنت المسيب بن نجبة بن ربيعة بن رباح الفزاري، قتله عبدالله بن قطنة الطائي النبهاني[3]. ومحمد بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وأمه: الخوصاء بنت حصفة[4] بن ثقيف بن ربيعة بن عابد بن الحارث بن

---

(١) في (أ): حكيم.

(٢) يقال للرجل إذا ضُرب في الحرب فأُثخن وحُمل وبه رمق، ثم مات: قد ارتُثَّ فلان، وهو افتُعل على المجهول أي: حُمل من المعركة رثيثًا، أيَ: جريحًا، وبه رمق.

(٣) هـذا عون الأصغر وقتل يوم الحرة، أما الذي قتل مع الحسين فهو عون الأكبر وأمه زينب بنت علي عليه السلام. مقاتل الطالبين ص١٢٤.

(٤) في (ب): (حفصة) كما في المقاتل ص٩١.

تيم الله بن ثعلبة بن بكر بن وائل، قتله عامر بن نهشل التميمي[1].

قال: ولما أتى أهلَ المدينة مصابُهم، دخل الناس على عبدالله بن جعفر يعزُّونه، فدخل عليه بعض مواليه فقال: هذا ما لقينا ودخل علينا من حسين! قال: فخذفه عبدالله بن جعفر بنعله! وقال: يا ابن اللخنا، أللحسين تقول هذا؟! والله لو شهدته ما فارقته حتى أُقتل معه، والله ما شُحّي بنفسي عنهما، وعزاني عن المصاب إلا أنهما أُصيبا مع أخي، وكبيري، وابن عمي، مواسين له، ومضاربين[2] معه، ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمدلله على كل محبوب ومكروه، أعززْ علي بمصرع أبي عبدالله، ثم أعزز عليَّ أن لا أكون آسيته بنفسي، الحمدلله على كل حال قد آساه وَلَدَيَّ.

وجعفر بن عقيل بن أبي طالب، أمه: أم البنين بنت الثغر بن عامر بن هصان[3] الكلابي، قتله عبدالله بن عروة الخثعمي. **وعبدالرحمن** بن عقيل بن أبي طالب، أمه: أم ولد، قتله عثمان بن خالد بن أسير[4] الجهني، وبشير[5] بن حوط الهمداني القايضي، اشتركا في قتله. **وعبدالله** بن عقيل بن أبي طالب، وأمه: أم ولد، رماه عمرو بن صبيح الصدائي فقتله. **ومسلم** بن عقيل بن أبي طالب قُتِل بالكوفة، وأمه: جبلة أم ولد[6]. **وعبدالله** بن مسلم بن عقيل، وأمه: رقية بنت علي بن أبي طالب، وأمها: أم ولد، قتله عمرو بن صبيح الصدائي، ويقال: بل قتله أُسيد بن مالك الحضرمي. **ومحمد** بن أبي سعيد بن عقيل بن أبي

---

(١) الطبري ٥/ ٤٦٨، ومقاتل الطالبين ٨٤-٩٢، والبداية والنهاية ٨/ ١٩٥.

(٢) في (أ): مصابين.

(٣) في (ج): هيصان. وفي مقاتل الطالبيين ص٦١، الهضاب، وفي وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص٢٢٩ «الهصان»، والطبري ٥/ ٤٦٩.

(٤) في (ج): أشتر.

(٥) هكذا في مقاتل الطالبيين ص٦١، وفي وسيلة الدارين في أنصار الحسين ص٢٣٠ بشر.

(٦) (ويقال لها حلية). مقاتل الطالبين ٨٠.

طالب، وأمه: أم ولد، قتله أبو زهير الأزدي ولقيط بن ياسر الجهني اشتركا فيه، وقُتل سليمان مولى الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قتله سليمان بن عوف الحضرمي، وقتل مَنْجح مولى الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، قتله حسان بن بكر الحنظلي، وقُتل قارب الدئلي مولى الحسين بن علي عليهما السلام، وقُتل الحارث بن نبهان مولى حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسولهﷺ، وقتل عبدالله بن يقطر رضيع الحسين بن علي عليهما السلام بالكوفة، رُمي به من فوق القصر فتكسّر، فقام إليه عبدالملك بن عمير اللخمي فقتله واحتزّ رأسه، وقُتل من بني أسد بن خزيمة: **حبيب** بن مظاهر، قتله بديل بن صريم العقفاني، وكان يأخذ البيعة للحسين بن علي، **وأنس** بن الحارث، وكانت له صحبة من رسول الله ﷺ، **وقيس** بن مسهّر الصيداوي، **وسليمان** بن ربيعة، **ومسلم** بن عوسجة السعدي من بني سعد بن ثعلبة، قتله مسلم بن عبدالله وعبيدالله بن أبي خشكارة[1]، وقتل من بني غفار: **مسلم** بن مُلَيل بن ضمرة، وعبدالله وعبدالرحمن ابنا قيس بن أبي غرزة، **وجون** مولى لأبي ذر الغفاري، وقُتل من بني تميم: **الحرّ** بن يزيد، وكان لحق بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام بعد، **وشبيب** بن عبدالله من بني نفيل بن دارم، وقُتل من بني سعد بن بكر: **الحجاج** بن بدر، وقتل من بني تغلب: **قاسط وكردوس** ابنا زهير بن الحارث، **وكنانة** بن عتيق، **والضرغامة** بن مالك، وقُتل من بني قيس بن ثعلبة: **خولي** بن مالك، **وعمرو** بن ضبيعة، وقُتل من بني عبد القيس -من أهل البصرة-: **يزيد** بن بشيط، وابناه **عبدالله وعبيدالله**[2]، **وعامر** بن مسلم، **وسالم** مولاه، **وسيف** بن مالك، **والأدهم** بن أمية، وقُتل من الأنصار: **عمرو** بن

---

(١) ذكر في وسيلة الدارين في أنصار الحسين أن الذي قتله هو مسلم بن عبدالله الضبائي وعبدالرحمن بن أبي خشكاره وعبدالله الضبائي ص١٨٨.

(٢) في (ج): بزيادة (ابنا يزيد).

قرظة، وعبدالرحمن بن عبد رب من بني سالم بن الخزرج، وكان أمير المؤمنين عليه السلام رباه وعلّمه القرآن، ونعيم بن العجلان الأنصاري، وعمران بن كعب الأنصاري، وسعد بن الحارث، وأخوه الحتوف بن الحارث، وكانا من المحكّمة، فلمّا سمعا أصوات النسآء والصبيان من آل رسول الله صلى الله عليه وآله حكما، ثم حملا بأسيافهما، فقاتلا مع الحسين عليه السلام حتى قُتلا، وقد أصابا في أصحاب عمر بن سعد ثلاثة نفر، وقُتل من بني الحارث بن كعب: الضباب بن عامر، وقُتل من خثعم: عبدالله بن بشير[1] الأكلة، وسويد بن عمرو بن أبي المطاوع، قتله هانئ ابن ثبيت الحضرمي، وقُتل بكر بن حي التيمي من بني تيم الله بن ثعلبة، وجابر ابن الحجّاج مولى عامر بن نهشل من بني تيم الله، ومسعود بن الحجاج، وابنه عبدالرحمن بن مسعود، وقُتل من عَيّذُالله[2]: مجمع بن عبدالله، وعائذ بن مجمع، وقتل من طي عمّار بن حسان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام، وأمية ابن سعد، وقُتل من مراد نافع بن هلال الجملي، وكان من أصحاب أمير المؤمنين صلوت الله عليه، وجنادة بن الحارث السلماني وغلامه ابن واضح الرومي، وقُتل من بني شيبان بن ثعلبة: جبلة بن علي، وقُتل من بني حنيفة: سعيد بن عبيدالله، وقُتل من جوان: جندب بن حجير بن جندب، وقتل من صدآء: عمر بن خالد الصدآئي، وسعد مولاه، وقُتل من كلب: عبدالله بن عمرو بن عياش بن عبد قيس، وأسلم مولى لهم، وقُتل من كندة: الحارث بن امرئ القيس، ويزيد بن بدر بن المهاصر، وزاهر صاحب عمرو بن الحمق، وكان صَحبَه حين طلبه معاوية، وقتل من قيس بجيلة كثير بن عبدالله الشعبي، ومهاجر بن أوس، وابن عمه سلمان بن مضارب، وقُتل النعمان بن عمرو والجلاس بن عمرو الراسبيين، وقُتل من حرقة جهينة: مجمع بن زياد، وعبّاد بن أبي المهاجر

---

(١) في (ج): بُسر.

(٢) عيْذ الله: حي من اليمن. القاموس ص٤٢٨.

الجهني، **وعقبة** بن الصلت، وقُتل من الأزد: **مسلم** بن كثير، **والقاسم** بن بشر، **وزهير** بن سليم، ومولى لأهل شنوءة يدعى: **رافعًا**، وقُتل من همدان: أبو ثُمامة عمر بن عبدالله الصائدي، وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، قتله قيس بن عبدالله، **ويزيد** بن حضير المشرفي، **وحنظلة** بن أسعد الشبامي، **وعبدالرحمن** ابن عبدالله الأرحبي، **وعمار** بن أبي سلامة الدالاني، **وعابس** بن أبي شبيب الشاكري الدالاني، وهم يسمون: فتيان الصبّاح من وادعة، **وشوذب** مولى شاكر، كان متقدمًا في الشيعة، **وسيف** بن الحارث بن سريع، **ومالك** بن عبدالله ابن سريع، **وهمام** بن سلمة القانصي، وأرتُثَّ من همدان: **سوار** بن حمير الجابري، فمات لستة أشهر من جراحته، **وعمرو** بن عبدالله الجندعي مات من جراحة كانت به على رأس سنة، وقتل **هانئ** بن عروة المرادي بالكوفة، قتله عبيدالله بن زياد، وقتل من حضرموت: **بشير** بن عمرو.

وخرج **الهفهاف** بن المهند الراسبي من البصرة حين سمع بخروج الحسين، فسار حتى انتهى إلى العسكر بعد قتله، فدخل عسكر عمر بن سعد، ثم انتضى سيفه، وقال:

يا أيها الجند المجند أنا الهفهاف بن المهند

أبغي عيال محمد

ثم شدَّ فيهم. قال علي بن الحسين: فما رأى الناس منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله فارسًا بعد علي بن أبي طالب عليه السلام مثله قتل بيده ما قتل، فتداعوا عليه فأقبل خمسة نفر فاحتوشوه حتى قتلوه رحمه الله[1].

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: أنه وجد في الحسين بن علي عليهما السلام: ثلاث وثلاثون طعنة، وأربع وأربعون ضربة، ووجد في جبة خزٍّ

---

(١) تسمية من قتل مع الإمام الحسين للفضيل بن الزبير الكوفي الأسدي ١٥٢-١٥٦، والطبري ٥/ ٤٦٩، ومقاتل الطالبين ٩٤.

دكناء كانت على الحسين عليه السلام: مائة خرق، وبضعة عشر خرقًا ما بين رمية وطعنة وضربة[1]. وعن الشعبي: وجد في ثوب الحسين عليه السلام: مائة خرق، وبضعة عشر خرقًا مـن الضرب والطعن والرماح والسهام. وروي عن بعضهم أنه قال: لم يُضرب أحدٌ في الإسلام منذ كان أكثر من ضرب الحسين عليه السلام وجد به: مائة وعشرون ضربة بسيف ورمية، وخذف بحجر.

ولما فرغوا من قتله عليه السلام احتزوا رأسه، وكان الذي احتزّه خولي بن أنس ابن يزيد[2]، وأجروا الخيل بعد ذلك على جثته الكريمة حتى تقطعت، وقال عمر بن سعد: هكذا أمرنا عبيدالله بن زياد أن نصنع به، فانظر إلى عظيم ما أتوه، وفحش ما ارتكبوه، فقاتلهم الله أنى يؤفكون، والبهيمة تَحْرُمُ المثلَة بها عند جميع المسلمين، فكيف بسبط النبوءة وثمر الوصية، وسيد شباب أهل الجنة، سلام الله عليه وصلواته ورضوانه؟!

وأخَذَ سراويل الحسين عليه السلام يحيى بن كعب، فكانتا يداه تقطران دمًا إذا أشتى، وإذا أصاف يَبِسَتَا، وعادتا كأنهما عود يابس. وأخذ قطيفته قيس بن الأشعث بن قيس، وكان يقال له: قيس القطيفة. وأخذ برنسه مالك بن بشير الكندي، وكان من خزٍّ، فأتى به أهله، فقالت امرأته بنت عبدالله بن الحارث: أسَلَبُ الحسين يدخل بيتي؟ أخرجه عني، فلم يزل محتاجًا حتى مات. وأخذ عمامته جابر بن يزيد الأودي، فاعتمَّ بها فصار مجذومًا. وأخذ درعه مالك بن بشر الكندي، فلبسه فصار معتوهًا، وارتفعت غبرةٌ شديدةٌ سوداء فظن القوم أن العذاب قد أتاهم، ثم انجلت عنهم. وأقبل شمر بن ذي الجوشن إلى الخيام، وأمر بسلب كل ما مع النسآء، فأخذوا كل ما في الخيمة حتى أخذوا قرطًا في أذن أم

(١) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ٤٤، والبداية والنهاية ٨/ ٢٠٥.

(٢) المشهور والمعتمد عن أصحاب المقاتل الذي احتز رأسه هو سنان بن أنس النخعي، وقيل: شمر ابن ذي الجوشن، والذي حمله إلى عبيد الله بن زياد خولي بن يزيد. أنظر: مقاتل الطالبين ٧٩.

كلثوم، وخرموا أذنها، وفرغ القوم من القسمة وضربوا فيها بالنار.

وعن ابن قتيبة: انتهب الناس ورسًا من عسكر الحسين عليه السلام يوم قتل، فما طلت به امرأة إلا برصت، وكذلك رواه سيّار. وأرسل عمر بن سعد بالرأس مع رجل يقال له: بشر بن مالك إلى ابن زياد، فوضعه بين يديه، وهو يقول:

أوقر ركابي فضة وذهبًا أنا قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس أمًا وأبًا

فغضب ابن زياد فقدّمه وضرب عنقه، وقال: إن كان كما قلت، فلم قتلته؟[1].

ولما جيء برأس الحسين بن علي عليهما السلام إلى ابن زياد جعل يقول: بقضيب في أنفه ما رأيت مثل هذا حُسنًا، فقال أنس: أما إنه كان أشبههم برسول الله. وروي أن ابن زياد أرسل إلى أبي برزة فجرى بينهما كلام، ثم قال عبيدالله ابن زياد: كيف ترى شأني وشأن الحسين يوم القيامة؟ فقال: الله أعلم، وما علمي بذلك! قال: إنما أسألك عن رأيك، قال: إن سألتني عن رأيي فإن حسينًا يشفع له محمد يوم القيامة، ويشفع لك زياد، قال: اخرج فلولا ما فعلت لك لضربت عنقك، حتى إذ بلغ باب الدار قال: ردوه، فقال: لئن لم تغدُ عليَّ وتروح لأضربن عنقك[2].

وروي عن حاجب عبيدالله قال: دخلت القصر خلف عبيدالله بن زياد حين قُتل الحسين عليه السلام، فاضطرم وجهه نارًا! فقال: هكذا بكمّه على وجهه، فقال: هل رأيت؟ قلت: نعم. فأمرني أن أكتم.

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسين الحسيني عليهم السلام بإسناده

---

(١) المصابيح ٣٧٦، الطبراني ٣/ ١١٧ برقم ١٨٥٢، مجمع الزوائد ٩/ ١٩٤، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٠٨-٢٠٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩.

عن خالد بن يزيد عن أم سليم خالة له، قالت : لما قتل الحسين بن علي عليهما السلام مطرت السماء مطراً كالدم على البيوت والحيطان، فبلغني أنه كان بالبصرة والكوفة والشام وخراسان حتى كنا لا نشك أنه سينزل العذاب[1] .

وروى أيضًا عن عمرو بن زياد قال : أصبحت جبّانتنا[2] يوم قتل الحسين عليه السلام ملآنة دمًا . وروى أيضًا بإسناده عن محمد بن سيرين قال: لم تُرَ هذه الحمرة في أفق السمآء حتى قتل الحسين عليه السلام ![3] .

وروى أيضًا بإسناده عن الأسود بن قيس قال : كنت ليالي قتل الحسين بن علي عليهما السلام ابن عشرين سنة، فارتفعت حمرة من قبل المشرق، وحمرة من قبل المغرب، فكانتا تلتقيان في كبد السمآء أشهراً .

ولما فرغ القوم من قتل الحسين عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم، ساقوا حرم رسول الله صلى الله عليه وآله كما تساق السبايا حتى بلغوا الكوفة، وخرج الناس يبكون، وجعل علي بن الحسين وهو مريض يقول : هؤلآء يبكون من أجلنا، فمن قتلنا؟! فلما دخلوا على ابن زياد قعدت زينب ناحية، فسأل من هي؟ قيل : زينب بنت علي، فقال ابن زياد : الحمدلله الذي فضحكم، وكذّب أحدوثتكم، فقالت زينب : الحمدلله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله، وطهرنا تطهيراً، وإنما يفتضح الفاسق الفاجر، فقال ابن زياد : كيف رأيت صُنْعَ الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت: ما رأيت إلا جميلاً، وسيجمع الله بينك وبينهم فتتخاصمون، فانظر لمن الفلج يومئذ- هبلتك أمك يا ابن مرجانة. فغضب وهمَّ بها، فنهاه عمرو بن حريث وقال : إنها امرأة .

---

(١)ذخائر العقبى ١٤٥، وفي مجمع الزوائد بلفظ مقارب ٩/ ١٩٦-١٩٧ والسيوطي في الدر المنثور في تفسير سورة مريم ٤/ ٤٧٥، ٥/ ٤٤٩، وابن عساكر ١٤/ ٢٢٩، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٢.

(٢)في (ج): جنا بنا.

(٣)ابن عساكر ١٤/ ٢٢٨، والبداية والنهاية ٦/ ٢٥٩.

ثم التفت إلى علي بن الحسين فقال: من أنت؟ قال: علي بن الحسين، قال: أو لم يقتل الله عليَّ بنَ الحسين؟ قال ذلك أخي أكبر مني قتلتموه، وإن له منكم مطلبًا يوم القيامة. قال ابن زياد: نحن لم نقتله ولكن الله قتله، فقال علي بن الحسين: ﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾... الآية [الزمر: ٤٢]، ثم أمر ليُنظر هل أدرك؟ فقيل: نعم، فأمر أن تضرب عنقه، فتعلقت به زينب عمته، وقالت: يا ابن زياد، لم يبق لنا غيره، فإن كنت تقتله فاقتلنا معه، فقال علي بن الحسين: يا ابن زياد، أبالقتل تهددني؟! أما علمت أن القتل لنا عادة، وكرامتنا الشهادة؟، ثم قال: أخرجوهم[1]، وخرج إلى المسجد، فخطب وأبلغ في ذم آل أبي طالب، ومدح آل أبي سفيان، وكان من كلامه: الحمدلله الذي أظهر الحق وأهله، ونصر أمير المؤمنين وأشياعه، وقتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن علي، فوثب عبدالله بن عفيف الأزدي، وكان من خيار الشيعة، وكانت ذهبت إحدى عينيه يوم الجمل، والأخرى يوم صفين، وكان يلزم المسجد، فقال: يا ابن مرجانة، إن الكذاب وابن الكذاب أنت وأبوك، ومن استعملك وأبوه، يا عدو الله، أتقتل أولاد النبيين، وتتكلم بمثل هذا على منابر المسلمين، تقتل الذرية الطاهرة، وتزعم أنك مسلم؟! واغوثاه! أين أولاد المهاجرين والأنصار؟ ألا ينتقمون من اللعين ابن اللعين؟. فغضب ابن زياد، وأمر بأخذه، فتخلصه أشراف الأزد وهرب، ورجع ابن زياد إلى منزله وبعث بجماعة حتى أخذوا عبدالله بن عفيف، وقتله[2].

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسين الحسيني بإسناده عن أبي جرثومة العكلي عن أبيه قال: لمّا قُتِل الحسين بن علي عليهما السلام، سمعت مناديًا ينادي في الجبانة:

---

(١) الطبري ٥/ ٤٥٧-٤٥٨، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٠-٢١١، ومقاتل الطالبين ١٢٠.

(٢) الطبري ٥/ ٤٥٨-٤٥٩ بلفظ مقارب، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٠.

أيها القوم قاتلون حسيناً أبشروا بالعذاب والتنكيلِ
كل أهل السمآء يدعو عليكم من نبيٍّ وملَك ورسولَ
قد لُعنتم على لسان ابن دا وود وموسى وحَامل الإنجيلِ[1]

وبعث ابن زياد لعنه الله بالحرم والرؤوس مع زحر بن قيس، وشمر بن ذي الجوشن إلى يزيد لعنه الله، فدخلوا عليه، وبلّغوا الكتاب، فأطرق ساعة، ثم قال: لقد كنت أرضى من طاعتكم بدون قتل الحسين، أما والله لو سار إليّ لعفوت عنه، ولكن قبّح الله ابن مرجانة، وكان عبدالرحمن بن الحكم قاعداً في مجلسه، فجعل يقول:

لَهَامٌ بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغلُ
سميةُ أمسى نسلها عدَدَ الحصى وبنتُ رسول الله ليس لها نسلُ[2]

وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه، فجعل ينظر إليه ويقول:

نُفَلِّقُ هاماً من أناسٍ أعزةٍ علينا وهم كانوا أعقَّ وأظلما[3]

وروي أنه لما جهزهم ابن زياد إلى يزيد، فخرجوا بهم، اجتمع أهل الكوفة ونسآء همدان حين خرج بهم، فجعلوا يبكون، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: هذا أنتم تبكون! فأخبروني من قتلنا؟! فلما أُتي بهم دمشق، وقدموا على يزيد لعنه الله جمع من كان بحضرته من أهل الشام، ثم دخلوا عليه فهنّوه بالفتح، فقام رجل منهم أزرق أحمر، ونظر إلى وصيفة من بناتهم، فقال: يا أمير المؤمنين هب لي هذه، فقالت زينب: لا والله ولا كرامة لك ولا له إلا أن تخرج من دين الله عز وجل، فأعادها الأزرق، فقال له يزيد: كُفّ[4].

---

(١) الطبري ٥/ ٤٦٧، والبداية والنهاية ٨/ ٢١٩ و٨/ ٢١٦، وابن عساكر ١٤/ ٢٤٠.

(٢) الأغاني ١٣/ ١٧٨.

(٣) الطبري ٥/ ٤٦٠، البداية والنهاية ٢٠٨-٢٠٩، والمصابيح ٣٧٧، ومقاتل الطالبين ١١٩، ومجمع الزوائد ٩/ ١٩٥.

(٤) مقاتل الطالبين ب١٢٠ بلفظ مقارب، والطبري ٥/ ٤٦١-٤٦٢، وسير أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩-٣١٠.

ولما وضع رأس الحسين بن علي عليهما السلام، في طست جعل ينكت ثناياه بمخصرة في يده وهو يقول:

ليت أشياخي ببدر شهدوا — جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلّوا واستهلّوا فرحًا — ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
لست من شيخيٍّ إن لم أنتقم — من بني أحمد ما كان فعل[1]

ولما رآه أبو برزة ينكت بالقضيب، قال له: ارفع قضيبك فوالله لربما رأيت فا رسول الله ﷺ على فيه يلثمه[2]. ثم قامت زينب ابنة علي عليهم السلام، وأمها فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فقالت: الحمد الله رب العالمين، وصلى الله على سيد المرسلين، صدق الله العظيم كذلك يقول: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ١٠]. أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض، وآفاق السماء، وأصبحنا نساق كما تُساق الأسرى، أنَّ بنا على الله هوانا، وبك عليه كرامة؟! وأن ذلك لعظم خطرك عنده، فشمختَ بأنفك، ونظرت في عطفك جذلان مسرورًا، حين رأيت الدنيا مستوسقة، والأمور متّسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا فمهلاً مهلاً أنسيت قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨]. أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإمائك، وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا؟! قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههنَّ، يحدى بهنَّ من بلد إلى بلد، يستشرفهن أهل المنازل، ويتصفح وجوهَهنَّ القريبُ والبعيدُ، والدنيُّ والشريف، وليس معهنَّ من رجالهم ولي، ولا من حماتهم حي؟! وكيف يترجى مراقبة من لفظ فوه أكباد السعداء، ونبت لحمه بدمآء الشهداء؟! وكيف يُستبطى

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٢، ومقاتل الطالبين ١٢٠.

(٢) أنظر البداية والنهاية ٨/ ٢٠٩، والمصابيح ٣٧٧، سيرة أعلام النبلاء ٣/ ٣٠٩.

في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالسيف والسنان، والإحن والأضغان، ثم يقول غير متأثّم ولا مستعظم:

فأهلّوا واستهلّوا فرحًا ثم قالوا: يا يزيد لا شلل

متنحيًا على ثنايا أبي عبدالله سيد شباب أهل الجنة تنكتها بمخصرتك، وكيف لا تقول ذلك وقد نكأتَ القرحة، واستأصلتَ الشأفة، بإراقتك دمآء ذرية آل محمد ﷺ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشياخك زعمت تناديهم، ولَتَرِدَنَّ وشيكًا موردهم، ولَتَوَدَنَّ أنك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت. اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دمآئنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، وسَتَرِدُ على رسول الله ﷺ بما تحمّلت من سفك دمآء ذريته، وانتهكت من عترته في حرمته ولحمته، وليخاصمنك حيث يجمع الله شملهم، ويلم شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم، ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ ﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩-١٧٠] وحسبك بالله حاكمًا، ومحمد خصيمًا، وبجبريل ظهيرًا، وسيعلم من بَوّأ لك وأمكنك من رقاب المسلمين أن بئس للظالمين بدلاً، وأنكم شرٌ مكانًا وأضعف جندًا، ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك، على أني أستصغر قدرك، لكن العيون عَبْرى، والصدور حرّى. ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النُّجباء بحزب الشيطان الطلقا،، فتلك الأيدي تنطف من دمآئنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل، وتعفوها الذئاب، ولئن اتخذتنا مغنمًا لتجدننا[1] وشيكا مغرمًا، حيث لا تجد إلاّ ما قدّمت يداك، وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعوّل، فكد كيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تُميت وحينا، ولا تدرك أمرنا، ولا

---

(١) في (أ): لتجدنا.

ترحض عنك عارنا، وهل رأيك إلا فَنَدٌ، وأيامك إلا عدد، وشَمْلُكَ إلا بَدَدٌ، يوم ينادي المنادي: ألا لعنة الله على الظالمين، والحمدلله الذي ختم لأوليآئه بالسعادة والمغفرة، وأسأل الله أن يكمِّل لهم الثواب، ويحسن علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل[1]. فقال يزيد لعنه الله:

يا صيحة تلعن من صوائح ما أهون الموت على النوائح

وفي الأخبار: أنهم لما أقيموا على باب المسجد بدمشق، فإذا شيخ قال: الحمدلله الذي قتلكم وأراح البلاد من رجالكم، فقال علي بن الحسين عليه السلام: يا شيخ هل قرأت القرآن؟، قال: نعم، قال: هل تعرف هذه الآية: ﴿قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾؟ [الشورى:٢٣] فنحن القربى يا شيخ، هل قرأت: ﴿وَءَاتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾ [الإسراء:٢٦] فنحن ذاك. هل قرآت: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾؟ [الأحزاب:٣٣] فنحن أهل البيت الذي خصنا بالطهارة. قال: فبقي الشيخ ساعة ساكتًا، ثم بكى، وقال: اللهم إني أتوب إليك من بغض هؤلآء، اللهم إني أبرأ إليك من بغض عليٍّ ومحمد وآل محمد. وأُدخلوا على يزيد وبين يديه حبرٌ من اليهود، فقال- بعد ما تكلم علي بن الحسين: من هذا؟ قال: هو ابن صاحب هذا الرأس، قال: ومَن صاحب هذا الرأس؟ قال: الحسين بن علي، وأمه فاطمة بنت محمد.

قال الحبر: يا سبحان الله! فهذا ابن بنت نبيكم قتلتموه بهذه السرعة! بئس ما خلفتموه في ذريته، والله لو ترك فينا موسى بن عمران سبطًا لظننا أنا كنَّا نعبده، وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس، فوثبتم على ابن بنته فقتلتموه! فأمر يزيد فأُخرج وهرب، فقام وهو يقول: إن شئتم فاضربوني أو فاقتلوني، إني أجد في التوراة: أنه من قتل ذريَّة نبي لا يزال ملعونًا أبدًا ما بقي، فإذا مات يصليه الله نار جهنم، ثم استأذن علي بن الحسين عليهما السلام في الخطبة فأبى، فما زالوا به

---

(١) ذكره في أعيان الشيعة ٧/ ١٣٩، نقلاً عن اللهوف في قتلى الطفوف.

حتى أذن، فصعد المنبر فحمد الله، وأبكى الناس، ثم قال : من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أعرفه بنفسي، أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرِّدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجَّ ولبى، أنا ابن من حُمِل على البراق في الهوا ، أنا ابن من أُسري به إلى المسجد الأقصى، أنا ابن مَن بلغ به جبريل إلى السدرة المنتهى، أنا ابن محمد المصطفى، أنا ابن عليٍّ المرتضى، أنا ابن فاطمة الزهراء، فلم يزل يقول حتى ضَجَّ المسجد بالبكاء، وأمر يزيد لعنه الله فأقام المؤذن وقطع عليه، فلمّا قال المؤذن : أشهد أن لا إله إلا الله، قال علي بن الحسين : شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله التفت إلى يزيد وقال : هذا جدي أو جدك؟ فإن زعمت أنه جدك كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدي فلم قتلت عترته[1]؟!

ثم جهّزهم وحملهم إلى المدينة، فلما دخلوها خرجت امرأة من بنات عبدالمطلب ناشرةً شعرها، واضعة كمها على رأسها فتلقّتهم وهي تقول :

ماذا تقولون إن قال النبي لكم: ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي؟ بعد مفتقدي منهم أُسارى وقتلى ضُرِّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إن نصحت لكم أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[2]

وروينا في الأخبار بالإسناد الصحيح : أنه لما أُخذ رأس الحسين بن علي عليهما السلام، ورؤوس أهل بيته وأصحابه رحمهم الله أقبلت الخيل شماطيط[3] معها الرؤوس، وأقبل رجل من أنضر الناس لونًا، وأحسنهم وجهاً على فرس

---

(١)مقاتل الطالبين ١٢١ باختلاف يسير.

(٢)مجمع الزوائد ونسبه لزينب بنت عقيل بن ابي طالب ٩/ ١٩٩، تهذيب التهذيب ٢/ ٣١٩-٣٢٠.

(٣)شماطيط : متفرقة أرسالاً. القاموس ص ٨٧٠.

أدهم، قد علَّق في لباب فرسه رأس غلام أمرد، كأن وجهه قمر ليلة البدر، فإذا هو قد أطال الخيط الذي فيه الرأس، والفرس تمرح، فإذا رفع رأسه لحق الرأس بحرانه[1]، فإذا طأطأ رأسه صكَّ الرأس الأرض، فسألت فقيل: هذا حرملة بن كاهل الأسدي لعنه الله، وهذا رأس العباس بن علي عليهما السلام، فمكث بعد ذلك ما شاء الله، ثم رأيت حرملة ووجهه أسودُ كأنما أدخل النار ثم أخرج، فقلت له: يا عماه، لقد رأيتك في اليوم الذي جئت فيه برأس العباس وإنك لأنضر العرب وجهًا! فقال: يا ابن أخي، ورأيتني؟ قلت: نعم، قال: فإني والله منذ جئت بذلك الرأس ما من ليلة آوي فيها إلى فراشي إلا وملكان يأتيان فيأخذان بضبعي ثم ينتهيان[2] بي إلى نار تأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص عنها فتسفعني كما ترى. **قال**: وكانت عنده امرأة من بني تميم، فسألتها عن ذلك[3]، فقالت: أمّا إذا أفشى على نفسه فلا يبعد الله غيره، والله ما يوقظني إلا صياحه كأنه مجنون.

ولما قامت الشيعة بطلب ثأر الحسين عليه السلام مع المختار بن أبي عبيد وأوعبت في قتل من حضر الوقعة، وكان في جملتهم عمرو بن الحجاج الزبيدي، فهرب خوفًا على نفسه، فلما توسط البادية ابتلعته الأرض هو وراحلته.

وروينا عن قرة قال: سمعت أبا رجاء يقول: لا تسبوا عليًا ولا أهل هذا البيت؛ إن جارًا لنا من بني الهجيم قدم من الكوفة فقال: ألم تروا إلى هذا الفاسق ابن الفاسق، إن الله قد قتله -يعني الحسين بن علي عليهما السلام، فرماه الله بكوكبين في عينيه فطمس الله بصره. وعن الزهري قال: لما قُتل الحسين بن علي عليهما السلام لم يرفع حجر إلا وجد تحته دم عبيط[4].

---

(١) حرنت الدابة أي: وقفت بعد الجري، وهو خاص بذات الحافر. القاموس ص١٥٣٤.

(٢) في (ج): يأتيان.

(٣) في (ج): ساقطة (فسألتها عن ذلك).

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٢٠-٣٢١.

ورويَنا عن قطنة بن العكي[1] قال : كنّا في قرية قريبًا من قبر الحسين بن علي عليهما السلام، فقلنا ما بقي ممن أعان على قتل الحسين أحدٌ إلا قد أصابته بلية، فقال رجل : أنا والله ممن أعان على قتله ما أصابني شيئ، فسوى السراج فأخذت النار في إصبعه فأدخلها في فيه وخرج هاربًا إلى الفرات فطرح نفسه، فجعل يرتمس والنار فوق رأسه فإذا خرج أخذته النار حتى مات[2].

ورويَنا بالإسناد عن ابن المغازلي الشافعي يرفعه بإسناده عن أبي النضر الحضرمي، قال : رأيت رجلاً سمج العمى، فسألته عن سبب ذهاب بصره؟ فقال : كنت فيمن حضر عسكر عمر بن سعد، فلما جآء الليل رقدت فرأيت رسول الله ﷺ في المنام وبين يديه طست فيها دم، وريشة في الدم، وهو يُؤتى بأصحاب عمر بن سعد فيأخذ الريشة فيخط بها أعينهم، وأُتي بي، فقلت : يا رسول الله : والله[3] ما ضربت بسيف، ولا طعنت برمح، ولا رميت بسهم. فقال : أفلم تُكثر عدونا؟ فأدخل إصبعيه في الدم : السبابة والوسطى وأهوى بها إلى عيني، فأصبحت وقد ذهب بصري[4].

وكان قتل الحسين بن علي عليهما السلام في يوم عاشوراء وهو يوم الجمعة من المحرم سنة إحدى وستين، وهو ابن ست وخمسين، وكانت مدة ظهوره وانتصابه للأمر إلى قتله ﷺ شهراً واحداً ويومين، ودفن جسده في كربلاء، ورأسه في الشام، وعليهما مشهدان مزوران[5].

وترك بنوا أمية رأسه ﷺ في خزائنهم، فأقام فيها إلى أيام سليمان بن عبدالملك، فأمر بإخراجه وتكفينه وتعظيمه، فرأى النبي ﷺ في منامه يبره

---

(١)في (أ) : العلا.

(٢)تهذيب التهذيب لابن حجر ٢/ ٣٢١.

(٣)في (أ) : غير موجودة(والله).

(٤)مناقب الإمام علي لابن المغازلي الشافعي ٣١٩-٣٢٠.

(٥)البداية والنهاية ٨/ ٢١٦، وأسد الغابة ٢/ ٢٧ باب الحسين بن علي.

ويلاطفه، فسأل الحسن «يعني البصري» فقال: لعلك فعلت إلى أهله معروفًا، فأخبره بما كان منه[1].

وروينا عن عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبدالله الأنصاري، زائري قبر الحسين عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم ائتزر بإزار، ثم ارتدى بآخر، ثم فتح صرّة فيها سُعْد[2] فنثره على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى دنا من القبر، قال: ألمسنيه فألمسته فخرَّ مغشيًا علـى القبر، فرششت عليه شيئًا من المآء، فلما أفاق قال: يا حسين، يا حسين. يا حسين، ثلاثًا، ثم قال: حبيبٌ لا يجيب حبيبه، ثم قال: أنى لك بالجواب؟ وقد شَخَبت أوداجك على أشباحك، وفُرِّق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد الوصيين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدة النسآء، وما بالك ألا تكون هكذا؟ وقد غذّتك كف محمد سيد النبيين، ورُبيت في حجور المتقين، وأُرضعت من ثدي الإيمان، وفُطمت بالإسلام، فطبت حيًا وطبت ميتًا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك، ولا شاكّة في الخير لك، فعليك سلام الله ورضوانه، فأشهد أنك مضيت على مامضى عليه يحيى بن زكريا.

قال عطية: ثم جال ببصره حول القبر، ثم قال: السلام عليكم أيتها الأرواح الطيبة التي بفنآء الحسين عليه السلام، وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف، ونهيتم عن المنكر، وعبدتم الله حق عبادته حتى أتاكم اليقين. والذي بعث محمداً بالحق ﷺ لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه، قال عطية: فقلت لجابر بن عبدالله: وكيف ولم تهبط واديًا، ولم تعل جبلاً، ولم تضرب بسيف؟ والقوم قد فُرق[3] بين رؤوسهم وأبدانهم، فأوتمت

---

(١) البداية والنهاية ٨/ ٢٢٢.

(٢) السُّعد: طيب. قاموس، مادة: سعد ٣٦٨.

(٣) في (أ): بينهم وبين رؤسهم.

الأولاد، وأُرملت الأزواج، فقال لي: يا عطية، سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «من أحبَّ قومًا حُشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم»[1] أحدرني نحو أبيات كوفان، قال: فلما صرنا في بعض الطريق، قال لي يا عطية: هل أوصيك وما أظنني بعد هذه السفرة ألاقيك؟ أحبب محبّ آل محمد ﷺ ما أحبّهم، وابغض مبغض آل محمد ﷺ ما أبغضهم، وإن كان صوامًا قوامًا.

وروينا عن هشام بن محمد قال: لما أُجري المآء على قبر الحسين بن علي عليهما السلام، نضب بعد الأربعين يومًا وامتحى أثر القبر، جآء أعرابي من بني أسد فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمه حتى وقع على قبر الحسين عليه السلام فشمه وبكى، وقال: بأبي وأمي ما كان أطيبَك وأطيب تربتك ميتًا! ثم أنشأ وجعل يقول:

أرادوا ليخفوا قبره عن عداوة ... فطيبُ تراب القبر دلَّ على القبر[2]

وكان إجراء المآء على قبر الحسين بن علي عليهما السلام أوّلاً في أيام بني أميـة، ثم أجْرى المآء عليه المتوكل العباسي، وكان السبب في ذلك على ما رواه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين: أنه بعث إلى مغنّية فعُرِّف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين عليه السلام، وبلغها خبره، فأسرعت الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواريها كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: حجّت مولاتي وأخرجتنا معها وكان ذلك في شعبان فقال: إلى أين حججتم في شعبان؟ فقالت: إلى قبر الحسين عليه السلام، فاستُطير غضبًا، وأمر بمولاتها فحبست واصطفى أملاكها، وبعث برجل من أصحابه كان يهوديًا يقال له: الديزج، فأسلمه إلى قبر الحسين فأمر بكرب قبره ومحوه وإخراب كلما حوله فمضى لذلك وهدم البناء وكرب حوله نحواً من مائتي جريب، فلما بلغ القبر لم يتقدم إليه، فأحضر قومًا من

---

(١) في (أ): أشرك معهم.

(٢) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٧.

اليهود فكربوه، وأجروا الماء حوله، ووكل به مسالح بين كل مسلحتين ميل، لايزوره زائر إلا أُخذ، ووجه به إليه [1].

قال الشيخ أبو الفرج : فحدثني محمد بن الحسين الأشناني، قال: بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفًا، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها، فساعدني رجل من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن النهار ونسير الليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية[2]، وخرجنا منها نصف الليل فصرنا بين مسلحتين وقد ناموا حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نشمه ونتحرى جهته، حتى أتينا وقد قلع الصندوق الذي كان حوليه وأحرق، وأجرى عليه الماء فانخسف موضع اللبن فصار كالخندق، فزرناه وأكببنا عليه، فشممت منه رائحة ما شممت مثلها لشيء من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي : أي رائحة هذه؟ فقال: [3]والله ما شممت مثلها قط من الطيب، فودعناه، وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا إلى القبر، فأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه[4].

ثم لما قام الداعي إلى الله محمد بن زيد الحسني عليه السلام أمر بعمارة المشهدين: مشهد أمير المؤمنين عليه السلام، ومشهد الحسين عليهما السلام، وقيل: إنه أنفق في عمارتهما عشرين ألف درهم، وبلغ عضد الدولة الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما، وكان يزور كل سنة ، ولقد عيرَّ بني العباس، ونعى عليهم قبيح أفعالهم في تخريب قبر الحسين بن علي عليهما السلام مولاهم أبو الحسين

---

(١)مقاتل الطالبين ٥٩٨ .

(٢)في (ج): الغضارية .

(٣)في (ج): لا والله ما شممت مثلها لشيء من الطيب .

(٤)المقاتل ص٥٩٧ .

علي بن العباس الرومي حيث يقول :

فلم يقنعوا حتى استثارت قبورهم ... كلابهم منها بهيم وديزج

وهي قصيدة طويلة يذكر فيها فضل أهل البيت ومثالب بني العباس ، ونحن نذكرها كاملة إنشاء الله تعالى في آخر هذا الكتاب ، ولسليمان بن قتة يرثي الحسين ابن علي عليهما السلام :

فإنَّ قتيل الطف من آل هاشم ... أذلَّ رقابًا من قريش فذلَّت

فإن تتبعوه عائذ البيت تصبحوا ... كعاد تعمَّت عن هداها فضلَّت

مررت على أبيات آل محمد ... فألفيتها أمثالها حيث حلَّت

وكانوا لنا غُنمًا فأمسوا رزية[1] ... لقد عظمت تلك الرزايا وجلَّت

فلا يبعد الله الديار وأهلها ... وإن أصبحت منهم برغمي تخلَّت

إذا افتقرت قيس جبرنا فقيرها ... وتقتلنا قيسٌ إذا النعل زلَّت

وعند غني قطرةٌ من دمائنا ... سنجزيهم يومًا بها حيث حلَّت

ألم تر أن الأرض أضحت مريضة ... لفقد حسين والبلادُ اقشعرت[2]

ولأبي الأسود الدؤلي :

أقول وزادني جزعًا وغيظًا ... أزال الله مُلك بني زياد

وأبعدهم كما غدروا وخانوا ... كما بَعُدت ثمود وقوم عاد

ولا رجعت ركابُهم إليهم ... إذا قفَّت إلى يوم التناد

وأنشد عوف بن عبدالله بن الأحمر قصيدة طويلة يُحرِّض فيها الشيعة على القيام على قتلة الحسين بن علي عليهما السلام ويرثيه فيها ، أولها :

صحوت وودّعت الصبا والغوانيا ... وقلت لأصحابي : أجيبوا المناديا

وقولوا له إذ قام يدعو إلى الهدى ... وقتل العدا : لبيك لبيك داعيا

---

(١) الرزية : المصيبة والجمع ، المختار ص٢٤٠ .

(٢) البداية والنهاية ٨/ ٢٣٠ ، سيرة أعلام النبلاء ٣/ ٣١٨ .

وقودوا إلى الأعدآء كل طمرةٍ[1] … عيوف وقودوا السابحات المذاكيا

وسيروا إلى القوم المخلين خَشْبَةً … وهزّوا الحراب نحوهم والعواليا

ألسنا بأصحاب الحريبة والأولى … قتلنا بها التيمي حران[2] باغيا

ونحن سمونا لابن هند بجحفل … كركن دبا ترجى إليه الدواهيا

فلما التقينا بيّن الضربُ أيُّنا … بصفين كان الأضرع المتفاديا

دلفنا فأفلينا صدورهم بها … غداة إذ زرقًا ظمآءً صواديا

وملنا رجالاً بالسيوف عليهم … نشق بها هاماتهم والتراقيا[3]

فذدناهم من كل وجه وجانب … وحزناهم حوز الرّعاء المتاليا

زويناهم حتى أزلنا صفوفهم … فلم نر إلاَّ مستخفًا وكابيا[4]

وحتى ظللت ما أرى من معقل … وأصبحت القتلى جميعًا ورائيا

وحتى أعاذوا بالمصاحف واتقوا … بها وقعات يختطفن المحاميا

فدع ذكر ذا لا تيأسن من ثوابه … وتب واعن للرحمن إن كنت عانيا

ألا وانع خير الناس جداً ووالداً … حسينًا لأهل الدين إن كنت ناعيا

ليَبْكِ حسينًا كل ما ذرّ شارق … وعند غسوق الليل من كان باكيا

ليَبْكِ حسينًا من رعى الدين والتقى … وكان لتضعيف المثوبة راجيا

ليَبْكِ حسينًا كل غان ويائس … وأرملة لم تعدم الدهر لاحيا

ليَبْكِ حسينًا مملق ذوخصاصة … عديم وأيتام تشكى المواليا

لحا اللَه قومًا أشخصوه وغرروا … فلم ير يوم البأس منهم محاميا

ولا موفيًا بالوعد إذ حمّس الوغى … ولا زاجراً عنه المضلين ناهيا

---

(١) الطمر: هو المستفز للوثب والعدو، لسان العرب ٤/ ٥٠٣ .

(٢) حرّان: اسم بلد، المختار ١٣٣ .

(٣) هو العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق، المختار ١١٧ .

(٤) الكابة: سوء الحال والانكسار من الحزن، القاموس ١٦٤ .

ولا قائلاً لا تقتلوه فتسحتوا ... ومن يقتل الزاكين يلقى المخازيا
فلم يك إلا ناكثًا أو مقاتلاً ... وذا فجرة يسعى عليه معاديا
سوى عصبة لم يعظم القتل عندهم ... يُشبِّهُها الرآؤن أُسدًا ضواريا
وَقَوْهُ بأيديهم وحرِّ وجوههم ... وباعوا الذي يفنى بما كان باقيا
وأضحى حسين للرماح درية ... فغُودر مسلوبًا لدى الطف ثاويا
قتيلاً كأن لم يغن بالناس ليلة ... جزى الله قومًا أسلموه الجوازيا
فيا ليتني إذ ذاك كنت شهدته ... فضاربت عنه الشانئين الأعاديا
ودافعت عنه ما استطعت مجاهدًا ... وأعملت سيفي فيهم وسنانيا
ولكن قعدت في معاشر ثُبِّطوا ... وكان قعودي ضلة من ضلاليا
فما تنسني الأيام من نكباتها ... فإني لن ألفى له الدهر ناسيا
ويا ليتني غودرت فيمن أجابه ... وكنت له من مفظع القتل فاديا
وياليتني أخطرت عنه بأسرتي ... وأهلي وخلاني جميعًا وماليا
سقى الله قبرًا ضمَّن المجد والتقى ... بغربيّة الطف الغمام الغواديا
فتى حين سيم الخسف لم يقبل التي ... تذل العزيز أو تجرُّ المخازيا
ولكن مضى لم يملأ الموت نحره ... فبورك مهديًا شهيدًا وهاديا
ولو أن صدِّيقًا تزيل وفاته ... حصون البلاد والجبال الرواسيا
لزالت جبال الأرض من عظم فقده ... وأضحى له الحصن المجصص خاويا
وقد كسفت شمس الضحى لمصابه ... وأضحت له الآفاق حمرًا بواديا
فيا أمةً تاهت وضلّت عن الهدى ... أنيبوا فأرضُوا الواحد المتعاليا
وتوبوا إلى التوّاب من سوء صنعكم ... وإلا تتوبوا تلقوا الله عاتيا
وكونوا شراة بالسيوف وبالقنا ... تفوزوا وقدمًا فاز من كان شاريا
وفتيان صدق دون آل نبيهم ... أُصيبوا وهم كانوا الولاة الأدانيا
وإخواننا الأولى إذا الليل جنّهم ... تلوا طُولَ الفرقان ثم المثانيا

أصابهم أهل الشناءة والعدى فحتى متى لانبعث الجيش غازيا
وحتى متى لا أعتلي بمهنّد قذال ابن وقّاص وأدرك ثأريا
وإني زعيم إن تراخت منيتي بيوم لهم منّا يُشيب النواصيا

وذلك أيام التوابين من الشيعة على خذلان الحسين، وهم عشرة الآف رجل تقدموا من البصرة والكوفة والمدائن حتى لقوا جنود بني أمية، وقتلوا منهم ألوفًا كثيرة، وقُتلوا رحمهم الله بعين الوردة. وجميع من أُحصي من القتلى بسبب الحسين بن علي عليهما السلام في الأيام المروانية إلى سبعين ألفًا مع التوابين والمختار وابن الأشعث.

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن العقيقي الحسيني رحمة الله عليه بإسناده عن ابن عباس قال: «أوحى الله إلى نبيه ﷺ، فيما أوحى إليه إني قتلت بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفًا، وأني أقتل بدم الحسين بن بنتك سبعين ألفًا وسبعين ألفًا».

وروى بإسناده أيضًا عن بعضهم: أنه سمع جنيّة تنوح على الحسين عليه السلام وهي تقول:

أبكي ابن فاطمة الذي من موته شاب الشعر
ولقَتْله زلزلتم ولقتله كسف القمر

وكان أهل المدينة يسمعون نوح الجن على الحسين بن علي عليهما السلام حين أصيب، وجنية تقول:

ألا يا عين فاحتفلي بجهدي ومن يبكي على الشهدآء بعدي
على رهط تقودهم المنايا إلى متجبر في مُلك عبد

وكان من نوحهم عليه عليه السلام:

مسح الرسول جبينه فله بَريقٌ في الخدود
أبواه من عليا قريـ ـش جَدُّه خير الجدود

زحفوا إليه بجمعهم وأولئكم شرُّ الجنود

قتلوا تقيًا زاكيا لا أُسكنوا دار الخلود[1]

ومن ذلك قول بعضهم :

ستبكيك نسآء الجن يبكين شجيات

ويخمشن وجوها كالد نانير نقيات

ويلبسن ثياب السو د بعد العصيبات

وللكميت بن زيد من قصيدة، ذكر فيها الحسين عليه السلام فقال :

ومن أعظم الأحداث كانت مصيبة علينا قتيل الأدعيآء الملحّب[2]

قتيلٌ بجنب الطف من آل هاشمٍ فيالك لحمٌ ليس عنه مُذبَّبُ

ومنعفر الخدين من آل هاشم ألا حبّذا ذاك الجبين المترّبُ

صريعٌ كأن الوُلَّه النُكْدَ حوله يُطفْن به شُمَّ العرانين[3] رَبْرَبُ[4]

وله من أخرى وذكر فيها الحسين بن علي عليهما السلام وأهله فقال :

وشجو لنفسيَ لم أنسه بمعركة الطف فالمجنب

كأن خدودهم الواضحا ت بين المجرِّ إلى المسحب

صفائح بيض جلتها القيو ن[5] مما تخيرن من يثرب

وله قصائد الهاشميات خمسمائة وبضعة وسبعون بيتًا يذكر فيها الحسين عليه السلام، وقتله، ولم يجسر أحد من شعراء الشيعة يرثيه خيفة من بني أمية

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٣١٧، والمعجم الكبير للطبراني ٣/ ١٢٢ رقم الحديث ٢٨٦٦.

(٢) المقطع. لسان العرب ١/ ٧٣٦.

(٣) عرنين الأنف : تحت مجتمع الحاجبين وهو أول الأنف حيث يكون فيه الشمم يقال هم شم العرانين، لسان العرب ١٣/ ٢٨٢.

(٤) القصائد الهاشميات ص٤٢.

(٥) القيون : جمع قين وهو الحداد الصانع، لسان العرب ١٣/ ٣٥٠.

إلا الكميت، وأبو ذهيل وهب الجمحي، وكثيِّر بن كثير السهمي، ولأبي طالب محمد بن عبدالله الجعفري :

لي نفس تحبُّ في الله واللــ ـــه حـسـينًا ولا تحبُّ يزيدا
يا ابن أكّالة الكبود لقد انـ ـضجت من لابسي الكساء الكبودا
أي هول ركبت عذّبكَ الرحـ ـمن في ناره عذابًا شديدًا
لهف نفسي على يزيد وأشيا ع يزيد ضلوا ضلالاً بعيدا
يا أبا عبدالله يا بن رسول الـ ـله يا أكرم البرية عودا
ليتني كنت يوم كنت فأمسي فيك في كربلا قتيلاً شهيدا

ولمنصور بن سلمة بن الزبرقان النمري :

شـاء من الناس راتع هامل يعللون الناس بالباطل
تقـتل ذرية النبي ويرجون دخول الجنان للقاتل
ويلك يا قاتل الحسين لقد بؤت[1] بحمل يميل بالحامل
أيُّ حباء[2] حبوت أحمد في حفرته من حرارة الثاكل
بأي وجه تلقى النبي وقد دخلت في قتله مع القاتل
تعال فاطلب غداً شفاعته أولا فَرِدْ حوضه مع الناهل
ما الشك عندي في حال قاتله ولا أراني أشك في الخاذل
نفسي فداء الحسين حين غدا إلى المنايا غُدوّ لا قافل
ذلك يوم أنحى بشفرته على سنام الإسلام والكاهل
يا عاذلي إنني أحب بني أحـ ـمد فالترب في فم العاذل
كم ميِّت منهمو بغصته مغترب القبر بالعرا نازل

---

(١) في الأصل : قمت، والمعنى الصحيح ما ذكرناه.

(٢) الحباء : العطاء. المختار ص١٢١ .

ما انتحبت حوله قرابته	عند مقاساة يومه الباسل
أذكر مَنْهُمْ ومَنْ أصابَهُمُ	فيمنع الصلبُ سلوة الذاهل
مظلومة والنبي والدها	تدير أرجاء مقلة حافل
ألا مصاليت يغضبون لها	بسلّة البيض والقنا الذابل
قد ذقتُ ما أنتم عليه فما	رجعتُ من دينكم إلى طائل
من دينكم جفوة النبي وما الـ	ـجافي لآل النبي كالواصل

وقال الشريف الرضي محمد بن الحسين الحسيني رحمه الله :

ولقد حبست على الديار عصابة	مضمومة الأيدي إلى أكبادها
حسرى تجاذب[1] بالبكاء عيونها	وتعط[2] بالزفرات من أبرادها
وقفوا بها حتى كأن مطيهم	كانت قوائمهن من أوتادها
هل تطلبون من النواظر بعدكم	شيئًا سوى عبراتها وسهادها
شَغَلَ العيونَ عن البكاء بكاؤنا	لبكاء فاطمة على أولادها
أترى درت أن الحسين طريدة	لقنا بني الطرداء عند ولادها
كانت مآتم بالعراق تعدُّها	أموية بالشام من أعيادها
ما راقبت غضب النبي وقد غدا	زرع النبي مظنّة لحصادها
جعلت رسول الله من خصمائها	فلبئس ما ذخرت ليوم معادها
نسل النبي على صعاب مطيها	ودم النبي على رؤس صعادها
وا لهفتاه لعصبة علويّة	تبعت أمية بعد عز قيادها

---

(١) في (أ) : جادت .

(٢) أي تشق . تاج العروس ١٠/٣٣٨ .

جعلت عران[1] الذل في آنافها | وعلاط[2] وَسْمِ الضيم في أجيادها[3]
استأثرت بالأمر من غُيّابها | وقضت بما شاءت على شُهادها
طلبت تراث الجاهلية عندها | وشفت قديم الغِل من أحقادها
زعمت بأن الدين سوّغ قتلها | أوليس هذا الدين عن أجدادها
الله سابقكم إلى أرواحها | وكسبتم الآثام في أجسادها
أخَذَتْ بأطراف الفخار فعاذرٌ | أن يصبح الثقلان من حُسادها
تروي مناقب فضلها أعداؤُها | أبداً وتسنده إلى أضدادها
قف بي ولو لَوْثُ الإزار وإنما | هي مهجة عَلِقَ الهوى[4] بفؤادها
القفر من أوراقها والطير من | طُرّاقها والوحش من عُوّادها
يا عترة الله اغضبي لنبيه | وتزحزحي بالبيض عن أغمادها
بالطف حيث غدا مُراق دمائها | ومناخ أينقها ليوم جلادها
هذا المقال وما بلغت وإنما | هي حَلْبَةٌ خلعوا عذار جوادها
أأقول جادكم الربيع وأنتمُ | في كل منزلة ربيع بلادها
أغنى ضياء الشمس عن أوصافها | بضيائها وجلالها وبعادها

❖ ❖ ❖

---

(١) عود يجعل في أنف البعير.

(٢) حبل يجعل في عنق البعير.

(٣) من هنا سقط في المخطوطة (أ).

(٤) في نسخة: الجوى.

الحسنُ بن الحسن الرضى عليه السلام[1]

هو أبو محمد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه: خولة بنت منظور بن سيَّار الفزاري، وكان عبدالله بن الزبير عقد للحسن عليه السلام بأمه خولة دون استئمار منظور بن سيَّار[2]؛ لأنه كان أعرابيًا جافيًا ما كمل إسلامه؛ لأنه نكح امرأة أبيه في الإسلام فهمَّ عمر بضرب عنقه، فأقسم ما علم بتحريم ذلك في دين الإسلام؛ فدرأ عنه عمر الحد من القتل، ولما أنكحها ابن الزبير نادى منظور فركز رايته بين فزارة فلم يبق قيسي إلا دخل تحتها، وقال: أمثلي يفتأت[3] عليه في ابنته؟ فردها له الحسن عليه السلام وساربها، فقالت له ابنته: ويلك: الحسن بن علي عليهما السلام، وابن رسول الله صلى الله عليه وآله مثله يُرد؟ فندم ووقف وقال: إن كان له رغبة فهو يلحقنا، فلحقه عليه السلام وردها، وَأَوْلَدَت له الحسن عليه السلام[4].

وكان عليه السلام مشهوراً فضله، ظاهرًا نبله، يحكي في أفعاله مناسبُه العالية، وكانت له مواقف عظيمة بين يدي عمِّه الحسين بن علي عليهما السلام في كربلاء، وكان فارسًا وله يومئذ عشرون سنة، وَقَتَلَ تسعة عشر من جنود الضلال، وأصابته ثماني عشرة جراحة حتى ارتثَّ ووقع في وسط القتلى، فحمله خاله أسامة بن خارجة الفزاري ورده إلى الكوفة وداوى جراحه وبقي عنده ثلاثة أشهر

---

(١) انظر طبقات ابن سعد ٥/ ٣١٩، وسير أعلام النبلاء ٤/ ٤٨٣، نسب قريش لمصعب ٤٦، وتاريخ البخاري ٢/ ٢٨٩، والمعارف ٢١٢، والأعلام ٢/ ١٨٧، والجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٥، وتهذيب ابن عساكر ٤/ ١٦٥، وتاريخ الإسلام ٣/ ٣٥٦، والعبر ١/ ١٩٦، والبداية والنهاية ٩/ ١٧٠، والتحف شرح الزلف ٦٢.

(٢) الخبر أورده ابن عساكر في تاريخه ٤/ ١٦٦ نقلاً عن خليفة ابن خياط.

(٣) فتأت برأيه: استبد. القاموس ص٢٠٠.

(٤) أنظر المصابيح ٣٨٣.

حتى عوفي وسلم وانصرف إلى المدينة[1].

وكان السبب في قيامه وبيعته أن عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي، ولاَّه الحجاج سجستان، فسار إليه في جيش عظيم حتى اجتمع له ثلاثون ألفًا، فخلع عبدالملك والحجاج، وهمَّ أن يدعو لنفسه، فقال له من معه من علمآء الكوفة والبصرة: هذا أمر لا يلتئم إلا برجل من قريش، فراسلوا علي ابن الحسين زين العابدين، والحسن بن الحسن، فأما علي بن الحسين فامتنع، وأما الحسن بن الحسن فقال: ما بي رغبة عن القيام بأمر الله، ولا زهد في إحيآء دين الله، ولكن لا وفآء لكم تبايعوني ثم تخذلوني، فلم يزالوا به حتى أجابهم، وورد عليه كتاب عبدالرحمن بن محمد بن [الأشعث والذين معه بالبيعة وأيمانهم المغلظة، وأنهم لا يخالفونه، فبايعهم، وخرج إليه منهم عبدالرحمن][2] بن أبي ليلى، وأبو البحتري الطائي، والشعبي، وأبو وائل وشقيق، وعاصم بن ضمرة السلولي، ومن أهل البصرة محمد بن سيرين، وعبدالله بن الشخير، والحسن البصري، وحارثة بن مضرب، وحريش[3] بن قدامة، ولقبوا الحسن بن الحسن بالرضى[4].

وفي بيعته عليه السلام يقول بعضهم:

أبلغ أبا ذُبَّانَ مخلوع الرَّسَن[5] ... أن قد مضت بيعتنا لابن الحسن

إبن الرسول المصطفى والمؤتمن ... من خير فتيان قريش ويمن

والحجة القائم في هذا الزمن[6]

---

(1) المصابيح ٣٧٩.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط في (ب).

(3) من هنا انتهى السقط في (أ).

(4) المصابيح ٣٨٠.

(5) الرسن: ما كان من الأزمة على الأنف. لسان العرب ١٣/١٠٨.

(6) المصابيح ٣٨٢.

ثم خرج عبدالرحمن بن محمد بن الأشعث حتى وافى فارس، وجمع الناس من العرب والعجم والموالي حتى اجتمع إليه مائة ألف، ووافى البصرة، واستقبله الحجاج بن يوسف، واشتد القتال بينهم ثلاث سنين، حتى كان بينهم سبعون وقعة أو خمس وسبعون، كل ذلك على الحجاج سوى وقعتين، وقتل بينهما خلق كثير، وتقوى أمر ابن الأشعث، ودخل الكوفة فاجتمع إليه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وقدامة الضبي وابن مصقلة الشيباني في جماعة الفقهاء والقرآء، فقالوا له: أظهر اسم الرجل، فقد بايعناه ورضينا به إمامًا ورضًى، فلما كان يوم الجمعة خطب له ﷺ، حتى إذا كان يوم الجمعة الثانية أُسقط اسمه من الخطبة[1]. قال: وقدم الحجاج بن يوسف، وكانت حرب الجماجم الملحمة الكبرى التي انهزم فيها ابن الأشعث، ومضى في جماعة أصحابه فثبت عبدالله بن العباس ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، وكان على خيل ابن الأشعث داعية للحسن ابن الحسن عليهما السلام، وهو حديث السن فقاتل الحجاج حتى هُزِم، ولحق بابن الأشعث بفارس، ثم مضيا جميعًا إلى سجستان، وتوارى الحسن بن الحسن عليهما السلام بأرض الحجاز وتهامة، حتى مات عبد الملك بن مروان[2].

وروى السيد أبو الحسين* يحيى بن الحسن بن جعفر بن عبيدالله بن الحسين ابن علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام في كتاب نسب آل أبي طالب، بإسناده عن الفضل بن مروان، قال: سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل يغلو فيه: ويحكم أحبونا؛ فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصينا الله فأبغضونا، فإن الله لو كان نافعًا أحدًا بقرابته من رسول الله ﷺ بغير طاعة

---

(١) انظر المصابيح ٣٨١.

(٢) المصابيح ٣٨٢.

* ولد سنة ٢١٤هـ، أول من صنف في أنساب الطالبيين، وله أخبار مكة والمسائل إلى القاسم بن إبراهيم، توفي ٢٧٧هـ. ينظر الأعلام ٨/ ١٤١

لنفع بذلك أباه وأمه، فقولوا فينا الحق فإنه أبلغ فيما تريدون، ونحن نرضى به منكم.

وكان عليه السلام يلي صدقات رسول الله صلى الله عليه وآله، وأوقاف أمير المؤمنين عليه السلام، فلما مات وليها ابنه عبدالله بن الحسن حتى حازها أبو جعفر المنصور لما حبسه.

وروى السيد رحمه الله أن الحجاج بن يوسف قال له يومًا، وهو يسايره في موكبه بالمدينة -وحجاج يومئذ أميرها: أدخلْ عمَّك عمر بن علي معك في صدقة علي، فإنه عمك وبقية أهلكَ، قال: لا أُغيِّر شرط علي، ولاأُدْخِل فيها من لم يُدخل، قال: إذاً أدخله معك، فنكص عنه الحسن حين غَفل الحَجاج، ثم كان وجهه إلى عبدالملك حتى قدم عليه فوقف ببابه يطلب الإذن، فمرَّ به يحيى بن الحكم، فلما رآه عدل إليه وسلم عليه، وسأل عن مقدمه فأخبره، فقال له يحيى: إني سأنفعك عند عبدالملك، فدخل الحسن بن الحسن عليه السلام على عبدالملك فرحب به وأحسن مسألته، وكان الحسن قد أسرع إليه الشيب، فقال له عبدالملك: لقد أسرع إليك الشيب، فقال له يحيى: وما يمنعه يا أمير المؤمنين شيَّبه أماني أهل العراق، كل عام يقدم عليه منه ركب يمنونه الخلافة، فأقبل عليه الحسن بن الحسن عليه السلام: بئس والله الرفد رفدت، وليس كما ذكرت، ولكنا أهل بيت يسرع إلينا الشيب - وعبدالملك يسمع، فأقبل إليه عبدالملك فقال: هَلُمَّ ما قدمت له، فأخبره بقول الحجاج، فقال: ليس له ذلك، اكتب إليه كتابًا لا يجاوزه. ووصله وكتب له[1].

فلما خرج من عنده لقي يحيى بن الحكم وعاتبه على سوء محضره، وقال: ما هذا الذي وعدتني؟، فقال له يحيى: إيهًا عنك والله لا يزال يهابك، ولولا هيبته إياك ما قضى لك حاجة، وما ألَوْتك رِفداً أي: ما قصَّرت في معاونتك[2].

---

(١) المصابيح ٣٨٤.

(٢) المصابيح ٣٨٤.

ذكر وفاته عليه السلام ومبلغ عمره وموضع قبره

لما ولي الوليد بن عبد الملك اشتد طلبه للحسن بن الحسن عليهما السلام حتى دَسَّ إليه من سقاه السم فمات وحُمِلَ إلى المدينة ميتًا على أعناق الرجال، وتوفي وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وقيل: سبع وثلاثين، ودفن عليه السلام بالبقيع. وفي الرواية أن امرأته فاطمة بنت الحسين عليهم السلام ضربت فسطاطًا على قبره، وأقامت سنة، وكانت تقوم الليل، وتصوم النهار، وكانت تُشَبَّه بالحور العين من جمالها، فلما كان رأس السنة قوّضت الفسطاط وقالت لمواليها: اذهبوا حتى يظلم الليل قليلاً، فلما أظلم سمعت صوتًا بالبقيع: هل وجدوا ما فقدوا؟[1]، فأجابه آخر: بل يئسوا فانقلبوا[2].

روى ذلك السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني، وفي رواية أخرى: أنها لما قوّضت الفسطاط تمثلت بقول الشاعر:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملا فقد اعتذر

ذكر أولاده عليه السلام

محمد، وبه كان يُكَنَّى، وأمه: رملة بنت سعيد بن عمرو بن نفيل، **وعبدالله**، **وإبراهيم**، **وحسن**، **وزينب**، **وأم كلثوم**، وهؤلاء أمهم: **فاطمة بنت الحسين بن علي أبي طالب عليهم السلام**، وفي الرواية أن الحسن بن الحسن لما خطب إلى عمه الحسين، وسأله أن يزوجه إحدى ابنتيه، فقال له الحسين: اختر أحبهما إليك؟ فاستحيى من عمه الحسين عليه السلام ولم يُحر جوابًا، فقال له الحسين عليه السلام: قد اخترت لك ابنتي فاطمة، فهي أكثرهما شبهًا بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فزوّجه إياها[3].

---

(١) في (ج): ما طلبوا.

(٢) المصابيح ٣٨٢.

(٣) المصابيح ٣٨٢.

وكان يقال: إنَّ امرأة سكينة من ذولتها[1] لمنقطعة الحسن، ذكر ذلك السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني، وروى بإسناده قال: جآء [منظور بن ريان ابن سيار، ويقال: أبو منظور][2] إلى الحسن بن الحسن، فقال: لعلك أحدثت أهلا؟ قال: نعم. تزوجت بنت عمي الحسين بن علي، فقال: بئس ما صنعت، أما علمت أن الأرحام إذا التقت أضوت؟ كان ينبغي لك أن تتزوج في العرب، قال: فإن الله قد رزقني منها ولداً، قال: فأرنيه؟ قال: فأخرج إليه عبدالله بن الحسن، فَسُرَّ به وفرح، وقال: أنجبت والله! هذا الليثُ عاديٌّ ومعدوٌّ عليه، قال: فإن الله قد رزقني منها ولداً آخر، قال: فأرنيه؟ فأخرج إليه الحسن بن الحسن، فسرَّ به وقال: أنجبت والله وهو دون الأول، قال: فإن الله قد رزقني منها ثالثًا، قال: فأرنيه؟ فأراه إبراهيم بن الحسن بن الحسن، فقال لا تعد إليها بعد هذا.

ومن أولاده عليه السلام: **جعفر، وداود، وفاطمة، ومُلَيكة، وأم القاسم، أمهم:** أم ولد.

❖ ❖ ❖

(١) في العبارة غموض وقد جاء في أعيان الشيعة ٥/ ٤٤ (يقولون: إن امرأة سكينة مردودتها لمنقطعة القرين في الجمال . . .) والرواية الثانية بسنده (وكان يقال: إن امرأة تختار على سكينة لمنقطعة القرين في الحسن).

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في (أ).

الإمام زيد بن علي عليهما السلام[1]

هو: زيد بن علي سيد العابدين بن الحسين الشهيد سيد شباب أهل الجنة بن سيد العرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم، ودون نسبه فلق الصباح الأنور، بل شعاع الشمس والقمر، أباؤه سادةٌ كلهم بنص الرسول صلى الله عليه وآله.

أما أبوه: علي بن الحسين عليهما السلام، فروينا فيه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: ليقم سيد العابدين، فيقوم علي بن الحسين»[2].

وأما جده الحسين فهو سيد شباب أهل الجنة، كما ورد به الأثر عن سيد البشر صلى الله عليه وآله.

وأما علي بن أبي طالب عليه السلام، فهو سيد العرب؛ لما روينا عن النبي صلى الله عليه وآله أن رجلاً قال له: يا سيد العرب، فقال صلى الله عليه وآله: «أنا سيد ولد آدم، وعلي سيد العرب»[3]. وهذا هو النسب العالي، والجوهر الفائق الغالي، ولبعضهم:

آملُ أن يُعطيَني ربِّيَ أقصى أملي ... بحب زيد بنِ عليٍّ بنِ الحسينِ بن علي

وأمه: أم ولد اسمها: (جيدا)، شراها المختار بن أبي عبيد بثلاثين ألف

---

(1) الإفادة ٤٥، ومقاتل الطالبين ١٢٧، وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤/ ٥٧٢، وطبقات ابن سعد ٥/ ٢٢٩، وشرح نهج البلاغة لابن ابي الحديد ١/ ٣٥١، وتاريخ الطبري ٥/ ٤٨١، والبداية والنهاية ٩/ ٣٢٩، مروج الذهب ٢/ ١٢٩، والامام زيد لأبي زهرة، والأعلام ٣/ ٥٩، وتاريخ الكوفة ٣٢٧، والجرح والتعديل ٣/ ٥٦٨، وتاريخ الإسلام ٥/ ٧٤، وشذرات الذهب ١/ ١٥٨، وطبقات الزيدية (خ)، والشافي ١/ ١٨٨، وكتاب الفتوح ٨/ ١١٠.

(2) أخرجه في شمس الأخبار ١/ ١١٨.

(3) الحاكم ٣/ ١٢٤، والطبراني في الأوسط ٢/ ١٢٧ رقم ١٤٦٨، وكنز العمال ١٣/ ١٤٣ رقم ٣٦٤٤٨ بأكثر من رواية.

درهم، فقال: ما أرى أحداً أحق بك من علي بن الحسين عليهما السلام، فبعث بها إليه، فلما وصلت إليه عرضها على بعض ولده، وكان إذا ترعرع أحدٌ منهم شرى لهم الجواري، فلما أحسّت بذلك قالت: أريد الشيخ، فاستخلصها عليه السلام لنفسه. وفي الرواية عنه عليه السلام أنه أصبح ذات يوم فقال لأصحابه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في ليلتي هذه فأخذ بيدي فأدخلني الجنة فزوجني حوراء فواقعتها فعلقت، فصاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله يا علي: سَمِّ المولود منها زيداً، فما قمنا حتى أرسل المختار بأم زيد شراؤها ثلاثون ألفاً.

وروي أن علي بن الحسين عليهما السلام كان إذا صلى الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس، فجآؤوه يوم ولد زيد، فَبُشِّر به بعد صلاة الفجر، قال: فالتفتَ إلى أصحابه، فقال: أي شيء ترون أن أسميَّ هذا المولود؟ قال: فقال كلٌ منهم: سَمِّه كذا، سمه كذا، فقال: يا غلام عليَّ بالمصحف، قال: فجآؤوا بالمصحف فوضعه في حجره، ثم فتحه فنظر إلى أول حرف في الورقه، فإذا فيه ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٩٥]، ثم أطبقه، ثم فتحه ثانية فنظر في أول الورقة: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة:١١١] قال: هو والله زيدٌ فسُميَّ: زيداً... وكانت ولادته عليه السلام سنة خمس وسبعين.

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب[1]: كان عليه السلام أبيضَ اللون، أعْيَنَ، مقرون الحاجبين، تام الخلق، طويل القامة، كثّ اللحية، عريض الصدر، أقنى الأنف، أسود الرأس واللحية، إلاَّ أن الشيب خالطه في عارضيه.

---

(١) الإفادة ٤٥.

وكان يُشبَّه بأمير المؤمنين عليه السلام في الفصاحة والبلاغة والبراعة، ويعرف في المدينة بحليف القرآن. قال خالد بن صفوان: انتهت الفصاحة والخطابة والزهادة والعبادة من بني هاشم إلى زيد بن علي عليهما السلام، لقد شهدته عند هشام بن عبد الملك وهو يخاطبه، وقد تضايق به مجلسه.

وروينا عن بعض أصحاب زيد بن علي قال: كنت إذا رأيت زيد بن علي رأيت أسارير النور في وجهه. ووصفه بعضهم فقال: كان وسيمًا جميلاً أديبًا، وكان قد أثَّر السجود في جبينه.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

نشأ عليه السلام على العلم والعبادة والفضل والزهادة، وكان يعرف بالمدينة بحليف القرآن، وكان يسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه.

وقد وردت فيه آثار كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وآله. فمن ذلك ما رويناه بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: لما أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بقتل الحسين بن علي وصلب ابنه زيد بن علي عليهم السلام، قلت: يا رسول الله، أترضى أن يقتل ولدك؟ قال: يا علي أرضى بحكم الله فيَّ وفي ولدي، ولي دعوتان: أما دعوةٌ فاليوم، وأما الثانية فإذا عرضوا على الله عز وجل وعرضت عليَّ أعمالهم، ثم رفع يديه إلى السماء وقال: يا علي أمِّن على دعائي: اللهم أحصهم عدداً، واقتلهم بَدَدًا، وسلط بعضهم على بعض، وامنعهم الشرب من حوضي ومرافقتي، قال: فأتاني جبريل عليه السلام وأنا أدعو عليهم وأنت تؤمِّن، فقال: «قد أجيبت دعوتكما».

وبالإسناد إلى يحيى بن ميمون يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله قال: «يصلب رجل من أهل بيتي بالكوفة عريان، لا ينظر أحدٌ إلى عورته متعمداً إلا أعماه الله عز وجل يوم القيامة»[1].

(١) بلفظ مقارب في مسند شمس الأخبار ١/١١٨، ومقاتل الطالبين ١٣٠.

وبالإسناد إلى أبي ذر الغفاري قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو يبكي فبكيت لبكائه، فقلت: فداك أبي وأمي قد قطعت أنياط قلبي ببكائك، قال: لا قطع الله أنياط قلبك، يا أبا ذر، إن ابني الحسين يولد له ابن يُسمى عليًا، أخبرني حبيبي جبريل عليه السلام أنه يعرف في السمآء بأنه سيد العابدين، وأنه يولد له ابنٌ يقال له: زيدٌ، وأن شيعة زيد هم فرسان الله في الأرض، وأن فرسان الله في السمآء هم الملائكة، وأن الخلق يوم القيامة يحاسبون، وأن شيعة زيد في أرض بيضاء كالفضة أو كلون الفضة يأكلون ويشربون ويتمتعون، ويقول بعضهم لبعض: امضوا إلى مولاكم أمير المؤمنين حتى ننظر إليه كيف يسقي شيعته، قال: فيركبون على نجائب من الياقوت والزبرجد مكللة بالجوهر، أزمتها اللؤلؤ الرطب، رحالها من السندس والإستبرق، قال: فبينما هم يركبون إذ يقول بعضهم لبعض: والله إنا لنرى أقوامًا ما كانوا معنا في المعركة، قال: فيسمع زيد عليه السلام فيقول: والله لقد شارككم هؤلآء في ما كنتم من الدنيا، كما شارك أقوامٌ أتوا من بعد وقعة صفين، وإنهم لإخوانكم اليوم وشركاؤكم.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ أنه قال: «خير الأولين والآخرين المقتول في الله، المصلوب في أمتي (المظلوم من أهل بيتي سَمي هذا، ثم ضم زيد بن حارثة إليه، ثم قال: يا زيد لقد زادك اسمك عندي حبًا، سمي الحبيب من أهل بيتي»)[1].

وروينا عنه ﷺ أنه قال: «يقتل رجل من ولدي يُدعى: زيد بموضع يعرف بالكناسة، يدعو إلى الحق يتبعه كل مؤمن»[2].

---

(١) رواه ابن عساكر ج١٩ص٤٥٨، وشمس الأخبار ١/ ١١٩، وروى معناه في مقاتل الطالبيين ١٣١، وكنز العمال ١٣/ ٣٩٧ رقم ٣٧٠٦٨.

(٢) شمس الأخبار ١/ ١٢٠، ومقاتل الطالبين ١٣١.

وروينا عن حيّة العرني قال : كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام أنا والأصبغ بن نباتة في الكناسة في موضع الجزارين والمسجد والحناطين، وهي يومئذ صحراء فما زال يلتفت إلى ذلك الموضع، ويبكي بكاءاً شديداً، ويقول : بأبي وأمي، فقال الأصبغ : يا أمير المؤمنين لقد بكيتَ والتَفَتَّ حتى بكت قلوبنا وأعيننا، والتفتُّ فلم أر أحداً، قال حدثني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنه يولد لي مولودٌ، ما ولد أبوه بعد يلقى الله غضباناً وراضياً له على الحق حقّاً على دين جبريل وميكائيل ومحمد صلى الله عليهم، وأنه يُمثل به في هذا الموضع مثالاً ما مثل بأحد قبله، ولا يمثَّل بأحد بعده صلوات الله على روحه، وعلى الأرواح التي تتوفى معه»[1].

وروينا عن ابن عباس قال : بينما علي عليه السلام بين أصحابه، إذ بكى بكاءاً شديداً حتى لثقت[2] لحيته، فقال له الحسن عليه السلام : يا أبت ما لك تبكي ؟ قال : يا بني لأمور خفيت عنك أنبأني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال : وما أنبأك به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ قال : يا بني لولا أنك سألتني ما أخبرتك؛ لئلا تحزن ويطول همّك، أنبأني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فذكر حديثاً طويلاً قال فيه : يا علي كيف أنت إذا وليها الأحول الذميم، الكافر اللئيم، فيخرج عليه خير أهل الأرض من طولها والعرض، قلت : يا رسول الله من هو ؟ قال : يا علي رجل أيده الله بالإيمان، وألبسه الله قميص البر والإحسان، فيخرج في عصابة يدعون إلى الرحمن، أعوانه من خير أعوان، فيقتله الأحول ذو الشنئآن، ثم يصلبه على جذع رمان، ثم يحرقه بالنيران، ثم يضربه بالعسبان حتى يكون رماداً كرماد النيران، ثم تصير إلى الله عز وجل روحه وأوراح شيعته إلى الجنان[3].

---

(١) مسند شمس الأخبار ١٢٠.

(٢) معناها اللثق: البَلَلُ، اللسان ١٠/٣٢٦.

(٣) مسند شمس الأخبار ١/ ١٢٠.

وروينا بالإسناد إلى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عليهم السلام : أن عليًا أمير المؤمنين صلوات الله عليه خطب خطبة على منبر الكوفة ، فذكر أشياء وفتنا حتى ذكر أنه قال : ثم يملك هشام تسعة عشر سنة ، وتواريه أرض رصافة رصفت عليه النار ، مالي ولهشام جبار عنيد ، قاتل ولدي الطيّب المطيّب ، لا تأخذه رأفة ولا رحمة ، يصلب ولدي بالكناسة من الكوفة ، زيد في الذروة الكبرى من الدرجات العلى ، فإن يُقتل زيد فعلى سنة أبيه .

ثم الوليد فرعون خبيث شقيٌ غير سعيد ، ياله من مخلوع قتيل ، فاسقها وليد ، وكافرها يزيد ، وطاغوتها أزيرق ، متقدمها ابن آكلة الأكباد ، ذَرْهُ يأكل ويتمتع ويلهه الأمل ، فسوف يعلم غداً من الكذاب الأشر .

وروينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : يخرج مني بظهر الكوفة رجل يقال له : زيد في أبهة سلطان ، والأبهة : الملك ، لم يسبقه الأولون ، ولا يدركه الآخرون إلا من عمل بمثل ما عمله ، يخرج يوم القيامة هو وأصحابه معهم الطوامير[1] ، ثم يخطوا أعناق الخلائق قال : فتلقاهم الملآئكة فيقولون : هؤلاء خلف الخلف ، ودعاة الحق ، ويستقبلهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول : قد عملتم بما أُمرتم ، ادخلوا الجنة بغير حساب[2] .

وروينا عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال : الشهيد من ذريتي والقائم بالحق من ولدي المصلوب بكناسة كوفان ، إمام المجاهدين ، وقائد الغر المحجلين ، يأتي يوم القيامة هو وأصحابه تتلقاهم الملآئكة المقربون ، ينادونهم : ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون .

وروينا عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أُريت في منامي رجلاً من أهل بيتي دعا إلى الله وعمل صالحًا ، غيَّر المنكر وأنكر الجور ،

---

(١) الطوامير : الصحائف . القاموس ٥٥٤ .

(٢) مقاتل الطالبين ١٣١ ، ومسند شمس الأخبار ٢/ ١٢١ .

فقُتِل فعلى قاتله لعنة الله »وفي خبر آخر: «فعلى صالبه لعنة الله»[1].

وروينا عن أبي غسان الأزدى قال: قدم علينا زيد بن علي إلى الشام أيام هشام بن عبدالملك، فما رأيت رجلاً كان أعلم بكتاب الله منه، ولقد حبسه هشام خمسة أشهر يقص علينا ونحن معه في الحبس بتفسير الحمد وسورة البقرة يهذو ذلك هذاً، وذكر الكتاب قال فيه: واعلموا رحمكم الله أن القرآن والعمل به يهدي للتي هي أقوم؛ لأن الله شرفه وكرمه ورفعه وعظمه وسمَّاه: روحاً، ورحمةً، وهدىً، وشفاءً، ونوراً، وقطع منه بمعجز التأليف أطماع الكائدين، وأبانه بعجيب النظم عن حيل المتكلفين، وجعله متلواً لا يُمل، ومسموعًالا تمجه الأذان، وغضًا لا يخلق عن كثرة الرد، وعجيبًا لا تنقضي عجائبه، ومفيداً لا تنفد فوائده، والقرآن على أربعة أوجه: حلال وحرام لا يسع الناس جهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وعربيةٌ يعرفها العرب، وتأويل لا يعلمه إلا الله، وهو ما يكون مما لم يكن.

واعلموا رحمكم الله أن للقرآن: ظهراً، وبطنًا، وحداً، ومطلعًا، فظهره: تنزيله، وبطنه: تأويله، وحده: فرائضه وأحكامه، ومطلعه: ثوابه وعقابه.

وروينا بالإسناد الموثوق به أيضًا أن زيد بن علي عليهما السلام سأل محمد ابن علي الباقر عليهما السلام كتابًا كان لأبيه قال: فقال له محمد بن علي: نعم، ثم نسي فلم يبعث به إليه فمكث سنة ثم ذكر، فلقي زيداً فقال: أي أخي ألم تسأل كتاب أبيك؟ قال: بلى، قال: والله ما منعني أن أبعث به إلا النسيان. قال: فقال له زيد: قد استغنيت عنه، قال: تستغني عن كتاب أبيك؟ قال: نعم، استغنيت عنه بكتاب الله، قال: فأسلك عمَّا فيه؟ قال له زيد: نعم، قال: فبعث محمد إلى الكتاب ثم أقبل يسأله عن حرف حرف، وأقبل زيد يجيبه حتى فرغ من آخر الكتاب، فقال له محمد: والله ما حُرمتَ منه حرفًا واحداً.

---

(١) تاريخ ابن عساكر ١٩/ ٤٨٠.

ورويناعن بشر بن عبدالله[1] قال : صحبت علي بن الحسين ، وأبا جعفر ، وزيد بن علي ، وعبدالله بن الحسن ، وجعفر بن محمد ، فما رأيت منهم أحدًا كان أحضر جوابًا من زيد بن علي عليهما السلام . وروينا عن سعيد بن خثيم قال : كان زيد بن علي عليهما السلام إذا كلَّمه الرجل أو ناظره ، لم يعجله عن كلامه حتى يأتي على آخره ، ثم يرجع عليه فيجيبه عن كلمة كلمة حتى يستوفي عليه الحجة .

وروينا عن أبي السدير قال : دخلنا على أبي جعفر محمد بن علي عليهما السلام فأصبنا منه خلوة ، فقلنا اليوم نسأله عن حوائجنا كما نريد ، فبينا نحن كذلك إذ دخل زيد بن علي عليهما السلام ، وقد لثقت عليه ثيابه ، فقال له أبو جعفر بنفسي أنت ، ادخل فأفضْ عليك من المآء ثم اخرج إلينا ، قال : فخرج إلينا متفضلاً ، فأقبل أبو جعفر يسأله ، وأقبل زيد يخبره بما يحتج عليه والذي يحتج به ، قال : فنظروا إلى وجه أبي جعفر يتهلل ، قال : ثم التفت إلينا أبو جعفر فقال : يا أبا السدير هذا والله سيد بني هاشم ، إن دعاكم فأجيبوه ، وإن استنصركم فانصروه .

وبالإسناد الموثوق به إلى أبي الجارود أن زيد بن علي عليهما السلام خطب أصحابه حين ظهر فقال : الحمدلله الذي منَّ علينا بالبصيرة ، وجعل لنا قلوبًا عاقلة ، وأسماعًا واعية ، وقد أفلح من جعل الخير شعاره ، والحق دثاره ، وصلى الله على خير خلقه الذي جآء بالصدق من عند ربه وصدق به ، الصادق محمد ﷺ وآله ، وعلى الطاهرين من عترته وأسرته ، والمنتجبين من أهل بيته وأهل ولايته . أيها الناس : العجل العجل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل ، فورآءكم طالبٌ لا يفوته هارب ، إلا هارب هرب منه إليه ، ففروا إلى الله بطاعته ، واستجيروا بثوابه من عقابه ، فقد أسمعكم وبصَّركم ، ودعاكم إليه وأنذركم ، وأنتم اليوم حجة

---

(١) في (أ) : وروينا بالإسناد إلى .

على من بعدكم، إن الله تعالى يقول: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال:٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

عباد الله إنَّا ندعوكم إلى كلمة سوآء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئًا ولا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله، إن الله دمر قومًا اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله.

عباد الله كأنَّ الدنيا إذا انقطعت وتقضَّت لم تكن، وكأنَّ ما هو كآئنٌ قد نزل، وكأنَّ ما هو زائل عنَّا قد رحل، فسارعوا في الخير، واكتسبوا المعروف تكونوا من الله بسبيل؛ فإنه من سارع في الشر، واكتسب المنكر ليس من الله في شيء، أنا اليوم أتكلَّم وتسمعون ولا تبصرون، وغدًا بين أظهركم هامةٌ فتندمون، ولكن الله ينصرني إذا ردَّني إليه، وهو الحاكم بيننا وبين قومنا بالحق، فمن سمع دعوتنا هذه الجامعة غير المفرقة، العادلة غير الجائرة، فأجاب دعوتنا، وأناب إلى سبيلنا، وجاهد بنفسه نفسه، ومن يليه من أهل الباطل ودعائم النفاق، فله مالنا وعليه ما علينا، ومن ردَّ علينا دعوتنا وأبى إجابتنا، واختار الدنيا الزائلة الآفلة على الآخرة الباقية، فالله من أولئك بريء، وهو يحكم بيننا وبينهم.

إذا لقيتم القوم فادعوهم إلى أمركم، فلئن يستجيب لكم رجل واحد خير لكم مما طلعت عليه الشمس من ذهب وفضة، وعليكم بسيرة أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام بالبصرة والشام: لا تتبعوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تفتحوا بابًا مغلقًا، والله على ما أقول وكيل.

عباد الله لا تقاتلوا عدوكم على الشك فتضلوا عن سبيل الله، ولكن البصيرة ثم القتال، فإن الله يجازي عن اليقين أفضل جزآء يجزي به على حق. إنه من قتل نفسًا يشك في ضلالتها كمن قتل نفسًا بغير حق. عباد الله البصيرةَ البصيرةَ.

قال أبو الجارود فقلت له : يا ابن رسول الله ، يبذل الرجل نفسه على غير بصيرة؟ قال : نعم ، إن أكثر من ترى عشقت نفوسهم الدنيا ، فالطمع أرداهم إلا القليل الذين لا تخطر على قلوبهم الدنيا ، ولا لها يسعون ؛ فأولئك مني وأنا منهم .

وروينا بالإسناد عن عمر بن صالح العجلي قال : سمعت زيد بن علي عليهما السلام يقول في خطبته : الحمدلله مذعناً له بالاستكانة ، مقراً له بالوحدانية ، وأتوكل عليه توكُّل من لجأ إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده المصطفى ، ورسوله المرتضى ، الأمين على وحيه ، المأمون على خلقه ، المؤدي إليهم ما استرعاه من حقه حتى قبضه إليه صلى الله عليه وآله .

أيها الناس : أوصيكم بتقوى الله ؛ فإن الموصي بتقوى الله لم يدَّخر نصيحة ، ولم يقصر عن إبلاغ عِظَة ، فاتقوا الله في الأمر الذي لا يصل إلى الله تعالى إن أطعتموه ، ولا ينتقص من ملكه شيئًا إن عصيتموه ، ولا تستعينوا بنعمته على معصيته ، وأجملوا في طلب مباغي أموركم ، وتفكروا وانظروا .

وروينا عن جعفر بن محمد عليهما السلام قال : كان لعمي زيد بن علي عليهما السلام ابنٌ فتُوفي ، فكتب إليه بعض إخوانه يعزيه ، فلما قرأ الكتاب قلبه وكتب على ظهره ، أما بعد : فإنا أمواتٌ ، أبناء أموات ، آباء أموات ، فيا عجبًا من ميِّت يعزي ميتاً عن ميت ، والسلام .

وبالإسناد الموثوق به عن بعضهم قال : أخبرني أبو خالد الواسطي ، وأبو حمزة الثمالي قالا : حبَّرنا رسالةً ردًا على الناس ، ثم إنا خرجنا إلى المدينة ، فدخلنا على محمد بن علي فقلنا له : جُعلنا لك الفدا ، إنَّا حبَّرنا رسالة ردًا على الناس فانظر إليها قال : فاقرؤها ، قال : فقرأناها ، فقال : لقد أجدتم واجتهدتم ، فهل أقرأتموها زيدًا؟ قلنا : لا . قال : فأقرؤُوها زيداً ، وانظروا ما يرد عليكم .

قال فدخلنا على زيد فقلنا له : جُعلنا لك الفدا ، رسالةً حبرناها ردًّا على الناس جئناك بها ، قال : إقرؤها ، فقرأناها عليه حتى إذا فرغنا منها ، قال : يا أبا حمزة وأنت يا أبا خالد لقد اجتهدتم ، ولكنها تكسر عليكم : أما الحرف الأول فالرد فيه كذا ، فما زال يرددها حتى فرغ من آخرها حرفًا حرفًا ، فوالله ما ندري من أي شيء نعجب من حفظه لها أو من كسرها؟ ثم أعطانا جملةً من الكلام نعرف به الردّ على الناس ، قال : فرجعنا إلى محمد بن علي فأخبرناه ما كان من زيد ، قال : يا أبا خالد ، وأنت ياأبا حمزة ، إن أبي دعا زيداً ، فاستقرأه القرآن فقرأ ، وسأله عن المعضلات فأجاب ، ثم دعا له وقبّل بين عينيه ، ثم قال : يا أبا خا لد ، وأنت يا أبا حمزة ، إن زيداً أُعطي من العلم علينا بسطةً .

وروينا عن خالد بن صفوان اليمامي قال : أتينا زيد بن علي وهو يومئذ بالرصافة ؛ رصافة هشام بن عبد الملك ، فدخلنا عليه في نفر من أهل الشام وعلمائهم ، وجآؤا معهم برجل قد انقاد له أهل الشام في البلاغة والبصر بالحجج ، وكلمنا زيد بن علي في الجماعة ، وقلنا : إن الله مع الجماعة ، وإن أهل الجماعة حجة الله على خلقه ، وإن أهل القلة هم أهل البدعة والضلالة .

قال : فحمد الله زيد بن علي وأثنى عليه وصلى على محمد ﷺ ، ثم تكلم بكلام ما سمعت قرشيًا ولا عربيًا أبلغ في موعظة ، ولا أظهر حجةً ، ولا أفصح لهجة منه ، قال : ثم أخرج إلينا كتابًا قاله في الجماعة والقلة ، ذكره من كتاب الله فلم يذكر كثيراً إلا ذمَّه ، ولم يذكر قليلاً إلا مدحه ، والقليل في الطاعة هم أهل الجماعة ، والكثير في المعصية هم أهل البدع .

قال خالد بن صفوان : فيئس الشامي فما أحْلَى ولا أمَرَّ ، وسكت الشاميون فما يجيبون بقليلٍ ولا كثير ، ثم قاموا من عنده فخرجوا ، وقالوا لصاحبهم : فعل الله بك وفعل غررتنا وفعلت وزعمت أنك لا تدع له حجةً إلا كسرتها ، فخرست فلم تنطق ، فقال لهم : ويلكم كيف أكلم رجلاً إنما حاجني بكتاب الله؟

أفأستطيع أن أردَّ كلام الله، فكان خالد بن صفوان يقول بعد ذلك: ما رأيت في الدنيا رجلاً قرشيًا ولا عربيًا يزيد في العقل والحجج على زيد بن علي عليهما السلام.

وروينا عن عبدالله بن محمد بن الحنفية قال: لو نزل عيسى بن مريم لأخبركم أن زيد بن علي خير من وطيء على عفر التراب، ولقد علم زيد بن علي القرآن من حيث لم يعلمه أبو جعفر قال قلت: وكيف ذاك؟ قال: لأن أبا جعفر أخذه من أفواه الرجال، وإنَّ زيد بن علي أُعطي فهمه.

مناقبه عليه السلام:

أكثر من أن نأتي عليها في مثل هذا الموضع، ومن شعره عليه السلام قوله:

يقولون زيداً لا يزكي بماله ... وكيف يزكي المال من هو باذله

إذا حال حولٌ لم يكن في ديارنا ... من المال إلا رسمه وفضائله

وقال عليه السلام:

السيف يعرف عزمي عند هبته ... والرمح بي خَبِرٌ والله لي وَزَرُ

إنّا لنأمل ما كانت أوائلنا ... من قبل تأمله إن ساعد القدر

وله عليه السلام يخاطب ابنه يحيى ويوصيه:

أبُنَيَّ إما أهلكَنّ فلا تكن ... دنس الفعال مبيض الأثواب

واحذر مصاحبة اللئيم فإنما ... شَيْنُ الكريم فسولة الأصحاب

ولقد بلوت الناس ثم خبرتهم ... وخبرت ما وصلوا من الأسباب

فإذا القرابة لا تقرِّب قاطعاً ... وإذا المودة أقرب الأنساب

وله عليه السلام في ندبة أخيه الباقر محمد بن علي عليهم السلام:

يا موت أنت سلبتني إلْفاً ... قدَّمته وتركتني خلفا

واحسرتا لا نلتقي أبدًا ... حتى نقوم لربنا صفّا

ذكر بيعته عليه السلام ومدة ظهوره[1] :

كان أول أمره عليه السلام أن خالد بن عبدالله القسري، ادعى مالاً قِبَلَ زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب، وداود بن علي بن عبدالله بن العباس، وسعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف، وأيوب بن سلمة بن عبدالله ابن الوليد بن المغيرة المخزومي، فكتب فيهم يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم عامل هشام على العراق إلى هشام . وزيد بن علي ومحمد بن عمر يومئذ بالرصافة، فلما قدمت كتب يوسف على هشام بعث إليهم فذكر ما كتب به يوسف فانكروا، فقال لهم هشام: فإنا باعثون بكم إليه يجمع بينكم وبينه، فقال زيد: أنشدك الله وبالرحم أن تبعث بنا إلى يوسف، قال له هشام: وما الذي تخاف من يوسف؟ قال: أخاف أن يتعدَّى علينا، فدعا هشام كاتبه، فكتب إلى يوسف أما بعد: فإذا قدم عليك زيد وفلان وفلان فاجمع بينهم وبينه، فإن هم أقرُّوا بما ادّعي عليهم فسرِّح بهم إليَّ، وإن هم أنكروا فاسأله البينة فإن لم يقمها فاستحلفهم بعد صلاة العصر بالله الذي لا إله إلا هو ما استودعهم وديعة، ولا له قِبَلَهم شيء، ثم خلِّ سبيلهم، فقالوا لهشام: إنا نخاف أن يتعدَّى كتابك، قال: كلا أنا باعث معكم رجلاً من الحرس يأخذه بذلك حتى يفرغ ويعجل، قالوا: جزاك الله عن الرحم خيراً، فسرح بهم إلى يوسف وهو يومئذ بالحيرة فاجتنبوا أيوب بن سلمة لخئولته من هشام ولم يؤخذ بشيء من ذلك، فلما قدموا على يوسف دخلوا عليه فسلموا، فأجلس زيداً قريباً منه وألطفه في المسألة، ثم سألهم عن المال فأنكروا، فأخرجه يوسف إليهم، وقال هذا زيد بن علي، ومحمد بن عمر بن علي اللذان ادَّعيت قبلهما ما ادَّعيت قال: ما لي قِبَلَهُما قليل ولا كثير، قال له يوسف: أبي كنت تهزأ وبأمير المؤمنين؟ فعذَّبه عذابًا ظن أنه قد قتله، ثم

---

(١) ينظر مقاتل الطالبين ١٣٣ وما بعدها، والإفادة ٤٥-٤٧، والمصابيح ٣٨٩ .

أخرج زيداً وأصحابه بعد صلاة العصر إلى المسجد فاستحلفوا، فكتب يوسف إلى هشام يعلمه بذلك، فكتب إليه هشام خل سبيلهم، فخلّى يوسف سبيلهم[1]، فأقام زيد بعد خروجه من عند يوسف بالكوفة أيامًا، وجعل يوسف يستحثه بالخروج فيعتل عليه بالشغل، وبأشياء يبتاعها، فألح عليه حتى خرج فأتى القادسية.

ثم إن الشيعة التقوا به فقالوا: أين تخرج عنّا رحمك الله ومعك مائة ألف سيف من أهل الكوفة والبصرة وخراسان يضربون بها بني أمية دونك، وليس قِبَلَنا من أهل الشام إلاّ عدة يسيرة؟ فأبى عليهم، فلم يزالوا يناشدونه حتى رجع بعد أن أعطوه العهود والمواثيق، فقال له محمد بن عمر بن علي: أذكرك الله يا أبا الحسين لما لحقت بأهلك ولم تقبل قول أحد من هؤلاء الذين يدعونك؛ فإنهم لا يفون لك، أليسوا أصحاب جدك الحسين بن علي؟ قال: أجل، وأبى أن يرجع، وأقبلت الشيعة وغيرهم تختلف إليه يبايعونه حتى أحصى ديوانه خمسة عشر ألف رجل من أهل الكوفة خاصة سوى أهل المدائن والبصرة وواسط والموصل وخراسان والري وجرجان، وأقام بالكوفة بضعة عشر شهراً، وأرسل دعاته إلى الآفاق والكور يدعون الناس إلى بيعته، وأرسل الفضيل بن الزبير إلى أبي حنيفة، قال فضيل: فأتيته فأبلغته رسالة زيد، فخرس لا يدري ما يرد عليَّ، ثم قال: ويحك ما تقول أنت؟ قلت: لو نصرته فالجهاد معه حق. قال: فمن يأتيه في هذا الباب من فقهاء الناس؟ قلت: سلمة بن كهيل، ويزيد بن أبي زياد، وهارون بن سعد، وأبو هاشم الرماني، وحجاج بن دينار وغيرهم، فعرفهم فقال لي: اذهب اليوم فإذا كان الغد فأتني ولا تكلمني بكلمة إلا أن تجيء فتجلس في ناحية، فإني سأقوم معك فإذا قمت فاقفُ أثري، فأتيته من الغد فلما رآني قام فتبعته فقال: اقره مني السلام وقل له أمّا الخروج معك فلست أقوى عليه. وذكر

---

(١) في (أ): سقطت: فخلّى يوسف سبيلهم.

مرضًا كان به - ولكن لك عندي معونةوقوة على جهاد عدوِّك فاستعن بها أنت وأصحابك في الكراع والسلاح ، وبعث بها إلى زيد فقوّى بها أصحابه ، ويقال : إنه كان ثلاثين ألف درهم ، ويقال : دينار.

قال السيد أبو العباس رحمه الله تعالى وبايعه ابن شبرمة ، ومسعرة بن كدام ، والأعمش ، والحسن بن عمارة ، وأبو حصين ، وقيس بن الربيع .

وحضر معه من أهله الوقعة : محمد بن عبدالله بن الحسن الحسن (النفس الزكية) ، وعبدالله بن علي بن الحسين عليهم السلام ، وابنه يحيى بن زيد ، والعباس بن ربيعة من بني عبدالمطلب .

ولما دنا خروج زيد بن علي عليهما السلام أمر أصحابه بالاستعداد والتهيئ ، فجعل من يريد أن يفي يستعد وشاع ذلك ، وانطلق سراقة البارقي إلى يوسف بن عمر فأخبره خبر زيد عليه السلام ، فبعث يوسف فطلب زيداً ليلاً فلم يوجد عند الرجلين الذي سعى إليه أنه عندهما ، فأتى بهما يوسف فلما كلمهما استبان له أمر زيد وأصحابه ، وأمر بهما يوسف فضربت أعناقهما ، وبلغ الخبر زيداً وأصحابه فتخوّف أن تؤخذ عليه الطريق ؛ فتعجل الخروج قبل الأجل الذي ضرب بينه وبين أهل الأمصار ، واستتبّ لزيد خروجه ، وكان قد وعد أصحابه ليلة الأربعاء أول ليلة من صفر سنة اثنتين وعشرين ومائة ، فخرج قبل الأجل ، وبلغ ذلك يوسف بن عمر فبعث الحكم بن الصّلت يأمره أن يجمع أهل الكوفة إلى المسجد الأعظم يحصرهم فيه ، فبعث الحكم إلى العرفاء والشرط والمناكب والمقاتلة فأدخلوهم المسجد ، ثم نادى مناديه : أيما رجل من العرب والموالي أدركناه في رحلة الليلة فقد برأت منه الذمة ، إئتوا المسجد الأعظم ، فأتى الناس المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد ، وطلبوا زيداً في دار معاوية بن إسحاق ، فخرج ليلاً ، وذلك ليلة الأربعاء لسبع بقين من المحرم في ليلة شديدة البرد من دار معاوية بن إسحاق ، فرفعوا الهراديّ فيها النيران ، فنادوا بشعارهم شعار رسول الله صلى الله عليه وآله :

(يا منصور أمت)، فما زالوا كذلك حتى أصبحوا، فلما أصبحوا بعث زيدٌ القاسمَ ابن فلان التبعي ورجلاً آخر يناديان بشعارهما، وقال يحيى بن صالح ابن يحيى بن عزيز بن عمر بن مالك بن خزيمة التبعي، وسمى الآخر وذكر أنه صدام، قال سعيد: ولقيني أيضًا وكنت رجلاصيتاً أنادي بشعاره قال ورفع بن الجارود زياد بن المنذر الهمداني هرديّاً من مئذنتهم ونادى بشعار زيد، فلما كانوا في صحاري عبد القيس لقيهما جعفر بن العباس الكندي فشد عليه وعلى أصحابه فقتل الرجل الذي كان مع القاسم وارتث القاسم، فأُتي به الحكم بن الصلت، فكلمه فلم يرد عليه، وضربت عنقه على باب القصر، فكان أول قتيل منهم، وقالت بنته تبكيه:

عين جودي لقاسم بن كثير ... بِدَرور من الدموع غزير

أدركته سيوف قومٍ لئام ... من أولي الشرك والردى والثبور

سوف أبكيك ما تغنّى حَمامٌ ... فوق غصنٍ من الغصون نضير

وقال يوسف بن عمر وهو بالحيرة: من يأتي الكوفة فيقرب من هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم؟ فقال عبدالله بن عياش المنتوف الهمداني[1]: أنا آتيك بخبرهم، فركب في خمسين فارسًا، ثم أقبل حتى أتى جبانة سالم فاستخبر، ثم رجع إلى يوسف فأخبره، فلما أصبح يوسف خرج إلى تلٍ قريب من الحيرة، فنزل معه قريش وأشراف الناس، وأمير شرطته يومئذ العباس بن سعد المزني.

قال: وبعث الريان بن سلمة البلوي في نحو من ألفي فارس وثلاث مائة من القيقانية رجالة ناشبة، و أصبح زيد بن علي وجميع من وافاه تلك الليلة مائتان وثمانية عشر رجالة، فقال زيد بن علي: سبحان الله! فأين الناس؟ قيل: هم محصورون في المسجد. قال: لا والله ما هذا لمن بايعنا بعذر. قال: وأقبل نصر ابن خزيمة إلى زيد فتلقاه عمر بن عبدالرحمن صاحب شرطة الحكم بن الصلت في خيل من جهينة عند دار الزبير بن أبي حكيمة في الطريق الذي يخرج إلى

---

(١) في (ج): بدون: الهمداني.

مسجد بني عدي، فقال : يا منصور أمت، فلم يرد عليه عُمر شيئًا، فشد نصر عليه وعلى أصحابه فقتله وانهزم من كان معه، وأقبل زيد حتى انتهى إلى جبانة الصائديين وبها خمسمائة من أهل الشام، فحمل عليهم زيد في أصحابه فهزمهم، ثم مضى حتى انتهى إلى الكناسة فحمل على جماعة من أهل الشام فهزمهم، ثم شلهم حتى ظهر[1] إلى المقبرة ويوسف بن عمر على التل ينظر إلى زيد وأصحابه وهم يكردون الناس ولو شاء زيد أن يقتل يوسف لقتله، ثم إن زيداً أخذ ذات اليمين على مصلى خالد بن عبدالله حتى دخل الكوفة.

فقال بعض أصحابه لبعض : ألا ننطلق إلى جبانة كندة، قال وما زاد الرجل أن تكلم بهذا إذ طلع أهل الشام عليهم، فلما رأوهم دخلوا زقاقًا ضيقًا، فمضوا فيه وتخلف[2] رجل منهم فدخل المسجد فصلى ركعتين، ثم خرج إليهم فضاربهم بسيفه وجعلوا يضربونه بأسيافهم، ثم نادى رجل منهم فارس مقنع في الحديد : اكشفوا المغفر عن رأسه واضربوا رأسه بالعمود، ففعلوا فقتل الرجل، وحمل أصحابه عليهم فكشفوهم عنه، واقتطع أهل الشام رجلاً منهم فذهب ذلك الرجل حتى دخل على عبدالله بن عوف بن الأحمر، فأسروه وذهبوا به إلى يوسف بن عمر فقتله، وأقبل زيد بن علي على نصر، فقال : يا نصر بن خزيمة أتخاف على أهل الكوفة أن يكونوا فعلوها حسينية؟ قال: جعلني الله فداك أما أنا فوالله لأضربن بسيفي هذا معك حتى أموت، ثم خرج بهم زيد بن علي عليهما السلام يقودهم نحو المسجد فخرج إليه عبيدالله بن العباس الكندي في أهل الشام فالتقوا على باب عمر بن سعد، فانهزم عبيدالله بن العباس وأصحابه حتى انتهوا إلى باب الفيل، وجعل أصحاب زيد يدخلون راياتهم من فوق الأبواب، ويقولون : يا أهل المسجد اخرجوا، وجعل نصر بن خزيمة يناديهم : يا أهل الكوفة اخرجوا

---

(١) في (ج) : انتهى.

(٢) في (أ) : ودخل.

من الذل إلى العز، وإلى الدين والدنيا، قال : وجعل أهل الشام يرمونهم من فوق المسجد بالحجارة، وكانت يومئذ مناوشة بالكوفة ونواحيها، وقيل: في جبانة سالم.

وبعث يوسفُ بنُ عمر الريانَ بن سلمة في خيل إلى دار الرزق فقاتلوا زيداً قتالاً شديداً، وجرح من أهل الشام جرحى كثير، وشلهم أصحاب زيد من دار الرزق حتى انتهوا إلى المسجد الأعظم، فرجع أهل الشام مسآء يوم الأربعاء وهم أسوأ شيء ظنّاً.

فلما كان غداة يوم الخميس دعا يوسف بن عمر الريان بن سلمة فأفَّفَ به فقال له: أف لك من صاحب خيل، ودعا العباس بن سعد المزني صاحب شرطته فبعثه إلى أهل الشام، فسار بهم حتى انتهوا إلى زيد بن علي عليه السلام في دار الرزق، وخرج إليه زيد بن علي وعلى ميمنته نصر بن خزيمة ومعاوية بن إسحاق، فلما رآهم العباس نادى: يا أهل الشام(الأرض) فنزل ناس كثير واقتتلوا قتالاً شديداً في المعركة، وكان من أهل الشام رجل من بني عبس يقال له: نائل بن فروة قال ليوسف : والله لئن ملأت عيني من نصر بن خزيمة لأقتلنه أو ليقتلني، فقال له يوسف: خذ هذا السيف فدفع إليه سيفًا لا يمر بشيء إلا قطعه، قال: فلما التقى أصحاب العباس بن سعد وأصحاب زيد أبصر نائلٌ نصرَ بن خزيمة فضربه فقطع فخذه، وضربه نصر فقتله، ومات نصر رحمه الله .

ثم إن زيداً عليه السلام هزمهم، وانصرفوا يومئذ بشر حال، ولما كان العشي عبّأهم يوسف، ثم سرّحهم نحو زيد، فأقبلوا حتى التقوا فحمل عليهم زيد عليه السلام، فكشفهم ثم تبعهم حتى أخرجهم إلى السبخة ثم شد عليهم حتى أخرجهم من بني سليم، ثم أخذوا على المسنّات، ثم ظهر بهم زيد عليه السلام فيما بين بارق وبني رواس وقاتلهم قتالاً شديداً، وصاحب لوآئه رجل من بني سعد بن بكر يقال له: عبدالصمد. قال سعيد بن خثيم فكنا مع زيد بن علي في خمسمائة، وأهل الشام

اثنا عشر ألفًا، وقد كان بايع زيدًا عليه السلام أكثر من اثني عشر ألفًا فغدروا به - إذ فصَلَ رجل من أهل الشام من كلب على فرس له رائع فلم يألُ شتمًا لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، فجعل زيد عليه السلام يبكي حتى لثقت لحيته، وجعل يقول: أما أحدٌ يغضب لفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله أما أحد يغضب لرسول الله صلى الله عليه وآله، أما أحد يغضب لله تعالى، قال: ثم تحول الشامي عن فرسه فركب بغلة، قال: وكان الناس فرقتين[1] نظارة ومقاتلة، قال سعيد: فجئت إلى مولى لي فأخذت منه مشتملاً كان معي، ثم استترت من خلف نظارة حتى إذا صرت من ورآئه ضربت عنقه، وأنا مستمكن منه للمشمل فوقع رأسه بين يدي بغلته، ثم رميت جيفته من السرج، وشد أصحابه عليَّ حتى كادوا يرهقوني فكبّر[2] أصحاب زيد، وحملوا عليهم فاستنقذوني، فأتيت زيدًا عليه السلام وجعل يقبل بين عيني، ويقول: أدركت والله ثأرنا، أدركت والله شرف الدنيا والآخرة وذخرهما، اذهب بالبغلة فقد نفلتكها، قال: وجَعَلَتْ خيل الشام لا تثبت لخيل زيد عليه السلام فبعث العباس بن سعد إلى يوسف يعلمه ما يلقى من الزيدية ويسأله أن يبعث إليه بالناشبة، فبعث إليه سليمان بن كيسان في القيقانية وهم بخارية، وكانوا رماة فجعلوا يرمون أصحاب زيد، وقاتل معاوية بن إسحاق الأنصاري يومئذ قتالاً شديدًا فقتل بين يدي زيد عليه السلام وثبت زيد في أصحابه حتى إذا كان عند جنح الليل رُمِي زيد بسهم فأصاب جبهته اليسرى فنزا السهم في الدماغ، فرجع ورجع أصحابه ولا نظن أهل الشام رجعوا إلا للمساء والليل.

أولاده عليه السلام :

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام[3] يحيى بن زيد، أمه: رايطة، ويقال: ريطة بنت

---

(١) في (أ): فريقين.

(٢) في (ج): فكثر.

(٣) الافادة ٤٨.

أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية لا عقب له، وعيسى، ومحمد، والحسين، أمهم واحدة وهي: أم ولد أعقب هؤلآء الثلاثة من ولده عليه السلام.

مقتله ومبلغ عمره عليه السلام[1]:

رماه داود بن كيسان من أصحاب يوسف بن عمر بنشابة فأصاب جبينه، فأمر للطبيب فعرفه أنه إن نزعها مات من ساعته، فقال عليه السلام: الموت أهون عليَّ مما أنا فيه، فعهد عليه السلام عهده وأوصى وصيته، وكان من وصيته إلى ابنه يحيى عليه السلام أن قال: يا بني جاهدهم فوالله إنك لعلى الحق وإنهم لعلى الباطل، وإن قتلاك لفي الجنة وإن قتلاهم لفي النار، ثم نُزعت النشابة منه فقضى من حينه سلام الله عليه، وكان ذلك في عشية الجمعة لخمس بقين من المحرم سنة اثنتين وعشرين ومائة على أصح الروايات، وقيل: بسنة إحدى وعشرين، وهو الذي ذكره العقيقي، حكى ذلك كله السيد أبو طالب عليه السلام[2].

فلما توفي عليه السلام اختلف أصحابه في دفنه، ثم اتفقوا على أن عدلوا نهراً عن مجراه، ثم حفروا له ودفنوه وأجروا المآء على ذلك الموضع، وكان معهم في تلك الحال غلام سندي، فلما أصبح نادى منادي يوسف بن عمر من دلَّ على قبر زيد ابن علي كان له من المال كذا وكذا، فدلهم عليه ذلك الغلام فاستخرجوه عليه السلام من قبره ثم احتزوا رأسه فوجهوا به إلى هشام بن عبدالملك وصلبوا جثته بالكناسة.

وكان له في صلبه من الكرامات ما يدل على علو منزلته عند الله عز وجل فمن ذلك ما رُوي أن العنكبوت كانت تنسج على عورته ليلاً، فكانوا لعنهم الله إذا أصبحوا يهتكون نسجها بالرماح. ومنها أن امرأةً مؤمنة مرّت فطرحت عليه خمارها فالتاث بمشيئة الله عز وجل فصعدوا فحلوه، فاسترخت سرته حتى غطت

---

(1) الإفادة ٤٩.

(2) الإفادة ص٦٥.

عورته، ومرَّ به رجل فأشار إليه بأصبعه وهو يقول : هذا الفاسق ابن الفاسق فغابت إصبعه في كفه. ومنها ما روي أن طائرين أبيضين جآءا فوقع أحدهما على قصر والثاني على قصر آخر، فقال أحدهما للآخر :

تنعى زيداً أو أنعاه ❖ قاتل زيد لا نجاه

فأجابه الآخر : يا ويحه باع آخرته بدنياه. وروي أن رجلين من بني ضبة أقبلا ويد كل واحد في يد صاحبه حتى قاما بحذاء خشبة زيد بن علي عليهما السلام، فضرب أحدهما بيده على الخشبة وهو يقول : ﴿إِنَّمَا جَزَآءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوا مِنَ الأَرْضِ﴾[المائدة: ٣٣]. قال : فذهب ليحني يده فانتثرت بالأكلة، ووقع شقه فمات إلى النار.

ولما وجه برأس زيد بن علي عليهما السلام إلى هشام بن عبدالملك بعث به إلى مدينة الرسول ﷺ إلى إبراهيم بن هاشم المخزومي، فنصب رأسه فتكلم أناس من أهل المدينة وقالوا لإبراهيم: لا تنصب رأسه فأبى، وضجت المدينة بالبكاء من دور بني هاشم كيوم الحسين عليه السلام فلما نظر كثير بن كثير بن المطلب السهمي إلى رأس زيد بن علي عليهما السلام بكى وقال : نضر الله وجهك أبا الحسين وفعل بقاتلك، فبلغ ذلك إبراهيم بن هشام، وكانت أم المطلب أروى بنت الحارث بن عبدالمطلب، وكان كثير الميل إلى بني هاشم، فقال له إبراهيم بلغني عنك كذا وكذا فقال: هو ما بلغك، فحبسه وكتب إلى هشام فقال وهو محبوس :

إن امرءاً كانت مساويَهُ	حبُّ النبي لَغَيْرُ ذي ذنب
وكذا بني حسن فوالدهم	من طاب في الأرحام والصلب
ويرون ذَنْبًا أن أحببتم	بل حبكم كفارة الذنب

فكتب فيه إبراهيم إلى هشام فكتب إليه هشام : أن أقمه على المنبر حتى يلعن

عليًّا وزيدًا فإن فعل وإلا فاضربه مائة سوط على مائة، فأمره أن يلعن عليًا فصعد المنبر فقال:

لعن الله من يسب عليًّا	وبنيه من سوقة وإمام
تأمن الطير والحمام ولا يأ	من آل النبي عند المقام
طبت بيتًا وطاب أهلك أهلاً	أهل بيت النبي والإسلام
مرحبًا بالمطيبين من النا	س وأهل الإحلال والإحرام
رحمة الله والسلام عليكم	كلما قام قائم بسلام

وروينا عن عيسى بن سوادة قال: كنت بالمدينة عند القبر عند رأس النبي ﷺ وقد جيء برأس زيد بن علي عليهما السلام في رهط من أصحابه فنصب في مؤخر المسجد على الرمح ونودي في أهل المدينة: برئت الذمة من رجل بلغ الحلم لم يحضر المسجد، فحشر الناس الغرباء وغيرهم، فلبثنا سبعة أيام يخرج الوالي محمد بن هشام المخزومي فيقوم الخطباء الذين قاموا بالرؤس فيخطبون فيلعنون عليًا والحسين وزيدًا وأشياعهم، فإذا فرغ قام القبائل عربيهم وعجميهم وكان بنوعثمان أول من قام فيلعنون، ثم بطون قريش والأنصار وسائر الناس حتى إذا صلى الظهر انصرف ثم عاد في الغد مثلها سبعة أيام، فقام رجل من قريش في بعض تلك الأيام وهو محمد بن صفوان الجمحي وهو أبو هذا القاضي قاضي أبي جعفر فقال له محمد بن هشام: اقعد، ثم عاد فقام من غير أن يدعى، فقال له محمد بن هشام: اقعد، فقال: إن هذا مقام لا يقدر عليه كل ساعة، قال: فتكلم، فأخذ في خطبته، ثم تناول يلعن عليًا ﷺ وأهل بيته والحسين بن علي وزيد بن علي عليهم جميعًا السلام ومن كان يحبهم، فبينا هو إذ وضع يده على رأسه، ووقع على الأرض، فظننت أن خطبته قد انقضت فلم أعلم حتى إذا كان من الليل انتشر خبره، فرماه الله عز وجل في رأسه بصداع لا يتمالك من الصداع حتى ذهب بصره في تلك الساعة، وكان رجل مستند إلى القبر فضرب بيده إليَّ

فزعًا! قلت: ما رأيت[1]؟ قال: رأيت القبر انشق فخرج منه رجل عليه ثياب بيض فاستقبل المنبر فقال: كذبت لعنك الله.

وعن شبيب بن غرقد قال: قدمنا حجاجًا من مكة فدخلنا الكناسة ليلاً، فلما أن كنَّا بالقرب من خشبة زيد[بن علي عليهما السلام أضاء لنا الليل، فلم نزل نسير قريبًا من خشبته فنفحت][2] رائحة المسك قال: فقلت لصاحبي: هكذا توجد رائحة المصلبين؟! قال: فهتف بي هاتف وهو يقول: هكذا توجد رائحة أولاد النبيين الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

وروينا عن حفص بن عاصم السلولي قال: حدثنا أحمد بن إسماعيل بن اليسع العامري، وكان في دار اللؤلؤ قال: رأيت عرزمة أخا كناسة الأسدي، وكان من أبهى الرجال وأحسنهم عينًا، وكان في كل يوم ينطلق إلى الكناسة فيقعد عند الذين يحرسون خشبة زيد بن علي عليهما السلام، وكان هناك مجمع الأسديين فكان يلتقط في طريقه سبع حصيات، ثم يجئ فيجلس في القوم، ثم يقول: هاكم في عينه فيخذف زيد بن علي عليهما السلام بتلك السبع الحصيات[3] في كل يوم، قال إسماعيل بن اليسع: فوالذي لا إله غيره ما مات حتى رأيت عينيه مرفودتين كأنهما زجاجتان خضراوان.

ثم أقام زيد بن علي عليهما السلام مصلوبًا على الخشبة سنة وأشهرا، وقيل: أيامًا وقيل: سنتين، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[4].

وروينا من طريق المرشد بالله عليه السلام يرفعه إلى رجاله: أنه مكث مصلوبًا إلى أيام الوليد بن يزيد، فلما ظهر يحيى بن زيد كتب الوليد إلى يوسف أما بعد:

فإذا أتاك كتابي هذا فانظر عجل أهل العراق فاحرقه وانسفه في اليم نسفًا،

---

(١) في (أ): سقط: قلت: ما رأيت؟ قال: رأيت انشق القمر.

(٢) ما بين الحاصرتين ساقط في (أ).

(٣) في (ج): السبع حصيات، في (أ): بتلك الحصيات.

(٤) الإفادة ص٦٦.

فأمر به يوسف عند ذلك: خراش بن حوشب فأنزله من جذعه فأحرقه بالنار، ثم جعله في قواصر، ثم حمله في سفينة، ثم ذراه في الفرات، سلام الله عليه وعلى آبائه الطاهرين. ورَوت الشيعة أن رماده اجتمع في الفرات حتى صار مثل هالة القمر يضيء ضياء شديداً وموضع ذلك معروف يستشفى به.

وكان هشام لعنه الله لما أُتي إليه برأسه ألقاه بين الدجاج، فقال بعض أهل الشام: اطردوا الديك عن ذؤابة زيد، فلقد كان لا تطأه الدجاج، وافتخر شاعر بني أمية بقتله وصلبه فقال:

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة ... ولم نر مهدياً على الجذع يصلب

ولقد مكن الله تعالى وزير آل محمد أبا حفص الخلاَّل السبيعي من صلب هشام بن عبدالملك وضربه وتحريقه، وذلك أنه لما مات طَلَوْه بالصبر لئلا يبلى، فوجدته الشيعة لما نبشته مثلما دفن، فقال بعض شعراء أهل العصر في كلمة يمدح فيها الإمام المنصور بالله عليه السلام:

وكم صون جسم كان فيه هلاكه ... كما ضُرُّ بالتَّصْبيرِ جِسمُ هشام

ولأبي ثميلة الأنباري يرثي زيد بن علي عليهما السلام:

يا أبا الحسين أعار فقدك لوعة ... من يلق مالاقيت منها يكمد

فعر[1] السهاد[2] ولو سواك رمت به ... الأقدار حيث رمت به لم يَشهد

فصعرت[3] بعدك كالسليم وتارة ... أحكى إذا أمسيت فعل الأرمد

ونقول: لا تبعد، وبعدك داؤنا ... وكذاك من يلقى المنية يبعد

كنت المؤمل للعظائم والنهى ... ترجى لأمر الأمة المتأود[4]

فقتلت حين نضلت كل مناضل ... وصعدت في العلياء كل مُصَعَّد

---

(١) في المقاتل: فغدا.

(٢) السهاد: نقيض الرقاد. لسان العرب ٣/ ٢٢٤.

(٣) في (ج): فعثرت.

(٤) أن تأوده: الأمر تؤده، وتأداه: أي ثقل عليه. تاج العروس ٤/ ٣٣٩.

وطلبت غـاية سـابقين فنلتـهـا | بالله في سَنَن كـــريم المورد
وأبى إلهُك أن تموت ولم تَسـر | فيهم بسيرة صادق مستنجد
والقتل في ذات الإله سجيةٌ | منكم وأخذٌ بالفعال الأمجد
وَالوَحْشُ آمنةٌ وآلُ محمد | من بين مقتول وبين مطرد
نُصبًا إذا ألقى الظلام ستوره | رقد الحمام، وليله لم يرقد
يا ليت شعري والخطوب كثيرة | أسباب موردها وما لم تورد
ما حجة المستبشرين بقتله | بالأمس أو ما عذر أهل المسجد[1]

وروى السيد المرشد بالله أبو الحسين يحيى بن الحسين الجرجاني الحسيني عليه السلام للفضل بن عبدالرحمن بن العباس يرثي زيد بن علي عليهما السلام:

ألا يا عين فاحتفلي وجودي | بدمعك ليس ذا حين الجمود
ولا حين التجلُّد فاستهلي | وكيف بقآء دمعك بعد زَيْد
أبعد ابن النبي أبي حسين | صليب بالكناسة فوق عود
يظل على عمودهم ويُمسي | بنفسي أعظمًا فوق العمود
تعدى الكافر الجبار فيه | فأخرجه من القبر اللحيد
فظلوا ينبشون أبا حسين | خضيبًا بينهم بدم جسيد
فطال تلعبهم عتوا | وما قدروا على الروح الصعيد
فجاور في الجنان بني أبيه | وأجدادًا هم خير الجدود
وكائن من أب لأبي حسين | من الشهدآء أو عم شهيد
ومن أبنآء أعمام سيلقى | هُمُ أولى به عند الورود
ورود الحوض يوم يذب عنه | فيمنعه من الطاغي الجحود
ويصرف حزبه معه جميعًا | ظمآء يبعثون إلى الصديد
دعاه معشرٌ نكثوا أباه | حسينًا بعد توكيد العهود

---

(١) مقاتل الطالبين ١٥٠.

فسار إليهم حتى أتاهم | فما التفتوا على تلك العقود
وغرُّوه كما غروا أباه | وكانوا فيهما شبه اليهود
كما هلكوا به من أمر عيسى | وأصحاب العقيرة من ثمود
فكيف تضن بالعبرات عيني | وتطمع في الغموض مع الرقود
ألا لا غمض في عيني ولما | تسير الخيل تضبح بالأسود[1]
بجمع في قبائل من معد | وقحطان كتائب في الحديد
كتائب كلما أفنت قتيلاً | تنادت أنْ على الأعداء عودي
بأيديهم صفائح مرهفات | صوارم أخلصت من عهد هود
بها نشفى النفوس إذا التقينا | ونقتل كل جبار عنيد
ونقضي حاجة في آل حرب | وفي آل الدَّعي بني عبيد
عبيد بني علاج قتلونا | بأمر الفاسق الطاغي يزيد
ونحكم في بني حَكَمِ المواضي | ونجعلهم بها مثل الحصيد
ونقتل في بني مروان حتى | تبيدهم الأسود بنو الأسود
وننزل بالمعيطيين حرباً | عمارة فيهم وبني الوليد
ونترك آل قنطوراً هشيماً | بني الرومي أولاد العبيد
ونتركهم ببغيهم علينا | وهم من بين قتلى أو شريد
فإن تمكن صروف الدهر منكم | وما يأتي من الملك الجديد
نحاربكم بما أبليتمونا[2] | قصاصاً أو نزيد على المزيد
ونترككم بأرض الشام صرعى | كأمثال الذبائح يوم عيد
تنوبهم خوامعها[3] وطلس[4] | وكل الطير من بُقْع وسود
ونقتل حزبهم من كل حي | ونسقيهم أمرَّ من الهبيد[5]

(١) تضبح: أي تنحم، وهو أصوات أنفاسها إذا عدون، وقيل: هو السير. لسان العرب ٢/ ٥٢٣.

(٢) في (ج): أنكثتمونا.

(٣) الخوامع: الضباع اسم لازم لها لأنها تجمع: خماعاً وخمعاناً وخموعاً. لسان العرب ٨/ ٧٩.

(٤) الطلس: جمع أطلس، وهو الذئب الذي في لونه غبرة.

(٥) الهبيد: الحنظل. لسان العرب ٣/ ٤٣١.

أثقلتنا وتحبسنا عقوقًا ... وتجعلنا أمية في القيود
وتطمع في مودتنا ألا لا ... فما منَّا أمية من ودود
وقالوا : لا نصدقهم بقول ... وما قبلوا النصيحة من رشيد
وساوى بعضهم فيه لبعض ... فريق القوم في ذات الوقود
فنحن كمن مضى منا وأنتم ... كشيعتكم من أصحاب الخدود
فقد منع الرقاد مصاب زيدٍ ... وأذهب فقده طعم الهجود[1]
فقد لهجوا بقتل بني عليٍّ ... ولجوا في ضلالهم البعيد
وكائن من شهيد يوم ذاكم ... عليه يا أمية من شهود
من انفسكم إذا نطقت بحق ... من الأسماع منكم والجلود
ولَست بآيسٍ من أن تصيروا ... خنازيراً وفي صُوَرِ القرود[2]

وللصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد نفعه الله بصالح عمله :

بدا من الشيب في رأسي تفاريق ... وحان للهو تمحيض وتطليقُ
هذا فلا لهو مع همّ يعوقني ... بيوم زيد وبعض الهمِّ تعويقُ
لمَّا رأى أن حق الدين مطرح ... وقد تقسمه نهب وتمحيقُ
وأن أمر هشام في تفرعنه ... يزداد شراً وأن الرجس زنديقُ
قام الإمام بحق الله تنهضه ... محبة الدين إن الدين مومُوقُ
يدعو إلى ما دعا أباؤه زمنًا ... إليه وهو بعين الله مرموقُ
لما تردت حراراتي عليه ولم ... فليس يعسره في الخلق مخلوق[3]
ابن النبي نعم وابن الوصي نَعَمْ ... وابن الشهيد نعم والقول تحقيق
لم يشفهم قتله حتى تعاوره ... قتلٌ وصلبٌ وإحراقٌ وتغريقُ

❖❖❖

(١) الهجود المصلى بالليل . لسان العرب ٣/٤٣١ .

(٢) مقاتل الطالبين ١٤٩ .

(٣) في (أ) : ساقط هذا البيت .

الإمام يحيى بن زيد عليهما السلام[1]

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو طالب يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، وأمه: ريطة بنت عبدالله بن محمد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام كتب يوسف بن عمر إلى عامله نصر بن سيّار على خراسان يطلبه، فذكر له حليته، وقال: (هو قطط الشَّعَر، حسن اللحية حين استوت لحيته) وكان عليه السلام مثل أبيه صلوات الله عليه في الشجاعة وقوة القلب في مبارزة الأبطال، وله مقامات مشهورة بخراسان أيام ظهوره بها في حروبه من قتل الشجعان الذين بارزوه والنكاية على الأعدآء الذين قاتلوه[2].

مدة ظهوره عليه السلام وذكر بيعته:

لما استشهد أبوه عليه السلام خرج من الكوفة متنكراً مستتراً مع نفر من أصحابه، فدخل خراسان، وانتهى إلى (بلخ) ونزل على الحريش بن عبدالرحمن الشيباني. وكتب يوسف بن عمر يطلبه إلى نصر بن سيار فكتب نصر إلى عامله عقيل بن معقل الليثي عامله على بلخ يطلبه، فذكر له أنه في دار الحريش، فطالبه بتسليمه منه، فأنكر أن يكون عارفًا بمكانه، فضُرِبَ ستمائة سوط فلم يعترف، فقال: والله لا أرفع الضرب عنك إلا أن تسلمه أو تموت، فقال له حريش رحمه الله: **(والله لو كان تحت قدمي هاتين ما رفعتهما، فاصنع ما بدا لك)**!! فلما خشي ابن

---

(١) الافادة ٥١، ومقاتل الطالبين ١٥٢، ومروج الذهب ٢/ ١٣٣، وتاريخ الطبري ٢٩٩١٨، والكامل لابن الاثير ٥/ ٩٩، وطبقات ابن سعد ٢٣٩، والأعلام ٨/ ١٤٦، والبداية والنهاية ١٠/ ٥، وجمهرة أنساب العرب ٢٠١، وابن خلدون ٣/ ١٠٤، وتاريخ الإسلام ٥/ ١٨١، والفتوح لابن أعثم ٨/ ١٢٨، والفلك الدوار ٢٦، وأنساب العرب الاشراف ٢٦١، وعمدة الطالب ٢٨٩، والزيدية لمحمود صبحي ص٧٢.

(٢) الإفادة ٥١.

الحريش على أبيه دس إليه بأنه يدل عليه إن أفرج عن أبيه، فدل عليه، وأخذ وحمله إلى نصر بن سيار فقيّدَه وحبَسَه، وكتب بخبره إلى يوسف بن عمر، فكتب يوسف إلى الوليد بن يزيد بذلك، فكتب إليه الوليد يأمره بالإفراج عنه، وترك التعرض له ولأصحابه، فكتب يوسف إلى نصر بما أمره به، فدعاه نصر وحلَّ قيده، فقال له: لا تثر الفتنة فقال له عليه السلام: وهل فتنة في أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أعظم من فتنتكم التي أنتم فيها من سفك الدمآء والشروع فيما لستم له بأهل، فسكت نصر وخلى سبيله، فخرج من عنده وجآء إلى (بيهق) وأظهر الدعوة هناك وبايعه فيها سبعون رجلاً واجتمع إليه نفر، فكتب نصر إلى عمرو بن زرارة بقتاله، وكتب إلى قيس بن عباد عامل(سرخس)، وإلى الحسن بن زيد عامل (طوس) بالانضمام إليه، فاجتمعوا وبلغ القوم زُهاء عشرة آلآف، وخرج يحيى بن زيد عليهما السلام فقاتلهم وهزمهم، وقتل عمرو بن زرارة واستباح عسكره وأصاب منهم دوابَّ كثيرة[1].

وروي عن بعض أصحاب يحيى عليه السلام قال: كنّا مع يحيى بن زيد عليهما السلام والرضوان بخراسان قال: فقدمنا سبعون أو ثمانون رجلاً يوم لقي عمرو ابن زرارة قال: وكان لقيه بخراسان في مقدمته ونحن سبعة عشر فارسًا أو ثمانية عشر قال: فلقينا عمرو بن زرارة في أربعة آلآف أو خمسة آلآف قال: فتلقانا حرب بن محربة أو نصر بن حرب، قال: فكأني أنظر إلى شيخ ضخم قد جآء براية فركزها، ثم نادى: يا أيها الناس، إن فريق عمرو بن زرارة يدعوكم إلى الأمان، وهذه راية الأمان فمن جآءه فهو آمن، قال: فكنت في آخرهم فأضرط[2] به الذي كان بين أيدينا قال: فوالله ما أعلم إلا أني قد سمعتها، قال: ثم لحقنا يحيى بن زيد عليهما السلام، وأرسل إلى عمرو بن زرارة: انصرف عني فإني لست أريدك ولا أريد شيئًا من عملك، وإنما أريد بلخ وناحيتها، ولا أريد (مرو) فتنح

---

(١)أنظر المصابيح ٤١٥-٤١٨، ومقاتل الطالبين ١٥٤.

(٢)وأضرط به: عمل بغية الضراط وهزئ به. القاموس ٨٧٢.

عني، قال: فقال عمرو بن زرارة: والله لا يكون ذلك أبداً إلا أن تعطني بيدك وتدخل في الأمان وإلا قاتلتك، قال: فكأني أنظر إلى يحيى بن زيد عليهما السلام، وأسمع صوته من خلفي وهو ينادي الجنة الجنة يا معشر المسلمين، الحقوا بسلفكم الشهدآء المرزوقين رحمكم الله، قال: ثم حمل عليهم حملة رجل واحد فانكشفوا، قال: واستقبلنا عمرو بن زرارة يصيح بأصحابه، قال: فما كانت إلا إياها حتى قتل عمرو بن زرارة، وانكشف أصحابه وأخذوا الطريق حتى أتى يحيى ابن زيد عليهما السلام (الجوزجان)، قال: ثم لحق بعد قوم من الزيدية بيحيى بن زيد عليه السلام قال: وكانوا قريباً من خمسين ومائة رجل، ونزل عليه السلام قرية من قرى الجوزجان يقال لها: (أرعوى) ولحق به جماعة من عساكر خراسان وبايعوه، وبقي أمره مديدة يسيرة[1].

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني رحمة الله عليه بإسناده إلى يعقوب بن عدي، قال: خرج رجل من أهل الشام فدعا إلى البراز فخرج إليه رجل من أصحاب يحيى فقتله، ثم خرج إليه آخر فقتله، ثم خرج إليه يحيى فقال: يابن اللخناء إنك لشديد المجاحشة عن سلطان بني أمية، فضربه يحيى فقتله.

وروى بإسناده أيضًا عن بعضهم قال: رأيت يحيى بن زيد عليهما السلام حمل على رجل من أهل الشام فضربه على فخذه فقطع درعه وفخذه البتة[2] حتى وصل إلى جنب الدابة. وكان من كلامه عليه السلام لأصحابه في بعض مواقفه أن قال: يا عباد الله، إن الأجل محضره الموت، وإن الموت طالب حثيث لا يفوته الهارب، ولا يعجزه المقيم، فاقدموا رحمكم الله إلى عدوكم، والحقوا بسلفكم الجنة الجنة، أقدموا ولا تتكلوا، فإنه لا شرف أشرف من الشهادة، فإن أشرف الموت قتيل في سبيل الجنة، فَلْتَقَرّ بالشهادة أعينكم، وَلْتنشرح للقآء الله

---

(١) المصابيح ٤١٨-٤١٩، ومقاتل الطالبين ١٥٧.

(٢) في (ج): مصحفة: إليه، والصواب: ما أثبتناه كما في هامش (ج).

صدوركم. قال الراوي: ثم نهد، فكان والله أرغب أصحابه في القتل في سبيل الله جل ثناؤه[1]. ومن شعره عليه السلام:

خليليَّ عنّا بالمدينة بلغا ... بني هاشم أهل النهى والتجارب

فحتى متى مروان يقتل منكم ... سراتكم والدهر فيه العجائب

لكل قتيل معشرٌ يطلبونه ... وليس لزيدٍ في العراقين طالب[2]

وقال عليه السلام يخاطب نفسه:

يا ابن زيد أليس قد قال زيد: ... من أحب الحياة عاش ذليلاً؟

كن كزيد فأنت مهجة زيد ... تتخذ في الجنان ظلا ظليلاً[3]

أراد عليه السلام بقوله: أليس قد قال زيد: ما روي أن زيد بن علي عليهما السلام قال: لما خرج من عند هشام بن عبدالملك «من أحب البقاء استدثر الذل إلى الفناء».

أولاده عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام: الذي أجمع عليه أصحاب الأنساب من الطالبيين وغيرهم أنه وَلَدَ: أم الحسن، وهي حسنة، وأمها: محبّة بنت عمر بن علي بن الحسين، وقال غيرهم: له أحمد، والحسن، والحسين، درجوا وهم صغار[4]، وأم الحسين درجت صغيرة، وأجمعوا على أن لابقية ليحيى عليه السلام وأن ولده انقرضوا[5].

ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام:

اجتمع على حربه عليه السلام الجيوش الذين أنفذهم نصر بن سيار بالجوزجان، فقاتلهم عليه السلام ثلاثة أيام بلياليها أشد قتال، حتى قُتِل أصحابه وأتته نشابة

---

(١) المصابيح ٤٢١.

(٢) الإفادة ٥٣.

(٣) الإفادة ٥٣.

(٤) في (أ): درجوا صغاراً.

(٥) الإفادة للسيد أبي طالب ٥٣.

في جبهته، رماه رجل من موالي عنزة يقال له: عيسى، ووجده سورة بن محمد الكندي، فحزَّ رأسه وحمل رأسه إلى مروان الحمار[1].

وكان قتله في شهر رمضان عشية الجمعة بعد الصلاة سنة ست وعشرين ومائة، وقيل: سنة خمس، وصلب بدنه على باب مدينة الجوزجان[2].

وكان له يوم قتل ثمان وعشرون سنة، وعرض عليه أن يتزوج فكان يقول: هيهات وأبو الحسين مصلوب بكناسة الكوفة ولم أطلب بثأره، ولم يزل مصلوبًا إلى أن ظهر أبو مسلم الخراساني[3]، فأنزله وغسّله وكفّنه، ودُفِن (بأنبير) ومشهده معروف بالجوزجان مزور.

وتتبع أبو مسلم قتلته فقيل له: إن أردت ذلك فعليك بالديوان فدعى أبو مسلم بالجرائد، فنظر من شهد قتل يحيى عليه السلام، فلم يدع أحدًا منهم إلا قتله، وأخذ الرجلين اللذين رماه أحدهما وأخذ الآخر رأسه، فقطع أيديهما وأرجلهما وصلبهما وأمر بتسويد الثياب، وأن يناح عليه سبعة أيام، وروي أن في تلك السنة لم يولد مولود ذكر في خراسان إلا سمي بيحيى إعظامًا له عليه السلام. ذكر ذلك كله السيد أبو طالب عليه السلام[4].

وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام أن قاتل يحيى عليه السلام كان قد رأى في منامه قبل قتله ليحيى عليه السلام: أنه رمى نبيًا فقتله، فلما أصبح أخبر من أخبر بذلك من أصحابه، ثم غل يده إلى عنقه، وأقام كذلك مدة من الزمان حتى خرج يحيى عليه السلام، واجتمعت الجنود الظالمة لحربه، فقال له بعضهم: قد قام هذا الخارجي ولا غناء لنا عن رميك فاخرج معنا فإذا انقضت الحرب عدت لحالك، فخرج فكان هو القاتل ليحيى بن زيد عليهما السلام.

---

(١) المصابيح ٤٢٢ ومقاتل الطالبين ١٥٨.

(٢) أنظر المصابيح ٤٢٢، والإفادة ٥٤.

(٣) في (ج): بخراسان.

(٤) الإفادة ص٥٤.

الإمام محمد بن عبدالله النفس الزكية عليه السلام[1]

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو القاسم محمد بن عبدالله الكامل بن الحسن الرضى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان أبوه عبدالله يسمى: الكامل، كان يقال: مَنْ أجمل الناس؟ من أفضل الناس؟ من كذا؟ من كذا؟ فيقال: عبدالله بن الحسن فسُمِّي الكامل لذلك.

وروي أنه صلى الفجر بوضوء المغرب والعشاء الآخرة ستين سنة، فإذا كان آخر الليل سجد سجدة يقول فيها: سبحانك لم أعبدك حق عبادتك، غير أني لم أشرك بك شيئًا. وأما الحسن الرضى فقد كان من أفاضل العترة عليهم السلام، وكان قد قام للجهاد في سبيل الله، وجرت بينه وبين الحجاج وقعات كثيرة كان في أكثرها له عليه السلام الظفر على ما تقدم ذكره. وأما الحسن السبط فهو سيد شباب أهل الجنة. وأما أمير المؤمنين عليه السلام فناهيك به شرفًا وفضلاً وهو سيد العرب كما تقدم.

أولئك قومٌ بارك الله فيهم   فما ضاعهم من مجدهم بطفيف

ولله القائل:

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم   دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وكان عليه السلام يسمَّى المهدي، ويسمى صريح قريش؛ لأنه لم يكن في آبائه من أمه أم ولد إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وكذلك جداته من قبل أمه، وكان يسمى: النفس الزكية؛ لورود الأثر أن النفس الزكية يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت، وقدكان كذلك عليه السلام.

---

(١) الإفادة ٥٥، ومقاتل الطالبين ٢٣٢، والشافي ١٩٢، وطبقات الزيدية «خ» وتهذيب التهذيب ٩/ ٢٥٢، وتاريخ الإسلام للذهبي ٦/ ١٢١، وشذرات الذهب ١/ ٢١٣، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٠، والأعلام ٢٢٠، وطبقات ابن سعد ٥/ ٤٣٨، والمصابيح ٤٢٤، وشرح النهج لابن ابي الحديد ١/ ٣٢٣، ومروج الذهب ٢/ ١٦٩، والبداية والنهاية ١٠/ ٨٢، وأخبار فخ فهارس ٣٧١، وابن خلدون ٣/ ١٩٠، وجمهرة الأنساب ٤٠.

وأمه: هند بنت أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبدالعزى بن قصي، وحملت به أمه عليه السلام أربع سنين، قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وولد في سنة مائة في بعض الروايات، قال وروي غير ذلك.

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام آدم[2] شديد الأُدْمَة، قد خالطه الشيب في عارضيه، وكانت له شامة في كتفه تشبه شامة رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام وفيه يقول الشاعر:

إن الذي تروي الرواة لبينٌ ... إذا ما ابن عبدالله فيهم تجردا

له خاتم لم يعطه الله غيره ... وفيه علامات من البر والهدى

قال السيد أبو طالب عليه السلام: وكان شجاعًا فارسًا خطيبًا بارعًا في الخطبة على تمتمة كانت تعتريه إذا تكلم، فإذا عرضت له ضرب بيده صدره فينفتح لسانه، وهو أول من ظهر من آل رسول الله صلى الله عليه وآله فخوطب بأمير المؤمنين، وبعده محمد بن جعفر بن محمد عليهم السلام[3].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام غزير العلم، وافر الفهم، قد سمع من أبآئه عليهم السلام الحديث، وسمع من نافع وابن طاووس، وله كتاب «السير» المشهور، قال السيد أبو طالب عليه السلام: وسمعت جماعة من فقهاء أصحاب أبي حنيفة وغيرهم يقولون: إن محمد بن الحسن نقل أكثر مسائل السير من هذا الكتاب، وفيه من غرائب الفقه ما يدل على علو منزلته، ويكشف عن عالي مرتبته.

---

(١) الإفادة ص٧٣.

(٢) في (أ): ساقطة: آدم. والأدمة: في الناس شربة من سواد. لسان العرب ١٢/ ١١.

(٣) الإفادة ٥٥.

وروى الشيخ أبو الفرج : في مقاتل الطالبية[1] بأسانيده عن عيسى بن زيد عليهما السلام ، قال : لو أنزل الله سبحانه على محمد ﷺ : أنه باعث نبيًا بعده لكان ذلك النبي محمد بن عبدالله بن الحسن .

فهذا كلام عيسى بن زيد عليهما السلام وهو من أقمار الهدى ، وممن لا يتمارى في فضله ، ولا يشك في شدة ورعه و نبله ، وهو الذي يُعرف بمؤتم الأشبال ، وذلك أنه عليه السلام لما انصرف من وقعة باخمرا ، وقد شهدها مع إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ؛ خرجت لبوةٌ مع أشبالها فعرضت في الطريق وجعلت تحمل على الناس ، فنزل عيسى بن زيد عليهما السلام ، فأخذ سيفه وترسه ثم برز إليها فقتلها ، فقال له مولى له : أيتمت أشبالها يا سيدي ، قال : فضحك وقال نعم أنا مؤتم الأشبال ، قال : فلزمه هذا الاسم ، فكان بعد ذلك إذا أراد أصحابه أن يذكروه كنوا عنه ، فقالوا : قال : مؤتم الأشبال كذا ، وفعل مؤتم الأشبال كذا ، فيخفى أمره وذلك ؛ لأنه عليه السلام لحقه من المحنة بالاستتار من أعدآء الله المارقين ما عظمت عليه بسببه البلوى .

وقد روى الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية[2] عن محمد بن منصور المرادي قال : قال يحيى بن الحسين بن زيد : قلت لأبي : يا أبه ، إني أشتهي أن أرى عمي عيسى ، فإنه يقبح بمثلي أن لا يلقى مثله من أشياخه ، فدافعني عن ذلك مدة ، وقال : إن هذا أمرٌ يثقل عليه ، وأخشى أن ينتقل عن منزله كراهة للقائك إياه فتزعجه ، فلم أزل به أداريه وألطف به حتى طابت نفسه لي بذلك ، فجهزني إلى الكوفة ، ثم قال لي : إذا صرت إليها فاسأل عن دور بني حي ، فإذا دللت عليها فاقصده في السكة الفلانية ، وسترى في وسط السكة داراً لها باب صفته كذا وكذا ، فاعرفه واجلس بعيداً منه في أول السكة ، فإنه سيقبل عليك أول المغرب

(١) مقاتل الطالبين ٢٥٣ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٠٨ .

كهل طوّال مصفر مستور الوجه، قد أثر السجود في جبهته، عليه جبة صوف يستقي الماء على جمل، وقد انصرف يسوق الجمل، لا يضع قدمًا ولا يرفعها إلا ذكر الله عز وجل ودموعه تنحدر، فقم فسلم عليه وعانقه، فإنه سيذعر منك، فعرِّفه بنفسك، وانتسب له، فإنه يسكن إليك ويحدثك طويلاً، ويسألك عنا جميعًا، ويخبرك بشأنه ولا تضجر من جلوسك معه، فلا تطل وودعه فإنه سوف يستعفيك من العودة إليه، فافعل ما يأمرك به من ذلك، فإنك إن عدت إليه توارى منك واستوحش وانتقل من موضعه، وعليه في ذلك مشقة. فقلت له: أفعل كلما أمرتني به، ثم جهزني إلى الكوفة وودعته وخرجت، ولما وردت الكوفة قصدت سكة بني حي بعد العصر، فجلست خارجها بعد أن تعرفت الباب الذي نعته لي، فلما غربت الشمس إذا أنا به يسوق الجمل، وهو كما وصف لي أبي، لا يرفع قدمًا ولا يضعها إلا وحرّك شفتيه بذكر الله[1]، ودموعه ترقرق من عينيه، وتذرف أحيانًا، فقمت فعانقته، فذعر مني كما يذعر الوحش من الإنس، فقلت: يا عم أنا يحيى بن الحسين بن زيد بن أخيك، فضمني إليه وبكى حتى قلت: قد جاءت نفسه، فأناخ جَمَله وجلس معي، وجعل يسألني عن أهله رجلاً رجلاً، وامرأة امرأة، وصبيًا صبيًا، وأنا أشرح له أخبارهم وهو يبكي، ثم قال: يا بني أنا أستقي على هذا الجمل الماء، فأصرف مما اكتسبته أجرة الجمل إلى صاحبه، وأتقوت بباقيه، وربما عاقني عائق عن استقاء الماء، فأخرج إلى البريّة -يعني بظهر الكوفة- فألقط ما يرمي الناس به من البقول وأتقوته، وقد تزوجت إلى هذا الرجل ابنته، فهي لا تعلم من أنا إلى وقتي هذا، فولدت مني بنتًا، فنشأت وبلغت وهي أيضًا لا تعرفني ولا تدري من أنا، فقالت لي أمها: زوج ابنتك بابن فلان السقاء لرجل من جيراننا يستقي الماء فإنه أيسر منها وقد خطبها، وألحت عليّ، فلم أقدر على إخبارها أن ذلك غير جائز، ولا هو بكفء لها فيشيع

---

(١) في (أ): إلا ذاكر الله.

خبري، فجعلت تلح عليَّ فلم أزل استكفي الله أمرها، حتى ماتت بعد أيام، فما أجدني آسى على شيء من الدنيا آسيَ على أنها ماتت ولم تعلم بموضعها من رسول الله ﷺ»، قال: ثم أقسم عليَّ أن أنصرف فودعني، فلما كان بعد ذلك صرت إلى الموضع الذي انتظرته فيه لأره فلم أره، وكان آخر عهدي به.

هذا ما حكاه الشيخ أبو الفرج، وإنما حكينا من قصة عيسى بن زيد عليهما السلام ذلك؛ لأنه تمهيد لما قاله في محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام؛ ليعرف المنصف أنه إذا قال فيه ما حكيناه على علمه وفضله وورعه وثقته كان صادقًا في قيله فتظهر الحال وتنجلي في محمد بن عبدالله عليهما السلام وإن كان ظاهرًا جليًا غير أن ذلك زيادة في اليقين.

وروى الشيخ أبو الفرج[1]: أيضًا بإسناده إلى حيث انتهى قال: سمعت عبدالله بن حفص العامري يقول في حديث حدَّث به عن محمد: حدثني من لم تر عيني والله ممن خلق الله خيرًا منه ولا أراه أبدًا، محمد بن عبدالله عليهما السلام، فقال له ابنه: إنما أفلتَّ من يد أبي جعفر أمس في ضرب عنقك، وهذا ابنه فقال: يا بني [هذا] والله [أمر] لا يبالي أبوك لو ضربت [عليه] عنقه.

وروينا بالإسناد الموثوق به عن عمير بن الفضل الخثعمي قال: رأيت أبا جعفر الذي لقب من بعد بالمنصور يومًا، وذلك في زمان بني أمية، وقد خرج محمد بن عبدالله من دار أبيه وله فرس واقف على الباب مع عبد له أسود، فلما خرج وثب أبو جعفر فأخذ بركابه حتى ركب، ثم سوى عليه ثيابه على السرج، ومضى محمد فقلت له - وكنت حينئذ أعرفه ولا أعرف محمداً: مَن هذا الذي عظمته هذا الإعظام حتى أخذت بركابه وسويت عليه ثيابه؟ فقال: أو ما تعرفه؟ قلت: لا، قال: هذا محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، مهدينا أهل

---

(١) المقاتل ٢٥٠.

البيت[1]. وانظر إلى أبي جعفر الملقب بالمنصور في صنيعه لمحمد بن عبدالله عليهما السلام وإقراره بفضله وما انتهى إليه حاله بعد ذلك من سفك دمه في حرم رسول الله ﷺ الذي حَرَّم فيه عَضْدَ شجره؛ فكيف ببعض من أبعاضه[2] فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وروينا عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام: أنه سئل عن أخيه محمد عليه السلام أهو المهدي الذي يذكر؟ فقال: المهدي عِدَةٌ من الله تعالى لنبيِّه ﷺ وَعَده أن يجعل من أهله مهدياً لم يسمه بعينه ولم يوقِّت زمانه، وقد قام أخي بفريضته عليه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن أراد الله أن يجعله المهدي الذي يذكر فهو فضل الله يمن به على من يشاء من عباده، وإلا فلم يترك أخي فريضة الله عليه لانتظار ميعاد لم يؤمر بانتظاره.

وروينا عن أبي خالد الواسطي قال: لقيت محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام قبل ظهوره بمدين فقلت: يا سيدي، متى يكون هذا الأمر؟ فقال لي: وما يسرك منه يا أبا خالد؟ فقلت: يا سيدي، وكيف لا أسر بأمر يخزي الله به أعداءه، وينصر به أولياءه؛ فقال: يا أبا خالد أنا خارج وأنا والله مقتول، والله ما يسرني أن الدنيا بأسرها لي عوض عن جهادهم، يا أبا خالد إن امرءاً مؤمناً لا يصبح حزيناً ويمسى حزيناً مما يعاين من أعمالهم إنه لمغبون مفتون. قال: قلت: يا سيدي والله إن المؤمن لكذلك، ولكن كيف بنا ونحن مقهورون مستضعفون خائفون لا نستطيع لهم تغييراً فقال: يا أبا خالد إذا كنتم كذلك فلا تكونوا لهم جمعاً وانفذوا من أرضهم.

وروى الشيخ أبوالفرج[3]: بإسناده عن سعيد بن عقبة قال: كنَّا مع عبدالله

---

(١) المقاتل ص٢٣٩.

(٢) في (ج): فكيف بغصن من أغصانه.

(٣) المقاتل ٢٥١.

ابن الحسن بسويقة وبين يديه صخرة، فقام محمد يعالجها ليرفعها، فأقلّها حتى بلغ ركبتيه، فنهاه أبوه فانتهى، فلما دخل عبدالله عاد إليها فاستقلّها حتى طلع بها على منكبيه ثم ألقاها فحُزِرَتْ[1] ألف رِطْل. قال وحدثنا : موسى بن عبدالله عن أبيه عن سعيد بن عقبة بهذا، قال أبو زيد : ووقف موسى على الصخرة بسويقة، وذكر لي أنه ورجل من أصحابه عالجها وهي على حرفها فكان جهدهما أنهما حركاها. وله عليه السلام :

متى نرى للعدل نوراً وقد | أسلمني ظلمٌ إلى ظلم
أمنية طال عذابي بها | كأنني فيها أخو حُلْمِ

وخطب عليه السلام على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: والله لقد أحيا زيد بن علي ما دثر من سنن المرسلين، وأقام عمود الدين إذ اعوج، ولن ننحوا إلا أثره، ولن نقتبس إلا من نوره، وزيدٌ إمام الأئمة، وأولى من دعا إلى الله بعد الحسين بن علي عليهما السلام .

ذكر بيعته ومدة ظهوره عليه السلام[2] :

كان ظهوره عليه السلام بالمدينة بعد أن أقام مستتراً مدة طويلة، واشتد الطلب عليه من أبي جعفر الملقب بالمنصور فلم يقف له على خبرٍ، وكتب كتاب الدعوة إلى الناس وأمر بإذاعته، وهو هذا على اختصار : بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الله جل ثناؤه جعل في كل زمان خيرة، وجعل من كل خيرة منتجبًا، والله أعلم حيث يجعل رسالاته، فلم تزل الخيرة من خلقه تناسخ أحوالاً بعد أحوال، حتى كان منها صفوة الله محمد صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وخاتم النبيين، اختصه بكرامته، وأخرجه من خير خلقه قرنا فقرنا، وحالا بعد حال، محفوظًا مُجَنَّبًا سوء

---

(١)في (ج) : فحسبت .

(٢)أنظر مقاتل الطالبين ٢٥٧، وما بعدها والإفادة ٥٦ .

الولا دات، متسقًا بأكرم الأبآء والأمهات، فلو أن أحدنا في مثل منزلته، وعندالله في مثل حاله؛ لاصطفاه ولأخرجه من مخرجه تبارك وتعالى، ولكن نظر إليه برحمته، واختاره لرسالته، واستحفظه مكنون حكمته، وأرسله بشيراً ونذيراً، وقائدًا إليه وسراجًا منيراً، ثم قبضه الله إليه حميداً ﷺ، فخلّف كتابه الذي كان به هدى واهتدى، وأمر بالعمل بما فيه، وقد نجم الجور، وخولف الكتاب الذي به هدى واهتدى، وأميتت السنة، وأحييت البدعة، ونحن ندعوكم أيها الناس إلى الحكم بكتاب الله وإلى العمل بمافيه، وإلى إنكار المنكر، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونستعينكم على ما أمر به في كتابه من المعاونة على البر والتقوى.

واعلموا أيها الناس أنكم غير مصيبي الرشد بخلافكم لذريته ﷺ، ووضع الأمر في غير محله، فغارت أُجُدكم بعد جُمَاحها[1]، و تفرقت جماعتكم بعد اتساقها، وشركتم الظالمين في أوزارها لتركم التغيير على أمرائها، ودفع الحق من الأمر إلى أوليائه، فلا سهمنا أوفيناه، ولا تراثنا أعطيناه، وما زال يولد مولودنا في الخوف، وينشأ ناشئنا في القهر والغلبة، ويموت ميتنا بالذل والقتل، بمنزلة بني إسرائيل يُذبح أبناؤهم ويُستحيى نساؤهم، ويولد مولودهم في المخافة، وينشأ ناشئهم في العبودية، وإنما فخرت قريش على سائر الأحياء بمحمد ﷺ، ودانت العجم للعرب بادعائها لحقنا بأبينا ﷺ، ثم مُنعنَا حقه، ودُفعنَا عن مقامه، أما والله لو رجوا التمكين في البلاد، والظهور على الأديان، وتناول الملك بخلاف إظهار التوحيد، وبخلاف الدعوة إلى محمد ﷺ والإذعان منهم بالقرآن، لتخذوا أساطير مختلقة بأهوائهم، ولعبدوا الأوثان بأرائهم، ولتخذوا من أنفسهم زعيمًا، فاتقوا الله عباد الله، وأجيبوا إلى الحق، وكونوا عليه أعوانًا لمن

---

(١) في (أ): فغارت أحلامكم بعد جماحها. والأجد: الناقة القوية الموثقة الخلق. لسان العرب ٣/ ٧٠. والجماح: المهزومون من الحرب. لسان العرب ٢/ ٤٢٧.

دعاكم إليه، ولا تأخذوا بسنة بني إسرائيل إذ كذّبوا أنبياءهم، وقتلوا ذريتهم، على أنها سنة لسنة ترتكبونها، وعروة بعد عروة تنكثونها، وقد قال الله جل ثناؤه في كتابه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق:١٩] فاعرفوا فضل ما هداكم به، وتمسكوا بوثائقه، واعتصموا بعروته، من قبل هرج الأهواء، واختلاف الأحزاب، وتنكب الصواب، فإن كتابي حجة على من بلغه، ورحمة على من قبله، والسلام.

وكتب ﷺ كتاباً إلى خواص أصحابه، وأمر بقراءته عليهم: بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد: فإن الله جل ثناؤه بعظمته ألزم نفسه علم الغيوب عن خلقه؛ لعلمه أنها لا تصلح إلا له، ثم أنشأ خلقه بلا عون، ودبرَّ أمره بلا ظهير، بتدأ ما أنشأ على غير مثال من معبود كان قبله، ثم اختار لتفضيله بعلمه من ملائكته ورسله من أئمته على أسرار غيوبه، لم يلاحظه في الملكوت عين ناظرة، ولا يدٌ لامسة، متفرد بما دبّر، ذلكم الله رب العالمين إلى أن أخرج محمداً ﷺ من خير نسل ذوي العزم من الرسل، تناسخه دوارج الأصلاب، إلى مطهرات الأرحام، حتى استخرجه خير جنين، وأصحبه خير قرين، أرسله بنور الضياء إلى أهل الظلم والكفر، قد نسكوا وذبحوا للأصنام، واستقسموا بالأزلام، مترددين في حيرة الضلالة، كلما ازدادوا في عبادتهم جهلا ازدادوا من الله بها بعداً، حتى تصرمت عنهم مدة البلاء بقيام محمد ﷺ فيهم يدعوهم إلى النجاة، ويضمن لهم الظفر في الدنيا، وحسن المثوبة في الآخرة، ويخبرهم عن القرون الماضية، كيف نجى من نجى منهم بالاستجابة لرسلهم، وكيف بعث العذاب على من تولّى منهم وأمثالهم، وانظر إلى آثارهم وديارهم خاوية على عروشها كيف تركوهاومافيها، فقال: يا قوم احذروا مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود، فأبوا إلا التكذيب بالتوحيد، واستعظموا أن يجعلوا الآلهة إلهًا واحدًا، فلما أُمر أن يجاهد بمن أطاعه من عصاه، كبر عليه مجاهدة الكثير من المشركين بالقليل من المسلمين،

ضمن الله له عاقبة الأمر والظفر، وشدَّ له أزره وأعانه بابن عمه وابن صنو أبيه، وشريكه في نسبه، ومؤنسه في وحدته، من الشجرة المباركة، استجاب له على ضراعة من سنّه، حتى سيط الإسلام بلحمه ودمه، لم يخشع بين يدي آلهتهم وعُزَّاهم، إذ هي تدعى وغيره خاشع لها، عاكف عليها هي له منسك، إلى أن اشتد على الضرع الصغير على التوحيد عظمه، وعظمت في اتخاذ الخير همه إليه يستريح رسول الله ﷺ بأسراره، فكان هو عليه السلام الصديق الأكبر، والفارس المشهر، سابق العرب إلى الغاية، ليس أمامه فيها إلا الرسول ﷺ المرسل، بالكتاب المنزل، يصلي بصلاته، ويتلو معه آياته، تفتح لعملهما أبواب السموات السبع، تهوى جبهته مع نبيه ﷺ إلى القبلة المجهولة عند قومه، ليست إصبع يمدها متوسلاً إلى الله جل ثناؤه غير إصبعه، ولا ظهر يحنو لله في طاعته قبل ظهره، إن ساماهم بشرفه في أوليته سبق عليهم بفارع غصون مجده، وعواطف شرف من قام عنه من أمهاته، ثم نشأ في حجر من نشأ، يؤدبه بالكتاب، إذ غيره يباكر عبادة اللات والعزى، شهد له القلم الجاري بعلمه في حال الفردانيه، إذ هو يسارق الصلوات أهله، إذ لا قلم جار، ولا شهيد على مطيع ولا عاصٍ غيره، يكاثف النبي ﷺ في مواطنه، ويستريح إليه بأسراره، ويستعديه بهممه، إذا النبي ﷺ هو المستوحش من جماعتهم، والخائف على دمه منهم، أين زال النبي ﷺ زال معه، وإن غال النبي ﷺ أمرٌ وقاه بنفسه، فمن يساويه وهذه حاله صلوات الله عليه؟، والحال هذه حال القوم في كفرهم بربهم، وإنكارهم رسوله، واختيارهم عبادة أوثانهم، وعلي بن أبي طالب عليه السلام يُعظِّم ما صغَّروا، ويكرم ما أهانوا، حتى دخل من دخل في دين الله رغبة ورهبة، فلما طال على رسول الله ﷺ تكذيب قومه إياه استشار عليًا صلوات الله عليه فقال: ما ترى؟ قال: يا رسول الله: ها سيفي، وكان بالضرب به دونه جوادًا، قال رسول الله ﷺ: إني لم أؤمر بالسيف فنم على فراشي،

وق بنفسك نفسي حتى أخرج فإني قد أُمرت بذلك، فنام على فراشه ووقاه بنفسه باذلاً لمهجته، واثقًا بأن الله تعالى غير خاذله، ومن يدعي الفضل له عليه: إما راصدٌ لرسول الله ﷺ أو معين عليه، أو جالس عنهُ همُّهم في ذبائح الغنم على الأصنام، والإستقسام بالأزلام، وأقلام الملآئكة عليهم السلام تصعد بعمل رسول الله ﷺ، فلما استقرت به الدار، وحل في الأنصار، أمره الله جل ثناؤه أن يشهر سيف التوحيد، وضمن له التأييد، فجآءت حال المنابذة، وتدانت الزحوف، أيده الله جل ثناؤه بعلي بن أبي طالب عليه السلام، فقام إليهم وله خطرات بسيفه ذي الفقار، فسألوه عن النسبة، فانتهى إلى محل اليفاع[1] الذي لا لأحد عنهم مرغب، وأوجل الله قلوبهم من مخافته حتى اجتنبوا ناحيته، فما زالت تلك المشاهد مع رسول الله ﷺ حتى سَمَّتْه رجال قريش، وحتى تشاغلت نسآؤهم بالمآتم، فكم من باكية أو داعية، أو موتور قد احتشى غلته بفقدانه أباه أو أخاه أو عمه أو خاله أو حميمه، يخوض مهاول الغمرات بين أسنة الرماح، لا يثنيه عن نصرة رسول الله ﷺ بنوة حداثة، ولا ظنٌّ بمهجته، حتى استولى على الفضل في الجهاد في سبيل الله، وكان أحب الأعمال إلى الله، وزرعَ إبليس عدو الله بغضه في قلوبهم، فلاحظوه بالنظر الشزر، وكسروا دونه حواجبهم، وراسوا بالقول فيه، والطعن عليه، فلم يزده الله بقولهم فيه إلا ارتفاعًا كما نالوا منه، نزل القرآن بجميل الثناء عليه في آي كثير من كتاب الله، قد غمنهم مكانه في المصاحف، ومن قبل ما أثبته الله جل ثناؤه في وحي الزبور: أنه وصي الأوصياء، وأول من فتح بعمله أبواب السمآء.

فلما قبض رسول الله ﷺ كان أولاهم بمقامه، ليس لأحد مثله في نصرته لرسول الله ﷺ، وأخ ليس لهم مثله له جناحان يطير بهما في

---

(1) معجم البلدان ٤٣٩/٥: اليفاع: المشرف من الأرض والجبل، وقيل: هو قطعة منها فيها غلظ، لسان العرب ٤١٤/٨.

الجنة ، وعمٌّ له سيد الشهدآء في جميع الأمم ، وابنان هما سيدا شباب أهل الجنة ، وله سيدة نسآء العالمين ، ثم قبض . ولما قبض رسول الله ﷺ أخذ أهله في جهازه إلى ربه ، واختلفوا فيمن يلي الأمر من بعده ، فقالت الأنصار : نحن الذين آوينا ونصرنا ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر وهو بباب رسول الله ﷺ ينتظر جهازهم له والصلاة عليه ، فقال له : إنك لغافل عما أسست الأنصار وأجمعوا عليه من الصفقة على يد سعد بن عبادة ، ثم تناول يده عمر فجذبه فأقامه حتى انتهى إلى سعد ، وقد عكفوا عليه وازدحموا حوله ، وتكلّم أبو بكر فقال : يا معشر الأنصار ، أنتم الجيران والإخوان ، وقد سمعتم قول رسول الله ﷺ : «إن هذا الأمر لا يصلح إلا في قريش»[1] ، وقد علمت العرب أني أوسطها دارًا ، وأصبحها وجهًا ، وأبسطها لسانًا ، وأن العرب لا تستقيم إلا علينا ، فقال عمر : هات يدك يا أبا بكر أبايعك ، فمدَّ يده أبو بكر فضرب عليها بشير بن سعد ، ثم ثلث أبو عبيدة بن الجراح ، ثم تتابعت الأنصار ، فبلغ ذلك عليًا عليه السلام فشغله المصاب برسول الله ﷺ ، عن القول لهم في ذلك ، واغتنموا تشاغله برسول الله ﷺ ، فنظر علي عليه السلام لدين الله قبل نظره لنفسه فوجد حقه لا ينال إلا بالسيف المشهور ، وتذكر ما هُم به من حديث عهد بجاهلية فكره أن يضرب بعضهم ببعض فيكون في ذلك ترك الألفة ، فأوصى بها أبو بكر إلى عمر من غير شورى ، فقام بها عمر وعمل على الولاية بغير عمل صاحبه ، ليس بها عهد من رسول الله ﷺ ، ولا تأول من كتاب الله إلا رأي توخاه هو فيه مفارق لرأي صاحبه ، جعلها بين ستة نفر ووضع عليهم أمنآء أمَرَهم إن اختلفوا أن يقتلوا الأقل من الفئتين[2] ، فصغّروا ما عظم الله وصاروا ولاة السوء ، سُدت عليهم أبواب التوبة ، واشتملت عليهم النار بما فيها والله جل ثنآؤه بالمرصاد ولا حول ولا قوة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ٨/ ١٤٢-١٤٣ ، ومسند ابن حنبل ٦ رقم ١٦٨٥٢ ، فتح الباري ١٣/ ١١٤ ، وكنز العمال ٣٣٧٩٩ .

(٢) في هامش (ج) : فصغروا -بالفاء- وهو من هاهنا للمصنف أمر المصنف أن يروى عنه إلى قوله : ثم انتشرت دعوته .

إلا بالله العلي العظيم .

ثم انتشرت دعوته عليه السلام، فلما بلغت إلى أهل الفضل والدين تلقوها بالقبول والإجابة لمعرفتهم بفضله وزهده وعلمه، وانتشرت في الآفاق، وظهرت بخراسان، وبايعه الجمهور من أهلها، واضطرب أهل خراسان على أبي الدوانيق اضطرابًا شديداً، حتى هموّا بطرد ولاته ودعاته، فقتل محمد بن عبدالله بن عمرو ابن عثمان، وأمه: فاطمة بنت الحسين، وأمر برأسه مع عدة من الناس يحلفون لأهل خراسان أن هذا رأس محمد بن عبدالله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسكتوا بعد أن كانوا هموا بخلع أبي الدوانيق، وصار أبو جعفر شديد[1] الشغل به؛ لما يعرف من شهامته وفضله وعلمه، وجرت بينه عليه السلام وبين أبي جعفر الدوانيقي مكاتبات كان ابتداؤها من أبي جعفر كتب إليه أولاً من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله ﴿إِنَّمَا جَزَآؤُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلافٍ﴾ الآية[المائدة:٣٣] ولك عهد الله وميثاقه، وذمته وذمة رسول الله إن تبت ورجعت من قبل أن أقدر عليك أني أومنك وجميع ولدك وإخوانك وأهل بيتك على دمائهم وأموالهم، وأستودعكم ما أصبتم من دم وأموال، وأعطيك ألف ألف درهم وما سألت من الحوائج، وأنزلك من البلاد بحيث شئت، وأخلي من في محبسي من أهل بيتك، وأومن كل من آواك أو بايعك ودخل في شيء من أمرك ثم لا أتبع أحداً منهم بشيء كان منهم أبداً، وإن أحببت أن توثق لنفسك فوجه إلي من أحببت يأخذ لك من الأمان والعهد والميثاق وما تثق به وتطمئن إليه إن شاء الله، والسلام.

فكتب إليه النفس الزكية: من عبدالله محمد بن عبدالله أمير المؤمنين

---

(١) في (أ): كثير.

إلى عبدالله بن محمد ﴿ طسم * تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴾[القصص: ١-٦] وأنا أعرض عليك من الأمان ما عرضت علي، وأنت تعلم أن الحق حقنا، وأنكم ادعيتم هذا الأمر بنا، وخرجتم بشيعتنا، وأن أبانا عليًا كان الإمام فكيف ورثتم ولايته دون ولده؟ ثم قد علمت أنه لم يطلب هذا الأمر أحد له مثل نسبنا وشرف أبينا، وأنا لسنا من أبناء الطلقاء، ولا العتقاء، ولا اللعناء، ولا الطرداء، وأنه لا يمت أحد من بني هاشم بمثل ما نمت به من القرابة والسابقة والفضل، فإنا بنو أم رسول الله ﷺ في الجاهلية، وفي الإسلام بنو ابنته دونكم، وأن الله اختارنا واختار لنا، فولدنا من النبيين أفضلهم محمد ﷺ، ومن السلف أولهم إسلاماً علي بن أبي طالب ﷺ، ومن الأزواج أفضلهن خديجة أول من صلى القبلة- رحمة الله عليها، ومن البنات فاطمة سيدة نسآء العالمين- رحمة الله عليها، ومن المولودين في الإسلام الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن هاشمًا ولد عليًا مرتين، وأن عبدالمطلب ولده مرتين، وأن النبي ﷺ ولدني مرتين وإني من أوسط هاشم نسبًا، وأصرحهم أمًا وأبًا، وأنه لم يعرف في سجحم[1]، ولم يتنازع فيَّ أمهات الأولاد، وما زال الله تعالى يختار لي الأبآء والأمهات في الجاهلية والإسلام، حتى اختار لي في الثأر[2]، فأنا ابن أرفع الناس درجةً في الجنة، وأنا ابن أهون الناس عذابًا، وأنا ابن خير الأخيار، وابن خير أهل الجنة والنار[3]، ولك إن دخلت في طاعتي وأجبت دعوتي أن أومنك

---

(١) أي: عجمة.

(٢) في (أ): غير منقطوة، ونظنها: في النار.

(٣) هذه العبارة تشير إلى كفر أبي طالب، وهي تصادم رأي أهل البيت في إسلامه، ثم إن الافتخار بأهل النار لا يليق بإمام بحجم النفس الزكية! فما أراها إلا مقحمة من صنع خيال النساخ، فمن دخل النار فلا خير فيه. ومن فضائل المذهب الزيدي أنه يعرض النصوص على العقل والقرآن ليرد ما صادمهما ... والله أعلم.

على نفسك ومالك ودمك وعلى كل أمر أحدثته إلا حداً من حدود الله ، أوحقًا لمسلم أو معاهد، وقد علمت ما يلزمك في ذلك ومن ذلك ، وأنا أولى بالأمر منك ، وأوفى بالعهد والعقد؛ لأنك تعطيني من عهدك ما أعطيته رجالاً من قبلي ، فأي أمانك تعطيني : أمان ابن هبيرة؟ أم أمان عمك عبدالله بن علي؟ أم أمان أبي مسلم؟ والسلام .

فأجابه أبو جعفر : من عبدالله أمير المؤمنين إلى محمد بن عبدالله أما بعد : فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت فيه ، فجلُّ فخرك بقرابة النسآء ، ولم يجعل الله النسآء كالعمومة والأبآء ، ولا كالعصبة والأولياء ؛ لأن الله تعالى جعل العم أبًا ، وبدأ به على الولد الأدنى ، ولو كان اختيار الله لهن على قدر قرابتهن لكانت آمنة أقربهن رحمًا ، وأعظمهن حقًّا ، وأول من يدخل الجنة غداً ، ولكن اختار الله لخلقه على قدر علمه الماضي منهم ، فأما ما ذكرت من فاطمة أم أبي النبي ﷺ، وولادتها فإن الله لم يرزق من ولدها ذكراً ولا أنثى الإسلام ، ولو كان أحد من ولدها رزق الإسلام بالقرابة لكان عبدالله بن عبد المطلب أولاهم بكل خير في الدنيا والآخرة ، ولكن الأمر إلى الله يختار لدينه من يشآء ، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾ [القصص:٥٦] ولقد بعث الله نبيه محمداً وله عمومة أربعة ، وأنزل عليه : ﴿ **وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ** ﴾ [الشعراء:٢١٤] فدعاهم فأنذرهم ، فأجابه اثنان : أحدهما أبي ، وأبى اثنان : أحدهما أبوك ، فقطع الله ولايتهما ، ولم يجعل بينه وبينهما إلاّ ولاذمة ولا ميراثًا ، وزعمت أنك ابن أخف أهل النار عذابًا ، وابن خير الأشرار ، وليس في الكفر بالله صغير ، ولا في عذاب الله خفيف ولا قليل ، ولا في الشر خيار ، ولا ينبغي لمن يؤمن بالله واليوم الآخر أن يفخر بالشر ، وسترد فتعلم ﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾[الشعراء:٢٢٧] وأما ما فخرت به من أن فاطمة أم علي ، وأن

هاشمًا ولده مرتين، وأن عبدالمطلب ولده مرتين، فخير الأولين والآخرين رسول الله ﷺ لم يلده هاشم إلا مرة، ولا عبدالمطلب إلا مرة، وزعمت أنك أوسط بني هاشم نسبًا، وأصرحهم أمًا وأبًا إلى آخر ما ذكره.

فأجابه محمد بن عبدالله عليه السلام بهذه الرسالة وهي التي يقال لها: الدامغة.

قال مؤلف كتاب المصابيح: وهو الذي روينا منه هذه الكتب وما قبلها من كتبه عليه السلام بعد سماعنا له، وأنا أريد أن أختصر منها، فإني لو أثبته على الوجه لطال الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَآ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً﴾ [طه:٩٨-١٠١] أما بعد: فإنك ذكرت أن فخري بالنسآء، فرأيت أن أوضّح من أمرهن ما جهلته، ومن حق العم لأب وأم خلاف ما وهمته، أو ليس قرابتهن أقرب القرابة؟، أوليس قد ذكر الله الأمهات، والأخوات، والبنات، ولم يجعل بينهن وبين الأبآء والقرابة فرقًا؟ فقال: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ﴾[النساء:٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَآءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ... الآية﴾[1] [النساء:١٢٧] فقد ذكر الأمهات والأخوات والبنات، ولم يذكر العم، ثم فرض على عباده البر بالنسآء والرِّجال إذ قال: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، وقوله: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾ [الأحقاف:١٥] ثم ذكر فضل الأم على الأب فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف:١٥] وكذلك في ثواب ما عنده إذ يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾

---

(١) وردت في النسخ: ﴿يستفتونك في النساء قل الله يفتيكم في الكلالة﴾، وهو جمع بين آيتين.

إلى قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾ [النور:٦١] وقال: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف:١٠٠] وإنما كانت خالته، وقال النبي ﷺ: «الخالة والدة، والخال والد يرث ماله ويفك عانيه».

وأما قولك: لو كان الله اختار لهن لكانت آمنة أم النبي ﷺ أقربهن رحمًا، فهل أنبأتك أن الله اختار لهن أو لأحد من خلقه ذكرًا أو أنثى على قرابته فتحتجَّ عليَّ به؟ ما اختار الله أحدًا من خلقه، ولا اختار له إلا على السابقة والطاعة، وكانت هذه حالة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، وأمي فاطمة بنت محمد، لم تكفر بالله قط؛ ولذلك قال لإبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا..﴾ [البقرة:١٢٤] إلى آخره، وأما فاطمة بنت عمرو[1] أم أبي طالب وعبدالله والزبير وولادتها إياي، فكيف أنكرت ذلك وأنت تحتج بالعصبة والعمومة ولم يجعل الله للعباس من قرابة العمومة شيئًا لم يجعله لأبي طالب.

وأما قولك: إنكم حزتم بأبيكم وراثة[2] رسول الله ﷺ دوننا فأخبرني أي الميراث حازه العباس لكم دوننا؟ الخلافة دون المال! أو المال دون الخلافة! أو الخلافة والمال معًا، فإن قلت: الخلافة دون المال! فيجب على القياس أن تقسم الخلافة على قسم المواريث للذكر مثل حظ الأنثيين، فالولد[3] أحق بها من العم، والأخ أولى من العم، فإن جاز ذلك فلم ورثتها دون عمومتك، وهم أولى بالكبر منك ومن أخيك، ولم ورثت أخاك دون ولده إلى كلام طويل.

وذكر في آخر هذا الجواب: ولست أراه يسعني إلا مجاهدتك، فإن

---

(١) في (أ): عمر.

(٢) في (ج): ورثة.

(٣) في (أ): فالوالد.

موعدك الساعة والساعة أدهى وأمرّ، وأنا على بصيرة من أمري، وماض على ما مضى عليه سلفي وأشياعهم الذين ذكرهم الله تعالى، فقال: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب:٢٣] إلى آخره، وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

ولما عقدت البيعة له في أعناق أهل الفضل، وانتشر ذكره في الآفاق، اضطر عليه السلام إلى الخروج قبل أوانه، وكان سبب ذلك أن أبا جعفر لما حبس أباه عبدالله بن الحسن وإخوته عليهم السلام، وشدَّد عليهم بسبب محمد بن عبدالله، وأمر بضرب موسى بن عبدالله فضرب ستمائة سوط، ثم أمره أبو جعفر بزعمه ليكون له عينًا، فتقدم موسى بن عبدالله عليهما السلام على أنه يكون عينًا له على محمد بن عبدالله عليهما السلام، فأقام مدة بالمدينة حتى أمر واليها إلى أبي جعفر: إنك بعثت موسى ليكون لك عينًا على محمد بن عبدالله وإنه عين لهم علينا، فأمر أبو جعفر بإحضار موسى إليه فلما خرجوا بموسى بن عبدالله عليه السلام خشي محمد بن عبدالله عليهما السلام القتل على أخيه فشهر نفسه في الحال.

وكان ظهوره عليه السلام: لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين ومائة، وروي في غرة رجب، وخرج وعليه قلنسوة صفراء وعمامة فوقها متوشحًا سيفًا، وانضاف إليه في تلك الحال مائتان وخمسون رجلاً، فتقدم حتى وقف على سجن المدينة وأرسل من فيه، ودخل المسجد قبل الفجر فخطب الناس، وقال في خطبته بعد حمد الله والثناء عليه:

أما بعد: يا أهل المدينة فإني والله ما خرجت فيكم وبين أظهركم لأتعزز بكم، ولَغيرُكم كان أعزّ لي منكم ولكني حبوتكم بنفسي، مع أنه لم يبق مصر من الأمصار يعبد الله فيه إلا وقد أُخذَت لي فيه البيعة، وما بقي أحد من شرق ولا غرب إلا وقد أتتني بيعته، وإن أحق الناس بالقيام بهذا الأمر لأبناء المهاجرين والأنصار، مع ما قد علمتم من سوء مذهب هذا الطاغية الذي قد بلغ في عتوه

وطغيانه أن اتخذ لنفسه بيتًا وبوّبه بالذهب - يعني: أبا الدوانيق، ثم بالغ في ذمّه، ولما حضرت الصلاة صلى وبايعه الناس طوعًا إلا شرذمة، وهرب رباح بن عثمان المري عامل أبي جعفر على المدينة وصعد سطح دار مروان، وأمر بهدم الدرجة، فصعد إليه من أخذه من هناك، فسأله عن موسى عليه السلام، فقال: قد أنفذته إلى أبي جعفر، فبعث جماعة من الفرسان خلفه حتى ردوه، ثم خرج عليه السلام إلى مكة فبويع هناك، ووجّه أخاه إبراهيم عليه السلام إلى البصرة، وعاد من مكة إلى المدينة، وكان شعاره: أحدٌ أحدٌ.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وروي عن حسين بن زيد بن علي عليهم السلام، قال: شهد مع محمد بن عبدالله من ولد الحسين أربعة: أنا وأخي عيسى وموسى وعبدالله ابنا جعفر بن محمد الباقر.

وروى أن أوّل قتيل من المسودة اشترك في قتله بين يديه عليه السلام موسى وعبدالله ابنا جعفر بن محمد عليه السلام، وكانا حاضرين معه في جميع جهاده، حتى قُتل وأعطياه بيعتهما مختارَين متقربَين إلى الله تبارك وتعالى بذلك، واستأذنه أبو عبدالله جعفر بن محمد عليهما السلام؛ لسنّه وضعفه في الرجوع إلى منزله بعد أن خرج معه فأذن له، وكانت رايته مع الأفطس الحسن بن علي بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وخرج معه المنذر بن محمد بن المنذر ابن عبدالله بن الزبير، وابن أبي ذؤيب، وابن عجلان، وخرج معه مصعب بن عبدالله بن الزبير، وابنه عبدالله بن مصعب، وأبو بكر بن أبي سبرة- الفقيه الذي يروي عنه الواقدي، وقد كان عمرو بن عبيد ونفر من أعيان المتكلمين من معتزلة البصرة اختبروه ووقفوا على غزارة علمه ودعآئه إلى القول بالعدل فبايعوه، ومن الناس من أنكر أن يكون عمرو بايعه والصحيح هو الأول، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[2].

---

(١) الإفادة: ٥٤.

(٢) الإفادة ٥٨. والأصفهاني في المقاتل ٢٩٣ - ٢٩٤.

واستفتي مالك بن أنس في بيعته، فأمر الناس بذلك، فقيل: إن في أعناقنا بيعة أبي جعفر، فقال: إنكم بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين[1].

وذكر الشيخ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني[2] في تسمية من خرج مع النفس الزكية عليه السلام من الفقهاء: عبدالواحد بن أبي عون، ومحمد بن عجلان، وعبدالله بن عامر الأسلمي، وعبدالعزيز بن محمد الدراوردي، وإسحاق بن إبراهيم بن دينار، وعبدالحميد بن جعفر، وعبدالله بن عطاء مولى ابن سباع، وبنوه وهم: إبراهيم، وإسحاق، وربيعة، وجبير، وعبدالله، وعطاء، ويعقوب، وعثمان، وعبدالعزيز، بنو عبدالله.

وروى بإسناده عن بعضهم أن أبا جعفر كان يقول: العجب لعبدالله بن عطاء إنه بالأمس على بساطي ثم يضربني بعشرة أسياف، ثم تَغَيَّب عبدالله بن عطاء حتى مات في إمارة جعفر بن سليمان الأول فخرج به بنوه ليدفنوه، فأخبر جعفر ابن سليمان، فأمر به فأنزل من نعشه ثم صلب، وعبدالله بن عطا من ثقات أهل الحديث، قد روى عن أبي جعفر محمد بن علي وعن عبدالله بن بريدة وغيرهما من وجوه التابعين.

وروى عنه الثقات مثل: مالك بن أنس ونظرآئه، وعبدالله بن عامر الذي ذكرناه هو: الأسلمي القاري ويكنى أبا عامر وهو ثقة روى عنه وكيع وأبو نعيم وعبيدالله بن موسى وأبو ضمرة، وروى هو عن الزهري ونافع، ووثقه يحيى بن معين ورووه في الحديث، وإياه يعني: إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بقوله:

أبو عامر فيها رئيسٌ كأنها ... كراديس تغشى حجرة المتكبر[3]

قال: وخرج إبراهيم[4] بن هرم مع محمد في محفة، وقال: ما فيَّ قتال ولكن

---

(١) الافادة ٥٩. والمقاتل ٢٨٣.

(٢) المقاتل ٢٨٦.

(٣) المقاتل ص٢٩٧.

(٤) إبراهيم ساقط من الأصل.

أحببت أن تتأسّى بي الناس، وخرج معه من المنظورين المعروفين بالزهد والعلم والعمل مطر الورّاق رحمة الله عليه، ولما قتل إبراهيم عليه السلام أُسر مطر رحمه الله وقدم على المنصور وقال له: يامطر، أنت القائل: إن في قلبي لحر لا يطفئه إلا بردُ عدل أو حرُّ سنان، قال: أنا القائل ذلك، فقال أبو جعفر: لأذيقنك اليوم حرَّ سنان يشيب منه رأسك، قال مطر: إذًا لأصبرن صبرًا يذل الله فيه سلطانك، فأمر بقطع يديه فمدوا يديه فقبضهما، فقال: يا مطر هذا خلاف ما وعدت، فقال: كلا ولكن لا أعينك على معصيتك، فقطعوا يديه فما قطب، ثم قتل رحمة الله عليه.

أولاده عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1] عبدالله الأشتر قتل (بكابل) وله عقب، وعلي أخذ (بمصر) فمات في حبس محمد بن أبي جعفر الملقب بالمهدي، والحسن قتل (بفخ) ولم يذكر الطالبيون غير هؤلاء، وذكر غيرهم حسينًا. وأجمعوا أنه وَلَد ابنتين: فاطمة، وزينب درجتا، وأمهم جميعًا: أم سلمة بنت محمد بن الحسن الثاني بن الحسن بن علي عليهم السلام[2].

وروينا عن بعضهم أنه عليه السلام كان في بعض الجبال وقد اشتد به الطلب، ومعه ولد صغير من أم ولد فسقط الولد فمات فأنشأ عليه السلام يقول:

منخرق الخفين يشكو الوجا ... تنكبه أطراف مرو حداد
شرّده الخوف وأزرى به ... كذاك من يكره حرَّ الجلاد
قد كان في الموت له راحةٌ ... والموت حتمٌ في رقاب العباد

عمّاله عليه السلام:

أنفذ قبل ظهوره إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام على خلافة البصرة،

---

(١) الإفادة: ٥٩.

(٢) الإفادة ص٧٨.

وولي قضاء المدينة عبدالعزيز بن المطلب المخزومي، وكان على أبواب العطاء عبدالله بن جعفر بن عبدالرحمن بن المسور بن مخرمة، وعلى شرطته عبدالحميد ابن جعفر، ثم وجهه في وجْه، فولاّها عمرو بن محمد بن خالد بن الزبير ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[1].

ذكر مقتله ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام[2]:

لما اشتهر أمره عليه السلام في المدينة وغيرها، جهز أبو جعفر إليه الجنود يقودهم عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس في أربعة الآف رجل وقال: إنك سترد على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجيران قبره فإن قتل محمد أو أخذ أسيراً فلا تقتل أحداً وارفع السيف، فإن طلب محمد الأمان فأعطه، وإن فاتك فاستمل عليه أهل المدينة، فاقتل من ظفرت به منهم، فلما بلغ محمداً مسيره خندق على المدينة خندقًا على أفواه السكك، فقاتلهم عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام، ومحمد جالسٌ على المصلى ثم جآء هو فباشرهم القتال بنفسه، فلما اقتتلوا ساعة انهزم أصحاب محمد وتفرقوا عنه فلما رأى ذلك رجع إلى دار مروان فصلى الظهر واغتسل وتحنط، وذكر الشيخ أبو الفرج أن القتال كان يوم الاثنين للنصف من شهر رمضان[3].

وروى بإسناده عن أبي الحجاج قال: رأيت محمداً وإن أشبه ما خلق الله به لَمَا ذُكِرَ من حمزة بن عبدالمطلب يهدُّ الناس بسيفه ما يقاربه أحد إلا قتله، لا والله ما يلَيق[4] شيئًا، حتى رماه إنسان كأني أنظر إليه أحمر أزرق بسهم، ودهمتنا الخيل فوقف إلى ناحية جدار وتحاماه الناس.

---

(1) الإفادة ٥٩.

(2) أنظر المقاتل ٢٧٥، والإفادة ٥٩، والمصابيح ٤٤٣.

(3) المقاتل ص٢٧٥.

(4) أي لم يَلقَ شيئًا إلا قطعه حُسامه. لسان العرب ١٠/ ٣٣٤. ومن ذلك قول أبي العيال:
خضم لم يَلقَ شيئًا ... كأن حسامه اللهبُ.

وروى أنه قتل يوم ذاك اثني عشر رجلاً من جنود الظالمين، ثم كان انهزام عسكره عليه السلام، على ما رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام بحيلة امرأة عباسية كانت في المدينة، وذاك أنها أمرت خادمًا بقناع أسود رفعه في منارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، وأمرت خدامًا لها آخرين صاحوا في العسكر: الهزيمة الهزيمة، إن المسودة قد جآؤا من خلفكم فدخلوا المدينة، فالتفت الناس فأبصروا الراية السوداء على المنارة فلم يشكوا في ذلك، فانهزم الناس وبقي وحده عليه السلام يقاتل حتى عرض له رجل فضربه على ذقنه فسقطت لحيته على صدره فرفعها بيده وشدّها، ثم رُمي بنشابة في صدره، فحملوا عليه من كل جانب فقتل، وكان الذي تولى الإجهاز عليه حميد بن قحطبة، وفي بعض أخباره عليه السلام أنه لما حمي الوطيس خرج في قباء طاق وهو يقول:

قاتل فما بك إن حبست بدومة ... في ظل غرفتها إذا لم تخلد

إنَّ امرءًا يرضى بأهون سعيه ... قصرت مروؤته إذا لم يزدد

وروى أبو الفرج بإسناده عن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن حسن قال: لما كان اليوم الذي قتل فيه محمد قال لأخته: إني في هذا اليوم على قتال هؤلآء فإن زالت الشمس ومطرت السمآء فإني مقتول، وإن زالت الشمس ولم تمطر السمآء وهبت الريح فإني أظفر بالقوم، فإن زالت الشمس فأجّجي التنانير وهيِّئي هذه الكتب، فإن زالت الشمس ومطرت السماء، فاطرحي هذه الكتب في التنانير، فإن قدرتم على بدني فخذوه، ولن تقدروا على رأسي، فأتوا به ظلة بني نُبَيْه على مقدار أربعة أذرع أو خمسة، فاحفروا لي حفرةً فادفنوني فيها، فلما مطرت السمآء فعلوا ما أمرهم به، وقالوا: آيةُ قتل النفس الزكية أن يسيل الدم حتى يدخل بيت عاتكة قال: فكانوا يعجبون كيف يسيل الدم حتى يدخل بيت عاتكة، فكان يومًا مطيرًا، فسال الدم حتى دخل بيت عاتكة، قال: وأخذ جسده فحفروا له حفيرة فوقعوا على صخرة، فدلوا الحبال فأخرجوها فإذا

فيها مكتوب، هذا قبر الحسن بن علي بن أبي طالب، فقالت زينب: رحم الله أخي كان والله أعلم حيث أوصى أن يدفن في هذا الموضع[1]!!.

وقد ورد الأثر في النفس الزكية: «أنه يقتل فيسيل دمه إلى أحجار الزيت، لقاتله ثلث عذاب أهل جهنم»، رواه الإمام المنصور بالله عليه السلام.

وروى أبو الفرج بإسناده[2]: أن زينب بنت عبدالله، وفاطمة بنت محمد بن عبدالله بعثتا إلى عيسى: إنكم قد قتلتم هذا الرجل وقضيتم منه حوائجكم فلو أذنتم لنا لواريناه. فأرسل إليهما: أما ما ذكرتما يا بنتَي عمي أني نلت منه، فو الله ما أمرت ولا علمت فوارياه راشدتين، فبعثتا إليه فاحتمل، فقيل: إنه حُشِيَ في مقطع عنقه عديلة من قطن.

وروى بإسناده عن أم سلمة بنت محمد بن طلحة قالت: سمعت زينب بنت عبدالله تقول: كان أخي رجل آدم، فلما أدخل وجدته قد تغير لونه وحال حتى رأيت بقية من لحيته فعرفتها، فأمرت بفراش فجعل تحته، وقد أقام في مصرعه يومه وليلته وإلى غد، فسال دمه حتى استنقع تحت الفراش فأمرت بفراش ثان، فسال دمه حتى وقع بالأرض، فحولت تحته فراشًا ثالثًا فسال دمه وخلص من فوقها جميعًا.

وحُمِل رأسه إلى أبي جعفر مع ابن أبي الكرام الجعفري، وكان قتله بعد العصر يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، ذكره أبو الفرج من سنة خمس وأربعين ومائة، وقيل: سنة ست، وقيل: إنه قتل عن اثنتين وخمسين سنة.

---

(١) المقاتل ص٢٧١.

(٢) المقاتل ٢٧٥.

قال السيد أبو طالب عليه السلام - وقد ذكر ذلك -: وهذا كله مخالف لما ذكرناه من تأريخ مولده ويجب أن يكون أحدهما غير صحيح والله أعلم بالحقيقة.

وكانت مدة قيامه عليه السلام بالأمر وانتصابه: شهرين تزيد أيامًا.

ولما قتل عليه السلام ودخل الجند الظالم لزيارة قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقف حميد ابن قحطبة على الباب ولم يدخل، فقال له[1] بعضهم: ما رأيت أعجب من أمرك يا حميد يضرب الناس آباط الإبل لزيارة قبر رسول صلى الله عليه وآله وسلم، وتصل إلى باب مسجده ثم لا تزوره! فقال: والله إني لأستحيي منه، الآن قتلت ولده ثم أدخل لزيارته، فقال عيسى بن موسى: اسكت.

ولإبراهيم بن عبدالله يرثي أخاه النفس الزكية عليهما السلام:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا ... فإنَّ بها ما يدرك الطالب الوترَا

وإنا أناسٌ لا تفيض دموعُنا ... على هالك منَّا وإن قصم الظَّهرا

ولست كمن يبكي أخاه بعبرةٍ ... يعصِّرها مِن جَفْنِ مقلته عصرا

ولكنني أشفي فؤادي بغارةٍ ... تلهَّب في قطري كتائبها[2] الجمرا

وقال غالب بن عثمان الهمداني من آل ذي المشعار:

يا دار هيَّجت البكآء فأعولي ... حييت منزلة دثرت ودارا

بالجِزْع من كنفي سويقة أصبحت ... كالبرد بعد بني النبي قفارا

الحاملين إذا الحمالة أعجزت ... والأكرمين أرومة ونجارا

والمطرين إذا المحول تتابعت ... درراً تداولها المحول غزارا

والذائدين إذا المخافة أبرزت ... سوق الكواعب يبتدرن حضارا

وثبت نتيلة[3] وثبة بعلوجها ... كانت على سلفي نتيلة عارا

---

(١) المقاتل ص٢٧٦.

(٢) في (أ): جوانبها.

(٣) نتيلة: هي أم العباس بن عبدالمطلب وهي بنت حبان بن كلب من الخزرج.

فتثلمت ساداتها وتنهكت ... حرمًا محصَّنة الحدود[1] كبارا
ولغت دمآء بني النبي فأصبحت ... خضبت بها الأشداق والأظفارا
لا تسقني بيديك إن لم أنبعث ... لبني نتيلة جحفلاً جرارا
لجبًا يضيق به الفضاء عرمرمًا ... يغشي الدكادك قسطلاً مدرارا
فيه بنيَّات الصريح ولاحق ... قبٌّ تغادر في الخليف مهارا
يخرجن من حلل الغبار عوابسًا ... يورين في خضب الأماعز نارا
فننال في سلفي نتيلة ثأرنا ... فيما ننال وندرك الأوتارا

وقال أبو الحجاج الجهني :

بكَر النعيُّ بخير من وطئ الحصى ... ذي المكرمات وذي الندا والسؤدد
بالخاشع البرِّ الذي من هاشم ... أمسى قتيلاً في بقيع الغرقد
ظلت سيوف بني أبيه تنوشه ... إذْ[2] قام مُجْتهداً بدين محمد

وقال عبدالله بن مصعب :

سالت دموعك ضَلَّةً قد هجت ... ترحًا ووجداً يبعث الأحزانا
هلاً على المهدي وابني مُصْعب ... أذريت دمعك ساكبًا تَهْتَانا
والله ما ولد الحواضنُ مثلهمْ ... أمضى وأرفع مَحْتِداً ومكانا
وأشدَّ ناهضة وأقول للتي ... تبغي مصادر عدلها العدوانا
رزءٌ لعمرك لو يصاب بمثله ... ميطان[3] صدّع رزءُه ميطانا

ولبعضهم :

رحم الله شبابًا ... قُتلوا يوم الثنيه
قاتلوا عنه بنيّا ... ت وأحساب نقيه

---

(1) في (أ) : مخضَبة الخدود .

(2) في (أ) : آن .

(3) ميطان : كميزان من جبال المدينة (القاموس) ٨٨٩ .

فـــــــرَّ عنـه الـنـاس طُـرّاً غـــيـــر خـــيـل أســـديَّـه
قـــتل الرحـــمن عـيـسى قـــاتـل النفس الزكـــيَّــــة

روى ذلك كله الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[1].

إبراهيم بن عبدالله عليه السلام[2]

هو: أبو الحسن، إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكل إبراهيم في آل أبي طالب فإن كنيته: أبو الحسن؛ ولهذا قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في ولده إبراهيم:

أبا حـــسن وإبراهيم يُكْنَى أبا حـسن بقـومك أجـمـعينا

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام: روي أنه كان سائل الخدين، خفيف العارضين، أقنى الأنف، حسن الوجه، قد أثّر السجود في جبهته[3].

ذِكْرُ طَرَفٍ من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام قد نشأ على الديانة والعفاف والعلم والعمل حتى بلغ أشرف خطة وأسنى درجة.

روينا أن إبراهيم بن أبي يحيى المدني: سُئل فقيل: قد رأيت محمداً وإبراهيم ابني عبدالله بن الحسن عليهم السلام، فأيهما كان أفضل؟ قال:

---

(١) المقاتل ٣٠٤ - ٣٠٩.

(٢) أنظر الإفادة ٦١، ومقاتل الطالبين ٤٥٠، وسير أعلام النبلاء ٦/ ٢١٨، الأعلام ١/ ٤٨، البدء والتاريخ ٢/ ٨٤، والشافي ١/ ٢٣٧، وطبقات الزيدية «خ» وعمدة الطالب في أنساب أبي طالب ١٢٩، ودول الإسلام للذهبي ١/ ٧٤، والمصابيح ٤٤٥، ومروج الذهب ٣/ ٣٠٦، الطبري، والكامل والبداية والنهاية في حوادث سنة ١٤٥هـ.

(٣) الإفادة ص٦١، ومقاتل الطالبين ٤٥٠.

إبراهيم بن أبي يحيى: والله لقد كانا فاضلين، شريفين، كريمين، عابدين، عالمين، زاهدين، وقد كان إبراهيم يقدم أخاه محمداً عليه السلام ويفضله، وكان محمد عليه السلام يعرف لإبراهيم فضله، وقد مضيا شهيدين صلوات الله عليهما[1].

وروينا عن عمرو بن النضر قال: لَمَّا قتل إبراهيم بن عبدالله وأنا بالكوفة فأتيت الأعمش بعد قتله فقال[2]: ها هنا أحد تنكرونه؟ قلنا: لا، قال: أما والله لو أصبح أهل الكوفة على مثل رأيي لسرنا حتى ننزل بعَقْوَته- يعني أبا جعفر- فإذا قال لي: ما جآء بك يا أعمش؟ قلت: جئت لأبيد خضراءك أو تبيد خضرائي بما فعلت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله[3].

وروينا أن إبراهيم عليه السلام كان جالساً مع أصحابه ذات يوم فسأل عن رجل من أصحابه؟ فقال له بعض من حضر: هو عليل، والساعة تركته يريد أن يموت، فضحك القوم منه، فقال إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام: لقد ضحكتم منها وهي عربية، قال الله عز وجل: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف:٧٧] بمعنى: يكادُ أن ينقض، قال: فوثب أبو عمرو بن العلاء فقبل رأسه وقال: لا نزال بخير ما كان مثلك فينا[4].

وروينا عن المفضل الضبي قال: كان إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام متوارياً عندي بالبصرة، قال: إنك تخرج وتتركني ويضيق صدري فأخرج إليَّ شيئاً من كتبك، فأخرجت إليه شيئاً من الشعر، فاختار منه سبعين قصيدة، ثم أتبعتها أنا بسائر اختياري، فالسبعون من أول الاختيارات اختياره والباقي اختياري[5].

(١) المصابيح ٤٤٧.

(٢) في (أ): وأنا بالكوفة، فقال الأعمش: هاهنا.

(٣) مقاتل الطالبين ٣٨٣.

(٤) المقاتل ص٣٣٨.

(٥) أنظر الإفادة ٦٢، ومقاتل الطالبين ٣٣٨.

وروى الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية بإسناده: أن محمداً وإبراهيم كانا عند أبيهما، فوردت إبل محمد فيها ناقة شرود لا يُرد رأسها، فجعل إبراهيم يحد النظر إليها، فقال له محمد: كأن نفسك تحدثك بأنك رادّها، قال: فإن فعلت؟ قال: فهي لك، فقال إبراهيم: فجعل ينظر إليها ويستتر بالإبل حتى إذا أمكنته جاءها وأخذ بذنبها فاحتملته وأدبرت تمحص حتى[1] غابت عن عين أبيه، فأقبل على محمد وقال له: عرّضت أخاك، فمكث هوناً ثم أقبل مشتملاً بإزاره حتى وقف عليهما فقال له محمد: كيف رأيت؟ زعمت أنك حابسها؟ قال: فألقى ذنبها وقد انقطع في يده، وقال: ما أعذر من جآء بهذا[2].

وروى له في مقاتل الطالبية يذكر أباه وأهله وحملهم وحبسهم عليهم السلام من المدينة إلى أبي جعفر الملقب بالمنصور:

مـا ذكْـرُكَ الدِّمنةَ القـفـار وأهـ　　ـل الدار إمَّـا نـاؤوك أو قَـربُوا

إلا سَـفـاها وقـد تفـرعك الـ　　ـشيب بلـون كـأنه العُـطُبُ

ومرّ خمسون من سِنيكَ كما عدّ　　دَ لك الحـاسبـون إذْ[3] حـسبـوا

فَـعَـدٌ ذكـر الشـبـاب لست له　　ولا إليـك الشـبـاب ينقـلب

إني عرتني الهموم واحتضر الهم　　وسـادي فـالقلب منشـعب

واستمرح الناس للشقاء وخلفـ　　ـتُ لدهر بظهـره حـدب

أعـرج يسـتـعـذب اللئام به　　ويحـتـويه الكرام إن شـربوا

نفسي فدت شيبة هناك وظُنبو　　بًا به من قيـودهم نُدب

والسـادة الغـر من بنيـه فـمـا　　روقب فـيـهم إلٌ ولا نسب

يا حلَقَ القـيـد مـا تضمنت من　　حلم وبرٌ يزينه حَسَب

---

(١) في (أ): حتى إذا.

(٢) مقاتل الطالبين ٣١٦.

(٣) في (أ): أو.

وأمهات من الفواطم أخلصـ ... ـنك بيض عقائلٌ عُرُبُ

كيف اعتذاري عند الإله ولم ... تُشهَر[1] فيك المأثورة القُضُبُ

ولم أقُدْ غارة ململمةً ... فيها بنات الصريح تنتجب

والسابقات الجياد والأسل الـ ... ـسمر وفيها أسنَّةٌ ذُرُبُ

حتى تُوَفَّى بني نتيلة بالقسـ ... ـط بكيل الصاع الذي اجتلبوا

بالقتل قتلاً وبالأسير الذي ... في القيد أسرى مصفودة سلب

أصبح آلُ الرسول أحمدَ في النا ... س كذي عِرَّةٍ به جَرَبُ

بؤسًا لهم ما جَنَتْ أكفهم ... وأي حبل من أمة نصبوا

وأي عهد خانوا المليك به ... شد بميثاق عقده الكرب[2]

وروي له أيضًا في مقاتل الطالبية قوله في زوجته :

ألم تعلمي يا بنت بكر تشوُّقي ... إليك وأنت الشخص ينعم صاحبُه

وعُلِّقتُ ما لو نيط بالصخر من جوى ... لهدَّ من الصخر المنيف ذوائبُه

رأت رجلاً بين الركاب ضجيعه ... سلاح ويَعْبُوبٌ فباتت تُجَانبُه

تصدُّ وتستحيي وتعلم أنه ... كريمٌ فتدنو نحوه وتلاعبُه

فسلانا عنها ولم نَقْلِ قُربَهَا ... ولم يقلنا خطبٌ شديدٌ تَكَالُبُه

عجاريف فيها عن هوى النفس زاجرٌ ... إذا اشتبكت أنيابُه ومخالبُه[3]

بيعته عليه السلام ومدة انتصابه للأمر :

كان عليه السلام في البصرة قد خرج إليها داعيًا إلى أخيه النفس الزكية عليهما السلام، فأقام متواريًا فيها حتى ظهرت دعوة أخيه بالمدينة فأظهر هو الدعاء إليه،

---

(١) في (أ) : تشتهر.

(٢) المقاتل ص٢٢٨.

(٣) المقاتل ٣١٦ .

وذلك ليلة الإثنين غرة شهر رمضان سنة خمس وأربعين ومائة، وأخذ البيعة لأخيه واستولى على البصرة، وقام بالأمر هناك على خلافته حتى ورد عليه نعيه أول يوم من شوال سنة خمس وأربعين ومائة، وهو يريد أن يصلي بالناس صلاة العيد فصلى بهم ثم رقى المنبر واختطب ونعى إلى الناس أخاه محمداً عليه السلام، ثم أنشأ يقول متمثلاً :

أبا المُنازل يا خير الفوارس مَنْ	يفجع بمثلك في الدنيا فقد فُجعا
الله يعلم أني لو خشيتهم	أو أوجس القلب من خوف لهم جزعا
لم يقتلوه ولم أُسْلِمْ أخي لَهُمُ	حتى نموت جميعًا أو نعيش معا[1]

وكان من كلامه عليه السلام على المنبر أن قال: اللهم إن كنت تعلم أن محمداً إنما خرج غضبًا لدينك، ونفيًا لهذه النكتة السوداء، و إيثاراً لحقك، فارحمه واغفر له، واجعل الآخرة خيراً مرداً ومنقلبا في الدنيا، ثم جَرِضَ بريقه وتردد الكلام في فيه فانتحب باكيًا وبكى الناس[2].

ولمَّا نزل بايعه علماء البصرة وعبادها وزهادها، واختصت المعتزلة به مع الزيدية ولازموا مجلسه، وتولوا أعماله، فاستولى على واسط وأعمالها، والأهواز وكورها، وعلى أعمال فارس، وكان أبو حنيفة يدعو إليه سراً ويكاتبه، وكتب إليه: إذا أظفرك الله بآل عيسى بن موسى وأصحابه فلا تسر فيهم سيرة أبيك في أهل الجمل فإنه لم يقتل المدبر ولم يجهز على الجريح ولم يغنم الأموال؛ لأن القوم لم تكن لهم فئة، ولكن سِرْ فيهم سيرته يوم صفين، فإنه ذفف على الجريح وقسم الغنيمة؛ لأن أهل الشام كان لهم فئة. فظفر أبو جعفر بكتابه، فكتب أبو جعفر إلى عيسى بن موسى وهو على الكوفة يأمره بحمل أبي حنيفة إلى بغداد، قال أبو نُعيم : وهو راوي هذه القصة فغدوت إليه أريده ولقيتُه راكبًا يريد

---

(١) الإفادة ٦٢ ، ومقاتل الطالبين ٣٤٢.

(٢)المقاتل ص٣٤٢ ، والإفادة ٦٣ .

وداع عيسى بن موسى ، فقدم بغداد فسُقي بها شربة فمات وهو ابن سبعين سنة وكان مولده سنة ثمانين[1] .

وروينا أن قومًا جآؤا إلى شعبة فسألوه عن إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام ، فقال شعبة : تسألونني عن إبراهيم وعن القيام معه ، وتسألونني عن أمر قام به إبراهيم بن رسول الله ﷺ والله لهو عندي بدرٌ الصغرى[2] ، وروي عنه أيضًا رحمه الله : أنه لما جآءه قتل إبراهيم عليه السلام قال : لقد بكى أهل السمآء على قتل إبراهيم بن عبدالله عليهما السلام ؛ إن كان من الدين لبمكان[3] .

وروينا عن إبراهيم بن سويد الحنفي قال : سألت أبا حنيفة- وكان لي مكرمًا أيام إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام - فقلت : أيهما أحب إليك بعد حجة الإسلام : الخروج إلى هذا الرجل ، أو الحج ؟ فقال غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة[4] .

وروي أنه عليه السلام : أخذ عاملاً لأبي جعفر فقال له بعض أصحابه : سلمه إليَّ ، قال له : وما تصنع به ؟ قال : أعذبه ليخرج المال الذي عنده ، فقال : لا حاجة لي في مال لا يستخرج إلا بالعذاب[5] .

وكان يقول : متى أراد أن ينزل عن المنبر : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾ [البقرة:٢٨١] ، وقال يومًا وهو على المنبر بعد ما خطب : «اللهم إن ذكرت اليوم أبنآء بأبائهم وأبآء بأبنائهم ، فاذكرنا عندك بمحمد ﷺ يا حافظ الأبآء في الأبناء والأبنآء في

---

(١) الإفادة ٦٣ .

(٢) المصابيح ٤٥٣ .

(٣) المصابيح ٤٥٣ .

(٤) مقاتل الطالبين ٣٧٨ .

(٥) الإفادة ٦٦ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٤ .

الأبآء، احفظ ذرية نبيك» فارتج المصلى بالبكاء[1].

وكان محمد بن عطية مولى باهلة وَلِي بعض أعمال فارس لأبي جعفر؛ فظفر به أصحابه عليه السلام وحملوه إليه، فقال له: هل عندك مال؟ قال: لا، قال: آلله، قال: آلله، فقال: خلوا سبيله؛ فخرج ابن عطية وهو يقول بالفارسية: ليس هذا من رجال أبي جعفر يعني أنه كان ينبغي أن لا يقتصر منه على اليمين وأن يستخرج منه المال، وأن المحق الذي يراعي أمر الدين لا يقاوم المبطل الذي لا يبالي بما يقدم عليه[2].

وأتاه قوم من أصحاب الضياع فقالوا: يا ابن رسول الله إنا قوم من غير العرب، وليس لأحد علينا عقد ولا ولآء، وقد أتيناك بمال فاستعن به، فقال: من كان عنده مال فَلْيُعِنْ أخاه فأما أن آخذه فلا! وكان يقول: إن هي إلا سيرة علي أو النار[3].

وخطب يومًا على المنبر فقال: أيها الناس إني وجدت جميع ما يطلب العباد من جسيم الخير عندالله في ثلاث: في المنطق، والنظر، والسكوت، فكل منطق ليس فيه ذكرٌ فهو لغو، وكل سكوت ليس فيه فكر فهو سهوٌ، وكل نظر ليس فيه اعتبار فهو غفلة، فطوبى لمن كان منطقه ذكراً، ونظره اعتباراً، وسكوته تفكراً، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وسَلِم المسلمون منه، فعجب الناس من كلامه[4].

وروي أنه أرسل إلى عبد الحميد بن لاحق بأنه بلغني أن عندك مالاً لهؤلآء الظلمة، فقال: ما لهم عندي مال، قال: آلله، قال: آلله فخلوا سبيله، وقال: إن ظهر أن لهم عندك مالاً عددتك كذابًا[5].

---

(١) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٧.

(٢) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٢.

(٣) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٣.

(٤) الإفادة ٦٨، ومقاتل الطالبين ٣٣٦.

(٥) الإفادة ٦٧، ومقاتل الطالبين ٣٣٣.

وحكى شيبة كاتب مسعود المرزباني أن جماعة من الزيدية دخلوا عليه فنالوا منه، وقالوا : هات ما عندك من مال الظلمة، وأدخلوني إلى إبراهيم فرأيت الكراهة في وجهه، فاستحلفني فحلفت فخلى سبيلي فكنت أسال عنه بعد ذلك وأدعو له حتى نهاني مسعود عن ذلك[1] .

وروي أنه خطب عليه السلام الناس، ونعى على أبي جعفر أفعاله وقتله آل الرسول صلى الله عليهم، وظلمه الناس وأخذه الأموال ووضعها في غير مواضعها، فأبلغ في القول حتى أبكى الناس، ورقت لكلامه قلوبهم فاتبعه عباد بن العوام، ويزيد بن هارون، وهشيم بن بشير، وشعبة بن الحجاج وبايعوه.

قال أبو إسحاق الفزاري : جئت إلى أبي حنيفة فقلت له : ما اتقيت الله حيث أفتيت أخي في الخروج مع إبراهيم بن عبدالله بن حسن حتى قُتل! فقال لي : قَتلُ أخيك حيث قُتل يعادل قتله لو قتل يوم بدر، وشهادته مع إبراهيم خير له من الحياة! قلت : فما منعك أنت من ذلك؟ قال: ودائع كانت للناس عندي[2] .

وكان الأعمش يدعو إليه ويقول : ما يُقعدك؟ أما إني لو كنت بصيراً لخرجت [3] . وخرج معه عليه السلام نفر كثير من أهل العلم، ونقلة الأحاديث، ونحن نذكر منهم بعض من ذكره الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبيين[4] فمنهم: هارون ابن سعد، وكان قد ولاّه واسطًا، **ومنهم**: معاذ بن معاذ بن نصر العنبري، **ومنهم**: مسلم بن سعيد، والأصبغ بن زيد، **ومنهم**: العوام بن حوشب. قال: رميت في هؤلاء القوم – يعني: المسودة– بثمانية عشر سهمًا ما سرني أني رميت بها أهل بدر مكانهم! وأسامة بن زيد البجلي، **ومنهم**: هشيم، قال بعضهم : رأيت هشيمًا

(١) الإفادة ٦٧-٦٨ ، ومقاتل الطالبين ٣٣٤.

(٢) الإفادة ٦٦ ، ومقاتل الطالبين ٣٦٤ .

(٣) مقاتل الطالبين ٣٦٦.

(٤) مقاتل الطالبين ٣٥٤ .

واقفًا موقفًا في وقعة واقعناها القوم لا والله ما وقفه قط إلا شجاع مجتمع القلب، ومنهم: الحجاج أخو هشيم، وابنه معاوية وقتلا في المعركة.

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن بعضهم قال: سمعت أبا حنيفة وهو قائم على درجته ورَجُلاَن يستفتيانه في الخروج مع إبراهيم، فقال: اخرجا[1].

وروى أيضًا بإسناده عن زُفر بن الهذيل قال: كان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهراً شديداً، فقلت له: والله ما أنت بمنته حتى نؤتى فتوضع في أعناقنا الحبال.

ومنهم: عباد بن منصور واستقضاه إبراهيم على البصرة، **ومنهم**: أبو العوام القطان واسمه: عمران من أصحاب الحسن البصري.

وروي عن بعضهم قال: قلت لعثمان الطويل خرج هذا الرجل وقعدتم عنه، فقال: وهل أخرجه غيرنا؟ فلما قتل إبراهيم قال لي: يا أبا صالح أحب أن لاتفشي عليَّ ذلك الحديث، **ومنهم**: أبو داود الطهوي، وفطر بن خليفة، وعيسى ابن يونس بن أبي إسحاق الهمداني، وابن جنادة، وابن سويد قوّده[2] على ثلاثمائة وشهد معه باخمرا[3]، وشهد معه من أصحاب زيد بن علي عليهما السلام ثلاثة: سلم الحذاء، وحمزة بن عطاء التركي، وخليفة بن حسان، وكان حمزة من أفرس الناس، وقد روى عن زيد بن علي وجعفر بن محمد، وهو أحد الرواة عن أهل البيت عليهم السلام، وكذلك سلم الحذاء، وخليفة بن حسان، **ومنهم**: بريدة الأسدي، **ومنهم**: عبدالله بن جعفر المديني، ومن أصحاب سفيان: مؤمل بن إسماعيل، وحنبص، وكان حنبص هذا جليل القدر، وفيه يقول الشاعر:

يا ليت قومي كلهم حنابصة[4]

فهؤلاء من وجوه أهل العلم ونقلة الحديث الذين شهروا بذلك، وقد ذكر

---

(١) مقاتل الطالبين ٣٦٥.

(٢) أي جعله قائداً.

(٣) با خمرا: موضع بين الكوفة وواسط بينهما ١٧ فرسخًا. معجم البلدان ص٣١٦.

(٤) مقاتل الطالبين ٣٨٢-٣٨٣.

سواهم أيضًا. وروي أن ديوانه انطوى من البصرة على مائة ألف.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] قال: بعث أبو جعفر إلى البصرة المعروف بأبي سيف مولى الجعفري ليتحسس له ويعرِّفه أحوال إبراهيم عليه السلام، فلما رجع إليه قال له أبو جعفر: كيف رأيت بشير الرَّحال، ومَطَرَ الورّاق؟ فقال: رأيتهما يدخلان إلى إبراهيم وعليهما السلاح. فقال ما كنت أرى أن الصوم أبقى منهما ما يُحمَل به السلاح.

وروي أنه وجد في بيت مال البصرة ألف ألف درهم، ففرق ذلك في عسكره، فأصاب كل رجل منهم خمسين درهمًا، فكانوا إذا قال لهم أصحاب أبي جعفر: عطآؤنا ألفان وعطآؤكم خمسون درهمًا فكانوا يقولون: خمسون والجنة[2].

عمَّاله عليه السلام:

ولَّى قضاء البصرة عباد بن منصور، وبيت المال سفيان بن أبي واصل، وولى هارون بن سعد واسطًا وأعمالها، وولَّى المغيرة بن الفزع الأهواز، فخرج إليها وطرد أصحاب أبي جعفر عنها وتمكن منها. وأنفذ أبو جعفر بخازم بن خزيمة مع أربعة آلآف رجل فحاربه المغيرة وهزمه ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[3].

مقتله وموضع قبره عليه السلام:

لما انتظم أمره وقويت شوكته وعلا في الآفاق صيته، جهَّز أبو جعفر عيسى ابن موسى وغيره من القواد في[4] العساكر الكثيفة الظالمة، فلما بلغ إبراهيم عليه السلام انفصالهم أجمع للمسير إليهم، فأشار عليه بعض أصحابه بالوقوف في البصرة،

---

(١) الإفادة ٦٤.

(٢) الإفادة ٦٨، ومقاتل الطالبين ٣٢٤.

(٣) الإفادة ٦٩.

(٤) في (أ): والعساكر.

فأبى وسار نحوهم، واستخلف على البصرة: ابنه الحسن بن إبراهيم عليهما السلام، فالتقوا بباخمرا وجآء إلى إبراهيم عليه السلام بعض قوّاده، فقال جَرِّد لنا عسكرًا لنُبيّتَ أبا جعفر فنقتله في خلف عسكره وننقض هذه الجموع، فقال: إني أكره البيات، فخرج بعضهم وهو يقول : تريد الملك وتكره البيات.

وقال بعض شعرائه يخاطب أبا جعفر :

أُبرز فقد لاقيته زكيا ❖ أبيض يدعو جده عليا ❖ وجدّه من أمه النبيا

ورتب عليه السلام بباخمرا عسكره فجعل على ميمنته عيسى بن زيد بن علي عليهم السلام وعلى ميسرته لبيد بن برد اليشكري، وكان حمائل سيفه من ليف تشبهًا بعمار بن ياسر رحمه الله، وكان تحته فرس أبلق، فقال إبراهيم عليه السلام يمازحه :

أما القتال فلا أراك مقاتلاً ولئن هربت ليعرفن الأبلق

وهو عليه السلام في القلب في الفقهاء والعلماء وأهل البصائر، وكان جملة عسكره عليه السلام أحد عشر ألف راجل وسبعمائة فارس، فوقع القتال فكانت الهزيمة أوّلاً في أصحاب أبي جعفر حتى بلغه العلم فقرّب نجائبه للهرب وحمل امرأتيه على النجائب وما بقي دون الفتح طائل، وانهزم حميد بن قحطبة فيمن انهزم، فمرَّ بابني سليمان من كبارالقوّاد وقد نزلا عن فرسيهما مستسلمين للموت، فقالا : ليس هذا من عاداتك يا حميد، فقال: انجوا ما بقي قتال، فلما رأى إبراهيم عليه السلام ما نزل بهم من القتل؛ أمر بردِّ الرايات، فلما رأوا أعلام الميمنة رافعة ظنوها هزيمة، فعطفوا عليها وحققوا فكانت الهزيمة، فانهزمت الميمنة ونجى عيسى بن زيد عليهما السلام لما أفرده الناس، وثبت إبراهيم عليه السلام في القلب وثبتت الميسرة، واشتد القتال حتى إذا كان آخر النهار؛ رفع عليه السلام المغفر من شدة الحرِّ فجآء سهم فوقع في رأسه، فاعتنق فرسه واحتوشته الزيدية وأنزلوه، وأخذه بشير الرحال إلى حجره وهو يقول: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾[الأحزاب:٣٨]، وأحاط به أصحابه

حتى كانوا سوراً مثل سور الحديد، فقال عيسى: ويحكم على ما هؤلاء؟ وجمعوا الجيش وصدموهم به صدمةً واحدة ففضوهم وإذا هو في أوساطهم فحزوا رأسه وقتلوا عنده بشير الرّحال رحمه الله، واحتزوا رأسه وأمروا به إلى أبي جعفر، ودفن بدنه بباخمرا.

وروى الشيخ أبو الفرج: قال صَبَرَ مع إبراهيم أربعمائة، فجعلوا يضاربون دونه حتى قتل، فجعلوا يقولون أردنا أن نجعلك مَلِكًا فأبى الله إلا أن جعلك شهيداً حتى قتلوا معه.

وروي أيضًا عن بعضهم لما سئل: كيف فعل إبراهيم؟ فقال: إني لأنظر إليه واقفًا على دآبة محمد بن يزيد ينظر إلى أصحاب عيسى، وقد ولّوه ومنحوه أكتافهم، ونكص عيسى برايته القَهْقَرى وأصحابه يقتلونهم، وعلى إبراهيم عليه السلام قباء زَرَد، فأتاه الحين؛ فحلَّ أزرار القباء فسال الزرَد حتى صار[1] على ثدييه، وحسّر عن لبته، فأتته نشابة عائرة، فأصيب في لبّته، فرأيته اعتنق فرسه وكرّ راجعًا فأطافت به الزيدية[2].

وروينا في خبر عن المفضل الضبي قال: لما كان يوم خروجه يعني: إبراهيم عليه السلام خرجت معه فأتى دار جعفر بن سليمان فأمّنهم وخرج إليه صبيان من صبيانهم فقال: هؤلاء منّا وإلينا غير أن آباءهم قطعوا أرحامنا وابتزوا أمرنا، وسفكوا بغير حق دمآءنا، ثم أنشد:

مهلاً بني عمّنا ظلامتنا	إنَّ بنا سَوْرَةً من العَلَق
لمثلكم تحمل السيوف ولا	تُغمَزُ أنسابنا من الرّنق[3]
إني لأُنمى إذا انتَمَيتُ إلى	عزٍّ عزيز ومعشر صُدُق
بيض سباط كأن أعينهم	تكحل يوم الهياج بالزرق

(١) في (ج): سال.

(٢) المقاتل ص٣٤٧، ٣٤٨.

(٣) الرنق: تراب في الماد من القذى ونحوه. لسان العرب ١٠/١٢٦.

فقلت : يابن رسول الله ، ما أفحل هذه الأبيات وأحسنها ! فمن قائلها ؟ قال : هذه الأبيات قالها ضرار بن الخطاب الفهري يوم الخندق ، وتمثّل بها علي عليه‌السلام أيام صفين ، والحسين يوم الطف ، وزيد يوم السبخة ، ويحيى بن زيد يوم الجوزجان ، ونحن اليوم ، قال : فتطيّرت له من تمثُّله بأبيات ما تمثل بها إلا قتيل[1].

وفي أخباره عليه‌السلام أنه لما انتهى بالقرب من باخمرا أنشأ يقول متمثلاً[2] :

نُبِّئتُ أن بني ربيعة أزمعوا ... أمراً كلالهم لنقتل خالدا

إن يقتلوني لا تُصبْ أرماحُهم ... ثأري ويسعى القوم سعيًا جاهدا

أرمي الطريق وإن رَصدت بضيقه ... وأنازل البطل الكميّ الحاردا

قال المفضل الضبي راوي الحديث : فقلت له : جعلني الله فداك ، لمن هذه الأبيات؟ قال : للأحوص بن كلاب ، تمثل بها يوم شعب جبلة ، وهو اليوم الذي لَقِيَتْ فيه قيسٌ تميمًا .

قال المفضل : وأقبلت عساكر أبي جعفر ، فقتل من أصحابه وقتل من القوم ، وكاد أن يكون له الظفر ، وكشفت ميمنته والقلب فتمثّل :

أبى كلُّ ذي وترٍ يبيت بوتره[3] ... وتمنع منه النوم إذ أنت نائم

أقول لفتيان كرام تروحوا ... على الْجُرد في أفواههنّ الشكائم :

قفُوا وقْفة من يَحْيَى لا خزي بعدها ... ومن يُخترَم لا تتبعه اللوائمُ

قال : ثم كرّ ، فطعن رجلاً وطعنه آخر ، فقلت له : جعلت فداك - تباشر الحرب بنفسك والعسكر منوطٌ بك ! فقال لي : إليك عني يا أخا بني ضبة ، كأن عويفًا أخا بني فزارة ينظر في يومنا هذا ، فأنشد :

ألمَّتْ سعادُ وإلمامُها ... أحاديثُ نفس وأسقامُها

---

(١) المقاتل ص٣٧٣ .

(٢) ينظر المصابيح ٤٤٨-٤٥٠ .

(٣) في (أ) : لوتره .

يمانيــــة من بني مـــالك | تطاول في المجد أعمامها
نردُّ الكتيبة مفلولة | بها أفْنها وبها ذامُها
وإنّ لنا أصلَ جرثومة | ترد الحوادثَ أيامُها

قال: وجاءه سهم عائر فشغله عني.

وروى المفضل أيضًا، قال: كنت مع إبراهيم عليه السلام واقفًا يوم قتل، فقال لي: حركني بشيء، فأنشدته:

ألا أيها الناهي فزارة بعدما | أجدت بسير إنما أنت حالم
أبى كل ذي وتر يبيت بوتره | وتمنع منه النوم إذ أنت نائم
[أقول لفتيان كرام تروّحوا | على الجرد في أفواههن الشكائم]
قفوا وقفة من يحيى لا خزي بعده | ومن يُخترم لا تتبعه اللوائم

قال: فقال لي: أعدْه، فانتبهت وندمت على إنشادي إياها، فقلت: أو غير ذلك؟ فقال: لا. بل أعد، فأعدت، فكان آخر العهد به صلوات الله عليه.

وروينا عن جعفر بن ابراهيم الجعفري قال: كان إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام يقاتل الطغاة (بباخمرا) فسمع رجلاً من الزيدية- وقد ضرب رجلاً من القوم على رأسه، وقال: خذها إليك وأنا الغلام الحداد، فقال له إبراهيم عليه السلام: لم قلت: أنا الغلام الحداد؟ قل: أنا الغلام العلوي، فإن [نبي الله] إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [ابراهيم:٣٦]، فأنتم منا ونحن منكم، لكم ما لنا وعليكم ما علينا[1].

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن أبي الكرام الجعفري أنه شهد الأقطع مولى عيسى بن موسى وقد أتاه، فقال: هذا وحياتك رأس إبراهيم في مخلاتي. فقال له: اذهب فانظر فإن كان رأسه فاحلف لي بالطلاق حتى أصدقك، وإن لم

---

(١) أمالي أبي طالب ص١٢٢.

يكن رأسه فاسكت، فأتيته فقلت: أرنيه، فأخرجه يختلج خده، فقلت: ويلك كيف وصلت إليه؟ قال أتته نشابة فأصابته فصُرع، فأكبَّ عليه أصحابه يقبلون يديه ورجليه، فعلمت أنه هو فعلمت مكانه، وجعل أصحابه يُقْتلون حوله لا يبالون، فلما قتلوا أتيته فاحتززت رأسه، قال: فأتيت عيسى فأخبرته فنادى بالأمان، ثم أمر برأسه عليه السلام إلى أبي جعفر الدوانيقي، ولما وضع رأسه بين يدي أبي جعفر تمثل:

فألقت عصاها واستقر بها النوى   كما قر عينًا بالإياب المسافر[1]

وروى أبو الفرج أيضًا عن الحسن بن حفص قال: كنت بالكوفة فرأيت فلَّ عيسى بن موسى وقد دخل نهاراً، فلماكان الليل رأيت فيما يرى النائم كأنَّ نعشًا يحمله رجال يصعدونه إلى السمآء ويقولون: من لنا من بعدك يا إبراهيم؟ قال: وأيقظني أخي من نومي فقلت: مالك؟فقال: اسمع التكبير على باب أبي جعفر، فلا والله ما كبروا باطلاً، وإذا الخبر قد جاء بقتل إبراهيم[2].

وروى أيضًا بإسناده قال: خرج إبراهيم عليه السلام في رمضان سنة خمس وأربعين ومائة فكانوا رمضان وشوال وذا القعدة وقتل في ذي الحجة، وكان شعارهم: (أَحَدٌ . . . أَحَدٌ)[3].

وروي عن أبي نعيم قال: قتل إبراهيم يوم الاثنين ارتفاع النهار لخمس بقين من ذي القعدة سنة خمس وأربعين ومائة، وأُتي أبو جعفر برأسه ليلة الثلاثاء، وبينه وبين مقتله ثمانية عشر ميلاً، فلما أصبح من يوم الثلاثاء أمر برأس إبراهيم فنُصب في السوق فرأيته منصوبًا مخضوبًا بالحناء[4].

---

(١) المقاتل ص٣٥٣.

(٢) المقاتل ص٣٥٣.

(٣) المقاتل ص٣٤٩.

(٤) ينظر الإفادة ٦٩ ومقاتل الطالبين ٣٤٩ .

وروينا بالإسناد أن أبا جعفر المنصور لما قتل محمداً وإبراهيم عليهما السلام وجه شيبة بن عقال إلى الموسم لينال من آل أبي طالب، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن علي بن أبي طالب شقّ عصى المسلمين وخالف أمير المؤمنين، وأراد هذا الأمر لنفسه فَحَرَمَهُ الله أمنيته، وأماته بغصّته[1]، ثم هؤلاء ولده يقتلون، وبالدمآء يخضبون، فقام إليه رجل فقال: نحمد الله رب العالمين، ونصلي على محمد وأنبيائه المرسلين، أما ما قلت من خير فنحن أهله، وأما ما قلت من شر فأنت به أولى وصاحبك به أحرى، يا من ركب غير راحلته، وأكل غير زاده، ارجع مأزوراً. ثم أقبل على الناس فقال: أخبركم بأبخس من ذلك ميزانًا، وأبين منه خسرانًا، من باع آخرته بدنيا غيره وهو: هذا ثم جلس، فقال الناس: من هذا ؟ فقيل: هذا جعفر بن محمد عليهما السلام.

ومما رُثي به محمد وإبراهيم عليهما السلام: قول غالب بن عثمان الهمداني المشعاري الناعطي:

كيف بعد المهدي أوبعد إبرا	هيم نومي على الفراش الوثير
وهم الذائدون عن حرم الإسـ	ـلام والجابرون عظم[2] الكسير
حاكموهم لما تولّوا إلى اللـ	ـه بمصقولة الشِّفار الذكور
وأشاحوا للموت مُحتَسبي الأنـ	ـفس لله ذي الجلال الكبير
أفردوني أمشي بأعضب مجبو	بًا سنامي والحربُ ذاتُ زفير
غيْلَ فيها فوارسي ورجالي	بعد عزٍّ وذلَّ فيها نصيري
ليتني كنت قبل[3] وقعة باخمـ	ـرا توفّيْتُ عدّتي وشهوري
ولياليَّ من سنيٍّ البواقي	وتكمّلت عدّة التعمير
كنت فيمن ثوى ثويت تعود الطـ	ـير لحمي مبيّن التعفير

---

(١) في (أ): بغيضه.

(٢) في (أ): العظم.

(٣) في (أ): بعد.

ومجالُ الخيلين[1] منا ومنهم وأكفٌّ تطير كل مطير
حول مستبسل يرى الموت في اللـ ـه رباحًا رئبال غاب عقير
قد تلبّثتُ بالمقادير عنهم لَبْثَ الرائحين عن ذي البكور
إذ هُمُ يعثرون في علق الأو داج حولي في قسْطلٍ مستدير[2]

وقال أيضًا في إبراهيم عليه السلام :

وقتيلٌ باخمرا الذي نادى فاسمع كل شاهد
قاد الجنود إلى الجنو د تَزَحُّفَ الأُسْد الحوارد
بالمرهفات وبالقنا والمُبْرقسات وبالرّواعد
فدعا لدين محمّد ودعوا إلى دين ابن صائد
فرماهم بَلَبان أبـ ـلق سابقٌ للخيل قائد
بالسيف يفري مُصْلتا هاماتهم بأشدٍّ ساعد
فأتيح سهمٌ قاصدٌ لفؤاده بيمين جاحد
فهوى صريعاً للجبـ ـين وليس مخلوقٌ بخالد
وتبدّدت أنصاره وثوى بأكرم دار واحد
نفسي فداؤك من صريـ ـع غير مَمْهود الوسائد
وفدتك نفسي من غريـ ـب الدّار في القوم الأباعد
أي امرئ ظفرت به أبناء أبناء البولائد
فأولئك الشّهداءُ والصُّـ ـبُر الكرام لدى الشدائد
ونجار يثرب والأبا طح حيث معتلجُ العقائد
أقْوَت منازل ذي طوى فبطاح مكة فالمشاهد
فالْخَيفُ منهم فالجِمَا ر فموقف الظّعن الرواشد

---

(١) في (أ) : الخيل .

(٢) المقاتل ص٣٨٥ .

فحياض زمزم فالمقا م فبصادر عنها ووارد

فسويقتان فينبعٌ فبقيع يشرب ذي اللحائد

أمست بلاقع من بني حسن بن فاطمة الأراشد[1]

وكان هذا الشاعر من الرئاسة والعلم بموضع ليس أحد بمثله، وجدَّ به الطلب بعد قتل محمد وإبراهيم عليهما السلام حتى ظفر به أبو الدوانيق فلم يقله العثرة، فلمّا قُدِّم للقتل رحمه الله تعالى قال:

هل كان يرتحل البراق أبوكم أم كان جبريل عليه يُنَزَّلُ؟

أم من يقول الله إذ يختاره للوحي قم: يآ أيها المزمّلُ

بدأ المؤذن في الصلاة بذكره مع ذكره لله حين يهللُ

وروى السيد أبو الحسين يحيى بن الحسن الحسيني في كتاب نسب آل أبي طالب لعبد الله بن مصعب يرثي إبراهيم بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام:

يا صاحبيّ دعا الملامةَ واعلما أن لست في هذا بألومَ منكما

وقفا بقبر ابن النبي وسلّما لا بأس أن تقفا به وتسلّما

قبرٌ تضمّن خير أهل زمانه حسبًا وطيب سجيّة وتكرُّما

رجلاً نفى بالعدل جور بلادنا وعفى عظيمات الذنوب وأنعما

لم يجتنب قصد السبيل ولم يحد عنه ولم يفتح بفاحشة فما

لو عظّم الحدثان شيئًا قبله بعد النبي إذًا لكان معظّما

أوْ لو تمنّع بالسلامة قبله أحدٌ لكان قصاره أن يسلما

ولقد أُصيب كزيده وحسينه رزءٌ أذل المسلمين وأرغما

ضحّوا بإبراهيم خير ضحية فتصرّمت أيامه وتصرما

بطلٌ يخوض بنفسه غمراتها لا طائشًا رَعشًا ولا مستسلما

---

(١) المقاتل ص٣٨٤.

حتى مضت فيه السيوف وربما ... كانت حتوفهم السيوف وربما
أضحت بنو حسن أُبيح حريمها ... فيها وأصبح نهبها متقسّما
إن ابن فاطمة المنوّه باسمه ... عزّ الرواحل والخيول السوّما
عَظُمت مصيبته وعمّ هلاكُه ... بالذلّ من سَكَن النجود وأتْهَما
يا قبح يشرب بعد عزّ تهامة ... وفنآء مكة والحطيم وزمزما
والله لو شهد النبي محمد ... -صلى الإله على النبي وسلما-
إشراعَ أمته الأسنةَ لابنه ... حتى كسوه من حديدته دما
حقًّا لأيقن أنهم قد ضيعوا ... تلك القرابة واستحلُّوا الْمحرما

الحسين بن علي الفَخّي عليهما السلام[1]

هو أبو عبدالله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وأمه: زينب بنت عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام، وأمها هند بنت أبي عبيدة، وكان يعرف أبوه وأمه: بالزوج الصالح لصلاحهما وفضلهما، وكان أبوه أيضًا يسمى: عليَّ الخير، وعلي الأغرّ، وهو الذي كان في جملة المحبوسين في حبس أبي الدوانيق لا يعرفون أوقات الصلوات إلا بتلاوته للقرآن، ووظائف عبادته التي كان قد وظّفها؛ لأن أبا الدوانيق حبسهم في موضع لا يُميِّزون فيه بين ليل ونهار، فكانوا لا يهتدون لأوقات الصلاة إلا بتلاوته لأجزاء القرآن التي كان قد اعتادها قبل الحبس[2].

وروى بعض من صنّف أخبارهم: أنه قال له عمه عبدالله بن الحسن عليهما السلام: يا بني قد ترى ما نحن فيه فادع الله تعالى أن يخفِّف عنّا، فقال له: يا عم

(١) انظر الإفادة ٧٠، ومقاتل الطالبين ٤٣١، والطبري ٦/ ٤١٠، وابن الأثير ٥/ ٧٤، ومروج الذهب ٢/ ١٨٣، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٤٨٨، والشافي ١/ ٢١٣، وأخبار فخ ١٣١، والأعلام ٢/ ٢٤٤، وابن خلدون ٣/ ٢١٥، وخلاصة الوفاء ٣٩٦، والتحف شرح الزلف ١٠٨، والمصابيح ٤٦٣.

(٢) أنظر الإفادة ٧٠ ومقاتل الطالبين ٤٣١.

إن لأبي الدوانيق منزلة في النار لا ينالها إلا بما فعل بنا، وإن لنا منزلة في الجنة لا ننالها إلا بالصبر على ما نحن فيه، فإن شئت أن أدعو الله أن يخفف عن أبي جعفر ويقصِّر بنا عن منزلتنا فعلت؟. فقال له عمه عليه السلام: بل نصبر، وكانت حلَق أقيادهم قد اتسعت فكانوا يُحلُّونها فإذا أحسوا بالحرس ردُّوها وامتنع هو عن مثل ذلك، فقال له بعضهم في هذا، فقال: لا أحله حتى أحضر أنا وأبو جعفر بين يدي الله تعالى فيسأله فيم قيدني؟ إلى غير ذلك من طرائقه الشريفة. وكل آبائه عليهم السلام نُجَبَاء بررة أزكياء، فروع شجرة طيبة مباركة.

صفته عليه السلام:

ذكر السيد أبو طالب عليه السلام أنه كان أسود الرأس واللحية لم يخالطه الشيب، وكان بطلاً شجاعًا، سخيًا لا يكترث بالأموال[1].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

كان عليه السلام قد نشأ على السداد وطرق الرشاد، جامعًا بين العلم والعمل حتى اعتلى ذروة الشرف، جاريًا على طريقة آبائه الأخيار السادة الأبرار عليهم السلام.

وقد روى العلماء فيه من الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله ما يقضي بفضله، فمن ذلك ما رواه الشيخ أبو الفرج في مقاتل الطالبية[٤٣٦] بإسناده عن زيد بن علي عليهما السلام قال: انتهى رسول الله صلى الله عليه وآله إلى موضع فَخّ فصلى بأصحابه صلاة الجنائز، ثم قال: «يقتل ها هنا رجل من أهل بيتي في عصابة من المؤمنين، يُنزل لهم بأكفان وحنوط من الجنة، تسبق أرواحهم إلى الجنة قبل أجسادهم»[2].

وروى أيضًا بإسناده عن محمد بن علي قال: مرَّ النبي صلى الله عليه وآله بفخ فنزل

---

(١) الإفادة ص٩٢.

(٢) المصابيح ٤٦٤.

فصلى ركعة فلما صلى الثانية بكى وهو في الصلاة، فلما رأى الناسُ النبي ﷺ يبكي بكوا، فلما انصرف قال: ما يبكيكم؟ قالوا: رأيناك تبكي فبكينا يا رسول الله، قال ﷺ: نزل عليَّ جبريل لما صليت الركعة الأولى فقال لي: (يا محمد إن رجلاً من ولدك يقتل في هذا المكان وأجر الشهيد معه أجر شهيدين)[1].

وكان قد اشتهر من الكرم والجود بما لم يشتهر به عربي ولا عجمي في عصره، والروايات في هذا المعنى كثيرة إلا أنا نذكر راوية تجمع.

روى الشيخ أبو الفرج[2] رحمه الله بإسناده، قال: ركب الحسين صاحب فخ دينٌ كثير، فقال لغرمائه: الحقوني إلى باب المهدي، وخرج فخرجوا إلى بابْ المهدي فقال لآذنه: قل له: هذا ابن عمك الينبعي على الباب، قال: وكان على جمل فقال له: ويلك أدخله على جمله فأدخله حتى أناخه في وسط الدار، فوثب المهدي فسلم عليه وعانقه وأجلسه إلى جنبه وجعل يسأله عن أهله، ثم قال له: يا ابن عم ما جآء بك؟، قال: ما جئتك وورآئي أحد يعطيني درهمًا، قال: أفلا كتبت إلينا؟ قال أحببت أن أُحْدِثَ بك عهدًا، فدعى المهدي ببدرة من دنانير، وبدرة من دراهم، وتخت من ثياب حتى دعا له بعشر بدر دنانير، وعشر بدر دراهم، وعشرة تخوت فدفعها إليه، وخرج فطرحت في دار ببغداد، وجآءه غرمآؤه، فكان يقول للواحد: كم لك علينا؟ فيقول: كذا وكذا، فيزن له، ثم يدخل يده في بيت الدنانير والدراهم فيقول: هذا صلة منا لك فلم يزل حتى لم يبق من ذلك المال إلا شيءٌ يسير، ثم انحدر إلى الكوفة يريد المدينة فنزل قصر ابن هبيرة في خان، فقيل لصاحب الخان: هذا رجل من ولد رسول الله ﷺ، فأخذ له سمكًا فشواه وجآء به ومعه رقاق، وقال له: لم أعرفك يا ابن رسول الله، قال لغلامه: ما بقي معك من ذلك المال؟ قال: شيئ يسير، والطريق بعيد،

---

(١) المقاتل ص٤٣٦.

(٢) المقاتل ٤٤٣-٤٥٠.

قال: ادفعه إليه[1].

وروينا عن الإمام القاسم بن إبراهيم عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: عوتب الحسين بن علي عليهما السلام صاحب فَخّ فيما كان يعطي، وكان من أسخى العرب والعجم فقال: والله ما أظن أن لي فيما أُعطي أجراً، فقيل له: وكيف ذاك؟ قال: إن الله يقول: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢] والله ما هو عندي وهذه الحصاة إلا بمنزلة؛ يعني المال.

والحكايات في هذا المعنى كثيرة، وما أقمنه بقول القائل:

وما مُزبدٌ من خليج البحـو	ر يعلو الآكام ويعلو الجسورا
بأجـود منه بما عنده	فيعطي المثين ويعطي البدورا

بيعته عليه السلام والسبب في قيامه:

روى الشيخ أبو الفرج[2] أن موسى الملقب بالهادي، ولى على المدينة إسحاق ابن عيسى فاستخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز بن عبدالله فحمل على الطالبيين وأساء إليهم وأفرط في التحامل عليهم، وطالبهم بالعرض في كل يوم، وكانوا يعرضون في المقصورة، وأخذ كل واحد منهم بكفالة قريبه ونسيبه، فضمن الحسين بن علي، ويحيى بن عبدالله بن الحسن، والحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ووافى أوائل الحاج، وقدم من الشيعة نحو من سبعين رجلاً فنزلوا في دار ابن أفلح بالبقيع وأقاموا بها، وغلّظ العُمَري أمر العرض، وولّى على عرض الطالبيين رجلاً يعرف بأبي بكر بن عيسى بن الحائك مولى للأنصار، فعرضهم يوم جمعة فلم يأذن لهم في الانصراف حتى بدأ أوائل[3] الناس يجيئون إلى المسجد، ثم أذن لهم، فكان قصارى أحدهم أن تغدّى وتوضأ للصلاة وراح إلى المسجد فلما صلوا حبسهم في المقصورة إلى العصر ثم

---

(١) المقاتل ص ٤٤٠.

(٢) المقاتل ٤٤٣ - ٤٥٠.

(٣) في (ج): أول.

عرضهم فدعا باسم حسن بن محمد فلم يحضر، فقال ليحيى بن عبدالله، والحسين بن علي: لتأتياني به أو لأحبسنكما؛ فإن له ثلاثة أيام لم يحضر العرض، ولقد خرج أو تغيّب، فرادّه بعض المرادّة، وشتمه يحيى فخرج، ومضى ابن الحائك هذا ودخل على العُمَري فأخبره، فدعا بهما فوبخهما وتهدّدهما، فتضاحك حسين في وجهه، وقال: أنت مغضب يا أباحفص، فقال له العمري: أتهزأ بي وتخاطبني بكنيتي؟ فقال له: قد كان أبو بكر وعمر وهما خير منك يخاطبان بالكنى فلا ينكران ذلك وأنت تكره الكنية وتريد المخاطبة بالولاية، فقال له: آخر قولك شرٌّ من أوله، فقال معاذ الله: يأبى الله لي ذلك ومن[1] أنا منه، فقال له: أفإنما أدخلتك لتفاخرني وتؤذيني! فغضب يحيى بن عبدالله وقال له: فما تريد منا؟ فقال: أريد أن تأتيا بحسن بن محمد، فقال: لانقدر عليه وهو في بعض ما يكون فيه الناس، فابعث إلى آل عمر بن الخطاب فاجمعهم كما جمعتنا، ثم اعرضهم رجلاً رجلاً فإن لم تجد فيهم من غاب أكثر من غيبة حسن عنك فقد أنصفتنا، فحلف على الحسين بطلاق امرأته وحرية مماليكه أنه لايخلي عنه أو يجيء به في باقي يومه وليلته، وأنه إن لم يجيء به ليركبَنّ إلى سويقه فيخربها ويحرّقها، وليضربن الحسن ألف سوط، وحلف بهذه اليمين أنّ عينه إن وقعت على حسن بن محمد ليقتلنه من ساعته، فوثب يحيى مغضبًا فقال له: أنا أعطي الله عهدًا، وكل مملوك لي حر إن ذقت الليلة نومًا حتى آتيك بحسن أو لا أجده، فأضرب عليك بابك حتى تعلم أني قد جئتك، وخرجا من عنده وهما مُغْضَبان، وهو مُغْضَب، فقال حسين ليحيى: بئس لعمر الله ما صنعت حين تحلف لتأتينه به، وأين تجد حسنًا؟ قال: لم أرد أن آتيه بحسن والله وإلاّ فأنا نفيٌّ من رسول الله صلى الله عليه وآله ومن علي عليه السلام إن دخل عيني نوم حتى أضرب عليه بابه ومعي السيف، إن قدرت عليه قتلته، فقال له حسين: بئس ما تصنع، تكسر علينا أمرنا؟ قال له يحيى: وكيف أكسر عليك أمرك، وإنما بينك وبين ذلك عشرة أيام حتى تسير إلى

---

(١) في (أ): وما أنا منه.

مكة؟ فوجّه الحسين إلى حسن بن محمد فقال له: يا ابن عم، قد بلغك ما كان بيني وبين هذا الفاسق، فامض حيث أحببت، فقال له الحسن: لا والله يا ابن عم، بل أجيئ معك الساعة حتى أضع يدي في يده، فقال الحسين: ما كان الله ليطلع عليَّ وأنا جاء إلى محمد ﷺ وهو خصيمي وحجيجي في دمك، ولكني أقيك بنفسي لعلّ الله أن يقيَني من النار.

فجاءه يحيى وسليمان وإدريس بنو عبدالله بن الحسن، وعبدالله بن الحسن الأفطس، وإبراهيم بن إسماعيل طباطبا، وعمر بن الحسن بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن، وعبدالله بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، ووجّهوا إلى فتيان من فتيانهم ومواليهم، فاجتمعوا ستة وعشرين رجلاً من ولد علي عليه السلام وعشرة من الحاج، ونفر من الموالي، فلما أذّن المؤذن الصبح دخلوا المسجد ثم نادوا (أحدٌ... أحدٌ). وصعد عبدالله بن الحسن الأفطس المنارة التي عند رأس النبي ﷺ عند موضع الجنائز فقال للمؤذن: أذِّنْ (حي على خير العمل) فلما نظر السيف في يده أذّن بها، وسمعه العُمَري فأحس بالشر ودهش، وصاح: أغلقوا[1] البغلة بالباب، وأطعموني حبتيَ مآء، قال علي بن إبراهيم في حديثه[2]: فَوَلدُه إلى الآن يعرفون ببني حبتي مآء. قالوا: ثم اقتحم إلى دار عمر بن الخطاب، وخرج في الزقاق المعروف بزقاق عاصم بن عمر[3]، ثم مضى هاربًا على وجهه يسعى حتى نجا، وصلى الحسين بالناس الصبح، ودعا بالشهود العدول الذين كان العمري أشهدهم عليه أن يأتي بالحسن إليه، ودعا بالحسن وقال للشهود: هذا حسن قد جئت به فهاتوا العمري وإلا قد خرجت من يميني وما عليَّ.

---

(١) في (أ): غلقوا.

(٢) في (أ): لا توجد: في حديثه.

(٣) في (أ): بدون: بن عمر.

ولم يتخلف عنه أحد من الطالبيين إلا الحسن بن جعفر بن حسن بن حسن[1] فإنه استعفى فلم يكره. وموسى بن جعفر، وكان من حديث موسى أنه[2] قال للحسين: إنك مقتول فأجدَّ الضراب فإن القوم فسّاق يظهرون إيمانًا ويُضمرون شركًا، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وعند الله نحتسبكم من عصبة.[3]

وخطب الحسين بن علي عليهما السلام بعد فراغه من الصلاة فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أنا ابن رسول الله، على منبر رسول الله ﷺ في حرم رسول الله، أدعوكم إلى سنة رسول الله ﷺ.

أيها الناس: أتطلبون آثار رسول الله في الْحَجَر والعود وتتمسحون بذلك وتضيعون بضعة منه؟![4] وأقبل خالد البربري[5]- وكان مسلحة للسلطان بالمدينة- في السلاح ومعه أصحابه حتى وافوا باب المسجد الذي يقال له: باب جبريل، قال الراوي: فنظرت إلى يحيى بن عبدالله قد قصده في يده السيف، فأراد خالد أن ينزل فبدره يحيى فضربه على جبينه، وعليه البيضة والمِغْفَر والقلنسوة، فقطع ذلك كله وأطار قحف رأسه وسقط عن دابته، وحمل على أصحابه فتفرقوا وانهزموا.

ثم استخلف الحسين بن علي عليهما السلام دریاس الخزاعي، وخرج قاصداً إلى مكة معه من تبعه من أهله ومواليه وهم زهاء ثلاثمائة، فلما قربوا من مكة وصاروا (بفخّ وبَلْدَح) تلقتهم الجيوش، فعرض العباس بن محمد على الحسين الأمان والعفو والصلة فأبى ذلك أشد الإباء.

ولَمّا لقي الحسين عليه السلام المسودة أقعد رجلاً على جمل معه سيف يلوّح،

---

(١) في (أ): ساقطة: حسن.

(٢) في (أ): أن قال.

(٣) المقاتل ص٤٤٦-٤٤٧.

(٤) مقاتل الطالبين ٤٤٨.

(٥) في (ج): البريري.

والحسين يملي عليه حرفاً حرفاً ويقول: ناد، فنادى: يا معشر الناس، يا معشر المسودة، هذا حسين ابن رسول الله وابن عمه يدعوكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله[1].

وروينا عن أبي العرجاء جمّال موسى بن عيسى، قال: لما وصلنا بستان بني عامر فنزل فقال: اذهب إلى عسكر الحسين حتى تراه وتخبرني بكلما رأيت، قال: فمضيت فدرت فما رأيت خللاً ولا فللاً، ولا رأيت إلا مصليًا أو مبتهلاً، أو ناظراً في مصحف، أو معداً لسلاح، قال: فجئته فقلت: ما أظن القوم إلا منصورين. فقال: كيف ذلك يا ابن الفاعلة؟ فأخبرته فضرب يداً على يد وبكى حتى ظننت أنه سينصرف، ثم قال: هم والله أكرم عند الله، وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم، ولو أن صاحب القبر- يعني: النبي صلى الله عليه وآله نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف، يا غلام، اضرب بطبلك ثم سار إليهم، فوالله ما انثنى عن قتلهم[2] حتى قتلهم[3].

ذكر مقتله عليه السلام وموضع قبره[4]:

لما انتهى عليه السلام إلى فخ وبَلْدَح لقيتهم الجنود الظالمة وكان قوّادهم العباس بن محمد، وموسى بن عيسى، وجعفر ومحمد ابنا سليمان، ومبارك التركي وغيرهم، فالتقوا يوم التروية وقت صلاة الصبح، فأمر موسى بن عيسى بالتعبئة، فصار محمد بن سليمان في الميمنة، وموسى في الميسرة، وسليمان بن أبي جعفر والعباس بن محمد في القلب، فكان أول من بدأهم موسى فحملوا عليه فاستطرد لهم شيئا حتى انحدروا في الوادي، وحمل عليهم محمد بن سليمان من

---

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٤٤٤ - ٤٤٩، وأخبار فخ ١٣٢ وما بعدها، والمصابيح ٤٧٢ - ٤٨٦.

(٢) في (ج): بسقط: عن قتلهم.

(٣) المقاتل ص٤٥٢ - ٤٥٣.

(٤) ينظر مقاتل الطالبين ٤٥٠ وما بعدها، وأخبار فخ ١٥٠ - ١٦٢.

خلفهم فطحنهم طحنة واحدة حتى قتل أكثر أصحاب الحسين وجعلت المسودة تصيح بالحسين:[1] يا حسين لك الأمان فيقول: الأمانَ أريد! ويحمل عليهم، فقتل معه سليمان بن عبدالله بن حسن، وعبدالله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن، وأصابت الحسن بن محمد بن عبدالله نشابة في عينه فتركها في عينه[2] وجعل يقاتل أشد القتال، فناداه محمد بن سليمان: يا ابن خال اتق الله في نفسك، لك الأمان، فقال: والله ما لك أمان ولكني أقبل منك، ثم كسر سيفًا هنديًا كان في يده ودخل إليهم، فصاح العباس بن محمد بابنه: قتلك الله إن لم تقتله، أبعد تسع جراحات ينظر هذا! فقال له موسى بن عيسى: إي والله عاجلوه، فحمل عليه عبيدالله فطعنه، وضرب محمد بن العباس عنقه بيده صبراً، وتنشبت[3] الحرب بين العباس بن محمد ومحمد بن سليمان، وقال: أمّنتُ خالي فقتلتموه! قالوا: نحن نعطيك رجلا من العشيرة فتقتله مكانه.

وروي أن موسى بن عيسى هو الذي ضرب عنق الحسن بن محمد.

وروينا بالإسناد عن الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام قال: حدثني أبي قال: بايعنا الحسين بن علي الفخي عليهما السلام على أنه هو الإمام، قال: وأصابته جراحة والدم لا يرقأ، فقلنا له: أنت في هذه الحال، لو تنحيت. فقال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليبغض العبد يستأسر إلا من جراحة مثخنة».

وروينا أنه تأخر جماعة ممن بايع الحسين بن علي الفخي[4] عليهما السلام فلما فقدهم عند المعركة أنشأ يقول:

وإني لأنوي الخير سراً وجهرة	وأعرف معروفًا وأُنكر منكرًا
ويعجبني المرؤ الكريمُ نِجَارُهُ	ومَنْ حين أدعوه إلى الخير شمّرا

(١) في (أ): بحسين.

(٢) في (أ): لا توجد: في عينه.

(٣) في (أ): وتسبب.

(٤) في (ج): بحذف: الفخي.

يعين على الأمر الجميل وإن يرى فواحش لا يَصْبِرْ عليها وغيّرا

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن القاسم بن إبراهيم عليهما السلام عمن ذكره قال: رأيت الحسين صاحب فخ، وقد دفن شيئًا فظننت أنه شيء له مقدار، فلما كان من أمره ما كان نظرنا فإذا هو قطعة[1] من جانب وجهه قد قطع فدفنه ثم عاد فكرّ عليهم. وروى أيضًا أن حماداً التركي وكان ممن حضر وقعة فخ، فقال للقوم: أروني حسينًا فأروه إياه، فرماه بسهم فقتله، فوهب له محمد بن سليمان مائة ألف درهم ومائة ثوب[2]، وقتل أكثر أصحابه عليه السلام.

وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن نصر الخفاف قال: أصابتني ضربة وأنا مع الحسين صاحب فخ فَبَرَتِ اللحم والعظم، فبتُّ ليلتي أعوي منها، وأنا أخاف أن يجيئوني فيأخذوني إذا سمعوا الصوت، فغلبتني عيني فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وقد جاء، فأخذ عظمًا فوضعه على عضدي فأصبحت وما أجد من الوجع قليلاً ولا كثيراً[3]!.

ولما قتل عليه السلام أُخذ رأسه وحمل إلى موسى الملقب بالهادي، ودفن بدنه (بفخ) ومشهده مشهور مزور، ولا عقب له عليه السلام.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[4]: وكان له يوم قُتل إحدى وأربعون سنة، ولما قتلوه نفذوا إلى المدينة، فلما دخلوها وجلس موسى بن عيسى وأقبل الناس إليه، وأقبل موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عليهم السلام على أثر ذلك وعليه مدرعة صوف غليظ، وفي رجليه نعلان من جلود الإبل فقعد في طرف، فقال السري بن عبدالله: يا موسى كيف رأيت مصارع البغي الذي لا تَدْعُونه لبني عمِّنا المنعمين عليكم؟ فقال موسى أقول في ذلك:

---

(١) في (ج): بقطعه.

(٢) المقاتل ص ٤٥١ - ٤٥٢.

(٣) المقاتل ص٤٥٧.

(٤) الإفادة ٧٣.

بني عـمّنا ردوا فـضـول دمـآئنا ... يَنَـمْ لَيْلُكُمْ أولا يَلُمْنَ اللـوائم

فـإنا وإياكم ومـا كـان بيننا ... كذي الدّين يقضي دينه وهو راغم

فقال السري: والله ما يزيدكم البغي إلا ذلّة، ولو كنتم مثل بنيَ عمكّم يعني موسى بن جعفر- فقد عرف حق بني عمه وفضلهم عليه فهو لا يطلب ما ليس له، فقال موسى بن عبدالله عليه السلام:

فإنّ الأولى تُثني عليهم بقيتي[1] ... أولاك بنو عـمّي وعـمُّـهمُ أبي

فـإنك إن تمدحـهمُ بمديحـة ... تُصـدّق وإن تمدح أباك تُكذّب

وروي أن محمد بن سليمان لما حضرته الوفاة كانوا يلقنونه الشهادة وهو يقول:

ألا ليت أمي لم تلدني ولم أكنْ ... شهدتُ حسينًا يوم فخٍّ ولا الحسنْ

ولبعضهم يرثي الحسين بن علي عليهما السلام:

يا عينَ بكّي بدمع منك منهتن ... فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن

صرعى بفخٍّ تجرُّ الريح فوقهم ... أذيالهـا وغـوادي الدلّح[2] المزن

حتى عفت[3] أعظمٌ لو كان شاهدها ... محـمـد ذبّ عنهـا ثم لم يهن

مـاذا يقـولون إذ قـال النبي لهم: ... مـاذا فعلتم بنا في سالف الزمن؟

لا الناس من مُضَر حاموا ولا عصموا ... ولا ربيـعـة والأذواء من يمن

يا ويحهم كيف لم يرعوا لهم حُرمًا ... وقد رأى الفيل حق البيت ذي الركن

ولبعضهم يرثيه أيضًا:

فـلأبكين على الحسين ... بعـولة وعلى الحسن

وعلى ابن عـاتكة الذي ... أثووه ليس بذي كـفن

---

(١) في المصادر: تعيبني، وأظنه تصحيف.

(٢) الدلّح: كثير الماء. القاموس ص٢٧٧.

(٣) في (أ): غدت.

نزلوا بفخ غدوة — في غير منزلة الوطن
كانوا كرامًا فانقضوا — لا طائشين ولا جُبن
غسلوا المذلّة عنهم — غسل الثياب من الدّرن
هُديَ العباد بجدّهم — فلهم على الناس المنَنْ

رواه الشيخ أبو الفرج لعيسى بن عبدالله[1].

وروى عن بعضهم قال: رأيت في النوم رجلاً يسألني أن أنشده هذه الأبيات، فأنشدته إياه، فقال لي: زد فيها:

قومٌ كرامٌ سادةٌ — مَنْ هُمْ ومَنْ هُمْ ثم مَنْ

وروى بإسناده قال: سُمِع على مياه غطفان كلها ليلة قتل الحسين صاحب فخ هاتفًا يهتف ويقول:

ألا يا لقوم للسواد المصبّح — ومقتل أولاد النبي بِبَلْدح
لبيك حسينًا كل كهل وأمرد — من الجن إذ لم يبك للإنس مترح
فإني لجني وإن معرّسي — لَبا لبُرْقة السوداء من دون رَحْرَح

فسمعها الناس فلا يدرون ما الخبر حتى أتاهم قتل الحسين عليه السلام.

وروي أن عدة الجيش الظالم كانت أربعين ألفًا.

وروى الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام عن عمه سليمان بن القاسم بن يحيى بن حمزة بن أبي هاشم أن الجيش الذين حضروا لقتال الحسين بن علي الفخي عليهما السلام اسودت وجوههم قاطبة فكانوا يعرفون من بين الناس، فيقال: هذا من الجيش الذين قتلوا الفخي.

وقبره بفخ عند بستان الديلمي في الزاهر. أمر الإمام المنصور بالله عبدالله ابن حمزة عليه السلام إلى السيد أبي الحسن قتادة بن إدريس بعمارته فعمر عليه، وعلى الحسن بن محمد قبّة حسنة سنة إحدى وستمائة.

---

(١) المقاتل ص٤٥٨.

الإمام يحيى بن عبدالله عليهما السلام[1]

هو: أبو الحسين وقيل: أبو عبدالله يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأمه: قُرَيْبَة ابنة عبدالله ويعرف بربيح بن أبي عبيدة بن عبدالله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي، وهي ابنة أخ هند أم محمد وإبراهيم وموسى أولاد عبدالله عليهم السلام[2].

صفته عليه السلام:

قال السيد أبو طالب عليه السلام[3]: كان عليه السلام آدم، حسن الوجه إلى القِصَر، ما هو عظيم البطن، فارسًا شجاعًا، وكانت له مقامات مشهورة في مبارزة الأعداء، وقتل الأبطال مع الإمام الحسين بن علي صاحب فخ عليهما السلام.

وفي كتاب مقاتل الطالبية [٤٦٥] رواه بالإسناد عن بعضهم: كان قصيراً آدم، حسن الوجه والجسم، تعرف سلالة الأنبياء في وجهه.

ذكر طرف من أخباره وبيعته عليه السلام:

كان عليه السلام من عيون العترة عليهم السلام وفُضَلائها، قد نشأ على طريقة آبائه الأطهار السادة الأبرار سلام الله عليهم أجمعين، جامعًا بين العلم والعمل، قد روى الحديث عن أهله وغيرهم من الرواة، قال الشيخ أبو الفرج[4]: وأكثر

---

(١) أنظر الإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبين ٤٦٣، والطبري ٦/ ٤٤٩، وتاريخ بغداد ١٤/ ١٣، مروج الذهب ٣/ ٣٥٣، الاستقصاء ١/ ٦٧، ابن الأثير ٦/ ٧٤، ابن ابي الحديد ٤/ ٣٥٢، الفخري ١٧٤، التحف شرح الزلف ١١٢، الشافي ١/ ٢٢٤، الأعلام ٨/ ١٥٤، البداية والنهاية ١٠/ ٥٤، ابن خلدون ٣/ ٣١٥، عمدة الطالب ١٧٦، المصابيح ٤٩٠.

(٢) المصابيح ٤٩٠، والإفادة ٧٤، ومقاتل الطالبين ٤٦٣.

(٣) الافادة ص٧٦.

(٤) مقاتل الطالبين ص٤٦٣.

الرواية عن جعفر بن محمد، وروى عن أبيه وأخيه محمد، وعن أبان بن تغلب، وروى عنه مُخوَّل بن إبراهيم، وبكار بن زياد، ويحيى بن مُساور، وعمرو[1] بن حماد، وكان قد حضر عليه السلام القتال مع الحسين بن علي الفخي عليهم السلام، وقاتل قتالاً عظيماً، وأُصيب بنشاب كثير، قال الراوي: حتى صار كالقنفذ لكثرة لزومه فيه. ولما انفصلوا من الوقعة أقام مستتراً مدة طويلة يطوف في الآفاق خوفاً على نفسه، ووصل صنعاء وأقام بها شهوراً، وأخذ علمآء صنعاء عنه علماً كثيراً مثل يحيى بن زكرياء الصنعاني، ويحيى بن إبراهيم، ثم دخل بلاد الحبشة وخرج منها، وصار إلى بلاد الترك فتلقاه ملكها بالإكرام، وقدم له التحف العظيمة، ودعاه إلى الإسلام فأسلم على يديه سراً[2].

وبث يحيى عليه السلام دعاته في الآفاق فجآءته كتبهم ببيعة مائة ألف فيهم العلماء والفقهاء، فقال يحيى عليه السلام: لا بد من الخروج إلى دار الإسلام، فنهاه ملك الترك عن ذلك، وقال: إنهم يخدعونك فلا تغترّن، فقال يحيى: لا أُستخير فيما بيني وبين الله تعالى أن أقيم في بلاد الشرك ومعي مائة ألف مقاتل من المسلمين فخرج إلى بلاد الديلم وقال: إن للديلم معنا خرجة وأرجو أن تكون معي فلم تكن معه عليه السلام، وإنما كانت مع الناصر للحق عليه السلام. فلما استقرّ يحيى عليه السلام في بلاد الديلم وأتاه سبعون رجلاً ممن كان قد استجاب له، وبلغ الخبر إلى هارون المسمّى بالرشيد فتبلبل باله، وتغيّرت أحواله، وقَطَعَ الخمر، ولبس الصوف، وافترش اللّبود، وتحلى بغير ما يعتاده من العبادة والصلاح لما علا صيت يحيى عليه السلام في الآفاق، وانتشر ذكره. وكان في الذين بايعوه من عيون[3] أهل العلم المشهورين: عبد ربه ابن علقمة، ومحمد بن إدريس الشافعي، ومحمد بن عامر، ومخول بن إبراهيم،

---

(١) في النسخ: عمر.

(٢) الإفادة ٧٦، وأخبار فخ ١٩٠.

(٣) في (أ): ساقطة: عيون.

والحسن بن الحسن العُرني، وإبراهيم بن إسحاق، وسليمان بن جرير، وعبدالعزيز ابن يحيى الكناني، وبشر بن المعتمر، وفُلَيت بن إسماعيل، ومحمد بن أبي نعيم، ويونس بن إبراهيم، ويونس البجلي، وسعيد بن خثيم. وجَرَت على الشافعي رحمه الله نوبة، وذلك أن الرشيد لَمّا بلغه أنه يدعو ليحيى بن عبدالله عليهما السلام أنفذ إليه من أتى به على حمار مُقيّدًا مكشوف الرأس، فأُدخل بغداد على تلك الهيئة[1].

وذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أن إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى الذي يقال له: أستاذ محمد بن إدريس الشافعي كان من دعاة يحيى عليه السلام، ومن أجلّة أصحابه وأهل زمانه، فكتب إلى أبي محمد الحضرمي كتابًا وهو: «بسم الله الرحمن الرحيم، سلامٌ عليك فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى المستوجبين الصلاة من أهله أما بعد:

فقد بلغني حبك أهل بيت نبيك عامة، ويحيى بن عبدالله خاصة؛ لمكان النبي صلى الله عليه وآله منهم، ولموضعهم الذي فضلهم الله به من بيننا، فلقد وُفّقت لرشدك بمودتك لهم؛ لأنهم أحق الناس بذلك منك ومن الأمة، وأقمنهم أن يُقرِّبك حبهم إلى ربك؛ لأنهم أهل بيت الرحمة، وموضع العصمة، وقرار الرسالة، وإليهم كان مختلف الملائكة، وأهل رسول الله وعترته، فهم معدن العلم وغاية الحكم[2]، فتمسك بصاحبك، واستظل بظله، وأعنه على أمره، وارض به محلا، ولا تبغ به بدلاً، فإنه من شجرة باسقة الفرع، طيبة النبع، ثابتة الأصل، دائمة الأكل، قد ساخت عروقها فهي طيبة الثرى، واهتزت غصونها فهي تنطف الندى، وأورقت مُنضرة، ونوّرت مزهرة، وأثمرت مُورقة، لا يُنقص ثمارها

(١) الإفادة ٦٧.

(٢) في (أ): الحلم.

الجناة، ولا ينتزعها[1] السقاة، فمن نزل بها وأوى إليها ورد حياضًا تفيض، ورعى رياضًا لا تغيض، وشرب شربًا رويًا هنيئًا مريئًا متلألأً غريضًا فضيضًا، فروّى وارتوى من رواء بدلاء ملأى، مبذولة غير ممنوعة، معروضة غير مقطوعة، فاسْتَمْسِكْ بالعروة الوثقى من معرفة حق الله عليك في نصرة يحيى، وتحريم حرمته، واستغنم الظفر بما يلزمك من حفظه لمكان النبي ﷺ ومكان الوصي بعده الإمام، ومكان أهله منه، وحفظ دين الله خاصة، وفي أهل البيت عامة، وأحببهم جميعًا حبًا نافعًا، واجعل حبك إياهم حبًا دائمًا بغير تقصير ولا إفراط، ولا احتراف ولا اختلاف، تجمعهم إذا تفرقوا، ولا تفرق بينهم إذا اجتمعوا، ولا تُصدِّق عليهم أهل الفرية من الرافضية الغلاة، فإنهم العداة للقائمين بالحق من عترة الرسول، وسيِّئوا النية فيهم والجرأة على الله بالإفك والشنآن، وهم أهل الخلابة وقلة المهابة للعواقب، واعلم أن من اعتقد ترك ما نهى عنه في السر الباطن، وأظهر الحق في المواطن، ولزم التقوى وحفظ حق ذي القربى، وتجنب في حبهم الجور والحزونة، وسلك الطريقة الوسطى، وسار فيهم بالقصد والسهولة، وأقرّ بالفضل لأهله، وفضّل ذا الفضل بفضله، ودعا إلى الله تعالى وإلى كتابه وسنة نبيه، ولم ير الإغماض في دينه، ولم ينقض مبرما، ولم يستحل محرمًا، فمن كانت هذه صفته لحق بالصالحين من سلفه وبخير آبائه الطاهرين، فتدبر ما وصفت لك، وميزه بقلبك، فإن كنتَ كذلك لحقتَ بأهل الولاية الباطنة والمودة الراتبة، التي لم تغيرها فتنة ولم تصبها أبنة[2]، فَاسْكُنْ خير دار عند أكرم جار بأهنأ راحة وأفضل قرار، في مكان لا يشوبه المكاره والغل، ولايعاب أهله بسوء الأخوة والبخل، يتلاقون بأحسن تحية، بصدق برية، وأخلاق سنية، لا تمازجها الريبة، ولا تنساع فيها الغيبة، قد وصلهم الله بحبله

---

(١) في (أ): ولا شرعها.

(٢) الأبنة: العيب. القاموس ص١٥١٥.

فاتصلوا به، وجمعهم في جواره فاستبشروا به، فعلى ذلك يتواخون وبه يتواصلون، يتحابون بالولاية، ويتوادون بحسن الرعاية، فهم كما قال الله: ﴿كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ﴾ الآية [الفتح:٢٩]، فهم كمثل من خلا من قبلهم، مستهم البأساء والضراء ونالهم المكروه واللأواء، والشدة والأذى، امتحنوا بعظيم المحن والبلوى، فصبروا لله على ما امتحنهم به، وأخلصوا لله ما أرادوا منه، فحباهم[1] على ما أسلفوا، وكافأهم بجميل ما اكتسبوا، وأحبهم لعظيم ما صبروا، والله يحب الصابرين. رزقنا الله تراحم الأبرار وتواصل الأخيار الذين لهم عقبى الدار، وفتح لنا ولك أبواب الحكمة، وعصمنا وإياك بحبل العصمة، وشملنا بجميل النعمة، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.

ولما علم هارون المسمى بالرشيد بكثرة من استجاب ليحيى عليه السلام، وكونه في الديلم عند جُسْتان وحيث لا طاقة له في أخذه قهراً أعمل الحيلة في ذلك، فوجّه الفضل بن يحيى بن خالد في خمسين ألف مقاتل، وألزمه التوصل إلى استخراج يحيى عليه السلام بما يمكن من الحيل فتشدد الفضل في ذلك إزالة للتهمة عن نفسه، فقد كان سُعِيَ به إلى هارون وقيل: إنه يعرف مكان يحيى عليه السلام، وإنه كتب له منشوراً يعرضه على أصحاب المسالح حتى لا يعترضوا له بحال. فلما جهز الفضل بن يحيى بالجند والأموال الجليلة أمره أن يبذل لجستان ما يحبه من الأموال، وأوصاه أن يعرض على يحيى عليه السلام كل أمر يوافق خاطره، وأن يعظم القطائع الجليلة على احترامه واحترام شيعته، وأن يسكن حيث أحب من البلاد. وشيع هارون الجيش إلى النهروان، فلما عُرضوا عليه رأى ما أعجبه من كراع وسلاح ورجال، وكان ذلك سنة ست وسبعين ومائة، ونهض الفضل بن يحيى يطوي البلاد حتى حط بطالقان الري، فكاتب ملك الديلم وبذل له ألف ألف درهم على خروج يحيى عليه السلام، فامتنع ملك الديلم من ذلك، فأرسل إليه الفضل بالأموال، وأنواع التحف

(١) في (أ): فحاباهم.

والهدايا فلم يؤثر فيه ذلك بل استمر على الامتناع. وقد كان هارون أودع الفضل كتابًا إلى يحيى عليه السلام إن امتنع ملك الديلم فيه الأمان والوثائق، وأن يبذل له من المال ألف ألف وألف ألف وألف ألف وما أحب من القطائع، وينزله من البلاد حيث شاء[1]. فكتب يحيى عليه السلام إلى هارون جواب كتابه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد: فقد فهمت كتابك، وما عرضت عليَّ فيه من الأمان على أن تبذل لي أموال المسلمين، وتقطعني ضياعهم التي جعلها الله لهم دوني ودونك، ولم يجعل لنا فيها نقيراً ولا فتيلاً، فاستعظمتُ الاستماع له فضلاً عن الركون إليه، واستوحشتُ منه تنزهًا عن قبوله، فاحبس عني أيها الإنسان مالك وإقطاعك وقضاك حوائجي، فقد أدبتني إذاً خالف ناقصًا[2]، وولدتني عاقًا قاطعًا، فوالله لو أن من قَتلتَه من أهلي تُرْكٌ ودَيَالمٌ على بعد أنسابهم مني وانقطاع رحمهم عني لوجَبَت عليَّ نصرتهم، والطلب بدمآئهم، إذ كان منكم قتلهم ظلمًا وعدوانًا، والله لكم بالمرصاد لما ارتكبتم من ذلك، وعلى الميعاد لما سبق فيه من قوله ووعيده، وكفى بالله جازيًا ومعاقبًا، وناصراً لأوليائه ومنتقمًا من أعدائه، وكيف لا أطلب بدمآئهم وأنام عن ثأرهم، والمقتول بالجوع والعطش والنكال، وضيق المحابس وثقل الأغلال، وعَدْو العذاب وترادف الأثقال - أبي عبدالله بن الحسن ذو الشيبة الزكية، والهمة السنية، والديانة المرضية، والخشية والتقية، شيخ الفواطم، وسيد أبنآء هاشم طرًا، وأرفع أهل عصره قدراً، وأكرم أهل بلاد الله فعلاً، ثم يتلوه إخوته وبنو أبيه، ثم إخوتي وبنو عمومتي نجوم السمآء، وأوتاد الدنيا، وزينة الأرض، وأمان الخلق ومعدن الحكمة، وينبوع العلم، وكهف المظلوم، ومأوى الملهوف، ما منهم أحد إلا من لو أقسم على الله لبرّ قسمه،

---

(١) مقاتل الطالبين ٤٦٥، والإفادة ٧٦.

(٢) في (أ): ناقصًا.

فما أنسَ من الأشيآء فلا أنسى مصارعهم، وما حلّ بهم من سوء مقدرتكم، ولؤم ظفركم، وعظيم إقدامكم، وقسوة قلوبكم، إذ جاوزتم قتلة من كفر بالله إفراطًا، وعذاب من عاند الله إسرافًا، ومُثلة من جحد الله عتوًا. وكيف أنساه؟ وما أذكره ليلاً إلا أقضّ عليَّ مضجعي وأقلقني عن موضعي، ولا نهارًا إلا أمَرَّ عليَّ عيشي، وقصّر إليَّ نفسي حتى لوددت أني أجد السبيل إلى الاستعانة بالسباع عليكم فضلاً عن الناس، وآخذ منكم حق الله الذي أوجب عليكم، وأنتصف من ظالمكم، وأشفي غليل صدر قد كثرت بلابله، وأسكّن قلبًا جمًا وساوسُه من المؤمنين، وأذهب غيظ قلوبهم ولو يومًا واحدًا، ثم يقضي الله فيَّ ما أحب، وإن أعش فمدركٌ ثأري داعيًا إلى الله سبحانه على سبيل الرشاد أنا ومن اتبعني نسلك قصد من سلف من آبآئي وإخواني وإخوتي القائمين بالقسط الدعاة إلى الحق، وإن أمت فعلى سَنَن ما ماتوا غير راهب لمصرعهم، ولا راغب عن مذهبهم، فلي بهم أسوة حسنة، وقدوة هادية؛ فأول قدوتي منهم أمير المؤمنين رضوان الله عليه؛ إذ كان ما زال قائمًا وقت القيام مع الإمكان حتمًا، والنهوض لمجاهدة الجبارين فرضًا، فاعترض عليه من كان كالظلف مع الخف، ونازعه من كان كالظلمة مع الشمس، فوجدوا لعمر الله من حزب الشيطان مثل من وجدت، وظاهرهم من أعدآء الله مثل من ظاهرك، وهم لمكان الحق عارفون، وبمواضع الرشد عالمون، فباعوا عظيم أجر الآخرة بحقير عاجل الدنيا، ولذيذ الصدق بغليظ مرارة الإفك، ولو شآء أمير المؤمنين لهدأتْ له، وركنت إليه بمحاباة الناكثين، واتخاذ المضلين، وموالاة المارقين، ولكن أبى الله أن يكون للخائنين متخذًا، وللظالمين مواليًا، ولم يكن أمره عندهم مشكلاً، فبدلوا نعمة الله كفرًا، واتخذوا أيآت الله هزوًا، وجحدوا كرامة الله، وأنكروا فضيلة الله، فقال رابعهم: أنّى تكون لهم الخلافة والنبوة، حسدًا وبغيًا، فقديمًا حُسدَ النبيئون وأبنآء النبيين الذين اختصهم الله بمثل ما اختصنا، فأخبر عنهم تبارك وتعالى فقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى

مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء:٥٤]، فجمع لهم المكارم والفضائل، والكتاب والحكمة والنبوة والملك العظيم، فلما أبوا إلا تماديًا في الغي وإصراراً على الضلال، جاهدهم أمير المؤمنين حتى لقيَ الله شهيداً رضوان الله عليه. ثم تلاه الحسن سليل رسول الله ﷺ وآله وشبيهه، وسيد شباب أهل الجنة، إذ كل أهلها سادة فكيف بسيد السادة، فجاهد من كان أمير المؤمنين جاهده، وسكن إليه من المسلمين من كان شايعه من ذوي السابقة وأهل المأثرة، فكان ممن نقض ما عقد له ونكث عما عاهده عمك عبيدُالله بن العباس حين اطمأن إليه، وظن أن سريرته لله مثل علانيته. وجّهه على مقدمته في نحو عشرين ألف مقاتل من المسلمين، فلما نزل مَسْكنًا من سواد العراق باع دينه وأمانته من ابن آكلة الأكباد بمائة ألف درهم وفارق عسكره ليلاً ولحق بمعاوية، فدلّه على عورات عسكر ابن رسول الله، وأطمعه في مبارزته بعد أن كانت نفسه قد أُحيط بها وضاق عليه مورده ومصدره، وظنّ أن لا مطمع له حين استدرج وأمهل له فارتحل الحسن بنفسه باذلاً لها في ذات الله ومحتسبًا ثواب الله، حتى إذا كان بالمدائن وثب عليه أخو أسد، فوجأه في فخذه فسقط لما به، وأيس الناس من إفاقته، فتبددوا شيَعًا، وتفرقوا قطعًا، فلما قصرت طاقته، وعجزت قوته، وخذله أعوانه سالم هو وأخوه معذورين مظلومين موتورين، فاستثقل اللعين ابن اللعين حياتهما، واستطال مدتهما، فاحتال بالاغتيال لابن رسول الله ﷺ وآله حتى نال مراده وظفر بقتله، فمضى مسمومًا شهيداً، مغمومًا فقيداً. وغبر شقيقه وأخوه وابن أمه وأبيه شريكه في فضله، ونظيره في سؤدده، على مثل ما انقرض عليه أبوه وأخوه، حتى إذا ظن أن قد أمكنته محنة الله من بوارهم، ونصرة الله من اخترامهم، دافعه عنها أبناء الدنيا، واستدرج بها أبناء الطلقاء، فبعداً للقوم الظالمين، وسحقًا لمن آثر على سليل النبيين وبقية المهتدين الخبيث ابن الخبيثين، والخائن ابن الخائنين، فقتلوه ومنعوه ماء

الفرات، وهو مبذول لسائر السباع، وأعطشوه وأعطشوا أهله وقتلوهم ظمأ، يناشدونهم فلا يجابون، ويستعطفونهم فلا يرحمون، ثم تهادوا رأسه إلى يزيد الخمور والفجور تقربًا إليه، فبعدًا للقوم الظالمين!!.

ثم توجهت جماعة من أهل العلم والفضل إلى سجستان في جيش، فتذاكروا ما حل بهم من ابن مروان فخلعوه وبايعوا الحسن بن الحسن ورأسوا عليهم ابن الأشعث إلى أن يأتيهم أمره، وكان رأسهم غير طائل ولا رشيد، نصب العدواة للحسن قبل موافاته، فتفرقت عند ذلك كلمتهم وفلّ حدهم، فمزّقوا كل ممزّق، فلما هُزِم جيش الطواويس احتالوا بجدي الحسن بن الحسن فمضى مسمومًا يتحسّى الحسرة، ويتجرّع الغيظ رضوان الله عليه، حتى إذا ظهر الفساد في البر والبحر شرى زيد بن علي عليهما السلام لله نفسه، فما لبث أن قُتل ثم صُلب ثم أحرق فأكرم بمصرعه مصرعًا. ثم ما كان إلا طلوع ابنه يحيى عليه السلام ثائرًا بخراسان فقضى نحبه وقد أعذر رضوان الله عليهما، وقد كان أخي محمد بن عبدالله دعا قبل زيد وابنه عليهما السلام فكان أول من أجابه وسارع إليه جدك محمد بن علي ابن عبدالله بن عباس وإخوته وأولاده، فخرج ابن عمه يقوم بدعوته، حتى خدع بالدعاء إليه طوائف، ومعلوم عند الأمة أنكم كنتم لنا تدعون، وإلينا ترجعون، وقد أخذ الله عليكم منكم ميثاقًا لنا، وأخذنا عليكم ميثاقًا لمهدينا محمد بن عبدالله النفس الزكية الخائفة التقية المرضية، فنكثتم عند ذلك، وادعيتم من إرث الخلافة ما لم تكونوا تدّعونه قديمًا ولا حديثًا، ولا ادّعاه أحدٌ لكم من الأمة إلا تقوُّلاً كاذبًا، فها أنتم الآن تبغون دين الله عوجا، وذرية رسول الله ﷺ قتلاً واجتياحًا، والآمرين بالمعروف صَلْبًا واستباحًا، فمتى ترجعون، وأنى تؤفكون؟ أو لم يكن لكم خاصة وللأمة عامة في محمد بن عبدالله فضلاً، إذ لا فضل يعدل فضله في الناس، ولا زهد يشبه زهده، حتى ما يتراجع فيه اثنان، ولا يترادُّ فيه

مؤمنان، ولقد أجمع عليه أهل الأمصار من أهل الفقه والعلم في كل البلاد لا يتخالجهم فيه الشك، ولا تقفهم عنه الظنون، فما ذكر عند خاصة ولا عامة إلا اعتقدوا محبته، وأوجبوا طاعته، وأقروا بفضله وسارعوا إلى دعوته، إلا من كان من عتاة أهل الإلحاد الذين غلبت عليهم الشقوة، فغمصوا النعمة، وتوقعوا النقمة من شيع أعدآء الدين وأفئدة المضلين وجنود الضالين، وقادة الفاسقين، وأعوان الظالمين، وحزب الخائنين، وقد كان الدعاء إليه منكم ظاهراً، والطلب له قاهراً، بإعلان اسمه وكتاب إمامته على أعلامكم: محمدنا منصور، يُعرف ذلك ولا يُنكر، ويسمع ولا يجهل، حتى صرفتموها إليكم وهي تخطب عليه، وكفحتموها عنه وهي مقبلة إليه، حين حضرتم وغاب، وشهدتم إبرامها، ورأى قلة رغبة ممن حضر، وعظيم جرأة ممن اعترض، حتى إذا حصلت لكم بدعوتنا، وهدأت لكم بخطبتنا، وقرّت لكم بنسبتنا، قالت لكم إجرامكم إلينا، وجنايتكم علينا: إنها لا توطأ لكم إلا بإبادة خضرائنا، ولا تطمئن لكم دون استئصالنا، فأغري بنا جدك المتفرعن فقتلنا، ولا يخفى أثره فينا عند المسلمين، لؤم مقدرة، وضراعة مملكة، حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، قبل بلوغ شفآء قلبه من فنآئنا، وهيهات أن يدرك الناس ذلك، ولله فينا خبيئة لا بدّ من إظهارها، وإرادة لا بد من بلوغها، فالويل له، فكم من عين طالما غمضت عن محارم الله، وسهرت متهجدة لله، وبكت في ظلم الليل خوفًا من الله، قد أسحّها بالعبرات باكية، وسمّرها بالمسامير المحماة، وألصقها بالجدرات المرصوفة قائمة، وكم من وجه طالما ناجى الله مجتهداً، وعنى لله متخشعًا، مشوهًا بالعمد مغلولاً مقتولاً، ممثولاً به معنوقًا، وبالله أن لو لم يلق الله إلا بقتل النفس الزكية أخي محمد بن عبدالله رحمه الله للقيه بإثم عظيم وخطب كبير، فكيف وقد قتل أبا[1] النفس

---

(١) في (ج): قبل.

الزكية التقية، أبي عبدالله بن الحسن وإخوته وبني أخيه، ومنعهم روح الحياة في مطابقه، وحال بينهم وبين خروج النفس في مطاميره، لا يعرفون الليل من النهار، ولا مواقيت الصلاة إلا بقرآءة أجزآء القرآن تجزئة قد عرفوه لما غابوا في أنآء الليل والنهار حين الشتآء والصيف حال أوقات الصلاة، قرمًا منه إلى قتلهم، وقطعًا منه لأرحامهم، وترة لرسول الله ﷺ فيهم، فولغ فيهم ولغان الكلاب، وضري بقتل صغيرهم وكبيرهم ضراوة الذئاب، ونهم بهم نهم الخنزير، واللهُ له ولمن عمل بعمله بالمرصاد. فلما أهلكه الله قابلتنا أنت وأخوك الجبار الفظ الغليظ العنيد، بأضعاف فتنته، واحتذاء سيرته، قتلاً وعذابًا وتشريدًا وتطريدًا، فأكلتمانا أكل الربا، حتى لفظتنا الأرض خوفًا منكما، وتأبّدنا في الفلوات هربًا عنكما، فأنست بنا الوحوش وأنسنا بها، وألفتنا البهائم وألفناها، ولو لم يجترم أخوك إلا قتل الحسين بن علي وأسرته بفخ لكفى بذلك عند الله وزرًا عظيمًا وسيعلم وقد علم ما اقترف، والله مجازيه وهو المنتقم لأوليائه من أعدآئه. ثم امتحننا الله بك من بعده، فحَرصت على قتلنا، وظلمت الأول والآخر منا، لا يؤمّنك منهم بُعْد دار، ولا نأي جار، تتبعهم حيلك وكيدك حيث ستروا من بلاد الترك والديلم، لا تسكن نفسك ولا يطمأن قلبك دون أن تأتي على آخرنا، ولا تدع صغيرنا، ولا ترثى لكبيرنا؛ لئلا يبقى داعٍ إلى حق، ولا قائل بصدق، ولا أحد من أهله، حتى أخرجك الطغيان، وحملك الشنآن أن أظهرت بغضة أمير المؤمنين، وأعلنت بنقصه، وقربت مبغضيه؛ وآويت شانيئه، حتى أربيت على بني أمية في عداوته، وأشفيت غلتهم في تناوله، وأمرت بكرب قبر الحسين بن علي صلوات الله عليه، وتعمية موضعه، وقتل زوّاره، واستئصال محبيه، وأوعدت فيه وأرعدت وأبرقت على ذكره، فوالله لقد كانت بنو أمية الذين وضعنا آثارهم مثلاً لكم، وعددنا مساويهم احتجاجًا عليكم على بعد أرحامهم أرأف بنا منكم، وأعطف

علينا قلوبًا من جميعكم، وأحسن استيفاءً لنا ورعاية من قرابتكم، فوالله ما بأمركم خفاء، ولا بشأنكم امترآء، ولم لا تُجَاهَدُ؟ وأنت معتكف على معاصي الله صباحًا ومساء، مغترًا بالمهلة، آمنًا من النقمة، واثقًا بالسلامة، تارة تغري بين البهائم بمناطحة كبش، أو مناقرة ديك، أو مخارشة كلب، وتارة تفترش الخضيان، وتأتي الذُّكْرَانَ، وتترك الصلاة صاحيًا وسكران، ثم لا يشغلك ذلك عن قتل أوليآء الله، وانتهاك محارم الله، فسبحان الله ما أعظم حلمه، وأكثر أناته عنك وعن أمثالك، ولكنه تبارك وتعالى لا يعجل بالعقوبة، وكيف يعجل وهو لا يخاف الفوت وهو شديد العقاب. فأما ما دعوتني إليه من الأمان، وبذلت لي من الأموال، فمثلي لاتثني الرغائب عزمته، ولا تَنْحَلُّ لخطير همتُه، ولا تبطلُ سعيًا باقيًا على الأيام أثره، ولايترك جزيلاً عندالله أجْرُه بمالٍ فانٍ، وعارٍ باقٍ، هذه صفقة خاسرة، وتجارة بائرة، وأستعصم الله منها، وأسأله أن يجيرني من مثلها بمنه وطوله. أفأبيع المسلمين وقد سمت إليَّ أبصارهم، وانبسطت نحوي آمالهم بدعوتي، واشرأبّت أعناقهم نحوي؟ إني إذًا لدنيّ الهمة، لئيم الرغبة، ضيق العطن، هذا والأحكام مهملة، والحدود معطلة، والمعاصي مستعملة، والمحارم منتهكة، ودين الله محقور، وبصيرتي مشحوذة، وحجّة الله قائمة في إنكار المنكر. أفأبيع خطيري بمالكم، وشرف موقفي بدراهمكم، وألبس العار والشنار بمقامكم؟! لقد ضللت إذًا وما أنا من المهتدين، والله ما أكلي إلا الجشب، ولا لباسي إلا الخشن، ولا شعاري إلا الدرع، ولا صاحبي إلا السيف، ولا فراشي إلا الأرض، ولا شهوتي من الدنيا إلا لقآؤكم، والرغبة في مجاهدتكم، ولو موقفًا واحدًا لانتظار إحدى الحسنيين في ذلك كله في ظفر أو شهادة. وبعد فإن لنا على الله وعدًا لا يخلفه، وضمانًا سوف ننجزه حيث يقول:

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ

كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لاَ يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ﴾[النور:٥٥] وهو الذي يقول عز قائلاً : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُم أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الوَارِثِينَ ﴾ [القصص:٥] [١].

فلما ورد جواب يحيى عليه السلام على هارون أثناء وساده، وشاور أهل الرأي من خاصته فاستبهم عليهم الأمر، فقال أبو البختري وهْب بن وهْب، وكان من قدماته بل جعله قاضي القضاة: يا أمير المؤمنين عليَّ أن أحتال لك حتى تَسَلَّمَ يحيى من جستان، فقال: وكيف ويحك تعمل؟ قال: أجمع من وجوه أهل قزوين وزنجان والري وأبهر وهمذان وعلمائها من قدرت عليه، ويشهدون عند جستان أني قاضي القضاة، وأشهد أن يحيى لك عبدٌ، ويشهدون وأنا لك بالخلافة، فانجلى كرب هارون وأمر لأبي البختري بجائزة ثلاثمائة ألف، ووجّه من فوره إلى الفضل بن يحيى، وأمره أنّ من امتنع من الشهادة ضُربت عنقه، واصطُفي ماله، ومن شهد أُكرم وأُسقط عنه الخراج؛ فجمع من العلماء من أهل الجهات والنواحي التي سميناها ممن يعرفهم جستان ألف رجل وثلاثمائة رجل، ثم تقدموا إلى جستان فشهدوا بأن أبا البختري قاضي القضاة، وشهدوا لجستان بأن يحيى عبدٌ لهارون، وليس بابن بنت النبي صلى الله عليه وآله. وقد كان الفضل عرف أن امرأة جستان غالبةٌ عليه فطمع فيه من جهتها، فأنفذ إليها من الألطاف والجواهر والطيب والثياب حتى أرضاها، فأشارت على جستان بتسليمه إليهم[٢]، فلما اجتمع هذان السببان، قال جستان ليحيى عليه السلام: يا يحيى ما وجدت أحداً تخدعه بدعوتك غيري؟ فقال له عليه السلام: أيها الرجل إنّ لك عقلاً فاجعله حكمًا دون هواك، لو أني كنت كما قالوا ما وجهوا إليك بهذا المال، ولا وجهوا هذا الجند العظيم وأنفقوا

---

(١) أنظر الشافي ١/ ٢٢٥ وما بعدها.

(٢) الإفادة ٤٩٤.

هذا المال الجسيم لأجل عبد هرب، ولا جمعوا من وجوه هذه الأمصار من ترى؛ ليشهدوا عندك بالزور، فابعث من تثق به يسأل عني في هذه الأمصار وفي غيرها من أنا حتى تكون على يقين من أمرك، فقال جستان وكانت نيته قد فسدت بهذه الأسباب: هذا يطول، ما كان هؤلاء ليشهدوا عندي بالزور، فقال: إنهم مكرهون على الشهادة، وإنّ من أبى منهم قُتل، فاجمع بيني وبينهم، فقال: أفعل هذا، فلما اجتمعوا عليه قام فقال: الحمدلله على ما أولانا من نعمة وأبلانا من محنة، وأكرمنا بولادة نبيئه ﷺ محمد، وعلى جزيل ما أولى، وجميل ما ابتلى، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله انتخبه واصطفاه، واختاره واجتباه صلوات الله عليه وآله أجمعين أما بعد: معاشر العرب فإنكم كنتم من الدنيا بشر دار، وضنك قرار، ماؤكم أجاج، وأكلكم لماج[1]، من العلْهز[2] والهبيد[3]، الأعاجم لكم قاهرة، وجنودهم عليكم ظاهرة، لم يمنعهم من تحويلكم من بلدكم إلا قلة خير بلدكم، أنتم مع الدنيا بمنزلة السّقب[4] مع الناب الصعبة الضروس متى دنا إليها لينال من درّها منعته، إن أتاها من أمامها خبطته، أو من ورائها رمحته، أو من عرضها عضّته، فما عسى أن يصيب منها هذا على تفرق شملكم، واختلاف كلمتكم، لا تُحلُّون حلالاً، ولا تحرمون حرامًا، ولا تخافون آثامًا، قد رانَ الباطل على قلوبكم فلا تعقلون، وغطت الحيرة على أبصاركم فما تبصرون، وأسكّت الغفلة على أسماعكم فما تسمعون، على أن عودكم نضار، وأنتم ذو الأخطار، ثم منّ الله عليكم وخصكم دون غيركم، فبعث فيكم محمداً ﷺ منكم خاصة، وأرسله للناس كافة، وجعله بين أظهركم ليميز به بينكم، وهو تعالى أعلم بكم منكم بأنفسكم،

---

(١) اللّمج: الأكل بأطراف الفم. القاموس ص٢٦١ .

(٢) العلْهز: طعام من الدوم والوبَر. القاموس ص٦٦٦ .

(٣) الهَبيد: الحنظل . القاموس ص٤١٨ .

(٤) السّقب: ولد الناقة. القاموس ص١٢٤ .

فاستنقذكم من ظلمة الضلال إلى نور الهدى، وجلا غشاوة العمى عن أبصاركم بضيآء مصابيح الحق، واستخرجكم من عمى بحور الكفر إلى جدد أرض الإيمان، وجَمَلَ برِفْقه[1] ما انفتق من رتقكم، ورأبَ بيُمْنه ما انصدع من شعبكم، ولمَّ بإصلاحه ما فرقت الأحقاد والجهل من قلوبكم، ثم اقتضب برمحه لكم الدنيا الصعبة، فذلّت بعد عَنَت، وأبّسها فأرزمت[2]، وتفاجّت واجترت بعد ضرس، ودرت ضرعها بيمين كفه، فأحفلت أخلافها، وانبعثت أحاليبها، فرأمتكم كما ترأم الناب المقلاة طلاها، فشربتم عَللاً بعد نَهَل، وملأتم أسقيتكم فضلاً بعد التظاظ[3]، وتركها صلى الله عليه وآله تدور حولكم وتلوذ بكم كما تلوذ الزحور بسقبها.

فلما أقام أَوَد قناتكم بثقاف الحق، ورحض بظهور الإسلام عن أبدانكم درن الشرك، ولحب لكم الطريق، وسن لكم السنن، وشرع لكم الشرائع خافضًا في ذلك جناحه، يشاوركم في أمره ويواسيكم[4] بنفسه، ولم يبغ منكم على ما جاءكم به أجرًا إلا أن تودّوه في قرباه، وما فعل صلى الله عليه وآله ذلك حتى أنزل الله فيه قرآنا، فقال تبارك وتعالى: ﴿**قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ**﴾ [الشورى:٢٣] فلما بلغ رسالة ربه، وأنجز له ما وعده من طاعة العباد والتمكن في البلاد، دُعِيَ صلى الله عليه وآله فأجاب، فصار إلى جوار ربه وكرامته، وقدم على البهجة والسرور، وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فوعده الشفاعة عنده، والمقام المحمود لديه، فخلّف بين أظهركم ذريته، فأخرتموهم وقدمتم عليهم غيرهم، ووليتم أموركم سواهم، ثم لم يلبث إلا يسيرًا حتى جعلتم مال ولده حوزًا، وظلمت ابنته فدُفنت ليلاً، وقُتل فيكم وصيه وأخوه وابن

---

(١) في (أ): برتقه.

(٢) حقرها فاشتدت.

(٣) في (أ): اكتظاظ.

(٤) في (أ): ويساويكم.

عمه وزوج ابنته، ثم خُذل وجُرح وسُمَّ سبطه الأكبر أبو محمد، ثم قُتل سبطه الأصغر أبو عبدالله مع ثمانية عشر من أهل بيته الأدْنَيْنَ في مقام واحد، ثم على أثر ذلك نبش وصلب وأحرق بالنار ولد ولده[1]، ثم هُم بعد ذلك يُقتَّلون ويُطَرَّدون ويشردون في البلاد إلى هذه الغاية، قُتل كبارهم، وأوتم صغارُهم، وأرملت نسآؤهم، سبحان الله! ما لقي عدوٌ من عدوٍّ ما لقي أهل بيت نبيكم منكم من القتل والخوف والصلب، وليس فيكم من يغضب لهم إلا هزؤاً بالقول، وإن غضبتم زعمتم وقمتم معهم كي تنصروهم لم تلبثوا إلا يسيراً حتى تخذلوهم وتفرقوا عنهم، فلو كان محمد ﷺ من السودان البعيدة أنسابهم، المنقطعة أسبابهم إلا أنه قد جاوركم لوجب عليكم حفظه في ذريته، فكيف وأنتم شجرة هو أصلها، وأغصان هو فرعها، تفخرون على العجم، وتصولون على سائر الأمم، وقد عاقدتموه وعاهدتموه أن تمنعوه وذريته مما تمنعون من أنفسكم وذراريكم، فَسَوءةً لكم ثم سوءة، بأي وجه تلقونه غداً، وبأي عذر تعتذرون إليه؟ أبقلة؟ فما أنتم بقليل، أفتجحدون؟ فذلك يوم لا ينفع جحد، ذلك يوم تبلى فيه السرائر، أم تقولون: قتلناهم فمصدقون، فيأخذكم الجليل أخذ عزيز مقتدر، لقد هدمتم ما شيّد الله من بنيانكم، وأطفأتم ما أنار من ذكركم، فلو فعلت السمآء ما فعلتم لتطأطأت إذلالاً، أو الجبال لصارت دكّاً، أو الأرض لمارت مَوراً، إني لأعجب من أحدكم يقتل نفسه في معصية الله ولا ينهزم، يقول بزعمه لا تتحدثنَّ نسآء العرب بأني فررت، وقد تحدثت نسآء العرب بأنكم خفرتم أمانتكم ونقضتم عهودكم، ونكصتم على أعقابكم، وفررتم بأجمعكم عن أهل بيت نبيكم، فلا أنتم تنصرونهم للديانة وما افترض الله عليكم، ولا من طريق العصبية والحمية، ولا لقرب جوارهم وتلاصق دارهم منكم، ولا أنتم تعزلونهم فلا

---

(١) في (أ): ولده وولد ولده.

تنصرونهم ولا تنصرون عليهم عدوهم، بل صيرتموهم لُحمة لسيوفكم، ونُهْزًا لتشفي غيظكم من قتلهم واستئصالهم وطلبهم في مظانهم ودارهم وفي غير دارهم، فصرنا طريدة لكم من دار إلى دار، ومن جبل إلى جبل، ومن شاهق إلى شاهق، ثم لم يقنعكم ذلك حتى أخرجتمونا من دار الإسلام إلى دار الشرك، ثم لم ترضوا بذلك من حالنا حتى تداعيتم علينا معشر العرب خاصة من دون العجم من جميع الأمصار والمدائن والبلدان، فخرجتم إلى دار الشرك، طلبًا لدمائنا دون دمآء أهل الشرك تلذذًا منكم بقتلنا، وتقربا إلى ربكم باجتياحنا، زعمتم أن لا يبقى بين أظهركم من ذرية نبيكم عين تطرف ولا نفس تعرف، ثم لم يقم بذلك منكم إلا أعلامكم، ووجوهكم، وعلماؤكم، وفقهاؤكم، والله المستعان[1].

قال الراوي: فلما سمعنا كلامه وخطبته بكينا حتى كادت أنفسنا أن تخرج، قال: فقمنا وتشاورنا فقلنا: هل بقي لكم حجة أو علّة لو قتلتم عن آخركم، وسبيت ذراريكم، واصطفيت أموالكم كان خيرًا لكم من أن تشهدوا على ابن بنت نبيكم بالعبودية، وتنفونه عن نسبه، قال: فعزمنا على أن لا نشهد، قال: فقال البختري إن هذا يحيى قد دخل بلاد الديلم، ويريد أن يقاتل بأهل الشرك أهل الإسلام، ويخرج به من طاعة أمير المؤمنين، وقد جآءت الرخصة في الكذب، والخديعة في الحرب، وقد رأينا أنه عبد لأمير المؤمنين نطلب بذلك الثواب عند الله تعالى لترجع ألفة المسلمين، وتسكن الثائرة[2]، ولا غنى بكم عن حسن جزآء أمير المؤمنين، وهذا كتابه، فقرأه عليهم بما فيه من الإيعاد لمن امتنع، والأطماع لمن أجاب، وكان معه سليمان بن قليح فشفع كلامه، قال: وصاح بنا أبو البختري: ما تنتظرون؟ خدعكم فانخدعتم، وملتم معه على أمير المؤمنين، والله لئن امتنعتم من الشهادة عليه لَتُقْتَلُنَّ عن آخركم، ولَتُسبينَّ ذراريكم، ولتؤخذنَّ أموالكم؛

(١) الشافي ١/ ٢٢٩ وما بعدها.

(٢) في (أ): النائرة.

فتقدموا فشهدوا بأجمعهم أنه عبد لهارون وليس بابن بنت النبي ﷺ وكانوا من أهل قزوين، وزنجان وأبهر وشهر برد[1] وهمذان والري ودنباوند والرؤايان تسمعمائة رجل، ومن أهل طبرستان أربعمائة. وكل هؤلاء من أهل الشرف والقدر والعرب المتمكنين في البلاد، ليس فيهم وضيع إلا اليسير، وكان أكثر أولئك الشهود؛ لأنهم من العلماء قد بايع[2] ليحيى عليه السلام[3]، قال جستان: هل بقيت لك علة تعتل بها؟ قال يحيى عليه السلام: بكاؤهم وترددهم، إنهم مكرهون، فإن أبيت إلا غدراً فأنظرني آخذ لي ولأصحابي الأمان على نسخة أنسخها وأوجه بها إلى هارون حتى أكتب إقراره بخطه وجميع الفقهاء والمعدلين من بني هاشم ففعل، وكتب إلى الفضل بذلك، وكتب الفضل إلى الرشيد فأمتلأ الرشيد سروراً وفرحاً، وأجاب إلى العقد ليحيى عليه السلام، وأشهد على نفسه من ذكره يحيى من العلماء والهاشميين، وأتى كتاب هارون وخطه بيده[4].

ثم انفصل يحيى عليه السلام من ملك الديلم، فلما دنا من الفضل بن يحيى تلقاه - وترجّل له وقبّل ركابه، وذلك بمرأى من جستان، فندم جستان وحينئذ أخذ ينتف لحيته ويحثوا التراب على رأسه تلهفًا وتحسراً، وعلم أنه قد خُدع، وإن كان قد وضح له الحال لكنه مال إلى الطمع ومساعدة زوجته الكافرة، فوثب عليه بنو عمه فقتلوه وملّكوا سواه.

وكان قد أسلم على يدي يحيى عليه السلام جماعة من الديلم وبنوا مسجداً، وقدم يحيى عليه السلام مع الفضل بن يحيى بغداد فتلقاه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بأربعمائة ألف دينار، وأجرى له الرواتب السنية وأنزله منزلاً سنيًا بعد أن أقام في منزل يحيى بن خالد أيامًا، وكان يتولى أمره بنفسه تعظيمًا له، وأمر الناس بإتيانه

---

(١) في (ج): وسهر برد.

(٢) في (أ): بايعوا.

(٣) في (أ): بزيادة: بن عبدالله.

(٤) الإفادة ٧٧، ومقاتل الطالبين ٤٦٩، والمصابيح ٤٩٤.

بعد انتقاله من منزل يحيى والسلام عليه، فأقام يحيى عليه السلام في بغداد مدة، ثم استأذن هارون في النهوض إلى المدينة فأذن له فوصلها فقضى ديون الإمام الحسين ابن علي الفخي عليهما السلام، ووصَلَ فقرآء آل أبي طالب عليهم السلام وأشياعهم وعامة المسلمين، وأقام عليه السلام على ذلك مديدة ثم أزعجه هارون من المدينة إلى بغداد[1].

أولاده عليه السلام:

محمد، وله العقب من أولاده جماعة بالمغرب، أمه: خديجة بنت إبراهيم ابن محمد بن طلحة. **وعيسى** مئناث، **وإبراهيم** دَرَج، **وعبدالله** دَرَج، **وصالح** دَرَج، وقُرِيبة. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[2].

ذكر مقتله عليه السلام والسبب فيه:

روى الشيخ أبو الفرج رحمه الله في مقاتل الطالبية [٤٧٢] في أخبار يحيى بن عبدالله عليه السلام أن نفراً من أهل الحجاز تحالفوا على السِّعاية بيحيى والشهادة عليه، وأنه يدعو إلى نفسه، وأن أمانه منتقض، فوافق ذلك ما كان في نفس الرشيد، وهم: عبدالله بن مصعب الزبيري، وأبو البختري وهب بن وهب، ورجل من بني زهرة، ورجل من بني مخزوم، وافوا الرشيد بذلك، واحتالوا إلى أن أمكنهم ذكره له، فأشخصه الرشيد إليه وحبسه عند مسرور الكبير في سرداب، فكان في أكثر الأيام يدعوه فيناظره.

وروى أيضًا بإسناده [٤٧٣] أنه دعا يحيى عليه السلام يومًا فجعل يذكر له ما رفع[3] إليه في أمره، وهو يخرج كتبًا كانت في يده حججًا فيقرأها الرشيد وأطراف الكتب في يد يحيى، فتمثل بعض من حضر:

---

(١) الإفادة ٧٩، ومقاتل الطالبين ٤٧١.

(٢) الإفادة ٧٦.

(٣) في (أ): ما وقع.

أنى أُتيحَ له حرباء تنضبه[1]   لا يرسل الساقَ إلا ممسكاً ساقا

فغضب الرشيد من ذلك وقال للمتمثل : أتؤيده وتنصره؟ قال : لا والله ، ولكني شبهته في مناظرته واحتجاجه بقول هذا الشاعر ، ثم أقبل عليه قال : دعني منْ هذا يا يحيى ، أيُّنا أحسن وجهًا أنا أو أنت؟ قال : بل أنت يا أمير المؤمنين إنك لأنصع لونًا وأحسن وجهًا ، قال : فأينا أسخى أنا أو أنت؟ قال : وما هذا يا أمير المؤمنين مما تسألني عنه؟ أنت تجبى لك خزائن الأرض وكنوزها ، وأنا أمحل معاشي من سنة إلى سنة . فأينا أقرب من رسول الله ﷺ؟ قال : قد أجبتك عن خصلتين فاعفني من هذه ، قال : لا والله ، قال : بلى فاعفني ، فحلف بالطلاق والعتاق أن لا يعفيه . فقال : يا أمير المؤمنين ، لو عاش رسول الله ﷺ فخطب إليك ابنتك أكنت تزوجُهُ؟ قال : إي والله ، قال : فلو عاش فخطب إليَّ أكان يحل لي أن أزوجه؟ قال : لا ، قال : فهذا جواب ما سألت . فغضب الرشيد وقام من مجلسه ، وخرج الفضل بن الربيع وهو يقول : والله لوددت أني فديت هذا المجلس بشطر ما أملكه ، قالوا : ثم رده إلى محبسه في يومه ذلك[2] .

ثم دعا به وجمع بينه وبين عبدالله بن مصعب الزبيري ؛ ليناظره فيما رفع إليه فجبهه ابن مصعب بحضرة الرشيد ، وقال : نعم يا أمير المؤمنين إن هذا دعاني إلى بيعته ، فقال له يحيى عليه السلام يا أمير المؤمنين : أتصدق هذا علي وتستنصحه وهو ابن عبدالله بن الزبير الذي أدخل أباك وولده الشعب وأضرم عليهم بالنار حتى تَخَلَّصَهُ أبو عبدالله الجدلي صاحب علي بن أبي طالب منه ، وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلي على النبي ﷺ في خطبته حتى التاث عليه الناس ، فقال : إن له أهلَ بيت سوء ، إذا ذكرته اشرأبت نفوسهم إليه وفرحوا بذلك ، فلا أحب أن أُقِرَّ

---

(١) في اللسان : «قال أبو عبيدة ومن الأشجار التنضب ، واحدتها تنضبه ، شجرة ضخمة تقطع منها العمد» .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٧٣ ، والمصابيح ٤٩٥ ، وابن ابي الحديد ٤/ ٣٥٢ .

أعينهم بذكره، وهو الذي فعل بعبدالله بن عباس ما لا خفاء به عليك، حتى لقد ذبحت له يومًا بقرة فوجدت كبدها قد تفتتت، فقال له ابنه علي بن عبدالله : يا أبه ما ترى كبد هذه البقرة؟ قال : يا بني هكذا ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لعلي ابنه : يا بني الحق بقومك من بني عبد مناف بالشام، فاختار له صحبة يزيد بن معاوية على صحبة عبدالله بن الزبير، ووالله إن عدواة هذا لنا جميعًا بمنزلة سوآء لكنه قَوِيَ عليَّ بك وضعف عنك، فتقرب بي إليك ليظفر منك فيَّ بما يريد؛ إذ لم يقدر على مثله منك، وما ينبغي لك أن تسوِّغه ذلك فيّ، فإن معاوية بن أبي سفيان وهو أبعد نسبًا منك إلينا ذَكَرَ يومًا الحسن بن علي فَسَفَّهَهُ فساعده عبدالله بن الزبير على ذلك فزجره معاوية، فقال : إنما ساعدتك يا أمير المؤمنين، فقال : إن الحسن لحمي آكُلُهُ ولا أُوكِلُهُ، فقال عبدالله بن مصعب : إن عبدالله بن الزبير طلب أمرًا فأدْرَكَهُ، وإن الحسن باع الخلافة بالدراهم، أتقول هذا في عبدالله بن الزبير وهو ابن صفية بنت عبدالمطلب؟ فقال يحيى : يا أمير المؤمنين ما أنصفنا إذ يفخر علينا بامرأة من نسائنا وامرأة منا، هلاّ فخر بهذا على قومه من التويبات والأسامات والحميدات، فقال عبدالله بن مصعب : ما تَدَعُونَ بَغْيَكُم علينا وتوثبكم في سلطاننا؟ فرفع يحيى عليه السلام رأسه إليه ولم يكن يكلمه قبل ذلك إنما كان يخاطب الرشيد بجوابه لكلام عبدالله، فقال له : أتوَثَّبنا في سلطانكم؟ ومن أنتم أصلحك الله؟ عَرِّفْني فلستُ أعرفكم، فرفع الرشيد رأسه إلى السقف يجيله فيه ليستر ما عراه من الضحك، ثم غلبه الضحك ساعة وخجل ابن مصعب، ثم التفت يحيى فقال : يا أمير المؤمنين، ومع هذا فهو الخارج مع أخي على أبيك والقائل له :

إن الحمامةَ يوم الشعب من دَثَن ... هاجت فؤاد محبٍّ دائم الحَزَنِ
إنَّا لنأمل أن ترتدّ أُلفتنا ... بعد التدابر والبغضآء والإحَنِ
حتى يثابَ على الإحسان محسننا ... ويأمنَ الخائف المأخوذ بالدِّمَنِ

وتنقضي دولةٌ أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وَثَنِ
فطال ما قدْ بَرَوا بالجور أعظمنا بَرْيِ الصنّاعِ قداح النبع بالسّفَنِ
قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حَسَنِ
لا عزَّ ركنا نزار عند سطوتها إن أسلمتك ولا رُكنا ذوي يَمَنِ
ألستَ أكرمَها عوداً إذا نسبوا يومًا وأطهرَهم ثوبًا من الدّرَنِ
وأعظمَ الناسِ عند الناس منزلةً وأبعدَ الناس من عيب ومن وَهَنِ

قال فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له، فقال يحيى: والله يا أمير المؤمنين ما قال هذا الشعر غيره، وما حلفت كاذبًا ولا صادقًا بالله قبل هذا، وإن الله إذا مجده العبد في يمينه بقوله الرحمن الرحيم الطالب الغالب استحيى أن يعاقبه فدعني أحلّفْهُ بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبًا إلا عُوجل، قال: حلّفه، قال: قل برئت من حول الله وقوته، واعتصمت بحولي وقوتي، وتقلّدت الحول والقوة من دون الله استكبارًا على الله واستغناءً عنه، واستعلاءً عليه إن كنتُ قلتُ هذا الشعر، فامتنع عبدالله من الحلف بذلك، فغضب الرشيد وقال: للفضل ابن الربيع: يا عباسي ما له لا يحلف إن كان صادقًا؟ هذا طليساني عليّ، وهذه ثيابي لو حلّفني أنها لي لحلفت، فرفس الفضلُ عبدالله بن مصعب برجله وصاح به: احلف ويحك - وكان له هوى - فحلف باليمين ووجهه متغير وهو يرعد، فضرب يحيى بين كتفيه، ثم قال: يا ابن مصعب قطعتَ والله عمرك، والله لاتفلح بعدها، فما برح من موضعه حتى أصابه الجذام فتقطع ومات من اليوم الثالث، فحضر الفضل جنازته ومشى معها ومشى الناس معه، فلما جآءوا به إلى القبر ووضعوه في لحده، وجُعلَ اللّبنُ فوقه انخسف القبر فهوى به حتى غاب عن أعين الناس فلم يروا قرار القبر وخرجت منه غبرةٌ عظيمة فصاح الفضل: التراب التراب، فجعل يطرح التراب وهو يهوي، ودعا باحمال شوك فطرحها فهوت فأمر

حينئذ بالقبر فسقف بخشب وأصلحه وانصرف منكسراً. وكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل: رأيتَ يا عباسي ما أسرع ما أديل يحيى من ابن مصعب[1]. وفيه يقول أبو فراس الحارث بن سعيد:

يا جاهداً في مساويهم لتكتمها ... غَدْرُ الرشيد ليحيى كيف ينكتمُ

ذاق الزبيري غِبّ الحِنْث وانكشفت ... عن ابن فاطمةَ الأقوالُ والتهمُ

قال السيد أبو طالب عليه السلام [الإفادة: ٨١]: وكان يحيى عليه السلام إذا فرغ من صلاة العشاء الآخرة سجد سجدة إلى قرب السحر ثم يقوم فيصلي وكان هارون يطلع عليه من قصره فقال ليلة ليحيى بن خالد وهو عنده: انظر هل ترى في ذلك الصحن شيئًا؟ وأشار إلى الموضع الذي كان يسجد فيه، فقام ونظر وقال: أرى بياضًا، ثم قال له: قرب طلوع الفجر انظر هل ترى ذلك البياض؟ فنظر، فقال: لست أراه. فقال: ذلك يحيى بن عبدالله إذا فرغ من صلاة العتمة سجد سجدة يبقى فيها إلى آخر الليل، قال يحيى: فقلت في نفسي انظر ويلك أن لا تكون المبتلى به، ثم سلمه إلى يحيى بن خالد.

قال الشيخ أبو الفرج[2]: ثم جمع الرشيد الفقهاء وفيهم محمد بن الحسن صاحب أبي يوسف القاضي، والحسن بن زياد اللؤلؤي، وأبو البختري وهب بن وهب، فجمعوا في مجلس، فخرج إليهم مسرور الكبير بالأمان، فبدأ محمد بن الحسن فنظر فيه فقال: هذا أمان مؤكد لا حيلة في نقضه، وكان يحيى قد عرضه بالمدينة على مالك وابن الدراوردي وغيرهم فعرّفوه أنه مؤكد لا علّة به، فصاح عليه مسرور وقال: هاته، فدفعه إلى الحسن بن زياد، فقال: بصوت ضعيف هو أمان.

وروى غير الشيخ أبو الفرج من علمائنا رحمهم الله تعالى: أن محمد بن الحسن قال: فمن نقضه فعليه لعنة الله، فسمعه الرشيد فأخذ الدواة فرماه بها

(١) مقاتل الطالبين ٧٥ وما بعدها.

(٢) المقاتل ٤٧٩.

فشجّه، فانصرف إلى منزله وهو يبكي فقال له صاحبه: أتبكي من شجة في سبيل الله؟قال: لا والله ولكني أخاف أن أكون قصّرت في أمر يحيى فأكون قد شركت في دمه.

رجعنا إلى رواية الشيخ أبو الفرج قال رحمه الله[1]: واستلبَه أبو البَخْتري وهب بن وهب فقال: هذا باطل منتقض، قد شق العصا، وسفك الدم، فاقتله ودمه في عنقي فدخل مسرور إلى الرشيد فأخبره، فقال له: اذهب فقل له: خرِّقه إن كان باطلاً بيدك، فجآءه مسرور، فقال له ذلك، فقال: شقه يا أبا هاشم، فقال له مسرور: بل شقه إن كان منتقضًا، فأخذ سكينًا فجعل يشقه ويده ترعد حتى صيره سيورًا، فأدخله مسرور على الرشيد فوثب فأخذه من يده وهو فرح وهو يقول له: يا مبارك يا مبارك، ووَهَبَ لأبي البَخْتري ألف ألف وخمسمائة ألف درهم، وولاه قضاء القضاة، وصرف الآخرين، ومنع محمد بن الحسن من الفتيا مدة طويلة، وأجمع على إنفاذ ما أراده في يحيى عليه السلام.

وقد اختُلف في قتله كيف كان، فروى بإسناده[2] عن رجل كان مع يحيى في المطبق قال: كنت قريبًا منه، وكان في أضيق البيوت وأظلمها، فبينما نحن ذات ليلة كذلك إذ سمعنا صوت الأقفال وقد مضت من الليل هجعة فإذا هارون قد أقبل على برذون له، ثم وقف فقال: أين هذا؟ يعني يحيى بن عبدالله، قالوا: في هذا البيت، قال عليَّ به، فأدنى إليه فجعل هارون يكلمه بشيء لم أفهمه، فقال: خذوه، فأخذه فضربه مائة عصى، ويحيى يناشده الله والرحم والقرابة من رسول الله صلى الله عليه وآله ويقول: بقرابتي منك، فيقول: ما بيني وبينك قرابة.

ثم حُمل فردّ إلى موضعه، فقال: كم أجريتم عليه؟ فقالوا: أربعة أرغفة، وثمانية أرطال مآء، قال اجعلوه على النصف من ذلك، ثم خرج فمكثنا ليالي،

---

(١) المقاتل ٤٨٠.

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٢.

ثم سمعنا وقعاً فإذا نحن به حتى دخل فوقف موقفه، فقال عليَّ به، فأُخرج ففعل به مثل فعله ذلك، وضربه مائة عصى أخرى، ويحيى يناشده الله، فقال: كم أجريتم عليه؟ فقالوا: رغيفين وأربعة أرطال مآء، قال اجعلوه على النصف. ثم خرج وعاد الثالثة وقد مرض يحيى عليه السلام وثقل، فلما دخل قال: عليَّ به، قالوا: هو عليل مدنف لما به، قال: كم أجريتم عليه؟ قالوا: رغيفاً ورطلين، قال فاجعلوه على النصف، ثم خرج، فلم يلبث يحيى أن مات فأخرج للناس ودفن.

وقال ابن عمار في روايته وإبراهيم بن رياح أنه بنى عليه اسطوانة بالرافقة وهو حي. وذكر غيره من علمائنا أنه كان للرشيد بركة فيها أسود يرمي فيها من سخط عليه فتنشط لحمه، فجوّعها ثم رمى بيحيى عليه السلام إليها فتلقته وبصبصت له وماضرته وأطلع منهن. وذكر الشيخ أبو الفرج بإسناده عن عبدالرحمن بن عبدالله ابن عمر بن حفص العمري قال: دعينا لمناظرة يحيى بحضرة الرشيد، فجعل يقول له: يا يحيى اتق الله وعرِّفني أصحابك السبعين لئلا ينتقض أمانك، وأقبل علينا فقال: إنَّ هذا لم يسمِّ أصحابه فكلما أردت أخذ إنساناً يبلغني عنه شيء أكرهه ذكر أنه ممن أمنته، فقال يحيى: يا أمير المؤمنين أنا رجل من السبعين فما الذي نفعني من الأمان؟ أفتريد أن أدفع إليك قوماً تقتلهم معي؟ لا يحل لي هذا. قال: ثم خرجنا ذلك اليوم ودعانا يوماً آخر فرأيته أصفر الوجه متغير اللون، فجعل الرشيد يكلمه فلا يجيبه، فقال: ألا ترون إليه لا يجيبني، فأخرج للرشيد لسانه وقد صار أسود مثل الحممة يرينا أنه لا يقدر على الكلام، فتغيّظ الرشيد وقال: إنه يريكم أني سقيته السم، ووالله لو رأيت عليه القتل لضربت عنقه صبراً، قال: ثم خرجنا من عنده فلما صرنا في وسط الدار فخرَّ على وجهه لآخر ما به.

وروي أنه عليه السلام دفع إلى يحيى بن خالد ورقة ثم أمره بأن يسلّمها إلى هارون بعد وفاته، وحرَّج عليه ألا يسلمها إلا بعد ذلك فدفعها إلى هارون ففتحتها فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

يا هارون المستعدي قد تقدم، والخصم على الأثر، والحاكم لا يحتاج إلى بينة، فقال هارون : ما منعك أن تدفعها إليَّ في حياته، قال: إنه حرَّج عليَّ في ذلك[1].

ولبعضهم يرثي يحيى عليه السلام :

يا بقعةً مات بها سيِّدٌ	ما مثلُهُ في الأرض من سيدِ
مات السدى من بعده والندى	وسُمِّيَ الموت به معتدي
لا زال غيث الله يا قبره	عليك منه رائحٌ المغتدي
فكم حياءً حزت من وجهه	وكم ندى يحيى به المجتدي
كان لنا غيثًا به نرتوي	وكان كالنجم به نهتدي
فإن رمانا الدهرُ عن قوسه	وخاننا في منتهى السؤددِ
فعن قريب نبتغي ثأره	بالحسني الثائر المهتدي
إنَّ ابن عبدالله يحيى ثوى	والمجدُ والسؤددُ في مُلْحدِ[2]

❖❖❖

(١) الإفادة ٨٢ .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٨٦ .

الإمام إدريس بن عبدالله عليهما السلام(1)

هو إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وأمه عاتكة بنت الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة المخزومي. وكان عليه السلام قد نشأ على طريقة أهله الغرّ الميامين السادة الأكرمين فأحرز قصبات السبق في ميدان الشرف، وأحسن خلافة من غبر من السلف، وجمع خصال الإمامة، وكان قد صار إلى الغرب فعرفه جماعة من أهل الناحية كانوا قد حجُّوا في السنة التي قُتِل فيها الحسين بن علي الفخي عليهما السلام وشاهدوه يقاتل، وقد اصطبغ قميصه دمًا(2).

فلما شهر نفسه في نواحي الغرب(3) ودعا إلى الله والجهاد في سبيله كتب دعوته عليه السلام وهي هذه: بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله الذي جعل النصر لمن أطاعه، وعاقبة السوء لمن عَنَدَ عنه، ولا إله إلا الله المتفرد بالوحدانية، الدَّال على ذلك بما أظهر من عجيب حكمته ولطيف تدبيره، الذي لا يُدْرَك إلا بأعلامه وبيناته، سبحانه منزهًا عن ظلم العباد، وعن السوء والفحشاء ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:11] وصلى الله وسلم على محمد عبده ورسوله وخيرته من خلقه، انتجبه واصطفاه، واختاره وارتضاه، صلوات الله عليه وعلى آله أجمعين.

أمَّا بعد: فإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله، وإلى العدل في الرعية، والقسم بالسوية، ورفع المظالم، والأخذ بيد المظلوم، وإحياء السنة

---

(1) أنظر مقاتل الطالبين 487، والطبري 6/ 416، وأخبار فخ 181، وانظر الفهرسة 358، والأعلام 1/ 279 والاستقصاء 1/ 67، وابن خلدون 4/ 12، وأعيان الشعية 3/ 230، ونسب قريش 55 والفلك الدوار 31 والشافي 1/ 237.

(2) مقاتل الطالبين 487، وأخبار فخ 181.

(3) غرب آفريقيا.

وإماتة البدعة، وإنفاذ حكم الكتاب والسنة على القريب والبعيد، واذكروا الله في ملوك تجبّروا، وفي الأمانات خفروا، وعهود الله وميثاقه نقضوا، وولد نبيه ﷺ قتلوا، وأذكركم الله في أرامل افتقرت، ويتامى ضُيِّعَتْ، وحدود عطلت، وفي دمآء بغير حق سفكت، فقد نبذ الكتاب والإسلام، فلم يبق من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، واعلموا عباد الله أن مما أوجب الله سبحانه على أهل طاعته المجاهدة لأهل عداوته ومعصيته باليد واللسان، فباللسان الدعاء إلى الله بالموعظة الحسنة والنصيحة والتذكرة والحضّ على طاعة الله تعالى، والتوبة عن الذنوب، والإنابة والإقلاع والنزوع عما يكره الله، والتواصي بالحق والصدق والصبر والرحمة والرفق، والتناهي عن معاصي الله كلها، والتعليم والتقويم لمن استجاب لله ولرسوله حتى تنفذ بصائرهم، وتكمل نحلتهم، وتجتمع كلمتهم وتنتظم ألفتهم، فإذا اجتمع منهم من يكون للفساد دافعًا، وللظالمين مقاومًا وعلى البغي والعدوان قاهرًا، أظهروا دعوتهم، وندبوا العباد إلى طاعة ربهم، ودافعوا أهل الجور عن ارتكاب ما حرم الله عليهم، وحالوا بين أهل المعاصي وبين العمل بها، فإن في معصية الله تلفًا لمن ارتكبها، وهلاكًا لمن عمل بها، ولا يثنيكم من علو الحق وإظهاره قلة أنصاره، فإن فيما بدئ به من وَحدَةَ النبي ﷺ والأنبياء الداعين إلى الله قبله، وتكثيره إياهم بعد القلة، وإعزازهم بعد الذلة، دليل بيِّن وبرهان واضح، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران:١٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج:٤٠] فنصر الله نبيه ﷺ وكثّر جنده، وأظهر حزبه. وأنجز وعده، جزآء من الله سبحانه، وثوابًا لفعله وصبره وإيثاره طاعة ربه، ورأفته بعباده ورحمته، وحسن قيامه بالعدل والقسط في بريّته، ومجاهدة أعدآئه وزهده فيما زهّده فيه، ورغبته فيما ندبه إليه، ومواساته أصحابه، وسعة أخلاقه، كما أدبه الله وأمره، وأمر العباد باتباعه وسلوك سبيله والاقتدآء بهديه وإقتفآء أثره، فإذا فعلوا ذلك أنجز لهم

ما وعدهم كما قال عز وجل: ﴿إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد:٧] وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة:٢]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [النحل:٩٠] وكما مدحهم وأثنى عليهم إذ يقول: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة:٧١]، وفرض الله تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأضافه إلى الإيمان والإقرار بمعرفته، وأمر بالجهاد عليه والدعاء إليه، قال عز وجل: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ [التوبة:٢٩] وفرض قتال المعاندين عن الحق والباغين عليه ممن آمن به وصدّق بكتابه حتى يعود إليه ويفيء، كما فرض قتال من كفر به وصدّ عنه، حتى يؤمن بالله ويعترف بدينه وشرائعه، فقال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات:٩] فهذا عهد الله إليكم وميثاقه عليكم بالتعاون على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان، فرضًا من الله واجبًا وحكمًا لازمًا، فأين عن الله تذهبون؟ وأنّى تؤفكون؟ وقد جابت الجبابرة في الآفاق شرقًا وغربًا، وأظهروا الفساد وامتلأت الأرض ظلمًا وجورًا، فليس للناس ملجأ، ولا لهم عند أعدائهم حسن رجاء، فعسى أن تكونوا معاشر إخواننا من البربر اليد الحاصدة للجور والظلم، وأنصار الكتاب والسنة، القائمين بحق المظلومين من ذرية النبيئين وآل النبيئين، فكونوا رحمكم الله عند الله بمنزلة من جاهد مع المرسلين، ونصر مع النبيئين، واعلموا معاشر البربر أنكم آويتم. وأنا المظلوم الملهوف، الطريد الشريد، الخائف الموتور، الذي كثر واتروه، وقلّ ناصره، وقُتل

إخوته وأبوه وجده وأهلوه، فأجيبوا داعي الله فقد دعاكم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ [الأحقاف:٣٢] أعاذنا الله وإياكم من الضلال، وهدانا وإياكم إلى سبيل الرشاد.

وأنا إدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. رسولُ الله ﷺ وعليُّ بن أبي طالب عليه السلام جدَّاي، وحمزة سيد الشهدآء وجعفر الطيار في الجنة عمَّاي، وخديجة الصديقة وفاطمة ابنة أسد الشّفيقة برسول الله ﷺ جدّتاي، وفاطمة ابنة رسول الله صلوات الله وسلامه عليهما سيدة نسآء العالمين وفاطمة ابنة الحسين سيدة بنات ذراري النبيئين أمّاي، والحسن والحسين ابنا رسول الله ﷺ أبواي، ومحمد وإبراهيم ابنا عبدالله المهدي والزاكي إخواني، فهذه دعوتي العادلة غير الجائرة، فمن أجابني فله ما لي وعليه ما عليَّ، ومن أبى فحظه أخطأ، وسيرى ذلك عالم الغيب والشهادة أني لم أسفك له دمًا، ولا استحللت له محرمًا ولا مالاً، واستشهدك يا أكبر الشاهدين شهادة، واستشهد جبريل وميكائيل أني أول من أجاب وأناب، فلبيك اللهم لبيك مزجي السحاب وهازم الأحزاب، مصير الجبال سرابًا بعد أن كانت صمًا صلابًا، أسألك النصر لولد نبيك إنك على ذلك قادر[1].

فهذه دعوته عليه السلام وقد أجابه خلق كثير عندها، وكانت له مواقف كثيرة ومحاربات جمّة ظهر فيها على الجنود العباسية وكذلك الخوراج، وروى محمد ابن جرير أن هارون لما بلغه من عامله بأفريقية ظهور إدريس عليه السلام وقوة جانبه قلق حتى هابته حاشيته، واجتنبوا كلامه خوفًا من سطوته، فجآء يحيى بن خالد فأخبروه فجلس من تلقآء رأسه فقال: يا أمير المؤمنين مالي أراك كئيبًا؟ فإن كان ذلك لحدث أو فتق فلم يزل ذلك يقع على الملوك ثم تؤول الأمور إلى المحبوب،

(١) ينظر أخبار فخ ١٧٥-١٨١.

وإن كان لأمر تفديك فيه نفوسنا وأموالنا فهي لك الفداء، وإن كان لأمر لا تكفي فيه نفوسنا وأموالنا فنسأل الله كفايته، فقال: إن عاملي بأفريقية ألطف إليَّ في كتابه - وقصّ قصة إدريس عليه السلام - وقد علمت ما بيننا وبين الطالبية، والله ما هو إلا ظهورهم وكان الفنآء، فقال: ليطب عيش أمير المؤمنين فإني أكفيه أمر إدريس ولا يعرف هلاكه إلا مني فطابت نفس هارون، واستعمل سمًا وأمر به قيل: مع سليمان بن جرير، وقيل: مع رجل أمره أن يتزيّا بزي اليهود إذا صار في المغرب، وقيل: مع المزين، وعلى اختلاف الروايات قد صح سمُّه عليه السلام.

وقال بعض الشعراء من الموالين لبني العباس:

أتظن يا إدريس أنك مفلتٌ ... كيد الخليفة أو يقيك فرارُ

فليُدْركنْك أو تحل ببلدة ... لا يهتدي فيها إليك نهارُ

إن السيوف إذا انتضاها شخصه ... طالت وتقصر دونها الأعمارُ

مَلكٌ كأن الموت يتبع أمره ... حتى يقال تطيعه الأقدار(1)



وَوَلَدَ إدريس عليه السلام إدريس بن إدريس، وكان من سادات العترة عليهم السلام، وولده إدريس المثلث عليه السلام، وله عقبٌ بالمغرب.

❖ ❖ ❖

(1) مقاتل الطالبين ٤٩٠ والمصابيح ٥١١.

الإمام محمد بن إبراهيم عليه السلام(1)

هو: أبو عبدالله، وقيل: أبو القاسم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. مَنَاسِبٌ ضياؤها يطفي ضياء الكواكب، فأمَّا أبوه إبراهيم عليه السلام فكان يلقب (طباطَبا) ويلقب (بالغَمْر) لجوده، وكان قد حبسه الملقب بالمهدي حتى توفى، ثم أقام في حبس موسى وهارون، وقيل: إنه مات في الحبس، وأما إسماعيل فهو الملقب بالديباج، وكان من جملة المسجونين في حبس أبي جعفر، قال بعض من صنف أخبارهم: كان فينا غلام مثل سبيكة الذهب كلما اشتد الوقيد عليها ازدادت حسنًا، وهو إسماعيل بن إبراهيم، وذكر عالم الشيعة محمد بن منصور أنه أتي له من مصر بألفي دينار، ورزمتي ثياب مصرية فسايره رجل من المسجد إلى البيت، فقال: ألك حاجة؟ قال: لا، إنما أحببت أن أصل جناحك فأمر له بأحد الرزمتين وبعض المال.

وأبوه إبراهيم بن الحسن يعرف بالشَّبَه؛ لأنه كان يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله، وكانوا إذا وصل المدينة من أمواله المعروفة بالفرش خرجت العواتق من البيوت لبصره، وأبوه الحسن الرضى وأبوه الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهم السلام، وأما أمه فهي: أم الزبير بنت عبدالله بن أبي بكر بن عياش بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم.

---

(1) الإفادة ٨٣، ومقاتل الطالبين ٥١٨، والطبري ٧/ ١١٧، ومروج الذهب ٤/ ٦، وابن الأثير ٥/ ١٧٤، والأعلام ٥/ ٢٩٣، والشافي ١/ ٢٤٧، والبداية والنهاية ١٠/ ٢٤٤، وبلوغ المرام ٣١، وابن خلدون ٣/ ٢٤٢، والتحف ١٤٤، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب ١٩٩، والمصابيح ٥١٤، والفلك الدوار ٢٧.

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام:

كان عليه السلام من العيون الذين انتهى إليهم الفضل من العترة عليهم السلام مشهوراً بالفضل الظاهر، فائزاً بالقدح القامر، قد جمع إلى الأحساب السامية محاسن الأفعال الزاكية. روى الشيخ أبو الفرج رحمه الله في مقاتل الطالبية [٥٢٤] عن بعضهم قال: سمعت زيد بن علي عليهما السلام يقول: يبايع لرجل منّا عند قصر الضرتين بالكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في عشر من جمادى الأولى، يباهي الله به الملائكة. قال حسن بن حسين فحدثت به محمد بن إبراهيم فبكى.

وروى أيضاً بإسناده [٥٢٤] عن أبي جعفر محمد بن علي، قال يخطب على أعوادكم يا أهل الكوفة سنة تسع وتسعين ومائة في جمادى الأولى رجل منّا أهل البيت يباهي الله به الملائكة، فكان عليه السلام هو المختص بهذه المنقبة الشريفة، والفائز بهذه الرتبة الزليفة. وما ظنك بإمام القاسمُ بن إبراهيم الذي انتهت إليه السيادة والشرف في عصره أحد دعاته وأتباعه، وكان محمد بن إبراهيم من أشجع أهل عصره.

أولاده عليه السلام: إسماعيل، وجعفر، وعبدالله، وفاطمة. أمهم: أم جعفر بنت إسحاق بن إبراهيم بن جعفر بن عبدالله بن عبدالرحمن بن عوف بن الحارث بن زهرة. ولهم عقب ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[1].

بيعته عليه السلام والسبب فيها ونُبَذ من سيرته:

روى الشيخ أبو الفرج[2]: أن نصر بن شبيب كان قدم حاجًا وكان متشيعًا حسن المذهب وكان ينزل الجزيرة فلما ورد المدينة سأل عن بقايا أهل البيت ومن له

---

(١) الإفادة ٨٣.

(٢) المقاتل: ٥١٩.

ذكر منهم، فذُكِرَ له علي بن عبيدالله بن الحسن بن علي بن الحسين، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن، ومحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن، فأما علي بن عبيدالله فإنه كان مشغولاً بالعبادة لا يصل إليه أحد ولا يأذن له.

وأما عبدالله بن موسى فكان خائفًا مطلوبًا لا يلقاه أحد، وأما محمد بن إبراهيم فإنه كان يقارب الناس ويكلّمهم في هذا الشأن فأتاه نصر بن شبيب فدخل إليه، وذاكره مقتل أهل بيته وغصب الناس إياهم حقوقهم، وقال: حتى متى توطَّؤن بالخسف وتهتضم شيعتكم وينزى على حقكم؟ فأكثر من القول في هذا المعنى إلى أن أجابه محمد بن إبراهيم وأوعده لقاءه بالجزيرة وانصرف الحاج، ثم خرج محمد بن إبراهيم إلى الجزيرة ومعه نفر من أصحابه وشيعته حتى قدم على نصر بن شبيب للموعد فجمع نصر إليه أهله وعشيرته وعرض عليهم ذلك، فأجابه بعضهم وامتنع عليه بعض، وكثر القول فيهم والاختلاف حتى تواثبوا وتضاربوا بالنعال والعصي، وانصرفوا على ذلك، ثم خلا بنصر بعض بني عمه وأهله فقالوا له: ماذا صنعت بنفسك وأهلك؟ أتراك إذا فعلت هذا الأمر ونابذت السلطان يدعك وما تريد؟ لا والله بل يصرف همه إليك وكيده فإن ظفر بك فلا بقاء بعدها، وإن ظفر صاحبك وكان عادلاً كنت عنده بمنزلة رجل من أفناء أصحابه، وإن كان على غير ذلك فما حاجتك إلى تعريض نفسك وأهلك وأهل بلدك لما لا قوام لهم به، وأخرى إن أهل هذا البلد جميعًا أعداء لآل أبي طالب فإن أجابوك الآن طائعين فَرُّوا عنك غداً منهزمين إذا احتجت إلى نصرتهم على أنك إلى خلافهم أقرب منك إلى إجابتهم ثم تمثل:

وأبذل لابن العم نصحي ورأفتي ... إذا كان لي بالجهر في الناس مُكرما

فإن راغ عن نصحي وخالف مذهبي ... قلبت له ظهر المجن ليندما

فثنى نصر عن رأيه وفتّر نيته وعاد على محمد بن إبراهيم معتذراً بما كان من خلاف الناس عليه ورغبتهم عن أهل هذا البيت، وأنه لو ظن ذلك بهم لم يعده نصرهم، وأومى له إلى أن يحمل إليه مالاً ويقويه بخمسة آلآف دينار فانصرف محمد عنه مغضبًا وأنشأ يقول والشعر له :

سنغنى بحمدالله عنك بعصبة   يهشون للداعي إلى واضح الحق

طلبنا[1] لك الحسنى فقصّرت دونها   فأصبحت مذمومًا وفاز ذوو الصدق

جروا فلهم سبق وصرت مقصراً   ذميمًا بما قصرت عن غاية السبق

وما كل شيء سابق أو مقصر   يؤل به التقصير إلا إلى العرق

ثم مضى محمد بن إبراهيم عليه السلام راجعًا إلى الحجاز فلقي في طريقه أبا السرايا السَّرِيّ بن منصور أحد بني ربيعة بن ذهل بن شيبان[2]، وكان قد خالف السلطان ونابذه وعاش في نواحي السواد، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفًا على نفسه ومعه غلمان له فيهم أبو الشوك ويسار وأبو الهرماس غلمانه، وكان علوي الرأي ذا مذهب في التشيع، فدعاه إلى نفسه فأجابه وسُرّ بذلك، وقال له : انحدر في الفرات حتى أوافي على الظهر وموعدك الكوفة ففعل ذلك.

ووافى محمد بن إبراهيم الكوفة يسأل عن أخبار الناس ويتجسسها ويتأهب لأمره ويدعو من يثق به إلى ما يريده حتى اجتمع له بشر كثير، وهم في ذلك ينتظرون أبا السرايا وموافاته، فبينا هو في بعض الأيام يمشي في بعض طرق الكوفة إذ نظر إلى عجوز تتبع أحمال الرطب فتلقط ما سقط منها فتجمعه في كساء عليها رثّ، فسألها عما تصنع بذلك؟ فقالت : إني امرأة لا رجل لي يقوم بمؤنتي ولي بُنيّات لايعدن على أنفسهن بشيء، فأنا أتبع مثل هذا من الطريق فأتقوّته أنا وولدي

---

(١)في المقاتل ٥٢٠ :

طلبت لك الحسنى فقصرت دونها ❖ فأصبحت مذموماً وزلت عن الصدق.

(٢)ينظر الإفادة ٨٣ .

فبكى بكآءً شديداً وقال: أنت والله وأشباهك يخرجوني غداً حتى يسفك دمي ونفذت بصيرته في الخروج.

وأقبل أبو السرايا لموعده على طريق البر حتى ورد عين التمر في فوارس معه جريدة لا راجل فيهم، وأخذ النهرين حتى ورد نينوى، فجآء إلى قبر الحسين صلوات الله عليه، قال نصر بن مزاحم: فحدثني رجل من أهل المدائن، قال: إني لعند قبر الحسين بن علي عليهما السلام في تلك الليلة، وكانت ليلة ذات ريح ورعد ومطر إذا بفرسان قد أقبلوا فترجّلوا ودخلوا إلى القبر فسلّموا وأطال رجل منهم الزيارة ثم جعل يتمثل بأبيات منصور النمري:

نفسي فدآء الحسين يوم غَدَا	إلى المنايا غدو لا قافل
ذلك يوم أنحى بشفرته	على سنام الإسلام والكاهل
كأنما أنت تعجبين ألا	ينزل بالقوم نقمة العاجل
لا يعجل الله إن عجلت وما	ربك عمّا ترين بالغافل
مظلومة والنبي والدها	تدير أرجآء مقلة حافل
ألا مساعيرَ يغضبون لها	بسلّة البيض والقنا الذابل

قال: ثم أقبل عليَّ وقال: ممن الرجل؟ قال: قلت رجل من الدّهاقين من أهل المدائن، فقال: سبحان الله! يحن الولي إلى وليه كما تحن الناقة إلى حوارها، يا شيخ أما إنّ هذا موقف يكثر لك عند الله شكره ويعظم أجره، ثم وثب فقال: من كان ها هنا من الزيدية فليقم إليَّ، فوثبت إليه جماعات من الناس فدنوا منه، فخطبهم خطبة طويلة ذكر فيها أهل البيت وفضلهم وما خصوا به، وذكر فعل الأمة وظلمها لهم، وذكر الحسين عليه السلام فقال: أيها الناس هبكم لم تحضروا الحسين فتنصروه، فما يقعدكم عمن أدركتموه ولحقتموه، وهو غداً خارج طالب بثأره وحقه وتراث آبآئه وإقامة دين الله، وما يمنعكم من نصرته ومؤازرته، إني خارج من وجهي هذا إلى الكوفة، والقيام بأمر الله والذب عن دينه والنصر لأهل

بيت نبيكم ﷺ، فمن كانت له نية في ذلك فليلحق بي، ثم مضى من فوره عامداً للكوفة ومعه أصحابه.

قالوا: وخرج محمد بن إبراهيم في اليوم الذي واعد فيه أبا السرايا للاجتماع بالكوفة، وأظهر نفسه وبرز إلى ظهر الكوفة ومعه علي بن عبيدالله بن الحسين بن علي بن حسين وأهل الكوفة منبثون مثل الجراد إلا أنهم على غير نظام، وغير قوة ولا سلاح إلا العصي والسكاكين والآجر، ولم يزل محمد ومن معه ينتظرون أبا السرايا ويتوقعونه فلا يرون له أثراً حتى يئسوا منه وشتمه بعضهم ولاموا محمد بن إبراهيم على الإستعانة به، واغتم محمد بتأخره فبينما هم كذلك إذْ طلع عليهم من نحو الجوف علَمَان أصفران وخيل، فتنادى الناس بالبشارة وكبروا وتبصروا فإذا هو أبو السرايا ومن معه، فلما أبصر محمد بن إبراهيم ترجل فأقبل إليه فأكبّ عليه واعتنقه محمد، ثم قال له: يا ابن رسول الله: ما يقيمك ها هنا؟ ادخل البلد فما يمنعك منه أحد، فدخله فخطب الناس ودعاهم إلى البيعة على الرضى من آل محمد والدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والسيرة بحكم الكتاب، فبايعه الناس جميعًا حتى تكابسوا وازدحموا عليه وذلك في موضع بالكوفة يعرف بقصر الضرتين.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وبعث الدعاة في سائر النواحي، وأنفذ أخاه القاسم بن إبراهيم عليه السلام إلى مصر للدعاء إليه وأخذ البيعة له، والقاسم عليه السلام ابن سبع أو ست وعشرين سنة، وبايعه من الأشراف محمد بن محمد بن زيد، ومحمد بن جعفر بن محمد، وعلي بن عبيدالله وغيرهم ممن يطول ذكرهم، ومن الفقهاء يحيى بن آدم، وكان محمد بن إبراهيم عليه السلام يشرط عليه شرائط البيعة وهو يقول: ما استطعت ما استطعت فقال له محمد بن إبراهيم عليه السلام: هذا قد استثناه

---

(١) الإفادة ص ٨٤.

لك القرآن قال الله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦] وأبو بكر، وعثمان ابنا أبي شيبة، وأبو نعيم الفضل بن دكين، وعبدالله بن علقمة.

قال أبو الفرج[1]: ووجه محمد بن إبراهيم إلى الفضل بن العباس بن عيسى ابن موسى رسولاً يدعوه إلى بيعته ويستعين به في سلاح وقوة، فوجد الفضل بن العباس قد خرج عن البلد، وخندق حول داره وأقام مواليه في السلاح للحرب، فأخبر الرسول محمداً بذلك وأنفذ محمد أبا السرايا إليهم، وأمره أن يدعوهم ولا يبدأهم بقتال، فلما صار إليهم تبعه أهل الكوفة كالجراد المنتشر، فدعاهم فلم يصغوا إلى قوله، ولم يجيبوا إلى دعوته، ورموا بالنشاب من خلف الستور فقُتل رجل من أصحابه أو جرح، فوجه به إلى محمد بن إبراهيم فأمره بقتالهم فقاتلهم، وكان على السور خادم أسود واقف بين شرفتين يرمي لا يسقط له سهم، فأمر أبو السرايا غلامه أن يرميه فرماه بسهم فأثبته بين عينيه فسقط الخادم على أم رأسه، إلى أسفل وفرّ موالي الفضل بن العباس كلهم فلم يبق منهم أحد وفُتح الباب فدخل أصحاب أبي السرايا ينتهبونها ويخرجون خير المتاع منها، فلما رأى ذلك أبو السرايا حضره ومنع أحدا من الخروج أو يأخذ ما معه ويفتشه، فأمسك الناس عن النهب قال: فسمعت أعرابيًا يرتجز ومعه تخت فيه ثياب ويقول[2]:

ما كان إلا رَيْثَ زَجْرِ الزّاجرة حتى انتضيناها سيوفًا باتره

حتى علونا في القصور القاهرة ثم انقلبنا بالثياب الفاخرة

قالوا: ومضى الفضل بن العباس، فدخل على[3] الحسن بن سهل فشكا إليه ما انتهك منه فوعده النصرة والغرم والخلف، ثم دعا بزهير بن المسيب فضم إليه الرجال، وأمدّه بالأموال، وندبه إلى المسير نحو أبي السرايا، وأن يودعه من وقته

---

(١) المقاتل: ٥٢٤.

(٢) في (ج): وهو يقول.

(٣) في (أ): حتى دخل.

ويمضي لوجهه ولا ينزل إلا بالكوفة، وكان محمد عليلاً علّته التي مات فيها[1]، وكان الحسن بن سهل لانتحاله النجوم ونظره فيها ينظر في نجم محمد فيراه محترقًا، فيبادر في طلبه ويحرّض على ترويحه، ويشغله ذلك عن النظر في أمر عسكره. فسار زهير بن المسيب حتى ورد قصر ابن هبيرة فأقام به، ووجه ابنه أزهر بن زهير على مقدمته فنزل سوق أسد.

وسار أبو السرايا من الكوفة وقت العصر وأغذ السير حتى أتى معسكر أزهر ابن زهير بسوق أسد وهم قَارُون وبيَّته فطحن العسكر وأكثر القتل فيهم، وغنم دوابهم وأسلحتهم وتقطع الباقون في الليل منهزمين حتى وافوا زهيراً بالقصر فتغيظ من ذلك.

ورجع أبو السرايا إلى الكوفة فزحف زهير حتى نزل ووافت خريطة من الحسن بن سهل فأمره أن لا ينزل إلا الكوفة، فمضى حتى نزل عند القنطرة، ونادى أبو السرايا في الناس بالخروج، فخرجوا حتى صافّوا زهيراً على قنطرة الكوفة في عشية صردة باردة فهم يوقدون النار يستدفئون بها ويذكرون الله ويقرأون القرآن، وأبو السرايا يسكن منهم ويحثهم. وأقبل أهل بغداد يصيحون: يا أهل الكوفة زينوا نساءكم وأخواتكم وبناتكم للفجور، والله لنفعلن بهن كذا وكذا. لا يكنُّون، وأبو السرايا يقول لهم: اذكروا الله وتوبوا إليه واستغفروه واستعينوه، فلم يزل الناس في تلك الليلة يتحارسون طول ليلتهم حتى إذا أصبح نهد إليهم زهير في عسكره، وقد غشيت أبصار الناس من الدروع والجواش وهم على تعبئة حسنة، وأصوات الطبول والبوقات مثل الرعد القاصف، وأبو السرايا يقول: يا أهل الكوفة صححوا لله نياتكم، وأخلصوا له ضمائركم، واستنصروه على عدوكم، وابرأوا إليه من حولكم وقوتكم، واقرأوا القرآن، ومن كان يروي الشعر فلينشد شعر عنترة العبسي. قال: ومرَّ بنا الحسن بن الهذيل يعترض الناس

---

(١) في (ج): منها.

ناحية ناحية ويقول : يا معشر الزيدية، هذا موقف تشترك فيه الأقدام، وتزايل فيه الأفعال، والسعيد من حاط دينه، والرشيد من وفّى لله بعهده، وحفظ محمداً في عترته. إن الآجال موقوفة، والأيام معدودة، ومن هرب بنفسه من الموت كان الموت محيطًا به :

من لم يمت عبطة يمت هرمًا الموت كأس والمرؤ ذائقها

قال أبو الفرج الأصبهاني[1] : الحسنُ بن هذيل هذا صاحبُ حسين المقتول بفخ، وقد روى عنه الحديث قالوا : واطّلع رجل من أهل بغداد مستلئمًا شاكلي السلاح، فجعل يشتمُ أهل الكوفة ويقول لهم: لنفجُرَنّ بنسائكم ولنفعلن بكم ولنصنعن، فانتدب له رجل من أهل الوازار[2] عليه إزار أحمر وفي يده سكين، فألقى نفسه في الفرات وخرج سباحة حتى صار إليه فدنا منه فأدخل يده في جيب درعه وجذبه إليه فصرعه، وضرب بالسكين حلقه فقتله وجرّ برجله يطفو مرة ويغوص أخرى حتى أخرجه إلى أهل الكوفة، فكبّر الناس وارتفعت أصواتهم بحمد الله والثناء عليه والدعاء، وخرج رجل من ولد الأشعث بن قيس فعبر إلى البغداديين، ودعا للبراز فبرز له رجل فقتله، وبرز إليه آخر فقتله، وبرز إليه ثالث فقتله حتى قتل نفراً، وأقبل أبو السرايا فلما رآه شتمه، وقال: من أمرك بهذا؟ ارجع فرجع الرجل يمسح سيفه بالتراب ورده في غمده وقنع فرسه[3]، ومضى نحو الكوفة فلم يشهد حربًا بعدها معهم، ووقف أبو السرايا بالقنطرة معهم طويلاً وخرج رجل من أهل بغداد، فجعل يشتمه بالزاني لا يكنى، وأبو السرايا واقف لا يتحرك، ثم إنه تغافله ساعة حتى همّ بأن ينصرف، ثم حمل عليه فقتله، وحمل في عسكرهم حتى خرج من خلفهم، ثم حمل عليهم من خلف العسكر حتى رجع

---

(١) المقاتل ص٥٢٧ .

(٢) قرية بباب الكوفة .

(٣) في (أ) : رأسه .

من حيث جاء، ووقف في موقفه وهو ينفخ وينفض علق الدم من درعه.

ثم دعا غلامًا له فوجهه في نفر من أصحابه وأمره أن يمضي حتى يصير من وراء العسكر. ثم يحمل عليهم لا يكذب، فمضى الغلام لوجهه مع من هو معه قاصدًا لما أمره، ووقف أبو السرايا على القنطرة على فرس أدهم محذوف، وقد اتكأ على رمحه فنام على ظهر الفرس حتى غط وأهل الكوفة جزعون مما يرونه من عسكر زهير ويسمعونه من تهددهم ووعيدهم وهم يصيحون ويضجون بالتكبير والتهليل حتى يسمع أبو السرايا فينتبه من نومه فلم ينتبه حتى ظن أن الكمين الذي بعثه قد انتهى إلى حيث أمره فصاح بفرسه فبال[1]، ثم قنّعه حتى رضي تحفزه، ثم أومى بيده نحو الكمين الذي بعثه وصاح بأهل الكوفة: احملوا، ،حمل وتبعوه فلم يبق من أصحاب زهير أحد إلا التفت نحو الإشارة. وخالط أبو ا سرايا وغلامه سيّار العسكر وتبعه أهل الكوفة وصاح بغلامه: ويلك يا سيار ألا تزأر، فحمل سيار على صاحب العلم فقتله وسقط العلم، وانهزمت المسودة، وتبعهم أبو السرايا وأصحابه ونادى من نزل عن فرسه فهو آمن، فجعلوا يترجّلون وأصحاب أبي السرايا يركبون ويتبعونهم حتى جاوزوا شاهي، ثم التفت زهير إلى أبي السرايا فقال له: ويحك أتريد هزيمة أكبر من هذه؟ إلى أين تتبعني؟ فرجع وتركه. وغنم أهل الكوفة غنيمة لم يغنم أحد مثلها، وصار إلى عسكر زهير ومطابخة قد أُعدت وأقيمت، وكان قد حلف أن لا يتغدّى إلا في مسجد الكوفة، فجعلوا يأكلون الطعام وينتهبون الأسلحة والآلة، وكانوا قد أصابهم جوع وجهد شديد، ومضى زهير لوجهه حتى دخل بغداد مستترًا، وبلغ خبره الحسن بن سهل فأمر بإحضاره فأحضر، فلما رآه رماه بعمود حديد كان في يده فشتر إحدى عينيه، وقال لبعض من كان بحضرته: أخرجه فاضرب عنقه، فلم يزل يُكلّم فيه حتى عفى عنه.

---

(١) في المقاتل: فصاح بفرسه: قتال. وفي (آ): قبال.

ودخل أبو السرايا الكوفة ومعه خلق من الأسارى، ورؤس كثيرة على الرماح مرفوعة، وفي صدور الخيل مشدودة، ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح، فهم في حالة واسعة وأنفسهم بما رزقوه من النصر قوية.

واشتد غم الحسن بن سهل ومن بحضرته من العباسيين لما جرى على عسكر زهير وطال اهتمامهم به، فدعا الحسن بعبدوس بن عبد الصمد، وضم إليه ثلاثة الآف فارس وثلاثة الآف راجل، وأزاح علته في الإعطاء، وقال له: إنما أريد أن أنوه باسمك وأرفع منزلتك فانظر كيف تكون، وأوصاه بما يحتاج إليه وأمره أن لا يلبث، فخرج من بين يديه وهو يحلف أن يبيح الكوفة، ويقتل مقاتلة أهلها ويسبيْ ذراريهم، ثلاثًا. ومضى لا يلوي على شيء حتى صار إلى الجامع، وكان الحسن ابن سهل تقدم إليه بذلك، وأمره ألا يأخذ على الطريق الذي انهزم فيه زهير؛ لئلا يرى أصحابه بقايا قتلى عسكره فيجبنوا من ذلك، فأخذ على طريق الجامع، فلما وافاها وبلغ أبا السرايا خبره صلى الظهر بالكوفة، ثم جرد فرسان أصحابه، من يثق به منهم، وأغذ السير حتى إذا قرب من الجامع فرّق أصحابه ثلاث فرق، وقال: يكون شعاركم (يا فاطمي يا منصور)، وأخذ هو في جانب السوق وأخذ سيّار في سيره الجامع، وقال لأبي الهرماس: خذ بأصحابك على القرية لا يفوتك أحد، ثم حملوا دفعة واحدة من جوانب عسكر عبدوس، ففعلوا ذلك وأوقعوا به وقتلوا فيه مقتلة عظيمة، وجعل الجند يتهافتون في الفرات طلب النجاة حتى غرق منهم خلق كثير. ولقي أبو السرايا عبدوسًا في رحبة الجامع وكشف خوذته عن رأسه وصاح أبو السرايا: أنا أسد بني شيبان، ثم حمل عليه وولى عبدوس من بين يديه، وتبعه أبو السرايا فضربه على رأسه ضربة فلق هامته، وخرّ صريعًا عن فرسه، وانتهب الناس من أصحاب أبي السرايا وأهل الجامع عسكر عبدوس، وأصابوا منه غنيمة عظيمة، وانصرفوا إلى الكوفة بقوة وأسلحة.

ودخل أبو السرايا إلى محمد بن إبراهيم وهو عليلٌ يجود بنفسه فلامه على

تبييته العسكر، وقال له : أنا بريء إلى الله مما فعلت فما كان لك أن تبيتهم ولا تقاتلهم حتى تدعوهم، وما كان لك أن تأخذ من عسكرهم إلا ما أجلبوا به علينا من السلاح، قال له : يا ابن رسول الله، كان هذا تدبير الحرب، ولست أعاود مثله، ثم رأى في وجه محمد الموت فقال له : يا ابن رسول الله، كل حي ميت، وكل جديد بال فاعهد إليَّ عهدك. فقال له : أوصيك بتقوى الله، والمقام على الذب عن دينك، ونصرة أهل بيت نبيك، فإن نفوسهم موصولة بنفسك، وول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامي من آل علي، فإن اختلفوا فالأمر إلى علي بن عبيدالله فإني قد بلوت طريقته ورضيت دينه، ثم اعتقل لسانه، وهدأت جوارحه فغمّضه أبو السرايا وسجّاه وكتم موته، فلما كان الليل أخرجه في نفر من الزيدية الى الغري فدفنه، فلما كان من الغد جمع الناس فخطبهم، ونعى إليهم محمداً وعزاهم عنه، فارتفعت الأصوات بالبكاء إعظامًا لوفاته ثم قال : وقد أوصى أبو عبدالله رحمة الله عليه إلى شبيهه ومن اختاره وهو أبو الحسن علي بن عبيدالله فإن رضيتم به فهو الرضى، وإلا فاختاروا لأنفسكم، فتواكلوا وانتظر بعضهم بعضًا فلم ينطق أحد منهم، فوثب محمد بن محمد بن زيد وهو غلام حدث السن فقال : يا آل علي فات الهالك فنجا، وبقي الباقي بكرمه، إن دين الله لا يُنصر بالفشل، وليست يد هذا الرجل -يعني أبا السرايا- عندنا بسيئة قد شفى الغليل، وأدرك الثأر، ثم التفت إلى علي بن عبيدالله فقال : ما تقول يا أبا الحسن رضي الله عنك؟ فقد وصانا بك، امدد يدك نبايعك، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : إن أبا عبدالله رحمه الله قد اختار فلم يَعْدُ الثقة في نفسه، ولم يأل جهداً في حق الله تعالى الذي قلده، وما أردُّ وصيته تهاونًا بأمره، ولا أدع هذا نكولاً عنه، ولكن أتخوّف أن أشتغل به عن غيره مما هو أحمد وأفضل عاقبة، فامض رحمك الله لأمرك، واجمع شمل بني عمك فقد قلدناك الرئاسة علينا، وأنت الرضا عندنا، والثقة في أنفسنا. ثم قال لأبي السرايا : ما ترى؟ أرضيت به؟ قال : رضاي

في رضاك، وقولي مع قولك، فجذبوا يد محمد بن محمد فبايعوه، وفرّق عماله.

فولى إسماعيل بن علي بن إسماعيل بن جعفر بن محمد خلافته على الكوفة، وولى روح بن الحجاج شرطته، وولى أحمد بن السري الأنصاري رسائله، وولى عاصم بن عامر القضاء، وولى نصر بن مزاحم السوق، وعقد لإبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن، وولى زيد بن موسى بن جعفر الأهواز، وولى العباس بن محمد بن عيسى بن محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر البصرة، وولى الحسن بن الحسن الأفطس مكة، وعقد لجعفر بن محمد بن زيد بن علي والحسن بن إبراهيم بن الحسن على واسط، فخرجوا إلى أعمالهم، فأما ابن الأفطس فلم يمنعه أحد مما وجّه له، فأقام الحج في تلك السنة وهي سنة تسع وتسعين ومائة، وأما إبراهيم بن موسى فأذعن له أهل اليمن بالطاعة بعد وقعة كانت منهم[1].

وروى غير أبي الفرج أنه قتل فيها من الجنود العباسية خمسة عشر ألفًا حتى سمي إبراهيم الجزار، وكان ينزل والشيعة بالقطيع من صنعاء، وكانت سكتة تُدعى بشارع المبيضة، وخرب سد الخانق بصعدة، وقتل البطون التي تبغض أهل البيت باليمن وهم: بنو الحارث بنجران، والسلمانيون بعيان، واللعويون بريْدَة، والكباريون باثافت، والإبارة بظهر، والحواليون ببيت ذخار، وبنو يافع بالسر وسرو حمير، قال أبو الفرج[2]: وأما صاحبا واسط فإن النضر البجلي صاحب واسط خرج إليهما فقاتلهما قتالاً شديدًا فثبتا له، ثم انهزم ودخلا واسط وجبيا الخراج وتألفا الناس، وأما الجعفري صاحب البصرة فإنه خرج إليه علي بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب فاجتمعا، ووافاهما زيد بن موسى ابن جعفر ماضيًا إلى الأهواز فاجتمعوا ولقيهم الحسن بن علي المعروف

---

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٥٢٧ – ٥٣٤ . والإفادة ٨٤ – ٨٧ .

(٢) المقاتل ص٥٣٤ .

بالمأموني -رجل من أهل باذغيس- وكان على البصرة، فقاتلوه فهزموا عسكره، وحرق زيد بن موسى دور بني العباس بالبصرة، فلقِّب لذلك زيد النار، وفي هزيمتهم يقول دعبل بن علي في إسماعيل بن علي بن سليمان بن علي :

لقد خلّف الأهواز من خلف ظهره وزيد وراء الرأب من أرض كسكر

يهوّل إسماعيل بالبيض والقنا وقد فرَّ من زيد بن موسى بن جعفر (١)

وتواترت الكتب على محمد بن محمد بالفتوح من كل ناحية، وكتب إليه أهل الشام والجزيرة أنهم ينتظرونه أن يوجِّه إليهم رسولاً يسمعون له ويطيعون وعظم أمر أبي السرايا على الحسن بن سهل فكتب إلى هرثمة بن أعين يأمره بالقدوم عليه، وكانت بينه وبينه شحناء، ودعا بالسندي بن شاهك فسأله اللحاق به، وسأله التعجيل وترك التلوُّم، وكانت بين الحسن بن سهل وبين هرثمة شحناء فخشي أن لا يجيبه إلى مايريد ففعل ذلك السندي ومضى إلى هرثمة فلحقه بحلوان فأوصل إليه الكتاب، فلما قرأه تغيظ وقال: نوطئ لهم نحن الخلافة، ونمهد لهم أكنافها ثم يستبدون بالأمور، ويستأثورن بالتدبير علينا، فإذا انفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم وإضاعتهم الأمور أرادوا أن يصلحوه بنا، لا والله ولا كرامة حتى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم، وقبيح أفعالهم.

قال السندي : وباعدني مباعدة آيسني منها من نفسه، فبينما أنا كذلك إذ جآءه كتاب من منصور بن المهدي فقرأه، وجعل يبكي بكآء طويلاً، ثم قال : فعل الله بالحسن بن سهل وصنع فإنه عرّض هذه الدولة للذهاب، وأفسد ما صلح منها، ثم أمر فضرب الطبل، وانكفأ راجعًا إلى بغداد وأتى منزله.

وأتي الحسن بن سهل بدواوين الجيش فنقلت إليه؛ ليختار الرجال منها وينتخبهم، وأطلق له بيوت الأموال فانتخب من أراد، وأزاح العلة في الأعطيات

---

(١)في ديوان دعبل بن علي يهجو إسماعيل بن جعفر بن سليما ن العباسي، وفيها :

وعاينته في يوم خلّى حريمه فيا قبحها منه ويا حُسن منظرِ

والنفقات، وخرج إلى الياسرية فعسكر بها فكان في نحو من ثلاثين ألف فارس وراجل، ثم نادى بالرحيل إلى الكوفة، فرحل الناس وأبو السرايا بالقصر، ثم عسكر هرثمة في شرقي صرصر، وعسكر أبو السرايا في غربيه، ووجه الحسن بن سهل إلى المدائن علي بن أبي سعيد[1] وحماد التركي وجماعة، فقاتلوا محمد بن إسماعيل الأرقط بن علي بن الحسين، وكان قد عقد لهم أبو السرايا على البلد واستولى عليها، فهزموه واستولوا عليها ومضى أبو السرايا من فوره بالليل ولم يعلم هرثمة، -وكان جسر صرصر مقطوعًا بينهما- يريد المدائن، فوجد أصحابه قد أُخرجوا منها واستولى عليها المسودة فكانت بينهم مناوشة، وقُتل غلامه أبو الهرماس أصابه حجر عرّادة فدفنه بها ومضى نحو القصر، فلما صار بالرحب سار هرثمة إليه فلحقه هناك فقاتله قتالاً شديداً فهُزم أبو السرايا وقُتل أخوه ومضى لوجهه حتى نزل الجارية، وأتبعه هرثمة وأجمع رأيه على سد الفرات عليهم ومنعهم المآء، وصبّه في الآجام والمغائط التي في شرقي الكوفة، ففعل ذلك وانقطع المآء من الفرات، فتعاظم ذلك الكوفيون وسقط في أيديهم، وأزمعوا معاجلتهم فبينما هم كذلك إذا انبثق السكر الذي سكّروه، وأقبل المآء يجر الخشب فكبروا وحمدوا الله كثيراً وسروا بما وهب الله لهم من الكفاية، ثم إن هرثمة نهد إلى الكوفة مما يلي الرصافة، وخرج أبو السرايا إليه في الناس فعبأهم، وجعل على الميمنة الحسن بن هذيل، وعلى الميسرة جرير بن الحصين، ووقف في القلب، وعبأ هرثمة خيلاً نحو البر فبعث أبو السرايا عدتهم يسيرون بإزائهم لئلا يكونوا كمينا، ثم إن أبا السرايا حمل حملة فيمن معه فانهزم أصحاب هرثمة هزيمة رقيقة، ثم عطفوا وجوه دوابهم فانهزموا، فنادى أبو السرايا: لا تتبعوهم فإنها خديعة ومكر فوقفوا وتبعهم أبو كتلة فأنفذ، ثم رجع فأعلم أبا السرايا أنهم عبروا الفرات، فرجع بالناس إلى الكوفة، ثم خرج في يوم الإثنين لسبع خلون من ذي القعدة،

---

(١) في (أ): علي بن سعيد.

وخرج الناس معه وقد كان جاسوسه أخبره أن هرثمة يريد مواقعته في ذلك اليوم ، فعبأ الناس مما يلي الرصافة ، ومضى هو نحو القنطرة فلم يبعد حتى أقبلت خيل هرثمة ، فرجع أبو السرايا كالجمل الهائج إلى الناس فقال : أقيموا صفوفكم ، وأقبل هرثمة فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فنظر أبو السرايا إلى روح بن الحجاج قد رجع فقال له : والله لئن مضيت لأضربن عنقك ، فرجع فقاتل حتى قُتل ، وقُتل يومئذ الحسن بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين ، وقُتل أبو كتلة غلام أبي السرايا ، واشتدت الحرب وكشف أبو السرايا رأسه وجعل يقول : أيها الناس صبر ساعةوثبات قليل ، فقد والله فشل القوم ولم يبق إلا هزيمتهم ، ثم حمل وخرج إليه قائد من قواد هرثمة وعليه الدرع والمغفر ، فتناوشا ساعة ثم ضربه أبو السرايا ضربة على بيضته فقده حتى خالط سيفه قربوس سرجه ، وانهزمت المسودة هزيمة قبيحة ، وتبعهم أهل الكوفة يقتلونهم حتى بلغوا صعيبًا ، فنادى أبو السرايا : يا أهل الكوفة ، احذروا كرّتهم بعد الفرّة فإن العجم قوم دهاة ، فلم يُصغوا إلى قوله وتبعوهم ، وكان هرثمة قد أُسر في ذلك الوقت- ولم يعلم أبو السرايا بأسره ، أسره عبد سندي ، وقبل ذلك خلّف في معسكره زهاء خمسة الآف فارس يكونون ردءاً له إن انهزم أصحابه ، وخلف عليهم عبيدالله بن الوضاح ، فلما وقعت الهزيمة ونادى أبو السرايا : لا تتبعوهم ، كشف عبيدالله بن الوضاح رأسه وأصحابه يقولون : قُتل الأمير ، قتل الأمير ، فناداهم فما يكون إذا قتل الأمير يا أهل خراسان؟ إليّ أنا يا عبيدالله بن الوضاح ، اثبتوا فوالله ما القوم إلا غوغاء ورعاع وثابت إليه طائفة ، وحمل على أهل الكوفة فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وتبعوهم حتى جازوا صعيبًا ، وتبعوا ووجدوا هرثمة أسيراً في يد عبد أسود فقتلوا العبد وحلُّوا وثاق هرثمة ، وعاد إلى معسكره ولم تزل الحرب بينهم مدة متراخية في كل يوم أو يومين تكون بينهم سجالاً ، ثم إن أبا السرايا بعث علي بن محمد بن جعفر المعروف بالبصري في خيل وأمره أن يأتي هرثمة من ورائه

فمضى لوجهه ولم يشعر هرثمة حتى قرب منه، وحمل أبوالسرايا عليه، فصاح هرثمة: يا أهل الكوفة، علام تسفكون دمآءنا ودماءكم؟ إن كان قتالكم إيانا كراهة لإمامنا فهذا المنصور بن المهدي رضًا لنا ولكم نبايعه، وإن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم، واتفقوا معنا ليوم الإثنين نتناظر فيه، ولا تقتلوا أنفسكم، فأمسك أهل الكوفة عن الحملة، وناداهم أبو السرايا: ويحكم إن هذه خديعة من هؤلآء الأعاجم، وإنما أيقنوا بالهلاك فاحملوا عليهم، فامتنعوا وقالوا: لا يحل لنا قتالهم وقد أجابوا، فغضب أبو السرايا وانصرف معهم وقد أراد قبل ذلك إجابة هرثمة، وأن يمضي إليه مع محمد بن محمد بن زيد فيستأمن، ثم خشي الغدر به، فلما كان في يوم الجمعة خطب أهل الكوفة، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل الكوفة، يا قتلة علي، ويا خذلة الحسين، إن المغتر بكم لمغرور، وإن المعتمد على نصركم لمخذول، وإن الذليل لمن أعززتموه، والله ما حمد عليّ أمركم فنحمده، ولا رضي مذهبكم فنرضى به، ولقد حكّمكم عليه، وائتمنكم فخنتم أمانته، ووثق بكم فحلتم عن ثقته، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين، ولطاعته ناكثين، إن قام قعدتم، وإن قعد قمتم، وإن تقدّم تأخرتم، وإن تأخر تقدمتم، خلافًا عليه وعصيانًا لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، وخذلكم الله بخذلانكم إياه، أي عذر لكم في الهرب عن عدوكم، والنكول عمن لقيتم؟ وقد عبروا خندقكم وعلوا قبائلكم، ينتهبون أموالكم، ويجتاحون حريمكم، هيهات لا عذر إلا العجز والمهانة، والرضا بالصغار والذلة، إنما أنتم كفيء الظل تهزمكم الطبول بأصواتها، وتملأ قلوبكم الخرق بسوادها، أما والله لأستبدلن بكم قومًا يعرفون الله حق معرفته، ويحفظون محمدًا في عترته، ثم قال:

وما رستُ أقطار البلاد فلم أجدْ ... لكم شبهًا فيما وطئت من الأرض

خلافًا وجهلاً وانتشار عزيمة ... ووهنًا وعجزا في الشدائد والخفض

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوة ... فلا عنكم راضٍ ولا فيكم مرضي

سأبعد داري عن قلى من دياركم فذوقوا إذا ولّيت عاقبة البغض

فقامت إليه جماعة من أهل الكوفة فقالوا له : ما أنصفتنا في قولك : ما أقدمت فأحجمنا ، ولا كررت وفررنا[1] ، ولا وفيت وغدرنا ، ولقد صبرنا تحت ركابك ، وثبتنا تحت لوائك حتى أفنتنا الوقائع واجتاحتنا ، وما بعد ما فعلنا غاية إلا الموت ، فامدد يدك نبايعك على الموت ، فوالله لا نرجع حتى يفتح الله علينا أو يقضي قضاءه فينا .

فأعرض عنهم ونادى في الناس بالخروج لحفر الخندق ، فخرجوا فحفروا وأبو السرايا يحفر معهم عامة يومه ، فلما كان الليل خرج الناس إلى الخندق ، وأقام إلى الثلث الأول من الليل ثم عبّأ أثقاله وأسرج خيله وارتحل هو ومحمد بن محمد ونفر من العلويين والأعراب ، وقوم من أهل الكوفة وذلك في ليلة الأحد لثلاث عشرة ليلة مضت من المحرم ، فأقام بالقادسية ثلاثًا حتى تتام إليه أصحابه ، ثم مضى على خفان وأسفل الفرات حتى صار على طريق البر ، ووثب بالكوفة أشعث بن عبدالرحمن الأشعثي فدعا إلى هرثمة ، وخرج أشراف أهل الكوفة إلى هرثمة فسألوه الأمان للناس فأجابهم إلى ذلك .

ودخل منصور بن المهدي الكوفة وأقام هرثمة خارجها ، وفرّق عسكره حوالي خندقها ، وأبوابها خوفًا من حيلته ، وخطب منصور بن المهدي الناس وصلى بهم ، وولّى هرثمة غسان[2] بن الفرج الكوفة ، وأقام هو أيامًا بظهر البلد ، حتى أمن الناس وهدأت قلوبهم وارتحل إلى بغداد ، ومضى أبو السرايا يريد البصرة فلقيه أعرابي من أهل البلد ، فسأله عن الخبر فأعلمه غلبة السلطان عليه وإخراج عماله عنه ، وأن المسودة في خلق كثير لا يمكنه مقاومتهم ، فعدل عنها وأراد المضي نحو واسط ، فأعلمه الرجل أن صورة أمرها مثل ما ذكره له عن البصرة ، فقال له : فأين ترى؟ فقال : أرى تعبر دجلة فتكون بين خوخي والجبل ، فتجتمع معك أكرادها ،

---

(١) في (أ) : متى اقدمت فاحجمنا ، او كررت . . .

(٢) في (ج) : حسان .

ويلحق بك من أراد صحبتك من أعراب السواد وأكراده ، ومن رأى رأيك من أهل الأمصار والطساسيج ، فقبل أبو السرايا مشورته وسلك ذلك الطريق ، فجعل لا يمر بناحية إلا جبا خراجها وباع غلاتها . ثم عمد إلى الأهواز حتى صار إلى السوس فأغلقوا دونه فنادى ففتحوا له فدخلها ، وكان على كور الأهواز الحسن بن علي المأموني ، فوجه إلى أبي السرايا يعلمه كراهته لقتاله ويسأله الانصراف عنه إلى حيث أحب فلم يقبل ذلك وأبى إلا قتاله ، فخرج إليه المأموني فقاتله قتالاً شديداً ، وثبتت الزيدية تحت ركاب محمد بن محمد ، وثبت العلويون معه فقتلت منهم عدة ، وخرج أهل السوس فأتوهم من خلفهم ، فخرج إليهم غلام أبي السرايا لقتالهم فظن القوم أنها هزيمة فانهزموا ، وجعل أصحاب المأموني يقتلونهم حتى أجنهم الليل فتفرقوا وتقطعت دوابهم . ومضى أبو السرايا حتى أخذوا على طريق خراسان ، فنزلوا قرية يقال لها : نوقانا ، وبلغ حمّاد الكندغوش خبرهم وكان يتقلد تلك الناحية ، فوجه إليهم خيلاً ، ثم ركب بنفسه حتى لقيهم فأمّنهم على أن يُنفذ بهم إلى الحسن بن سهل فقبلوا ذلك منه وأعطى الذي أعلمه خبرهم عشرة الآف درهم ، وحملهم إلى الحسن بن سهل . وبادر محمد بن محمد إلى الحسن بكتاب يسأله أن يأمنه ويستعطفه ، فقال الحسن بن سهل : لا بد من ضرب عنقه ، فقال له بعض من كان يستنصحه : لا تفعل أيها الأمير ، فإن الرشيد لما نقم على البرامكة احتج عليهم بقتل ابن الأفطس فقتلهم به ، ولكن احمله إلى أمير المؤمنين فعمل على ذلك ، وحلف أنه يقتل أبا السرايا ، فلما أتته الرسل بهم وهو نازل بالمدائن معسكراً ، قال لأبي السرايا : من أنت؟ قال السري ابن منصور ، قال : بل أنت النذل بن النذل ، المخذول بن المخذول ، قم يا هارون بن أبي خالد فاضرب عنقه بأخيك عبدوس ، فقام إليه فقدمه وضرب عنقه ، ثم أمر برأسه فصلب في الجانب الشرقي من بغداد ، وصلب بدنه في الجانب الغربي ، وقتل غلامه أبو الشوك وصلب معه .

وحمل محمد بن محمد إلى خراسان فأقيم بين يدي المأمون وهو جالس في مستشرف له، ثم صاح الفضل بن سهل: اكشفوا رأسه فكشفوا رأسه فجعل المأمون يتعجب من حداثة سنه، ثم أمر له بدار فأسكنها وجعل له فيها فرش وخادم، فكان فيها على سبيل الاعتقال والتوكيل، فأقام على ذلك مدة يسيرة يقال: إن مقدارها أربعون يومًا، ثم دست إليه شربة، فكان يختلف كبده وحشوته حتى مات، وتوفى رحمه الله وهو ابن ثماني عشرة سنة، وقبره بمرو.

ونظر في الدواوين فوجد من قتل من أصحاب السلطان في وقائع أبي السرايا مأتي ألف رجل. وروى الشيخ أبو الفرج بإسناده عن إبراهيم بن سلمة المقرئ قال: كنت واقفاً مع أبي السرايا على القنطرة ومحمد بن محمد بصحراء إنبر، فجآءه رجل دسّه هرثمة، فقال له: إن المسودة قد دخلت في جانب الجسر، وأخذ محمد بن محمد، وإنما أراد أن يتنحى عن موضعه، فلما سمع بذلك ولّى بوجه فرسه نحو صحراء إنبر، وأقبل هرثمة حتى دخل الكوفة، وبلغ إلى موضع يعرف بدار الحسن، وصار أبو السرايا إلى الموضع فوجد محمداً قائمًا على المنبر يخطب، فعلم أنها حيلة فَكَرَّ راجعًا ومعه رجل يقال له: مسافر الطائي وكان من بني شيبان إلا أنه نزل في قبائل طي فنسب إليهم، فحمل على المسودة فهزمهم حتى ردهم إلى مواقفهم، وجآءه رجل فقال له: إن جماعة منهم قد كمنوا لك في خرابة ها هنا، فقال: أرنيهم، فأراه الخرابة فدخل إليهم فأقام طويلاً، ثم خرج يمسح سيفه، وينفض علق الدم عن نفسه، ومضى لوجهه نحو هرثمة، فدخلت فإذا القوم صرعى، وخيلهم يثب بعضها على بعض، فعددتهم فإذا هم مائة رجل أو مائة رجل إلا رجلاً[1].

وللقاسم بن إبراهيم يرثي أخاه محمد بن إبراهيم (عليهما السلام) رواه الشيخ أبو الفرج[2]:

---

(١) ينظر مقاتل الطالبين ٥٣٤-٥٣٦، ٥٤٢-٥٥٠.

(٢) المقاتل ص٥٥٣.

يا دارُ دارَ غـرور لا وفـآء لهـا حيث الحـوادث بالمكروه تستبقُ

أبْرحْت أهلك من كـد ومن أسف لمشـرع شـربهُ التصـريد والرنقُ

فـإن يكن فـيك للآذان مسـتمع يصبي ومَرْءًا تسامى نحوه الحدقُ

فـأي عـيشك إلا وهو منتقل وأي شـملك إلا سـوف يفـترقُ

من سـره أن يرى الدنيـا مـعطلة بعين من لم يخنه الخَـدْعُ والملقُ

فليأت داراً جفاها الأنس موحشة مأهولة حشوها الأشلاء والخرق[1]

قل للقـبور إذا مـاجـئت زايرها وهـل يزار تراب البـلقـع الخلقُ؟

مـاذا تضـمّنتَ ياذا اللحد من مَلك لم يحـمـه عنك عـقـيان ولا وَرقُ

بل أيهـا النازح المرموسُ يصحبُهُ وَجْدٌ ويحدو به الترجيع والحرقُ

يُهدي لدار البلى عن غير مَقْلية قـد خُطّ في عـرضـه منهـا له نَفَقُ

فبات فردًا و بطن الأرض مضجعُهُ ومن ثراها لـه وثر ومـرتفقُ

داني المحل بعـيـد الأنس أسلَمـه برُّ الشفيق فحبل الوصل منحدقُ

قد أعقب الوصل حبل اليأس فانقطعت منك القـرائن والأسبـاب والعلقُ

يا شخص من لو تكون الأرض فديته مـا ضـاق مني بهـا ذرع ولا خلقُ

بينا أرجّـيك تأمـيلاً وأشـفق أن يَغْـبَرّ منك جـبينٌ واضح يَقَقُ

أصبحت يحثى عليك الترب في جدَث حـتى عليك لما يحـثى به طبقُ

أمـا تفـيني بك الأيام مسـرعـة فـقلّ مني[2] عليك الحزن والأرقُ

وإنما حَـدَثٌ تخـشى غـوائله من بعـد هُلْك يُغَنِّيني به الشـفقُ

روى السيد أبو طالب عليه السلام[3] له أيضًا هذه المرثية في أخيه محمد (ع):

---

(١) في (ج): الأسى والحرق.

(٢) في (أ): شيء.

(٣) الإفادة ص ٩٢.

صَـرَمَ الكرى وصلَ الجـفـون	وشـجـاك فـقـدانُ الخـدين
مما يَـهـيـجُ بـك الأسى	خلجـاتُ صـرف نوى شَطون
بعـثت سـواكب عَـبْـرة	غـرقت لهـا مُـقل العـيون
وأخ يـعـين عـلى الحـوا	دث أعـتـريه ويعـتـريني
ختـر الزمـان بعـهـده	وسطت عليـه يـد المنون
فنعى إليَّ مـصـابُه	نفـسي وغـيض من شـؤني
علـق المنون تـصـبـرّمي	آنت مـفـارقـه المنون
عـفْتُ المنى وطويت عن	علق المنى كـشـحًـا فـبـيني
مـا فـاز بالخـفض امـرؤٌ	جـعـل المنى أدنى قـرين
لهـفـان يُتـبع نفـسـه الـ	آمـال حـيـنًا بعـد حين
غـمـر الرجـاء فـؤاده	ودهتـه أنجـيـة الظنون
يسـمـو إلى كُـرب المنى	ويعـود بالعـهـد الخـؤن
لم يقض من حـاجـاته	وطراً ولم يَمـهـد لـدين
نصـبًـا لكل مـهـمّـة	حـمّـال أعـبـاء الحـزين
لـله درُّ عـصـابة	باعـوا التظنن باليـقين
فـسـمت بهم همم العـلا	عن صـفـقـة الخط الغـبين
فـتـأثروا[1] عـزّ الـتـقى	وذخـيـره الفـضل المبين

وقال محمد بن علي الأنصاري يذكر محمد بن إبراهيم عليه السلام وأبا السرايا ومن كان معهم رضي الله عنهم :

أبت السكون فما تجف مدامعي | عبرى تفيض بدمعها المتتابع

---

(١) في الافادة «فتأثلوا» .

لَمـا تذكـرتُ الحسين وبعـده | زيداً تحـرك حـزن قلب جـازع
صلى الإله على الحسين وصحبه | في كـربلاء تتـابعـوا بمصـارع
وعلى قتيل بالكناسة مـفـرد | نائي المحل عن الأحبة شـاسع
وجزى ابن إبراهيم عن أشياعه | خيـراً وأكـرمـه بصنع الصـانع
نعم الخليـفـة والإمـام المرتضى | ذي الدين كـان ومستـقـر ودائع
وجزى الإله أبا السرايا خير ما | يجـزي وصـولاً من مطيع سـامع
حاط الإمـام بسيـفـه وبنفسـه | بلسـان ذي صـدق وقلب خـاشع
في فتية جعلوا السيوف حصونهم | مع كل سلهـبـة وطرف رائع
فلتلقين بابن النبي فـمـالهـا | أحـدٌ سـواك برغم أنف الطامع
فلقـد رأيت بهـا عليك طلاوة | وضـيـاء نور في جبـينك سـاطع

[يعني بذلك محمد بن محمد بن زيد بن علي عليهم السلام][1]،

ولبعضهم وهو الهيثم بن عبدالله الخثعمي يرثي أبا السرايا :

سـائل عن الظاعنين مـا فـعلوا | وأين بعـد ارتحـالهم نـزلوا
يا ليت شعري والليت عصمة من | يأمل مـا حـال دونه الأجل
أين استـقـرت نوق الأحـبة أم | هل يرتجى للأحـبـة القَـفَلُ
ركبٌ ألَحّت يد الزمـان على | إزعـاجـهم في البـلاد فـانتـقلوا
بني الرسـول البـشـير والطاهر | الطهـر أقـرّت بفـضله الرسل
خـانهم الدهر بعـد عـزّهمُ | والدهر بالناس خـائن خَـتِل
بانوا فظلّت عـيـون شيـعـتـهم | عليـهـمُ لا تزال تنهـمـل
واستبدلوا بعـدهم عـدوّهم | بئس لعـمـر المبـدّل البـدل

---

(١) ما بين القوسين غير موجودة في (أ) .

يا عـــسكرًا مـــا أقلّ ناصـــره لم تشـــفــــه من عـــدوّه الدُّول

فـابكهم بالدمـاء إن نفـد الدمـ ـع فـقـد خـان[1] فـيـهم الأمل

لا تبك من بعـدهم على أحـد فكل خطب ســـواهم جلل

أتتـهم تهـتـدي صـفـوفـهم زحـفًـا إليـهم ومـا بهـا خلل

في فـيلق يملأ الفـضـاء به كـأنما فـيــه عـارض وبل

رمـاهم الشـيخ من كنانتــه والشـيخ لا عـاجـز ولا وَكِلُ

بالخـيل تردي وهي سـائمـة تحت رجـال كـأنهـا الإبل

والسـابغـات الجـيـاد فـوقـهم والبِـيضُ والبَـيْضُ والقنا الذُّبَّلُ

والرَّجْل يمشـون في أظلّتـهـا كـمـا تمشّى المصـاعب البُـزل

واليَـزَنيّـاتُ في أكـفـهـم كـأنما في رؤسـهـا الشـعُل

حـتى إذا مـا التـقـوا على قـدر والقـوم في هبـوة لهم زَجَل

شـدوا على عتـره الرسـول ولم تثنهم رهبـــة ولا وهـل

فـمـا رعـوا حـقـه وحـرمـتـه ولا استـرابوا في نفس من قـتلوا

والله أملى لهم وأمــهلهم والله في أمــره له مــهل

بل أيهـا الراكب المخبِّـر والنا عي أبِنْ لِيْ لأمِّك الهُـبَلُ

ما فعل الفارس المحامي إذا ما الـ ـحـرب بدّت[2] أنيـابهـا العـضل

أأنت أبصـرته على شـرف لله عـيناك أيهـا الرجل؟

من فـوق جـذع أناف شـائلة ترمي إليــه بلحظهـا المقل

إن كنت أبصـرته كـذاك فـمـا أسلمـه ضـعـفـه ولا الفـشـل

---

(١) في (ج): خاب.

(٢) في (أ): أبدت.

ولو تراه عليه شكّته ... والموت دان والحربُ تشتعل

في موطن والحتوف مسرعة ... فيه قسي المنون تنتضل

والقوم منهم مضرج بدم ... وموثق أسره ومنجدل

وفائض نفسه وذو رمقٍ ... تطمع فيه الضباع والحجل

في صدره كالوجار مزبدة ... تغيب فيه السبار والفُتُلُ

يميل منها والموت يحفزه ... كما يميل المرنح الثَّمِلُ

في كفه عَضْبَة مضاربُها ... وذابل كالرشاء معتدل

لخلت أن القضاء في يده ... أو المنايا من كفه رسل

يا رب يوم حمى فوارسه ... وهو فلا مرهق ولا عجل

كأنه آمنٌ منيّته ... في الروع لَمَّا تشاجر الأسل

في موطن لا يقال عاثِرُه ... يَغَصُّ فيه بريقه البطل

أبا السرايا نفسي مُفجّعة ... عليك والعين دمعها خَضِلُ

من كان يغضي[1] عليك مصطبراً ... فإن صبري عليك مُختزل

هلا وقاك الرّدى الجبانُ إذا ... ضاقت عليه بنفسه الحيل

أم كيف لم تخشك المنون ولم ... ترهبك إذ حان يومك الأجل

فاذهب حميداً فكل ذي أُكل ... يموت يومًا إذا انقضى الأُكل

والموت مبسوطة حبائله ... والناس ناج منهم ومحتبل

من تعتلقه تعث به أبدًا ... ومن نجا يومه فلا يُبَل[2]

❖ ❖ ❖

---

(١) في (أ): أغضى.

(٢) مقاتل الطالبين ٥٥٦-٥٥٩.

فهرس الجزء الأول

الحدائق الوردية

في مناقب أئمة الزيدية



تأليف شيخ الإسلام العلامة
حميد الشهيد بن أحمد بن محمد المحلي
ت: ٦٥٢هـ

الجزء الثاني


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الإمام القاسم بن إبراهيم عليهما السلام[1]

هو: أبو محمد القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلامُ. فرعُ دوحة بسقت في أرض الفخار، ونور شجرة زيتونة متوقدة لذوي الأبصار. ما في آبائه عليهم السلامُ إلا من فاق وراق، وانتشر فضله في الآفاق.

وقد تقدم ذكر آبائه عليهم السلامُ وهم عبير المشتاق، وصفوة أهل الأعراق.

وأمه عليها السلام: هند ابنة عبدالملك بن سهل بن مسلم بن عبدالرحمن بن عمرو بن سهيل بن عمرو بن عبدشمس بن عبدود بن نضر بن مالك بن حِسْل بن عامر بن لؤي.

صفته عليه السلام: كان عليه السلام تامَّ الْخَلْق، أبيض اللون، كث اللحية، وكانت لحيته كالقطنة الشديدة البياض، حكاه السيد أبو طالب عليه السلام[2].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام من أقمار العترة الرضية، ويواقيتها المشرقة المضية، انتهت إليه الرئاسة في عصره، وتميز بالفضل على أبناء دهره. وقد أخبرنا الإمام المنصور بالله أمير المؤمنين أبو محمد عبدالله بن حمزة بن سليمان سلام الله عليه وعلى آبائه الأكرمين قال: **روى** القاضي العالم ابن عمّار قال: **أخبرني** فقيه آل رسول الله

---

(١) الإفادة ٨٨، أعيان الشيعة ٨/ ٤٣٥، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب ٢٠١ الشافي ١/ ٢٦٢، والزيدية لمحمود صبحي ١١٥، الأعلام للزركلي ٥/ ١٧١، والكامل لابن الأثير ٥/ ٢١٣، والفلك الدوار ١٥، ٢٧، ٥٦، والتحف شرح الزلف ١٤٥، جمهرة أنساب العرب ٤٣، والمصابيح ٥٥٥، ومجموع كتب ورسائل الإمام القاسم بن إبراهيم.

(٢) الإفادة ٨٨.

ﷺ في عصرنا الحسين بن حمزة، قال: أخبرني أبو النفس الزكية والشيبة المرضية حمزة بن أبي هاشم الإمام الرضى، يرفعه عن آبائه إلى شيخ من شيوخ آل الحسن كان يدرس عليه فتيان آل الحسن، وكانوا إذا جآءوا قام في وجوههم وعظّمهم، فأقسموا عليه لا فعل. وكان القاسم عليه السلام من شباب ذلك العصر، وكان إذا أتى قام في وجهه وعظّمه، فقالوا له: أيها السيد، إنّا قد عذرناك وهذا الفتى لك أعذر، فقال: لو تعلمون من حق هذا ما أعلم لاستصغرتم ما أصنع في حقه، فقالوا: وما تعلم؟ قال: هذا الفتى قال فيه رسول الله ﷺ: «لايخرج من ذريتي رجل مسروق الرباعيتين، لو كان بعدي نبي لكان هو»[1]. وفيه يقول الشاعر:

ولو أنه نادى المنادي بمكة	ببطن منىً فيمن تضم المواسمُ
مَنِ السيد السبّاق في كل غاية؟	لقال جميع الناس: لا شك قاسمُ
إمام منَ ابنآء الأئمة قدَّمَتْ	له الشرفَ المعروفَ والمجدَ هاشمُ[2]
أبوه عليٌّ ذو الفضائل والنهى	وآباؤه والأمهات الفواطمُ
بناتُ رسول الله أكرمُ نسوة	على الأرض والآباءُ شُمٌّ خضارمُ[3]

وله عليه السلام العلم العجيب، والتصانيف الرائقة في علم الكلام وغيره من

---

(١) روى السيد العلامة الأمير الحسين بدر الدين في كتابه ينابيع النصيحة ص٤٦٣ ما ورد من أخبار عن الإمام القاسم بن إبراهيم (ع) ما لفظه: «فأما ما ورد فيه من الأخبار فمما هو في أفواه الناس، ويروونه عن رسول الله ﷺ أنه قال لفاطمة عليها السلام: «يا فاطمة منك هاديها ومهديها ومستلب الرباعتين» يعني القاسم بن إبراهيم، هكذا يروونه مفسراً، ولم تصح لي فيه الرواية عمن أثق به إلى رسول الله ﷺ ونعوذ بالله أن نقول على رسول الله ﷺ ما لم يقل ثم روى لي من أثق به بإسناده إلى رسول ﷺ أنه قال لفاطمه عليها السلام يا فاطمة منك هاديها ومهديها ومسترق الرباعتين، لو كان بعدي نبيٌّ لكان نبيا».

(٢)هذا البيت ساقط من(أ).

(٣)المصابيح ٥٦٣.

الفنون. **فمنها**: كتاب الدليل الكبير فإنه بالغ في الكلام على الفلاسفة مبالغة حسنة، وأشار فيه من لطيف الكلام إلا مالا ينتهي إليه إلا المبرّزون، ولا يبلغه إلا المحصلون. **ومنها**: كتاب الدليل الصغير، وكتاب العدل والتوحيد الصغير، وكتاب العدل والتوحيد الكبير، وفيه من أصول العدل والتوحيد وتصديق الوعد والوعيد، والمبالغة في الكلام على الجبرية على لطافة حجمه ما يشهد بغزارة علمه ووفور فهمه. **ومنها**: كتاب الرد على ابن المقفع الذي نصر فيه القول بالتشبيه. **ومنها**: كتاب الرد على النصارى وهو من نفائس الكتب. **ومنها**: كتاب المسترشد، وكتاب الرد على المجبرة، وكتاب تأويل العرش والكرسي على المشبهة. **ومنها**: كتاب المسألة التي نقلت عنه في محاورة الملحد وهو: رجل من أرباب النظر من الملحدة، كان يغشى مجامع المسلمين ويورد عليهم الأسئلة الصعبة في قدَم العالم وغير ذلك حتى وافاه عليه السلام، وأورد ما عنده من المشكلات، فوضح له الحق فتاب إلى الله تعالى، ثم قال: تَعسَت أمّة ضلت عن مثلك، وفيها[1] من غرائب العلم وعجائبه ما يشهد بعلو منزلته وارتفاع درجته[2].

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام[3]، رواه بإسناده إلى أبي القاسم البلخي عن مشائخه: أن جعفر بن حرب الهمداني دخل على القاسم بن إبراهيم فجاراه في دقائق علم الكلام، فلما خرج من عنده قال لأصحابه: أين كنا من هذا الرجل؟ فوالله ما رأيت مثله، هذا وجعفر بن حرب من عيون المتكلمين والمتبحرين في الكلام.

---

(١)أي في المسألة.

(٢)انظر الافادة ٨٨ .

(٣)الإفادة ٨٨ .

ومن تصانيفه عليه السلام: كتاب تثبيت الإمامة، فإنه أحسن فيه كل الإحسان في نصرة مذهب الزيدية في تقديم أمير المؤمنين عليه السلام على المشائخ، وأورد من الأسئلة العجيبة في هذا المعنى على المتقدمين عليه ما يشهد بأنه البحر الزخار، والقمر النوار، والغمام المدرار.

وله في الفقه التصانيف العجيبة التي تشهد بتدقيقه وحسن تحقيقه، ومعرفته بالاختلاف بين الفقهاء، وجودة غوصه على استنباط الغرائب نحو: كتاب الفرائض والسنن، وكتاب الطهارة، وكتاب صلاة اليوم والليلة، ومسائل علي ابن جهشيار، وغير ذلك من تصانيفه. وكذلك كلامه عليه السلام في علوم القرآن فإنه إذا أخذ يتكلم فيها؛ فكأنه فنه الذي عليه نشأ. وله كتاب الناسخ والمنسوخ.

فأما زهده عليه السلام وورعه فمما لا يتمارى فيه اثنان، ولا يترادُّ فيه رجلان.

شهد العدآء بفضله كالأولياء والفضل ما شهدت به الأعدآء

وله عليه السلام كتاب سياسة النفس؛ الذي مَن شاهدَه علم أنه خرج من قلب خاشع، وكذلك غيره من رسآئله في الوعظ والتذكير.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] بإسناده عن أبي عبدالله الفارسي قال: حَجَجنا مع القاسم عليه السلام، فاستيقظتُ في بعض الليل فافتقدته، فخرجت وأتيت المسجد الحرام فإذا أنا به ورآء المقام لاطيًا بالأرض ساجداً، وقد بَلَّ الثرى بدموعه، وهو يقول: إلهي من أنا فتعذبني، فوالله ما تَشينُ ملكَك معصيتي، ولا تزين ملكك طاعتي. قال السيد أبوطالب: وحُكي عن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين عليهما السلام عن أبيه: أن المأمون كلف بعض العلوية أن يتوسط بينه وبين القاسم عليه السلام ويصل ما بينهما على أنه يبذل له مالاً عظيمًا، فخاطبه في

---

(١) الإفادة ٩٩.

أن يبدأه بكتاب أو يجيب عن كتابه، فقال عليه السلام: لا يراني الله أفعل ذلك أبدا.

قال السيد أبو طالب[1]: ومن فحول أشعاره قوله عليه السلام:

وَنَى التهجير والدّلج[2]	وأقصر في المنى لَحِجُ
وطاف بحالكي وَضحٌ	عليه من البلى نَهجُ
فقلت لنفسٍ مكتئب	علاه من الردى ثبجُ
قَطِي ما دمت في مَهلٍ	فبان الحبل مُنْدمجُ
ولا تَسْتَوْقري شُبهَا	فوجْه الحق مُنبلجُ
وزور القول مُمّحقٌ	إذا ضاقت به الحُججُ
فهبك رتَعْت في مَهَلٍ	أليس وراءك اللججُ
وعاذلة تُؤرقني	وجنح الليل مُعتلجُ
فقلت: رويدَ عاتبةً	لكل مهمة فَرجُ
أسرّك أن أكون رتعْـ	ـتُ حيث المال والبَهجُ؟
وأني بتُّ يصهرني	لحَرِّ فراقه وَهَجُ
فأسلُبَ ما كُلفتُ به	ويبقى الوزْر والحرجُ
ذريني خلف قاصية	تضايَق بي وتَنفرجُ
ولا تَرمِنّ بي غرضًا	تطاير دونه المهجُ
إذا أكدى حيا وطن	فلي في الأرض مُنْفرجُ

وله عليه السلام في الوصايا والحكم والآداب الجامعة للدين والدنيا كتاب المكنون.

وكان عليه السلام مستجاب الدعوة. روى الشيخ أبو الفرج في كتابه الصغير في أخبار الطالبيين [٥٥٦]: أن القاسم عليه السلام دعا إلى الله في مخمصة فقال: اللّهم

(١) الإفادة ٩٠.

(٢) الدّلج: السير في أول الليل.

إني أسألك بالاسم الذي دعاك به سليمان بن داوود فجآءه العرش قبل ارتداد الطرْف، فتهدّل البيت عليه رُطبًا. وروى بإسناده: أنه عليه السلام دعى مرة في ليلة مظلمة فقال: اللَّهم إني أسألك بالاسم الذي إذا دعيت به أجبت، فامتلأ البيت عليه نورًا. وروى الإمام المنصور بالله عليه السلام: أن المأمون توصل بمن قدر عليه في أن يصافيه ويأمن جانبه، فأبى ذلك أشدّ الإباء، وبعث الحروري بوقر سبعة أبغل دنانير على أن يأخذها ويجيب عن كتابه أو يبتدئه بكتاب، فَكَرِه ذلك وردّ المال، وكان قَد مال إلى حيّ في البادية يقال لهم: حرب، فحاربوا دونه، ولَمّا ردّ المال لامَه أهله، فقال:

تقـــول التي أنا ردءٌ لهـــا	وقـــآء الحـــوادث دون الردى
ألــستَ تـرى المال مـنـهـلـة	مـخـارم أفـواهـهـا باللّهى؟
فــقلتُ لهـــا وهي لوّامــة	وفي عيشها لو صحت ما كفى
كـفـاف امـرء قـانع قـوتُه	ومَن يرض بالقـوت نال الغنى
فــإني ومـــا رمت من نيله	وقـيلك حب الغنى مـا ازدهى
كـذي الدآء هاجت له شهـوة	فخاف عـواقـبـهـا فـاحـتـمى[1]

وكان له عليه السلام أصحاب أخذوا العلم عنه؛ كأولاده النجبآء: محمد، والحسن، والحسين، وسليمان، وكمحمد بن منصور المرادي، والحسن بن يحيى ابن الحسين بن زيد بن علي عم يحيى بن عمر الخارج بالكوفة، ويحيى بن الحسين ابن جعفر بن عبيدالله صاحب كتاب الأنساب، وله إليه مسآئل. ومنهم: عبدالله ابن يحيى القومسي العلوي الذي أكثر الناصر للحق الحسن بن علي رضي الله عنه الرواية عنه، ومنهم: محمد بن موسى الخوارزمي العابد قَد روى عنه فقهًا كثيرا، وعلي ابن جهشيار، وأبو عبدالله أحمد بن محمد بن الحسن بن سلام الكوفي صاحب فقه كثير وروايات غزيرة. ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام[2].

---

(١) المصابيح: ٥٥٦.

(٢) الإفادة ٨٩.

ذكر بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته واستتاره[1]

لما استُشهد أخوه محمد بن إبراهيم عليه السلام وهو بمصر دعا إلى نفسه، وبث الدعاة وهو على حال الاستتار، فأجابه عالَم من الناس من بلدان مختلفة، وجاءته بيعة أهل مكة والمدينة والكوفة، وأهل الري وقزوين وطبرستان وتخوم الديلم، وكاتبه أهل العدل من البصرة والأهواز، وحثُّوه على الظهور وإظهار الدعوة، وأقام عليه السلام بمصر نحو عشر سنين، واشتد الطلب له هناك من عبدالله بن طاهر فلم يمكنه المقام، فعاد إلى بلاد الحجاز وتهامة، وخرج جماعة من دعاته من بني عمه وغيرهم إلى بلخ والطالقان والجوزجان؛ فبايعه كثير من أهلها، وسألوه أن ينفذ إليهم بولد له ليظهروا الدعوة، فانتشر خبره قبل التمكن من ذلك، فوجهت الجيوش في طلبه، فانحاز إلى حي من البدو واستخفى فيهم، وأراد الخروج بالمدينة في وقت من الأوقات، فأشار عليه أصحابه بأن لا يفعل ذلك، وقالوا: إن المدينة والحجاز تسرع إليهما العساكر ولا يتمكن فيها من الميرة[2]، ولم يزل على هذه الطريقة مثابراً على الدعوة، صابراً على التغرب والتردد في النواحي والبلدان، متحملا للشدة مجتهدا في إظهار دين الله.

ولما اجتمع أمره وقت خروجه بعد وفاة المأمون وتولي محمد بن هارون الملقب بالمعتصم شدد محمد هذا في طلبه، وأنفذ عساكر كثيفة في تتبع أثره، وأحوج إلى الانفراد عن أصحابه، وانتقض أمر ظهوره. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام قال: وله بيعات كثيرة في أوقات مختلفة أولها سنة تسع وتسعين ومائة، والبيعة الجامعة لفضلاء أهل البيت عليهم السلام كانت سنة عشرين ومائتين في منزل محمد بن منصور المرادي بالكوفة، فإنه بايعه هناك أحمد بن عيسى بن زيد فقيه

(١) ينظر الإفادة: ٩٤، والمصابيح ٥٦٣ - ٥٦٤.

(٢) وهي جلب الطعام.

آل رسول الله ﷺ وعابدهم، وعبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الفاضل الزاهد، والحسن بن يحيي بن الحسين بن زيد، وكانت فضيلة السبق إلى منابذة الظالمين انتهت إلى هؤلآء، فاتفقوا على بيعة القاسم عليه السلام، وكانوا قَد امتُحنوا على فضلهم المشهور بالاستتار الشديد.

روينا عن السيد أبي طالب عليه السلام في أماليه [١٢٧-١٢٨] قال: روى أبو عبدالله محمد بن يزيد المهلَّبي قال: حدَّثنا محمد بن زكريا الغُلابي قال: صرت إلى أحمد ابن عيسى وهو متوار بالبصرة فقال لي: لمَّا طلبنا هارون - يعني الملقب بالرشيد - خرجت أنا والقاسم بن إبراهيم وعبدالله بن موسى بن عبدالله ابن الحسن بن الحسن فتفرقنا في البلاد، فوقعتُ إلى ناحية الري، ووقع عبدالله بن موسى إلى الشام، وخرج القاسم بن إبراهيم إلى اليمن، فلما توفي هارون اجتمعنا في الموسم فتشاكينا ما مرّ علينا، فقال القاسم عليه السلام: أشد ما مر بي أني لما خرجت من مكة أريد اليمن في مفازة لا مآء فيها ومعي بنت عمي وَهيَ زوجتي وبها حبَل، فجآءها المخاض في ذلك الوقت، فحفرت لها حفرة لتتولى أمر نفسها، وضربت في الأرض أطلب لها مآءً، فرجعت وقد ولدت غلاما وأجهدَها العطش فألححت في طلب المآء فرجعت إليها وقد ماتت والصبي حي، فكان بقآء الغلام أشد علي من وفاة أمه، فصليت ركعتين ودعوت الله أن يقبضه فما فرغت من دعآئي حتى مات.

وشكى عبدالله بن موسى: أنه خرج من بعض قرى الشام وقد حُثَّ عليه الطلب وأنه صار إلى بعض المسالح[1] وقد تزيًا بزي الأكَرَة[2] والفلاحين، فسخَّره بعض الجند وحمل على ظهره شيئا، وكان إذا أعيا ووضع ما على ظهره للاستراحة ضربه ضربا شديدا وقال: لعنك الله ولعن من أنت منه!.

---

(١) أي الثغور.

(٢) الحراثين المزارعين.

وقال أحمد بن عيسى : وكان من غليظ ما نالني أني صرت إلى ورزتين ومعي ابني محمد ، وتزوجت إلى بعض الحاكة هناك ، وتكنيت بأبي حفص الجصَّاص ، فكنت أغدو وأقعد مع بعض من آنس به من الشيعة ، ثم أروح إلى منزلي كأني قَد عملت يومي ، وولدت المرأة بنتا . وتزوج ابني محمد إلى بعض موالي عبدالقيس هناك ، فأظهر مثلما أظهرته ، فلما صار لابنتي نحو عشر سنين طالبني أخوالها بتزويجها من رجل من الحاكة له فيهم قَدْرٌ ، فضقت ذرعا بما دفعت إليه ، وخفت من إظهار نسبي ، وألحَّ القوم عليَّ في تزويجها ؛ ففزعت إلى الله تعالى وتضرعت إليه في أن يختار لها ويقبضها ويحسن عليَّ الخلف ، فأصبحت الصبية عليلة ثم ماتت من يومها ، فخرجت مبادرا إلى ابني محمد أبشِّره فلقيني في الطريق ، وأعلمني أنه ولد له ولد فسميته عليًا ، وهو بناحية ورزتين لا أعرف له خبراً للاستتار[1] الذي أنا فيه[2].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[3] بإسناده عن أبي عبدالله الفارسي قال : ضاق بالإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام المسالك ، واشتد الطلب ونحن مختفون معه خلف حانوت إسكاف من خُلَّص الزيدية ، فنودي نداء يبلغنا صوته : برئت الذمة ممن آوى القاسم بنَ إبراهيم وممن لا يدل عليه ، ومن دلَّ عليه فله ألف دينار وكذا وكذا من البزّ ، والإسكاف مطرق يسمع ويعمل لا يرفع رأسه ، فلما جاءنا قلنا : ما ارتعْت؟ قال : ومن لي بارتياعي ، ولو قُرِّضت بالمقاريض بعد رضى رسول الله صلى الله عليه وآله عني في وقاية ولده بنفسي . فأقام عليه السلام طول مدته مخيفا للظالمين ، شجى في حلوق الفاسقين غير أن المقادير لم تساعد إلى كل ما أراد من رَحْضِ أدران الفساد .

---

(١)في (أ)إلا الاستتار .

(٢)الأمالي ١٢٨ .

(٣)الإفادة ٩٩.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وكان القاسم عليه السلام انتقل إلى الرَّس في آخر أيامه، وهي أرض اشتراها عليه السلام وراء جبلٍ أسود بالقرب من ذي الحليفة، وبنى هناك لنفسه ولولده وتوفِّي بها -وقد حصل له ثوابُ المجاهدين من الأئمة السابقين- سنة ست وأربعين ومائتين، وله سبع وسبعون سنة، ودفن فيها ومشهده معروف يزوره من يريد زيارته فيخرج من المدينة إليه.

ذكر نكت من كلامه عليه السلام:

قال عليه السلام في صدر كتاب المكنون: أستعصم الله بعصمته التي لا تهتك، وأسترشده إلى السبيل الذي ينجو به من الردى من هلك، وأستوهبه التوفيق لهدايته، والحظ الوافر من طاعته، وأرغب إليه في إلهام حكمته، واجتناب معصيته[2].

وقال عليه السلام فيه: يا بني ولَخَيرُ خصال المرء أن يكون على خلاله مستشرفا، ولأَوَده مثقفا، و بما يكون له من غيره متعرفا من جميل يومىء به إليه، أو مذموم خليقة يطعن من أجلها عليه، يا بني فكل من لم يفصل بالتمييز ما يعنيه من زمنه، ويحذر مضلات فِتَنِهِ، ويدخر لنفسه في جدَته ما يَحْمَدُ غبَّه في عاقبته، ويختر الزيادة على النقصان، والربح على الخسران، فهو كالماصِّ لثدي أمه، المخدوج قبل تمِّه[3].

ومن كلامه عليه السلام فيه: ومن أعجب العجائب ذو شيبة مُرتَدٍ بالنوائب، متسربل بالمصائب، يستنكر رتب التصاريف، ويَفْجُرُ أمامه بالتسويف، وذلك لضعف نحيزته[4]، ونسيانه لما يتصرف فيه من أزمنته، وكثرة سهوه وغفلته عما

---

(١) الإفادة ١٠٠.

(٢) مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٢٩٣.

(٣) المجموع ٢/ ٢٩٦.

(٤) نحيزة الرجل: طبيعته.

قَد أفهمته خبرته، وانتظمته تجربته، فلو غُيّبَ عن العاقل اللبيب كل أمر عجيب مما فُطر عليه المفطورون، وقَصُر عن الإحاطة بخبره العالمون؛ لكان فيما طبع عليه في ذات نفسه، وما يمر به في يومه وأمسه: من الفقر والغنى، والسرآء والضرآء، والأخذ والعطآء، والبذل والإكدآء، وكثرة السكوت وطول الصموت، والإكثار في المنطق والهذر، وسرعة القلق، والجد والهزل، وغلبة الجهل على العقل؛ له أشغل شاغل عن الفكرة في خلآئق الإنسان، وتضاد ما يختلف فيه من الجهل والعرفان، والموثوق منها معروف، والمعلّى منها مشغوف، فمن جنح إلى الأقل كبح واستوجل[1]، وذمّ غب المصدر، وكان من أمره على خطر، وأندمته آخرته لما قَد دلته على علمه أوليته، وليس بحكيم مَن مالَ إلى الأمر المذموم. والخيلاء بالفضل مجانبٌ لسبيل العقل، ومن جعل غيره لعينه نصبا، وأظهر على من سواه في سيء أفعاله عتبا، وكان الذي فيه لطالب عثرته أعتب[2]، كان الواجب عليه أن يكون على نفسه أعتب؛ لأن من استنكر أمراً من غيره يرضى في نفسه بمثله فقَد دل على جهله، ومن سهى عما يعنيه كان ما لا يعنيه أجدر أن لا يؤاتيه[3].

وقال عليه السلام: وإن من المنكرات في من يَسمُ نفسه بميسم الخيرات أن يضرب بطرفه صاعدا، ويكون على غيره واجدا، ولزناده زاندا، كأنه قَد تهذب من الأدناس، وأمن معتبة[4] الناس، واستقام على سوق الزيادة للمستريد، أوْ ما عرف المعدوم من الموجود، والخير من الشر، والنفع من الضر، والْحَر من القُر، حيث سلك في أحشآئه، واتصل بحواسه وأجزآئه، ثم أدّته الأركان إلى الأركان، والروح إلى الجثمان، ثم صرفته تلك العوارض الخاطرة، والنوازل السآئرة

---

(١)في (أ)فاستوجل.

(٢)في (أ)أعيب.

(٣)مجموع رسائل الإمام القاسم ٢/ ٢٩٧-٢٩٨ .

(٤)في (أ)مغيبة.

فاستنفرته إلى السخط مرة وإلى الرضى أخرى؛ فأسرف في الخلتين[1] ومال عن النجدين، فأين مستقر القديم منه[2]؟ حيث لم يدرأ عنه النوازل الممضّة، والآفات العارضة، ويستدعي لنفسه بدرأته لذلك عاجل السلوة، وينفي عنها نوادر الشقوة، ويعاود ما يديم له السرور، ويدفع عنه المحذور، ولو ألهم نفسه أحسن ما يلهم لَزاح عنه خاطر الهم، ولم يعدم محمود العاقبة وعلو الذكر في القيام، والصوت الرفيع في محافل الأقوام، ولا قصّر عن شقشقته وشهد بالفضل المزآئل[3] طريقته، ولكنه لم يحم أنفه، وقلّ عن مزايلة ما تهواه نفسه إلفه، فامتشجت[4] الادوآء في آرابه، واستلبته رصين آدابه؛ فابتغى السلامة من غير جهتها، والراحة بعد فوتها، كلا لن يكون فرع من غير أصل، ولا جود إلا ببذل، ولا زكا مخلوق إلا بفضل يُجَشِّم فيه نفسه المجهود، ويستدعي لُهابُه[5] الثناء المحمود، ويجنبها الموبقات والشهوات المرديات، وليس من نفس إلا وهي تراود صاحبها على الهوى، وتدعوه إلى موارد الردى، فمن أعطاها زمامه أركبته ردعه[6]. ومن منعها ما تهوى فاز بالرغبا، ففي هذا لَكُم يا بني بيان ومعتبر. ومن لم يستظهر بالحزم على مذاق الأخلاق ودناءتها، ويزجَر النفس عن شهواتها، قصر دون رميته، ولم يدرك الثناء الذي سما إليه بأمنيته.

ومن أحب أن تخضع له غُلبُ الرقاب، ويقل في طاعته الارتياب، ويُنتهى عن أمره ونهيه، ويُقتدى برأيه، فليأصر[7] نفسه من ذلك على ما يريده من غيره؛

---

(١) في (أ)في الخلين.

(٢) في (أ)فيه.

(٣) في (أ)المزآئل.

(٤) أي: اختلطت.

(٥) اللهاب: اشتعال النار، إذا خلص من الدخان. قاموس ١٧٣.

(٦) الردع: بمعنى الكف أو المنع.

(٧) الأصر: الحبس. قاموس ٤٣٨.

فإن انقادت لأمره، وازدجرت عند زجره؛ فليضمم كفه من غيره على إنفاذ أمره؛ لأن تهذيب المرء لطريقته يدعو إلى طاعته، والمقصر عن طلب منفعته تزل موعظته عن القلوب زلول القطر عن الصفوان الصليب، فأوقعوا يا بني الموعظة بقلوبكم، فيا أيها المبتغي الدرك في العاجل، والفوز في الآجل، اجعل لك من نفسك موعدا تحظ به اليوم، وتفز به غدا، بصدق لا يُشاب بالتفنيد، ورجاء الموعود وخوف الوعيد، واسْمُ لما أحببت من ذلك بالعقل العتيد، والرأي السديد، والفعل الحميد، وأنا سفيرك فيه بالدرك لما تريد، وإنما أعجز الطلاب ما إليه يسمون تعسفهم السبيل[1] التي فيها عن القصد يجورون، فلم يُدركوا ما طلبوا، ولم ينالوا ما أحبوا[2].

وقال عليه السلام: والعقل آمَنُ أمين، وأفضل قرين، فاستأمنه على أحوالك وجميع خلالك، واعرف ما عرَّفك، وإذا أحمدت من أحد مذهبا فكن لمثله متسببا[3]، ولكل ما تستنكره من غيرك مجتنبا، ولْتكثُرْ من مستتر عيوبك وحشتُك، وليقلَّ بخفياتها أُنسُك، فإن اكتتامها كالمحرض على أمثالها، وإذا امتلأ الإناء انكفأ، وإذا تنوسخ السر فشا.

وقال عليه السلام: عليك بالحلم، فإنه ليس يسمَّى الرجل حليما حتى يملك نفسه عند الغضب، ولا جواداً حتى يفيد إذا ازلأمَّ الأزب[4]، وإنما يوصف بالنجدة من باشر أهل البأس والشدة، (وللمحاسن والمحامد نواد معتمدة، تطلع إليها الأفئدة)[5]، ثم يُبذل فيها الغالي من الأثمان، وتنضَى لها العيس إلى البلدان،

---

(١) سقط من (أ) السبيل.

(٢) مجموع رسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٠١.

(٣) في (أ) مسببا.

(٤) ازلأم: ازلأم الضحى: انبسط. تاج العروس ١٦/ ٣٢٤. وأزب: الأزبة لغة في الأزمة وهي الشدة والقحط. تاج العروس ١/ ٣٠٢.

(٥) ما بين القوسين ساقط من (أ).

فمن سرَّه أن يشهد بالجميل والإحسان فليشهد التي منها يتاقلان، ثم ليظهر منها ما يسير في الآفاق خبره، ويعظم بها في الناس خطره، ثم ليُقَوِّمْ من نفسه بحسن التعاهد لها أَوَدَهَا، وليأخذ منها لها ما تزين به غدها، فإن الأخلاق إذا سمحت، والعلانية والسريرة إذا ضحت، كانت غنائم يرتحل إليها المرتحلون، وأحاديث حسنة ينقلها الناقلون، وتبجيلا لصاحبها في العالمين، وغبطة[1] يغتبط بها يوم الدين.

والواجب في الأخلاق أكثر من الواجب في الأموال، وأفضل في جميع الأحوال، وإنما يُعظِّم ذو المال ما كان موئلا، فإذا تخرَّم ماله عاد دحيراً قليلاً، والأخلاق لا يبلى جديدها، ولا يطيش سديدها، وفضل صاحبها باق في حياته وبعد وفاته، والمال ثوب تخلق جدَتُه، وتسمل سداه ولحمته. وأحق الأشياء بالصون العرض[2] الصحيح، والحسب الصريح. ومن آتاه الله قلبا ذكيّا وزنادا وريّا وخلقا مرضيّا، وسخّي مذكوراً، وعقلاً زكيا، وفهمًا رضيًا، وعلما بتقلب الأحوال وتصرف الأيام والليال، ولسانا يؤدي إليهما معرفة خلف الأزمان، ويمتهنه فيما يعود على نفعه كل الامتهان، ثم زمَّ نفسه عن الكُبرة، واعتاض من التجبر حسن العشرة، وقل افتخاره عند مناظرته، ولم يستدع نظيره إلى مباحثته، ولم يجار المجاري[3] له من طبقاته في طريق مساواته، ولم يخرج من القول إلى ما لا يعلم ولا من الفعل إلى ما يُستعظم، فقد شرى لنفسه محمدة الحاضر والباد، واجتهد لنفسه في مصلحته أشد الاجتهاد، واستحق التعظيم من جميع من ضمته أقطار البلاد، واجتمعت له الطرآئق السمحة، وراحت عنه المذاهب المستقبحة، وجرى عليه اسم الخيرة، ونظرته بالنواظر المبجلة كل عين مبصرة، وحاز حد

---

(١) سقط من (أ) وغبطة. والغبطة بالكسر: حسن الحال والمسرة. قاموس.

(٢) في (أ)العريض.

(٣) في (أ)ولم يجاز المجاري.

الأكفاء، واعترف له بالفضل كل النظراء[1].

ومن كلامه عليه السلام: منْ عَجْز إدراك الحواس باريها ثبت له التوحيد، وباستحقاق التوحيد ثبت العدل ؛ لأن المتفرد بالوحدانية لا يجور لوجود الجور فيمن ليس بواحد. ولـمَّا ثبت العدل وجب الوعد على المطيع، والوعيد على العاصي، ولَمَّا صح الوعد والوعيد وجب التحاجز بين المتظالمين، وهو بالرسول الآمر الناهي بما آتاه الله بعد استحقاقه منه الرسالة[2] بالطاعة والاتصال به، فأظهر عليه علامة الاتصال بالمعجزات والدلالات فرقا بين المتصل والمنقطع عن الله، ليصح خبر رسوله عنه، ولَمَّا لم تَجْرِ في العقل مشافهة الباري وخطابه لخلقه خاطبهم منهم بجنسهم ومِثْلِهم؛ إذ ليس في فطَرِهم غير ذلك[3].

ومن كلامه عليه السلام: من لم يعلم في دين الإسلام خمسة من الأصول فهو ضال جهول: **أولهن**: أن الله سبحانه واحد ليس كمثله شيء، وهو خالق كل شيء، يدرك الأبصار ولا تدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير. **والثاني من الأصول**: أن الله سبحانه عدل حكيم، غير جائر لا يكلف نفسا إلا وسعها، ولا يعذبها إلا بذنبها. لم يمنع أحدا من طاعته بَل أمره بها، ولم يدخل أحدا في معصيته بَل نهاه عنها. **والثالث من الأصول**: أن الله سبحانه صادق الوعد والوعيد، يجزي بمثقال ذرة خيرا، ويجزي بمثقال ذرة شرا. من صيره إلى العذاب فهو فيه أبدا خالد مخلد كخلود من صيره إلى الثواب الذي لا ينفد. **والرابع من الأصول**: أن القرآن المجيد فصل محكم وصراط مستقيم، لا خلاف فيه ولا اختلاف، وأن سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما كان لها ذكر في القرآن ومعنى.

---

(١)مجموع الرسائل ٢/ ٣٠٨-٣٠٩ .

(٢)في (أ)للرسالة .

(٣)مجموع الرسائل ١/ ٦٥١ .

والخامس من الأصول: أن التقلبَ بالأموال والتجارات في المكاسب في وَقْتٍ مًّا تُعَطَّلُ فيه الأحكام، وينتهب ما جعل الله للأرامل والأيتام والمكافيف والزَّمنى وسائر الضعفاء - ليس من الحِلِّ والإطلاق كمثله في وقت ولاة العدل والإحسان والقائمين بحدود الرحمن، فجميع هذه الأصول الخمسة لا يسع أحدا من المكلفين جهلها، بل يجب عليهم معرفتها[1].

وقال ﷺ في بعض مواعظه: أما بعد، فإن الدنيا دار غرور، لا يدوم فيها سرور، ولا يؤمن فيها محذور. جديدها يبلى، وخيرها يفنى. من وثق بها خدعته، ومن اطمأن إليها صرعته، ومن أكرمها أهانته. أفراحها تعقب أحزانا، ولذاتها تورث أشجانا. أما بعد: فأن أعمار الدنيا قصيرة، ورحاها مديرة، وسهاماتها قاصدة، وحتوفها راصدة. المغرور من اغتر بها، والمخدوع من ركن إليها. من زهد فيها كُفيها، ومن رغب عنها وُطيها قد غرت القرون الماضية، وَهيَ على الباقين آتية؛ فيا بؤسا للباقين لا يعتبرون بالماضين، يجمعون للوارثين، ويقيمون في محلة المتحيرين.

أما بعد: فاقنع باليسير، وبادر في التشمير[2]، وإياك والتغرير، وانظر إلى ما تصير، فليس الأمر بصغير، وهيئ زادك للمسير، فقد أتاك النذير. أما بعد: فقد وضح لك الطريق؛ فلا تحيدنّ عن إطاره إلى المضيق، فقد مضت الأيام وذهبت الأعوام، وفنيت الأعمار وأحصيت الآثار، وعن قليل تدعى فتجيب، وتظعن فتغيب، فعجبٌ لقلبك كيف لا يتصدع، وعجب لركنك كيف لا يتضعضع، وعجب لجسمك كيف لا يتزعزع!؟. أما بعد: فإنه ليس لحي في الدنيا مقام، وعن قليل يأتيك الحِمام، وكل خلق تفنيه الأيام، فلا تكن كالغافل النَّوَّام، فإنما

---

(١) مجموع الرسائل ١/٦٤٧-٦٤٨.

(٢) سقط من(أ) وبادر في التشمير.

الدنيا إلى انصرام، ولن يرى فيها دوام.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله فيما تقدم[1] إليكم واحتج به عليكم، من قبل اللّهف والندم، ومن قبل أخذ بالكظم وانقطاع المدة، واستكمال العدة، ومن قبل التلاقي واللزام، وأخذ بالنواصي والأقدام، فكأن قد نزلت بكم نازلة الفناء، وأخرجتم إلى دار البقاء، وكشف عنكم الغطاء، وتجرعتم سكرات الموت، وخضتم غمرات الآخرة، وأتاكم ما كنتم توعدون، وعاينتم ما كنتم تحذرون.

أما بعد: فإنه لا عذر لِمَن هلك بعد المعرفة والبيان، ولا حجة لِمَنْ ركن إلى دار الفنآء والحدثان، ولا ندم يغني عند وقوع العيان، ولا حيلة تنفع عند فوت الزمان، وعند السياق وكلول اللسان، ولا ولد ينفع، ولا أهل يمنع، في مصرع هائل، وشغل شاغل، يدعا فلا يسمع، وينادى فلا يجيب، في غصص الموت وسكراته، وتجرع زفراته، وغمومه وحسراته، قَد علاك الأنين، وأتاك الأمر اليقين، فلا عذر فتعتذر، ولا رَدّة فتزدجر، قد عاينتْ نفسك حقآئق الأمور، وحللتْ في مساكن أهل القبور، في ملحد محذور، قد افترشت اللّبنَ بعد لين الوطاء، وسكنت بين الموتى بعد مساكنة الأحياء، فالنجاء النجاء، قبل حضور الفناء.

أما بعد: فإن الدنيا أيام قلائل، وكل ما فيها ذاهب زائل، فتعز بالصبر عن الشهوات، وتنآء بالحذر عن اللذات، وفكر فيما اقترفت على نفسك من الذنوب، وفيما قد ستر الله عليك من العيوب.

أما علمت حين عصيته أنه[2] لم يكن بينك وبينه ستر يواريك منه، أما استحييت من مولاك؟! وقد علمت أنه يراك، أما خفت العقوبة حين آثرت على تقواه هواك؟!.

---

(١) في (أ) قدم.

(٢) في (أ) ساقطة (أما علمت) و (أنه).

أما بعد : فيا بؤسا من مخالف خاسر ، وخائن غادر ! ! ، أما إنك عن قليل ، تهجم على البلاء الطويل ، فتدارك نفسك إذا عرَّضتها للمهالك ، واسلك[1] الطريق الواضح من المسالك ، ولاتطمعها[2] في راحتها أيام حياتها ، واستطرف لها النصب ، واحملها على التعب ؛ لما ترجو أن تصير إليه من الراحة غدا ، فكأنك قد دعيت فأجبت ، فاعمل لنفسك ما دمت في مهلة ، وفّقنا الله وإياك لما يحب ويرضى .

أما بعد : فاحذر على نفسك خَتْر الدنيا ومكرها ، وخدعها وغدرها ؛ فإنها متبرجة لطلابها فاحذرها ، لا تكن لها قتيلا ، والتمس لنفسك[3] للنجاة منها سبيلا ، وانظر لنفسك أيام مكثك فيها ، واعلم أنها مرحّلة سكانها ، وأن متاعها قليل ، وخطبها جليل ، ونعيمها زائل ، وخيرها مائل .

أما بعد : فكن في سفرك مرتادا ، وهيئ عدة وزادا ؛ فكأنك قد خرجت من روح الدنيا إلى ضيق اللحد وخشونة متكئه[4] ، فتيقظ من نومة الغافلين ، وانتبه من وَسْنَة الجاهلين ، وانظر بعينك إلى مصارع المغترين ، ومضاجع المستكبرين ، أليس ديارهم خالية ، وأجسادهم بالية ، ومساكنهم مقفرة ، وعظامهم نخرة ، وعروقهم بالية ، وأيامهم فانية ؟ .

أما بعد : فإنك لَو رأيت يسير ما بقي من عمرك وأجَلكَ لزهدت في طول ما ترجو من أملك ، ورغبت في الزيادة من عملك ؛ فإنك إنما تُلقى غدا في حُفرتك ، وتُخلى في وهدتك[5] ، ويتبرأ منك القريب ، ويتسلى منك الحبيب ، فلا

---

(١) في المجموع «واسلك بها» .

(٢) في (أ)تطعها .

(٣)سقط من(أ)والتمس لنفسك .

(٤) في المجموع «المتكأ» .

(٥)الوهدة : الهوة تكون في الأرض .

أنت إلى أهلك راجع، ولا في عملك زائد شارع، فاعمل ليوم القيامة ليوم[1] الحسرة والندامة.

أما بعد: فلا يمل بك الأمل الكاذب، ولا تكن كالشاهد الغائب؛ فإنك والقوم على بساط واحد، والموت يأتي على كل صادر ووارد، فلا يذهبن قولي لك[2] صفحا، فإني لم آلك حضّا ونصحا؛ فإن تقبل نصيحتي فأنت لذلك أسعد، وبه أعلى عينا وأرشد، وعن قليل يأتيك الخبر، فالحذر الحذر، فإنه يأتي أسرع من لمح البصر.

أما بعد: فإن الدنيا بحر عميق، ولنيرانها لهب وحريق، ولطرقها مفاوز ومضيق، فاتخذ زادا[3] لبعد مفاوزها ومضيقها، فأعد عدة السير تزحزح به عن لهبها وحريقها، واتخذ سفينة تنجو بها من بحر عميقها، وقرّب عليك الأجل، لا تخدعك بآمالها ومكرها، وقد عرفتك نفسها، وأوضحت لك لبسها، فلا تَعْمَ وأنت بصير، ولا تأمن وأنت بتحذير، فإن الذي بقي من عمرك قليل، فإما الثواب الجزيل، وإما البلاء الطويل، فكن بعملك منتفعا، وللموت متوقعا، فإنك لا تدري على أي حال يأتيك، وفي أي وقت يفاجيك، فعجبا لك يا مكنون الأجل، كيف تغتر بطول الأمل! فابْكِ على نفسك إن كنت باكيا، وتيقظ من غفلتك إن كنت لاهيا.

أما بعد: فإنك قد أُخرجت من روح الدنيا ومساكنها، وأبْدَتْ أهلك لغيرك[4] سكنها ومحاسنها، ونسيتْ ما كان لها من كدك، وتغيرت عما كانت لك عليه من بَعْدك، فتمتعوا بمالك، ولم يعبؤا بحالك، لمن لا يرثى لك غدا من

---

(١) في (أ) ومجموع الرسائل: قبل.

(٢) في مجموع رسائل الإمام «عنك».

(٣) في المجموع: فالحذر إذاً.

(٤) في (أ) وأبدّت أهلك بغيرك.

صرعتك، ولا يؤنسك غدا في وحشتك، فلا تبع يا مسكين بدنياك آخرتك، ولا تنخدع لها فتركب رقبتك، وعليك بنفسك أكرم الأنفس عليك، وأحب الأنفس إليك، واعلم أنك مسئول ومحاسب ومعاقب، فارغب في الثواب، وارهب من العقاب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[1].

وقال عليه السلام في كتاب سياسة النفس: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد النبي وآله وسلم، ونسأل الله ولي نعمة الابتداء، ومسهل سبيل قصد الاهتداء، أن يمن علينا وعليكم بشكر نعمه في ابتدآئه، ويحسن إلينا وإليكم بعونه على سلوك سبيل أوليآئه، التي أرجو أن تكون أنفسكم لها وفيها، ولما أنتم عليه لله من التمسك بها، والقصد إليها من الأنفس التي أذن الله بعمارتها، ورمى إليها بأسباب حياتها، فقد عقد الله لكم بذلك لدينا عقد الخلة والإخاء، ووكد بذلك لكم علينا أخوة الخاصة والأوليآء، فأيقنوا أنه لم يوصل سبب من الأسباب بين المتواصلين، ولم يعقد خلة من الخلل بين المتخالّين من الأولين من خلق الله لا ولا من الآخرين بغير ما يرضي الله سبحانه من التقوى، ويستحقه جل ثنآؤه من الطاعة له والرضى، إلا كانت وصلة حسرة وانقطاع، وخلة ندم غداً واسترجاع، يدعوا أهلها فيها بالويل والعويل، ويصيرون بها في الآخرة إلى خزي طويل، ذلك قوله جل ثنآؤه: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. وقوله تعالى عن القآئلين: ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلاَنًا خَلِيلاً * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً﴾ [الفرقان:٢٨-٢٩]. ونحن نرجو وليكم الله أن يكون وصلة ما بيننا، وما عقد الله - فله الحمد - عليه خلتنا، سببا عقده الله بالإيمان، وأسسه منه على رضوان، فمن أحق بالتعظيم منا له؟ لما كانت الأبرار تعظمه،

---

(١) أنظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٤٧٧ -٤٨٠.

ومن خير ما قدمنا فيه ما كانت الأتقياء[1] تقدمه، من كل ما كان لهم على بغيتهم من النجاة دليلا، وإلى ما يلتمسون من فوز حياة الخلد عند الله سبيلا، من التذكير في بقآء الآخرة، وفنآء الدنيا بما ذكر، والائتمار في عاجل هذه الدنيا من التقوى بما به[2] أمر، فافهموا ذلك فهَّمنا الله وإياكم سبيل الخير، ونفعنا ونفعكم فيها بمنافع التذكير، فإنه يقول سبحانه: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، والدنيا وإن كان عمرها قصيرا وبقآء أهلها فيها قليلا يسيرا، فاعلموا رحمكم الله أنها - وإن كانت كذلك - متجر لأرباح فوآئد التقوى، ومكسب غنم لِمَن تكسب فيها، ومحل مخصب لِمَن تزود إليها منها[3]، وذلك أنه خلقها سبحانه لعبادته، وأمر خلقه فيها بطاعته، ونعاها إليهم قبل فنآئها، وأخبرهم جل ثنآؤه بقصر مدتها وبقآئها، فقلل بأحق الحقآئق في أعينهم ما يستكثرونه من كثيرها، وقصر في كتابه الناطق عندهم ما يستطيلونه من تعميرها فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٧-٧٨]. وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا * كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا

---

(١) في (أ) ألايقينا.

(٢) في (أ) غاية.

(٣) في مجموع رسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٣٤ بزيادة: «ومعبر لمن تبلغ بما عند ظفره بكسبها وإلى دار مقام ومحل دوام ليس عنها لمن نزلها انتقال، ولا منها بعد طولها زوال».

عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا﴾ [النازعات:٤٥-٤٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس:٤٥][1].

وقال عليه السلام في موضع آخر من هذا الكتاب: واعلموا أن القلوب كالآنية المصدوعة، لما تنازع إليه من غرائزها المطبوعة؛ فإن لم ترهم صدوعها لم يصح مطبوعها، على بنية اعتداله فيما فطرها الله عليه من كماله، فزمُّوها بالعلم بكتاب الله وترتيله، والوقوف على محكم تأويله، ففي ذلك لها تقويم وتعديل، وهداية ونور ودليل، على منهاج خالص الطريق المساير لها في حب الله وطاعته، وما أوجب الله على العباد من أثرته وعبادته، وبكتاب الله تنجلي عن القلب ظُلَمُ الحيرة، وبلطف النظر فيه يدرك حقائق العلم أهل البصيرة، وبسبيل الله فيه المطرقة تكون هدايات المتقين في الثقة في نيل الغايات القصوى، وبلوغ الدرجات العلى، وقد زعم بعض أهل الحيرة والنقص، ومن لا يعرف عين النجاة والتخلص أن الألطاف في النظر، يدعو صاحبه إلى الخيلاء والبطر، وإنما يكون ذلك كذلك عند من يريده للترؤس لا لما فيه، وما جعله الله عليه من حياة الأنفس، فانفوا مثل هذا عن ضمائركم، وسدوا ثلمة عيبه في سرآئركم، واعلموا أن البحر لا يجاز يقينًا بتًّا إلا بمعبر، وأنه قد يحتاج الشجاع المحارب إلى السلاح في الحرب فكيف بالغبي المغتر؟، فلا يتعاط أحد سبيل التقوى، وما قرن الله بها من التمحيص والبلوى، إلا وقد تحصن[2] بالعلم والبصر، الذي ميز الله به بين أهل الخير والشر، فلا تَدَعُوا- رحمكم الله-حسن النظر في الأمور، والاستضاءة في ظلمها بما جعل

---

(١) ينظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٣٣ - ٣٣٥.

(٢) في (أ) محصّن.

الله في العلم من النور. واعلموا أن من أبواب ذلك ومفاتيحه، وأضواء ضياء نوره ومصابيحه، إخلاص العمل لله، وصدق التوكل على الله، وسبب الطريق إليها وعون من أراد ما فيها حسن الفكر في الدنيا وفنآئها، وتقلب سرّائها وضرّائها، وفي حال جميع ما فيها من ملوك الأمم خاصة، ومن دونهم من الخلق جميعا عامة، فإنكم إن تفكرتم فتروا بعين الفكرة، وتبصروا أنهم جميعا منها وإن اختلفت حالهم فيها من السعادة والشقاء قد غشيهم من همومها كأمثال الجبال، ورمت بهم من غمومها في مثل لجج البحار، فالمَلك في شُغلٍ من ملكه، والمملوك في سطوة مالكه، والمكثر من إكثاره، والمُقلُّ من إقلاله، ولن يحاط بوصف أحزانها وأوجاع غموم سكانها[1].

وقال عليه السلام: فكم بالدنيا من غريق في لجج البحار، وكم فيها ولَهًا من مُبتلى بقتل أو أسار، وكم لطالبها، وإفراطه في حبها من ميت غريب ناء عن الولد والأوطان، بين غتم[2] لا يعرفونه، وطماطم[3] من السودان ينكرونه، لم يبكه هناك ولده ولا أقاربه، ولم تأسف عليه -كما أسف عليها- دنياه، بل تخلوا جميعا منه، وأعرضوا سريعا عنه، فورثوه غير حامدين له فيما جمع، وأسلموه إذ مات لما عمل وصنع، ولعل قائلاً منهم أن يقول: ما كان أفحش حرصه وإيعاثه[4]! أو قائلاً منهم يقول: ما أقل أو ما أكثر تراثه! تلعبًا بذكره، وتفكهًا في أمره؛ فاعرضوا هذا رحمكم الله على قلوبكم؛ لأن ينجلي لكم إن شآء الله ما فيها عن الدنيا من العمى، وانظروا إلى من زالت عنه القدرة من أبنآء الملوك

---

(١) انظر مجموع كتب ورسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٤٧-٣٤٨.

(٢) في (أ) عتم. الأغتم: البليد. ينظر مختار الصحاح ص٤٦٩.

(٣) الطماطم: جمع طِمْطِم وهو الذي في لسانه عجمة.

(٤) بمعنى الحبس والصرف. القاموس ٢٢٧.

والعظماء، كيف صاروا إلى الضعة بعد الرفعة، والضيق بعد مضطربهم من السعة، بَل انظروا بعد هذا كله إلى من كان هذا أكثر[1] شغله، ألم تروا غلطهم في مسالكهم، ومرتطمهم في مهالكهم، واعتبروا بهم قبل أن تغرقوا في بحرهم، وتقعوا في مهالك أمرهم، وآثروا سبيل أحباء الله على كل سبيل، (واستدلوا بما كان لهم على سبيلهم)[2] من دليل؛ فإن دليلهم فيه وعونهم عليه ما خالط فكرهم، وأحيوا به في الفكر ذكرهم من نعيم الآخرة الدائم المقيم، وما أعد الله لِمَن حادّه في الآخرة من العذاب الأليم[3]. وكلامه عليه السلام كثيرٌ في هذا المعنى، وهو يخرج من قلب خاشع، وجنان خاضع.

❖ ❖ ❖



---

(١) في (أ) أكبر.

(٢) ما بين القوسين ساقط من (أ).

(٣) أنظر مجموع كتب رسائل الإمام القاسم ٢/ ٣٤٩.

الإمام الهادي إلى الحق عليه السلام[1]

هو: أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. نسبٌ يحكي بتلاليه إشراق النهار، وجوهر تغشى أنواره[2] الأبصار، وما ظنك بنسب يُردد بين النبي والوصي، وهما خيرتا الملك العلي. وأمه عليها السلام: أم الحسن بنت الحسن بن محمد بن سليمان بن داوود بن الحسن بن الحسن.

وُلِدَ بالمدينة سنة خمس وأربعين ومآئتي سنة، وحمل حين ولد إلى جده القاسم عليه السلام؛ فوضعه في حجره المبارك، وعوذه ودعا له، ثم قال لابنه: بم سميته؟، قال: يحيى، وقد كان للحسين أخ لأبيه وأمه يسمى: يحيى، توفي قبل ذلك؛ فبكى القاسم عليه السلام حين ذكره، وقال: هو والله يحيى صاحب اليمن، وإنما قال ذلك عليه السلام لأخبار رويت بذكره وظهوره باليمن، وكان بين ولادة الهادي عليه السلام وبين موت جده القاسم عليه السلام سنة واحدة[3].

صفته عليه السلام: قال السيد أبو طالب[4]: حكي أنه عليه السلام كان أسديًا، أنجل العينين، واسع الساعدين غليظهما، بعيد ما بين المنكبين والصدر، خفيف الساقين والعجز كالأسد. وكان عليه السلام في حال صباه يدخل السوق، ويقول:

---

(١) الإفادة ١٠١، والتحف شرح الزلف ١٦٧، وأئمة اليمن لزباره ١/ ٥، وفتح الباري ١٣/ ١٠٠، وسيرة الإمام الهادي تحقيق سهيل زكار، وطبقات الزيدية «خ»، وعمدة الطالب (٢٠٤)، سر السلسلة العلوية (٢٨)، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي (١/ ٢٦٢)، ودرر الأحاديث النبوية ١٩١، الفلك الدوار ٣٣، والأعلام ٨/ ١٤١، بلوغ المرام ١٤٦، وتاريخ اليمن للواسعي ٢١, ٢٣، وهدية العارفين ٢/ ٥١٧، وبلوغ المرام في شرح مسك الختام ٣١.

(٢) في (أ)يغشى أنوار الأبصار.

(٣) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ١٠١ .

(٤) الافادة ١٠٢ .

ما طعامكم هذا؟ فيقال: الحنطة، فيدخل يده في الوعآء فيأخذ منها في كفه ويطحنه بيده، ثم يخرجه فيقول: هذا دقيق.

وكان يأخذ الدينار فيؤثر في سكته بإصبعه ويمحوها. وكان على رجلٍ له حقٌّ قبل قيامه؛ فامتنع من قضآئه، فأهوى إلى عمود حديد فلواه في عنقه ثم سواه وأخرج عنقه منه.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] بإسناده: أن يحيى عليه السلام كان غلاما حَزَوَّرًا[2] بالمدينة، وكان طبيب نصراني[3] يختلف إلى أبيه الحسين بن القاسم على حمار له يعالجه من مرض أصابه، فنزل عن الحمار يوما وتركه على الباب، فأخذ يحيى عليه السلام الحمار وأصعده السطح، فلما خرج الطبيب لم يجد الحمار، فقيل له: صعد به يحيى السطح، فسأله أن ينزله، فمن المثل السائر: (أنه إنَّما ينزل الحمار من صعد به) فأنزله وقد دميت بنانه، فبلغ ذلك أباه فزجره وخاف عليه أن ترمقه العيون. وكان يأخذ قوآئم البعير المسن القوي فلا يقدر البعير -وإن جهد- على النهوض. وكان يضرب بسيفه عنق البعير البازل الغليظ فيبينه من جسده.

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

فضله عليه السلام لا يخفى، ونور مجده لا يطفى، وظهور حاله يغني عن ذكر محاسن خلاله[4]، إلا أنا نذكر من أحواله طرفًا رعاية لحقه الواجب، وهو الذي فقأ عين الضلال، وأجرى معين العلم السلسال، وضارب عن الدين كافة الجاحدين حتى عرف الله من أنكره. ومناقبه أكثر من أن تنظم في سلك المدائح.

---

(1) الافادة ١٠٢.

(2) في (أ) حزوّر كعلمّس: الغلام القوي، ينظر القاموس ٤٧٩.

(3) في (أ) سرياني.

(4) الخَلَّة: الخَصلة. القاموس ١٢٨٥.

وقد روينا عن بعض علمآءنا رحمهم الله تعالى عن النبي ﷺ، أنه قال: «يخرج في هذا النهج – وأشار بيده إلى اليمن – رجل من ولدي اسمه: يحيى الهادي، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، يُحيي الله به الحق، ويميت به الباطل»[1] فكان عليه السلام هو الذي نشر الإسلام في أرض اليمن بعد أن كانت ظلمات الكفر فيه متراكمة، وموجات الإلحاد متلاطمة حتى أنهل من نحورهم الأسل الناهلة، وأنقع من هامهم السيوف الظامئة، فانتعش الحق بعد عثاره، وعلا بحميد سعيه من مناره، فسلام الله على شخصه الكريم.

وروى مصنف سيرته عليه السلام قال: بلغنا عن عبدالله بن موسى قال: حدثني أبي عن بشر بن رافع ورفع الحديث إلى علي بن أبي طالب صلوات الله عليه قال: يا أيها الناس، سلوني قبل أن تفقدوني، أيها الناس، أنا أحلم الناس صغارا، وأعلمهم كبارا، أيها الناس، إن الله تبارك وتعالى بنا فتح وبنا ختم، أيها الناس، ما تمر فتنة إلا وأنا أعرف سائقها وناعقها – ثم ذكر فتنة بين الثمانين ومآئتين – فيخرج رجل من عترتي اسمه اسم نبي يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا، يميز بين الحق والباطل، ويؤلف الله قلوب المؤمنين على يديه كما يتألف قزع الخريف، انتظروه في الأربع والثمانين ومائتين في أول سنة واردة وأخرى صادرة[2].

ومن نظر في الأمور علم أنه عليه السلام المراد بالخبر؛ لأن مصنف سيرته حكى: أن وصوله كان إلى صعدة في المرة الأخيره التي استقر فيها في الجهات لستة أيام ماضية من شهر صفر، سنة أربع وثمانين ومآئتين في أول سنة واردة وعقيب سنة صادرة، وكانت الشرور قد عظمت جدا بين أهل صعدة على كثرتهم وقوتهم في

---

(١) التحف شرح الزلف ١٠٠، وسيرة الهادي ٣٣.

(٢) المصابيح ٥٨٣ .

ذلك الأوان واشتجر القتل بينهم، فلما وصل عليه السلام حط بالقرب من المدينة، ثم خرجوا إليه فوعظهم وذكرهم، وانتظم الصلح بينهم في الحال ببركته بعد أن كانت فتنتهم قد عظمت جدا، حتى إن قائدا لآل يعفر وصل إلى ناحيتهم يريد الصلح فيما بينهم معه ألوف فما ساعدوه إلى ذلك، حتى إنهم يقتتلون وهو واقف في ناحيتهم، فقتل عشرون قتيلا، وانتظم أمرهم ببركة الهادي إلى الحق عليه السلام، واسمه: يحيى اسم نبي وهو يحيى بن زكريا عليه السلام، فامتلأ اليمن ببركته عدلا بعد أن كان فيه بالوقت الذي وافاه من القبائح ما يعظم فيه من مذهب القرامطة والجبرية وسائر الأفعال الزرية[1]، وطار فقهه في الآفاق، حتى صارت أقواله في أقصى بلاد العجم يأنسون بها أكثر من أنس أهل اليمن بها، وعليها يعتمدون، وبها يفتون ويقضون[2].

وكان عليه السلام قد نشأ على العلم والعبادة، حتى صار بمنزلة الطبع له، ونال من العلم[3] منالا لم يعلم أن أحدا من المشهورين أدركه في وقت إدراكه.

روى السيد أبو طالب عليه السلام[4] بإسناده: عن المرتضى محمد بن الهادي عليهما السلامُ، قال: إن يحيى بن الحسين بلغ من العلم مبلغا يختار عنده ويصنف وله سبع عشرة سنة، وهذه من عجائب الروايات(التي تضمنت خرق العادات)[5]، ولا عجب فيمن كانت أعراقه تنتهي إلى الذروة العالية النبوية أن يبلغ هذا الكمال، ويفوز بمحاسن الخلال، وقد قالَ صلى الله عليه وآله وسلم: « اللهم اجعل العلم والفقه

(١)في (أ)الردية.

(٢)سيرة الإمام الهادي ٤١، والمصابيح ٥٧٨.

(٣)في (أ)بمنزلة الطبع ونال في العلم.

(٤)الافادة ١٠٣.

(٥)ما بين القوسين ساقط من (أ).

في عقبي وعقب عقبي ، وفي زرعي وزرع زرعي»[1] ؛ فتناوله هذا الدعاء الشريف الموثوق بإجابته ، فارتوى من سلسال العلم المعين ، وتفيأ في ظلال العرفان اليقين ، حتى تفجر العلم من جوانبه ، ونطق من الحكم بغرائبه .

وصنف التصانيف الفائقة ، والكتب البديعة الرائقة ، نحو : كتاب الأحكام وهو مجلدان في الفقه متضمنا من تفصيل الأدلة من الآثار والسنن النبوية والأقيسة القوية - ما يشهد له بالنظر الصائب والفكر الثاقب وحسن المعرفة . **ومنها :** كتاب المنتخب في الفقه أيضا ، وهو من جلائل الكتب ، وفيه فقه واسع وعلم رائع . **ومنها :** كتاب الفنون في الفقه مهذب ملخص . وكتاب المسائل . وكتاب[2] مسائل محمد بن سعيد . وكتاب الرضاع . وكتاب المزارعة . وكتاب أمهات الأولاد . وكتاب الولاء . وكتاب القياس . **ومنها** في التوحيد كتب جليلة القدر ، نحو : كتاب التوحيد . وكتاب المسترشد . وكتاب الرد على أهل الزيغ . وكتاب الإرادة والمشيئة . **ومنها :** كتاب الرد على ابن الحنفية في الكلام على الجبرية ، وفيه من الأدلة القاطعة والإلزامات النافعة ما يقضي بأنه السابق في الميدان ، المبرز على الأقران . وكتاب بوار القرامطة . وكتاب أصول الدين . وكتاب الإمامة وإثبات النبوءة والوصية . وكتاب الرد على الإمامية . وكتاب البالغ المدرك : وهو قطعة لطيفة ، فيها كلام كأنه الروض ملاحة ونضارة ، والسحر لطافة . وكتاب المنزلة بين المنزلتين .

ومنها : كتاب الجملة . وكتاب الديانة . وكتاب الخشية . وكتاب تفسير خطايا الأنبياء . وكتاب الرد على ابن جرير . وكتاب تفسير ستة أجزاء . ومعاني القرآن تسعة أجزاء ، وكتاب الفوائد جزءان . وكتب سوى ذلك كثيرة ما يقرب من

---

(١) الشافي للإمام عبدالله بن حمزة ج١ص ٦٩ ، لوامع الأنوار للعلامة/ مجد الدين ج١ص ١٣ .

(٢) في (أ) ومسائل محمد بن سعيد .

عشرين كتابا تركناها، وهي ظاهرة مشهورة قد شحنت من محاسن العلم ودرر الفهم ما يشهد بأنه عليه السلام في العلم القمر الباهر والبحر الزاخر، وله الحكايات العجيبة في هذا المعنى التي يتجلى فيها، ويظهر خضوع المخالف وتسليمه، وهي كثيرة ظاهرة، وإنما نذكر منها اليسير فإن القليل يدل على الكثير، وضوء البارق يشير بالنوء المطير، وهل تفتقر الشمس إلى برهان وإنما التفصيل يثمر الجلالة والعرفان[1].

روى السيد أبو طالب عليه السلام[2] عن علي بن العباس الحسني عليه السلام: أنه سمع أبا بكر بن يعقوب عالم أهل الري وحافظهم - حين ورد عليه باليمن يقول: قد ضل فكري في هذا الرجل - يعني يحيى بن الحسين عليه السلام، فإني كنت لا أعترف لأحد بمثل حفظي لأصول أصحابنا، وأنا الآن إلى جنبه جذع، بينا أجاريه في الفقه وأحكي عن أصحابنا قولا إذ يقول: ليس هذا يا أبا بكر قولكم فأرادُه، فيخرج إليّ المسألة من كتبنا على ما حكى وادعى، فقد صرت إذا ادعى شيئا عنا أو عن غيرنا لا أطلب معه أثرا.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[3]: وحدثني رحمه الله تعالى قال: دخلت الريَّ سنة اثنتين وعشرين وثلاث مآئة، وكنت ارتحلت إلى شيخ العلوية وعالمهم أبي زيد عيسى بن محمد العلوي رحمه الله -من ولد زيد بن علي عليهما السلام- وإلى غيره من أبي حاتم وآخرين، وحضرت مجلس النظر لأبي بكر الخطاب فقيه الكوفيين وحافظهم، فجريت في مسآئل النظر مع من حضر، فقالُوا: ما قرابة ما بينكم وبين أصحاب اليمن من أولاد يحيى بن الحسين وأولئك الأشراف؟ فقلت له: كان يحيى بن الحسين من أولاد إبراهيم بن الحسن بن الحسن، ونحن من أولاد

(١) الإفادة تاريخ الأئمة السادة ١٠٣.

(٢) الافادة ١٠٤.

(٣) الافادة ١٠٤.

داود بن الحسن بن الحسن ، وداود وإبراهيم أخوان ، فنحن وهم بنو الأعمام ، ولكن أم يحيى بن الحسين كانت عمة جدي ، قال : علمت أن هذا عن أصل ، وكان يعجبه كلامي .

ثم أنشا يحدث قال : كنا عند علي بن موسى القمي ، فذكر له خروج علوي باليمن يدعي الإمامة فقال : أحسني أم حسيني ؟ فقيل : بل حسني ، ويقال : إنه دون أربعين سنة ، فقال : هو ذاك الفتى . . مرتين ، فقلنا : مَن هو ؟ فقال : كنا في مجلس أبي حازم القاضي يوم جمعة ، فدخل شاب له رواء ومنظر ، فأخذته العيون فمكنوه ، فجلس في غمار الناس ، فما جرت مسألة إلا خاض فيها وذكر ما يختاره منها ، ويحتج ويناظر ، فجعلوا يعتذرون إليه من التقصير ، ثم أسرع النهوض ، فقيل لأبي حازم : هذا رجل من أهل الشرف من ولد الحسن بن علي عليهما السلام ، فقال الناس : قد علمنا أنما خالط قلوبنا من هيبته لمنزله ، فاجتهدنا أن نعرف مكانه وسألنا عنه فلم نقدر عليه .

فلما كانت الجمعة الثانية اجتمع الناس وكثروا شوقا إلى كلامه ورجاء أن يعاودهم ، فلم يحضر ، فتعرفنا حاله فإذا ذلك لخوف داخله من السلطان ، وكان أبو حازم يقول : إن يكن في هؤلاء أحد يكون منه أمر فهذا . ثم عاودنا علي بن موسى ، فقال : ألم أقل : إن العلوي هوذاك الفتى؟ قد استعلمت فإذا هو ذاك بعينه .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] عن بعضهم : أنهم كانوا مع الناصر رضي الله عنه بالجيل قبل خروجه ، فنُعي إليهم يحيى بن الحسين عليه السلام ، فبكى بنحيب ونشيج وقال : اليوم انهد ركن الإسلام . فقلت : ترى أنهما تلاقيا لما قدم يحيى بن الحسين طبرستان ، قال : لا .

(١) الافادة ١٠٦ .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] أيضا بإسناده عن بعضهم قال: حضرنا إملاء الناصر الحسن بن علي عليهما السلام في مصلى آمل فجرى ذكرُ يحيى بن الحسين عليه السلام، فقال بعض أهل الري - وأكثر ظني أنه أبو عبدالله محمد بن عمرو الفقيه: كان والله فقيها، قال: فضحك الناصر، وقال: ذاك والله من أئمة الهدى.

وكان عليه السلام بالورع والزهد والعبادة إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به، وظهور ذلك يغني عن تكلف بيانه، إلا أنا نحكي قليلا من كثير مما يثلج قلوب ذوي الإيمان العارفين بحق العترة عليهم السلام. **روى** مصنف سيرته عليه السلام[2] عمن سمعه يقول: والله الذي لا إله إلا هو ما أكلت مما جبيت من اليمن شيئا، ولا شربت منه الماء.

وروى عمن سمعه يقول: ما أنفق إلا من شيء جئت به معي من الحجاز، وهذا ورع شحيح؛ لأنه عليه السلام عف عن الحلال، إذ كان يجوز له أن يتناول من الجزية وأخماس الغنائم وسوى ذلك من كثير من الأمور المباحة لمثله في الشرع النبوي عظمه الله[3].

وروى أيضا عن ابنه محمد بن عبيدالله عليه السلام قال: وجّهت غلاما إلى يحيى ابن الحسين رضي الله عنه أطلب منه قرطاسا أكتب فيه كتابا، فقال: يحيى بن الحسين (للرسول)[4]: القرطاس لا يحل له، فدفع إلى الغلام ورقة قطن[5].

وروى أيضا عن بعضهم أنه عليه السلام قال له: اشترِ لي قرطاسا على حدَة مما يحل لي أكتب فيه، فاشتريته له.

---

(١) الافادة ١٠٥.

(٢) سيرة الهادي ٥٨.

(٣) سيرة الهادي ٥٨.

(٤) ساقطة من الأصل.

(٥) سيرة الهادي ٦٠.

وروى مصنف سيرته عليه السلام[1] عن عبيدالله بن حذيف وكان يقوم للهادي عليه السلام بأمره قال: قال لي يحيى بن الحسين: اشتر لي تبنا أعلفه دوابي، قال: فقلت: ليس نجد إلا تبن الأعشار، فقال: لا تشتر لنا منه شيئا وأنتَ تقدر على غيره، قال عبيدالله: فلم أجد غيره، فأمرت بعض الغلمان الذي يقوم على الخيل يأخذ منه كيلا معروفا حتى نشتري ونرد مثل ما أخذنا، فعلم يحيى بن الحسين، فوجه إلى عبيدالله فكلمه بكلام غليظ، وقال له عبيدالله: إنا أخذنا منه كيلا معروفا حتى نرد مكانه، فقال: لست أريد منه شيئا، ما لنا وللعشر، خذوا هذا التبن فاعزلوه حتى يعلفه من يحل له، ولم يعلف خيله تلك الليلة شيئا منه، وأمر أن يطرح للخيل قصب بلا تبن ليلتين، ثم قال: اللهم إني أشهدك أني قد أخرجت هذا من عنقي وجعلته في أعناقهم.

وروى مصنف سيرته أنه عليه السلام[2] صاح بغلام له فسأله عن خرقة، فقال له الغلام: قد رفعتها، فقال للغلام: أخرجها إليَّ، فأخرجها من بين ثياب يحيى بن الحسين، فلما أخرجها قال للغلام: ويلك أنتَ قليل الدين ليس لك دين، تضع خرقة من الأعشار بين ثيابي.

ودخل يوما وقد تطهر للصلاة فأخذ خرقة فمسح بها وجهه، ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، هذه الخرقة من العشر، فذكرت له ذلك، فقال: ما يحل لنا أن نمسح به وجوهنا، ولا نستظل به من الشمس[3].

وروى السيد أبو طالب عليه السلام أيضا بإسناده أن[4] يحيى بن الحسين: قدم آمل قبل ظهور الناصر رضي الله عنه مع محمد بن زيد بجرجان، ومعه أبوه وبعض عمومته

(١) سيرة الهادي ٦٠ – ٦١.

(٢) سيرة الهادي ٦٢.

(٣) سيرة الهادي ٦٢.

(٤) في (أ) بإسناده إلى يحيى.

والموالي، فنزلوا حجرة بخان العلاء قال: وأشار لي إليها ونحن نجتاز الخان يوما، قال: ولم أسمع بأنه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبيه وعمومته له [1] ولم يكونوا يخاطبونه إلا بالإمام. قال: وامتلأ الخان بالناس حتى كاد السطح يسقط وعلا صيته، وكتب إليه الحسن بن هشام من سارية [2]، وكان على وزارة محمد بن زيد: بأن ما يجري يوحش ابن عمك، قال: ما جئنا ننازعكم أمركم، ولكن ذكر لنا أن في هذه البلد شيعة وأهلا فقلنا: عسى الله أن يفيدهم منا وخرجوا مسرعين وثيابهم عند القصار، وخفافهم [3] عند الأسكاف ما استرجعوها. قال: وحملنا إليهم من منازلنا حملانًا ودجاجًا وشيئًا مما نصطبغ به من حصرم وغيره، فتناولوا إلا اللحمات [4] فإنها ردت إلينا كهيئتها، فسألنا الموالي عن سبب ردها، فقالوا: إنه يقول: بلغني أن الغالب على هذا البلد التشبيه والجبر فلم آمن أن يكون من ذبآئحهم فقد سمعت أن أهلنا بهذا البلد لا يَتَوَقَّوْنَ ذبآئحهم [5]. وكان عليه السلام صوّاما قوّاما يصوم أكثر أيامه، ويُحيي أكثر لياليه تهجداً وصلاة [6].

روينا عن السيد أبي طالب عليه السلام [7] بإسناده عن سليم، وكان يلي خدمة الهادي عليه السلام في داره فقال: كنت أتبعه [8] حين يأخذ الناس فرشهم في أكثر لياليه بالمصابيح إلى بيت صغير في الدار، كان يأوي إليه فإذا دخله صرفني

(١) في الأصل: بحذف له.

(٢) مدينة بطبرستان. معجم البلدان ج٣ص ٧٢.

(٣) في (أ) وأخفافهم.

(٤) في (أ) فتناولوا الحملان. والظاهر فتناولوا إلا الحملان.. الخ.

(٥) الإفادة ١٠٦-١٠٧.

(٦) المصابيح ٥٨١.

(٧) الافادة ١١٠.

(٨) في (أ) أتبعه حتى حين.

فأنصرف، فهجس[1] ليلة قلبي أن أحتبس وأثبت على باب البيت أنظر ما يصنع، قال: فسهر عليه السلام الليل أجمع ركوعا وسجودا، وكنت أسمع وقوع دموعه صلى الله عليه ونشيجًا في حلقه، فلما كان الصبح قمت فسمع حسي، قال: من هذا؟ فقلت: أنا، فقال: سليم؟ ما عجل بك في غير حينك؟ فقلت: ما برحت البارحة جعلت فداك، قال: فرأيته اشتد عليه ذلك، وحرّج عليّ أن لا أحدث به في حياته أبداً[2]، قال: فما حدثنا به سليم إلا بعد وفاة الهادي إلى الحق عليه السلام أيام المرتضى.

وكان عليه السلام إذا التقت الأبطال، وتداعت نزال ألفيته القطب الذي تدور عليه رحى القتال، يحطم الوشيج في النحور، ويثلم الهندي المشهور، وكم له من يوم أغر عاود فيه الكر، واستحيى من الفر، إذا حمي الوطيس كان أمام جنوده يُغْضِبُ كبش الكتيبة، ويشاهد له كل حملة عجيبة، ولقد صدق عليه السلام حيث يقول:

أنا ابن رسول الله وابن وصيه ... ومن ليس يحصى فضله ووقائعه

وقدماً ليوث الحرب فاقدت بينها ... بطعن وضرب ما يُغب وعاوعه

وكان عليه السلام يضرب ضرب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، ففي الرواية: أنه ضرب رجلا على باب ميناس فخذف السيف من بين رجليه، فلما نظر إليه ابن حميد قال: استروا ضربة هذا العلوي، والله لئن رآها الناس لا تناصروا[3]. وفيه يقول الشاعر الخيواني وهو ابن أبي البلس:

لو كان سيفك قبل سجدة آدم ... قد كان جُرِّدَ ما عصى إبليس

وطعن عليه السلام رجلا فأمرقه، فتثنى قضيب الرمح وانكسر[4]. ويرز له رجل

(١) الهاجس: الخاطر.

(٢) في (أ): أحداً.

(٣) الشافي ١/ ٣٠٥.

(٤) المصابيح ٥٧٣.

ذات يوم في بعض حروبه فرفع الرجل يده بالسيف ليضربه فأهوى عليه السلام بيده فقبض بها على يد الرجل على مقبض السيف، فهشم أصابعه[1]. ولما هزم جيشه عليه السلام يوم أتوه[2] بأسباب خيانة جرت من بعض من كان معه بقي في آخر الليل ولحقت به فرسانهم، وكان مَن عرفه قلّ طمعه فيه، فجعلوا يطعنونه وهو يُنحي الرماح بسوطه، فقال بعض أصحابه: يا سيدي سل سيفك، قال: ما كنت لأسله إلا أن أضرب به، فعاجله رجل برمحه، فلما ثبت فيه ثنى يده وكسر السنان ورمى به في وجه الرجل، وكان ذلك دأبه عليه السلام في جميع المواطن يصطلي شرر النار، ولا يقهقر عن مناطحة الشفار، بل يخوضها قدما قدما، ويجرع أضداده صابا وعلقما.

وكان له عليه السلام خصائص وكرامات تكشف عن علو منزلته عند الله عز وجل. فمن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن بعضهم، قال: كان لي ابن صغير لم يتكلم، فطلبت الدوآء له بكل حيلة فأعياني؛ فعزمت على حمله إلى مكة وكنت على ذلك حتى أتاني كتاب الهادي عليه السلام، فأخذنا خاتمه فوضعناه في مآء وسقيناه الصبي فأفصح بالكلام، فحدثت بذلك الناس وشاهدوا الغلام وهو يتكلم، وشاهده بعضهم وهو لا يتكلم.

وروى أيضا عن بعضهم، قال: سمعت رجلا يقع في الهادي عليه السلام وينتقصه في أصله، فما مكث إلا أياما حتى أخذه بلآء فانقطعت رجله قبل أن يموت ثم مات بعد ذلك. قال: وسمعت أيضا أن امرأةً تكلمت بكلام سوء فقامت سحراً فأخذتها النار فاحترقت.

وروى أيضا أنه عليه السلام كان في نجران، فأتي بصبي قد ذهب بصره من الجدري، فأمرَّ يده على بصره ودعا له فأبصر. وروى أنه عليه السلام كان في أرض لا ظلال فيها

---

(١) المصابيح ٥٧٣.

(٢) بلدة حميرية في بلاد أرحب.

ولا شجر، وكان يوما شديد الحر كثير السموم، فأنشأ الله تعالى سحابه حتى ركدت فوق رأس الهادي عليه السلام وجميع أصحابه، وأظلهم الله بها في ذلك اليوم الشديد الحر قال: فوالله ما زالت تلك السحابة مظلة له حتى راح، وكانت السماء مصحية ما فيها سحابة غيرها، وإن الناس ليتعجبون مما رأوا.

وروى أيضا أن رجلا من ربيعة كان يكثر الرمي لأصحاب الهادي عليه السلام في يوم ميناس؛ فدعى عليه الهادي أن يقطع الله يده، فتناصلت أصابعه إلى الرسغين، ومات مما نزل به لا رحمه الله.

بيعته عليه السلام ونبذ من سيرته[1] في ولايته ومدة ظهوره

لما انتشر ذكره عليه السلام في الآفاق وعلا صيته في الأقطار، خرج إلى اليمن مرتين، فأما المرة الأولى فكان خروجه سنة ثمانين ومآتين حتى بلغ موضعا يقال له: الشَّرَفَة[2] بالقرب من صنعاء وأذعن له الناس بالطاعة، وأقام مديدة يسيرة حتى خذله أهل البلاد وغلب عليهم العصيان لله والخذلان له عليه السلام، فعاود عليه السلام إلى الحجاز، وعم أهل اليمن بعده البلاء، وشملتهم الفتن، فلما عضهم البلاء، كتبوا إلى الهادي عليه السلام يستنهضونه إلى اليمن ويخبرونه بتوبتهم إلى الله تعالى، فوصلت كتبهم إليه عليه السلام في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين ومآتين فأزمع عليه السلام إلى إجابتهم[3] إلى ما طلبوه رغبة في إحيآء الدين، وطمس آثار الضلال، وخرج يشيعه سادات أهله وأكابرهم، فيهم العالم النحرير عمه محمد بن القاسم عليه السلام، فقال له عند وداعه: يا أبا الحسين، لو حَمَلَتْني ركبتاي لجاهدت معك، يا بني أشركنا الله في كل ما أنتَ فيه في كل مشهد تشهده وكل موقف تقفه. وقال

---

(١) في (أ): ساقطة: ونبذ من سيرته.

(٢) قرية من قرى بني حشيش.

(٣) في (أ): وأزمع إلى إجابتهم في ذي القعدة سنة ثلاث وثمانين.

أيضا للهادي عليه السلام : يا أبا الحسين ، أتراني أعيش إلى وقت توجّهُ إليَّ مما تغنمه ولو بمقدار عشرة دراهم أتبارك بها[1] . وفي بعض الحكايات : أنه لما حضر وقت الصلاة ، قال الهادي عليه السلام : تقدم يا عم فصل بنا ، فتقدم محمد بن القاسم عليه السلام فصلى بهم ، ثم قال : يا أبا الحسين ، استغفر لي ما كان لي أن أتقدمك! فقال : يغفر الله لك يا عم ، فزاد ذلك بصيرةَ مَنْ حضر في أمر الهادي عليه السلام لما كانوا يعلمون من فضل عمه محمد بن القاسم وعلمه وورعه[2] .

ثم سار الهادي إلى الحق عليه السلام حتى انتهى إلى صعدة لستة أيام خلون من صفر سنة أربع وثمانين ومآئتين ، وبينهم الفتن العظيمة ، فعمهم الصلح ببركته وصاروا إخوانا ، وأقام عليه السلام آمراً بالمعروف ناهيًا عن المنكر ، وولى ولاته في الجهات ، ورسم لهم الرسوم ، ثم افتتح نجران وأقام فيه مدة ، وعاود إلى صعدة ونشر من محاسن العدل ما يليق بمثله عليه السلام ، وكان يتولى تفقد كثير من الأمور بنفسه سالكا في ذلك طريقة المتواضعين[3] .

روى السيد أبو طالب عليه السلام[4] بإسناده عن أبي الحسن الهمداني المعروف بالحروري ، وكان رجلا فقيها على مذهب الشافعي- يجمع ما بين الفقه والتجارة ، قال : قصدت اليمن في بعض الأوقات وحملت ما أتجر فيه إلى هناك ابتغآء لرؤية يحيى بن الحسين لما كان يتصل بي من آثاره ، فلما حصلت بصعدة ، قلت لمن لقيته من أهلها : كيف أصل إليه؟ ومتى أصل؟ وبمن أتوسل في هذا الباب؟ فقيل لي : إن الأمر أهون مما تقدّر ، تراه الساعة إذا دخل الجامع للصلاة بالناس ، فإنه يصلي بالناس الصلوات كلها ، فانتظرته حتى خرج للصلاة فصلى

---

(١) سيرة الهادي ٣٦ .

(٢) سيرة الهادي ٣٧ .

(٣) سيرة الهادي ٤١ .

(٤) الافادة ١١٤ .

بالناس وصليت خلفه ، فلما فرغ من صلاته تأملته فإذا هو قد مشى في المسجد إلى قوم أعلاَّء في ناحية منه فعادهم وتفقد أحوالهم بنفسه ، ثم مشى في السوق وأنا أتبعه فغير شيئا أنكرَه ووعظ قوما وزجرهم عن بعض المناكير ، ثم عاد إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه من داره للناس فتقدمت إليه وسلمت فرحب بي وأجلسني وسألني عن حالي ومقدمي ، فعرفته أني تاجر وأني وردت ذلك المكان تبركا بالنظر إليه ، وعرف أني من أهل العلم فأنس بي وكان يكرمني إذا دخلت إليه إلى أن قيل لي في يوم من الأيام : إنَّ غداً يوم المظالم وإنه يقعد فيه للنظر بين الناس ، فحضرت غداة هذا اليوم فشاهدت هيبة عظيمة ، ورأيت الأمرآء والقواد والرجالة وقوفا بين يديه على مراتبهم وهو ينظر في القصص ويسمع الظلامات ، ويفصل الأمور ، فكأني شاهدت رجلا غير من كنت شاهدته وبهرتني هيبته ، فادعى رجل على رجل حقًا ، وأنكره المدعى عليه ، وسأله البينة فأتى بها فحلف الشهود فعجبت من ذلك ، فلما تفرق الناس دنوت منه ، فقلت : أيها الإمام رأيتك حلفت الشهود! فقال : هذا رأيي ، أنا أرى تحليف الشهود احتياطا عند بعض التهمة ، وما ينكر من هذا؟هذا قول طاووس من التابعين وقد قال الله تعالى : ﴿ **فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا** ﴾ [المائدة:١٠٧] . قال : فاستفدت في تلك الحال منه مذهبه ، وقول من قال به من التابعين والدلالة عليه ، ولم أكن عرفت شيئا منه قبل ذلك .

وأنفذ إلي يوما من الأيام يقول : إن كان في مالك لله[١] حق زكاة فأخرجه إلينا ، فقلت : سمعا وطاعة من لي بأن أخرج زكاتي إليه وحسبت حسابي فإذا علي من الزكاة عشرة دنانير فأنفذتها إليه ، فلما كان بعد يومين[٢] بعث إلي

---

(١)في (أ) لا توجد : (لله) .

(٢)في (أ) : يوم .

فاستدعاني وإذا هو يوم العطاء، (قد جلس لذلك)[1] والمال يوزن ويخرج إلى الناس، فقال: أحضرتك لتشهد إخراج زكاتك إلى المستحقين، فقمت وقلت: الله الله أيها الإمام كأني أرتاب بشيء من فعلك، فتبسم وقال: ما ذهبت إلى ما ظننت ولكن أردت أن تشهد إخراج زكاتك. وقلت له يومًا من الأيام: رأيتك أيها الإمام أول ما رأيتك وأنتَ تطوف على المرضى في المسجد تعودهم وتمشي في السوق، فقال: هكذا كان آبائي، كانوا يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق، وأنتَ إنَّما عهدت الجبابرة والظلمة.

وكانت له عليه السلام مواقف مشهورة في الجهاد في سبيل الله عز وجل، فمن ذلك ما رواه مصنف سيرته[2]: أنه كان في بعض أيامه مع بني الحارث، فانتقوا من خيلهم ما يدنو من أربعين فارسًا مدججة في السلاح، وأمروهم أن لا يقاتلوا وأن يقفوا حتى إذا رأوا الهادي عليه السلام حملوا عليه، فوقفوا، وبلغ إلى الهادي عليه السلام خبرهم فلم يعبأ بهم، ولما رآهم حمل عليهم بنفسه فما وقف له منهم فارس واحد، فأدرك منهم فارسًا واحدًا فطعنه وألقاه وفرسَه في أراكة، وانهزم القوم وعطف عسكره وقتل منهم عليه السلام بيده جماعات كثيرة لم يثبت عددها هو ولا غيره، غير أنه كسر ثلاثة رماح، وضرب بسيفه حتى امتلأ قائم سيفه علقًا، ولصقت أنامله على قائم سيفه بالدم، وفي ذلك يقول عليه السلام:

طرقت لعمرك زاهر مولاها — والحرب مسعرة يُشب لظاها

طرقت تبختر في الحلي وفي الكسا — إن الخريدة همها وهواها

تكسو مناكب زانها أعجازها — عند التعانق حلة ورداها

أقنى حياك فحلتي يوم الوغا — درع أعانق جيبها وعُراها

---

(١) في (أ): ما بين القوسين ساقط.

(٢) سيرة الهادي ١٦٩ - ١٧٠.

نحن الفواطم لهونا طعن القنا	ومدامنا حرب تدور رحاها
هلا سألت فتخبري إن لم تري	إذ سار يطلب مهجتي أعداها
لاح الصباح وأبرقوا بكتيبة	شهبا تدفق خيلها وقناها
والجيش في أيديه كل عقيقة	أَلْقَيْنُ أحكم سَنَّها وجلاها
والمشرفية في أكف حماتنا	تحكي البوارق لمعها وسناها
والخيل تنحط بالفوارس والقنا	فوق الفوارس في الوغى أجراها

ومنها:

غريت أنامل راحتي بصفيحتي	لله در خُبَعْثن[1] أغراها
ما كان إلا نطحة فتراكبت	أُولى كتائبها على أخراها
وانفض جمع خميسهم عن وقعة	فيها جنائز ثجحّت أحشاها

وفي أخباره عليه السلام أنه انهزم أصحابه عليه السلام عنه في ريدة، فثبت في وجه عدوه في عدة يسيرة حتى عاد أصحابه فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وقال عليه السلام في ذلك اليوم:

الخيل تشهد لي وكل مثقف	بالصبر والإبلاء والإقدام
حقًا ويشهد ذو الفقار بأنني	أرويت حدّيه نجيع طغام
علاً ونهلاً في المواقف كلها	طلبًا بثأر الدين والإسلام
حتى تذكر ذو الفقار مواقفًا	من ذي الآياد السيد القمقام
جدي عليّ ذو الفضائل والنُّهى	سيف الإله وكاسر الأصنام
صنو الرسول وخير من وارى الثّرى	بعد النبي إمام كل إمام[2]

---

(١) «خبعثن»: الأسد. القاموس ص١٥٤٠.

(٢) سيرة الهادي ٢٢٣-٢٢٤.

وقال عليه السلام وأمر بها إلى بني الحارث بنجران مع كتاب :

خذوا حذركم مني فإني مسير ... إليكم جيوش الله والله غالبُ

يسيرون للباغين حزب محمد ... عساكر تملأ الأرض منها المقانبُ

على شُزَّبٍ[1] تعدوا بكل سميدع ... بأيديهم البيض الرقاق القواضبُ

وخَطِّيَّةٍ زرق العوالي جنابها ... مخوف لدى الأبطال ما إن تقاربُ

بأيدي رجال أهل بأس لخوفهم ... تشيب لدى الحرب العوان الذوآئبُ

وما حبسها إلا فواق عن أرضكم[2] ... وتجلب حولي للمسير الكتآئبُ

وتلقونني مستبصراً في جهادكم ... وعندكمُ مني لعمري التجاربُ

فلم أر مثل الحرب أوقد نارها ... أخو غِرَّةٍ دارت عليه المصآئبُ

قويٌّ على تأجيجها بدء أمره ... ضعيف إذا اشتدت عليه العواقبُ

يعنّف من يأبى عليه احتلابها ... ويسلبه إن كان يومًا يقاربُ

يُضرِّمها حتى إذا ما تأججت ... وعاينني ضاقت عليه المذاهبُ

فيطلب سلمي حين لا سلم والذي ... إلى بيته بالركب تهوي الذعالبُ[3]

أراد خلاصًا بعد ما غص بالذي ... جنت كفه فهو الشقي المطالبُ

فلا تحسدنه أكلة إن غدا بها ... تقيسيهُ إياها الرماح الزواغبُ

فويل لمن أضحى يهم بحربنا ... وويل لمن لم يدر من ذا يحاربُ

يحارب ضرغامًا يحامي عَنِ اشبلٍ ... له صولة مخشية ومخالبُ

فروس لما داناه حتف لقآؤه ... أخو حملات قِرنه منه خآئبُ

يدانيه جُهّال الرجال بأمره ... ومن كان ذا علم به فهو هآئبُ

---

(١) الشازب : الخشن . القاموس ص١٢٩ .

(٢) هكذا في النسخ ، في سيرة الهادي ع : ، ما حبسها إلا فراق عن أرضكم .

(٣) أي النوق السريعة .

يخوض غمار الموت نحو عدوه ‏ ‏ ‏ ‏ له سطوة معروفة ومناقبُ
جريء على الهول العظيم مصمم ‏ ‏ ‏ ‏ حليف اللقا قد كدَّحته النوآئب[1]

وفي الحكاية: أنه عليه السلام لما بايعه أبو العتاهية واستقر في صنعآء، وكره الجفاتم وغيرهم دخوله صنعآء، واصطفوا قدَّام داره وهو في مجلسه مشرف عليهم، فأتاه أبو العتاهية فقال: يا ابن رسول الله لا تعجل فإني أرجو أن تؤول الأمور إلى المحبوب، فقال له: أنفذ إليهم فاصرفهم عن موضعهم فوالله لئن برزت إليهم لأنظمنهم في رمحي كما ينظم الجراد في العود، فرجع أبو العتاهية إليهم فناشدهم الله فلم يقبلوه ورموه بالحجارة والنبل، واجتمع معهم من الغوغاء وأهل الباطل عشرة آلاف رجل وستمآئة فارس بالجفاتم، ثم وقع القتال بالقرب من دار الهادي، جعلوا يرمون كوّاً في مجلس الهادي بالنشاب والنبل، فأتى أبو العتاهية إلى الهادي عليه السلام فقال: اركب جعلت فداك، فركب الهادي عليه السلام وأمر ابنه أبا القاسم فركب وأمر أصحابه بالركوب فخرج الهادي من داره فلما عاينه القوم وكانوا قد هزموا أصحابه حتى أدخلوهم الدار ورجعوا إلى موضعهم وحقق عليهم الهادي، وحمل عليهم وحدهُ ومعه رجل من أصحابه، فلما قاربا القوم وقف عنه صاحبه، ومضى الهادي فطعن أول من لقيه من القوم فقتله، ثم طعن أخر، ثم طعن أخر، حتى طرح منهم ثلاثة رجال من خيارهم، ثم لحق الخيل فطعن فارسا منهم فطرحه، وكان طعنه لهؤلآء القوم في حملته التي حمل عليهم، وصدق قوله فنظمهم في رمحه كما وعدهم[2].

قال الراوي: فسمعته عليه السلام يقول بعد ذلك: والله ما ندمت على شيء قلته إلا قولي لأبي العتاهية: إن خرجت إلى هؤلآء الكلاب نظمتهم في رمحي كما

---

(١) سيرة الهادي ٢٧٩.

(٢) سيرة الهادي ٢٠٩.

تنظم الجراد في العود، فندمت على هذه الكلمة حتى أعطى الله عليهم الظفر فكان ما علمتم، فآليت على نفسي أن لا أتكلم بمثل ذلك أبدا، وانهزم أعدآؤه عليه السلام حتى خرجوا من صنعآء وهو في آثارهم يطردهم، وقتل عسكره منهم جماعة في الجبانة، ثم عاد مظفرا منصورا[1].

ومن شعره عليه السلام قوله من قصيدة:

فما العز إلا الصبر في حومة الوغى	إذا برقت فيها السيوف اللوامع
هل الملك إلا العز والأمر والغنى	وأفضلهم من هذبته الطبائع
ومن لم يزل يحمي وينقم ثأره	ومن هو في الحالات يقظان هاجع
يقلب بطن الرأي فيه لظهره	ويمضي إذا ما أمكنته المقاطع
ونحن بقايا المرهفات وسؤرها	إذا كان يومًا ثاير النقع ساطع
يموت الفتى منا بكل مهند	وأسمر مسنون الشبا وهو دارع
فتلك منايانا وإنا لمعشرٌ	من الناس في الدنيا النجوم الطوالع
أبونا أميرُ المؤمنين وجدُنا	رسول الذي منه تتم الصنائع
نهضت ولم أعجز وقلت مواعظا	ذخائر علم إن وعاهن سامع
فكم قائل في نفسه وضميره	أيا واعظًا في ذا كلامك ضائع
فكيف غناء الكف عند اجتهادها	إذا لم تُعنْها بالفعال الأصابع
بنيت لهم بيتًا من المجد سمكه	دوين الثريا فخره متتابع
فأضحى لهم عزّ به ومفاخرٌ	وذكر ومجد شامخ الفضل يافع
نعشت كتاب الله بعد هلاكه	فليس بغير الحق يزمع زامع

وقال عليه السلام في بعض وقآئعه:

---

(١) سيرة الهادي ٢٠٩-٢١٠.

آلا لـــلــــه عـــين مـــن رآنـــا ... وأشـبـاه الكلاب لدى القـتـال

وقـد سـرنا إليـهم في جـيـوش ... مظفـــرة تـزيف[1] إلـى النـزال

بأيديهم بواتر قـاطعـات ... تزاح بهن أقـحـاف القـلال

إذا مـا حُكِّمَتْ في القـوم يومًا ... أطاع لحكمـهـا غُلْبُ الرجـال

وسـمـر رُكِّـبَتْ فـيـهـا المنايا ... فـحل الموت في روس العـوالي

وزور عُكِّفت للحـرب صـفـر ... على أكـبـادها زرق النصـال

إذا مـا قـابلت جـيـشًا أحلت ... بهم من وقـعـهـا أنكى النكال

ترنم في الصـفـوف إذا تدانت ... ويذهب وقـعـهـا كـذب المقـال

فـصـبـحناهمُ بالخيل قـبًّا[2] ... ترامى في الأعنة كـالسَّـعَـال

مـجـعـفـة بثـأر الحق قـامت ... فـنـالـت مـنـهـم كـلَّ المـنـال

عليـهـا كل أروع مـصـرخي ... تسـربل سـابغ الحلق المذال

فـأعـذرنا ولم نعـجل عليـهم ... وخـيـرناهم كل الخـصـال

وقلت ألا احـقنوا عني دمـاكم ... وإن لا تحـقـنوها لا أبالي

ولست بمسـرع في ذاك حـتى ... إذا مـا كُـفْـر كـافـركم بدا لي

وحلـت لـي دمـاؤكـم بحق ... وإخـراب السـوافل والعـوالي[3]

ومنها قوله عليه السلام:

أنا ابن مـحـمـد وأبي علي ... وجـدي خـيـر منتـعل وخـالي

بحـذوهـم لعـمـركم إحـتـذائي ... كـمـا يحـذو المثـال على المثـال

أنـا المـوت الـذي لا بـد مـنـه ... على من رام خـدعي واغـتـيـالي

---

(١) في (أ): ترمن .

(٢) مصدر وقَبَّ وهو حكاية وقع . القاموس ١٥٧ .

(٣) سيرة الهادي ٣٠٦-٣٠٧ .

وغـيث للولـي إذا وَلـيٌّ أتاني يبـتـغي مني نوالي
أخـوض إلى عـدوي كل هـول وأصـبـر عند مـعـترك النزال[1]

وكـان عليه السلام شديد[2] التفقد لأحوال المسلمين، حسن الإنصاف للمظلومين من الظالمين. قال مصنف سيرته رحمه الله تعالى[3]: رأيته ليلة وقد جآءه رجل ضعيف يستعدي على قوم، فدق الباب فقال: من هذا يدق الباب في هذا الوقت؟ فقال له رجل- كان على الباب: هذا رجل يستعدي، فقال: أدخله، فاستعدى ووجه معه في ذلك الوقت ثلاثة رجال يحضرون معه خصماءه، وقال لي: أبا جعفر، الحمد لله الذي خصنا من نعمه، وجعلنا رحمة على خلقه، هذا رجل يستعدي إلينا في هذا الوقت لو كان واحدا من هؤلآء الظلمة ما دنا إلى بابه في هذا الوقت مستعد، ثم قال: ليس الإمام منا من احتجب عن الضعيف في وقت حاجة ملظة.

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[4] بإسناده عن بعضهم، قال: سمعت علي بن العباس، يقول: كنا عنده يوما وقد حمي النهار وتعالى، وهو يخفق رأسه فقمنا فقال: أدخل وأغفو غفوة، وخرجت لحاجتي وانصرفت سريعا وكان اجتيازي على الموضع الذي يجلس فيه للناس، فإذا أنا به في ذلك الموضع، فقلت له في ذلك: فقال: لم أجسر على أن أنام، وقلت: عسى أن ينتاب الباب مظلوم فيؤاخذني الله بحقه فوليت راجعا كما دخلت.

وقد كان علي بن الفضل القرمطي -لعنه الله ظهر في اليمن، وتقوت شوكته وأعلن بالكفر، حتى روي عن بعضهم: أنه كان عُنْوَانُ كُتُبِه إلى أسعد

---

(1) المصابيح ٥٨٥.
(2) في (أ): كثير.
(3) سيرة الهادي ٦٢.
(4) الافادة ١١٣.

ابن أبي يعفر : من باسط الأرض وداحيها ، ومزلزل الجبال ومرسيها ، علي بن الفضل إلى عبده أسعد بن أبي يعفر .

وتظاهر بمذهب المجوس ، وأمرهم بنكاح الأمهات والأخوات وشرب الخمر ، وأمر من كان معه أن يسلموا الأموال والحرم ويخرجوا إليه من جميع ما في أيديهم ، فشذ منهم جماعة ولحقوا ببلدانهم ، وثبت هو ومن أقام معه على كفرهم ، فكان يجمع من عنده من النساء في دار ، فإذا كان ليلة الجمعة جمع الرجال فأرسلهم على النساء ، فتقع الأم للابن والأخت مع الأخ فيفجروا بهن في ليلتهن فمن امتنع من ذلك قتله وأباح حرمته .

وروي أنه تسمَّى : برب العالمين . وروي أنه كان يؤذن المؤذن في عسكره : أشهد أن علي بن الفضل رسول الله ، وكان ذلك في المذيخرة ، وتقوت أمورهم واستحكمت في كثير من نواحي اليمن ، وغلبوا على صنعآء ، فلما كان كذلك بعث الهادي عليه السلام جماعة من قواده وعسكره فقصدوا صنعآء فحاربوا الباطنية ، وأخرجوهم منها ودخلوها يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة باقية من رجب سنة سبع وتسعين ومآئتين ، فأقاموا بها أياما وآمن أهلها ، ثم بعث الهادي ابنه أبا القاسم عليهما السلام إلى صنعآء في عسكر ، فدخل يوم الاثنين لعشر ليال خلت من شعبان سنة سبع وتسعين ومآئتين ، فأقام بصنعآء وبعث إلى مقرا وألهان وحراز وهوزن فدخلت جميعا ، وقتل من دعاة القرامطة جماعة[1] .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[2] بإسناده عن علي بن العباس رحمه الله قال : دخلت على يحيى بن الحسين عليه السلام بُعيد السحر والشموع بين يديه وقد تدرع وتسلح لقتال القرامطة ، وقد هجموا بجموعهم وقضهم وقضيضهم ، فوجدته

---

(١) المصابيح ٥٧١ ، والإفادة ١٠٨ .

(٢) الافادة ١١١ .

مفكرا ومطرقا، فقلت: يظفرك الله بهم أيها الإمام ويكفيكهم فطالما كفى، فقال: لست أفكر فيهم فإني أود أن لي يوما كيوم زيد بن علي عليه السلام، ولكن بلغني عن فلان- وذكر بعض الطالبية- كذا وكذا من المنكر فغمّني، فقال بعض من حضر: ويفعل أيضا كذا وكذا من المنكر، فقال: سوءة لذلك الشيخ.

وروي أنه كان له عليه السلام مع الباطنية نيف وسبعون وقعة التي حضرها بنفسه[1]، وروى السيد أبو طالب عليه السلام[2]: أن القرامطة لما غلبوا على صنعاء، ورئيسهم رجل من تجار الكوفة يعرف: بعلي بن الفضل وادعى النبوءة، وسمع من عسكره التأذين: بأشهد أن علي بن الفضل رسول الله، واجتمع إلى هذا الرجل عدد كثير من أهل اليمن وغيرهم، وهمّ بأن يقصد الكعبة ويخربها، فبلغ ذلك يحيى بن الحسين عليه السلام، فجمع أصحابه وقال: قد لزمنا الفرض في قتال هذا الرجل، فجبن أصحابه عن قتالهم، واعتذروا بقلة عددهم وكثرة عدد أولئك، وكان أصحابه في ذلك الوقت المقاتلة منهم ألف رجل، فقال لهم الهادي: أتفرون وأنتم ألفا رجل؟ فقالوا: إنما نحن ألف، فقال: أنتمْ ألف وأنا أقوم مقام ألف وأكفي كفايتهم، فقال له أبو العشائر من أصحابه- وكان يقاتل راجلا: ما في الرجالة أشجع مني، ولا في الفرسان أشجع منك، فانتخب من الجميع ثلاث مائة رجل، وسلّحهم بأسلحة الباقين حتى نُبيتهم، فإنا لا نفي بهم إلا هكذا، فاستصوب عليه السلام رأيه، فأوقعوا بهم ليلاً وهم ينادون بشعاره عليه السلام: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، فمنحوه أكتافهم، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنم منهم شيئا كثيرا.

وله عليه السلام ليلة تشبه ليلة الهرير لأمير المؤمنين عليه السلام في وادي المغمة. سمعت الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع رضي الله عنه، يحكى أنه قتل فيها مائة

---

(١)الإفادة ١٠٩، والمصابيح ٥٧١، والشافي ١/٣٠٣.

(٢)الافادة ١٠٨.

قتيل من أعدآء الله بنفسه هو، وقتل ولده المرتضى عليه السلام ما يدنو من ذلك[1].

وقام عليه السلام يقرر الدين، وينشر العدل في العالمين على موافقة السنة النبوية، والشريعة الحنيفية، واستولى على ذمار وحيشان، وبعث عماله إلى عدن، ودوخ ملوك اليمن، وطرد جند بني العباس من الجفاتم، وأنصارهم من صنعاء ومخاليف اليمن، ونزل إلى تهامة بعد أن حَلَفَ له رؤساؤها على طاعته، فغدروا به وقتلوا طآئفة من جنده، وبقي في عدة يسيرة في مقاتلتهم، ثم قتل منهم مقتلة عظيمة، ودان له كثير من البلاد على كثرة المعارض له من الرؤسآء والأكابر وقوتهم. وكان عليه السلام يُمرِّض أصحابه، ويداوي جرحاهم بيده، ويعود مريضهم حتى مضى عليه السلام محمود الأثر، زكي العمل، قد أحيا السنن الداثرة، وأمات المذاهب الخاسرة.

وفاته عليه السلام:

وتوفي عليه السلام بصعدة يوم الأحد لعشر باقية من ذي الحجة آخر سنة ثماني وتسعين ومآئتين، ودفن يوم الأثنين قبل الزوال، ومضى عن ثلاث وخمسين سنة، وقد كان اعتلّ علة شديدة، إلا أنه مضى وهو جالس لم تتغير جلسته[2].

ذكره السيد أبو طالب عليه السلام. ودفن عليه السلام ورحمة الله عليه في عدني المسجد الجامع بصعدة، وقبره مشهور مزور، وفيه يقول بعض الشعرآء:

عــرِّج على قــبــر بصــعــدة   وابك مــرمــوســا بآمُل

واعلم بأن المقــتــدي   بهــمــا سيــبلُغ حيث يامُل

أولاده عليه السلام: محمد المرتضى، وأحمد الناصر، وفاطمة، وزينب. أمهم: فاطمة ابنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم، والحسن. أمُّهُ: صنعانية[3].

---

(١) الشافي ١/ ٣٠٣.

(٢) المصابيح ص٥٨٢، والإفادة ص١١٥، ١١٦.

(٣) الإفادة ص١٥٧.

ذكر نكت من كلامه عليه السلام:

قال عليه السلام: أصل الخشية لله العلم، وفرع الخشية لله الورع، وفرع الورع الدين، ونظام الدين محاسبة المرء نفسه، وآفة الورع تجويز المرء لنفسه الصغيرة من فعله، وأصل التدبير هو التمييز، وأصل التمييز هو الفكر، ومن لم يَجُدْ فكره لم يجد تمييزه، ومن لم يجد تمييزه لم يستحكم تدبيره، والعقل كمال الإنسان، والتجربة لقاح العقل، ومن لم ينتفع بتجربته لم ينتفع بما ركب فيه من عقله، وشكر المنَّة زيادة في النعمة، والنعمة لا تتم لمن رُزِقَها إلا بشكر مُوْلِيها، ومن أغفل شكر الإحسان فقد استدعى لنفسه الحرمان، ومن أراد أن لا تفارقه نعم الله فلا يفارق شكر الله، وحصن الرأي التأني، وآفته العجلة إلا عند بيان الفرصة، ومن علم ما لله عنده لم يكد يهلك، ومن أراد أن ينظر ماله عند الله فلينظر ما لله عنده، ثم ليعلم أن له عند الله مثل ما لله عنده، قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وجودةُ اللسان زين الإنسان، وحياة القلب أصل البيان، ومن فكر في عواقب فعله نجا من موبقات عمله، وصاحب الدين مرهوب، وصاحب السخاء محبوب، وصاحب العلم مرغوب إليه، وذو النصفة مثني عليه، ومن كفى الناس مؤونة نفسه كفاه الله مؤونة غيره، ومن خضع وتذلل لله فقد لبس ثوب الإيمان، ومن لبس ثوب الإيمان فقد تتوج بتاج العزة من الرحمن، فالله سبحانه يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ومن رُزِق[1] نزاهة النفس فقد أُعطي عوضاً من العبادة، ومن وفق للصبر عند البلاء فقد خفت عليه المحنة العظمى، ومن أراد من الله التسديد والتوفيق، فليعمل لله بالإخلاص والتحقيق، والعلم والحكمة لا

---

(١) في (أ): فمن رزقه الله.

ينموان مع المعصية، والجهل والحيرة لا يقيمان مع الطاعة، ومن وفق أمن من الزلل، ومن خذل لم يتم له عمل، ولم يبلغ غاية من الأمل، ومن قويَ ناظرُ قلبه لم يضره ضعف بصره، قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦]، ومن نظر إلى نفسه بغير ما هو فيه فقد أمكن الناس من الطعن عليه، ودوآء العي قلة الكلام، ودوآء الجهل التعلم، ودواء الخوف من عذاب الله العمل بطاعة الله والترك لمعاصيه وحسن الأوبة إليه عز وجل، ومن رغب في الله اتصل به وانقطع على الحقيقة إليه، ومن لم يهتد إلى أفضل العبادة وأسناها فليقصد لمخالفة النفس في هواها، والعلم مصباح في صدور العلمآء؛ زينته الورع، وذبالته الزهد في الدنيا، ولا يصلح الورع إلا لمن صلح له الزهد في الدنيا، والورع والمكالبة على الدنيا لا يجتمعان أبدا، كما لا يجتمع في إنآء واحد النار والمآء، ومن اشتدت رغبته في الدنيا طلب لنفسه التأويلات، وتقحم بلاشك في المهلكات، وكان عند الله من أهل الخطيئات، وصاحب الدنيا الراغب فيها كالحسود لا يستريح قلبه من الغم أبدا، ولا يخلو فكره من الهم أصلا، ولو أُعطي منها كل العطاء. والحلم مع الصبر، ولا حلم لمن لا صبر له، وعروق الحكمة التي تضرب في الصدور هي طاعة الله، ولا تثبت الحكمة إلا مع الطاعة، ومن عدم الحكمة عدم النعمة، والحكمة كالشجرة: عروقها الطاعة، وثمرتها البلاغة. وأصل البر اللطف، وفروعه النصفة، وأصل العقوق قلة النصفة، وفرعه الجفاء، وأصل الحمق قلة العقل، وفرعه العجب بالنفس.

وقال عليه السلام في بعض مواعظه: فاستعدوا أيها الغافلون لمناقشة العدل الجبار، ومحاسبة الواحد القهار، في يوم تظهر فيه أسرار قلوب العالمين، وتتضح فيه أخبار المعتدين، وتبطل فيه تأويلات المتأولين، ويحكم فيه بالحق أحكم الحاكمين، فيفوز الصادقون، ويعطب المبطلون، ويتجلى الحق للناظرين، ويبطل كذب

الكاذبين، وتشهد الملائكة عليهم بالحق اليقين، وتبين ما في ضمآئرهم آلات جوارحهم عند ختم أفواههم، وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم عليهم بفضآئحهم، وما هم من قِبَل دين نبيهم، والإعراض عن فرض ربهم، والجهاد في سبيل اللّه، وفي ذلك ما يقول الرحمن، فيما نزل بواضح النور والفرقان، حين يقول: ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ على أفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس:٦٥]، يا أبناء الدنيا، وإخوان الشقاء، الْتَقَم كل واحد منكم خلفا من ضروع دنياه، وترك طريق رشده وهداه، وأعرض عن طريق[١] النصيب من آخرته وتقواه ﴿ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ * كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ [التكاثر:٣-٨]. وقال عليه السلام: يا عبيد الدنيا، ويا أُلاف الشقاء، ويا أتباع الهوى ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولَى * أَزِفَتِ الآزِفَةُ * لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾ [النجم:٥٦-٥٨]، وأَنْتُمْ ساهون، لاهون، تلعبون، ولطول الأمان تركضون، وفي ميدان[٢] الغرور تقلبون، ولغاية لا تبلغونها تستبقون، وفيما نهيتم عنه تنافسون، حال والله الأجلُ دون ما أنتم فيه من طول الأمل، أفنيتم أعمـاركم في هلاك أنفسكم، وغررتموها بكاذب تأويلكم، وخدعتموها بزخاريف أقاويلكم، فخزيكم يوم تبدو فضآئحكم، ويا شماتة أعدآئكم عند مجازاتكم بسيئ أفعالكم، ﴿ مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ * وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُم فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَاكُنْتُم تَعْمَلُونَ ﴾ [النمل:٩٠].

ومن ذلك قوله عليه السلام: يا عبيد الدنيا وعبيد ما يفنى أحيط بكم وأنتم لا

---

(١)في (أ) : طلب.

(٢)في (أ) : ميادين.

تعقلون، وذهبتم وأنتُمْ لا تفقهُون، وزلزل بكم وأنتم لا تعلمون، ونزل بساحتكم وأنتم ساهُون غافلون، وفي جميع الذنوب على أنفسكم معترفون، وعن التوبة والأوبة نائمون، وفي هلكة أنفسكم تسرعون، ﴿ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ * أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ * فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾ [الصافات:١٧٤-١٧٧]. يا أبناء الدنيا ويا عبيد المنى، كيف بكم إذا دُعيتم إلى الحساب، وخفت موازينكم في كل الأسباب، وعظمت أوزاركم عند رب الأرباب، فحللتم باكتسابكم في أشد العذاب، وحُرمتم باجترامكم جزيل الثواب، كيف بكم إذا جُرعتم الحميم فقطع أمعآءكم، وأُطعمتم الزقوم فصدّع أكبادكم، كيف بكم إذا أحمي على ما تجمعون وتكنزون به، فتكوى بها جباهكم وجنوبكم وظهُوركم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون.

كيف بكم يا أبناء الدنيا وخدمها، وألافها وعبيدها، إذا سجنتم في الحميم، وخلفتم في العذاب الأليم، تستغيثون فلا تغاثون، وتتوبون فلا تقبلون، وتسترحمون فلا تُرحمون، وتستقيلون فلا تقالون، وتطلبون فلا تطلبون، ﴿ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ * أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [المؤمنون:١٠٣-١٠٥]، ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء:٥٦] ﴿ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [ابراهيم:٤٩-٥١].

يا أبنآء الدنيا، وحلفآء الشقآء، كيف بكم إذا وقعت الحسرة والندامة، كيف بكم إذا حُشرتم إلى عذاب الله يوم القيامة، كيف بكم إذا كنتم فيها أنتم والغاوون

وجنود إبليس أجمعون، كيف بكم إذا التفت الساق بالساق، إلى ربك يومئذ المساق، كيف بكم إذا خليتم عن الأزواج والأموال والأولاد، وسكنتم مساكن الموتى، وصرتم إلى محل الفناء والبلاء، وفارقتم ما غركم من الحياة الدنيا، وصرتم بالتبعات مطلوبين، وبالمظالم مأخوذين، وبالاشتغال عن الله معذبين، وعن التقصير مسائلين نادمين سادمين باكين معولين[1]، ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ * تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ * وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ [المعارج: ١١-١٨]. يا رعاع الدنيا المحافظين عليها المثابرين على خدمتها، حفظتموها فضيعتكم، وأكرمتموها فأهانتكم، وآثرتموها فرفضتكم، وتقربتم منها فأبعدتكم، وعمرتموها فأخربتكم، واستحليتموها فقتلتكم، وأحببتموها فأبغضتكم. يا أبنآء الدنيا، وعمار الدنيا الفانية، ويا أعدآء الآخرة، والدار الباقية، اشتريتم اليسير الفاني بالكثير الخطير الباقي، أهونوا يا مساكين بما اشتريتم، وأكرموا يا أهل الشقآء بما بعتم، وأعظموا خطرًا ما خلفتم وتركتم، فلا يبعد الله إلا من أطاع الشيطان وعصى الرحمن.

وكلامه عليه السلام في هذا المعنى كثير جم غزير، وإنما حكينا اليسير، وفيه كفاية.



---

(١) في (أ): ناكسين مغلولين.

الإمام النّاصر للحق عليه السلام[1]

هو: أبو محمد الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن عمر الأشرف بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

أحسابٌ وافرة ووجوه ناضرة، وآباء أخيار أفاضل أبرار، يستشفى بيُمن بركتهم من عوارض الأسقام، ويستدفع بهم طوارق الليالي والأيام، ولِمَ لا!! وقد قال صلى الله عليه وآله: «عند ذكر الصالحين تنزل البركةُ»[2] فإذا كان هذا في الصالحين عمومًا فكيف بسفن النجاة، وماء الحياة من عترة النبي الأوّاه، ولله القائل:

قوم بهم وبجدهم ... نرجوا النجاةَ مع النجاحِ
وصلوا السيوف بخطوهم ... فإذا الممنع كالمباحِ
جبريل خادم جدهم ... أولاد حيٍّ على الفلاحِ

وأمه عليه السلام: حبيب أم ولد مجلوبة من خراسان، وولد بالمدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام[3].

صفته عليه السلام، قال السيد أبو طالب عليه السلام[4]: كان عليه السلام طويل القامة، يضرب إلى الأدمة، به طَرَش من ضربة أصابت أذنه بحادثة اتفقت عليه بنيسابور أو بناحية

---

(١) الإفادة ١١٧، والتحف شرح الزلف ١٨٤، وتاريخ الطبري «حوادث سنة ٣٠٢هـ»، وجمهرة أنساب العرب ٤٥، والشافي ١/ ٣٠٨، والكامل لابن الأثير ٦/ ١٤٤، والأعلام ٢/ ٢٠٠، والفلك الدوار ١٥، وعمدة الطالب ٣٤٠، وأعيان الشيعة ٥/ ١٧٩، وشهداء الفضيلة ١-٦، وتاريخ ابن خلدون ٤/ ٢٥، الدور الفاخر ٢٤٦، ومروج الذهب ٤/ ٣٧٣، وتأسيس الشيعة ٣٣٧، وتاريخ اليمن للواسعي ٢٣.

(٢) كشف الخفاء ٢/ ٧٠ بلفظ: «وتترك الرحمة».

(٣) الإفادة ١١٧.

(٤) الافادة ١١٧.

جرجان فقد اختلفت الرواية[1]، فقيل: إنه خرج إلى نيسابور في أيام المعروف بمحمد بن عبدالله السجستاني طامعا في أن يتمكن بها من الدعاء إلى نفسه، فتوفر عليه السجستاني وأكرمه.

وشرع في الدعوة سراً، وأجابه مع كثير من قواده وغيرهم. وذكر بعض من صنف أخباره أن ذلك في ناحية جرجان لما وردها الخجستاني وانحاز عنها الحسن ابن زيد، أحوج عليه السلام إلى الإقامة هناك، فسعى به بعض من كان وقف على أمره، فأخذه واعتقله وضربه بالسياط ضربا عظيما، ووقع سوط في أذنيه؛ فأصابه منه طرش، واستقصى عليه في أن يعترف بما كان منه، ويعرفه أسامي أصحابه فثبت على الإنكار، ثم أفرج عنه. وقيل: إن محمد بن زيد كاتبه في معناه، والتمس منه تخلية سبيله فعاد إلى جرجان. وقيل: إنه تخلص بخروج الخجستاني من جرجان وهذا قول من ذكر أن النكبة اتفقت عليه بناحية جرجان، وكان الخجستاني حين ضربَهُ حبسَهُ في بيت الشراب، وفيه زقاق فيها خمر؛ لأنه علم أنه يشتد عليه مقاربة موضع فيه خمر، وكان الناصر عليه السلام يقول: قويت برائحة تلك الخمور، فقيل له: أيُّها الإمام لو أُكرهتَ على شربها ما الذي كنت تصنع؟ فقال: كنت أنتفع بذلك ويكون الوزر على المُكره! وهذا من مليح نوادره ومزاحه الذي لا يجاوز الحق[2].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام جامعًا لخصال الكمال، فائزًا بمحاسن الخلال، قد تسنم ذروةَ الشرف العليَّة، وخيم في عوالي رتب المجد السنية، وفيه ورد الأثر عن النبي صلى الله عليه وآله رواه بعض علمائنا رحمهم الله تعالى أنه صلى الله عليه وآله لما سأله أنس عن علامات

---

(١) الافادة ١٤٧.

(٢) الإفادة ١١٨.

الساعة قال: «من علاماتها خروج الشيخ الأصم من ولد أخي مع قوم شعورهم كشعور النسآء بأيديهم المزاريق» وهذه كانت صفته عليه السلام وصفة أصحابه.

وفيه ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته أنه قال: يخرج من نحو الديلم من جبال طبرستان فتًى صبيح الوجه يسمى باسم فرخ النبي صلى الله عليه وآله الأكبر، يعني الحسن بن عَلِيّ عليهما السلام[1].

وفي الخبر لما أغرقَ الله تعالى الأرض لم يصب جبال الديلم الغرق، فَسألتِ الملآئكةُ عليهم السلام ربَّها عن ذلك؟ فقال: إنه يخرج فيها رجل من ولد النبي الأميّ.

وكان عليه السلام قد نشأ على طريقة[2] سلفه الأكرمين سلام الله عليهم أجمعين، جامعًا بين العلم والعمل، وبرز في فنون العلم حتى كان في كل واحد منها سابقًا لا يجارى، وفاضلا لا يبارى.

قال السيد أبو طالب[3]: وكان له عليه السلام مجلس للنظر، ومجلس لإملآء الحديث، وكان يركب إلى طرف البلد، ويضرب بالصولجان للرياضة، فإذا ركب اجتمع فقهاء البلد وأهل العلم كلُّهم إلى المصلى وجلسوا فيه، فإذا فرغ من ذلك عدل إليهم عليه السلام وجلس وأملى الحديث، وكان يحضر جنآئز الأشراف وكبار الفقهآء بنفسه.

وحُكيّ أنه عليه السلام حضر لعزى بعض الأشراف، فلما سمع البكاء من داره قال: هذا الميت الذي يُبكى عليه مات حتف أنفه على فراشه وبين أهله وعشيرته، وإنما الأسف على أولئك النفوس الطاهرة التي قُتلت تحت أديم السمآء، وفرق بين

---

(١) أنظر المصابيح ٦٠٥.

(٢) في (أ): على ما نشأ عليه.

(٣) الافادة ١٢٥.

الأجساد والرؤوس وعلى الذين قتلوا في الحبوس، وفي القيود والكبول. وخطب في هذا المعنى خطبة حسنة، وقال: آه آه في النفس حزازات لم يشفها قتلى بورود. يعني: الخراسانية الذين قُتِلُوا في ذلك المكان حين هزمهم[1].

وكان القاضي أبو عبدالله الوليدي يلزم مجلسه ويعلق جميع ما يسمعه، مما يتصل بالعلم والأدب ويتعلق بضرب من الفائدة فجمع كتابا سماه ألفاظ النّاصر.

وله عليه السلام تصانيف مفيدة في أنواع العلم، **منها**: كتاب البساط، وكتاب في التفسير احتج فيه بألف بيت من الشعر، **وله** كتاب الحجج الواضحة بالدلآئل الراجحة في الإمامة على طريقة الزيدية، وفيه دلآئل حسنة على إمامة أمير المؤمنين، وله كتاب الأمالي في الأخبار ضمنه من فضآئل العترة عليهم السلام كثيراً، وعدة كُتُبه أربعة عشر كتابا وكل ذلك معروف مشهور.

وله عليه السلام فقه واسع، وفي فقهه كتاب الحاصر لفقه النّاصر للسيد المؤيد بالله قدس الله روحه، وكتاب الناظم للسيد أبي طالب عليه السلام، وكتاب الموجز للشيخ أبي القاسم البستي رحمه الله، وكتاب الإبانة في فقهه مشروح بأربعة كتب مجلدة كبار للشيخ العالم أبي جعفر محمد بن يعقوب الهوسمي رضي الله عنه، وجميع أهل الجيل من الزيدية كلهم على مذهبه عليه السلام في الفروع.

وكان عليه السلام جامعا لفنون العلم من أصول الدين وفروعه ومعقوله ومسموعه، رواية للآثار، عارفا بالأخبار، ضاربا في علم الأدب بأقوى سبب.

وكان عليه السلام قد قرأ من كتب الله عز وجل ستة عشر كتابا، **منها**: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وباقيها من الصحف.

---

(١) الإفادة: ١٢٦.

وكان عليه السلام يقول: حفظتُ من كتب الله عز وجل ثلاثة عشر كتابا، فما انتفعت منها كانتفاعي بكتابين، **أحدهما**: الفرقان لما فيه من التسلية لنبيئنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما كابده السلف الصالحون من الأنبيآء المتقدمين والرسل الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين، والثاني: كتاب دانيال النبي عليه السلام؛ لما فيه أن الشيخ الأصم يخرج في بلد يقال لها: ديلمان، ويكابد من أصحابه وأعدآئه جميعا ما لا يقادر قدره ولكن عاقبته محمودة[1]. وهذا يشهد بشرفه عليه السلام العظيم وفضله الجسيم، حيث ذكره الله تعالى في كتاب دانيال صلى الله عليه وعلى سآئر أنبيائه، ويحق له عليه السلام أن يكون كذلك، فإنه انتشر على يديه من الإسلام في تلك الجهات ما شهرته تغني عن ذكره، وقد قيل:[2] إن الذي أسلم على يديه مائتا ألف، وقيل: ألف ألف نسمة. وروى الشيخ أبو القاسم البستي[3]: أنه أسلم على يديه في يوم واحد أربعة عشر ألف نسمة، وقد قال صلى الله عليه وآله: «من أسلم على يديه رجل وجبت له الجنة»، وقال صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا علي لئن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس»، فاستقر الإسلام ببركته في تلك الديار، وطُمِسَتْ رسوم الكفر والضلال، وكان أكثرَ تلك النواحي لا يعرف فيها اسم الله، بل هي باقية على الشرك والجاهلية المجوسية. وأتاها عليه السلام وملكها جستان متزوج بجدّته فرحض الله ببركته تلك الأدران، ولبست تلك الأراضي ثياب الإيمان، وصارت مستقراً للحق ومأوىً للأئمة السابقين عليهم السلام، وكان ذلك بحميد سعيه وحسن دعآئه عليه السلام فقد كان في نهاية الرفق واللين، حتى عظم تأثيره في الدعاء إلى الله تعالى، وقد شهد لذلك ما رويناه عنه عليه السلام أنه قال

---

(١) الشافي ٣٠٩ .

(٢) في (أ) : وقد نقل الراوي .

(٣) المراتب : ١٦٣ .

في بعض مقاماته وقد دخل آمُل وازدحم عليه طبقات الرعية في مجلسه، فقال:
أيها الناس إني دخلت بلاد الديلم وهم مشركون يعبدون الشجر والحجر ولا يعرفون خالقًا، ولا يدينون دينًا، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف في العطف بهم حتى دخلوا فيه أرسالا، وأقبلوا إلي إقبالا، وظهر لهم الحقُّ وعرفوا التوحيدَ والعدلَ، فهدى الله بي منهم زهاء مآئتي ألف رجل وامرأة، فهم الآن يتكلمون في التوحيد والعدل مستبصرين، ويناظرون عليهما مجتهدين، ويدعون إليهما محتسبين، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الصلوات المكتوبات والفرآئض المفروضات، وفيهم من لو وجد ألف دينار ملقى على الطريق لم يأخذ ذلك لنفسه، وينصبه على رأس مرزاقه ينشده ويعرفه، ثم قاموا بنصرتي وناصبوا آبآءهم وأبنآءهم وأكابرهم للحرب في هواي واتباع أمري في نصرة الحق وأهله، لا يولي أحد منهم من عدوه ولا يعرف غيرَ الإقدام، فلو لقيت منهم ألف جريح لم تر مجروحًا في قفاه وظهره، وإنما جراحاتهم في وجوههم وأقدامهم، يرون الفرار من الزحف إذا كانوا معي كفرا، والقتل شهادة وغنما.

ثم قال عليه السلام في آخر خطبته: وأنتم أيضا معاشر الرعية، فليس عليكم دوني حُجاب، ولا على بابي بَوّاب، ولا على رأسي خَلْق من الزبانية، ولا أحد من أعوان الظلمة، كبيركم أخي وشابكم ولدي، لا آنس إلا بأهل العلم منكم، ولا أستريح إلا إلى مفاوضتكم، فسلوني عن أمر دينكم وما يعنيكم من العلم وتفسير القرآن، فإنا نحن تراجمته وأولى الخلق به، وهو الذي قُرِنَ بنا وقُرِنّا به، فقال أبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إني مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهلَ بيتي»[1] والله ولي توفيقكم لرشدكم، وحسبي الله وحده وعليه توكلت وإليه أنيب.

---

(١) سبق تخريجه.

ومن كلامه عليه السلام وقد كتب إلى بعضهم: ولقد بلغك - أعزك الله ما أدعو وأهدي إليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إحياءً لما أُميتَ من كتاب الله تعالى، ودُفن من سنة رسول الله صلى الله عليه وآله، بعد أن مَحّضْتُ آي التنزيل عارفًا بها، منها تفصيل وتوصيل، ومحكم ومتشابه، ووعد ووعيد، وقصص وأمثال، آخذا باللغة العربية التي بمعرفتها يكون الكمال، مستنبطًا للسنة من معادنها، مستخرجا للمتكمنات من مكامنها، منيراً لما أدْلَهمّ من ظلمها، معلنا لما كتم من مستورها.

وكان عليه السلام في أرفع منزلة من منازل الحلم، فروى مصنف كتاب المُسفر: أنه نادى غلامًا له يسمى: حسيناً[1] ثلاث مرات فلم يجبه، فلما أطال عليه، قال مجيبا: مزّة، أي لا تعش، فقال عليه السلام: مسكين أضجرناه. ونظير ذلك ما رُويَ عن عَليّ بن الحسين عليه السلام أنه دعا غلاما مرارًا فلم يجبه، فلما خرج وجده قاعدًا على الباب، فقال: ما منعك أن تجيبني فقال: أمنتك، قال: فخرّ ساجداً لله يحمد الله تعالى ويشكره، وقال: الحمد لله الذي أمّن عباده من شري. ثم قال: اذهب فأنت حر لوجه الله.

وكان عليه السلام خشنًا زاهدًا ورعًا عابدًا مقبلاً بالليل والنهار على طاعة الله وعبادته، وكان ذلك دأبه عليه السلام حتى توفاه الله إلى رضوانه وشريف جنّانه. ومن شعره عليه السلام قوله:

واهًا لنفسي من خياري واها	كَلّفتُها الصَّبرَ على بلواها
وسَوغَ مرِّ الحق مُذ صباها	ولا أرى إعطاءها هَواها
أريد تبليغا بها علياها	في هذه الدنيا وفي أخراها

بكل ما أعلم يرضي الله[2]

---

(١) في (أ): حسير.

(٢) ذكره السيد أبو طالب في أماليه ١٢٧.

وروي أنه عليه السلام قال: ليس لي شبر أرض ولا يكون إن شاء الله، ومهما رأيتموني أقتني ذلك، فاعلموا أني قد خنتكم فيما دعوتكم إليه.

وروي عنه عليه السلام أن بعض عماله ممن رضيه من عمال آل طاهر حمل إلَيه ذكر أقاليم الأموال المستخرجة من كل واد، فامتنع من أخذها وأمر بإخراجها من البيت، فقال له الرافع: كان آل طاهر عدولا، والناس بذلك راضون فما عليك في أخذها؟ ومَبلَغُها في غير هذه الرواية ستمآئة ألف درهم، فقال: أنا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله لا ابن طاهر.

ومن كلامه عليه السلام: أيها الناس اتقوا الله، وكونوا قوامين بالقسط كما أمركم الله، وأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وجاهدوا- رحمكم الله- في الله حق جهاده، وعادوا الآباء والأبناء والإخوان في الله، فإن هذه الدار دار قُلعة، ودار بلغة، ونحن سفر والدار التي خُلقنا لها أمامنا، وكأن قد بُلِّغنَا إلَيها ووردناها، فتزودوا من العمل الصالح فإن طريق الجنة خشن، وبالاجتهاد يبلغ إليها، إني لا أغر نفسي ولا أخدعها بالأماني، ولا أطمع أن أنال الجنة بغير عمل، ولا أشك في أن من أساء وظلم منا ضوعف له العذاب، وإنّا ولد الرجل الذي دل على الهدى، وأشار إلى أبواب الخير، وشرع هذه الشرآئعَ، وسن هذه السنن والأحكام، فنحن أولى الخلق باتباعه واقتفاء أثره واحتذاء أمثاله والاقتدآء به.

وقال عليه السلام:

أرتني أهوال المعاد بصيرتي	وتصديق وعد الغيب رأي عيانِ
فَأيقنتُ أني بالذي قد كسبتُه	مَدين فقلبي دائم الخفقانِ
وأنَّ وعيدَ الله حقٌ ووعدَه	فمن موبق أو فآئز بجنانِ
فأعلنتُ بالتَّوحيدِ والعدلِ قآئلاً	وأظهرت أحكام الهدى ببيانِ

وكان عليه السلام في الشجاعة وثبات القلب، بحيث لا تهوله الجنود، ولا يروعه

العسكر المحشود، يخوض الغمرات ويصرع الكماة ويحطم الوشيج[1]، ويثلم الصفائح، وكم له من مقام هائل فاز فيه بالشرف الطائل، وكان يرد بين الصفين متقلدا مصحفه وسيفه ويقول: قال أبي رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي»، ثم يقول: فهذا كتاب الله، وأنا عترة رسول الله ﷺ، فمن أجاب إلى هذا، وإلا فهذا.

ومن شعره عليه السلام:

شيخٌ شَرَى مُهجَتَه بالجنه ... واستَنَّ ما كان أبوه سَنَّه

ولم يزل عِلمُ الكتابِ فَنَّه ... يُجَاهِدُ الكفَّار والأظِنَّه

بالمشرفيات وبالأسنَّه

وقال عليه السلام:

فخشيت أن ألقى الإلهَ وما ... أبليتُ في أعدائه عُذري

أو أن أموت على الفراش ضنى ... موت النساء أجنُّ في القبر

وعلمتُ أني لا أزاد بما ... آتي وينقصُ من مدى عمري

فشريت للرحمن محتسبا ... نفسا لديّ عظيمةَ القدر

أجري إلى غايات كل علا ... مثلي إلى أمثالها يجري

لأنال رضوان الإله وما ... فيه الشفاء لغلة الصدر

في فتية باعوا نفوسَهم ... لله بالباقي من الأجر

صبروا على عَفْر الخدود وما ... لاقوا من البأساء والضر

يا رب فاحشر أعظمي ودمي ... من بطن أم فراغل غثر[2]

أو ثعلب أو جوف ثعلبة ... أو قُصب ذئب أو مِعا نسر

---

(١) شجر الرماح.

(٢) الفرغل: ولد الضبع. القاموس ص١٣٤٦. غثر: الضبع. القاموس. ص٥٧٦.

وقال عليه السلام متوجعًا لمصائب العترة عليهم السلام:

وبي لأحـــوال بني المصطفى	هَـمٌ لـه شَـفٌ وتبـــــــريـحُ
عـــاداهم الخلق فـــذوا نُسْكهم	بالهَمّ مـغبـــوق ومـصبـوحُ
فـي كـل أرض منـهـم طـاهـرٌ	له دمٌ في الناس مسـفـوحُ
ومـيّتٌ في الحـبس ذو حـسـرة	ومـوثق بالقـيـد مـذبوح
وهـالـكٌ يُـنْـدبُ فـي أهـلـه	أفلت منه وهو مـجـروح
لم ينقـمـوا منهم سـوى أنهم	السـادة الطـهـر المراجـيـح
دعـــوا إلى الله فنجـــواهم	في الليل تقـديس وتسـبـيح

وكان عليه السلام معظمًا قبل قيامه عند عيون العترة عليهم السلام وأفاضل العلماء رَضِيَ اللهُ عنهم لـمَا يعرفونه من سعة علمه وغزارة فهمه، فقد كانت عيونُ العلماء من أهل كلِ فن يُفَضِّلُه كل واحد منهم في فنه.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: ورد طبرستان أيام الدّاعي الحسن بن زيد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وبقي عنده إلى أن توفي، وولي أخوه محمد بن زيد رَضِيَ اللهُ عنهما، وأقام معه، وكانا معظمين له عارفين بفضله وعلمه، ولم يكن يتلبس لهما بعمل ولا يلي من جهتهما شيئا، وربما كانا يفوِّضان إلَيه تفرقة مال العلوية فيهم فيفعل ذلك.

قال عليه السلام[2]: وكان محمد بن زيد يتهمه بأنه منطوٍ على طلب الأمر والدعاء إلى نفسه، مستشعراً للفزع منه لمعرفته بفضله وعلمه، إلا أنه لا يعدل به عن طريقة الإكرام والاحتشام.

---

(١) الإفادة ١١٧.

(٢) السيد أبو طالب في الإفادة ص١١٨ - ١١٩.

ورَوَينا عن الشيخ أبي القاسم البلخي قال: كنا في مجلس الدّاعي محمد ابن زيد بجرجان، وأبو مسلم بن بحر حاضر، وكنا جميعا ممن يذب عن النّاصر الحسن بن عَليّ في تكذيب من ينسبُ إلَيه طلبَه الأمر، فدخل والتفت إلى أبي مسلم وقال يا أبا مسلم من القائل:

وفتيان صدق كالأسنة عرسوا على مثلها والليل تغشى[1] غياهبُه

لأمرٍ عليهم أن يتم صُدُوره وليس عليهم أن تَتِمَّ عَواقبُه

قال: فعلم أبو مسلم أنه قد أخطأ في إنشاد ذلك؛ لأنه يستدل به على أنه معتقد للخروج، وإظهار الدعوة، فأطرق كالخجل، وعلمت أنا مثل ما علمه فأطرقت، ففطن النّاصر لخطأه فخجل وأطرق ساعة وانصرف. فلما انصرف التفت الداعي محمد بن زيد إلى أبي مسلم، فقال: يا أبا مسلم، ما الذي أنشده أبو محمد؟ فقال: أنشد - أطال الله بقاء الداعي[2]:

إذا نحن أُبْنا سالمين بأنفس كرامٍ رَجَت أمراً فخاب رجاؤُها

فأنفسنا خير الغنيمة أنّها تؤوب وفيها ماؤها وحياؤُها

فقال الداعي محمد بن زيد: أوَ غير ذلك، إنه يتنسم رائحة الخلافة من جبينه[3].

وكانت مناقبه عليه السلام الشاهدة بفضله جمة كثيرة. من ذلك ما أخبرني من أثق به من الإخوان -كثرهم الله عز وعلا -وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني أيَّده الله يرويه عن الفقيه نظام الدين أبي الفضل بن فيروزشاه الجيلي رضي الله عنه: أنه عليه السلام قصد ذات يوم من الأيام إلى بعض المساجد، وكان منفرداً من

(١) في الإفادة «ترمي».

(٢) في الإفادة «فقال أبو مسلم: أنشد أيها الداعي».

(٣) أنظر الإفادة ١١٩-١٢٠.

الأصحاب، ولم يكن معه شيء من السلاح، فرآه بعض أعدآئه فطمع فيه، فعمده فلم يجد عليه السلام شيئا يدافع به عن نفسه، فعمد إلى صخرة صماء فسخرها الله له فقبض منها شيئا، ورمى به في وجه عدوه وبقيت آثار يده عليه السلام وأصابعه يزار ذلك ويتبرك به. وأخبرني أنه شاهد ذلك، وقد قصده في صحبة من ذكره من العلماء رحمهم الله.

وأخبرني من أثق به أيضا وهو الفقيه الفاضل الحسن بن عَلِيّ بن الحسن الديلمي البخاري رحمه الله، أن رجلا كان يحترب في الطرقات، وكان معه كلب قد عوّده أنه إذا شاهد من يطمع فيه أرسله فيعمد الكلب إلى موضع العورة من الرجل، ثم يأتي صاحبه وقد كفاه المؤنة فيأخذ ماله، فأقبل النّاصر عليه السلام ذات يوم منفردا، وقعد على غيضه يأكل شيئا من الطعام، فأرسل الرجل كلبه عليه - على جاري العادة - فلما وصل الناصرُ عليه السلام قعد بالقرب منه ولم يتعرض له، ورمى له بشيء من الطعام، وأقبل الرجلُ فدعا الناصرُ عليه السلام الله عز وجل أن يسلط عليه الكلبَ، فسلط عليه فقتله بما جرت العادة بأن يقتل به الناس، وانصرف الكلب مع النّاصر عليه السلام وأقام مدة. وكان ربما يحضر في شيء من الحروب فيؤثر في أعدآئه، حتى كان في بعض الأيام، وعمل رجل مأدبةً للنّاصر عليه السلام، فتقدم والكلب خلفه، فلما استقر الطعام بين يدي النّاصر عليه السلام نبح الكلب نباحا عظيما بخلاف العادة وهم بالطلوع فمنعوه من ذلك، وكانوا قد طلعوا إلى الموضع بسُلَّم، فأمرهم النّاصر عليه السلام بأن يخلوا بين الكلب وبين الطلوع، فطلع ووقف بين يدي الناصر عليه السلام وأكل شيئا من الطعام قبل أكل النّاصر عليه السلام فمات من حينه، وكان الطعام مسموما فَسَلِمَ النّاصرُ عليه السلام وأصحابُه.

وأخبرني رحمه الله أيضا: أن النّاصر عليه السلام وقف ذات يوم بالقرب من مآء وفيه ضفادع كثيرة وحيّات، فخرجت منها ضفدعٌ فقصدتها حية، فدخلت

الضفدع خلف الناصر عليه السلام كالمستجيرة به، فدعا الله عز وجل أن يسلط الضفدع على الحية، (فاستجاب دعاءه، وعادت الضفدع على الحية)[1] فقتلتها. وحكى لي هذه الحكاية الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني أيده الله، وقال: وأظن أيضاً أن الفقيه الحسن رحمه الله قال لي: إن ذلك مستمر إلى الآن في ذلك الموضع أن الضفادع تقتل الحيات. وهذه مناقب شريفة تقضي بأنه عليه السلام ذو فضل كثير وحظ وافر عند الله جل وعلا.

أولاده عليه السلام: أبو الحسن عَلِيّ الأديب الشاعر، أمه: أم عَلِيّ بنت عمه. وأبو القاسم جعفر، وأبو الحسين أحمد أمهما: نقش، وكانت نقش هذه جارية أهدتها امرأة جستان إلى النّاصِر للحق رضي الله عنه، وأم الحسن وهي فاطمة، وأم محمد، ومباركة، وأم إبراهيم، وميمونة. ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[2].

ذكر قيامه، ونبذ من سيرته، ومدة ولايته، وموضع حفرته عليه السلام

كان عليه السلام مع محمد بن زيد إلى أن قُتِلَ محمد بن زيد رحمه الله بجرجان، وقد كان حضر معه الوقعة، فانهزم في جملة المنهزمين، وامتد إلى الري على طريق الدامغان وحصل بها في دار محمد بن الحسن بن محمد بن جعفر الحسيني واتصل بجستان ملك الديلم خبره، وكانت بينهما مودة من أيام محمد بن زيد رحمه الله، وكاتبه وسأله الخروج إلَيه ليبايعه، ووعده بأنه يتوب ويقلع عن المعاصي ولا يخالفه في شيء، فامتنع أولاً، وكاتبه بأنه لا يثق بوعده وليس يأمن أن لا يفيء بما يعدُ به، فجعله على ثقة من ذلك بأيمان بذلها له، فخرج إليه ومعه أولاده: ابنه الأكبر أبو الحسن عَلِيّ الأديب الشاعر، وأبو القاسم وأبو الحسين، فأكرمه إلا أنه أخلف ما بذل له على لسانه من ترك المعاصي وتقديم أمره في

---

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين.

(٢) الافادة ١٢٣.

الخروج، وكان يدافعه ويمنّيه، وطال مقامه إلى أن تهيأ له الخروج من عنده، فخرج إلى سهل الديلم وعرض الإسلام على من بقي منهم على الكفر، ثم خرج إلى جيلان، وابتدأ يعرض الإسلام على الجيل الذين هم على جانب الديلم من طرف الوادي المعروف (بأسفندروا) وهم كفار، فأسلموا كلهم على يديه وطهروا، وذلك في سنة سبع وثمانين بعد ظهور الهادي باليمن لسبع سنين، وأقام على هذه الجملة بالجيل والديلم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وأزال الرسوم الجائرة التي وضعها (آل وهسوذان) على الديلم، واستنقذهم مما كانوا فيه من الضيم في الأنفس والأولاد والأموال، ووقعت له حروب مرة بعد أخرى مع جستان، فكانت الدائرة على جستان، وزال سلطان جستان عن سهل الديلم جملة وانحسم طمعه عنها، وتخلص المسلمون من قبيح ظلمه لهم وحكمُهُ في أهاليهم وأولادهم واسترقاقه لهم ببركة دعوته عليه السلام، وقد كان قبل مفارقته له أحوج إلى مساعدته على ورود باب (آمل) لحرب الخراسانية، وقد كان جستان أظهر أن الأمر له وسار تحت رايته فزعا من الخراسانية وقصدهم إياه، ولم يكن النّاصرُ رضي الله عنه يثق بوفائه، ويعلم أنه إن ظهر عاد إلى عادته فلم يتشدد في الحرب، ولم يثبت ثبات مثله. وصارت الغلبة للخراسانية، وانهزم النّاصر عليه السلام وجستان وعاد النّاصر إلى موضعه. وكان يقيم تارة (بهوسم) فيراعي أمر الجيل، وتارة (بكيلاكجان) فيراعي أمر الديلم، وأحوج جستان آخراً إلى أن بايعه، وحلف له بالأيمان المغلظة أنه لا يخالفه، ووفى بذلك وصار من أتباعه، وامتد مقامه هناك أربع عشرة سنة، واتصل بأحمد بن إسماعيل خبره في قوّته[1] وظهوره، واجتماع الجيل والديلم على طاعته، وأنه يريد قصد طبرستان، فوجه إلى آمل عساكر جمة، وكتب إلى محمد بن عَلِيّ المعروف بصعلوك بورود آمل من الري ومحاربته، فورد وبلغ عدد

---

(١)في (أ) : وقته.

الجماعة أكثر من ثلاثين ألفا، وانضم إليهم من آهل آمل وحشومهم[1] وطغامهم[2] عدد كثير وكانوا في كل يوم يركبون في المراكب على طريقة الغزاة، ويستنفرون إلى حربه عليه السلام، وكثير من قُصَّاصهم يفتون بذلك[3].

وروينا عن السيد أبي طالب عليه السلام من أماليه [١٣٣]، رواه عن المعروف بأبي بكر محمد بن موسى البخاري قال: دخلت على الحسين[4] بن علي الآملي المحدث، وكان في الوقت الذي كان النّاصر للحق الحسن بن عَليّ عليه السلام في بلاد الديلم بعد، وقد احتشد لفتح آمل وَوُرودَها، والحسين بن عَليّ هذا يفتي العوام بأنه يلزمهم قتال النّاصر للحق عليه السلام، ويستنفرهم لحربه، ومعاونة الخراسانية على قصده، وزعم أنه جهاد ويأمرهم بالتجهيز وعقد المراكب كما تفعل الغزاة. قال: فوجدته مغتما، فقلتُ له: أيها الأستاذ، مالي أراك مغتما حزينا؟ فألقى إليّ كتابًا ورد عليه وقال: اقرأه، فإذا هو كتاب الناصر للحق عليه السلام، وفيه:

يا أبا علي، نحن وإياكم خلف لسلف، ومن سبيل الخلف اتباع السلف والاقتداء بهم، ومن سلفكم الذين تقتدون بهم من الصحابة عبدالله بن عمر ومحمد بن مسلمة وأسامة بن زيد، وهؤلاء لم يقاتلوا معاوية مع عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام مع تفضيلهم عليا عليه السلام تأولا منهم أنهم لا يقاتلون أهل الشهادتين، فأنت يا أبا عَلِيّ على سبيلك أن تقتدي بهم ولا تخالفهم وتنزلني منزلة معاوية على رأيك، وتنزل عدوي هذا ابن نوح منزلة عَلِيّ بن أبي طالب، فلا تقاتلني كما لم يقاتل سلفك معاوية، وتخل بيني وبينه كما خلى سلفك بينهما، فتكفّ عن قتال أهل الشهادتين كما كف سلفك، وتجنب مخالفة أئمتك الذين يقتدى بهم، ولا سيما فيما يتعلق

(١) أحشامهُ الذين يغضبون له من أهلٍ وعبيدٍ أو جيرة. قاموس

(٢) الطّغام: أوغاد الناس. قاموس

(٣) أنظر المصابيح ٦٠٣-٦٠٤، والإفادة ١٢٠-١٢١.

(٤) في (أ): محمد بن عيسى الحسين بن علي...

بإراقة الدماء فافهم يا أبا عَلِيّ ما ذكرت لك فإنه محض الإنصاف.

قال: فقلت له: لقد أنصفك الرجل أيها الأستاذ فلم تكرهه؟ فقال: نكرهه؛ لأنه يحسن أن يورد مثلَ هذه الحجة، ولأنه لا يرد إلا متقلدا مصحفه وسيفه، ويقول: قالَ أبي رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»[1]، فهذا هو كتاب الله أكبر الثقلين، وأنا عترة رسول الله ﷺ أحد الثقلين، ثم يفتي ويناظر ولا يحتاج إلى أحد، أما سمعت ما قاله في قصيدة له؟ قال - وأنشد هذا البيت من القصيدة -:

تداعا لقتل بني المصطفى ذوو الحشو منها ومُرّاقها

رجعنا إلى تمام الرواية المتقدمة عن السيد أبي طالب عليه السلام[2] قال عليه السلام: وخرجوا بأجمعهم إلى (شالوس)، وأقبل النّاصرُ عليه السلام بعسكره من الجيل والديلم، ولم يكن لهم من آلات الحرب ما كان للخراسانية، والتقوا في موضع بين (وارفوا) و(شالوس) يعرف (بتورود) على ساحل البحر، ووقع القتال هنالك فأوقع رضي الله عنه بالخراسانية، ومنحه الله أكتافهم ونصره عليهم، فانهزموا أقبح هزيمة وقُتلُوا شر قتل، فبلغ عدد المقتولين نحو عشرين ألفا من بين مقتول بالسلاح وغريق في البحر، كانوا إذا أقبلوا إلى الظهر أخذتهم الرايات، وإذا ولوا واقتحموا البحر غرقوا، وتحصن منهم نحو خمسة آلآف رجل في قلعة شالوس مع أمير لهم يعرف بأبي الوفاء، واستأمنوا منه عليه السلام فأمنهم، وكان الظفر يوم الأحد

---

(١) مجموع الإمام زيد بن علي «ع» ٤٠٤، وصحيفة علي بن موسى الرضى ٤٦٤، والبزار ٣/ ٨٩ رقم ٨٦٤، ومسلم ١٥/ ١٣٩، والترمذي ٥/ ٦٢٢ رقم ٣٧٨٨، وابن خزيمة ٤/ ٦٢ رقم ٢٣٥٧، وابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٤١٨ وابن عساكر ٥/ ٣٦٩، وذخائر العقبى ١٦ والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٣٠، والطبري في الكبير ٥/ ١٦٦، والنسائي في الخصائص رقم ٧٦ ومسند أحمد ٤٣٦٧ والحاكم في المستدرك ٣/ ١٤٨.

(٢) الافادة ١٢٢.

في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثمآئة، ورحل بجيشه متوجها إلى آمل، وقد كان استقبله مشآئخها وفقهاؤها[1] وأماثلها إلى شالوس وهم على فزع منه لما كانوا أقدموا عليه، واعتذروا إلَيه من فعل عوامهم فقبل عليه السلام عذرَهم، وقرب الفقهاء منهم وأدنى مجلسهم وتوفر عليهم، ورحل من هناك إلى آمل، فدخلها سنة إحدى وثلاثمائة. وكان الدّاعي الحسن بن القاسم رضي الله عنه صاحب جيشه، وكان يقدم في وقت القتال وبعد عنه متتبعا آثار المنهزمين وجاوز شالوس، ثم عاد ليلحق النّاصر عليه السلام فلما انتهى إلى قلعة شالوس رأى هؤلاء المستأمنين وقد نزلوا من القلعة، فسأل عنهم فقيل: إن الناصر أمّنهم، فقال: لم أسمع من النّاصر ذلك ولم يصح عندي، وأمر بوضع الرايات فيهم، فَقُتِلُوا عن آخرهم. وذكر بعضهم أن القتل كان يدنو من أربعين ألفا. وفي الرواية أنه في ذلك اليوم لما اشتد القتال نزل بين الصفين بحيث كانت تصله النبل ودونها، قيل: إنه قيد رمحين، فصلى ركعتين وأخذ من موضع سجوده ترابًا ثم ركب فرسه ورمى بالتراب الذي في يده في وجوه أعدائه، (وقال: شاهت الوجوه)، فانهزموا عند ذلك، فأُعْجِبَ من ثباته ومن كرامته على الله في إجابة دعآئه.

ولما دخل النّاصرُ عليه السلام آمل امتد إلى الجامع وصعد إلى المنبر، وخطب خطبة بليغة ووعظ الناس فيها، ثم عنف أهل البلد على ما كان منهم من مطابقتهم لأعدآئه ومعاونتهم وخروجهم عليه ووبخهم، ثم عرفهم أنه قد عفا عنهم وأضرب عن جنايتهم، وأمّن كبيرهم وصغيرهم، ثم نزل دار الإمارة التي كانت لمحمد بن زيد الدّاعي رحمة الله عليه. وبايعه فقهآء البلد ومشآئخها ومنهم من بايعه بشالوس، وتمكن من طبرستان كلِّها من شالوس إلى ساريه وأعمالها، ومن (الرُّويان وكلار) وما يتصل بها، ورتب العمال في هذه البلدان والنواحي، وولى

(١) الإفادة بزيادة «وثنّاؤها» ١٢٢.

القضاء زيد بن صالح الحسني، وكان ينظر في الأمور بنفسه، وبسط العدل ورفع رسوم الجور وعقد مجالس النظر، وكان الفقهاء يحضرونه ويكلمونه في المسائل ويكلمهم ويناظرهم. وكان الدّاعي الحسن بن القاسم بن الحسن بن عَلِيّ ابن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن عَلِيّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب جيشه، والمستولي على الأمر؛ لشهامته وحسن بلآئه بين يديه وورعه ودينه، ولأنه لم يكن في أولاده من يعتمد للولاية؛ لأن أبا الحسن كان مع فضله في الأدب على غير طريقة السداد.

وكان النّاصرُ رضي الله عنه مُعرِضًا عنه منكرًا عليه، وأبو القاسم وأبو الحسين كانا صغيرين، فلما ترعرعا كان يستعين بهما فيما يجوز أن يستعان فيه الشباب، فينفذهما في بعض السرايا ويوليهما بعض الجيوش، ولما فتح آمل ودخلها وولى أبا القاسم ساريةَ ووقع بينه وبين الدّاعي تنافر ونزاع، وطال الخطب في ذلك.

ولما أوقع الناصر عليه السلام وأنفذ على مقدمته ابنه أبا القاسم إلى آمل، وكان الدّاعي رضي الله عنه يطمع في أن يختار للتقدم، فاستوحش من ذلك ولم يظهره، وكان هذا أول نفور عنه سرًّا، فقد كان منه رضي الله عنه أثر ظاهر جميل في تحمل المبارزة بنفسه، والتقدم إلى حيث لم يتقدم أحد. وكان أصحاب النّاصر الذين هم أهل الدين والورع مثل أبي محمد عبدالله بن أحمد بن سلام رحمه الله، ومن دونه يميلون إلى الدّاعي رضي الله عنه؛ لدينه وورعه واستقامة طريقته، وينحرفون عن أولاد النّاصر عليه السلام؛ لسلوكهم لطريقة غير مرضية في الباطن. واستوحش الداعي ونفر عن النّاصر لمكان أولاده فأدى ذلك النفار إلى الهفوة التي اتفقت منه في القبض عليه، وإنفاذه إلى قلعة اللارز، وقد ذكر من اعتذر عنه أنه كان كارها لما جرى، وأن الإقدام على ذلك بَدَرَ من سفهاء الجيل والديلم الذين كانوا وردوا في صحبة الدّاعي رضي الله عنه، وكان ليلى بن النعمان قدمه النّاصر عليه السلام إلى ناحية جرجان مع عسكر كثيف، فاتصل الخبر به وهو بسارية فانصرف بجيشه، ودخل على الدّاعي

في مضربه، وقال: ماذا صنعت بأبينا ؟ يعني النّاصر، أهذا حقه عليك وعلى الجماعة؟ فقال: إنه لم يفرّج عن المال ولم يُطعِم العساكر مالا بد لهم من الخبز، فقال له: والأب إذا لم يطعم الخبز يحبس؟ ثم ركب وعدل برايته إلى جانب وصاح من كان متبعا للحق مريدا له فليعدل إلى هذه الراية، وكان أصحاب الدّاعي قد ندموا على ما بدر منهم إلا عدد يسير هم خواصه، فعدل الجيش كلهم إلا هذه الطآئفة، ففزع الدّاعي حينئذ فقال له: هات خاتمك، فأخرجه من يده وسلمه إليه، فأنفذه للوقت مع جماعة من الثقات لإخراجه من القلعة ورده، وهرب الدّاعي في الوقت مع نفر من أصحابه إلى الديلم.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: حدثني أبي رحمه الله بهذه الجملة، قال: وحدثني بأنه شاهده عليه السلام حين رد من القلعة يوم دخوله آمل، وقد استقبله أهل البلد صغيرهم وكبيرهم وكان على بغلة، فكاد الناس يقلعون بغلتَهُ من الأرض لازدحامهم عليه وخدمتهم له، ورأيته وهو يدفع الناس عنه بطرف مقرعته إذا تكابسوا عليه تمسحا به وتقبيلا لرجله حتى كادوا يزيلونه عن المركوب يشير بها وينحيهم عنه.

ثـم اتصل به بعد ذلك عليه السلام ما عزم عليه أحمد بن إسماعيل والي خراسان من بروزه من بخارى بجيشه وقضه وقضيضه قاصداً طبرستان، ومتوجها إلى حربه وأظهر أنه يخربها ولا يبقي في الديلم شجرة إلا قلعها لما جرى على عسكره، واشتغل قلبه وقلوب أوليآئه بذلك اشتغالاً عظيمًا، فلما كان ذات يوم من الأيام خرج إلى مجلسه، وقال: قد كفيتم أمر هذا الرجل فقد وجهت إليه جيشا يكتفى بهم في دفعه، فقالوا: أيها الإمام ومن أين هذا الجيش؟ ومتى أنفذته؟ فقال: صليت البارحة ركعتين ودعوت الله عليه، فلما كان بعد

---

(١) الافادة ١٢٨.

أيام ورد الخبر بأن غلمانه قتلوه، وكُفي رضي الله عنه أمره.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: هذه حكاية معروفة مشهورة قد حدثني بها غيرُ واحد من الثقات.

وللنّاصِر عليه السلام أشعار كثيرة منها قوله في قصيدة أولها:

لهــفــان جم وســاوس الفكر	بين الغـيـاض فـسـاحل البـحـر
يدعـو العـبـاد لرشـدهم وكـأن	مـا ضُـربوا على الآذان بالوقـر
مـتـرادف الأحـزان ذو جـرع	مـر مَـذاقـتُـهن كـالصَّـبِـرِ
مـتنفس كـالكيـرِ ألهـبـه	نفخ القـيـون وواقـد الجـمـر
أضـحى العـدو عليـه مـجـتـهـداً	ووليـه مـتـخـاذل النصـر
مـتـبـرّم بحـيـاته قلقٌ	قـد ملّ صـحـبـة أهل ذا الدهرِ[2]

وقال عليه السلام أيام ترشحه للقيام ودعائه سرا:

عـهود الصبا سَقْيا لكُنَّ عـهودا	وإن كـان إسـعـافي لكُنّ زهيـدا
لقـد حل مـغناكُنَّ حلم وشيـبـة	يرى هديَهـا عن عـهـدكُنَّ بعـيـدا
فتىً غادرت منه الخطوب بغشمها	طبـيـبـا لأدواء الخطوب جليـدا
إذا سـاورته الفـاتنات من الهـوى	تبلّج غـلاَّبا لهنّ حـمـيـدا
ترى الناس يُخفـون الكلام تحـفظا	إذا مـا رأوه أو يكون رشـيـدا
تبـاعـد منه المخلصـون ذووا التـقى	وأصـبح بين المفـسـدين فـريدا
عـجـبت لمن كـان النبي وصـهـره	وفـاطـمُ آبـاءاً لـه وجـدودا
يرى من خلاف الناس لله مـا يرى	فـيُـغـضي عليـه أو يطيق قـعـودا
مـحلِّين لا يرعـون لله حـرمـة	صـدوداً ولا يخشـون منه صـدودا

---

(١) الافادة ١٢٩.

(٢) الإفادة ١٣١.

لقد أُسمِع الآي المفصل من له مسامعَ وعداً صادقًا ووعيدا

أمُخترمي ريبُ المنون ولم أقُد خيولاً إلى أعدآئنا وجنودا

ولم أُخضب المرّان من قاني الكُلَى وأترك منه في القلوب قصيدا

بكل فتًى كالسيف أخرَق في العدَى وإن كان في ذات الإله مجيدا

يرى الموت حتف الأنف عاراً وسُبة وفخراً وأجراً أن يموت شهيدا

إلى أن أرى إثر المحلّين قد عفا وقائم زرع القاسطين حصيدا[1]

وله عليه السلام من قصيدة طويلة قوله :

فاجهد لكل الذي يرضى الإله به وحبل عمرك بالإمهال موصولُ

فأنت من دَوْحة زيتونة وقدت فيها لنور إله الخلق تمثيلُ

نور إذا غشي الأنوار مشرقُه أضحى لها فيه تغسيقٌ وتأفيلُ

نور يقل بهذا الناس عارفه له لدى علمآء الحق تأويلُ

أتى لشعيانه[2] في سفره وأتى بذكر أوصافه موسى وحزقيلُ

محمد وعَليّ والبتول ومن قد كان يأتيهم بالوحي جبريلُ

وعترة المصطفى بالرس عنصرنا الطاهرون المقاديس البهاليلُ

أشكو إلى الله أن الحق مُتَّرَكٌ بين العباد وأن الشر مقبولُ

وأن حكم كتاب الله مطّرح وحكم من خالف القرآن معمولُ

وأن ذا اليتم والمسكين بينهم بمزْجرِ الكلب مبهول ومعتولُ

وأن من نصر الشيطان متبع وأن من نصر الرحمن مخذولُ

وأن أمتنا أبدت عداوتنا أنْ خصّنا من عطآء الله تفضيلُ

إذا ذكرنا بعلم أو بعارفة صاروا كأنّهمُ من غيظهم حُوْلُ

---

(١) الشافي ١/ ٣١٢ .

(٢) شعيانه : اسم نبي .

ومنها قوله:

وأن عـتـرة خـيـر الخلق بينهم ... مبـغّـضُـون فـمطرودٌ ومقـتـولُ

في كل يوم لهم وِتْر ومظلمـة ... وسـابح من دمـآء الطهـر مطلولُ

فاجهد وجاهد ولاة الجور محتسبا ... فقد فشى الشرك فيهم والأضاليلُ[1]

ومنها قوله:

بكل مـضطلع مـرْحـان ذي تلع ... يزينه غُـرة منه وتحـجـيلُ

وكل أبيض مـثل النور ملتـهب ... في غَـربه من قـراع الهـام تفليلُ

وكل لَدْن من الخَطِّي مـعـتـدلٌ ... كـأنَّ عـامله بالليل قنديلُ

وكل مـعطوفـة زورآء عـاتكة ... لهـا حنين كـمـا حن المطافـيلُ

بكف كل نطاسيٌّ بشكّتـه[2] ... فـيـه لما اعـوج تثـقـيف وتعـديلُ

وكل ذي غـضـب لله ملتـهب ... في روضة للعصاة الشمس تذليلُ

في فتـيـة قـد شروا الله أنفسـهم ... فكلمـا حـملوا لله مـحـمـولُ

رأوا بعين الهدى ما قد يكون غدا ... فـمنهمُ بوعـيـد الله مـشـغـولُ

وأيقنوا أن من يعـصي يكون له ... في جـاحم النار تخليـدٌ وتغليلُ

فَـوَلَّوا السيف والقـرآن حكمـهم ... فـمـا أتَاهُمْ به القـرآن مـعـمـولُ

حتى ترى الحقَّ قد قامت قوآئمه ... لأهله فـيـه تكبـيـر وتهليلُ[3]

وقال عليه السلام:

حـسـبي من البـيض الملا ... ح عناقُ سـيـفي واحـتـضـانُه

عـضـبٌ إذا عَـدِمَ الكَمِيُّ ... الرفق ينفـعني أمـانُه

وكـأنْ جـرى في جـسـمـه ... من بعـد تصـفـيـة دخـانُه

---

(1) الشافي ١/ ٣١٣.

(2) في (أ): بشكيه.

(3) الشافي ١/ ٣١٣ - ٣١٤.

لَدْنٌ يهـز الكف مـثـ ... ـل السنون أسلمه مكانُه

عن غير ما خفر ولكـ ... ـن الشُرى هذا أوانُه

فبمثله يأبى الكريـ ... ـم الشهم ما فيه هوانُه

وأنا امرؤ عند احتدا ... م الموت ينجيني جنانُه

وإذا تداين معشر ... يجدونه وخمسا ديانُه

فإذا تكلم واعظًا ... فكفاك من عظة بيانُه

تلقى غواشيه إذا ... طرقوه مُترعة جفانُه

ما إن يُفارقُ خَيمه ... في كل ما أبلى زمانُه

شهدت له أفعاله ... أن لم يقل كذبًا لسانُه

ذو منصب نآء عن الـ ... أدناس يغنيني صيانُه

ومؤمّل ذي نخوة ... في الحرب جم خُنْزُوانُه

من شأنه قصع الكُما ... ة لدى الوغى رَعفٌ سنَانُه[1]

وكان عليه السلام حلو المفاكهة طريف الممازحة يتصرف في مجلسه في أنواع العلوم من الكلام والفقه ورواية الآثار وإنشاد الأشعار للقدماء والمحدثين والحكايات المفيدة.

ومن طرفه في هذا الباب ما رواه السيد أبو طالب عن أبيه رضي الله عنهما قال[2]: كان رحمه الله محروراً شديد الحرارة، تستولي عليه الحمى إذا تكلم، فكان يوضع بين يديه كوز فيه مآء بارد، ويتجرع منه في الوقت بعد الوقت إذا تكلم كثيرا وناظر في خلال مناظرته، وكان بآمل شيخ همٌ من العراقيين يعرف بأبي عبدالله محمد بن عمرو وكان يكلمه عليه السلام في مسألة، فكان يترشش من فيه لعاب يصيب الكوز منه كما يتفق مثله من المشآئخ، فأخذ النّاصر دفترًا كان بين

---

(١) الشافي ١/ ٣١١-٣١٢.

(٢) الافادة ١٢٤.

يديه ووضعه على رأس الكوز، فاتفق أن هذا الشيخ وهو في هزازة وحدة مناظرته وَلِعَ بأخذ ذلك الدفتر عن رأس الكوز من غير قصد، ولكن كما يتفق من الإنسان أن يولع بشيء من ضجره واحتداده وفعل ذلك مرتين، وكان النّاصر يكلمه وكلما رفعه عن رأس الكوز يعيده إليه فلما رفعه الرفعة الثالثة أعاده النّاصر، ثم التفت إليه فقال: ياهذا ﴿وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق:٤]، إلى غير ذلك مما رُوِيَ عنه. ولم يزل عليه السلام جادا مجتهدا في نشر العلم والعمل حتى حانت وفاته عليه السلام، فاستؤمر فيمن يقوم مقامه إذا حَدَثَ به قضاء الله عز وجل، وسأله بعضهم أن يعهد إلى بعض أولاده فقال عليه السلام: وددت أن يكون فيهم من يصلح لذلك ولكن لا أستحل في ما بيني وبين الله عز وجل أن أولي أحدا منهم أمر المسلمين، ثم قال: الحسن بن القاسم أحق بالقيام بهذا الأمر من أولادي وأصلح له منهم؛ فردوه وقد كان في الديلم ولم يمنعه ما كان أسلفه عنده من إيثار الحق في المشورة به. ثم توفي عليه السلام بآمل في ليلة الجمعة لخمس بقين من شعبان سنة أربع وثلاثمائة، وله أربع وسبعون سنة، **ودفن** عليه السلام يوم الجمعة، وكان من آخر شعره عليه السلام قصيدة أولها:

أنافَ على السبعين ذا الحول رابعُ	ولا بدّ لي أني إلى الله راجعُ
وصرتُ أبا جُدٍّ تقوِّمني العصا	أدبُّ كأني كلما قمت راكع[1]

وكانت مدة ظهوره بآمل ثلاث سنين وأشهرا، ودفن بها ومشهده معروف مزور.

وذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أنه كان في الليلة التي توفي فيها يُشَاهَدُ نور ساطع من الدار التي هو فيها إلى عنان السمآء، وأنه يستضيء بذلك النور من بَعُدَ عن الدار، فلم يزل كذلك حتى انقطع النور فجآءَ مَنْ شاهده وقد توفي عليه السلام.

---

(١) الإفادة ١٣١ .

وروي أنه عليه السلام في مرضه كان لا تفوته صلاة بوضوء إلى أن أثقل، فكان يومئ إلى الوضوء بيده فيوضؤنه، ويأخذ في الصلاة حتى فاضت نفسُهُ وهو ساجد.

وروي أنه في ليلته التي توفي فيها استَحَرَ به المرض فأخّر المغرب والعشاء الآخرة إلى قرب السحر ثم صلاهما، فلما فرغ منها فاضت نفسه.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وقدم الدّاعي عليه السلام آمُل في شهر رمضان يوم الثلاثآء لأربع عشرة خلت منه، فبدأ بقبر النّاصر للحق عليه السلام، ومعه أولاده أبو الحسن وأبو القاسم وأبو الحسين فألصق خده بالقبر وهو يبكي، فقام أبو الحسن ابنه وأنشأ قصيدة في مرثيته:

أيحسُنُ بي أن لا أموت ولا أضنى   وقد فقدتْ عيناي من حَسَنٍ حُسنا

وقصيدة أخرى أولها:

دم الجوف يجري في الحشا متصعدا   فينهل دمعا صافيا متبدّدا

وبويع للداعي رضي الله عنه في ثانيه وهو يوم الأربعآء الرابع عشر من شهر رمضان فأظهر حسن السيرة في الأمور كلها في بسط العدل والإحسان إلى الأشراف وأهل العلم على طبقاتهم وتسويغ خراجهم، والتشدد على أهل العيث والفساد ما يضرب به المثل إلى الآن بطبرستان، فيقال: عدل الدّاعي.

وكانت له حروب مشهورة، ووقائع معروفة مع ولدَي النّاصر عليه السلام، ومع مسوّدة الخراسانية، وخَطَبَ له بنيسابور ونواحيها ليلى بن النعمان مدة، وخطب أيضا بالري ونواحيها أيامًا، وبقي على أمره بعد النّاصر رضي الله عنه اثني عشرة سنة وأشهرا. **واستشهد:** سنة ست عشرة وثلاثمائة، في يوم الثلاثآء بعد العصر لثلاث بقين من شهر رمضان، وقد بلغ من عمره اثنتين وخمسين سنة.

رضي الله عنه وألحقه بآبائه الطاهرين.

---

(١) الافادة ١٣٢.

المرتضى لدين الله عليه السلام[1]

هو: أبو القاسم مُحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وهو عليه السلام غصن من أغصان الخلافة الناضرة، وبدرٌ من بدور العترة الباهرة، ورضيع ثدي الإيمان، وزهر الفضل الذي ضحكت عنه الأفنان.

وأمه عليها السلام: فاطمة بنت الحسن بن القاسم بن إبراهيم، فهو عليه السلام كريم الطرفين منتجب الأبوين، ولد سنة ثمان وسبعين ومائتين[2].

ذكر طرف من مناقبه وفضائله عليه السلام:

كان عليه السلام قد نشأ على طريقة التقوى واليقين، متحليًا بآداب الأئمة الهادين سلام الله عليهم أجمعين، قَد أدرك قصبات السبق في ميدان الفضل، وحلق في جو الشرف والنبل، واعتلى قمم المجد العالية ورُتَبَ الفخار السامية.

وله العلوم الحسنة والتصانيف المستحسنة وهي ظاهرة مشهورة في أصول الدين وفروع الفقه وعلوم القرآن. فمنها: كتاب الأصول في التوحيد والعدل. ومنها: كتاب النبوة، وكتاب الإرادة والمشيئة، وكتاب التوبة، (وكتاب الرَّد على الروافض)[3] وكتاب فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(1) الإفادة ١٣٣، والأعلام ٧/ ١٣٥، وسيرة الإمام الهادي الفهرس ٤٥٨، وبلوغ المرام ٣٢، والتحف شرح الزلف ١٩٠، وعمدة الطالب ٢٠٤، وطبقات الزيدية «خ» والمصابيح ٥٩٠، والفلك الدوار ١٦-٥٨، ومعجم الأنساب ١/ ١٨٧، ومعجم المؤلفين ١٢/ ١٠١، والوافي بالوفيات ٥/ ١٨٥، وأئمة اليمن ٥٢، وفرجة الهموم والحزن للواسعي ١٧٠، وسر السلسلة العلوية ٢٨، والشافي ١/ ٣١٨.

(2) الإفادة ١٣٣.

(3) ما بين القوسين ساقط في (أ).

طالب (عليه السلام)، وكتاب الرد على القرامطة. وكتاب الإيضاح في الفقه. وكتاب النوازل. وكتاب الرضاع. وكتاب مسائل البيوع. وكتاب مسائل المعقلي. وكتاب مسائل الطبريين . وله في التفسير قطع كثيرة، إلى غير ذلك من تصانيفه (عليه السلام)، وهي كثيرة سوى ما ذكرنا.

فأما الزهد والورع : فمما لا يفتقر إلى برهان، وكيف لا يكون منه في أعلا طبقة وهو فرع خلافة قد بسق فخارها وعلا منارها، وكانت له (عليه السلام) المقامات المحمودة، والمواقف المشهودة بين يدي أبيه الهادي إلى الحق (عليه السلام)، وكان قطب رحى الحرب إذا دارت :

وكم مقام هائل قد قامه ... لو قامه الفيل لسار القهقرى

وكان انتهى به الحال إلى أن أُخذ أسيراً في بعض الحروب، فأقام مدةً في ناحية بيت بوس حتى لطف الله عز وجل له بالخلاص.

وله (عليه السلام) أشعار كثيرة كتبها لوالده في حال حبسه وهي موجودة في سيرته الشريفة فمن ذلك قوله (عليه السلام) :

كدَّر الورْدَ علينا والصدَر ... فعل من بدل دينا وغدر

أيّها الأمّة عودوا للهدى ... واتبعوا الحق بنور وبصر

حكّموا القرآن فيما بيننا ... واتركوا عنكم أحاديث السمر

إن قول الله أشفى لكمُ ... أيُّها الناس بايضاح النذر

واتبعوا ما قال يحيى لكمُ ... فبه تنجون من حر سقَر

إن للسيف علينا حومة ... وبه نسطو على من قد ختَر

عدمتني البيض مع سمر القنا ... وتبدلتُ رقاداً بالسهر

لأثيرنَ عجاجًا ساطعًا ... بالعناجيج وبالبيض البتر

وأديرن على أعدآئنا ... كأس حرب وضرامًا يستعر

وقال عليه السلام في قصيدة بعث بها إلى أبيه عليه السلام:

أمـــيـــر المؤمنين تَعــزّ عني ... ولا تحـفل ببـعـدي واغـتـرابي

وهبني كنت في القـتلى صـريعًـا ... بـأطـراف الأسنّـة والحـــراب

وقم لله مـجـتـهـداً مـجـدّاً ... فـمـثلك لا يعلّم بالصـواب

وكـيف وأنت أفـضلُ من عليـهـا ... وأبصـرُ بالعلوم وبالكتـاب

أولاده عليه السلام: القاسم بن محمد، وإسماعيل، وإبراهيم، وعلي، وعبدالله، وموسى، ويحيى أبو الحسين وهو الخارج بالديلم الملقب بالهادي الذي روى عن عمه كتاب الأحكام، وروى المنتخب. والحسن، والحسين، والقاسم. ومن البنات: أسماء، وبنت غيرها، ذكر ذلك السيد أبو طالب عليه السلام[1].

مدة قيامه بالأمر ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام:

لما توفي الهادي عليه السلام إلى رضوان الله تعالى، وعظم الخَطْبُ على المسلمين بوفاته لنجوم القرامطة بأرض اليمن، وتقوى أمرهم كما قال بعضهم في مرثية فيه عليه السلام:

كـفى حـزنا أنّا فـقـدنا إمـامنا ... على حين أمسينا نهـابًا مقـسمـا

على حين أمسى المشركون بأرضنا ... يرونا لهم فـيـئـا حـلالاً ومـغنمًـا

فاجتمع الناس إلى المرتضى عليه السلام وقد كَرَبهم الأمر واشتد عليهم الخطب، وأجهشوا بالبكاء، فلما سكتوا وسكتت أصواتهم، قال عليه السلام: جزاكم الله من أهل محبة وولاية خيرا، ونعم الإمام كان لكم الهادي رضي الله عنه الناصح لكم، الحدب عليكم، كان والله حريصًا على إرشادكم، طالبا لصلاحكم، مؤثرا لكم، حاملاً لكم على ما فيه نجاتكم، داعيًا لكم إلى ما يقربكم إلى الله، زاجراً لكم عما يبعدكم منه، حاكمًا فيكم بالعدل والقسط، لا تأخذه في الله لومة لائم ولا عذل عاذل، على مثله فليكثر البكاء والأحزان، والندم والحسرة والأشجان، ولكن

---

(١) الإفادة: ١٣٣.

المرجع إلى الله عز وجل في جميع الأحوال، والعمل بالتوبة والدعاء إليها والحث عليها أولى بنا وبكم ولنا ولكم فيما نزل بنا من الأمر العظيم، وحل ساحتنا من الفادح الجسيم، أسوة برسول الله ﷺ وبالأئمة الماضين من عترته صلوات الله عليهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون رضاء بقضائه وتسليمًا لأمره، والموت سبيل الأولين وطريق الآخرين، وبذلك حكم على عباده رب العالمين، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها، وهو تبارك وتعالى خير الوارثين، ثم بكى بكاء شديداً، وأنشأ يقول:

يُسهِّل ما ألقى من الوجد أنني ... مجاوره في داره اليوم أو غدا

وارتج البلد بالبكاء، وتكلم كل واحد بمبلغ رأيه وعلمه، فلما هدأت الأصوات وسكنت الأجراس- قال المرتضى عليه السلام: الحمد لله رب العالمين ملك يوم الدين، ونستعينه على أداء ما أصبحنا نتقلب فيه من نعمه التي لا تحصى، ونحمده على ما أصابنا من خير وبلوى، ونسأله الصلاة على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد المصطفى وآله وسلم، ثم إن الله عز وجلّ أمر أمراً وفرض على خلقه فروضًا، لم يرض منهم إلا بالعمل بها، والتسارع إلى ما فرض الله عليهم منها، وأرسل محمداً خاتم النبيين بشيراً ونذيراً إلى جميع المخلوقين، وأنزل عليه كتابًا فيه نور مبين، وشفاء لما في الصدور، ﴿ **لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت:٤٢]، أمر عباده بالعمل على ما فرضه وأكد من الأمر عليهم بعد أن أعطاهم الاستطاعة، ومكنهم من القُدْرَةِ على ما أمرهم به، ودعاهم إليه ﴿ **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال:٤٢]، ولسنا رحمكم الله بأبناء دنيا فنتكالب عليها، ولا بأهل الباطل فنطلب الإمارة والسلطان والأمر والنهي من غير استحقاق، وعلى غير جهة رشد وسداد واستقامة وصلاح،

أكثركم يعلم كيف كنتم للهاديﷺ بعد دعائكم إياه إلى بلادكم، وبيعتكم له على كتاب الله وسنة نبيئه ﷺ، وإحياء معالم الدين ومجاهدة الجبارين الظالمين، ألم ينقض أكثركم تلك العهود المؤكدة والمواثيق الغليظة؟ ألم ينكث جُلّكم أيمانكم بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا؟ ألم يَدَعْ أكثركم الحق جهراً واتبع الباطل؟ وباع الكثير الباقي بالتافه اليسير الفاني؟ وكان ﷺ يقاسي منكم الأمرّين وتصيبه منكم المحن المتواترة وتعاملونه بأقبح المعاملة، وتقابلونه على جميع أفعاله معكم وإحسانه إليكم وعفوه عن ذنوبكم بالاساءة إليه والخروج عليه، فصبر من ذميم أفعالكم وقبيح معاملاتكم ما لا يصبر عليه إلاَّ من امتحن الله قلبه بالتقوى ونوّره باليقين والهدى، ما قصر ولا ونَى في دعائكم إلى رشدكم وطاعة ربكم، ولا سئم من نصحكم والشفقة عليكم، (ولا ترك تقويم المتأوِّد منكم، ولا بخل بما حوته يده عليكم)[1]، ومواساتكم بنفسه وماله، لم يتعلق عليه أحد منكم بمظلمة ولا ادعى عليه أحد عدولا عن الحق وميلا إلى الهوى، ومحاباة لولد وذوي قربى، بل كان يعمل بكتاب الله وسنة نبيئه ﷺ قَد جعلهما نصب عينيه لا يفارقهما، ولا يزايلهما ولا يدع العمل بهما، فأفعالكم التي تفعلون وسيركم التي بها تسيرون، وطرقكم التي فيها تسلكون لا يحمدها ولا يأمن من الله جل وعز العقوبة على مفارقتكم عليها ومداحاتكم فيها، وأنتم إلى الباطل تميلون وعن الحق تفرون وفي معاصي الله تسارعون، ولولا إيثار طاعة الله والائتمار لأمره والوقوف عند ما حَدّ من حكمه؛ لكان ما عرضتم علي منه من طلب الدنيا وإرادة من اتبع الهوى، هيهات لا أزول من أمر الله شبراً، ولا أفارق حكمه فترا، حتى ألحق بالله على بصيرة، وألقاه عزوجل عن عزيمة صادقة، فإن تُقْبِلُوا إلى طاعة الله وتنفذوا لأمر الله، وتصبروا على حكمه فيما ساءكم

---

(١) في (أ): ما بين القوسين ساقط.

وَسَرَّكم وأعطاكم وأخذ منكم ؛ كنتم من الفائزين وعند خالقكم من المقربين، فاتقوا الله وارجعوا باللوم على أنفسكم، وتوبوا إلى الله رب العالمين، وقوموا لله قانتين ولأوليائه موالين ولأعدائه معادين، ولأهل معصيته منابذين، ولمن خالف أمره مهاجرين، ولآثار رسوله صلى الله عليه وآله متَّبعين، وللمعصية والفسوق تاركين، وبالمعروف آمرين وعن المنكر ناهين، وللأئمة الصالحين من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله مطيعين، واعلموا أن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون[1].

ثم بايعه الناس غرة المحرم سنة تسع وتسعين ومائتين، وأقام بصعدة وفي يده بلد همدان وخولان ونجران، وأقام عليه السلام كذلك مديدة وسيَّر جنوده لقتال القرامطة فقُتلوا في كل فج، واستقامت له الأمور حتى كان يوم الخميس لإحدى وعشرين ليلة خلت من ذي القعدة من السنة المذكورة جمع عليه السلام وجوه العشائر قبله فعاب عليهم أشياءً كرهها منهُم، وعزم على الاعتزال والتخلي من الأمر[2].

وقال عليه السلام في خطبة خطبها عند ذلك : ثم إنكم معاشر المسلمين، أقبلتم إليّ عند وفاة الهادي رضي الله عنه، وأردتموني على قبول بيعتكم، فامتنعت مما سألتموني ودافعت بالأمر ولم أو يسكم من إجابتكم إلى ما طلبتم مني خوفا من استيلاء القرمطي - لعنه الله على بلادكم، وتعرضه للضعفاء والأيتام والأرامل منكم، فأجريت أموركم على ما كان الهادي رضي الله عنه يجريها، ولم أتلبس بشيء من عرض دنياكم، ولم أتناول قليلاً ولا كثيراً من أموالكم، فلما أخزى الله القرمطي ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ [الأحزاب : ٢٥]، تدبرت أمري وأمركم ونظرت فيما أتعرضه من أخلاقكم، فوجدت أموركم تجري على غير سننها، وألفيتكم تميلون إلى الباطل وتنفرون عن الحق، وتستخفُّون بأهل

---

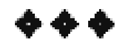
(١) أنظر المصابيح ٥٩١ - ٥٩٤ وجزء منها في الإفادة ١٣٣ .

(٢) سيرة الإمام الهادي ٤٠٠ .

الصلاح والخير والدين والورع منكم، لا تتناهون عن منكر تفعلونه، ولا تستحيون من قبيح تأتونه وذنب عظيم تركبونه، لا تتعظون بوعظ الواعظين، ولا تقبلون نصح الناصحين، بل تجرون في غيكم، وعن أمر الله إلى نهيه عادلين، وعما نأمركم بطاعة الله مزورين وعنه نافرين وإلى أعداء الله وأعداء دينه الجهال الفساق راكنين، وقد قال الحكيم العليم في محكم التنزيل: ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَالَكُم مِّن دُونِ اللهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ [هود:١١٣]، فلما لم أجد فيكم من يعين الصادق المحق، ويأمر بالمعروف ويرغب في الجهاد، ويختار رضى الله عزوجل على رضى المخلوقين إلاَّ القليل من القبيلة واليسير من الجماعة، أنزلتُ هذه الدنيا من نفسي أحسن المنازل، وآثرت الآخرة الكريم محالها، الشريفة منازلها، العالية مراتبها، واخترت الباقي الدائم على الفاني الزائل، وتمسكت بطاعة رب العالمين، وذلك من غير زهد مني في جهاد الظالمين ومنابذة الفاسقين ومباينة الجائرين، مع علمي بما فرض الله عز وجل منه على عباده في وقته وأوانه، وأيقنت مع الأحول التي وصفتها، والموانع التي ذكرتها أن السلامة عندالله في الزهد في الدنيا، والاشتغال بعبادة رب العالمين والاعتزال عن جميع المخلوقين، وذلك بعد رجوعي إلى كتاب الله عز وجل واشتغال خاطري بتدبر آياته، وإعمال نظري وفكري في أوامره وزواجره، ومحكمه ومتشابهه، وخاصه وعامه، وأمره ونهيه، وناسخه ومنسوخه-فوجدته يوجب التبري عليّ من هذا الأمر إيجابًا محكمًا، ويلزمني تركه إلزاما قاطعا، فاتبعت عند ذلك أمر الله ونزلت عند حكمه ونظرت بقضائه، فإن لم يقم لله عز وجل عليّ حجة من بعد ذلك ووجدت على الحق أعوانًا، وفي الدين إخوانًا -قمت بأمر الله طلبًا لثوابه، حاكمًا بكتابه، متقلداً لأمره متبعًا سنة نبيه محمد ﷺ، لا أفارقه ولا أعدل عنه حتى يعز الله الحق ويبطل الباطل، أو الحقُ بصالح سلفي الذين

مضوا لله مطيعين وبأمره قائمين، وإن لم أجد على ذلك أعوانًا صادقين وإخوانًا لأمر الله متبعين، لم أدخل بعد اليقين في الشبه، ولم أتلبس بما ليس لي عند الله حجة، وكنت في ذلك كما قال الله تعالى: ﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ**﴾ [الذاريات:٥٤] أمثلي يدخل في الأمور الملتبسة؟ هيهات! منع من ذلك خوف الرحمن، وتلاوة القرآن والمعرفة بما أنزل الله في محكم الفرقان، فإني لست ممن تغره الدنيا بحسنها وتخدعه بزينتها، فاتقوا الله عباد الله حق تقاته، وعاونوا الحق والمحقين وجانبوا الباطل والمبطلين، وكونوا مع الصابرين، واعلموا أنكم ميتون، وإلى ربكم راجعون، وعلى أعمالكم محاسبون وبما كسبت أيديكم مرتهنون، ﴿**وَمَا اللَّهُ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**﴾ [ق:٢٩]، والسلام على من اتبع أمر الله، ورضي بحكم الله، وآثر طاعة الله[١].

واعتزل عليه السلام الأمر وخلا بربه وآثر عبادته على كل شيء[٢]، وصرف عماله من بلد همدان ونجران وغيرها، ولزم منزله بصعدة وأقام الأمر على حاله، ولم يظهروا له خلافا ولا كراهية لأمره، وأقام بصعدة بعض بني عمه يصلح بين الناس. وكان أخوه الناصر عليه السلام في الحجاز، فقدم بعد ذلك فأشار المرتضى عليه السلام عليه بالقيام بالأمر. وكانت مده انتصاب المرتضى عليه السلام نحو سنتين. وتوفي عليه السلام بصعدة سنة عشر وثلاثمائة، وله اثنتان وثلاثون سنة، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام[٣]. ودفن إلى جنب أبيه عليه السلام.



---

(١) الخطبة كاملة في المصابيح ٥٩٥-٥٩٧.

(٢) في(أ) ساقطة: على كل شيء.

(٣) الإفادة ١٣٤.

الناصر لدين الله عليه السلام[1]

هو: أبو الحسن أحمَد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وأمه: أم أخيه عليهما السلام، ولا جوهر أعلا من جوهره، ولا عنصر أزكى من عنصره، وكيف يوصف شرف نسب تردد بين النبي المختار والأئمة الأطهار السادة الأبرار[2].

قوم كرام سادة   مَن هُمْ؟ ومَن هُمْ؟ ثم مَنْ؟

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام قَد نشأ على الزهادة، وتربى على العبادة، واقتبس من نور والده الوقاد وكرع في علم الأجداد حتى ارتوى من غريب علمهم، واستمطر رباب فهمهم، فأحرز من علمهم الصافي الكثير، وانتفع من ودق سحابهم الجون الغزير. وله عليه السلام التصانيف النافعة[3] والكتب الرائعة في الأصول والفروع والمعقول والمسموع، **فمنها**: كتاب النجاة في الرد على الجبرية القدرية الفرية[4] وفيه علم عجيب، وكلام حسن غريب، وهو مجلد كبير قَدر عشرين كاملة، وله كتاب الدامغ، وكتاب التوحيد، وكتاب في الفقه، وكتاب (في) التنبيه، وكتاب في

---

(١)أنظر الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١٣٥، وسيرة الهادي «ع» انظر الفهرس ٤٤٤، والأعلام ١/ ٢٦٨، وبلوغ المرام ٣٣ والمصابيح ٥٩٨، واتحاف المسترشدين ٤٥، والتحف شرح الزلف ١٩١، والترجمان لابن مظفر «خ»، وأئمة اليمن ٦٠، والمقتطف من تاريخ اليمن ١٠٧، والفلك الدوار ١٦ ومعجم المفسرين ٢/ ٣٠٢، وعمدة الطالب ٢٠٥، وتاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ١٥٧، وأعلام المؤلفين الزيدية ٢٠٢.

(٢)المصابيح ٥٩٨، والإفادة ١٣٥.

(٣)في(ب): الواسعة.

(٤)في(أ): الغوية.

مسائل الطبريين، وكتاب الرد على الإباضية فرقة من فرق الخوارج، وله في علوم القرآن ما يشهد له بالإصابة والتبريز، إلى غير ذلك من التصانيف المشهورة. ومن شعره عليه السلام قوله :

أبعد الأربعين رجوت خُلداً ... وشيبك في المفارق قد أتاكا

كأني بالذي لابد منه ... مِنْ امْرِ الله ويحك قد دهاكا

أولاده عليه السلام: القاسم أبو محمد، وفاطمة، أمهما رقية بنت إبراهيم بن محمد ابن القاسم بن إبراهيم-وإسماعيل، والحسن، وجعفر، ويحيى، وعلي لأمهات أولاد، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام [1].

مدة ظهوره ونبذ من سيرته ووقت موته وموضع قبره عليه السلام :

لما قَدم عليه السلام من الحجاز في آخر ذي الحجة من سنة ثلاثمائة، وأقام مع أخيه عليهما السلام حتى كان يوم الأحد لثمان ليال خلت من صفر سنة إحدى وثلاثمائة اجتمع إليه وجوه خولان، فاستعانوا به على أخيه المُرتَضَى أن يقوم فيهم، فكره ذلك، فسألوا الناصر عليه السلام القيام فيهم على ما كان والده فأجابهم إلى ذلك، وقام فيهم وأعطوه العهود والمواثيق على القيام معه على كل من ناوأه. وكانت بيعته عليه السلام يوم الجمعة في مسجد الهادي عليه السلام الذي فيه قبره.

ومن رسائله عليه السلام فيما يتضمن الدعاء إلى دين الله والحث على الجهاد في سبيل الله بين يديه، قوله عليه السلام: ألا وإني قَد رغبت فيما رغب الله فيه فنهضت له، وقمت فيما ندب إليه فسموت له، وعرفت ما أمر الله فأعلنت به، ولم أسْعَ لطلب دنيا ولا توفير مال ولا ازدياد حال، ولا طلب فساد في الأرض ولا إضاعة

---

(١) الإفادة ١٣٥ . وقال السيد العلامة مجد الدين المؤيدي في كتابه التحف شرح الزلف ١٩٧ «أولاده: أبو محمد القاسم المختار وعلي، ويحيى عقبهم باليمن واسماعيل عقبه بحلب وغيرها والحسن المنتجب أولاده ببغداد، وداود عقبه برام هُرمز وغيرها، والرشيد عقبه بدمشق، وإبراهيم عقبه بمصر، ومحمد بحلب، والحسين والمهدي هنالك».

لحق، ولا انتهاك لمسلم، ولا هتك لمحرم، ولا إراقة دم حرام، ولا إظهار بدعة، ولا فعل شنعة، ولا محبة رفعة، ولا إرادة رفاهية، ولا مفاخرة بجمع، وإنما قمت للازم الحجة بي، ووجوبها عليّ، وتوثق أرباقها[1] بي، على حين جفاء من الإخوان وتراكم من الأحزان وإفراد من الأعوان، وليس مكاني يخفى ولامقامي يغبى، ولا اسمي بمجهول فيعذر الغافل والمتثاقل، ويجد حجة الخاذل، ويمكن المتخلف التأول مع المحن التي أنا فيها، والأمور التي أقاسيها من كثرة لائم لا يرضى، وعابد للدنيا، ومطّلب للسعة والغنى، ومتربص لا يُتقى، ومفرد عند الشدائد لا يرعى، ومتسخط وقت لا يعطى، وما دعوت إلى الدنيا فإذا عدمها أهلها معي ذهبوا، فإذا فارقوها انقلبوا، ألا وإني إنما دعوت إلى ما دعا إليه من كان قبلي من الأئمة الطاهرين والعباد الصالحين، أنا عبدالله وابن نبيه ﷺ وآله، الشاري نفسه لله سبحانه، الغضبان لله جل ثناؤه إذ عصي في أمره، واستخف بفرضه، وقُتلت الدعاة إلى دينه، فلو أسعفتني الأعوان وعاضدتني الأنصار، وصبر على دعوتي أهل الأديان، لعلوت فرسي واعتضيت رمحي وتقلدت نجاد سيفي وآخيت درعي، وقصدت أعداء الله جل ذكره. وكان يجيب الأقران إلى يوم الطعان صابراً محتسبًا مسروراً جذلا، إذا أشرعت الأسنة، واختلفت الأعنة، ودعيت نزال لمعانقة الأبطال، وتكافحت الرجال، وسالت الدماء، وكثرت الصرعى، ورضي الرب الأعلى، فيالها خطة مرضية لله جل ثناؤه ما أشرفها، فأنا أشهد الله لوددت أني أجد إلى حيلة سبيلا يَعزُّ فيها الدين، ويصلح على يدي أمر هذه الأمة-وأني أجوع يوما واطْعَم يوما حتى تنقضي أيّامي، وألاقي حمامي، فذلك أعظم السرور وأجل الحبور وأشرف الأمور، ولو كان ذلك وأمكن ما نزلتُ عن فرسي إلا لوقت صلاة، والصفان

---

(١) الرِّبق - بالكسر حبل فيه عدّة عُرًا تشد به البَهْم. مختار الصحاح ٢٣١.

قائمان والجمعان يقتتلان، والخيلان يتجاولان، فنكون في ذلك كما قال شاعر أمير المؤمنين عليه السلام بصفين :

أيمنعنا القوم ماء الفرات ... وفينا السيوف وفينا الْحَجَف

وفيها الشوازب مثل الوشيج ... وفينا الرماح وفينا الزَّعَف

وفينا عليٌّ له سَوْرة ... إذا خوفوه الردى لم يخف

وكما قال جدي القاسم بن إبراهيم عليه السلام :

دنياي ما زال همي فيك متصلا ... وإن جنابك كان المزهر الْخَضِرا

إذا انقضت حاجة لي منك أعقبها ... همٌّ بأخرى فما ينفك مفتقرا

متى أراني إلى الرحمن مبتكرا ... في ظل رمحي ورزق قل أو كثرا

ولكن قلَّ المعين على هذا الدين، فأنا وحيد دهري، وغريب في أمة جدي، وقَد شُغِل بذلك قلبي، وضعف عزمي[1].

ولما بويع له بالخلافة يوم الجمعة في مسجد الهادي إلى الحق الذي فيه قبره ركب إلى صعدة القَديمة في ذلك اليوم، فاجتمع إليه خلق كثير من الناس قيل : إنهم كانوا فيما بين صعدة والغيل، وأنشده إبراهيم بن محمد التميمي في ذلك اليوم قصيدة أولها :

عاداتُ قلبك يوم البين أن يجبا ... وأن تراجع فيه الشوق والطربا

وخرج إلى المدح فقال :

قوم أبوهم رسول الله حسبهم ... بأن يكون لهم دون الأنام أبا

من ذا يفاخر أولاد النبي ومن ... هذا يداني إلى أنسابهم نسبا

قوم إذا افتخر الأقوام واجتهدوا ... وجدتَ كلّ فخار منهُم اكتسبا

لولا الإله تلافانا بدينهم ... لما فتئنا عكوفا نعبد الصلبا

---

(١) المصابيح ٥٩٩ - ٦٠١.

أقام جبريل في أبياتهم حِقَبا ... يتلو من الله في حافاتها الكتبا

أنتم أناس وجدنا الله صيركم ... لنا إليه إذا لُذنا به سببا

لا يُدفَعُ السوء والبلوى بغيركم ... عنا ولا ينجز الوعد الذي كتبا

وأنتم حزبه من دون غيركمُ ... ومن يكن حزبه منكم فقد غلبا

لا يصلح الدين والدنيا بغيركم ... ولا يقالُ لمن سامى بكم كذبا

من عابكم حسدا عاب الإله ومن ... عاب الإله فقد أودى وقد عطبا

ومن يكن سلمكم يسلم بسلمكم ... ومن يُحَارِبْكُمُ جهلا فقد حربا[1]

لم يفرض الله أجرا غير حبكم ... لجدكم خاتم الرسل الذي انتخبا

حتى الصلاة عليكم والدعاء لكم ... فرض على كل من صلى ومن خطبا

تشوّف[2] الملحدون النوك إذ علموا ... أن الإمام علينا اليوم قد عتبا

فقلت: لا ترفعوا جهلا رؤوسكم ... فيأخذ السيف من هاتيك ما انتصبا

إن الإمام وإن أبدى معاتبة ... منه ليشبه فينا الوالد الحدبا

كانت أمور وكان الله بالغها ... ومحنة منه قد كانت لنا أدبا

وقد تولى أمور الناس خيرهم[3] ... بعد الإمام فتم الأمر أو كربا

صنو الإمام ومن سد الإمام به ... نهج الثغور ولم الصدع فارتأبا

هذا أبو حسن والجود في قرن ... أمسى بذي يمنٍ أمنًا لمن رهبا

ساس الأمور وكانت قبلُ مهملة ... وقام فينا بدين الله محتسبا

إذا تحجب أهل المال وامتنعوا ... لم تلفه خشية الإنفاق محتجبا

---

(١) في (أ): سقط عجز هذا البيت.

(٢) في (أ): تسوف.

(٣) في (أ): كلهم.

صلت له شيمٌ أمواله نِعَمُ   أفعاله كرم يرتاح إن طلبا
يعطي الجزيل ولا يرضى القليل ولا   يجفو الخليل لذنب جَدَّ أو لعبا
لمَّا بدا ابن رسول الله منصلتا   يوم العروبة[1] في خولان إذ ركبا
تَحفُّه عصبٌ ضاقت بها عصب   من حولها عصب يتلو بها عصبا
رجال سعد بن سعد والربيعة إذ   أتوا إليه جميعا جحفلا لَجَبَا
كأنه اليم إذ جاشت غواربه   إذا تلاطم موج البحر وارتكبا
أو كالعريض إذا التفت سحائبه   وطبق الأرض والآفاق وانسكبا
راق العيون وسر المسلمون به   وساء من عاند الإسلام فاكتأبا
كانا يشبان نار الحرب بينهما   لو أنها اضطرمت[2] كانا لها حطبا
على شفا جرف هار مواقفهم   لا يستطيعون من إشقائها هربا
حتى تداركهم منها فأنقذهم   ربٌّ بجَدِّكَ منها أنقذ العربا
فألّف الله بالإحسان بينهما   بِيُمْنِكُم فأماطا الحرب واصطحبا
تلك الصنائع عند العالمين لكم   لا يعدلون بها الأوراق والذهبا
فأنتم رحمة فينا لأولنا   وآخرينا فهذا الشكر قد وجبا

ثم أقبلت همدان وأهل نجران، فبايعوه على الطاعة، وبعث قواده وعماله إلى جميع مخاليفه، وساس الأمور أحسَن سياسة، ودانت له ملوك اليمن واستولى على أكثر أعماله، وكانت أكثر حروبه مع الباطنية، فقد كانت شوكتهم قوية في عصره، وأظهروا المنكرات كلها وشربوا الخمور في شهر رمضان المعظم استخفافًا بحرمته، وأباحوا الحرام، وكانت النساء يجتمعن في ليلة من الليالي في بيت ثم يدخل الرجال عليهن في الظلمة فيأخذ كل واحد منهم من وقعت في يده يواقعها،

---

(١) أي الجمعة.

(٢) في (أ): اضطربت.

ويقرؤن سجعًا[1] زعموا أنه قرآن نزل على رأسهم في الإلحاد علي بن الفضل، وادعوا أن ذلك شرع ودين نزل عليهم من رب العالمين، فكانت جنود الناصر عليه السلام في كل وقت تأخذ منهُم الثأر وتنقم الأوتار، وكان آخر الوقائع وأعظمها وقعة (نُغاش) وكان قد اجتمع من الباطنية خلق كثير من جميع المغارب وناحية تهامة وقائدهم يومئذ صاحب مسور عبد الحميد بن محمد بن الحجاج، فأقاموا في نغاش، وندب الناصر عليه السلام أمراءه وقواده وهم: إبراهيم بن الحسن العلوي العباسي، وأبو جعفر أحمَد بن محمد الضحاك، وعبدالله بن عمر، وغيرهم من الرؤساء، فانتدبوا ونهدوا في وجوه القرامطة طالبين الجهاد في سبيل الله. وكان ابتداء القتال في يوم الأحد لليلتين بقيتا من شهر شعبان سنة سبع وثلاثمائة عقيب وصول أوائل عسكر الإمام عليه السلام إلى الخيرة، فتلازم القتال في موضع يعرف ببيت الورد بين الفريقين من صلاة الظهر إلى غروب الشمس.

قال عبدالله بن عمر وهو مصنف سيرة الناصر عليه السلام[2]: ولقد رأيت من نصر الله لوليه وابن نبيه صلى الله عليه وآله الناصر لدين الله رضي الله عنه عجبا عجيبا، لقد رمونا ونحن وقوف بين القبيلتين من نهج عبدالحميد القرمطي، فلقد رأيت نبلهم منكوسة بين القتال ما تصيب أحدًا بمَنِّ الله وإحسانه تعالى، وهربت جنود الباطنية لعنهم الله، وقتل فيهم، ووقف الجند الإمامي في الخيرة ليلة الإثنين، فلما أصبحوا نهضوا إلى قصر الحمدي[3] بالقرب من نغاش، وارتجز الغطريف بن الضحاك العلوي[4] وهو يقول:

سيدنا الناصر باد عَلَمُه مثلُ الهلال زيَّنَتْهُ أنجمُه

---

(١) في (أ): وسجعوا سجعًا.

(٢) سيرة الإمام الناصر لدين الله (خ).

(٣) في (أ): الحمودي.

(٤) في (أ): الصائدي.

همـدان في كل مـغـار تقـدمُـه   طرا وخـولان جـمـيـعـا تخـدمـه
وأرجـــو أن الكرام تـعظمـــه   لابد من حـصن اللعين نهـدمـه
ونسـتـحل مـاله ونغنمـه   وفي غـد يـبـصـر مـا لا يعلمـه
من أخـذ مـال بالقـران نقـسـمـه   والحق فـينا لا يجـور قلمـه

وكانت القرامطة تشرب من مائه، فدنا العسكر المنصور ومنعهم من ذلك، قال الراوي: ولم يكن معنا أسواق ولا أهبة لمقام، فكان من نصر الله عز وجل أن قَدم علينا قوم من ناحية صنعاء معهم ثمانون حملاً من دقيق فباوعها في معسكرنا فحسُنت الحال واستغنى العسكر، وباتوا على الماء في الحمدي ليلة الثلاثاء، وعوى الذئب فصاح أحمَد بن محمد العنسي: يعز على يا ذئب غداً شبعك من لحوم القرامطة فصاحوا به، وقال راجز خولان:

نحن حـميناكم وحُـزنا القـصـرا   مـاء الحـمـودي بضـرب قـسـرا
خـولان قـومي بالقـيـاس تترا   تجـد لابن الطاهرين نصـرا
نوفي الذمـام ونعـاف الغـدرا   إنا على الفـخـر نعلي الفـخـرا
وقـومنا همـدان تعلو قـهـرا   على الأعـادي بالرمـاح دسَـرا
عـبـد الحـمـيـد لا تول الظهـرا   فـإننا نعـمـل فـيك الصـبـرا
غـداً نُذلُّ عـزكـم والكفـرا   والحق أولى بالعُلَى وأحـرى

وقويت جنود الحق. وقيل: إن عدتهم بلغت إلى ألف وسبعمائة، وبلغت عدة الباطنية كثرة عظيمة (قيل: إنهم سبعة آلاف)[1]، فلما كان يوم الثلاثاء غرة شهر رمضان عظمه الله من سنة سبع وثلاثمائة نهد الجند الإمامي الناصري يحفه به النصر ويحده الظفر قاصدين لأعداء الله تعالى في نغاش، وكان إبراهيم بن الحسن العلوي العباسي رحمه الله في الميسرة بمن معه من خيل همدان ورجلها

---

(١) ساقط من الأصل.

وخيل خولان، وكان أبو جعفر أحمَد بن محمد الضحاك الهمداني رحمه الله بمن معه من الأنصار؛ همدان وخولان في الميمنة، وعبدالله بن عمر في القلب بمن معه من فرسان همدان ورجالتها وأهل النخوة والوفاء منها، ثم ساروا قدما حتى استقبلوا الباطنية، وصاح شعيب بن محمد السبيعي الأرحبي: يا معشر همدان اسمعوا قولي وعوا كلامي والله لئن لم أر هذه المضارب خِرَقا في أيديكم في يومكم هذا ليحلن بكم البوار، ولتكونن للقرامطة بمنزلة حمير عليها براذعها باقي أيامكم، وينتهكن حريمكم ويذهبن عزكم، فَقَدُمُوا فدتكم نفسي بالضرب قدما، ولا تنظروا إلى تهويل القرامطة المشركين فليسوا لكم بنظراء، وما بينكم وبين أن تنالوا من عدوكم ما تريدون إلاَّ صبر ساعة يسيرة ثم أيقنوا بالظفر ويفخر هذا اليوم باقي أعماركم.

قال مصنف سيرته وهو عبدالله بن عمر: ولقد رأيت من سمعه من العسكر اهتزوا لقوله اهتزاز العرب وحركتهم الحرية والنشاط، فصمموا قدما وذمر بعضهم بعضا، وعبأ القرامطة عساكرهم على رأس جبل نغاش[1]، وكان قائدهم عبدالحميد بن محمد بن الحجاج[2] في القلب بأهل لاعة وما يليها من بني شاور المعيل والشاهل وأهل العضد وأهل نضار وبني أعشب وكان في الميمنة القائد الآخر محمد بن إسماعيل الجوبي وعبدالله بن أبي الملاحف الصنعاني وكانا في حجور وعيان وأهل حفاش وملحان ومسور والضلع والأعذار، وكان في الميسرة يوسف بن يعقوب الوردي في النجبة وهم أصحاب ركاب القرمطي وأهل الثقة عنده، وأهل حجة وأهل أدران وعيان ومن يليهم من القبائل، وكانت معهم خيل من علك وغيرها، فسار كل واحد من الفريقين حتى تناظروا وتدانوا، فصاح صائح

---

(١) في(أ): ساقطة.

(٢) في(أ): حجاج.

من المسلمين : يا معشر القرامطة ، أنتم تزعمون أنكم شيعة لآل محمد ﷺ ، وأنكم لهم أنصار ، فما بالكم قابلتموهم بجيوشكم للقتال وإراقة الدماء؟ ، وإنما تخدعون بذلك العوام والطغام ، وأنتم أعداء محمد وآل محمد عليه وعليهم السلام ، وإني أدعو دعوة وأبتهل إلى الله عز وجل في قبولها وفيها لكم نصفه ، والله عز وجل أرضى للرضى وأسخط للسخط .

وأنا أقول : اللّهم بعزتك وسلطانك وامتنانك ، وتكرمتك للإسلام ، وتشريفك لآل محمد ﷺ ، من كان منّا ومنكم مبغضا لمحمد وآل محمد فأهلكه اليوم ، وعجل نقمته ، واسفك دمه ، واهزم جمعه ، ومن كان منّا ومنكم محبًّا لمحمد وآل محمد ، وقائما معهم بالحق ، فانصره وعجل نصرته ، وأظهر حجته ، وأحقن دمه وثبت قَدمه ، فقال القرامطة بأصوات عالية : آمين . . آمين . . وأمَّن أصحابنا ، وصاحت القرامطة : اللّهم انصر أحب الفئتين إليك في يومنا هذا ، (فأمّن أصحابنا وأمّنت القرامطة)[1] ، ثم قامت الحرب على ساق ، وسالت عن إرعاد وإبراق ، فاقتتل الناس حتى زالت الشمس ، وطلع إبراهيم بن[2] المحسن عليه السلام وكان ردفا لأصحابه ، فاقتلعوا مضارب القوم ودخلوا معسكرهم ، وانكشفت القرامطة منهزمين لا يلوي أحد منهُم على أحد ، وسيوف المحقين تقطف منهُم الهامات حتى قتل منهُم بَشَرٌ عظيم ، وهم في هزيمة فاضحة حتى تعلقوا بجبال المصانع ، وأفلت عبد الحميد القرمطي والرماح في قفاه ، وكان تحته فرس جواد نجا عليها بعد أن كان قَد دنا عطبه ، وتغنم الناس من السلاح والدواب ما يكثر ويعظم ، وانصرفوا عنه وإنّ مضارب القرامطة لخرق في أيديهم على ما حرَّض عليه شعيب بن محمد السبيعي ، وقال عبدالله بن أحمَد التميمي أرجوزة أولها : عوجا خليلي أوان الموسم . . .

---

(١) في(أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٢) في(أ) بزيادة : المنذر .

وخرج إلى ذكر الوقعة فقال :

القرمطي بالضلال المجرم عبد الحميد بالفعال المؤثم[1]

إذ فر لا يقصر عن حلملم وخلّف الدعاة لحم الوضم

إياك يا ابن محسنٍ لم أعدم من خضرم سلالة لخضرمِ

وسيد لسيد معمم وملك لملك غشمشمِ

وباذخ لباذخ عرمرمِ ومقول لمقول لم يخصمِ

وصمد لصمد لم يرغمِ وماجد لماجد لم يبرمِ

من معدن أركانه لم تهدمِ يلقى الوفود غير كابي المبسمِ

بغرة مشكورة لم تذمِ فأنت نورٌ في الظلام الأقتمِ

واستقر عبدالحميد في حلملم، وتبدد عسكره وانحل نظام جمعه، وأقام المسلمون في جبلهم يوم الأربعاء بقصر الحمدي.

فلما كان يوم الخميس كتبوا إلى الناصر لدين الله عليه السلام يعلمونه بما كان من الفتح المبين، وأمروا بأخماس الغنائم وجماعة من رؤوس القتلى، وعاد كل من القواد إلى مركزه وموضعه، فعاد جواب الناصر عليه السلام يحرضهم على جهاد القرامطة وقصدهم إلى أوطانهم، فاجتمع القواد على النهوض في النصف من شهر رمضان، والتقوا إلى الخيرة في يوم الثلاثاء، فوقفوا الثلاثاء والأربعاء ونهضوا يوم الخميس إلي حلملم، فنجا عبد الحميد منهزما إلى جبل يعرف (بأحضاض)، وخلف في حلملم رجلاً من أصحابه، فقصدهم عبدالله بن محمد السعدي في عسكره، فلما أيقن به من في حلملم ولَّوا هاربين إلى جبل (موتك)، وهو المعروف الآن بميتك، فدخل السعدي حلملم فأحرقها بالنار، واستولى على ما فيها من الطعام، وطلع عبدالحميد إلى جبل (مدع)، ثم نهض

---

(١) في (أ) : ذي الضلال، ذي الفعال.

العسكر كله إلى المصانع، فلما علم بهم نجا إلى (مسور)، وفتت هذه الوقعة أعضاد الملحدين، ونعشت الدين وأعزت كلمة الموحدين، وشتت شمل الجاحدين.

قال مصنف سيرة الناصر عليه السلام: لقَد شهدت الحروب وعاينتها مذ بلغت الحُلُمَ، فما رأيت يوما كيوم نغاش أكثر قتلى[1] من أعداء الله القرامطة، ولقَد حبست فرسي في موضع قَد كثر فيه القتل، فلقَد سمعت للدماء خريراً كخرير الماء إذا هبط من صعود، قال رحمه الله: ولقَد رأيت ظبيا مقتولا قَد سقط بين قتيلين، قال: وحدثني بعض أصحابنا: أنه رأى ظبيين مقتولين في موضع آخر، وذلك أنه لما وقعت الهزيمة في القرامطة مع كثرتهم أخذوا الجبل عموما، فدخلت الوحوش بينهم فقتلت معهم، ولقَد صح لنا أن كثيراً من القرامطة دخلوا بين القتلى وتضمخوا بالدماء، حتى أفلتوا لما جن عليهم الليل، ولقَد بان لي بين من ذَلك، وذلك أني أشرفت على موضع من البون يقال له: ناهرة حتى رجع المتبع من أصحابنا، فلقَد رأيت الجبل انهل كالسيل من القرامطة عراةً يسعون هربا من كان مندسا في الجبال والشعاب وتحت الأعناب، وذلك أن كثيرا من عسكرنا مَلَّ القتل فسلب وخلا، ولقَد كررت راجعا على شعب فيه قتلى كثير قَد ركب بعضهم بعضا، فقلت لمن معي: احفظوا هذا الموضع حتى ننظره غداً، فلما كان من الغد نظرت إليه فوجدته رقيقا بخلاف ما كان، فعلمت أنه كان فيهم أحياء دخلوا بين القتلى ثم صح لنا الخبر بعد ذلك، قال: ولقد اجتهدنا أن نعرف عدد القتلى فما قَدرنا على ذلك لتباعد الشعاب، وافتراق الأمكنة، قال: وفقد من دعاتهم وأهل الرئاسة منهم ثمانية وأربعون داعيا، ولقَد وُجد بعد ذلك قتلى كثيرة في شعاب نُغاش بسلاحهم وثيابهم ما سلبوا، قال: وما قتل من أصحابنا في قتال يوم الأحد

---

(١) وردت في النسخ (قتلا ممن رأيته وعلمت قتل) ولا معنى له، وما أثبتناه من التحف ص١٢٥.

ولا الثلاثاء أحد سوى رَجُل واحد من البون أخطأ به بعض أصحابنا بضربة فمات منها.

وحكي لنا عن الإمام المنصور بالله عليه السلام، يرويه عن بعض أهله: أن عدة القتلى يزيد على خمسة آلاف قتيل، ولما استقر عبد الحميد في ناحية مسور، قصدهم جنود الناصر لدين الله عليه السلام، فأحاطت بهم من جميع جوانبه، وضايقوهم أشد المضايقة وقتلوا منهُم في وقعات كثيرة في أرجائه، فما أنقذهم من سطوة الحق إلاَّ جنود المسودة نهضت من العراق ووصلت إلى زبيد، ونهضوا من هنالك قاصدين إلى جنود الناصر عليه السلام، وكان إتيانهم بمراسلة من القرامطة، فتأخرت جنود الناصر عليه السلام. ولم يزل عليه السلام ساعيًا في إقامة قناة الدين، مجتهدا في إخماد نار الملحدين حتى توفي رضي الله عنه يوم الأربعاء ضحى النهار لثمانية عشر ليلة خلت من شهر الحجة سنة خمس وعشرين وثلاثمائة[1].

وكانت مدة ظهوره عليه السلام نحو ثلاث وعشرين سنة. ودفن بصعدة إلى جنب أخيه وأبيه ومشاهدهم معروفة ومزورة.

◆◆◆

---

(١)في(أ): حتى توفي رضي الله عنه سنة عشرين وثلاثمائة.

الإمام المهدي لدين الله عليه السلام[1]

هو: أبو عبدالله محمد بن الداعي إلى الله الحسن بن القاسم بن الحسن ابن علي بن عبدالرحمن بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام . وأمه: خورخور[2] بنت فيروز الديلمي، وكلُّ آبائه سادة قادة، وأبوه الأدنى الذي يضرب بعدله المثل في البلاد التي ظهر فيها أمره عليه السلام، وهو القائم بالأمر بعد الناصر للحق عليه السلام والوصي له بعد وفاته، وأميره في حال حياته، وكلما علا من أب فهو ذو فضل وزهادة وعفة وعبادة[3].

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام منور الوجه، حسن (الشيبة إلى السمن)[4]، كثير البكاء من خشية الله عز وجل، سريع الدمعة، مقربًا للصالحين وأهل الخير، شديداً على الفساق، معروفًا بسلامة الصدر وحسن الرجوع على حِدَّةٍ مفرطة كانت به، ثم يرجع أحسن رجوع، ذكره السيد أبو طالب عليه السلام.

ذكر طرف من مناقبه عليه السلام:

نشأ عليه السلام على طريقة السلف الصالح، حتى أضحى ميزانه في الفضل الميزان الراجح، وجمع عليه السلام بين العلم والعمل، حتى أحرز منهما قصبات السبق، وبرز فيهما على كثير من الخلق، وقد ذكر بعض من صنف في أخباره عليه السلام أنه كان يقال: لو مادت الأرض بشيء لوِطَّوه لمادت بعلم أبي عبدالله .

---

(١) أنظر الإفادة في تاريخ الأئمة السادة ١٣٧، والشافي ١/ ٣٢١، والتحف شرح الزلف ٢٠٩، والأعلام للزركلي ٦/ ٨١، والكامل لابن الأثير ٧/ ١٠ حوادث سنة ٣٥٣، معجم المؤلفين ٣/ ٢٣٠، وأعلام المؤلفين الزيدية ٨٨٧ ومطمح الآمال ٢٣٠، وسير أعلام النبلاء ١٦/ ١١٤.

(٢) في(أ): خرخرا.

(٣) الإفادة ١٣٧، والشافي ١/ ٣٢١.

(٤) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

وكان في علم الكلام بحراً لا تقطعه الألواح، ولا يخوضه الملاح، وكان شيخه فيه الشيخ العالم النحرير أبو عبدالله البصري من المبرزين في علم الكلام، الضاربين فيه بأوفر السهام، فتخرج عليه السلام معه حتى بلغ في الفن الغاية القصوى، وأدرك غاية المنى، وله قطعٌ فيه يدل على تبحره وتوسعه، وكان الشيخ أبو عبدالله رحمه الله كثير الاحتفاء به، والتعظيم لشأنه.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: وكان يحضر داره كثيراً ويبيت فيها ويلقنه المسائل، وربما يملي عليه التعاليق، ويكرر ما جرى له من الدرس، وكان يفعل هذا لأغراض. منها التبجح بأن يكون مثله من أصحابه، ويتخرج بتعليمه، وينسب إليه. ومنها الاستظهار بمكانه، والاعتصام بجنبته من قصد طبقات المخالفين له حتى لم يتمكنوا مع كثرتهم وإطباقهم على عداوته اعتقاداً وحسداً من شيء مما كانوا يحاولونه من التأثير في أمره، وبقي على ذلك العز بعد خروجه رضى الله عنه من بغداد، فإنه لما قصد عند خروجه، وأغرى أبو الحسن ابن علي الطيب العلوي الموسوي -وهو رئيس أشراف بغداد- أهل الكرخ به حتى جاؤا إلى مسجده ورجموه، وهو قاعد يملي وأزعجوه عن مكانه، وعقد محضر بأن الصلاح في نفيه من بغداد، وبذل أكثر مَن ببغداد من الموافقين والمخالفين شهادتهم فيه، فانتهي إلى معز الدولة حاله، وقيل له: إن أستاذ أبي عبد الله بن الداعي قد قُصد وأوذي، فاستعظم ذلك غاية الاستعظام، وأنكره انكار مثله، وأمر برده إلى مجلسه على نهاية الإكرام، وأنفذ إليه أكابر الدولة تعظيما له.

ومنها ماكان يختص به ذلك الشيخ من اعتقاد موالاة الأشراف ومودتهم ومحبتهم والميل إليهم، وإيثاره ان يكونوا كلهم مواظبين على العلم متقدمين فيه، حتى كان إذا ظفر بواحد منهم ووجده حريصا على العلم مطبوعا فيه يقدر أنه

---

(١) الإفادة ١٤٠.

وجد ضالة نفيسة لا عوض بها، ويحثه على الصبر عليه، وترك التقصير فيه بأنواع من الحث .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[1] عن الشيخ أبي عبد الله البصري، قال: كنت أملي بعض الموجز لابن أبي بشر الأشعري، فكان رضي الله عنه يستملي ذلك بنفسه ويكتبه مع سائر أصحابنا، وكان يحتاج إلى أن يكتب في كل يوم نحو ثلاثين ورقة وأقل وأكثر من أثمان المنصوري، فكنت أتأمله وهو يكتب ذلك وقد عرق من شدة الحر وتعب تعبًا شديداً، وهو شيخ وإلى السِّمَن ما هو، فقلت: أيها السيد هُوذا تتعب نفسك فيما تكتبه، وهذا لا فضل فيه بين أن تكتبه أنت وبين أن يكتبه غيرك، فقال لي: أحب أن لا أتأخر عن أصحابنا في الاستملاء، كما لا أتأخر عنهم في الدرس .

وروى السيد أبو طالب عليه السلام[2]، عن أبي العباس العماري الطبري قال: كان أبو عبدالله البصري عند أبي عبدالله بن الداعي رضي الله عنه ليلة، وكان يجري كلام في الإمامة والنص على أمير المؤمنين عليه السلام، فقال أبو عبدالله البصري قول العباس له: أمدد يدك أبايعك، يدل على أنه لم يكن منصوصًا عليه، ألا ترى أنه ذكر في سبب إمامته البيعة دون النص المتقدم، فقال أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه قوله: أمدد يدك أبايعك، يدل على أنه كان منصوصًا عليه، ألا ترى أنه لم يستشر، ولم يقل: تختارك جماعة منا وتتفق عليك ثم أبايعك .

وكان أبو عبدالله البصري يقول لأصحابه: لا تتكلموا في مجلس الشريف أبي عبدالله وبحضرته في مسألتين: في مسألة الإمامة، وفي مسألة سهم ذوي القربى فإنه لا يحتمل ما يسمعه منكم في هاتين المسألتين، ويوحشه ذلك .

وقرأ فقه الحنفية على الشيخ أبي الحسن الكرخي رحمه الله، حتى بلغ فيه

---

(١) الإفادة ١٣٩ .

(٢) الإفادة ١٣٩ .

المبلغ الذي يُضْرَبُ به المثل .

قال السيد أبو طالب[1] : سمعت كافي الكفاة يقول : إنه لقيه ببغداد ، وإنه كان يحضر داره كثيراً ، وإنه أول من لقي شيخنا أبا عبدالله البصري لقيه في داره ، قال : فكنا نجرب حفظه لفقه أبي حنيفة بأن نكتب له مسائل غامضة ، ننتخبها من الكتب ، وكان يقترح علينا أن نفعل ذلك ، فكان ينظر فيها ويكتب أجوبتها تحتها فلا يغلط في شيء منها على المذهب . قال عليه السلام : وحكى القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد الأسدي المعروف بابن الأكفاني ، قال : كنا يوما في مجلس أبي الحسن ، وأبو عبدالله محمد بن الداعي رضي الله عنه حاضر على عادته ، فلما فرغ أبو الحسن من الدرس قام وخرج من المسجد (وتبعه أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه ، فلما خرج من المسجد)[2] التفت فرآه ، فقال : أيها الشريف لولا أن الخروج من المسجد لا فضيلة فيه لكنت لا أتقدم عليك فيه .

وحُكيَ أن مشائخنا ببغداد وأظن أني سمعت هذه الحكاية من كافي الكفاة وهي : أن أبا الحسن لما مات حضر أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه جنازته ، وحضرها أبو تمام الزينبي وهو نقيب العباسيين ، فكان شيخنا أبو عبدالله يحب أن يصلي عليه أبو عبدالله بن الداعي ، وأبو بكر بن الدامغاني -وهو من متقدمي أصحاب أبي الحسن وحفاظهم ، وكان أبو الحسن حين غلبت عليه الرطوبة في آخر أيامه وثقل لسانه ، وانقطع عن التدريس استنابه للفتيا عنه- كان يميل إلى أن يصلي عليه أبو تمام الزينبي ؛ لأنه كان يختص به كما يختص شيخنا أبو عبدالله بأبي عبدالله ابن الداعي رضي الله عنه ، فحين وضعت الجَنَازة احتال أبو بكر هذا بأن تقدم إلى بين يدي أبي عبدالله بن الداعي ، فقال : أيها السيد[3] أنت أحق الناس بالتقدم ، ولا

---

(١) الإفادة ١٣٧-١٣٨ .

(٢) في(أ) : ساقط ما بين القوسين .

(٣) في(أ) : أيها السيد ، وفي الحاشية : الإمام .

يجوز أن يتقدم عليك أحد وقَد حضرت، ولكنك تعلم أن مثل هذا الشيخ يقبح أن يُصلّى عليه على خلاف مذهبه، وقَد علمت أن مذهبه أن تكبير الجنائز أربع، فإذا رأيت أن تكبر عليه أربعا فافعل، فانتهره رحمه الله، وقال: أنا لا أكبر إلا خمسًا، (فمن شاء)[1] فليتقدم، فحينئذ تقدم أبو تمام وصلى عليه[2].

وكان عليه السلام قَد خرج إلى فارس فأكرمه عماد الدولة، وعرف له مكانه من الأبوة والفضل في نفسه، فإن عماد الدولة كان أحد قواد الداعي، ثم انتقل إلى بغداد في أيام معز الدولة أبي الحسن أحمد بن بُويه، فزاد في إعظامه وإكباره والرفع من محله، وكان هو وأخوه من خواص الداعي رحمه الله.

قال السيد أبو طالب رحمه الله[3]: وكان معز الدولة حين تمكن من بغداد ولّى نقابة العلوية أبا محمد علي الكوكبي القمي لخدمة قديمة سلفت له، وكان أبو علي فيه زعارة وعنف، فشكا العلوية إلى معز الدولة سوء معاملته إياهم مرةً بعد أخرى، فقال لهم: قَد عزلته عنكم فاختاروا لأنفسكم من ترضونه، فاجتمع العلوية كلهم على الرضى بأبي عبدالله بن الداعي رحمه الله، وقالوا لمعزالدولة: لا نختار غيره، فقال معزالدولة: أنا أعظمه من هذا العمل وأجله أن أخاطبه فيه، فإني أعتقَد أن مكان المطيع هو مكانه وهو المستحق له دون غيره، ولكن إن سألتموه وشفعتم إليه وأجابكم إلى ما تريدونه فهو منية المتمني، أو كلام هذا معناه. فاجتمعوا إليه رحمه الله وسألوه ذلك فامتنع منه وأنف من الدخول فيه، هذا مع جلالة هذا الأمر كانت في ذلك الوقت ببغداد، وأعادوا المسألة والشفاعة حالا بعد حال، واستعانوا فيه بشيخنا أبي عبدالله البصري، فإنه كان يحب أيضا دخوله في الأمر؛ ليتمكن بجاهه فضل تمكن، وأشار عليه بذلك وسأله فيه إلى أن

---

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين.

(٢) الإفادة ١٣٨.

(٣) الإفادة ١٤٢.

استجاب، وشرط على معز الدولة في ذلك شرائط .

منها: ألا يدخل إلى المطيع ولا يقبل له الخلعة التي جرى الرسم بإخراجها من داره إلى كل من تولى ببغداد الأعمال الجليلة ؛ لأنه يكون سواداً، فامتنع من لبس السواد ولهذا امتنع من الدخول إلى المطيع، فإن الرسم جار لمن يدخل إلى هؤلاء ألا يدخل إلا بالسواد، ولما جرى الرسم به من تقبيل الأرض بين أيديهم إلى شرائط أُخر شرطها، فأجابه معزالدولة إلى جميعها وأنفذ إليه خلعة بياض، ولم يدخل إلى المطيع طول مقامه ببغداد .

وقال لي شيخنا أبو عبدالله : ما رأيت يومًا أحسن من يوم ركوبه حين ولي النقابة وعليه الخلع، وحوله أشراف بغداد كلهم، وبين يديه حجاب السلطان، ومرّ إلى (براثا) في ذلك الموكب البهي وعاد إلى داره، وقال : صعدت بعض الغرف المشرفة على الطريق حتى رأيته ورأيت موكبه . وولى رضي الله عنه أبا الحسين ابن عبدالله نقابة الكوفة، وأبا أحمد الموسوي نقابة البصرة، وأبا الحسين الموسوي نقابة واسط، وأبا القاسم الزيدي نقابة الأهواز وأعمالها، وتحمل هذا العمل بتوليه له، ودبره بأتم صيانة وأكمل عفاف وورع . وكان معزالدولة يكثر الإكثار الذي لا مزيد عليه، ويعتقد فيه ما يجب اعتقاده، حتى إنه كان بين يديه يومًا جماعة من أكابر حاشيته، وكانوا إمامية وكان في جملتهم الحمولي القمي، وكان معزالدولة يناظرهم، ويقول لهم: يا إمامية أين إمامكم؟ ومتى يظهر؟ فقالوا له : أيها الأمير فأين إمامك؟ أنت أيضا بلا إمام! فقال : لي إمام وأنا أريكم إمامي، فلما دخل أبو عبدالله بن الداعي رضي الله عنه، قال : هذا إمامي[1] .

وبلغ من تعظيمه له أن أبا الحسن بن أبي الطيب الموسوي-وكان رئيس علوية بغداد ومن أعيانهم ومقدميهم-كان تظلم إليه رضي الله عنه متظلم منه، فأحضره مجلسه وزجره ونهاه عن ظلم من كان يظلمه، فأوحشه بكلمة، فأمر بأن يجر

---

(١) الإفادة ١٤٣ .

برجله وحبسه في داره، فبلغه أن الوزير المهلبي قد أومى إلى إنكار ما جرى عليه، وأنه يريد أن يتشفع في أمره، فغضب من ذلك واحتد وركب إلى دار معز الدولة في نصف النهار، وهو وقت لم تجر العادة بدخول دار السلطان في مثله والتعرض للقائه، وكان معز الدولة في الخيش مبتذلاً، فقيل له: قد حضر أبو عبدالله بن الداعي، فانزعج بحضوره في ذلك الوقت، وراسله وتعرف الحال في سبب مجيئه، فذكر قصة أبي الحسن بن أبي الطيب، وعاد الرسول إلى معز الدولة وعرفه ما ذكره، فأنفذ إليه بأني قدرت لما ذكر لي حضورك في مثل هذا الوقت أنك حضرت لشكاية ابني بختيار، ومَنْ ابن أبي الطيب حتى تحوج أنت إلى تجشم شكايته إليّ !؟ وأنت مالك أمره، فاحكم فيه بكل ما تريده من ضرب وحبس ومن جميع أنواع العقوبة، ولكن بعد ما شكوته إلي فعقوبته عندي نفيه إلى عمان، واستدعى للوقت ابن الزكي صاحب الشرطة، وتقدم إليه بأن يقعده في زورق مقيداً موكلاً به، ويحدره إلى البصرة، وبأن يكتب إلى عامل البصرة بأن ينفذه إلى عمان، ثم تشفع إليه رضي الله عنه في العفو عنه فعفى[1].

قال السيد أبو طالب[2]: وأنشدني أبو الحسين بن أبي سعد كاتبه رضي الله عنه لأبي الحسن الموسوي، قال: كتب إليه بهذه الأبيات رضي الله عنه من واسط حين ولي النقابة، وهي أبيات مطبوعة ظريفة قال:

الحمد لله على عدله	قد رجع الحق إلى أهله
كم بين من نختاره واليا	وبين من نرغب في عزله
يا سيداً تجمع آراؤنا	مع كثرة الخلف على فضله
ومن غدا يشبه أسلافه	في قوله الحق وفي فعله
لو قيل: من خير بني المصطفى	وأفضل الأمة من نسله؟

(١) الإفادة ١٤٣.

(٢) الإفادة ١٤٤ - ١٤٥.

أشـــار بالأيدي إليك الورى	إشـــارة الفـــرع إلى أصلـه
يـا ابـن عـلـي بـن أبـي طـالـب	مـــثلـك من دل عـلـى نسـلـه
لو لم أقل بالنص في مــذهبي	وكنت كـالقـاطع من حـبلـه
لقلت قَـد قـام إمـام الهـدى	واجـتـمع العـالم في ظلـه
نُبلُك في الأمـر الذي نلتـه	يـزيـد والـلـه عـلـى نـبـلـه

أولاده عليه السلام : الحسن أبو محمد[1]، وعلي أبو الحسن، وابنة. **وأمهم** : أم العباس بنت علي بن العباس بن محمد بن إبراهيم الحسني[2] .

بيعته عليه السلام ونُبذ من سيرته بعد البيعة ومدة ظهوره، وموضع قبره:

أقام عليه السلام في بغداد حتى ارتفع صيته وعلا ذكره في الآفاق، فكاتبه أهل الصلاح والدين من أعيان الديلم بأنهم يبايعونه وينصرونه إن خرج إليهم، وورد عليه نفر منهُم يخاطبونه في مثل هذا المعنى، وخاطبه أبو الفوارس (ماناذر بن جستان) ملك الديلم بأنه يبايعه ويبذل في نصرته المجهود ويعينه بماله ورجاله، فتعين عليه الفرض في الخروج، فخرج من بغداد مستترا لا يقف على خروجه إلا خواص من أهل العلم الذين بايعوه ببغداد سراً، وكان معز الدولة غائبا عنها إلى الموصل لمحاربة بني حمدان، وكان قد اجتمع للعلوية من أوقافهم مال كثير أراد تفريقه فيهم، وكان مودعا في درب عون، ولم يكن يقف عليه أحد، فحين خرج من بغداد كتب رقعة فيها مبلغ المال والموضع الذي هو فيه مودع، وأن سبيله أن يفرق فيهم، وأمر حامل الرقعة بتسليمها إلى بعض الثقات، وأن يتصرف قبل أن يوقف على خبره، ففعل ذلك فأُخذ ذلك المال وفرق، والناس يبكون أسفا عليه

(١)في(أ): ابن محمد.

(٢) الإفادة ١٤٥ .

وعلى إمامته إذ فارقهم مثله، وعرف معز الدولة خبره، فغمه ذلك غما شديداً، وعاتب بختيار عتابًا طويلاً؛ لأنه ظن أنه خرج لوحشة عرضت له من جهته، وأخذ رضي الله عنه على طريق الشهرزور، ووقع على موضع يعرف (بأنبير)، ومن هناك أخذ دليلا وسار حتى وصل إلى ماناذر بالروذيار، فلما عرف ماناذر خبره استقبله وخدمه، وترتب في الموضع المعروف ببيرزمي من أرض الديلم، وذلك في سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة، وتتابع إليه المسلمون من سهل الديلم وجبلها، ومن الجيل ومن طبرستان فبايعوه، وضم إليه ماناذر جمعًا كثيفًا من أصحابه ورئيسهم نكالنجار[1] ابن أخته، وبث رضي الله عنه الدعاة في النواحي[2].

وذكر الشيخ أبو القاسم البستي رضي الله عنه في كتاب المراتب [١٦٥]: أن الذي بايعه أربعة آلاف رجل من علماء الأمة، ثم نزل عليه السلام عن الجيل قاصداً هوسم وواليها أبو محمد الحسن بن محمد[3] بن الثائر المعروف بأميركا، فصمد أميركا هذا لحربه، والتقيا واستظهر عليه ابن الثائر، وانحاز رضي الله عنه إلى ناحية ماناذر، ثم جمع العساكر وعاود للقتال ثانيًا ومعه عدد كثير، ولحق به أبو محمد الحسن بن محمد بن الناصر من الري وهو ابن اخته، فلم يثبت له ابن الثائر في هذه الوقعة، وانهزم وتحصن في قلعة كانت في يده تعرف بقلعة ليالستان ورآء هوسم على حد أرض الجيل، فتمكن رضي الله عنه من هوسم ونفذ أمره في الديلم وتلقب بالمهدي، وانقاد له كثير من الجيل، ثم جمع ابن الثائر أبو مُحمد جيشا كثيفا من الديلم، وخرج من القلعة فحاربه عليه السلام وانهزم أصحابه، وثبت وحده فقبض عليه أبو محمد واعتقله على تكرمة، ثم أفرج عنه لأنه علم أنه لا يتم له اعتقاله، ولا يحتمله المسلمون من الجيل والديلم، فاعتذر وبايعه وخرج إليه أخوه

---

(١) في (أ): ثاكالنجار.

(٢) الإفادة ١٤٥.

(٣) في (أ) بزيادة: بن علي.

زيد من آمل فسر به، واعتمده في أمر الجيش وفوض إليه أمره، ودبر للخروج إلى آمل وجمع الجيوش، فلما ظهر هذا الخبر أشخص من آمل إلى جرجان كبار العلوية كلهم خشية أن ينضموا إليه، وكوتب من جرجان نصر بن محمد الاسفندار لمحاربته وأنفذ إليه من طبرستان أعيان الجيل، وخرج عليه السلام من هوسم واستخلف عليها ابن الثائر أبا محمد الذي تقدم ذكره ووثق به وسكن إليه، وفارقه أبو محمد الحسن بن محمد الناصر وعاد إلى الري مستوحشًا منهُ لاستخلافه أبا محمد بن الثائر، وجآء عليه السلام إلى شالوس مع عسكر عظيم من الجيل والديلم، وامتد نصر بن محمد الاسفندار إلى هنالك مع هؤلآء المتقدمين إليه من طبرستان، فالتقوا بشالوس فأوقع بهم رضي الله عنه وقتل منهُم مقتلة عظيمة، وهام الاسفندار مع الأعيان من هؤلآء على وجوههم، ثم وقع تخليط في عسكره رضي الله عنه بسوء تدبير من كان اعتمده وخيانة بعض أقاربه له بخديعة اتجهت عليه، فلم يتمكن من الامتداد إلى طبرستان وعاد إلى هوسم، فأقام بها على ضجر شديد من سوء أدب كثير من أولئك الجيل والديلم، وكان ينادي بتلونهم ونفاقهم وقلة وفآئهم بما كانوا بذلوا له أيام مقامه ببغداد .**وكتب** عليه السلام إلى القاضي أبي بكر محمد بن عبدالرحمن، سنة تسع وخمسين وثلاثمآئة[1].

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي أطال الله بقاء القاضي المعروف بالعلم والأدب، والمشاركة في كل سبب، وأدام عزّه كريمًا، وأيده سعيدا، وختم له بفوز الآخرة ونعيمها، وَجَنَّبَهُ بلآء الدنيا وكدها، من هوسم عن سلامة ونعمة بالدين حرستا، وبطاعة الله سبحانه وتعالى نيطتا، وبتوفيقه وفضله كملتا، والحمد لله على ما وهب وأعطى، وصلّى الله على أبينا محمد من خُتمَ به الأنبيآء واصطفى، وعلى من طاب من عترته وسنته اقتفى، وطريقته اهتدى، وسلم تسليما دآئما مهديا أبدًا، وليس القاضي

(١) في حاشية (أ) بزيادة عنوان (لفظ كتابه عليه السلام ورحمه الله إلى القاضي أبي بكر.

الأعز لدينا أدام الله عزه بغبي فينبه، ولا بمشكل عليه أمر من أمور الدنيا والآخرة فيعلم، بل هو بحمد الله ممن يصلح أن يكون إلى الله داعيا لأوليآئه ومعاونا، وبالحق قآئلا على حسب قدرته ومكانه، مع جميل نيته وصحة اعتقاده، وبمثله تخف عنا المحن بتسببه إلى معاونتنا في كل فن، وقد علم أمرا اطرحه في عصرنا جل أهلنا، وتغافلت عنه أمة جدنا على مَضَض وتعب، مع علو سن وضعف بدن، فأعان الله بكرمه فما تزيدنا الأيام إلا شدة وعزا، ودربة وحرزا، حتى لو شاهدنا القاضي أيده الله لسُر بنا، ولرآنا على خلاف ما عهد منا، لأنا عاشرنا عصابة لله مطيعين، وفي جهاد أعدآئه مجدين، مع نجدة وكرم نفوس وديانة وخشية، قد هان عليهم تحمل عاجل كل أمر لرجآء ثواب الله الذي وعد جميع من جعل فيه صبرا، وأنا أرجوا من الله عزاً شاملا، وأجراً بعد ذلك كاملا.

وقد كتبنا على يد ولينا وأخينا المخلص أبي غانم الهمداني أكرمه الله تعالى ما القاضي أيده الله يقف عليه، وحملناه من خاص أمرنا ما يشافهه ليعلمه منه، وعلمنا بمعرفتنا به أنه لا يصل إلى بغيته لنا إلا بالقاضي أيده الله، فقصدناه بمكاتبتنا، وأمرنا أبا غانم أسعده الله بالنزول عليه والمشاهدة له والامتثال بأمره حسب الثقة به؛ لأن الشاهد يرى ما لا يرى الغآئب، والله يعينه ويوفقه، وهو حسبنا ونعم الوكيل. فإن رأى القاضي الجليل العزيز أطال الله بقاه أن يتفضل من ذلك بما هو إليه أهدى وبه أولى، وبمكاتبتنا بخبره وحاله ورأيه ومشورته، فإنا به واثقون وعلى قوله عاملون، ويمحضنا النصيحة من حيث هو، فإن الدين النصيحة، وإنا متى ورد كتابه علينا ووقفنا عليه عملنا به فعل[1] إن شآء الله، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته وعلى جميع أوليآئنا قبله أفضل السلام والتحية، وصلى الله على سيدنا محمد أبي وآله الطيبين وسلم تسليما.

وعنوان هذا الكتاب للقاضي أخينا محمد بن عبدالرحمن أطال الله بقاءه سعيداً، وأكرمه بطاعته مؤيداً رشيداً، من عبدالله المهدي لدين الله محمد بن

---

(١) في نسخة (فقل).

الحسن بن رسول الله ﷺ.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[1]: ومن مليح نادرته رضي الله عنه: أنه كان بالديلم رجل يعتقدون فيه أنه فقيههم، يعرف بأبي علي بُنْديره، وكان رضي الله عنه يتأذى[2] به. فقال بنديره هذا- يوما وهو في جحفل من الناس-: أيها السيد صف لنا صفة المنافقين. فقال رضي الله عنه: نعم، من صفة المنافق أن يكون رجلا عليه صوف يضرب لونه إلى الصفرة، ويكون ربعا من الرجال، قد حلق شاربه. حتى استوفى ما ظهر من صفات هذا الرجل وزيِّه، فقال له الرجل: أيها السيد، هذا هو صفتي، قال: نعم؛ لأنك منافق. فضحك الناس من ذلك الرجل وصار ما جرى نادرة عليه إلى يومنا هذا. وقد كان صاحب طبرستان فزع منهُ فزعا عظيمًا، وانعقدت هيبته في النفوس لعظيم موقعه من العلم والدين والشجاعة والشهامة والأبوة والبيت الرفيع، ولكن لم تساعده المقادير.

وسمعت بعض عرب نصر بن محمد الاسفندار الذين شهدوا الوقعة يصف تلك الوقعة وثباته رضي الله عنه فيها، ويقول: لما رأينا الرآية البيضآء وقد صعدت من الوادي لحبت قلوبنا، فلم نثبت ولينا منهزمين. وكان أكثر قتاله رضي الله عنه بالسيف، وكان معه سيف يقالُ: إنه كان لحمزة بن عبدالمطلب.

قال السيد أبو طالب عليه السلام[3]: ومن تأثيره العظيم في باب الدين أن الديلم كانوا يعتقدون أن من خالف القاسم عليه السلام في فتاويه فهو ضال، وكل قول يخالف قوله ضلالة، والجيل يعتقدون مثل هذا في قول الناصر رضي الله عنه، ولم يكن يُسمع هناك قبل دخوله إلى تلك الناحية أن كل واحد من القولين حق، فأظهر رضي الله عنه هذا المذهب فيما بينهم، وهو أن كل واحد منهما حق وصواب، وتكلم فيه وبينه لهم، وناظره قومٌ منهم كانوا معدودين في جملة الفقهآء، وهم بالديلم القاسمية، وقد

---

(١)الإفادة ١٤٩.

(٢)في الأصل: ينادي، وفي الإفادة: يتأذى، فأثبتنا الأصوب.

(٣)الإفادة ١٤٧.

كان فيهم نفر يحفظون كثيراً من مسائل القاسم ويحيى عليهما السلام، وإن لم يكونوا يتحققون بالنظر ولا يعرفون طريقة ولا يفهمون[1] أكثر ما يورد عليهم فيما يتعلق بهذا الجنس، فأما الجيل فما كان فيهم من ينتهي إلى هذا الحد أيضا، وإنما كانوا عواما مقلدة إلا أنه كان فيهم تعصب شديد في هذا الباب، وكان بعضهم يفسق بعضا في هذه المسألة، وربما كفروا، وأكثرهم كانوا لا يحفظون في هذا الباب إلا مسألة البنت مع العصبة[2]، فيجري بين الطائفتين فيها من النزاع والتضليل والتفسيق ما هو معروف، وقد بقي هذا الخلاف يعد في كثير منهم إلا أن من يرجع منهم إلى تحصيل ودراية وفكر في الدين قد رجعوا عنه، والسبب فيه بركاته رضي الله عنه وكان يتعب معهم في تبيين هذه المسألة، ويضجرونه بجهلهم، وإيراد جهالاتهم عليه معتقدين في أنفسهم أنهم يناظرونه، إلا أن آخر الأمر اعتقد هذا القول أكثر من يرجع إلى ضرب من الدين من الطائفتين، وشاع بعد أن كان أحد لا يجسر على أن يتكلم به قبله، واستمر ذلك بحشمته وهيبته واعتقاد الجماعة فيه على الجملة أنه عالم متفق على علمه مع قدح كثير من جهالهم فيه، ووصفهم له بأنه معتزلي مرة وبأنه حنفي أخرى، وظهر هذا الصلاح ببركته وبقي إلى يومنا هذا. وأقام رضي الله عنه بهوسم إلى أن مضى لسبيله، ودفن سنة ستين وثلاثمائة بهوسم. وقبره هناك مشهور مزور، وقد كان كافي الكفاة نفعه الله بصالح عمله رضي الله عنه، أخرج صدرا من المال لما ورد جرجان للإنفاق على مشهده، وقيل: إنه رضي الله عنه سُمَّ وجعل السم في جام حلوى أهدي إليه فأكل منه، وكان أبو سعيد الأبهري المتكلم تولى غسله، فكان يحكي لنا أنه كان مسموما، وكان يقول: لما نظرت إليه عند الغسل شاهدت علامات السم، فزدت من بكاي وصحت، وقلت: سم سيدي عليه السلام[3].

---

(١)في(أ): يفقهون.

(٢)مثالها: رجل مات وخلف بنتا وأخا فإن للبنت الميراث كله.

(٣) الشافي ١/ ٣٢٤.

الإمام المنصور بالله القاسم بن علي عليهما السلام[1]

هو: أبو محمد القاسم بن علي بن عبدالله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. نسبٌ يحكي بتلاليه أنوار الصباح، ويعذب ذكره في الأفواه عذوبة المآء القراح، وكل آبآئه عليهم السلام قد ضرب الفخر عليهم رواقه، ونطقهم الشرف الأكبر نطاقه[2].

نشأ عليه السلام على طريقة سلفه الأكرمين، وآبائه الغر الميامين سلام الله عليهم أجمعين في العلم والعمل، ثم وصل إلى اليمن أولا من ناحية الشام لاستدعاء أهله لما تتابعت الجراد عليهم، وأكلت ثمارهم وزرعهم، فعند وصوله صرفها الله تعالى عنهم، ولم يكن شيء في أيامه عليه السلام، وكان مشهوراً بالبركة، فلذلك قصدوه، وعاود إلى (ترج) من أرض خثعم فأقام بها، وولاته يتصرفون فيما يليه من الجهات والنواحي خاصة من أرض سنحان وأرض جنب كلها وبلد يام[3].

ثم بعث رسله عليه السلام إلى اليمن في شهر شوال من سنة ثمان وثمانين وثلاثمآئة، لاستنهاض الناس إلى بين يديه، وحمل ما أنفق من الأعشار إليه، وأصحبهم كتابا إلى الناس عمومًا، فوصلت الرسل إليهم فقام في ذلك رجال من المسلمين من البونين والخشب والمشرق والصيد، وجمعوا من البر والزكاة عشرة آلاف درهم، واجتمعوا في البون لعشر باقية من شهر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين

---

(١) سيرة الإمام المنصور للحسين بن أحمد يعقوب، طبقات الزيدية ٢/ ٨٥٩، مآثر الأبرار «خ» اللآلي المضيئة «خ»، أئمة الزيدية ١/ ٧٥-٨٢ بلوغ المرام ٣٤، تأريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٣٣٠، ٢/ ٢٦٣، التحف شرح الزلف ٢٠٢، وتاريخ اليمن للواسعي ١٨٩، وغاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٢٧ مطمح الآمال ٢٣١، أعلام المؤلفين الزيدية ٧٧٣، معجم المؤلفين ٢/ ٦٤٥.

(٢) التحف ٢٠٢.

(٣) التحف ٢٠٢.

وثلاثمآئة، وساروا حتى انتهوا إلى صعدة فانضاف إليهم جماعة من الناس، ثم ساروا حتى وصلوا إلى الإمام القاسم عليه السلام وهو إذ ذاك في أسفل وادي بيشه، فلقيهم أولاده جعفر وعلي وسليمان عليهم السلام بنو القاسم عليه السلام في رؤسآء خثعم وعربها، ثم قدموا على الإمام في حصن له، وكان قد شكى شكوى منعته عن اللقاء لهم، فقعد في موضعه وأقبل إليه خلق كثير من خثعم عند قدوم أهل اليمن، فأقاموا عنده عليه السلام مدة أيام، ثم نهض بهم حتى وصل بالقرب من صعدة وأقام بها أياماً، وهو يفرق عماله، ويقرر لهم الرسوم الشرعية[1].

وكان من كتاب له إلى أهل نجران بعد حمد الله تعالى والثناء عليه، أما بعد: فإنه لا خطأ بعد تذكرة، ولا ذمامة بعد معذرة، وقد قبلت عذر من اعتذر، وتجاوزت عن خطيئة من قصّر، فتعوضوا من سيئاتكم إحسانا، ومن زللكم استمكانا، واعلموا أن من يرجع من سيئته كمن لم يسيء، ومن عاد في غيه نحس وغوى، وقد عرفتم جميعا أنه لا معذرة لمن عصى الله حتى يرجع عن معصيته، ولا توبة للتآئب حتى يندم على خطيئته، وقد أظهرتم جميلاً ثم شكرتم عليه، فحوطوا قولكم بالتمام، وأنفسكم بالإسلام، واعلموا أن الإسلام حرمة ترعى، وللديانة أوامر لا تعصى، ومن قصر عن بعض ما أمر الله به كمن أضاع جميع أمره ونهيه، والله يقول- وقوله الحق: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢][2].

ثم أقام بصعدة حتى كان نهوضه يوم الاثنين من شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، واستقرت أوامره النبوية في كثير من الأقطار اليمنية، ودخل صنعآء واستحكم أمره في مخاليفها، وانتشر في كثير من اليمن ودوخ كثيراً من الأعدآء واستولى على بلادهم، مجريا لأحكام الله قآئمًا بشريعة رسول الله

---

(١) سيرة الإمام المنصور بالله ١٩-٢١.

(٢) سيرة الإمام المنصور بالله ٢٧.

ﷺ، غير وان ولا مقصر، وكان يقود الجنود الكثيرة، فإن في الحكاية: أنه حدث عليه خلاف من بعض أهل نجران، فأمر إلى ولاته في صنعاء وأعمالها، فجمعوا الجنود الكثيرة منها ومن الخشب والبونين وغيرهما من بلاده[1].

ثم نهض إلى نجران في عسكر ضخم بلغ عدد الخيل فيه ألف فارس سوى نيف وثلاثين فارسًا، وعدد الرجال ثلاثة آلاف راجل ومآئتين وأربعين راجلا، فلما استقروا في نجران دمروا أضداده وسلسوا قياده، وعاد عليه السلام بجنده المنصور إلى صعدة مظفراً منصوراً، ثم أمر بدراهم قد كانت حصلت معه من نجران، وضم إليها شيئا كان في صعدة من خراجها، فأمر بأن يقَصَّد ذلك على جميع العسكر، فحصل للفارس مآئة درهم، وللراجل ثلاثون درهمًا، فقبض من ذلك بعض العسكر وكرهه الأكثر استقلالاً له، فلما علم عليه السلام بذلك خرج وجُمع الناس له، فتكلم معهم بأن قال: يا جميع شيعتي وجنودي وأهل طاعتي قد دعوتكم فأجبتم، واستنصرتكم فنصرتم، وأنا كثير الشكر لكم، والثناء عليكم عند الله بدءاً وعند كافة ولد آدم، ثم قال في آخره: أما ظنكم أني بخلت عليكم بشيء سوى ما أمرت بتقسيمه زاداً لكم، فبالله وحق جدي رسول الله ﷺ ما ذخرته عنكم، فاعذروا ابن نبيكم ولا تطلبوه ما لا يطيق فيحبط أجركم[2].

قال الراوي: فلقد رأيت أَعْيُنَ كثيرٍ ممن حضر تفيض بالدمع، ثم عاد عليه السلام إلى منزله، وعادت جنوده وولاته إلى كل ناحية، ثم جرت الأمور على سنن الاستقامة، وخُطب له في مخلاف نواحي جعفر وكحلان وما يليه، ولم يزل دأبه عليه السلام إقامة قناة الدين وإخماد نار الملحدين، وكان إذا حضر معركة نازل أقرانها، وأنزل فرسانها، واثبًا عند الصولة، راكداً عند الجولة، وازعًا لأرباب الظلم، راعيًا حرمة أهل العلم، كثير الوطأة واللين، معروفا بتقريب المساكين، دمث

---

(١) سيرة الإمام المنصور بالله ٣٣.

(٢) سيرة الإمام المنصور بالله ١٩٩ وما بعدها.

الشمائل، جزيل النائل، يؤثر على نفسه عند الحاجة العارضة، طالبا رضى الله العلي الأعلى، مقتفيًا سنن المصطفى ﷺ النجبآء، وكانت مكاتباته ومخاطباته مشحونةً بالحِكَم. فمن ذلك ما كتبه لولده علي وقد ولاه على بلاد وادعة :

بسم الله الرحمن الرحيم

تعلم يا بني أرشدك الله وأسعدك، أن حكمآء الأمة من جَعَلَ الأناءة نصب عينيه وشعار قلبه، ثم استظهر بأرآء ذوي التجربة الذين كثرت عليهم نوائب الزمان وتتابع الحدثان، وأنت غر من الزمان وما يدور به على الإنسان، فإن استشرت من قَد نقَّحت التجربة عقله رشدت وسعدت، وليس كلُّ الناس يستشار، فإنما الرأي لأهل العقول الرصينة، والديانة والأمانة، وليس رأي الواحد يكاد أن يبين صوابه إلا لمحصل حكيم، فإذا أردت بيان الرأي فشاور جماعة من ذوي الرأي كلاً على حياله، فإن اتفقت آراؤهم فلن يكون مع الإجماع خطأ، وإن افترقت واختلفت فخذ منها بما أوجب العفو والأناة، واجعله المقدم، فإنك مع ذلك ستدرك الفآئت وتأمن الندامة، فهذا وجه اجعله مقدم أحوالك، واجعل لجميع متصرفاتك أن تستشير في مأكلك ومشربك ما لا مشورة فيه ولا غنى عنه، لكنْ ضربته مثلا؛ لئلا تدع المشورة في صغير ولا كبير ولا قليل ولا كثير، الله الله وأحذرك نفسك، فإنَّها من أعدآء أعدآئك لك، وأشدهم مضرة عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [سورة يوسف: ٥٣]، وقال عزّ وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، والهوى فاصل كل معصية.

وقد قال ﷺ : وإذا خطر ببالك خاطران فخذ بأكرههما إليك، فإن الرشد فيما تكرهه النفس، وسوف تدعوك نفسك إلى الدنيا وزينتها من وقتك هذا إلى آخر عمرك، فإن أجبت دعوتها وَضَعَك ذلك وأذهب بَهاك، ونَظَرك بعين الدنآئة

من عاداك ، وسآء ذلك من والاك ، والْزَمْ الصبر فإن الصبر مفتاح الفرَج وقل من صبر فلم يحصل حاجته ، واستعمل عن كل ما تدعوك نفسك إليه الصبر ، وآحذرك إدناء من ينقصك إدناءُه ، وتقلل من الناس ما استطعت ، فإن مثل خيارهم كمثل الدر ، ومثل شرارهم كمثل الصخر ، فالدر خفيف محمله كثير منفعته ، والصخر ثقيل محمله قليل نائله ، وآحذرك الرغبة في الدنيا فإنها فضّاحة كشّافة ، وليس تُدرك لها غاية ، وأحذرك أن تطلب حوآئجَك معًا فيثقل عليك مطلبُها ، ويُحزنك فوتُها ، واطلبها بددا فإن ذلك أحرى لنيلها ، وأخف لتكلّفها لمن كُلّفها . فهذا وجه فاعرفه ولا تغلط فيه ، وهو الذي أخل بكل من دخل في مدخلك ، فكن بمعزل عما يغنيك ، ولست تحظى بشيء قَد وصيتك به ، إلا أن تتقي الله وتقوم بما حضّ عليه ، ولا تذر اكتساب العلم والاقتداء بآثار العلمآء والحكمآء وهذا مفتاح الرزق والنجاة من غضب الخالق ، وقَد قال النبي ﷺ : «من عُرِفَ بالحكمة لاحظته العيون بالوقار» والسلام ، والله يحفظُك ويصلحُك ويوفقُك .

ومن رسالة له عليه السلام إلى أهل طبرستان روى الإمام المنصور بالله أبو محمد عبدالله بن حمزة عليه السلام منها نكتًا فنقلناها كما رواها ؛ لأنَّها لم تتفق لنا كاملة ، قال فيها عليه السلام : بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله رب العالمين ، وصلاته على محمد خاتم النبيئين وعلى آله الطيبين ، إلى جماعة من آمن واتقى وصدق بالحسنى ، ونهى النفس عن الهوى ، وآثر الآخرة على الدنيا .

أما بعد : يا شيعتنا الأخيار ، وخلف الأبرار ، فإنكم تريدون محلة دونها مهلكة مضلة ، لا تجاز بغير دليل ، ولا تعبر من الزاد بقليل ، من سلكها بنفسه ضل ، ومن ترك الزاد لها خُذل ، آلُ نبيكم أدلاَّؤكم عليها ، وأعمالكم الصالحة زادكُم إليها ، فلا تفرطوا رحمكم الله في الزاد والدليل قبل سلوكها ، فكم سلكها قبلكم من المفرِّطين فهلك ، وكم رام الرجعة منها فمُنِع ذلك ، والتسويف والرجاء

يوردان ولا يُصدران، والخوف والعمل يُنقذان ولا يُبطلان. ثم ذكر عليه السلام[1] صدراً من المواعظ والحكم النبوية، ثم قال: أصل التأويل أول الحبال، والاختلاف في الأئمة أول الضلال، والاعتماد على غير الذرية أول الوبال، أصل العلم مع السؤال، وأصل الجهل مع الجدال، العالم في غير علمنا كالجاهل بحقنا، الراغب في عدونا كالزاهد فينا، المحسن إلى عدونا كالمسيء إلينا، الشاكر لعدونا كالذام لنا، المتعرض لنحلتنا كالغازي علينا، معارضُنا في التأويل كمعارض جدنا في التنزيل، الراعي لما لم يسترع كالمضيع لما استُرعي، القائم بما لم يُستأمن عليه كالمتعدي بما استُحفظ، الخاذل لنا كالمعين علينا، المتخلف عن داعينا كالمجيب لعدونا، معارضنا في الحكم كالحاكم بغير الحق علينا، المفرق بين الأئمة الهادين كالمفرق بين النبيئين، هنا أصل الفتنة يا جماعة الشيعة.

ومن هذه الرسالة قوله عليه السلام: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا ينتظمان بغير زمام، ولا يُؤدى فرضهما بغير إمام، الإقرار بالنبوة لا يصلح إلا مع الإقرار بالذرية، الإقرار بالكتاب لا يصلح بغير نصاب، مقلد الناس كالباني على غير أساس، طالب العلم من غير أهله كمشتري الدر بعد جبره، المؤتم بغير العترة كالأعمى يتبع الأعمى.

ومنها قوله عليه السلام: أما تعلمون رحمكم الله وهداكم أن أصل الهلكة منذ بعث الله سبحانه آدم عليه السلام إلى هذه الغاية، لم يكن إلا بالاحتقار للأنبيآء صلوات الله عليهم في أيامهم، وبالذرية من بعدهم إلى أن تقوم الساعة. وعنوان هذه الرسالة من الإمام القاسم بن علي إلى جماعة الشيعة الطبريين العارفين بفضل آل محمد خاتم النبيين.

ثم كانت وفاته عليه السلام أول يوم الأحد لسبع خلون من شهر رمضان من سنة

---

(١) في (أ): صلى الله عليه وآله وسلم، وهو كما يبدو تصحيف من الناسخ.

ثلاث وتسعين وثلاثمآئة [1]. ومشهده عليه السلام بعيان مشهور مزور. أخبرني شيخنا الزاهد بهآء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضي الله عنهما: أنَّهُ كان معه وجع فمسحه بتربته الشريفة فرفعه الله تعالى عن قرب [2].

أولاده عليه السلام : يحيى، وجعفر، وعلي، وسليمان، وعبدالله، والحسين [3].



الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم عليه السلام [4]

هو: أبو عبدالله الحسين بن القاسم بن علي بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

ونسبه النسب الشريف الفائق، وجوهره الجوهر الشفاف المنيف الرآئق، وكان من عيون العترة في زمانه، وتيجانهم المكللة في أوانه، برز في العلم حتى فاق أهل عصره، وسبق فيه أبنآء دهره، وهو غصن خلافة نضير، وروضة فضل وغدير، مشهور بالزهادة، معروف بالعبادة. له التصانيف الرآئقة في علم الكلام، والكتب الحسنة في مخالفي العترة عليهم السلام، وهي كثيرة قيل: إنَّها تبلغ ثلاثة وسبعين تصنيفا، منها المعجز في علم الكلام، والرد

---

(١) سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي ٢٨٧.

(٢) التحف ٢٠٢.

(٣) التحف ٢٠٢.

(٤) بلوغ المرام ٣٥، التحف شرح الزلف ٢٠٢، تاريخ اليمن للواسعي ١٩٠، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٣٥، معجم المؤلفين ١/ ٦٣١، الأعلام للزركلي ٢/ ٢٥٢، الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني بين قادح ومنافح لعبدالله زيد الحوثي «تحت الطبع» هدية العارفين ١/ ٣٠٧.

على القضائية، وغيره من كتبه في الأصول، ومنها تفسير كامل سلك فيه الطريقة الوسطى، وأضحى قدحه المعلى، وشهد بأنه قد تبوأ من الفضل منزلاً رفيعًا ومحلا .

وكانت شجاعته معروفة ومواقفه موصوفة لا يفتقر إلى شاهد ولا يطمع في جحدها جاحد، كما قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له :

وهل رجل يقول أبي علي   يقهقر في مناطحة الشفار

قام بالأمر بعد موت أبيه عليه السلام، وملك من ألهان إلى صعدة وصنعاء، ولم يزل ناعشا للحق داعيا إلى الصدق كابتًا لأرباب الإجرام، معليا لكعب الإسلام، حتى رفع للدين مناراً، وأعز له أنصاراً، وحمى له ذماراً، وقوض أركان الضلال، وكسى الحق ثوب الكمال، وكان ذلك دأبه عليه السلام حتى قتله بنو حماد في بعض حروبه في بعض نواحي البون، قتله رجل من بني ربيح .

وكانت وفاته عليه السلام سنة أربع وأربعمائة وقبره بريدة، وعمره نيف وعشرون سنة، وأعقب ابنتين لا غير . وروى الثقات أن قاتله عليه السلام قُرِّبت إليه نار ليتبخر بها فاحترق بها، وكان ذلك دلالة على كرامته وكاشفًا عن فضيلته، ويحق له ذلك وهو من المناضلين عن الدين المجاهدين في سبيل الله رب العالمين. وقد بقي جماعة من أشياعه يعتقدون أنه حي إلى الآن، وأنه المهدي المنتظر الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد كتبنا رسالة في هذا المعنى وسميناها بـ «الرسالة الزاجرة لذوي النهى عن الغلو في أئمة الهدى»، وقد اقتصرنا على هذا القدر؛ لأنَّها لم تتصل بنا سيرته عليه السلام وإلا فله وقائع جمة .

◆ ◆ ◆

الإمام السيد المؤيد بالله عليه السلام[1]

هو: أبو الحسين أحمد بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زَيد بن الحسن بن عَلِيّ بن أبي طالب عليهم السلام[2].

نسب تعنق له الأنوار، وتغض من شعاعها الشموس والأقمار، ينتهي إلى جوهر النبي صلى الله عليه وآله وسلم جواهره، ونمت إلى عنصره الكريم عناصره، وهذا هو الفضل الرائق، والحسب الفائق، كما قال الشريف أبو علي إبراهيم بن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب- الكوفي الشاعر مفتخرا بآبائه عليهم السلام من قصيدة :

إن قومي لقادة الناس بالسيـ ... ـف إلى ما أتى به جبريلُ

والنبي الهادي وسبطاه منا ... وعَلِيّ وجعفر وعقيلُ

والأولى في حجورهم رضع الديـ ... ـن وفي دورهم أتى التنزيلُ

ابن من لا يعطي القياد إذا قلـ ... ـتُ أبي حيدر وأمي البتولُ

وكل آبائه عليهم السلام أقمار هدى، وبدور دجى، وبحور جود زاخرة، وسحائب علم ماطرة، وجبال حلم راسية، وكواكب شرف سامية، ويكفيك من شرفهم وجوب الصلاة عليهم في الصلوات التي هي من شرائف العبادات، وأفضل القربات.

---

(١) سيرة إمام الهدى المؤيد بالله تصنيف الإمام المرشد بالله، الشافي ١/ ٣٢٩، أخبار أئمة الزيدية ١٢٣، نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار، ودائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ١٢٩، و٣/ ٢٣٤، التحف شرح الزلف ٢١١، الأعلام للزركلي ١/ ١١٦، اتحاف المسترشدين ٤٨.

(٢) سيرة المؤيد «خ».

وأمه عليه السلام: أم الحسن بنت علي بن عبدالله الحسيني العقيقي ذكره الشريف السيد أبو الغنائم. وكانت ولادته عليه السلام بآمل طبرستان في الكُلاذجة المنسوبة إليهم سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة[1].

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام:

كان عليه السلام مذ نشأ على السداد، وأحوال الآباء الكرام والأجداد، وتأدب في عنفوان صباه حتى برع فيه، واختلف إلى السيد أبي العباس أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن إبراهيم بن محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صلوات الله عليهم.

وكان وحيد عصره وفريد دهره، والحافظ لعلوم العترة عليهم السلام، والناصر لفقه الذرية الكرام، فأخذ عنه مذهب الزيدية، وقرأ عليه الكلام على طريقة البغدادية. وكان قدس الله روحه في الأصل إماميًّا فوضح له الحَقّ فانقاد له أحسن انقياد. واختلف أيضا إلى أبي الحسين علي بن إسماعيل بن إدريس، وقرأ عليه فقه الزيدية والحنفية، وروى عنه الحديث عن الناصر للحق عليه السلام. وكان أبو الحسين هذا من أجَلّ أهل طبرستان رئاسة وسيراً وفضلاً وعلما. قال مصنف سيرته[2]: وكان عليه السلام في الورع والتقشف والاحتياط والتقزز إلى حد تقصر العبارة دونه، والفهم عن الإحاطة به، وتصوف في عنفوان شبابه حتى بلغ في علومهم مبلغًا منيعا، وحل في التصوف والزهد محلاً رفيعًا، وصنف سياسة المريدين[3].

وكان عليه السلام يحمل السمك من السوق إلى داره، وكانت الشيعة يتشبثون به

---

(١) سيرة الإمام المؤيد.

(٢) هو الإمام المرشد بالله.

(٣) طبعت بمكتبة مركز بدر ومؤسسة الإمام زيد بتحقيق السيد عبدالله إسماعيل الشريف.

ويتبركون بحمله فلا يمكّن أحداً من حمله، ويقول: أنا أحمله قسراً للهوى، وتركًا للتكبر لا لإعواز من يحمله[1]. وكان قدس الله روحه يجالس الفقرآء وأهل المسكنة، ويكاثر أهل الستر والعفة ويميل إليهم، ويلبس الوسط من الثياب القصيرة إلى نصف الساقين قصيرة الكمين، وكان يرقع بيده قميصه، ويشتمل بإزار إلى أن يفرغ من إصلاحه، وكان يلبس قلنسوة من صنوف أحمر مبطنة يحشوها بقطن ويتعمم فوقها بعمامة صغيرة متوسطة، وكان يلبس جوربًا يخيطه من الخرق ثم يلبس البطيط[2]، وكان لا يتقوت ولا يطعم عياله إلا من ماله، وكان يرد الهدايا والوصايا إلى بيت المال، وكان يكثر ذكر الصالحين، وإذا خلى بنفسه يتلو القرآن بصوت شجيّ حزين، وكان غزير الدمع كثير البكاء، دآئم الفكر، يتأوه في أثنائه، وربما تبسم أو كشر عن أسنانه، قال القاضي يوسف : صحبته ست عشر سنة فلم أره مستغربا في الضحك، وكان لا يفطر في شهر رمضان حتى يفرغ من العشآء الآخرة، وكان يداوم على الصلاة بين العشآئين، ويطعم في شهر رمضان كثيراً من المسلمين، وكان يمسك بيت المال بيده ويحفظه بنفسه ولا يثق فيه بأحد ويفرق على الجند بيده، ويوقع الخطوط بيده[3].

وحكي: أنه ﷺ اشتهى يومًا من الأيام لحم حوت، فبعث الوكيل إلى السمّاكين فلم يجد فيها إلا حوتًا لم يقطع، وقالوا : لا نريد أن نقطعه اليوم، فعاد إليه وأخبره بامتناعهم من قطعه، فوجهه ثانيًا، فقال: مُرْهم عني بقطعه، فأبوا قطعَه، فلما عاد إليه حمد الله على أن رعيته لا تحذر جنبته، وأنه عندهم ورعاياه سواء[4]. وكان قدس الله روحه كثير الحلم عظيم الصفح، يُحكى أنه دخل

---

(١) سيرة المؤيد بالله ١ .

(٢) البطيط : رأس الخف بلا ساق. القاموس ص٨٥١ .

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٢ .

(٤) سيرة الإمام المؤيد بالله ٢ والشافي ١/ ٣٣١.

المتوضأ ليجدد الطهارة فرأى فيه رجلاً متغير اللون يرتعد فزعا، فقال له: ما دهاك؟ قال: إني بُعثت لقتلك، قال: وما الذي وعدوك عليه؟ قال: بقرة، قال: ما لنا بقرة وأدخل يده في جيبه وناوله خمسة دنانير، وقال: اشتر بها بقرة، ولا تعد إلى مثل ذلك[1]. وحكي أنه كان قدس الله روحه يسير في طريق كلار، فطلب ممطرا له من بندار صاحبه، فقال: هو على بغل لبيت المال، فأنكر عليه، وقال: متى عهدتني أستجيز حمل ملبوسي على دواب بيت المال، فأمر بإخراجه وتوفير الكراء من ماله. وكان يصرف عليه السلام من خاص ماله إلى بيت المال ما يكون عوضا عما يرسله الكتاب في أول الكتب، ويفرجه بين السطور في الكتاب[2].

وحكي أن شيئا من المقشر حُمل إلى داره لصرفه في مصالح المسلمين، فالتقط منه حبات بعضُ الدجاج التي تُقْتنى لأكله خاصة، فغرم من ماله أضعاف ذلك، وقيل: إنه صرف الدجاج إلى بيت المال. ورُوي أنَّ ولده الأمير أبا القاسم شكى إليه ضيق يده وقلة نصيبه من بيت المال، واستأذنه في الانصراف فأطلق له ذلك، فقال له أصحابه: إن أبا القاسم فارس فارهٌ لا غنى عن مثله فلو أطلق له ما يكفيه، فقال: إني أدر عليه نصيبه ولا يمكن الزيادة عليه، فإن الله سبحانه أمرنا بالتسوية بين الأولاد والأجانب. وكان له صديق يتحفه كل سنة بعدد من الرمّان، فلما كان في بعض السنين زاد على رسمه وعادته، فسأله عن ذلك؟ فقال: لأن الله سبحانه زاد في رماننا فزدنا في رسمك، فلما أراد الخروج شكى عن بعض الناس، فقال: ردوا عليه رمانه كله، وأمر بإزالة شكايته ودفع الأذى عنه، إلى غير ذلك من الحكايات الجمة في ورعه وزهده وتقشفه[3]. وكان عليه السلام في العلم

---

(١) سيرة الإمام المؤيد ٣.

(٢) سيرة الإمام المؤيد ٣ والشافي ١/ ٣٣١.

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٤.

بحرا يقذف بالدرر، وجَوْنا[1] يهطل بالدرر، لم يبق فن إلا وقد بلغ فيه الغاية وأدرك النهاية. قال مصنف سيرته -قدس الله روحه[2]: كان عارفًا باللغة والنحو متمكنا من التصرف في منظومها ومنثورها. وكان يعرف العروض والقوافي ونقد الشعر، وكان فقيهًا بارعًا متقدمًا فيه مناظرا، وكان متقدما في علم الكلام وأصول الفقه حتى لا يُعلم أنه في أي العلوم الثلاثة كان أقدم وأرجح، ولم يبلغ النهاية في العلوم الثلاثة غيره، وإنما تقدم في علم أو علمين، وكان قد قرأ على الشيخ المرشد أبي عبدالله البصري، ولقي جميع علمآء عصره واقتبس منهم وعلق زيادات الشرح بأصفهان عن قاضي القضاة بقراءة غيره.

وحُكي عن الشيخ أبي رشيد أنه قال: لم أر السيد أبا الحسين منقطعًا قط مع طول مشاهدتي له في مجلس الصاحب، وكان لا يُغلَب إن لم يَغلب، وكانا يستويان إن لم يظهر له الرجحان، وذكر بعض من صنف في أخباره أن الصاحب الكافي قال ذات ليلة للحاضرين: ليذكر كل واحد منكم أمنيته، فذكروا، فقال: أما أنا فأتمنى أن يكون السيد أبو الحسين حاضراً، وأنا أسأله عن المشكلات وهو يبينها لي بألفاظه الفصيحة وعباراته المليحة، وكان فارقه إلى أرض الديلم.

ويحكى أن يهوديًا متقدمًا في المناظرة والمجادلة قَدِم على الصاحب، فاتفق أنه حضر مجلس الصاحب فكلم اليهودي في النبوءآت حتى أعجزه وأفحمه، فلما قام من المجلس ليخرج، قال له الصاحب: أيها السيد أشهد أنك أوتيت الحكمة وفصل الخطاب[3]. وحكي عنه- قدس الله روحه أنه قال: عزمت على أن أسافر إلى الأهواز للقاء قاضي القضاة أبي أحمد بن أبي علان وسماع مختصر الكرخي عنه، فأنهيت إلى الصاحب ما وقع في قلبي، فكتب كتابا

---

(١) في(أ): سُلَيْلَة مستديرة مغشاة تكون مع العطارين. مختار الصحاح ص١١٨.

(٢) سيرة الإمام المؤيد ص٥.

(٣) سيرة الإمام المؤيد ٦.

بخط يده وأطنب في وصفي ورفع عن قدري، حتى كنت أستيحيي من إيصال ذلك الكتاب، فأوصلت الكتاب إلى قاضي القضاة، فقال: مرحبا بالشريف، فإذا شاء افتتح المختصر ولم يزد على ذلك، ولا زارني بنفسه مع تقاعدي عنه من الغد، ولا أزارني أحداً من أصحابه، فعلمت أنه اعتقد في كتاب الصّاحب أنه صدر عن عناية صادقة لا عن حقيقة، فقعدت عنه حتى كان يوم الجمعة حضرت الجامع بعد الظهر ومجلسه غاص بكبار العلمآء فقد كان الرجل مقصودا من الآفاق، فسُئِلَ القاضي أبو أحمد مسألة كلامية وكان لقي أبا هاشم، فقلت: لما توسط في الكلام إن لي في هذا الوادي مسلكا، فقال: تكلم، فأخذت في الكلام وحققت عليه المطالبات، ثم أوردت أسئلة عرقت فيها جبينه، فامتدت الأعين نحوي، فقلت بعد أن ظهرت المسألة عليه: يقف على فضلي القاضي. وسئل شيخ إلى جنبه عن مسألة في أصول الفقه، فلما أنهى السائل ما عنده قلت: إن لي في هذا الجو متنفسا، فقال القاضي: والأصول أيضا؟! فحققت تلك المسألة على ذلك الشيخ فظهر ضعفه فسامحته. وسئل شيخ عن يساره عن مسألة في الفقه، فقلت: إن لي في هذا القطيع شاة، فقالوا: والفقه أيضا؟ فأوفيت الكلام في تلك المسألة أيضا حتى تعجب الفقهآء من تحقيقي وتدقيقي، فلما ظهرت المسألة كان المجلس قد انتهى، فقام القاضي من صدره وجاء إلى جنبي، فقال: أيها السيد، نحن ظننا أن الصدر حيث جلسنا فإذا الصدر حيث جلست، فجئناك نعتذر إليك من تقصيرنا في بابك، فقلت: لا عذر للقاضي مع استخفافه بي مع شهادة الصاحب بخطه، فقال: صدقت لا عذر لي، ثم عادني من الغد في داري مع جميع أصحابه وبالغ في التواضع، فحضرته فقرأت عليه الأخبار المودعة في المختصر فسمعتها بقرآءته وأمدني بأموال من عنده فرددتها، ولم أقبل شيئا منها وقلت: ما جئتك عافيا مستمنحا، فقد كان حضرة الصاحب أوفى حالا وأسهل منالا، ولم يكن هناك تقصير في لفظ ولا تفريط في لحظ، ففارقته فشيعني مع أصحابه مسافة بعيدة

وتأسفوا على مفارقتي.

وله عليه السلام التصانيف المعجبة فمنها في الأصول: كتاب النبوات، وهو يدل على غزارة علمه في الأصول، ثم في الأدب فإنه بين المعارضات التي عورض بها القرآن الكريم، وكشف عن إدحاضها وأبان غوارها بكل وجه، وسلك في ذلك من طريقة علم الأدب ما يدل على علو منزلته وارتفاع درجته. وله في الأصول: التبصرة كتاب لطيف[1]. وله في فقه الهادي عليه السلام: كتاب التجريد وشرحه أربعة مجلدات استوفى فيها الأدلة من الأثر والنظر، وأحسن فيها كل الإحسان. وله أيضا: البلغة في فقه الهادي. وله في فقه نفسه: الإفادة مجلد، والزيادات مجلد علق ذلك أصحابه عنه، وفيه كل مسألة عجيبة وفتوى غريبة، ولهذين الكتابين شروح وتعاليق عدة، ومهما طلبت الغرائب فإنها توجد في فقهه عليه السلام منصوصة[2].

ولقد حكى بعض أصحابنا الواصلين من ناحية العراق وهو الفقيه الفاضل الحسن بن علي بن الحسن الديلمي اللنجائي رحمه الله أنه بات ليلة من الليالي ومعه رجل من الصالحين، فبات ذلك الرجل يعبد الله عز وجل، والسيد المؤيَّد بالله بالقرب منه فلما طلع الفجر قام المؤيَّد لصلاته، فقال له ذلك الرجل: أيها السيد أتصلي بغير وضوء؟ فقال: لم أنم في هذه الليلة شيئا، وقد استنبطت سبعين مسألة. ولقد كان علماء عصره يعجبون من تحقيقه وشدة تدقيقه، ولا عجب من أمر الله يؤتي فضله من يشآء، ولذرية الرسول صلى الله عليه وآله المزية على من عداهم والفضل على من سواهم.

ولقد سمعت شيخنا العالم الفاضل محيي الدين محمد بن أحمد بن الوليد القرشي الصنعاني رحمه الله يحكي: أن السيد المؤيَّد بالله قدس الله روحه لما توفي

---

(١) تحت الطبع بمكتبة مركز بدر بتحقيق السيد عبدالله إسماعيل الشريف.

(٢) سيرة الإمام المؤيد بالله ٦.

وأقبل الناس إلى أخيه السيد أبي طالب عليه السلام يسألونه ، فقال له قائل : أين كان هذا العلم في حياة السيد أبي الحسين؟ فقال : أو كان يحسن بي أن أتكلم والسيد أبو الحسين في الحياة؟ مع أن علم السيد أبي طالب غزير وفهمه جم كثير على ما يُحكى ذلك . وروينا أنه قيل لأخيه السيد أبي طالب عليه السلام : أتقول بإمامة أخيك؟ فقال : إن قلنا بإمامة زيد بن علي ؛ فما المانع من القول بإمامة أخي ! فانظر كيف شبهه عليه السلام بأعلى الأئمة قدرًا وأغزرهم علمًا ؛ لأنا قد بينا أنه أقام خمسة أشهر يفسر سورة الحمد والبقرة وذكرنا غير ذلك مما يكثر .

قال مصنف سيرته[٧] : وسمعت الشيخ أبا الفضل بن شروين رحمه الله يقول : دَع أئمة زماننا إنما الشك في الأئمة المتقدمين من أهل البيت وغيرهم ، هل كانوا مثل هذا السيد في التحقيق في العلوم كلها أم لا ؟ قال : وسمعت القاضي أبا الحسن الرفاء يقول : ليس اليوم في الدنيا أشد تحقيقا في الفقه من السيد أبي الحسين الهاروني .

وحكي أن المُؤَيَّد سئل عن الطلاق الثلاث بلفظة واحدة في مجلس الصاحب ، فكلمه القاضي أبو القاسم بن كج ، وكان إمام أصحاب الشافعي ، وآلَ الكلامُ إلى جميع من حضر من الفقهآء فانقطعوا في يده ، فقال الصاحب يقال : لاعلم لطآئفة فيهم هذا الأسد - يعني : المُؤَيَّد بالله . وحكي أنه ورد عليه من كلار مسائل صعبة على أصول الهادي ، فأجاب عنها وهذه المسائل موجودة ، فقال الصاحب : لست أتعجب من هذا الشريف كَيفَ أتى بهذ السحر ، وإنما أتعجب من رجل بكلار كَيفَ اهتدى إلى مثل هذه الأسئلة [1]. وكان له عليه السلام أصحاب فضلاء نجباء من أهل البيت عليهم السلام وغيرهم ، فمنهم : السيد الفاضل العالم الموفق بالله أبو عبدالله الحسين بن إسماعيل الحسني الجرجاني عليه السلام وهو ممن له

---

(١) سيرة الإمام المؤيد ٧ .

التصانيف الفائقة الرائقة في علم الكلام وغيره، والقاضي أبو الفضل زَيد بن عَليّ الزَيدي، وكان من بيت العلم والرئاسة، ومنهم أبو منصور بن شيبة القرزاذي.

والشريف ما نكديم أبو الحسين أحمد بن أبي هاشم محمد بن عَليّ بن محمد بن الحسن بن محمد بن أحمد الأعرابي بن محمد بن الحسن بن عَليّ بن عمر الأشرف بن عَليّ بن الحسين بن عَليّ بن أبي طالب عليهم السلام الخارج بعده بلنجاء سنة سبع عشرة وأربعمائة، والشريف أبو القاسم بن زَيد بن صالح الزيدي، والشريف محمد بن زَيد الجعفري، ومن أصحابه في الزهد والعبادة الشريف أبو جعفر الزيدي، وكان قد استدعاه غير مرة ليستخلفه فأبى، ولم يجبه لاشتغاله بنفسه وإقباله على زهده، ومن أصحابه الفقيه أبو القاسم بن تال، وهو الذي هذّب مذهبه وهو الذي جمع الإفادة والزيادات، ومنهم: أبو بكر الموحدي القاضي، قرأ عليه فقه الزيدية، ومنهم: القاضي يوسف الخطيب وأبو الحسين الآبسكوني، ومن أصحابه ومبايعيه: أبو عَليّ بن الناصر خلّفه بجيلان، وعاد إلى آمل بالآخرة وقالوا: لا تحسبوا أني فارقت المُؤيَّد بالله من غير إذنه، لا والله لم أخرج من عنده إلا بإذنه، وأنا أقول بإمامته ولا أعرف في هذا الزمان رجلاً أفضل منه، ومنهم: أبو عبدالله الحسين بن محمد بن سياه سيربنجان[1].

وفي الحكاية أنه عليه السلام كان في بعض الليالي يطالع مسألة مع الملحدة الدهرية، فاشتبه عليه جواب مسألة فأمر باتخاذ مشعلة وقصد باب قاضي القضاة بعد قطع من الليل وهدوء الناس والأصوات، فأُخبر قاضي القضاة بحضوره، فاشتغل خاطره وهيأ مكانا وجلس فيه حتى إذا دخل عليه وجاراه في تلك المسألة وانفتح له جوابها واتضح لديه ما كان منها، قال له قاضي القضاة: هلا أخرت إلى الغد وتغيبت في هذا الوقت؟ فقال المُؤيَّد مغضبا من كلامه متعجبًا: ما هذا بكلام

(١) سيرة الإمام المؤيد ٧.

مثلك، أيجوز لي أن أبيت وقد أشكلت عَلِيّ مسألة، ويمكنني أن أجتهد في حلها؟ فاعتذر إليه قاضي القضاه، وقال: إنما ذكرت هذا الكلام على الرسم الجاري من الناس وطيّب قلبه وعاد إلى منزله[1].

وحُكي أنه وقع بينه وبين قاضي القضاة وحشة واستزاره بسبب مسألة الإمامة، فتقاعد عن لقآئه حدود شهر حتى ركب إليه قاضي القضاة، وقال له: قد بلغك حديث جدك الحسن بن عَلِيّ وأخيه الحسين، وقول الحسين: لولا أن الله فضلك في السن عَلِيّ حتى أن يكون السبق لك إلى كل مكرمة لسبقتك إلى فضل الاعتذار، فإذا قرأت كتابي هذا فاسبق إلى ما كتب الله لك من حق السبق والبس نعلك وقدم في العذر والصلح فضلك. فقال المُؤَيَّد بالله: قد أطاع قاضي القضاة أيضا فضل سهمه وعلمه، وعمل بمقتضى ما زاده الله من سهمه، واعتنقا، وطالت الخلوة والسلوة بينهما، وكان الصاحب يقول: الناس يتشرفون بالعلم والشرف، والعلم والشرف يتشرف بقاضي القضاة، والشرف ازداد شرفًا بالشريف أبي الحسين.

وكان الصاحب يعظمه كل الإعظام، وكانت يمينه للسيد المُؤَيَّد بالله، ويساره لقاضي القضاة، وكان لا يرفع فوق المُؤَيَّد بالله أحدا إلى أن قدم العلويُّ رسولاً من خراسان، وكان محتشما عند السلطان ملك الترك الخاقان الأكبر مبجلا عنده، حتى إن الصاحب استقبله فلما دخل عليه أجلسه عن يمينه، فلما دخل المُؤَيَّد بالله رآه على مكانه فتحير، فأشار إليه الصّاحب أن يرتفع إلى السرير الذي استند إليه الصاحب، فصعد المُؤَيَّد بالله إلى السرير وجلس في الدست الذي عليه. وكان عليه السلام يزور الصالحين، فبلغه عن رجل صلاحًا في بعض قرى ديلمان، فمضى لزيارته في جماعة من أصحابه، فلقيه الرجل خارج موضعه

(1) سيرة الإمام المؤيد بالله ٩.

وكان لا فراش له إلا ما نسجه من أغصان الشجر، ولا يتوسد إلا آجرتين عملهما، فقال له: ما لنا فراش ولا مكان تجلسون فيه، فقال عليه السلام: لو كان لك فراش أو حاله لما زرناك، فالملوك كثير وأهل الحالات فلسنا نزورهم ولا نراهم أهلاً لذلك.

وكانت له عليه السلام كرامات تشهد له بالفضل، فمنها: أنه كان في اليوم الذي أسر فيه قدس الله روحه قصده رجل من الجيل ولطمه، فدعا عليه وسأل ربه أن يسلط الأكلة على يديه، فعن قريب اسودت يداه ووقعت فيهما الآكلة حتى ذهبتا. قال مصنف سيرته قدس الله روحه [٩:٨]: وسمعت جماعة تحكي أن بُندار وزير الكيَّا أبي الفضل الثائر في الله لما أُخبر أنه احترقت داره بهوسم في الفتنة التي كانت بها بسبب إحراق مشهد الناصر بآمل قال: إن هذا العاصي الكاذب خرب داري يعني بذلك المُؤيَّد بالله، فأنهي ذلك إلى المُؤيَّد بالله فلم يسمع، فشهد بذلك جماعة فقال عند ذلك: اللَّهم خذه مفاجأة، ولا ترزقه الشهادة عند موته، فعن قريب مات بغتة مفاجأة، بحيث كان جالسا فاستلقى على قفاه فإذا هو ميت من غير وصية ولا توبة. وروي عن السيد أبي الحسين زيد بن الحسين الأشتري الجرجاني: أن عياضاً الثعلبي حضر مجلسا بجرجان جرى فيه ذكر المُؤيَّد بالله، وذكر بعضهم أن الله سبحانه يُعينُه على الحَقّ وينصره، فقال العياض الثعلبي: برئت من إله يعينه، وقال عقيب هذا القول: أوجعني بطْني، وتعلق ببطنه وعاد إلى داره ومات في تلك الليلة. قال: وسمعت هذا السيد يقول: إنَّ أبا عمرو الفقيه القصّار الجرجاني حضر مجلسا بجرجان في أيام الأمير فلك المعالي، فذكر بعضهم أن السيد أبا الحسين الهاروني إنما يطلب بما يفعل الدنيا وليس يعمل لله سبحانه، فقال أبو عمرو: كذلك أبوه عَلِيّ بن أبي طالب كان يحارب معاوية وعائشة للدنيا لا للآخرة، وفارق ذلك المجلس وعاد إلى داره،

ففلج في الوقت وما برز من داره بعد ذلك ومات من تلك العلة[1].

وكان عليه السلام في الشجاعة وثبات القلب بالمحل العالي، فإن في الحكاية أن شوزيل لما أسره عليه السلام اجتمع المسلمون عنده، وسألوه أن يفرج عنه فأخرج جوشنًا، وقال: احصوا المواضع التي أصابها المزراق[2] من هذا الجوشن[3]، فبلغ نيفًا وثلاثين موضعًا فقال: من يثبت في المعركة هذا الثبات كَيفَ يفرج عنه ويخلى سبيله[4]؟!

وروي أن بعضهم قال: سمعت شيرأسفار يقول: لولا وقوف المُؤَيَّد بالله يوم حرب آمل مع خمسين رجلا من الثابتين لم يخلص منا إلا اليسير، وكان شير أسفار يعدّه المُؤَيَّد بالله لخمس مائة رجل. ومن شعره عليه السلام قوله:

تهـذِّب أخـلاق الرجـال حـوادث ... كما أن عين السبك يخلصه السبكُ
ومــا أنا بالواني إذا الدهر أمّني ... ومن ذا من الأيّام ويحك ينفكُّ
بلاني حــينًا بعــد حين بلوتُه ... فلم ألفَ رعـديداً ينهنهـه السَّهكُّ
وحنكني كـيـمـا يقـود أزمّـتي ... فطحطحته[5] حنكا وما عقّني الحنكُ
ليـعلم هذا الدهر في كل حـالة ... بأني فتى المضمـار أصبح يحتكُّ
ثماني آباءٌ كـــرام أعـــزة ... مـراتبـهـا أنى يحـيط بهـا الدركُ
فـمـا مُـدرك تالله يبلغ شـأوهم ... وإن يك سـبـاقـا فـغـايتـه التركُ
فلا برقهم يا صاح إن شمتَ خُلَّبٌ ... ولا رفدهم وكس ولا وعدهم إفكُ
بهم زهت الأعراب في كل مشهد ... سـكـونٌ ولخـمٌ ثـم كـنـدة أو عـكُّ

---

(١) سيرة الإمام المؤيد بالله ٩ .

(٢) المزراق: البعير يؤخر حمله إلى مؤخر. القاموس ص١١٤٩ .

(٣) الجوشن: الصدر والدرع. القاموس ص١٥٣١ .

(٤) سيرة الإمام المؤيد ٨، والشافي في ١/ ٣٣٢.

(٥) طحطح: كسر وفرق وبدد إهلاكا . القاموس ص٢٩٦ .

وقال عليه السلام يمدح الصاحب الكافي:

سقى عهدَها صوبٌ من المزن هاطل ... تحيّى بها تلك الرُّبا والمنازلُ
منازل نجمُ الوصل فيهن طالعٌ ... يضيء ونجم الهجر فيهنَّ آفلُ
ومرتَبَع للَّهو بين رُبوعها ... مسارحه مأنوسة والمناهلُ
رياضٌ حكت أبراد صنعاء رُقْمُهَا ... غداةَ حباها الوشي طلٌّ ووابلُ
وكل سحاب شافه الأرض قُربهُ ... كأن التماع البرق فيه مشاعل
سحبنا عطاف اللَّهو في عرصاتها ... وعنَّ لنا فيها غزالٌ مغازلُ
وطابت بها الأيام إذ سمحت لنا ... بما سمحت والدهر عنهن غافلُ
وكان شبابي عاذلا لعواذلي ... وليس لها في أن تُعاتبَ طائلُ
نَعمْنا بها لم نعرف البؤس والأسى ... فلا الجهل منتابٌ ولا الوصل راحلُ
كأني أغرى بالصبابة كلما ... وشى بيننا الواشي ولجَّ العواذلُ
ليالي عينُ الوصل فيها قريرة ... كما أن دمع الهجر أخرق هاملُ
وإذ لِمَمي للغانيات صوائدٌ ... ولي حول ربّات الحجَال حبائلُ
أجرُّ ردائي صبوة وصبابةً ... هما شيَمٌ أرضى بها وشمائلُ
إلى أن بدا للشيب بين مفارقي ... أساطير لم تنهض لهن أناملُ
فللأنس عني حيث كنت تنكب ... وللهمّ حولي حيث سرت قنابلُ
أتانا الربيع الغض في ثوب عفة ... فجَاءَ به أنس من الغي حائلُ
إذا حاول الضّلّالُ إسعاف أهله ... فمنْ دون ما يبغي من الصوم خاملُ
كذا من يَسوسُ الصاحبُ القرمُ أمرَهُ ... تتم له النعماء وتزكوا الفضائلُ
ولما انتحى النيروز[1] خدمة بابه ... تنسك حتى ليس ينحوهُ باطلُ

(١) النيروز: أول يوم من السنة الفارسية. القاموس ص٦٧٧.

غدا سيفه الظمآن[1] لله مصلتا ... على منكب الجوزآء منه الحمآئلُ

وفصل خطاب لم تنله الأوائل ... إذا عنَّ لم تشمخ بسحبان وآئلُ

تبلّج عنه غرة الدين والهدى ... وشخصُ الردى من وقعه متضآئلُ

دعا دعوة لله جرَّد سيفها ... فللكفر منها حيث شآء زلازلُ

ولما شكت أرض الجبال خُطوبَها ... ولاذت به حين اعترتها الغوآئلُ

وأَذْرَتْ دموعًا مثل نآئله الذى ... يفيض وهل تغني الدموعُ الهواملُ

دعا نحوها عزما كَبَا البرقُ دونه ... وكَلَّ لديه السيفُ والسيف فاصلُ

فشق ظلام الظلم عن وجه أهلها ... ولم يبق فيها عن سنا العدل عاذلُ

وأوضح فيها للنجاة دلآئلا ... وقد غُمرت تلك النهى والدلائلُ

ومن قبل ما حكّمت في كل مارق ... أقام مقام الروح منه المناصلُ

صوارم واصلن الطُّلَى فألفْنها ... وإنَّ قضايا المُرهفَات فواصلُ

وشردت من أَلْفَتْ سيوفُك منهم ... ومن دون ما لاقوه تطوى المراحلُ

وليس لهم إلا السيوف منازل ... وليس لهم إلا الحتوف رواحلُ

ألا أيُّهذا الصاحب الماجد الذي ... أنامله العُليا غيوثٌ هواطلُ

أنامل لو كانت تشير إلى الصَّفا ... تفجّر للعافين منها جداولُ

وأغنيت حتى ليس في الأرض معدم ... وأعطيتَ حتى ليس في الأرض آملُ

وكم لك في أبنآء أحمد من يد ... لها معلم يوم القيامة ماثلُ

إليك عقيد المجد سارت ركابهم ... وليس لهم إلا عُلاك وسآئلُ

فأعطيتهم حتى لقد سئموا اللُّهى ... وعاد من العذال من هو سآئلُ

وأسعدتهم والنحس لولاك ناجم ... وأعززتهم والذل لولاك شاملُ

فكل زمان لم تزيّنْهُ عاطل ... وكل مديح غير مدحك باطلُ

---

(١) في(أ): في الله.

ولـما قال أحمد بن محمد الهاشمي المعروف بابن سكرة :

إن الخلافة مذ كانت ومُذ بدأت ... معقودة بفتًى من آل عباس
إذا انقضى عُمر هذا قام ذا خلفا ... ما لاحت الشمس وامتدت على الناسِ
فقل لمن يرتجيها غيرهم سفها : ... لو شئت روّحت كربَ الظنّ باليأسِ

فأجابه السيد المُؤَيَّد بالله قدس الله روحه في حال حداثته :

قل لابن سُكَّرة : يا نَغلَ عباس ... أضحت خلافتكم منكوسة الراس
أما المطيع فلا تُخشى بوادره ... يعيش ما عاش في ذل وإتعاس
فالحمد لله ربي لا شريك له ... خص ابن داعي بتاج العزّ في الناسِ

ذكر بيعته عليه السلام ونُبذ من سيرته ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام[1] :

كان له عليه السلام خرجات أحدها : في أيام الصاحب في سنة ثمانين وثلاثمائة ، وبين الخرجة الأولى والخرجة الثانية سنون وفترات ، وتابعه[2] الجيل والديلم وعارضه الناصر أبو الفضل ، ومال إليه ناصرية الجيل لكونه من أولاد الناصر عليه السلام ، وإن كان لايداني المُؤَيَّد بالله ، ولما خرج عليه السلام ووافى جيلان ، ونزل قرية من قراها يقال لها : جومة[3] في حدود جيلان وبقي أيامًا واجتمع إليه نحو سبعين رجلا ثم خرج نحو هوسم وانتهى بعد ذلك إلى قرية تدعَى كَذكاهان ، فدخل عليه من الغد المسمى جوي الديلمي مع زهاء سبعمائة رجل فقوي بهم ، وانتقل إلى كُذَه قرية بقرب هوسم وأقام بها حدود سبعة أيام ، وكانوا لا ينزلون على أحد إلا بإذن وطيبة نفس منه ، ولا يتناولون من ثمار أحد إلا بإذن مالكه . فلما كان يوم من

(١) انظر سيرة الإمام المؤيد بالله «خ» ص١١ وما بعدها ، والشافي ١/ ٣٣٣ .

(٢) في(أ) : وبايعه .

(٣) جومة : مدينة بفارس . معجم البلدان ص١٨٩ .

الأيام لم يبرز للناس إلا وقت الظهيرة، وكان يكتب وصاياه في كتاب وصيته، ثم برز إلى الناس وخرج نحو هوسم بعسكره، فما شعر شوَزِيل إلا بعد مجاوزته كساكجان فاستقبله شوزيل بعساكره، وأخذوا في الحرب وانفرجوا، وقد غلبهم المُؤَيَّد بالله وقهرهم وانهزم شوزيل إلى جيلان، واستولى المُؤَيَّد بالله على هوسم وبقي بها سنة واحدة، ثم قصده شوزيل من جيلان وحاربه بباب هوسم، وانحاز عسكرُ المُؤَيَّد بالله وقُتل منهم ثمانون مسلمًا، لا يرى التولي من العدو مع عدة من الفساق، وأسر المُؤَيَّد بالله وحمله إلى قرية في داخل جيلان تدعَى كيجلوم، فبقي في حبسه أياما والمسلمون يسألونه إطلاقه، فيأبى وقال: إِنَّهُ قتل خازني وضاع بسبب تلفه خمسة وعشرون ألف درهم، حتى جاء المسمى دانكين التجني وضمن هذا المال فخلى سبيله وأفرج عنه وأطلقه، ورجع المُؤَيَّد بالله إلى برفجان وأقام بها، وأدى دانكين من مال الضمان عشرين ألف درهم وأدى المؤيد بالله ثلاثة آلاف درهم وترك شوزيل ألفين، ثم عاد المُؤَيَّد بالله إلى الري، ثم امتد إلى آمل وأقام حتى وردت عليه الأعلام من وجوه الجيل والديلم ببذل النصرة له بأموالهم وأنفسهم، فتقدم عليه السلام حتى دخل برفجان، فسارع الناس إلى إجابته ولم يتخلف عنه من له خطر، فانبعث عليه السلام نحو هوسم وأبو زيد الثائري أمير عليها وشوزيل كان بطبرستان، وبلغت عدة عسكره عليه السلام سبعة آلاف رجل، فلما أحس أبو زَيد الثائري بإقبال المُؤَيَّد ترك هوسم وانزوى إلى موضع يقال له: كُلوَا فتبعه المُؤَيَّد بالله فحاربه وهزمه من هناك، فمضى أبو زَيد إلى ملك الديلم، وقتل من عسكره مقتلة عظيمة، وأخذ من أسلحتهم إلى حدود ثلاثة آلاف ترس، ثم رجع المُؤَيَّد بالله عليه السلام إلى هوسم وأقام بها سنتين، ثم عاد الأمير أبو زَيد من ديلمان وأظهر التوبة والنسك، ثم تساير القوم إلى الأمير أبي زَيد وقالُوا له: إن أبا الحسين الهاروني ليس بناصري، وإنه قاصر اليد عن عطآئنا، وحملوه على

مخالفته واجتمعوا حتى أحوج المُؤَيَّد بالله إلى مفارقة هوسم والرجوع إلى جيلان فلما قدم جيلان ، أقبل إليه شير أسفار بخيله ورجاله وعاونه ورده إلى هوسم ، فبقي فيها مقدار شهرين ، ثم تقوى الأمير أبو زيد الثائري وآل الأمر إلى أن التجأ المُؤَيَّد إلى جيلان وأقام ببرفجان عند المكنى بأبي شجاع ، ثم أنفق أبو زيد الأموال الجمة على أهل جيلان حتى اغترَّ بماله شير أسفار وخالف المُؤَيَّد بالله ، وخالفه القوم أجمع حتى خالفه أبو شجاع أيضا ، وأخذ أربعين ألف درهم واعتذر بأنه خشي أن لا يتم أمره ويُحْوَجَ إلى الهرب ، ويفوتني المال ، فأحوج المُؤَيَّد بالله إلى مفارقة جيلان وامتد إلى الري وأنشد :

فــررت من العُــداة إلى العُــدات ... وكنت عَــددتُهم زُمــرَ الثــقــات

لقــد خــابت ظنوني عند قــوم ... يرون مــحــاسني من ســيــئــاتي

يُهــيــجــونَ الغــواة عَليّ هيْــجــاً ... وهم شــرٌّ لديَّ من الغـــوات

وبقي الأمير أبو زَيد بهوسم إلى أن خرج عليه أبو الفضل الناصري وحاربه وهزمه ، وأقام بهوسم أربعة أشهر ، وخرج الأمير أبو زيد إلى الري وتقرب إلى المُؤَيَّد بالله وأظهر التوبة واعتذر إليه وصالحه ، وواعده أنه إن عاود هوسم أعانه على محاربة صاحب طبرستان ، ثم رجع الأمير أبو زيد إلى هوسم وملكها أياما . ثم إن أبا الفضل بن الناصر جمع عسكرا وقصد هوسم ، وهزم الأمير أبو زيد والتجأ إلى جبل حصين فتبعه أبو الفضل وحاربه وقتله ، ثم ملك أبو الفضل بعد ذلك هوسم أربعة أشهر ، ثم إن آل الثائر بعثوا رسولا إلى المُؤَيَّد وقالُوا : إن قتل أبو زيد فنحن نعينك على مرادك فالحق بنا ، فأقبل المُؤَيَّد بالله إلى ديلمان ، وصالح الاسفندارية- وهم ملوك بعض جبال الديلم- على أن ينهض بهم إلى قابوس ، وسلّمت له قلعة وارْفويه وبقي على ذلك سنتين[1] إلى أن سار نحو آمل ، وصحبه

(١) في (أ) سنين ، وسيرة الإمام المؤيد .

الكيّا أبو الفضل صاحب هوسم مع الكبار الأمرآء من الجيل والديلم، وصحبه الاسفندار المكنّى بأبي جعفر، وولده التابع للمُؤَيَّد المسمى: خُسروشاه بن أبي جعفر صاحب الرويان، وصحبه جميع أصحاب الأطراف من ولاة الكلار والديلمان سهلها وجبلها، فدنَا من أهْلَم، ونزل في الساحل ووطن عساكر آمل على الهزيمة، وكان الوالي بها من جهة الأمير قابوس أبو جعفر محمد بن الحسين الناصر، وكان فيها من الأمرآء جُفتي بن باي والعباس السالمي والإصفهبذ بن أسفاوجين في آخرين.

فخرج المُؤَيَّد بالله عليه السلام من أهلم إلى باب آمل وكان الرأي أن ينزل بباب آمل ولا يحارب مع تعب رجالته، فاستعجل وبادر المحاربة، وانهزم الأكراد والأعراب من عسكر آمل، وتفرق الجيل والديلم وأحسوا بالظفر حتى إن الشيعة استقبلوا الإمام ينثرون ويستبشرون وكانوا كالواثقين بالظفر، وكان قآئد من قواد المُؤَيَّد بالله يسمى ريشكا من كبار شجعان الجيل دخل محلة تنجمادة[1] من أول البلد، فأصاب قلنسوته وبيضته التي كانت على رأسه طرف صفآئح منصوبة لكف المطر تدعَى بالطبرية: كاولي، فنزلت البيضة عن رأسه فانتهز الفرصة جيلي من البغاة فرمى موضع الانكشاف بمزراق، فأصاب أصل أذنه فسقط عن دابته ورفع جثته أصحاب الناصر أبي جعفر فكفنه تكفينا حسنا ورد جثته[2] إلى جيلان تقربا إلى الجيل، فآل الأمر إلى أن انهزم عسكر المُؤَيَّد بالله ونقضوا أتراسهم؟ وكان السبب في ذلك على ما يقال إنه عليه السلام كان نهى عسكره[3] أن يرموا أهل البلد وأن يضربوهم وأن يشعلوا النّار في دورهم، فلما عرف أبو جعفر الناصر أنه أمن الطبرية، وعرف أن التعصب غالب عليهم، وأنهم لا يُعدُّون كثرة، وكانوا نظاره

---

(١) في (أ): تنجادة.

(٢) في (أ): تابوته.

(٣) في (أ) وسيرة الإمام الهادي بزيادة: من.

والليكاني[1] كله حجارة، فأقبل على العوام وقال: ألا ترون هذا العلم الأبيض الذي أقبل عليكم؟ أليس تريدون رفع دينكم؟ فمن رمى منكم بحجر فهذا ختمي له بصيانة داره عن التورد والنزول، وعرف أن هذا من أهم شيء عند الطبرية، فجعل يختم لهم على الشموع ويغويهم ويغريهم بهم، فأخذت الطبرية في الرمي وكسروا الأتراس فوقعت الهزيمة العظيمة في رجال المُؤيَّد بالله حتى بقي وحده بلا راية ونهب بيت ماله، فقال عليه السلام لبعض نقبائه: ما الرأي؟ فقال النقيب: انج بنفسك، فقد هربت العساكر، فقال له: انظر في مقدمة عسكرنا، فقال: ليس هناك إلا الكيَّا أبي الفضل الثائر وشير أسفار فقال: لا سبيل إلى الرجوع فإن أبا الفضل معدود لخمس مائة رجل وشير أسفار كذلك، فكَيفَ أولي وبين يدي ألف، فقال: لا رجالة معهما وهما أيضا ينصرفان، فلما انصرف الكيَّا أبو الفضل، فقال له: اخرج في دعة الله لأصونك ولأصحَبُكَ، فقال: إذا كان هنا شيرأسفار فلا يحل التولي، فعاد أيضا شيرأسفار منهزما يقول: أُخرج باكيا فمضى باكيا، يقول: أي موضع أولى بالاستشهاد من هذا الموضع؟ فلولا أني أخاف ألا أُقتل على المكان، وأوسر وأحمل إلى قابوس: وهو اللعين سيء الاعتقاد فيسلك معي مسلك الانتقام فيمثل بي ويعذبني بأنواع العذاب، وإلاَّ لم أخرج من هذا المكان، فقالا له: ولأن تعود سالما أحب إلينا من أن تستشهد هاهنا، فركض وركضوا أفراسهم يحفظونه ويحمونه، فحصل تلك الليلة بساحل البحر على شط نهر، ولحق به جماعة من المنهزمين وقد تعبوا وجاعوا ومنهم جرحى فقال المُؤيَّد بالله: هل فيكم من يقرضنا دينارا؟ فأقرضه رجل كان معه دينار، فبعث بعض الحاضرين إلى قرية بقُربه وقال: اطلب شيئا من الحلال تشتريه بهذا لهؤلاء الجياع، فذهب الرجل واشترى من فيشكاة القرية شاة مسلوخة وشيئًا من السمن

(١) في سيرة الإمام المؤيد بالله: والليكاني.

والعسل وجملة من خبز الآرز، فأمر بتقديمها إلى الجياع، وقدم إلى نفسه رغيفا واحدا وتناول نصفه، وقام إلى الصلاة حتى أصبح ولحق به المنهزمون أفواجا، وقبض أبو جعفر الناصر زهاء ثلاثين رجلا وجعلهم في أقفاص من صفآئح وأصدر بهم نحو جرجان إلى قابوس فقتلوا هناك، وكان قتل ثمانية عشر رجلا من الثابتين، فمضى أبو شجاع الفارسي البزاز والد الشيخ أبي طالب- وكان من أعيان الشيعة- إلى الشيخ أبي عبدالله الخياطي واستفتاه في[1] هؤلآء القتلى فقال: يدفنون بثيابهم فإنهم شهدآء، وذلك السيد إمام الزمان بعد الناصر للحق عليه السلام. فخرج الناصر في سنة ثلاث مآئة مستوى، وهذا إنما ظهر في سنة أربعمآئة مستوى وفي كل مآئة عام يخرج إمام صالح لهذا الأمر من آل محمد صلى الله عليه وآله فقال: كنت أعلم هذا لكني سألتك لرفع الخلاف وحذرا من العامة، فإنهم يقبلون منك، وخرج ودفنهم بثيابهم في طريق الليكاني، تعرف قبورهم بقبور الشهدآء، استوهب تلك البقعة من صاحبها فوهبها. ولما بلغ المؤيَّدبالله إلى ناحية كجوا أخذ خسر وشاه بن الاسفندار في مخالفة المؤيد بالله، وأصعد رجالة إلى هضبة هناك حول الصحرآء، وحصل عسكر المؤيَّد بالله دونهم كأنهم في حلقة وحصار وليس فيهم صاحب ترس وسلاح، ورفع القوم رايتهم وأخذوا يطلبون القتال ويُظهرون العداوة، فاشتغل قلب المؤيَّد بالله وقال: انظروا إلى هؤلآء الظلمة وإلى أفعالهم لا يمكن السكون إليهم، ولا الاعتماد عليهم وعلى مواثيقهم، فبعثوا نحوه رسولا وطلبوا المواثيق والرهائن على أن لا يحاربهم قط وأن يسلّم قلعة وارفويه منهم، فسلم ابنه أبا القاسم منهم على أن يردّوه إليه متى سلم القلعة منهم، وشرط عليهم أن لا يحبسوا عندهم غير ابنه أبي القاسم، ثم إنهم نقضوا العهد وحبسوا مع السيد أبي القاسم جماعة، فخرج المؤيد بالله مع

---

(١) في (أ) وسيرة الإمام المؤيد بزيادة: معنى.

ثقات الاسفندار ليسلم القلعة منهم، فلما بلغوا (كلار) علموا أن الدّيالمة لا يمكنون من تسليم القلعة منهم فانصرفوا.

فلما بلغ المُؤيَّد بالله إلى صحراء (أيكاند)[1] استقبله المسمى أبو حليس[2] الحاجب من ناحية قلعة براز مع عسكر جرَّار ليقبض على المُؤيَّد بالله من قبل الاسفندار، ولم يكن معه مُتَسَلِّحٌ من جنده، فاتفق أن راية أبي سعيد النيسابوري ظهرت مع جمع كثير، فرجع أبو جعفر الحاجب على عقبه، وعجزوا عن التعرض له، فلما دخل المُؤيَّد بالله ديلمان وعرف القوم أنه يريد تسليم القلعة استدعوا أبا القاسم إصبهبذ كلار وبايعوه على الموضع المسمى تُنكايُشته، واستقبلوه محاربين وانهزم رجال السيد، ثم إن المُؤيَّد بالله (أخبرهم أنه لا يريد تسليم القلعة، وأن القوم انصرفوا فأطاعوه، فلما أيس الاسفندار ولم يمكنه قتل الأمير القاسم أطلقه، فمضى إلى الري، ومن ثم إلى جيلان، ثم عاد إلى المؤيد بالله)[3]. وكان عاقبة أهل طبرستان بما صنعوا أنهم قحطوا في تلك السنة عقيب هذه الوقعة قحطًا عظيمًا حتى صار رطل خبز بعشرة دراهم، ولولا قرب إدراك الغلة لمات أكثرهم جوعًا، ثم وقع الوباء عقيب القحط فمات خلق كثير، كل ذلك بشؤم البغي ولهم في الآخرة عذاب شديد. فأما قابوس فإن الله قتله شر قتلة، وقُتل[4] أبو جعفر الناصر وجفتي بن باتي[5] والعباس السالمي والإصفهبذ بن أسفا وجين وغيرهم ممن تولى أمر تلك الحرب وسائر العسكر بادوا وهلكوا بشئوم البغي، فلما ولي منوجهر صالح المُؤيَّد بالله على أن يؤدي إلى المُؤيَّد بالله كل سنة

---

(١)في الأصل: أيكابذ.

(٢)أظنه لقب لأبي جعفر الحاجب كما سيأتي.

(٣)في(أ) ساقط ما بين القوسين.

(٤)في(أ): وأما أبو جعفر . . .

(٥)في الأصل: بابا، والنسخة(أ): بابي، ولكن قد سبق: باي

ألفي دينار، وجرى على ذلك أياما حتى ظلم إسفندار أهلَ كلار ونواحيها فقدم أهل إيواز[1] ومن قدام شالوس على المُؤَيَّد بالله والتمسوا منه الانتهاء إليهم ليعينوه، فلم يُجب واعتل بأنه لا يثق بوفائهم ولا يحصل على فائدة، وينقطع عنه مال الصلح الذي يبعثه إليه منوجهر فخرجوا، ثم عادوا ثانيًا وثالثًا حتى أقبل الصيف، فقام إلى المؤيَّد بالله عامة أولياء الإسفندار وأكابرهم كأبي القاسم اللؤلؤي وأبي جعفر وسائِر أهل كلار وسائِر أهل النواحي وأكدوا الأمر، فرضي وقصد نحو كلار، فورد عليه عسكر منوجهر من طبرستان، فقال المُؤَيَّد بالله لابنه الأمير أبي القاسم: تأهب للقتال، فذهب وتأمل القوم وانصرف، وقال: لا طاقة لنا بهؤلاء القوم فإنهم كالبحر الأخضر، فجد المُؤَيَّد بالله في الأمر وقال: لا بد من القتال؛ فعاد الأمير أبو القاسم إلى موضع يُدعى دشتنزير ووقع على القوم مغافصة فانهزموا وأسر جماعة من الأمراء والقواد ونُخب العسكر، وقتل منهم مقتلة عظيمة، وغنموا من أموالهم وأسلحتهم شيئًا عظيمًا، وجعل أصحاب المُؤَيَّد بالله يقولون: يوم بيوم، يعنون: إنّا إن رجعنا في أيام قابوس من باب آمل فقد رجعتم من باب كلار على أسوء حال.

ثم إن المُؤَيَّد بالله كاتَبَ منوجهر بعد ذلك بكتاب حسن مشحونا بحجج وآيات وأخبار وأمثال، فصالحوه على بذل ألفي دينار في كل سنة، ثم حدث من بعد فتنة طبرستان وتعصب النواصب على الأشراف والشيعة، وكان ينصر عامة أهل طبرستان ابن سيف الدينوري ويعضدهم، وكان واليًا على آمل من يد منوجهر، واشتد ذلك حتى قدم الشيخ أبو القاسم البستي آمل من الري وأظهر التعصب للشيعة في مجالس التذكير، وسئل يوم الغدير عن الفضل بين عَلِيّ وأبي

---

(١) في الأصل: إيوان.

بكر ، فقال : مثل عَليٍّ كمثل كوز جديد لم يمسه شيء ، ومثل أبي بكر مثل كوز كان فيه خمر ودم وأنجاس وأقذار ثم غسل غسلا نظيفا ؛ وذلك لأن عَليًا عليه السلام لم يشرك بالله طرفة عين ، وأبو بكر كان مشركا أربعين سنة ، وإن برئ من الكفر وطهُر من الشرك ، فغاظ النواصب هذا المثل لوقوف العامة عليه ، وكان في البلد متفقه لم يكن له عند العامة سوق يكنى بأبي إسحاق الصفار ، فلما بلغه هذا الحديث غدا من مسجده حافيا حاسرا يخرق بجوف البلد إلى دار العامل المعروف بابن سيف ، وتبعته العوام على عادة الطبرية ، وعاجوا وجلبوا على باب العامل ، وتوصلوا بذلك إلى طرد الشيخ أبي القاسم البستي ، فأخرجه ابن سيف قسراً بعد ثلاثة أيام وقد فتن البلد وانعقد للصفاري سوق عند العامة ودامت الفتنة في البلد ، وكانوا يقصدون مشهد الناصر عليه السلام ، واستعان الأشراف بجماعة من الجيل كانوا يحضرون المشهد ويذبون عنه ويحامون دونه ، وقتلوا جماعة من العوام ، وقتل من الجيل واحد ، ودامت الفتنة واستحكمت الوحشة ، ولم يتمكنوا من إحراق المشهد حتى استعان أهل البلد بمشبهة الرساتيق من ناحية إرمبراه[1] من ناحية أهلم ، وكان رئيسهم أبو القاسم دابويه ، وخاف أبو أحمد الناصر[2] -رئيس الأشراف- على ماله وداره ، فراسل سكان المشهد ، وأمرهم بمفارقته وتسليمه من القوم ففعلوا ، فقصده القوم وأشعلوا فيه النّار وأحرقوه عن آخره ونقضوا المنارة والسور ، ثم قصدوا بعد ذلك دار أبي الحسن[3] الناصر وأحرقوها ، ثم هدموا مسجداً للشيعة في سكة حازم . ثم حضر الصفاري وخرب المسجد المعروف بزيدكيا العلوي في بقعة تدعى آش ريه ، واستمرت الفتنة وهاج الجيل بجيلان يهتجمون ويصولون ،

(١)في(أ) وسيرة الإمام المؤيد : إرم براه .

(٢)في(أ) : أحمد الناصر القاسم .

(٣)في(أ) : الحسين .

وامتدوا إلى باب المُؤَيَّد بالله يلزمونه التقدم إلى آمل للانتقام والانتصاف . فأظهر المُؤَيَّد بالله الضعف والعجز عن النهوض بنفسه ، وقال : لا أجد لهذا الأمر في الحال غير السيد الثائر في الله أبي الفضل صاحب هوسم ، فلما أمره بذلك أبى وامتنع وتقرب إلى منوجهر وأخذ منه المال ، فهاج عليه الجيل وهموا بالقبض عليه وأحرقوا داره بهوسم وألجيء إلى الهرب ، فلما أيس منه ، كاتبَ أبا جعفر الناصر المقيم بالري ، وأرسل إليه أبا الحسن الآبسكني ، وخاطبه بالسيد الفاضل ، فلما قرأ الكتاب ، قال : هذا لطفُهُ عند الاستدعاء فكيف لطفه إذا حصلت عنده؟ وامتنع من إجابته . وأنفق منوجهر عشرين ألف دينار بهذا السبب وأعاد عمارة المشهد ، وأنفق عليه حدود ألف وسبعمآئة دينار ، وقبض الإسفهسلار- المعروف بالحاجب الكبير أسفاوجين بن أصفهان- على المعروف بالصفاري ، فأمر منوجهر وأصدره إلى أستراباذ[1] وحُبِسَ في قلعة تكريت ، وبقي فيها زهاء عشر سنين حتى هلك منوجهر ، فتقرب أبو كالجار إلى الطبرية وأطلقه ورده إلى آمل وكان في الكرة الثانية شرا منه في الأولى ، ولا زال يتعصب ويتعرض للأشراف والشيعة إلى أن هلك أبو كالجار ، فأنهض شرف المعالي إلى آمل للسياسة للأمير ورده أنشا بن أسفرستان الزياري[2] ، فساس أهل طبرستان سياسة منكرة وقتل من المفسدين عدة وقتل الصفاري ، فلما أعاد منوجهر عمارة المشهد[3] وأرشا كبار جيلان سكنت ثائرة الجيل ولم يمكنهم قصد طبرستان ، وانصرفوا من وركروذ ، وكان أبو الفضل انحاز إلى كرجيان ، فلما انصرف الجيل بلغه أن المُؤَيَّد بالله كان ضمن لهم ألفي دينار فلم يدفع ، وقيل : بسبب أن ناصرية الجيل قالُوا : إن هذا العز يعود إلى المُؤَيَّد

---

(١)في الأصل : استراياد .

(٢)في(أ) : وردان شاه بن أسفرستان الزياري .

(٣)في(أ) : المسجد .

بالله ولا يعود إلينا، فقصدهم الكيا أبوالفضل مع الكرجية وسد عليهم الطريق من كل جانب فحمل الجيل عليهم وهزموهم بإذن الله وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وخرج أبو الفضل من هناك إلى جيلان واستولى بعد ذلك على هوسم أيضًا، ولم يزل عليه السلام مشجيا للظالمين، معلنا بالدين حتى توفاه الله حميداً رشيداً فقيداً سعيداً.

وكانت وفاته عليه السلام في يوم عرفة سنة إحدى عشرة وأربعمآئة، ودفن يوم الأضحى، وصلى عليه السيد مانكديم الأعرابي القزويني الخارج بعده بلنجا الملقب بعده بالمستظهر بالله، وأديمت الْخَتَمُ على قبره من يوم دفنه إلى تمام شهر، وبُني عليه في لنجا ومشهده فيها مشهور مزور. وفيه يقول القآئل :

عــرِّج على قــبــر بصــعـــدة وابْكِ مَــرْمُــوسـا بلَنجــا
واعلَـم بـأن المقـــتَـــدي بهــمــا سـيـبلغ مـا ترجّــا[1]

وكان عمره عليه السلام تسعا وسبعين سنة، وخلف من الأولاد: الأمير أبا القاسم وحده رضي الله عنه وكان اسمه الحسين وبه كان يكنى، وأولد الحسينُ أحمد، وأولد أحمدُ الإمامَ أبا طالب الأخير يحيى وعَقِبُه كثير،منهم محمد القآئم في عشر السبعين وخمسمآئة في بلاد العجم من جيلان.

ذكر نكت من كلامه عليه السلام :

قال قدس الله روحه في صدر كتابه المعروف **بسياسة المريدين** [١٩]:
الحمدلله الذي جعل لنا إلى سلوك مناهج الأبرار سبلاً لآئحة، ونصب لنا على لزوم مدارج الأخيار أدلة واضحة، وجعل من تبتل إليه ووقف عليه مشاهدا لدواعي الحق التي ذهب عنها أكثر الخلق، واستنقذهم من أسر الحيرة، وعصمهم

---

(١) أنظر التحف شرح الزلف ٢١٢.

من بوادر الفتنة، وملكهم أزمة قلوبهم، ووقاهم شح نفوسهم، وآنسهم برياض تنزيله، وفهّمهم غوامض تأويله، وجعل لهممهم مطالع في ملكوته، ولضمائرهم مراتع في عظمته وجبروته، حتى عزفت نفوسهم عن أكثر ما لهج الخلق به من الشهوات، وثبتت أقدامهم حيث دحضت أقدام كثير من ذوي[1] الخطيئات ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم:٢٧]. والحمد لله الذي جعل التوبة للمذنبين المسرفين على أنفسهم وسيلة ينالون بها متى أخلصوها كل فضيلة، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الزمر:٥٣ - ٥٥]، وبلغنا أن الله تعالى أوحى إلى نبيه داود عليه السلام، أن أنذر الصديقين وبشر المذنبين، فقال: يارب كيف أنذر الصديقين وأبشر المذنبين؟ فقال عز وجل: بشر المذنبين أني أقبل التوبة، وأنذر الصديقين لئلا يغتروا بأعمالهم، أو ما يرجع إلى هذا المعنى من اللفظ أو يقرب منه. وصلى الله على نبيه المبعوث نبي الرحمة المبعوث إلى كافة الأمة بالرأفة والرحمة محمد وآله، ثم قال قدس الله روحه في باب ما يستعان به على التوبة [٢٢]:

اعلَم علّمَك الله الخير أن من أراد أن يحصل[2] لنفسه منزلة التائبين، فيجب أن يملأ قلبه خوفًا وخشية؛ لأن التوبة لا تكاد تتم، وإن تمت لم تَصْفُ ولم تدُم مالم يصحبها الخوف والخشية، ثم قال بعد ذلك:

واعلَم أن الخوف للتوبة بمنزلة الأساس للأبنية، فكما أن الأبنية إذا لم تكن

---

(١) في(ب) من أهل الخطيئات.

(٢) في(أ): يجعل.

بُنيت على أساس متين لم تستقم ولم يطل لُبْثُها، (كذلك التوبة إذا لم تُبن على الخوف والخشية)[1] لم تستقم ولم يطل لبثها؛ ولهذا كثير من المتكلمين بنوا أمر الخواطر التي ترد على المكلف في أول أمره على الخوف.

واعلَم أن أكثر الأشيآء دواعي وأقربها بواعث على الغرض المقصود في هذا الباب هو الاستكثار في ذكر الموت وإشعار النفس أسباب الفوت والأحوال التي تكون عند الموت وبعد الموت من البلاء في القبر وأحوال النشور والبعث، وأحوال أهل الجنة والنّار، والاستدامة لتصورها وتمكين ذكرها من النفس، حتى ينكسر مرحها، ويخف أشرها، وتكثير إيرادها على القلب حتى يغمره وتستولي عليه.

ومن أحس من قلبه بالقساوة وقلة التنبه فليتصور أحواله عند الغرغرة والنزع عند مفارقة الروح للجسد، وكيف يبقى بين أهله طريحًا ذليلاً، وأحوال أهله وأيتامه، وكيف يبكون عليه ويندبونه، وكيف يأخذون عنه ثياب الدنيا، وكيف يطرحونه على المغتسل، وكيف يلقونه في الكفن، ويدلونه في القبر، وكيف يبلى هناك، وكيف تعيث الدواب والحيات في لحمة وجلدة، ولينح على نفسه بذلك بصوت شجي في الخلوات وفي ظلام الليل، فإن العلم بهذه الأحوال علم الضرورة، والإنسان قد شاهدها كثيرا، وما يُعْلم ضرورة ويكون مشاهدا يكون تأثيره في النفس والقلب أقوى، فليهتم بهذا الباب اهتمامًا صادقًا. وبلغني أن نوحا عليه السلام سمي نوحا؛ لأنه كان ينوح على نفسه، فإذا ظهر تأثير ما قلنا في القلب والنفس وأجرى دموعه فكّر[2] حينئذ في أحوال البعث والنشور، والجنة والنّار التي طرق العلم بها اكتساب، فإنه ينتفعَ بذلك إن شآء الله تعالى نفعًا بينا.

وقال قدس الله روحه في هذا الكتاب من باب الإرادة[٥٧]: اعلم أن الإرادة هي طلب الانقطاع إلى الله عز وجل من كل ما سواه، قال الله تعالى:

---

(١) ما بين القوسين ساقط في الأصل.

(٢) في(أ): أفكر.

﴿ وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً ﴾ [المزمل: ٨]، قيل في التفسير: أخلص له إخلاصا[١]، وقال تعالى: ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠]. رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال حاكيًا عن الله تعالى: «ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنىً وأملأ يديك رزقا، ابن آدم لا تتباعد عني فأملأ قلبك فقراً وأملأ يديك شغلا»[٢]. ثم قال قدس الله روحه: هذه وصية الجنيد بن محمد أثبتناها على وجهها لتعلقها بغرضنا في هذا الباب ولما فيها من عظيم النفع للمريد.

قال أبو القاسم رحمه الله: اعلَم رحمك الله أن الله تعالى ينزل العبيد حيث نزلت قلوبهم بهممها، فانظر أين ينزلك قلبك؟، واعلَم أنه يوصل إلى القلوب من خيره[٣] ما اتصلت به القلوب من تعظيم أمره، فانظر ماذا يتصل بقلبك، واعلم أنه يُقبل على القلوب حسب ما القلوب مقبلة عليه، فانظر ماذا أنت مقبل بقلبك؟، واعلم أن الله تعالى يخلص إلى القلوب من برِّه على ما تخلص القلوب إليه من ذكره، فانظر ماذا خالصه قلبك؟، واعلَم أن الله تعالى يعظم القلوب ويرفعها على حسب ما هي معظمة له، فانظر ماذا الذي تعظم في سرك ويعلو إليه مرادك؟، واعلم أن موانع القلوب في الابتدآء ما مالت عليه من أسباب الدنيا، فاعمل على قطع الأسباب تنل بُغْيَتَكَ من الطلب.

واعلَم أن قليل ما يُنفق[٤] منها في السرآئر يحول بينك وبين نفيس الذخآئر، فاعمل في إخراج ما بقي منها تنل بذلك ما تطلب من خالقها. واعلم أن القلوب إذا تجردت من الأمور الدنيوية صحت وصفت للعلوم الأخروية، فاعمل في ابتدآء أمرك على إخراج ذلك من سرك، واحذر أن يبقى عليك منها شيء مستبطن أو

---

(١) انظر تفسير غريب القرآن للإمام زيد بن علي ٣٥٣.

(٢) أخرجه الحاكم عن معقل بن يسار ٤/ ٣٢٦ وقال صحيح: ووافقه الذهبي.

(٣) في الأصل: خيره، والنسخة(أ): من غيره، ولا معنى لها وأثبتناها من سياسة المريدين.

(٤) في(أ): يبقى.

دقيق مراد قد كمن، فيقفك[1] ذلك ويعترض بقدره في صحة المراد، فكن على استعصاء منه، وكن فيها على أحوالك كلها زاهدا، فيصحو عند ذلك عقلك ويصفو قلبك.

واعلم أن هذا أول منزلة من منازل المريدين. واعلَم أنك إن صدقت في إرادتك له صدقك في إرادته لك. وأعلم أن الله تعالى إذا أرادك تولاك وأغناك. واعلَم أنك إن كنت لطاعته مؤثِراً كان عليك بمنافعك مقبلا، وكذلك إذا كنت لعهده راعيًا وبأمره عاملا كان بالتأييد لك حافظا، فمِنْ شَاهد ذلك في نفسك أنك إذا اعترض لك أمران ميزتهما بالعلم، فإذا كشف لك التمييز بالعلم عن أفضلهما ركبت الأفضل وعملت بالأجزل، ولم ترض في نفسك بالمفضول، فإذا كنت كذلك كنت صادقا، وكان الله تعالى لهمك رافعا، فإذا ارتفع همك وقوي علمك كان ذكر الله تعالى السابق إليك، والعاطف بقربه عليك، ولم تر شيئا أقرب إليك منه، ولا أقرب منك إليه، فإذا خلص لك ما وصفنا فاعتدل واستوى، لم تكن ظاعنًا إلا إليه، ولا نازلا إلا عليه، والعلم من ورآء ما أوصيتك به، فاعمل بوصيتي تنل بها من العلم من ورآء ذلك.

قال قدس الله روحه[2]: وقال بعض الحكمآء: علامةُ المريد إذا صدق في عزمه رفض الدنيا إذا كانت شاغلة للقلب ومفتّرة له عن طاعة الله تعالى، وأحواله في الزيادة على حسب الكد والاجتهاد والانكماش والمبادرة، وحمل النفس على المكاره، ومفارقة الراحة ومجانبة الرفاهية، وليصحب من يريد ما يريد لتزداد قوة إرادته، وليستوحش ممن يريد ما لا يريد، وليَتقوَّ على ما يريده.

ثم قال قدس الله روحه في[3]: اعلَم أن أصل هذا الباب ومِلاكُه وما عليه

---

(١) في نسخه فيقعدك.

(٢) سياسة المريدين ٦٣.

(٣) سياسة المريدين ٦٣.

يدور: هو مجانبة الشبهات، وترك ما أمكن تركه من المباحات، وبحسب ما يتركه العبد من المباح يكون فوزه للنجاح، وظفره بالمطلوب ونيله للمحبوب، وبحسب استيفائه[1] وتمتعه له يَفْتُر سيره، ويضعف عزمه وإرادته، ويُنشِبُ العدوُّ فيه أظفاره ومخالبه، فمن عزم على طلب الانقطاع إلى الله عز وجل، واستحقاق اسم المريدين، فليوطن نفسه على ترك ما أمكن تركه من المباح، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٢] وقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ [المؤمنون: ٣]، فكل ما لا يعنيك فهو من اللغو.

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[2] وأصل ترك المباح الذي لا بد للمريد منه، ولا يستقيم أمره دونه، ولا يستقيم إلا عليه ولايملك زمام قلبه إلا به هو ملازمة الصمت ومداومة الجوع والعطش. وروي عن النبي ﷺ قال: «من عرف الله تعالى وعظمه منع الله فاه من الكلام وبطنه من الطعام وفرجه من الحرام».

وقال قدس الله روحه: واعلم رحمك الله أن المريد ربما يعرض له فتور قوي واضطراب شديد حتى ينتشر همه بعد أن كان مجموعا، ويشرد[3] فكره بعد أن كان مزموما وحتى يظن أن قلبه [كأن][4] قد صار أعلاه أسفله، فيضيق صدره ويكاد يفسد عليه أمره؛ وقد يكون ذلك لسبب ظاهر، وقد يكون من غير سبب، فلا يجب أن يرتاع عند ذلك ارتياعا يزيد في اضطرابه، ويوهمه مفارقة حاله، بل يجب أن يفر إلى الله تعالى، ويستغيث به، ويستنزل المعونة من عنده،

---

(١) في سياسة المريدين «استغنائه».

(٢) مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٣) في (ب): ويتشرد.

(٤) ساقطة من كتاب سياسة المريدين.

ويـدوم على ذلك، وإن لم يـجد للاستعانة [1] الحـلاوة التي كان يجـدها من قبل لم ييأس [2] من عوده إلى حالته، واستمر على البكاء والتضرع إلى الله تعالى، ومسـألتـه كشف مـا به، ويفـزع إلى تنبيـه القلب بقـرآءة القـرآن بصـوت شـجي واسـتـمـاعـهـا من غـيـره. و[ليـنظر] في حكايات المتـقـدمين ومـواعظهم، ويستعين على ذلك بمذاكرة من يكون منهم في زمانه ومجالستهم، واستماع كلامهم، وتأمل أحوالهم، فإن كثر ذلك ودام حتى يغلبه الوسواس، استعمل ما ذكرناه في باب ما يستعان به على التوبة، واجتهد في تحصيل الخوف، وذَكَّر نفسه آلآء الله ونعمائه [3]، فإن ذلك مـمـا يُقَوِّي قـلبه ويـحبس عنـه الـشيطان.

واعـلـم أن مـا كـان مـن ذلك لغـير سـبب مـعلوم كـان [4] دَفْعُـه أسـهل، وانحسامه أيسر، وعودة العبد إلى حالته الأولى أقرب، وما كان من ذلك لسبب ظاهر يعرفه المريد من نفسه، فإنه يحتاج أن يعمل في إزالة ذلك السبب ودفعه، ويستعين بالله على ذلك إنه خير معين. ويكون بقاء هذا العارض وقوته بحسب قوة السبب الموجب له وبحسب بقائه، ومتى انحسم [5] ذلك وَجَدَ المريد له روحا في الحال، وانشرح صدره انشراحا عجيبا، وعاد إلى حالته الأولى، وكان سبيل قلبـه سبيل المشرفي يخرج من الصقـال. فليكن المريد متنبهـاً عندما وصفناه وليستعمل ما ذكرنا، فإن الله تعالى بلطفه وفضله يغني من اتقاه، ولا يخيب رجاء من ارتجاه، وليكن دأبه ومعظم همه عند اعتراض هذا العارض التمسك بفعل الواجبات، والتنكب من المحظورات، وإن احتلت [6] عليه النوافل والمجاهدة.

---

(١) في نسخه: للاستغاثة.

(٢) في الأصل: يئسى.

(٣) في (أ) ونعماه.

(٤) في (أ): فإن.

(٥) في (أ) بزيادة: حد.

(٦) في الأصل: احللت.

واعلم وفقك الله إلى الخير أن للشيطان كيدين يقطع المريد بكل واحد منهما عن سيره وقصده، ويرده عن طريقه ونهجه، ولكل واحد من الكيدين[1] تفاصيل نحن نذكر جملها ليعرفها المريد ويحذر منها كل الحذر. فأحد الكيدين القاطعين له عن غرضه: أن يدعوه إلى القُرَب التي هي النوافل، وهي له في الحقيقة قواطع وشواغل، وذلك نحو أن يدعوه إلى تحصيل المال، ويوهمه أن يسد به خلة أهل الفقر والمسكنة ويعود به على الأرامل والأيتام، ويصلح الجسور والقناطير، ويبني به المساجد ويستعين به على الحج والغزو، فإذا سَوَّل له ذلك زيّن له الشح، وشغله بالجمع حتى يعود تاجرا إن كان من التجار، أو نائبا إن كان من أهل النيابة، أو عامل السلطان إن كان من العمال. فإذا شغله بذلك حال بينه وبين همه وصرفه عن طريق المجاهدة، ثم يوشك أن يغلبه الهوى أو يرده على عقبيه وربما دعاه إلى الاشتغال بجمع العلوم، وأوهمه أنه يقمع به الملحدة[2]، ويستنقذ به الضُّلال من الضلالة، والجُهال من الجهالة، فيختلط بالعلماء والمتعلمين، وأكثرهم مائلون[3] إلى الدنيا- خاصة في زماننا هذا- فيتخلق بأخلاقهم ويتحلى بحليتهم، فيدخل معهم في المنافسة وطلب الرئاسة.

وقد روي أن الله تعالى أوحى إلى داود صلى الله عليه: يا داود لا تجعل بيني وبينك عالمًا مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبتي، أولئك قُطّاع عبادي المريدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم ان أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم، فيعادي على ذلك ويوالي، ويستعمل بذلك قلبه ويهيج فكره وينسى طريقه ويهجر ما كان آثره، فيتمكن منه الهوى والشيطان، فيدحض قدمه ويزيله عن سوآء السبيل.

---

(١) في (أ) ساقطة: من الكيدين.

(٢) في كتاب سياسة المريدين بزيادة: «ويهدي به المسترشد».

(٣) في (أ): ما يكون.

وربما دعاه إلى السعي في مصالح الناس والتحري لمنافعهم فيدعوه ذلك إلى مخالطة الكبراء [1] وملازمة الرؤساء ومداخلة الملوك وحواشي الملوك حتى يجالسهم ويأنس بهم ويأنسوا به، فيفارق ما كان فيه، ويضيع ما كان يطلبه وينتخبه، ويغلب الهوى عقله، ويجد الشيطان إلى استهوآئه جَدَدًا لاحبًا وطريقا لائحًا، وهذه الجمل أكثر ما تعرض للمبتدئين منهم، والذين لم يألفوا حلاوة مقصدهم ولم يأنسوا بمطلبهم وإن كان الجميع منها على خطر.

والقاطع الثاني: هو أن يفتره الشيطان عن اجتهاده، وحمله النفس على المكاره في معاملته، بأن يورد عليه من الآفات ما يتعاطاه وغيره [2] كالعُجب والرياء، وما يجري مجراهما، ويوهمه أن اجتهاده ضائع، وربما أوهمه أن الضرر عليه في الاجتهاد أعظم من الضرر في تركه؛ لأنه إذا تركه سَلِم من الرياء والعجب، وإذا أخذ نفسه به لم يسلم منهما، فيضعف متنه ويوهن عزمه ونيته فيفتر عنه، ومتى فتر غلب هواهُ عقلَه، ورده على عقبه خائبًا يائسا، ولم يزل به حتى يسلخه من الإرادة ويخرجه من جملة أهلها، وهذا الثاني أكثر ما يعرض لمن يخالط أهل التصوف من الإشارات والعبارات، فليحذر المريد جميع ذلك كل الحذر، وليدفع بجهده ما يجد من ذلك في خاطره وهمه، ويستغيث بالله عز وجل إنه خير مغيث. وربما أوهمه العدو أن الاجتهاد والطلب لا يظفران بالمطلوب، ولا يوصلان إلى المقصود وأن الوصول عطية يعطيها الله تعالى من يشآء، وأن الطلب ربما كان حجابًا بين الله وبين عبده؛ لأن العبد إذا نظر إلى الطلب وسكن إليه كان ذلك سببا للقطع فيذهله ذلك [3](عن المجاهدة، ويورثه فتوراً عظيمًا يقطعه لذلك)[4]، وهذا إنما يعرض في الأكثر لمن يعاشر أهل التصوف على ما بيناه.

---

(١)في (ا): الكثير.

(٢)في (ا): وعيوبه.

(٣)في (ا): لقطع المريد فيذله بذلك.

(٤)ما بين القوسين ساقط من (ا).

واعلم أن الوصول وإن كان عطيَّة من الله تعالى وتفضلاً فلا بد من الطلب والاجتهاد وبذل الطاعة في تحصيل الغرض وهكذا وعد الله تعالى فقال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت:٦٩]، فلا يغتر المريد بهذه المكيدة فإنه لا يأمن أن يصرعه بها العدو صرعة لا نهوض معها عصمنا الله تعالى من ذلك.

وحُكِيَ عن بعض الحكماء-وأظنه عن جنيد-أن في سيرة [1] المريد ألف قاطع يقطعه، كل واحد منها يحول بينه وبين مطلوبه، فليحذر المريد هذه القواطع كل الحذر، وليكن في جميع أحواله مستغيثًا [2] بالله عز وجل، لاجئًا إليه خاضعًا بين يديه، متبرءاً من حوله وقوته، مستعصماً بحول الله وقوته عز وجل، وليعلم المريد أن الآفات وإن كانت كثيرة جمة فليس يجوز ترك الاجتهاد ليسلم من الآفات؛ [بل يجب أن يجتهد في دفع الآفات مع المقام على المجاهدة لما يزيد في قوة الآفات] [3] لأن الآفات مصدرها للمريد عن قوة الهوى، وبحسب ازدياد قوتها تزداد الآفات، فَلْيَتَصَوَّر ما بيناه المريد [4] حق التصور، وليتدبر حق التدبر.. إلى آخر كلامه عليه السلام في هذا القياس [5] فهو كثير، وإنما ذكرنا منه اليسير.

وله دعوة جمع فيها من فوائد العلم الثمينة ويواقيته الشريفة ما يقضي له بالسبق في هذا الباب، وقد رأينا إثباتها في هذا الموضع، قال عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلواته على عباده المصطفين.

هذا كتاب من الإمام المؤيد بالله أبي الحسين أحمد بن الحسين بن هارون

---

(١) في (أ): سير.

(٢) في (أ): مستعينًا.

(٣) ما بين القوسين ساقط من الأصل.

(٤) في الأصل: «فليتصور المريد ما بيناه».

(٥) في (أ): في هذا الكتاب.

الحسني بن رسول الله ﷺ إلى من بلغه من المسلمين في أقاصي الأرض وأدانيها سلام عليكم **أما بعد** : فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ذو القوة والحول، والإفضال والطول، الذي جعل السمآء بنآء، والأرض قرارا، وجعل خلالها أنهارا، وخلقكم أطوارا، وأنشأ لكم أسماعا وأبصارا، أحمده رغبا ورهبا على تظاهر نعمه، وتضاعف قسمه، وترادف منحه وتتابع كرمه، وأومن به- خاضعا خاشعا- أنه الله الواحد الأحد الفرد الصمد، المتعالي عن الأشباه والأنداد، والشركآء والأضداد، وأتوكل عليه موقنًا أنه قاهر لا يُرام، وقادر لا يُضام، وقيوم لا ينام توحّد بالعلاء، وتفرد بالكبرياء، وحُمد على النعماء، وعُبد في الأرض والسماء، ذلكم الله ربكم له الدين واصبا أفغير الله تتقون ﴿**وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ**﴾ [النحل:٥٣] خلق عباده رحمة لهم وإنعاما عليهم وإحسانا إليهم ثم لم يتكثر بهم عن قلة، ولم يتعزز بهم من ذلة، ولم يستأنس بهم من وحشة، فطر الأرض والسموات، وجعل النور والظلمات، وأجرى الأفلاك الدائرات، والنجوم المسخرات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له قولاً صدقًا، أقولها تعبداً ورقًا. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، وخيرته من خلقه، وأمينه على وحيه، أرسله بشيراً ونذيرا، وداعيًا إلىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرا، فصلواته عليه يوم وُلد ويوم قُبض ويوم يبعث حيا، وعلى آله الطيبين الأخيار المنتجبين الأبرار، ابتعثه على حين شمخ الكفر بأنفه، ونأى بجانبه، وامتد على الخلق رواقه، وأحاط بهم نطاقه، وملأ البسيطة ظلامه، وظهر فيهم عتوه وغرامه، والخلق حيارى لا يبصرون، وضلال لا يهتدون، قد ملكتهم الجاهلية الجهلاء، وعمتهم الفتنة الصماء، ونور الحَقّ قد آذن بالطموس، ومال بوجهه إلى العبوس، فأدى الرسالة، وأظهر الدعوة، ومحض النصيحة، وأقام الحجة، وأوضح المحجة، ونهض بأمر

الله صادعا، ولشتات الدين جامعا، ولسلطان الكفر قامعا، وللأصنام والأوثان خالعا، وجاهد في[1] الله حق جهاده، وهدى ضُلّالَ عباده إلى صراط الله المستقيم، ولدين الله القويم بأنور منار وأبهر سلطان، وأوضح سبيل، وأبين دليل، قد شد عضده من المعجزات بأعظمها قدرا، وأفخمها أمرا، وأبقاها أثرا، وأعلاها خيرا، ذلك كتاب الله ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ الآية [الزمر:٢٣]، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٢-١٩٥]، قد جعله مأدبة[2] للخلق، ووصلة إلى الحق، وطريقا إلى النجاة واضحا، وسبيلا إلى الجنة لآئحا، من اعتصم به اهتدى، ومن أعرض عنه ضل وغوى، فيه بَيَانٌ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ؛ فلم يزل ﷺ يعلمكم تنزيله، ويفهمكم تأويله، ويشرح حلاله وحرامه، ويشرح قصصه وأمثاله، حتى اهتديتم به من حيرة العمى، واستوضحتم منهاج الهدى ﴿وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣] حتى أدى حق الرسالة، وقام بشرط الأمانة، ووعظ ونصح وبلغ وأسمع. ثم نقله الله إلى ما أعدّ له من كرامته، وأنزله منازل رحمته، واستأثر له ما لديه، وقبضه الله إليه راضيًا عمله، قابلاً سعيه، فابتدأ كثير من الأمة في تبديل سنته، والالتواء على عترته، كأن لم يسمعوا قول الله حيث يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى:٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣]، وحيث

---

(١) في (أ): في سبيل الله.

(٢) في (أ): مادة.

يقول: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] فجعل الأبناء الحسن والحسين، والنساء فاطمة، والأنفس نفسه ونفس علي صلوات الله عليهم[١].

فانظروا كَيفَ نزههم الله محققًا أنهم أولوا الصدق، ثم ألزم المؤمنين متابعتهم والكون معهم بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ولم يسمعوا ما أنزل الله في أمير المؤمنين عليه السلام حين تصدق بخاتمه راكعا إذ يقول عز وجل قائلا: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢] [المائدة: ٥٥] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا كافة أمته: «من أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: الله ورسوله أولى، فقال: من كنت مولاه فعَلِيٌّ مولاه» وقوله: «إني تارك فيكم الثقلين» وقوله: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»[٣]، فتأملوا رحمكم الله كَيفَ أوضح الحَقّ وكَيفَ قطع المعاذير، وانظروا إلى كثير من الأمة كَيفَ غيروا وبدلوا حتى زاغوا وضلوا. فأما أمير المؤمنين فنُكِثَت بيعتُه جهرا وحُمِلَ على كثير مما كره قهراً؛ فمِنْ غادر به قد

---

(١) أنظر الدر المنثور للسيوطي ٢/ ٦٨، والكشاف ١/ ٣٦٩-٣٧٠، وتيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير ١/ ٢٧٩، ومجمع البيان ٢/ ٣١٠، وأسباب النزول للواحدي ٥٩٢٥٨، وأحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٧٤، وتفسير القرطبي ٤/ ٦٧، وتفسير الطبري مج٣/ ٣/ ٤٠٩-٤١٠.

(٢) ابن المغازلي ١٩٣ رقم ٣٥٤-٣٥٨ وشواهد التنزيل ١/ ١٦١ برقم ٢١٦ إلى رقم ٢٢٠ وذخائر العقبى ٨٨، وأسباب النزول للواحدي ١٦٨ والعمدة لابن البطريق ١٦٧ والدر المنثور ٢/ ٥١٩، والطبري ٤/ ٣٨٩، والزمخشري ١/ ٦٤٩، والفتوحات الإلهية ١٢/ ٥٠٤ والميزان ٦/ ٢١.

(٣) آخرجه الهادي في الأحكام ١/ ٤٠، والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣، والطبراني في الأوسط ج٥ برقم ٥٣٩٠، والكبير ٣/ ٤٥ برقم ٢٦٣٦، والبزار ٢/ ٣٣٤ برقم ١٩٦٧.

خذله وقاعد قعد عن نصرته، وناكث نكث على نفسه عقد بيعته، ومارق مرق عن طاعته، وقاسط قسط في إهمال ما أوجب الله تعالى من ولايته، وما ثبت معه على أمره إلا فريق من المهاجرين والأنصار الذين محّضوا الإيمان محضا، ورأو طاعة الله فرضا.

وقديما عهد إليه الرسول ﷺ بذلك، فقال: «يا عَليّ إنك ستقاتل بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين»[1]، فلم يزل ذلك دأبه ودأبهم حتى قتله الأشقى، ومضى عليه الصلاة والسّلام شهيدا، ولاقى ربه حميدا.

فانتصب للأمر بعده الإمام الوافر والقمر الزاهر، سبط النبي وسلالة الوصي الحسن بن عَليّ صلوات الله على روحه في الأرواح، وعلى جسده في الأجساد، فرأب صدع الدين، ودعا إلى الحَقّ المبين، ولم يأخذه في الله لومة لائم، إلى أن خذله أجناده، وقعد عنه أعضاده، وبُسطت إليه الأيدي بالسوء، فجُرح ودفع عما انتصب له، ودُعي إلى سلم من كان له حربا، وغُصِبَ على الأمر غصبا، ثم لم يرض بذلك حتى قتل مسموما، ودفن مظلوما.

فقام بالأمر بعده من ترك الدنيا وزينتها، وأراد الآخرة وسعى لها سعيها الحسين بن عَليّ عليه السلام، فشهر سيفه وبذل نفسه، ونهض إلى العراق لمنابذة الفساق بعد ما دُعي إليها وَوُعد النُّصرة بها، فتعاوره من حزب الشيطان من لم يزل مبطنًا للنفاق، ومُصرًا على الشقاق، فقتلوه أقبح قتْلة، ومثلوا به أشنع مُثلة، وغودر صريعا، ونُبذ بالعراء طريحا، وحُزّ[2] رأسه وحُمل إلى من بان كفره، وظهر ولاح عناده وانتشر، وسُبيت بنات رسول الله ﷺ وأطفاله كما سُبيت ذراري المشركين، فلم يكن من المسلمين من يغضب لله ويذبُّ عن حرم رسول الله

---

(١) ترجمة الإمام علي لابن عساكر ١/ ٢٠٠-٢١٤ برقم ١١٢٠٦ إلى ١٢١٩، ومجمع الزوائد ٧/ ٢٣٨ ومختصر زوائد البزار ٢/ ١٧٤ برقم ١٦٤٠ والطبراني في الكبير ١٠/ ٩٢ برقم ١٠٠٥٤ وأسد الغابة ٤/ ١٠٨ ومستدرك الحاكم ٣/ ١٣٩، والسيوطي في الدر المنثور ٥/ ٧٢٥.

(٢) في الأصل (وَوُجِّه)، والصحيح كما في أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن روضة الحجوري.

ﷺ، بل كان الجميع بين راض شامت، ومنكر ساكت، فعند ذلك شربوا الخمور وأعلنوا الفجور، ورفعوا حشمة الإسلام ولعبوا بالأحكام، واتسعت المظالم وظهرت المآثم، حتى لم يبق من الدين إلا اسمه، ولا من الإسلام إلا رسمه.

ثم قام بعده الإمام الزكي والحبر الرضي زَيد بن عَلِيّ صلى الله عليه في عصبة قليلة شروا أنفسهم في سبيل الله، وسارعوا إلى الغفران، وتبادروا إلى الجنان، فعطفت عليهم الأشقياء من بني أمية سالكين بهم سبيلهم في جده فقتلوه وصلبوه وأحرقوه، ثم ألحقوا به الطاهر المطهر ابنه يحيى، فيا لبني أمية الويل والثبور، ويالهم السعير المسجور، غرّتهم زهرة الدنيا فمالوا إليها، ورغبوا عن الآخرة فأعرضوا عنها ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٦] ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ * فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

ثم جاء بنو العباس معلنين شعارنا، طالبين بزعمهم ثأرنا بادعائهم جدّهم العباس وابنه عبدالله في متابعة[1] أمير المؤمنين، وإظهار طاعته وإيثار ولايته، إذ لم يزل العباس يخطب بمتابعته السعادة، وعبدالله يطلب في الجهاد بين يديه الشهادة، فلما اتسعت[2] أحوالهم بنا، واستوسقت أسبابهم باسمنا بغوا وطغوا، (وآثروا الحياة الدنيا، واقتفوا آثار الأكاسرة، وسلكوا منهاج الفراعنة الجبابرة، وجاهروا الله تعالى بكبائر الفسوق)[3] ورفلوا في أثواب المروق، وجردوا علينا أسياف العقوق، وسنّ مخذولهم الملقب بالمنصور في أهل بيت النبي ﷺ القتل الذريع، والحبس الفظيع، والأمر الشنيع، وأراق يوم الثنية دم محمد بن

---

(١) في (أ) بمبايعة.

(٢) في (أ) اتسقت.

(٣) ما بين القوسين أكمل من روضة الحجوري كما في أخبار أئمة الزيدية.

عبدالله النفس الزكية. ثم قَتَل أخاه إبراهيم بن عبدالله، وحمل آباهما وعمومتهما وبني عمومتهما البررة الأتقياء السادة النجباء على الأقتاب؛ فِعْلَ أشباهه من بني أمية، ثم اقتدى به بنوه، وسلكوا سبيله واتبعوه، وأظهروا المناكير فالمناكير، وأضلوا الجماهير فالجماهير، فيا عَجبًا لمن ينتصب على الأعواد في الجُمُعات والأعياد، يشهد لهم على الله بالزور وهم منهمكون في الفجور أما يتقي الله الجبار؟ أما يتقي الله القهار؟ أما يخاف يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار؟.

عباد الله، إني قد رأيت أسباب الحَقّ قد مَرجَت، وقلوب الأولياء به قد حُرجت، وأهل الدين[1] مستضعفين في الأرض يخافون أن يتخطفهم الناس، ورأيت الأموال تُؤخذ من غير حلِّها وتوضع في غير أهلها، ووجدتُ الحدود قد عُطِّلت، والحقوق قد أبطلت، وسنن رسول الله ﷺ قد بُدِّلت وغيّرت، ورسوم الفراعنة قد جُدِّدت واستعملت، والآمرين بالمعروف قد قلوا، والناهين عن المنكر قد وهنوا[2] فذلوا، ووجدت أهل بيت النبي عليهم السلام مقموعين مقهورين مظلومين، لا يُؤهّلون لولاية ولا شورى، ولا يتركون ليكونوا مع الناس فوضى، بل منعوهم حقهم، وصرفوا عنهم فيئَهم، فَهُم يحسبون الكف عن دمائهم إحسانًا إليهم، والانقباض عن حبْسهم وأسْرهم إنعامًا عليهم، يطلبون عليهم العثرات ويرقبون فيهم الزلاّت، ووجدتُهم في كل واد من الظلم يهيمون وفي كل مرعى من الضلال يسيمون، (ووجدت أملاك المسلمين)[3] تغصب غصبًا، وأموالهم تنهب نهبا، ﴿ لاَ يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاَ ذِمَّةً وَأُولَئِكَ

---

(١) في (أ) الحق.

(٢) في (أ): ذهبوا.

(٣) ساقط في الأصل.

١

هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾ [التوبة: ١٠] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] ووجدت الفواحش قد أقيمت أسواقها وأديم نفاقها، لا خوف الله يَزَع، ولا حياء الناس يمنع، بل يتفاخرون بالمعاصي، ويتنابزون ويتباهون بالإثم، قد نسوا الحساب، وأعرضوا عن ذكر المآب والعقاب، فلم أجد لنفسي عذراً إن قعدت ملتزماً أحكامهم، متوسطاً أيامهم، أونسهم ويؤنسونني، وأسالمهم ويسالمونني، فخرجت أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني، وسبحان الله وما أنا من المشركين.

أيها الناس أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيئه والرضا من آل محمد ومجاهدة الظالمين ومنابذة الفاسقين، وإني كأحدكم لي مالكم وعَليّ ما عليكم إلا ما خصني الله به من ولاية الأمر ﴿ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الأحقاف: ٣١]، ﴿ اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴾ [الشورى: ٤٧]، ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ ﴾ [المائدة: ٢].

أيها الناس سارعوا إلى بيعتي، وبادروا إلى نصرتي، وازحفوا زحفا إلى دار هجرتي، ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١]، ولا تركنوا إلى هذه الدنيا وبهجتها، فإنها ظل زائل وسحاب حائل، ينقضي نعيمها ويظعن مقيمها، والآخرة خير وأبقى أفلا تعقلون، ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا

يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [القصص:٨٣].

أيها الناس مهما اشتبه عليكم فلا يشتبه عليكم أمري، أنا الذي عرفتموني صغيراً وكبيرا، ورحمتموني طفلا وناشئًا وكهلا. قد صحبت النُّسَّاك حتى نُسبت إليهم، وخالطت العباد [1] حتى عُرفت فيهم، وكاثرت العلماء وحاضرت الفقهآء، فلم أَخْلُ عن مورد ورده عالم بارع، ومشرع شرع فيه متقن فارع، وجادلت الخصوم نضحا عن الدين، ونضالا عن الحقّ المبين، حتى عُرِفَتْ مواقعي، وكتبت وحفظت طرآئقي وأثبتت، هذا وما أبرئ نفسي في أثناء هذه الأحوال ومجامع هذه الخصال من تقصير وتعذير، ولا أزكيها بل أتبرأ إلى الله من حولها وقوتها، وإن جميع ذلك من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر. ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فإن ربي غني كريم.

وأما نسبتي إلى جدي رسول الله ﷺ فدونه فلق الصباح، ولا عذر لكم أيها الناس في التأخر عني والاستبداد دوني، وقدناديت فأسمعت؛ لتجيبوا دعوتي، وتتحروا لنصرتي، وتعينوني على ما نهضت له من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [المائدة:٧٨] ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

ألا فأعينوني على أمري، وتحروا بجهدكم نصرتي، أوردكم خير الموارد، وأبلغكم أفضل المحامد. عباد الله، أعينوني على إصلاح البلاد، وإرشاد العباد، وحسم دواعي الفساد، وعمارة مناهل السداد. ألا ومن تخلف عني وأهمل بيعتي - إلا لسبب قاطع أو لعذر مانع بيِّنِ الحجة- فإني أجاثيه للخصام يوم يقوم

---

(١) في (أ): الزهاد.

الأشهاد، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم الآزفة، فأقول: ألم تسمع قول جدي رسول الله ﷺ: «من سمع داعيتنا أهل البيت فلم يُجبها كبّه الله على منخريه في النّار» ألا فاسمعوا وأطيعوا ﴿ انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُم وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ ﴾ الآية [التوبة: ٢٤] فلتتفق كلمتكم وليجتمع شملكم ﴿ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٤٦].

ألا وقد سلكتُ سبيل من مضى من آبآئي الأخيار، وسلفي النجباء الأبرار في منابذة الظالمين، ومجاهدة الفاسقين مبتغيًا به مرضات رب العالمين، فاسلكوا أيها الإخوان سبيل أتباعهم الصالحين، وأشياعهم البررة الخاشعين في المعاونة والمظاهرة والمكاثفة والمؤازرة، وتبادروا رجالا وسارعوا إليّ أرسالا، وإياكم والجنوح إلى الراحة طالبين لها وجوه العلل، مغترين بما فسح الله لكم من المهل، وعن قليل يُحِقُّ الحَقّ ويبطل الباطل، ويعاين كل امرئ ما اكتسب، ويُجازى كل بما اجترم ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [النور: ٢٥]، ﴿ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر: ٤٤].

تمت الدعوة بحمد الله تعالى وحده وصلواته على محمد وعلى آل محمد.

◆◆◆

السيد الناطق بالحق الظافر بتأييد الله عز وجل أبو طالب عليه السلام[1]

هو : أبو طالب يحيى بن الحسين بن هارون بن الحسين بن محمد بن هارون ابن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

نسبه عليه السلام النسب الشريف ، وعنصره العنصر الزاكي المنيف ، وما ظنك بنسب ينتهي إلى الرَسُول ، وحيدر والبتول ، الذين أحسن فيهم القائل حيث يقول :

إليكم كل مكرمة تؤولُ ... إذا ما قيل جدكم الرَّسُولُ

أليس أبوكم الهادي عليُّ ... وأمكم المطهرة البتولُ؟

وأمه أم أخيه السيد المؤيد بالله عليه السلام وهي أم الحَسَن بنت علي بن عبدالله الحسيني العقيقي ، **ولد** سنة أربعين وثلاثمائة .

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام :

كان عليه السلام قد نشأ على طريقة تحكي في شرفها جوهره ، وتحاكي بفضلها عنصره ، وكان قد قرأ على السيد أبي العباس الحَسَني عليه السلام فقه العترة عليهم السلام حتى لجّ في غماره ووصل قعر بحاره ، وقرأ في الكلام على الشيخ أبي عبدالله البصري فاحتوى على فرآئده ، وأحاط معرفة بجليه وغرآئبه ، وكذلك قرأ عليه في أصول الفقه أيضًا ، ولقي غيرهم من الشيوخ ، وأخذ عنهم حتى

---

(١) التحف شرح الزلف ٢١٢ ، الشافي ١/ ٣٣٤ ، أعيان الشيعة ١٠/ ٢٨٩ ، الأعلام للزركلي ٨/ ١٤١ ، تاريخ اليمن للواسعي ٢٦ ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ٢٣٤ ، معجم المؤلفين ٤/ ٩٢ ، الفلك الدوار ١٠٤ ، أعلام المؤلفين الزيدية ١١٢١ اللآلىء المضيئة «خ» مطمح الآمال ٢٣٩ .

(٢) أعيان الشيعة ١٠/ ٢٨٩ ، الشافي ١/ ٣٣٤ .

أضحى في فنون العلم بحراً يتغطمط تياره، ويتلاطم زخاره، وله التصانيف المرموقة والكتب الموموقة في الأصول والفروع . وله في أصول الدين المبادئ، وزيادات شرح الأصول علقه عنه بعضهم، وفيه علمٌ حسن يشهد له بالبلوغ إلى أعلى منزلة في الكلام . وله كتاب الدعامة في الإمامة وهو من عجآئب الكتب، وأودعه منَ الغرآئب المستنبطات، والأدلة القاطعة، والأجوبة عن شبهات المخالفين النافعة، ما يقضي بأنه السابق في هذا الميدان، والمجلي منه في حلبة الرهان، وهو مجلّد فيه من أنواع علوم الإمامة ما يكفي ويشفي .

وله في أصول الفقه جوامع الأدلة من الكتب المتوسِّطة، وله المجزي في أصول الفقه مجلَّدان، وفيه من التفصيل البليغ والعلم الواسع ما لا يكاد يوجد مثله في كتاب من كتب هذا الفن. وله في فقه الهادي عليه السلام التحرير وشرحه مجلدات عدة تبلغ ستة عشر كتاباً مجلداً[1]، وفيها من حسن الإيراد والإصدار ما يشهد له بالتبريز على النظار؛ فإنه بالغ في نصرة مذهب الهادي عليه السلام بكل وجه، وأودعه من أنواع الأدلَّة والتعليلات ما لا يوجد في كتاب، وفيه فقهٌ جمٌّ وعلمٌ غزير، وكذلك فإنه أودع فيه من مذاهب الفقهاء ما يكثر، وذكر المهمَّ مما يتعلَّقون به، ورجح مذهب الهادي عليه السلام فيه حتى ظهر ترجيحه، وتوهَّجت مصابيحه، وذكى لكل مشتاق ريحه[2].

قال الحاكم الإمام رحمه الله: وكلامه عليه السلام عليه مسحةٌ من العلم[3] الإلهي وجذوةٌ من الكلام النبوي. وله عليه السلام في الأخبار الأمالي المعروفة بأمالي السيد أبي طالب عليه السلام، جمع فيها من غرآئب الأحاديث ونفآئسها، ومحاسن الحكايات وملَح الروايات ما يفوق ويروق .

وكان عليه السلام في الورع والزهادة والفضل والعبادة على أبلغ الوجوه

---

(١) في (أ) بزيادة كبارا .

(٢) الشافي ١/ ٣٣٤، التحف ٢١٣ .

(٣) في الأصل الكلام وأثبتناها من بقية النسخ .

وأحسنها . قال الشيخ الإمام الحاكم أبو سعيد رضوان الله عليه : وكان شيخنا أبو الحَسَن علي بن عبدالله اختلف إلَيه مدة بجرجان ، والسيد أبو القاسم الحَسَني تخرج في مجلسه ؛ فيحكيان عن علمه وورعه واجتهاده وعبادته وخصاله الحميدة وسيرته المرضية شيئاً عجيبًا يليق بمثل ذلك الصدر ، وكان الصاحب الكافي يقول : ليس تحت الفرقدين مثل الأخوين ، يعني السيدين المؤيد بالله وأباطالب عليهما السلام .

ومن شعره قوله عليه السلام في مرثية في غلام له :

عليك سـلامُ الله سـاكن بلقعٍ ... فليس إلى دفع الحمـام سـبيلُ

وليس إلى غير التصبُّر مفزعٌ ... وإنْ عَنَّ خطب في المصاب جليلُ

وإن كان حزن الناس عند إياسهم ... قصيراً فهـا حزني عليك طويلُ

وإن كنت تحت الترب في الرمس نازلاً ... فذكرك في حشـو الفؤاد نزيلُ

ولولا مقالُ الناس فارق حلمه ... لَشَفَّع تَسْكابَ الدموعِ عـويلُ

وقوله عليه السلام فيه :

يا غـائبـا مـا له إياب ... حـالفني[1] فَـقْـدَكَ اكتئابُ

وغـاب روح الحيـاة عني[2] ... لما عـلا جسـمك الترابُ

يا غـائبـا لم يصل شـبـابا ... يبكي على فَقْدكَ الشبـابُ

إلى غير ذلك من أشعاره عليه السلام فهي كثيرة[3] .

---

(١) في (أ) خالفني .

(٢) في (أ) مني .

(٣) أخبار أئمة الزيدية ١٢٦ عن كتاب جلاء الأبصار .

ذكر بيعته ومدة انتصابه للأمر ومبلغ عمره وموضع قبره عليه السلام :

بويع له عليه السلام بعد أخيه المؤيد بالله عليهما السلام ولم يتخلف عنه أحد ممن يرجع إلى دين وفضل لعلمهم بظهور علمه وغزارة فهمه ، واجتماع خصال الإمامة فيه ، وزاد أيضًا على ما يجب اعتباره من الشرائط زيادة ظاهرة، وفي بيعته عليه السلام يقول أبو الفرج بن هند- وكان أبو الفرج قد بلغ الغاية القصوى والمرتبة العليا في مذهب الفلاسفة ، ثم تاب وصار من عيون الزيدية ومن شيعة السيد أبي طالب عليه السلام :

سر النبوة والنبيّا — وزهى الوصية والوصيّا
أن الديالم بايعت — يحيى بن هارون الرضيّا
ثم استَرَبْتُ بعادة ال — أيام إذ خانت عليّا
آل النبي طلبتُمُ — ميراثكم طلبا بطيّا
ياليت شعري هل أرى — نجمًا لدولتكم مضيّا
فأكون أول من يهز — إلى الهياج المشرفيّا[1]

وأقام عليه السلام آمرًا بالمعروف ناهيا عن المنكر على طريقة العترة المطهرة الكرام البررة ، جادا مجدا في ذلك حتى مضى إلى رضوان الله .

وتوفي عليه السلام وهو ابن نيف وثمانين سنة ، وكانت وفاته عليه السلام بالديلم سنة أربع وعشرين وأربعمآئة ، وهذا هو الأقرب ، وإن ذُكِرَ دونه في بعض المواضع ؛ لأنه روى الشريف السيد أبوالغنآئم رحمة الله عليه أنه قال : اجتمعت بالشريف أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني بساحة ديلمان في سنة اثنتين وعشرين وأربعمآئة ، ذكره في كتاب الأنساب[2] .

---

(١) أخبار أئمة الزيدية ١٢٥-١٢٧ . عن كتاب جلاء الأبصار.

(٢) أخبار أئمة الزيدية ١٢٦ ، عن كتاب جلاء الأبصار، والتحف ٢١٥ .

وأولـد عليه السلام رجلاً واحد وهو أبو هاشم محمد، أمُّه : أم الحَسَن بنت يحيى ابن الداعي الحَسَن بن القاسم الحَسَني ، وليس له غير ولد.ذكر هذا الشريف السيد أبو الغنآئم رحمة الله عليه[1].

وقبر السيد أبي طالب عليه السلام بجرجان ولما خرجت الترك على الملك محمد بن تكش خـوارزم شاه في سنة عـشرين وستمآئة وجاسـوا خلال الديار في بلاد الإسلام ، وقتلوا النسآء والرجال والذراري ، وخربوا المشاهد إلى القواعد ، وفي جملة ما هدموا المشهدين الشريفين القبر الأحمر قبر محمد بن جعفر بن محمد بجرجان[2]، وقبر ابن أخيه علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام بطوس ، جآءت كتب علمآئنا من الجيل والديلم يحكون هذه الحادثة ، ويذكرون أنما سلم منهم إلا بلاد الزيدية ومشاهد أئمتهم مثل مشهد الناصر للحق بآمل ، وقبر السيدين أبي العباس وأبي طالب ، وأنهم كانوا يهمون بالوصول إليها فيقذف الله في قلوبهم الرعب وينقلبون على أعقابهم هاربين ، وأن الموالف والمخالف اعترف بفضل هؤلآء الأئمة وأنهم على بصيرة من ربهم ، وردتهم الزيدية عن بلادهم فما ضرُّوهم بشيء ، هكذا وصلت كتبهم بالتأريخ المذكور .

◆ ◆ ◆

---

(١) التحف ٢١٥ .

(٢)قال في الأم ما لفظه : صوابه بآمل لأن قبره هناك مشهور مزور، قال حمزة بن محمود زرته بآمل .

الإمام أبو هاشم النفس الزكيّة عليه السلام[1]

هو : أبو هاشم الحَسَن بن عبدالرحمن بن يحيى بن عبدالله بن الحسَين ابن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحَسَن بن الحَسَن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

كان عليه السلام من عيون العترة النبوية ، ونجوم الأسرة[3] العلوية ، قام عليه السلام وادّعى الإمامة في سنة ست وعشرين وأربعمآئة ، ودخل صنعآء في يوم الخميس لثلاث ليال خلون من شعبان سنة ست وعشرين وأربعمائة ، وصاح صآئحه ثاني دخوله صنعآء يوم الجمعة بالصلاة في الجامع فدخل الناس وطلع المنبر ، وخطب وصلى بالناس وانصرف إلى منزله ، وأقام في صنعآء إلى نصف شهر رمضان ثم خرج لفساد من عارضه وهو الحسين بن مروان ، وأقام عنها مدة ثم حلفت له همدان سوى بني حمّاد في المحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمآئة ، فدخل صنعآء يوم الأربعآء لثمان عشرة من الشهر المذكور ، فأقام بها ثمانية أيام ، وولى فيها واليًا وخرج إلى ريدة ، وأقام آمرا بالمعروف الأكبر ، ناهيا عن الفحشآء والمنكر ، حتى توفاه الله حميداً وقبضه سعيداً ، وهذه النكته من أخباره مذكورة عليه السلام في بعض تاريخ صنعاء .

وله دعوة شريفة ، قال في الأصل : وجدنا على ظهرها مكتوبا : أملانا هذه السيرة تقربًا إلى الله تعالى وابتغآء لمرضاته وتحريا لما عنده ، والله سبحانه ينفع بها مُمليها وقارئها وسامعيها وجميع الناظرين فيها ، ويجعلها عآئدة بنظام الدين

---

(١) التحف شرح الزلف ٢١٧ ، تاريخ اليمن للواسعي ١٩٠ ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٤٤ ، أعلام المؤلفين الزيدية ٣٢٣ ، مطمح الآمال ٢٤٠ ، الآلئ المضيئة «خ» بلوغ المرام ٢٦ ، أئمة اليمن ١/ ٨٦ ، مؤلفات الزيدية ٢/ ١٠٥ ، المقتطف في تاريخ اليمن ١١٠ .

(٢) التحف ٢١٧ .

(٣) في (أ) ساقطة الأسرة .

شآئعة البركة على جميع المسلمين آمين رب العالمين .

وذكر أنه بعث بها من ناعط ، وهو قريب من مدينة ريدة من أرض البَوْن ، وقريب بالغيل من صعدة في آخر جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وأربعمآئة ، وهي دعوة شريفة جمع فيها عليه السلام من جواهر العلم الشفافة ، ودرره النفيسة ما يشهد ببراعته ويكشف عن شريف بلاغته ، وقد رأينا إثباتها بكمالها لما تضمنته من المواعظ الشافية ، والحكم البليغة الكافية ، وهي هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، وصلواته على عباده الذين اصطفى[1] ، الحمد لله العزيز الغفار ، الواحد القهار ، الملك الجبار ، خالق البحر الزخار ، والسحاب المدرار ، والنجم النوار ، والقمر السيّار ، والفلك الدوّار ، ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ * سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ [٩-١٠: الرعد] لا تكنهه البصآئر ولا تدركه الأبصار ، ولا تحيط به الضمآئر والأفكار ، ولا يغيره كر الدهور والأعصار ، ولا يتخرّمه مرُّ الليل والنَّهار .

نحمده على كل نافع وضار ومحزن وسار ، ونشهد أن لا إله إلا الله (وحده لا شريك له)[2] شهادة إخلاص وإقرار ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المختار ، ونبيه الكريم النجار ، التقي النضار ، معدن الافتخار ، وزين الوقار ، والمنتخب من ولد قصي وآل نزار صلى الله عليه وعلى أهل بيته الطيبين الأخيار الطاهرين الأبرار ، الذين هم في العالم أعلام الهدايات ، وفي ظلم الشبهات مصابيح الدلالات وسلم تسليما .

---

(١) في (أ) ساقط قوله : الحمد لله وحده وصلواته على عباده الذين اصطفى .

(٢) ساقط في الأصل .

فالحمد لله الذي اصطفى خير خلقه محمداً ﷺ بالنبوة ، واختصه بالرسالة ، ونصبه لإقامة الدلالة ، وندبه ناهياً عن الغي والجهالة ، وابتعثه على حين فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وتفرق من الآرآء ، وتشعب من الأهوآء ، في فتنة عمياء صماء ، والناس يخبطون فيها خبط عشواء في ظلماء ، قد حرفوا الكتاب ، وتنكبوا الصواب ، ونقضوا العهود ، وحلوا العقود ، وعطلوا الأحكام والحدود ، ونسوا الزجر والوعيد ، ونبذوا الدين ظهرياً ، وغادروا الشرع نسياً منسياً ، فبلّغ ﷺ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وأوضح الدلالة ، ونبذ الخيانة ، ونصح الأمة ، وكشف الغمة ، وأظهر البرهان والدليل ، وأقام الحق على سوآء السبيل ، فدعا إلى الله سبحانه دعوة بلغت أقاصي الأرض وأدانيها ، وأنجز له تعالى ما وعده فيها ، حين جاهد في الله حق جهاده ، وبث الحق والعدل في عباده وبلاده ، وقلع الأوثان والتماثيل ، ودحض الأصنام والأضاليل ، ونفى زخرف الأقاويل ومفتعل الأباطيل ، وكان الخلق على شفا جُرُف هار فخلّصهم ، وعلى شفير حفرة من النار فأنقذهم ، فلما قوّمهم بالهدى والتقى ، وجنّبهم مصارع الغي والردى أنـزل عليه العليُّ الأعلى سبحانه وتعالى : ﴿ **قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [الشورى:٢٣] أمرهم تعالى أن يكافئوا جلائل النعم ، ويجازوا فواضل هذه القسم بإعظام الذُّرِّيّة ، وإكرام نجل النبوءة ، فرضاً حتمه على كافة البريّة ، وأكده رسوله المصطفى ﷺ بالوصية حين قال للسبطين الطيبين الطاهرين السيدين الحسن والحسين عليهما السلام : «آذى الله تعالى من آذاني فيكما ، ورحم من رحمني فيكما» ، وحين قال : «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»[1] ، فجعل الكتاب

---

(١) رواه الإمام في المجموع ٤٠٤/ وعلي بن موسى الرضا في صحيفته ٤٦٤ ، ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨ والترمذي ٥/ ١٢١ رقم ٣٧٨٦ وقال حديث حسن غريب ، والطبراني في الكبير عن زيد ١٨٦ رقم ٥٤٠ ومسند أحمد ٤/ ٣٠ رقم ١١٠٤ وج ٧/ ٨٤ رقم ١٩٣٣٢ وج ٨/ ١٣٨ رقم ٢١٦٣٤ وابن كثير في البداية والنهاية ٥/ ٢٢٨ . وقال : قال شيخنا أبو عبدالله الذهبي وهذا حديث صحيح .

والعترة وديعتين عظيمتين هاديتين مهديّتين باقيتين، وقال ﷺ: «أنا سلمٌ لمن سالمكُمْ وحَرْبٌ لمن حاربكم»[1] وإذا كان النبي ﷺ حربًا لمن حارب العترة، فمعلوم أن الله تعالى حربٌ لمن حارب النبي، فقد بان بالدليل أن الله تعالى حرب لمن حارب الصفوة الطاهرة من العترة الهادية. ومن كان الله تعالى حربه كان الشيطان سعيه وحزبه، وقال ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن عدل عنها غَرِقَ وهوى»[2] ونظآئر ذلك كثير، ونرى الإيجاز في هذا الإملآء أبلغ، والاختصار أنفع، فأطاع الله تعالى ورسوله ﷺ في هذه الوصية قومٌ موفقون مسددون، وعصاه آخرون محرومون مبعدون، وهذا الحي من همدان أهل الجد والبأس والنجدة والمراس وسراة الناس، ممن رضي الله تعالى ورسوله ﷺ طاعتهم وموالاتهم ومشايعتهم ومصافاتهم ومحاماتهم دوننا أهل البيت، ومدافعتهم وانصبابهم في شيعتنا، ومظاهرتهم ومؤازرتهم للقآئم منّا، ومصاحبتهم ومكاتفتهم لمُحقّنا، ومعاضدتهم ومواساتهم لمُقلّنا، ومشاغبتهم ومخاشنتهم لمبغضنا، ومحاماتهم علينا، فقد شَملت فواضلهم وعمّت نوافلهم، فهم بطانتنا وخاصتنا، وأوليآء دعوتنا، وأعضاد دولتنا، وحماة جوزتنا ومفزع رأينا ومشورتنا، فجزى الله تعالى أحياءهم عنا خيراً وبراً وحمداً ومنّاً وشكراً، وأوسع أمواتهم ثوابًا وأجراً وعفواً وغفراً، فكم من عظيمة دوننا تولَّوها، وكم من كُربة[3] جَلَوْها، وكم من

---

(١) الترمذي ٥/ ٦٥٦ رقم ٣٨٧١ عن زيد بن أرقم قال المقبلي في الابحاث المسددة ٢٤٢ وحديث «أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم» قاله لعلي وفاطمة والحسن والحسين وأخرجه أحمد والطبراني ٣/ ٤٠ رقم ٢٦١٩، ٢٦٢١ والحاكم.

(٢) أخرجه الهادي في الأحكام ١/ ٤٠ والإمام علي بن موسى الرضا في صحيفته ٤٦٤ والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣، وقال حديث صحيح على شرط مسلم واخرجه أيضاً في ٣/ ١٥٠ والطبراني وفي الأوسط ج٥/ رقم ٥٣٩٠ والكبير ٣/ ٤٥ رقم ٢٦٣٦ والبزار ٢/ ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر.

(٣) في (أ) : كريهة.

شهيد منهم تحت لوآء الحق معفر، وقتيل أمام إمامه مجدل، وصريع في قلب مصافه مُزمّل، وقد كانت عَرَتْهم نفرةٌ قصدنا إزاحتها، وَعَلَتْهم وحشةٌ اعتمدنا إزالتها، ورأينا استعطافهم واستمالتهم وإنالتهم بعدها وكفالتهم، وإلى الله نرغب وإياه نسأل، وإليه سبحانه نضرع ونبتهل أن يُثبّتهم في جملتنا ويوفقهم لنصرتنا، وأن يحشرهم غدا في زمرتنا مع أسلافنا وأسرتنا، وهو تعالى جَدُّهُ بالإجابة جدير، وعلى ما يشآء قدير.

معاشر الناس يرحمكم الله إن الله جل ثنآؤُه، وتقدست أسمآؤُه، وعظمت آلآؤُه لم يخلقكم عبثا، ولم يترككم سُدى، ولم يخل بينكم وبين آرآئكم، ولم يصر بكم بحسب شهواتكم وأهوآئكم، ولم يخلع عذاركم، ولا ملّككم اختياركم، كلا بل جعل عليكم رقيبًا من العقل قامعًا أمرا، ونبيهًا من الرأي رادعًا زاجرا، وشهيداً من الشرع مانعا، ونصب لتأسيس أوامر الصدق وشرآئع الحق الأنبيآء الصادقين صلوات الله عليهم أجمعين، ثم أمرهم بعد تأسيسها بسياستها وحفظها وحراستها وضبطها ودراستها، فكان الخلق في تلقى الحق قسمين: قسم بان لهم الحق فأذعنوا واستسلموا خاضعين، وانقادوا لأمر الله سبحانه طآئعين، فأجابوا داعي الله سبحانه مبتهلين ضارعين، أنسوا ببرد اليقين، ونالو رضى رب العالمين، بصدور منشرحة، وآمال منفسحة، ونيّات صادقة، ونفوس إلى الخير سابقة، ففازوا في دنياهم بالدعة والخفض، وفي عقباهم بجنة عرضها كعرض السموات والأرض، وسعدوا بالجوار للرب الكريم والنعيم المقيم، ﴿ وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقسمٌ جحدوا النبوة وخالفوها تمردا وعصيانا، ودفعوا الشريعة وأنكروها سحتًا وطغيانا، فاستخفّوا بحدود الله تعالى، وجاوزوا أحكام الله سبحانه

وتعالى ، واستهانوا بحرمات الله سبحانه وتعالى ، ولم يعظموا شعائر الله ﴿ وَمَن لَّم يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكَافِرُونَ ﴾ [المائدة:٤٤] ، ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٢٩] ، فأدّاهم غيُّهم إلى سخط الله وسطواته ، وبلاهم كفرهم بنكاله ونقماته ، فلما انقضى عهد النبوءة ، وتعين على الخلق فرض الإمامة ألحد فيها طآئفة منهم سلكوا منهاج من تقدمهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ، فغرّتهم الدنيا بزخرفها وزهرتها وبهجتها وزينتها ، فركبتهم شهواتهم ، وأوبقتهم سيئاتهم ، ولجّت بهم عثراتهم ، فنالوا من الدنيا متاعا قليلا ، وبلاغا نزرا حقيرا ، وكابدوا بعدها عذابا طويلا وعقابا وبيلا ، وعاينوا مقاما مهيلا وغراما وتنكيلا ، فرحم الله امرءاً نظر لنفسه وفكر في يومه وأمسه ودبر لغده ، وذكر مثواه في رمسه وأيقن أنه رهين بما كسبت يداه ، فحسنت أفعاله وأعماله ، ومسئول عما تحركت به شفتاه فصدقت أقوالُه .

عباد الله يرحمكم الله ، إن لكل قآئل فيما يقوله غرضا ينتحيه ، ورأيا يقصده ويرتئيه ، وغرضي والشاهد الله الذي يبلو خفيات السرآئر ، ويطلع على خفيات الضمآئر ، ما أبثكم وأنصبه لكم على غرة ، ولا أكتمكم شيئا من حلوه ومره ، غرضي ومرادي فيما أحاوركم به استشعار تقوى الله تعالى ، وابتغآء مرضات الله ، والتقرب إلى الله ، والسعي في ذات الله ، وبذل المهجة للجهاد في سبيل الله ، وحمل الخلق على كتاب الله ، وإحياء شريعة رسول الله ﷺ ، وتأمين السبل الخآئفة لتكون السياسة قآئمة حيث أمربه تعالى[1] ، من أمان عباد وإخصاب بلاد ، وإقامة حكم وإزالة ظلم ، ثم إعزاز آل رسول الله ﷺ الذين جحدهم أكثر الأمة حقوقها ، واستحلت عقوقها ، واستباحت دماءها .

هذا أمير المؤمنين عليه السلام أزيح يوم السقيفة عن منزلته الشريفة المنيفة ،

---

(١) في (أ) أمر الله تعالى به .

وغُصبت فاطمة عليها السلام ابنة رَسُول الله ﷺ فدكًا ، وسُم الحَسَن عليه السلام سرًا ، وقتل الحسين جهراصلى الله عليهم ، وصلب زيد بن علي عليه السلام بكناسة الكوفة ، وقطع رأس يحيى بن زيد في المعركة ، وخُنقَ عبدالله بن الحسن بن الحسن في سجن الدوانيقي ، وقتل ابناه النفس الزكية محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ، ومات موسى الكاظم بن جعفر الصادق في حبس هارون ، (وكذلك يحيى بن عبدالله عليه السلام بعد أن شُهد عليه أنه عبد لهارون)[1] ، وسُمّ علي الرضا على يد المأمون ، وسم إدريس بن عبدالله في السوس الأقصى فريدًا ، ومات عيسى بن زيد في بلد الهند شريدا طريدا ، تشارك في قتلهم الأموي والعباسي ، واجتمع عليهم العربي والعجمي ، فلزموا الحمية ووردوا المنية ، وكرهوا الدنية ، وصبروا على الرزية ، سلت قلوبهم عن الدنيا واشتاقت نفوسهم إلى العقبى ، وأيقنوا أن ما عندالله خير وأبقى فغرضي أن أجبر المصاب ، وأرد الحق إلى النصاب ، والأمانة إلى الأرباب ، ثم أهل العلم أوفيهم حقهم من التوقير ، وقسطهم من التمييز والتوفير ، وأز ل ما شجر بينهم من الخلاف بنفي الحتف عنهم[2] والإجحاف ، حتى أدّاهم ذلك إلى التسفه والسباب ، ومكابرة الصواب ، ومباهتة الألباب ، والتنابز بالألقاب ، وهذه خطة عظيمة ، وثلمة في الدين كبيرة ، وفيه ما يت عقد الدين ، ويعود ضرره على المسملين ، قال الله عز وجل : ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣] ، وقال النبي ﷺ : « اتقوا العصبية فإنها دعاء الجاهلية » واحذروا الجدال ، فإنه داعية الضلال ، يسول به الشيطان للإنسان ليورده موارد الشك بعد الإتقان ، فأنا إن شآء الله أقرر بينهم مسآئلهم تقريراً تثبت به وترتسخ ، وترتسم

---

(١) في(أ) ساقط ما بين القوسين .

(٢) في(أ)منهم .

صحته في النفوس ولا تنفسخ، من حيث لا يتعقبه تغيير ولا نقض، ولا يتطرق إليه وهَمٌ ولا دحض، ثم أوفيهم حق الإنصاف، وأرتبهم عقيب الأشراف، ثم خيار السلاطين الذين هم كفاة الأمة[1]، وثقات الأئمة، وأرباب البيوتات القديمة، والأحساب الكريمة، والفضائل العميمة، والأصول الصريحة الصميمة، وأقرّب مجالسهم، وأرفع منازلهم وأسعف شفاعتهم ومسائلهم وعنايتهم ووسائلهم مالم يضيع ذلك حدا، ويغير حكما، ولم يفسد للسياسة رسما، وأُعمُّ قبائل العرب وعشائرها، وباديها وحاضرها وأحلافها ولواحقها ومواليها وعبيدها، بالأمن الشامل، والعدل الفاصل، والإحسان الكامل، والبر الواصل، وبعد امتناعهم من العصبية والمنافرة، وحمية الجاهلية والمشاجرة، التي تسفّه الأحلام، وتقطع الأرحام، وتجلب الشين، وتقذي العين، وتشتت ذات البين، وهذه الطوائف[2] الأربع في كل طائفة منهم أهل العقل والتحصيل والرأي الأصيل، يحتاجون إلى تثقيف وتعريف وتشديد مرة، وتخفيف بنقيب النقباء زمام على الشرفاء وقاضي القضاة زمام على الفقهاء، وقائد القواد زمام على الأجناد وأصحاب السيوف، وصاحب الشرط زمام على العامة، وهذا فيما صغر من الجرائر ولم تخرج إلى حد الكبائر وكان أرشه التعزير والتأديب، فإذا زاد على ذلك كان المرجع فيه إلى قيم الدهر، ووالي الأمر، وصاحب العصر، ولهذه الجملة تفصيل لا تحتمله هذه السيرة.

واعلموا رحمكم الله أن العربَ خيرُ الأمم بالإجماع، وقريشًا خيرُ العرب بالإجماع، وهاشماً خير قريش بالإجماع، والعلويين خير هاشم بالإجماع، والفاطميين خير العلويين بالإجماع، وبلغت الوسيلة، وتناهت الفضيلة، وأي

---

(١) في (أ) ساقطة الأمة.

(٢) في الأصل: الطرائق.

شخص من أهل[1] هذه الرتبة السامية، والمنزلة العالية، والرفعة المتناهية، وكان صحيح البنية، لطيف الفطنة، وسليم الفطرة، وجمع - إلى طهارة المولد، وزكاء المحتد والمنشأ - النزاهة[2] والنقاء، ثم العلم الراجح، والعمل الصالح، ثم الشجاعة القاهرة، ثم السماحة الطاهرة، ثم السياسة، ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم السيرة العادلة الرضية والسنة الفاضلة السنية، فهو صاحب دهره، وولي الناس في عصره، فأول ما يجب عليه إصلاح النفس الأمارة بالسوء، حتى يصير كما قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ** رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٨-٩] ، وليست المطمئنة الراضية المرضية هي الأمّارة بالسوء.

ورياضة النفس بإماتة الشهوات الدنيوية، إذا انتصبت وأشارت بعين غير مستقيم، وأطفأ الغضب إذا استعر واحتدم وصار كالجحيم، وغض الطرف عن المحارم وسدَّ السمع عن المآثم، وقمع اليد عن العظآئم، والقدم عن السعي في النمآئم، ويطهر قلبه عن الأدناس، وينفي عنه الوسواس الخناس، حتى إذا تهذبت نفسه، وتأدبت جوارحه، وخشعت أطرافه، وعفَّ لسانه وسلم صدره وأعطته نفسه المقادة وبلغ منها المنى والإرادة، تخطأ منها إلى حشمه وحواشيه، ثم رهطه وأدانيه، ثم جيرته[3] وقرابته ثم أدنى البلاد التي تليه، ثم على هذا الترتيب حتى تنتهي الدعوة إلى حيث بلغت كلمة الإسلام، وينقاد بطاعتة الدين إلى جميع الأنام.

عباد الله إن السياسات أربع: **فسياسة** تلزم الخاصة والعامة ظاهرة وباطنة، سافرة وكامنة، وهي سياسة الأنبيآء الصديقين صلوات الله عليهم

(١) في(أ)ساقطة: أهل.

(٢) في(أ)في النسخ بزيادة الواو وحذفناه ليستقيم المعنى.

(٣) في(أ) حرمته.

أجمعين ، وسياسة أئمة الحق دعاة الخلق عليهم السلام ، فإنها تلزم ظاهرة بالقول ، وباطنة بالعقل وبعقد النية .

والسياسة الثانية: تلزم الخاصة والعامة ، ظاهرة لا باطنة ، وقولا لا نية ، وهي سياسة الملوك المتغلّبين ، فإن السلطان الجائر إذا ظهر عليهم شخصه من بعد ، قالوا قد جاء لاجئًا ، فإذا توسّطهم قالوا : خلد الله ملكك ، وحرس عزك وسلطانك ، فإذا فارقهم قالوا : مضى لا رده الله تعالى ، وتمنّوا أن يكون آخر عهد منهم به .

والسياسة الثالثة : تلزم الخاصة ظاهرة وباطنة دون العامة ، وهذه سياسة الحكمة والعلوم الاستنباطيّة ، والآرآء النظرية والاجتهادية ، فإنها لا حظ[1] للعامة فيها ، لأنها تدق عن أفهامهم .

والسياسة الرابعة : سياسة الوعّاظ للعامة وأصحاب الأقاصيص وأصحاب الكراسي ، فإن سياستهم تملك العامة ، ظاهرة وباطنة دون الخاصة ، ألا ترى إلى بكائهم بعيونهم ، وخشوعهم بقلوبهم .

والحكم على ضربين : شرعي وسياسي ، فالشرعي إلى القضاة ، والسياسي إلى الولاة مراشد الدين والدنيا ، فأول ما يجب على الإمام نصبه قاضي قضاة المسلمين بعد الاجتهاد والتحري والافتقاد ، فإن أمكنه أن يكون ثاني منزلته في الفضيلة ، وثالثه في ثني الوسيلة فعل ذلك ، وسياسة القاضي شرعية دينية ، وعند الوساطة سياسة تقنينية ، ويكون فقيهًا لطيفًا أديبًا ظريفًا رفيقًا بالناس ، شفيقًا عفيفًا رؤوفًا نزيه النفس عن الأطماع ، حمولاً صبورًا حليمًا وقورًا لبيبًا محتشمًا مهيبًا ، قد ساس نفسه على التأديب ، وراضها على التهذيب ، مع السلامة والاستقامة والرأي والرجاحة . ولهذه المعاني استوجب أن يكون زماما على أهل العلم والعدالة والرأي والإصابة ؛ لأنه ليس من العدل والحق أن يكون الأدنى فوق

(١) في (أ) خطة .

الأعلى ، ولا الأنقص متقدما على الأفضل ، ولا الجاهل مملكا على العاقل ، ومن حق القاضي أن لايداجي[1] شريفا لشرفه إذا كَانَ الحق عليه ، ولا يزري بوضيع لضعته إذا كان الحق له .

وينبغي للقاضي أن لا يظهر للناس إلا بتؤدة ووقار وهدًى وسكينة ، وأن لا يتعرض للحكم وهوعلى حال جوع شديد ولا امتلاء كثير يحفزّانه عن إنفاذ ما يُبْنيه[2] وينصبه ، ويحولان بينه وبين ما يقطعه ويرتبه ، بل يتعمد أعدل حالاته وأرشدها ، وأفضل أوقاته وأحمدها ، ويَجبُ على القاضي أن لا ينهض من مجلسه حتى يقضي حق الله تعالى من الصبر والمبالغة وإيفاء النظر حقه والتأمل شرطه ، وأن يستقصي ما بينَ الخصوم من المنازعة ، وأن يحسن لهم الإنصات والإصاخة ، ويجمل لهم المخاطبة ، ويَجبُ أن يكون مخاطبته لمن علت طبقته واتضعت منزلته واحدة في مجلس قضائه كيلا ييأس الضعيف من النصفة ، ولا يطمع القوي في القهر والغلبة ، ويَجبُ عليه أن ينظر فيما يرد عليه فما وجده في كتاب الله تعالى وسنة رَسُوله ﷺ ، أمضاه ، وما وجد لإمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام فيه حكما وأصاب من مراسمهم فيه رسما حكم به ، وما لم يجد فيه من النوازل والحوادث رجع إلى إمامه فيه ليأمره بما يقضيه ، ويتقدم إليه ليوجب ما ينهيه ، ولا يقدم على تقليد الأحكام بالظن قال الله تبارك وتعالى :
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة: ٤٥] .

ويَجبُ عليه أن يتثبَّت عند شهادة الشهود ، ويبحث عن حالاتهم ، ويفحص عن وجوه عدالاتهم ، ويجعل رجوعه في ذلك إلى أهل الثقة والأمانة والستر والصيانة ، ومَنْ ليس بينه وبين من يسأل عنه هوادةٌ ولا عداوةٌ .

---

(١) في(أ) المداجاة : المداراة . قاموس ١٦٥٤ .

(٢) في(أ) يُبنه .

ويَجبُ عليه أن يتوقف عن الحكم بإراقة الدماء على جهة القَوَدِ حتى يطالع الإمام بصورة الأمر، فإن للدم عند الله منزلة ليست لغيره مما يحكم الناس فيه.

ويَجبُ أن لا يقبل شهادة فاسق ولامارق ولا متهم ولا مريب ولا ظنين في دينه ولا جار إلى نفسه بالشهادة لحظ من حظوظ الدنيا.

ويَجبُ عليه أن يحكم بما يرد عليه من خطوط القضاة وكتبهم، وشهادات شهود البلدان المشاهير عنده إلا أن يرى غلطًا فاحشًا فيطالع الإمامَ به ليرى رأيه، وإذا تحاكم إليه أهل الذمة حكم بينهم بحكم الإسلام فإن في ذلك ترغيما لهم.

هذه شروط أحكام الشريعة على حسب ما يقتضيه هذا المختصر. فأما المتولّي لأحكام السياسة الذي هو المأمور وصاحب الجيوش والسرايا فإن الإمام يعهد إليه ويأمره بتقوى الله تعالى، وإيثار طاعته في سر أمره وعلانيته، والاعتصام بحبله وإصلاح ما بينه وبينه بالعمل الزكي والخلق الرضي، وأن يتعاهد نفسه في تطهير مذهبه، والمحافظة علي دينه وأمانته ومأكله ومشربه وملبسه ومكسبه، والعلم بأنه لا حول له ولا قوة إلا بالله في جميع متصرفه وسائر منقلبه، ولا يولّي إلا من يصح له الضبط والكفاية، (والذبُّ والسياسة بما يقمع به أهل العبث والفساد، وتصلح معه الرعية والبلاد، فإنه لا تجب الجباية إلا بالحماية، ولا تصلح الولاية إلا مع الكفاية)[1]، وأن يتجنب محارم الله تعالى ومساخطه، وأن يكف من معه من الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم أحد من الرعية أو مسائتهم بأذية، ويحضهم على لزوم السلامة والاستقامة، وسلوك الطاعة بأقصى الاستطاعة، ومقارعة أعداء الله القاسطين، ومجاهدة الخالعين

(١) في (أ) ساقط ما بين القوسين.

المارقين بأفضل العُدَّة والعتاد .

ويَجِبُ عليه أن يحسن صحبة من معه من الجنود في تجريدهم للبعوث ، وأن يكثر عرضهم ، وأن يتفقد دوابهم وأسلحتهم ، ويأمرهم باتخاذها والتنقية فيها ، فإنّ ذلك مما يزيد الدين حرزاً وعزّاً ويزيد أعدآء الله ذُلا وقُلا .

ويَجِبُ على أمير الجيش أن يعظم الأنجاب الأنجاد من الجيش ، وأن ينزلهم منازلهم ويوفيهم مقاديرهم من الإكرام ، فإن ذلك مما يشحذ نياتهم ، ويزيد في بصآئرهم ، ولا يأخذ أحداً بفرق ولا تهمة دون أن يكون من أهل الريب والظنة ، وأن لا يعاقب أحدا منهم بشبهة ولا ببلاغة كاذبة ولا رفيعة دون أن تظهر له البينة العادلة والعلامات الواضحة .

ويَجِبُ عليه أن يتعاهد ثغوره وقلاعه وحصونه وأطرافه ومصالحه[1] ، ويحترس من اختلال يقع فيها ، ولا يُنفِّذ قوداً ولا قصاصًا دون مطالعة الإمام فيها ، وينهى عن التنزل في بيوت الناس والتطرّق على غلاتهم .

ويَجِبُ أن يتفقّد الحبوس وينفّس عمّن فيها ، ولا يضيق عليهم ولا يمنعهم أقواتهم ومرافقهم من غير تضييق ولا تشديد ، وأن لا يمنعهم المآء الطاهر والمكان الطاهر في أحيان صلواتهم وأوقات عباداتهم ، ولا يأخذ أحداً بأكثر مما يوجبه جرمه ويقتضيه ذنبه .

ويَجِبُ على الوالي صاحب الجيوش والسرايا ، أن يقرأ عهد الإمام على مَنْ قِبَلَه من الأوليآء والأجناد ، ويعلمهم بحسن رأي الإمام فيهم ، وتوجيه الصلاح لهم ، وإيثار الإحسان إليهم ، والعدل عليهم ، ودفع الضيم عنهم ، والمجاهدة لعدوهم ، والمرامات دونهم ، فإن الجند حماة جوزة الإسلام ، واعضاد الإمام ، والذابون عن الأنام ، وهم حماة الثغور ، وحراس الجمهور ، والدين بهم مهيب ، والحق بهم مصحوب ، والثأر بهم مطلوب ، والصلاة عماد الدين

---

(١) في (أ) ومسالحه .

لا يجوز أن يتولاها غير الطاهرين المهذبين، فيولي عليهم الشريف العفيف ، ويُؤمَر أن يقيم الصلاة لأوقاتها المعلومة ، وأحيانها المحدودة ، وأن لا يخدجها ولا ينقصها إذا كان به يأتمُّ من خلفه ، وصلاة جميعهم معقودة بصلاته وفي عنقه ولازمة له، وأن يكون دخوله فيها بإخبات ودعة، وهدى واستكانة ، وخشوع وخضوع، فإن الموقف العظيم والمقام الكريم بينَ يدي الرب الرحيم .

ويَجبُ أن يُرتِلَ قرآنه إذا قرأ ، وأن يُسْمِعَ خطبته إذا خطب، وأن يضع كل كلام في موضعه ، وكل قول في الموضع الأليق به .

ويَجِبُ عليه العناية بمرمَّة المساجد ، وإصلاح مصابيحها وقناديلها ، ومياضيها ومستحماتها، وترتيب المصلين والمؤذنين فيها ، ويعول من تطوع منهم، وإزاحة علة من دنت حالته من بيت مال المسلمين؛ لأن يتوفر على حفظ المواقيت، لئلا يقع فيها تفريط ولا تقصير .

ويَجِبُ عليه أن يكفل اليتامى والمفلسين ويجري عليهم الجرايات بحسب الكفاف وعلى معلمهم؛ ليتوفروا على تعليم كتاب الله تعالى والمعرفة بالحلال والحرام والقضايا والأحكام دون الكتاب والحساب، فإن ذلك من مصالح الدنيا، كذلك يعني بتطهيرهم بالختان، وكسوتهم عند ذلك؛ لئلا تنكسر نفوسهم، ثم تزويج اليتيمة لليتيم على فرائض الله تعالى وخيرهما وسترهما . والزكاة عروة من عرى الدين، وفرضها لازم لجميع المسلمين، وكذلك الصدقة فلا يجبيهما[1] إلا إلى من صحت إمامته، وارتضيت ديانته، وحسنت سيرته، وبليت سريرته ليؤمر بجبايتها بلا رهق ولا عسف ولا تحامل ولا جنف[2] ويجعل للعمال عليها كفافا يغنيهم إلا أن يكون الناظر فيها من نصاب هاشم بن عبدمناف . والحِسْبَةُ

---

(١) في(أ)يلجيهما إلا لمن صحت أمانته .

(٢) في(أ) ولا حيف . الميل . القاموس ١٠٣١ ، والمختار ١١٣ .

باب من أبواب البر يتخير لها الفقية في الدين القيم بمصالح المسلمين، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر واقعًا على من وقعت الحسبة عليه، وصادعا على من صدعت من غير ميل ولا ممالاة، ولا حيف ولا مداجاة، وهذا باب كبير وأمر خطير لا يجوز إغفاله، ولا يسع الإمام الإخلال به ؛ لأن موضع أمره قيامه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يستنيب فيه إلا شخصًا طاهرًا لا تأخذه في الله لومة لآئم، ولا تصده عن طاعة الله محاشاة ولا مراعاة، والرعية وديعة الله سبحانه عند الإمام لا يصل إلى ضبطهم وحفظهم وحياطتهم إلا بمعونة منه تعالى، فيجب عليه صونهم وحراستهم وحفظهم وحياطتهم، وحملهم على ما فيه صلاح معائشهم والعون لهم على مصالحهم، وأمان سبيلهم، وتسهيل سبيل مرافقهم ومكاسبهم، وإزالة المكوس[1] والرسوم الجائرة والأوضاع المجحفة عنهم؛ ليكونوا له داعين، وفي أيامه آمنين، وبسيرته راضين، ولخلافة الله تعالى فيهم حامدين، وبحسب نظره لهم شاكرين . وصيام شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، ومراعاة استهلاله، وتصحيح تواريخ استقلاله، والتوسعة فيه من الصدقات والزكوات والنوافل والقربات، وأن يُصام هذا الشهر إيمانا واحتسابا، وأن يكون الصوم غض الطرف عن المحارم، وكف اللسان عن الرفث والهجر وتنزيه السمع عن القبائح، وقبض اليد عن البطش إلى المآثم[2] إعظاما لما أوجب الله سبحانه من حقه، وحتم من توقيره وتعظيمه على خلقه .

ويجب على الإمام إقامة الحج فإنه من شعائر الله تعالى المفروضة وحرمات

---

(١) في(أ): الموكوس . والمكس: هو ما يأخذه العشار بعد الفراغ من أخذ الزكاة من المصدق، وفي الحديث: «لا يدخل صاحب مكس الجنة».

(٢) في(أ): عن المحارم.

الله المكتوبة، فرضه على من استطاع إليه سبيلا . والمعونة على الجهاد فإنه باب عظيم في حماية حوزة الإسلام وحفظ بيضته، وأن يبدأ منه بإزالة الشوآئب العارضة من جهة المرتسمين بالشريعة، الخالعين لربقة الإسلام، الذين عطّلوا الحدود، ونقضوا العهود، وحلوا العقود ليذعنوا للحق طآئعين، ويرجعوا إلى ما مرقوا منه خاضعين، والله سبحانه العالم بالسرآئر، المطَّلعُ على الضمآئر يعلم ما نعتقده ونتحراه، ونعتمده ونتوخاه من إصلاح الجائر عن القصد الخارج عن الحد، وأن غرضنا فيهم ومرادنا منهم تألّف شاردهم، وإصلاح فاسدهم، واستمالة نافرهم، وأمان خآئفهم، وإنصاف مظلومهم، واستنقاذ مخشومهم عن[1] مخالب غاشمهم، ونعش كبيرهم، وجبر كسيرهم، وسكون دهمآئهم، وتحصين أموالهم المنهوبة، وحقن دمآئهم المسفوكة، وصلة أرحامهم المقطوعة، وتأنيس طريقهم المخوفة، والإحسان إلى محسنهم، والتعمد لإسآءة مسيئهم مالم يجترح ذنبًا ولم يضع حدا، وحملهم على ما يعود عليهم في دنياهم بالأمن والصلاح، واليُمْن والفلاح، والخير والنجاح، وفي آخرتهم بالفوز والنجاة، جعلنا الله وإياكم ممن يؤثر الحق طوعا، ويعتمد الصدق سمعا، ويستعمل أبواب الصلاح قولا وفعلا. وبيننا وبينكم يا إخواننا مواضعة نكتبها بنسخ شتّى تكون عند أمنآئكم وثقاتكم، أنا لا نثلم لكم جاها، ولا ننقص لكم من حل الله تعالى حالا، ولا نستبيح لكم عرْضا، ولا نستحل منكم محرما ولا مأثما، وأنا نعوِّضُكم في عزّ الجهاد تحت لوآء الحق أضعاف ما تتأملونه إذا أسخطتم الله تعالى ربكم، وجرحتم دينكم ودنستم أعراضكم، وأن الحق تستنزل معه الخيرات، وتُستَدرُّ به البركات، هذا أماني وضماني على الوفاء به، والله سبحانه على ما أقوله راع وكفيل، وكفى بالله شهيدا . وقد علمتم يا إخواننا عطف الله تعالى

---

(١) في (أ): من.

بكم إلى صلاحكم، وإيصالكم إلى ما فيه عمارة حالكم، أنه إذا عرض أمران ديني ودنيوي وجب على العاقل المكين وذوي الرأي الرصين أن يختار ما يبقى على ما يفنى، وما يدوم على ما يضمحل ويبلى، فكيف إذا أمكنه الجمع بين الحالين، ونيل كلتا المنزلتين، ما عذره في سوء الاختيار، وما الذي يلجيه إلى العار والشنار ودخول النار؟ جعلنا الله تعالى وإياكم ممن يؤثر الحق ويعتمده، ويريد الصدق ويقصده وأستغفر الله العظيم لي ولكم إنه هو[1] الغفور الرحيم، والصلاة على جميع ملآئكة الله المقربين وأنبيآئه الصادقين وأئمة دينه المحقين وجميع عباده الصالحين وأهل طاعته من أهل السموات والأرضين.

أملأناه على حد العجلة، فإن كان فيه زلل أو خلل فذلك بسببه، ونكتب المواضعة على المهلة إن شآء الله تعالى، والحمد لله وحده وصلواته على رسوله سيدنا محمد النبي وآله الطيبين الطاهرين، وسلامه عليه وعليهم أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير.

◆◆◆

(١) في(أ)ساقطة: هو.

الإمامُ الناصر أبو الفتح الديلمي عليه السلام[1]

هو: أبو الفتح الناصر[2] بن الحسين بن محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وكان عليه السلام غزيرُ العلم، وافر الفهم، له تصانيف تكشف عن علوِّ منزلته وارتفاع درجته، **منها** تفسير القرآن الكريم جمع فيه من أنواع المحاسن، وهو كتاب جليل القدر قد أودع فيه من الغرائب المستحسنات، والعلوم العجيبة النفيسة ما قضى له بالتبريز والإصابة، ودلَّ على الكمال والنجابة، وهو أربعة أجزاء.

ومنها كتاب الرسالة المبهجة في الرد على الفرقة الضالة المتلجلجة، يعني الفرقة الخاسرة المطرفية، وفيه علم رائق، وكلام فائق، يدل على بلوغه في هذا الفن الدرجة العليا، ويشهد بأن قدحه فيه المعلا. **وله دعوةٌ** حسنة جدا قد احتوت على فرائد[3] من الكلام يوازن الياقوت، قال في صدرها:

هذا كتاب من عبد الله ووليه الناصر لدين الله إلى كافة الناس أما بعد:

فالحمد لله ذي العزة القعساء، والقدرة العلياء، الذي دهر الدهور بحسن تدبيره، وأنطق الصامت ببديع حكمته، وجالت أبصار البصائر في عظيم عظمته، وتاهت في سبق بدائع خلقه الأفهام، وحارت عن ظنون مداه الظنون والأوهام، لم يشبه

---

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٥٤٧، أئمة اليمن ١/ ٩٠، التحف شرح الزلف ٢١٨، بلوغ المرام ٣٦، تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٩١، والشافي ١/ ٣٣٨، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٤٦، ومطمح الآمال ٢٤٠ أعلام المؤلفين الزيدية ٧٤٩، اللآلئ المضيئة «خ» الذريعة ٤/ ٢٢٥.

(٢) في النسخ: أبوالفتح بن الناصر بن الحسن وما أثبتناه هو الصحيح. أنظر الشافي للإمام عبدالله بن حمزة ١/ ٣٣٨ والتحف شرح الزلف ٢١٨.

(٣) في (أ) فوائد.

بشيء فتدركه الأوصاف، ولم يكن جسمًا فتحويه الجهات والأطراف، ولا مرئيًا فتحيط به النواظر والأبصار، ولا موهومًا فتناله الخواطر والأفكار، أزليٌّ لا إلى انتهاء، أوليٌّ من غير ابتداء، عالم بما في الظنون والخفاء، قادر على الإفناء والإبقاء، عدلٌ في الحكم والقضاء، متجلِّلٌ بالعظمة والكبرياء، مُعدٌّ لعباده دار الجزاء، فالمحسن في درجات[1] السرور والنعماء، والمسيءُ في دركات الحُطمة النَّكداء ﴿نارُ الله المُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ على الأفئدَة * إنَّها عَلَيْهِم مُؤْصَدَةٌ * في عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة:٦-٩]. تعالى مِنْ صانع لم يصنع بمباشرة، ولم يخترع بمماسة، ولم ينله في كثير ابتداعه فتور، ولا اعتراه في عظيم اختراعه لَغَبٌ ولا تقصير.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتنزه عن المسامي والنظير، المترفِّع عن الظهير والوزير. ونشهد أنَّ أبانا رسول الله ﷺ نبيه الذي اصطفاه، ورضيه الذي ارتضاه، وسيفه الذي على أعدائه انتضاه، وحقه الذي فيهم أمضاه، وخالصته الذي بنوره حباه، بعثه وأمواج الكفر متلاطمة، وحنادس الجور متلاحمة، وأوادي الإفك زاخرة، وشقاشق الشرك هادرة، وعمايات الجاهلية مظلمة، وغيابات الضلالات مستهلة، وعزالي الباطل منهلّة، ومواضي الحق منفلّة، وجماهر الطغيان مجمهرة، وعساكر البهتان معسكرة، وقسي الشيطان موترة، وأقوال البدع مؤثرة، فأزهق بحقه باطلهم، وقمع بنصله صائلهم، وأخمد بشهابه بواترهم، وأجمد بعواصفه ثوائرهم، وهدم بنيانه[2] مشيَّدهم، وفرق بعدده عديدهم، ﴿فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً﴾ [الإسراء:٥] فكان ﷺ للكتاب منيرا، ولأحزاب[3] الشرائع مشيرا،

---

(١) في(أ) دار.

(٢) في(أ) وهزم ببنيانه.

(٣) في(أ) لحزاب.

ولمن اعتصم به مجيرا، ولجميع الإنس والجانّ مبشراً ونذيراً وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا.

ثم خرج فيه إلى ذكر علي عليه السلام، فقال بعد كلام له : صبر أمير المومنين صلوات الله عليه في تلك الفتن الصمّ والمحن، اللهم صبْرَ مثله؛ إذ جرّبته الخطوب، وعزت على الإساءة الندوب، وشابت من أهوالها المفارق، ونشرت على مناجبها[1] المرافق، وأعوز فيها الناصر، وقل عندها التناصر، وذل فيها المساعد، وخفي لديها المراشد، ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ [الأحزاب: ١٠]، إلى أن ثني له عليه السلام الوساد، ووطّئ له المهاد، بانقراض الدول المبطلة، وتوالي الأيام المضمحلة، فصدع به فجر الإحسان، وهَمَت من الله سماء الرحمة والامتنان، وأضاء وجه الدين بعد كسوفه، وأنار بدر الشريعة بعد خسوفه، وتباشرت الأمم بأيامه، وتكاثفت النعم بالتئام أمره وانتظامه، فما كان بأسرع من لمحة بصر، واستطارة شرر، أن جُمع الناكثون بالبصرة، وحسروا عن لثام الغدرة، فجعل الله لوليه النصر، وأذاقهم وبال الأمر، ورد عاقبتهم إلى الخسر، ولم يعتبر بذلك ابن أبي سفيان مع جموع الباطل والطغيان ومردة الإنس والجان، وأصحاب الطواغيت، وأحزاب العفاريت، وفرق الضلالة، وزمر الجهالة، حتى كان منه ما كان إلى غير ذلك مما عانا عليه السلام من قتال الخوارج المارقين الفسقة الباغين، فحين كادت الأرض أن تغني بأزاهير عدله، وتهتز بأنوار فضله، وتتبرج في حلة الحق، وتزهو بظهور الإنصاف والصدق، وتصفو مشاربها من المحتفين، وتخلو مذاهبها من كل طنين، ويجري عليها أحكام الكتاب المبين، خُيِّر لقتله أشقى الأولين

---

(١) في(أ) على مصاحبها.

والآخرين ، فضرب هامته وخضَّب منها شيبته .

ثم قال عليه السلام بعد كلام في هذا المعنى في ذكر الحسن والحسين : فالمشتكى إلى الله تعالى من أمة ضلَّت عن سوآء السبيل ، ودخلت في شريعة رسولها بالتغيير والتبديل ، وجَازَتْ بَنِيْه بالنفي والتقتيل[1] ، وفرقت ما جمعه ، وابتذلت ما حماه ومنعه ، ووالت أعدآءه ، وعادت أوليآءه ، وتبعت مَنْ قَهَره ، وخذلت من نصره ورفعت من وضعه ، ووضعت من رفعه ، وآوت من ناواه ، وناوءَت من آواه ، ونبذت كتاب الله تعالى ، الجامع للأمر والزجر ، كأنهم عنه عمون ، وعن حوار بيانه تائهون ، وعن واضح آياته حائرون ، وإلى العمى والتيه صائرون ، قد ألفت طريقة الزيغ والعناد ، واستوطت مركب الجور والفساد ، قرنًا فقرنًا ، وزمنًا فزمنًا ، وخلفًا وسلفًا ، من لدن الأيام الأموية إلى العباسية إلى أهل هذه الغاية في أهل هذا البيت الشريف ، والمحل المنيف ، الذين رفع الله ذكرهم وأجل قدرهم وجعلهم مفازًا للمتمسكين ، ومنجًى للمعتصمين ، في يوم لا تنفع فيه الندامة ، وتقوم فيه القيامة ، وتطم الأهوال ، وتعظم الأوجال ﴿ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ * وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴾ [الشعراء: ٩٠-٩١] ، وكانوا عليهم السلام - في تلك الأعصار المظلمة والمدد المدلهمَة ، والأوقات الغابرة ، والأزمان الجائرة - بين مقتول ومطرود ، ومخذول وشريد ، ونفي وقصي ، ومستور ومنكور ، ومسلوب ومحزون ، مقرهم قنن الجبال ، ومأواهم معدن الأوعال ، خائفون هائنون ، سائحون على الأرض سائبون ، فكم من أخْمُصٍ مطهَّرة وقدم منزهة ، قد شيكت في الهرب ، ودميت خوفا من درك الطلب ، وعين قد قرحت بالسُّهاد ، وناظر حُرِمَ طَعمَ الرقاد ، وحُرّ وجْه لوَّحته الهواجر والسمائم ، ومصون بدن أنصبته المَوامي والدَّيام[2] ، يظلون بأكْبادٍ حرَّاء طاوية ، ويبيتون بأبدان سلباء عارية ، قد

---

(١) في (أ) بالبغي والتقتيل .

(٢) في (أ) الديام .

أتعبتها الأسفار، وعرفتها البراري والقفار، حقوقهم مصروفة إلى القيان والخدم والخصيان، قد اتخذوا ملابسهم من وشي اليمن، ومجالسهم من صنع الأَرْمَن، وصيَّروا دين الله لهوا ولعبا، والتمرد على أوليائه طريقة ومذهبا، لا يألونهم خبالا، ولا يزيدونهم إلا ختالا، وكل من قام من هذه العترة الطاهرة للانتقام والانتصار والاقتصاص والإيثار رموه بالدواهي، وأخذوا عليه المرامي، وسددوا إلى مقاتله، واجتهدوا في نصب حبائله.

فانظروا رحمكم الله كيف صُلب زيد بن علي عليهما السلام بالكناسة، وقُطع رأس يحيى بن زيد في المعركة، وخُنق عبدالله بن الحسن بن الحسن في حبس الدوانيقي، وقُتل ابنه محمد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي، وهُزم إدريس بن عبدالله بفخ حتى وقع إلى الأندلس فريدا، ومات عيسى بن زيد ببلد الهند طريداً شريداً، وقُتل يحيى بن عبدالله بعد الأمان والأيمان، وبعد ما كُتب له العهد والضمان، هذا غير ما فُعل بسادة طبرستان، وقُتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على يد آل سامان، وغير ما فعل أبو الساج[1] بسادة المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامرّاء، وبحسبكم أنه ليس في بيضة الإسلام بلدة إلا وفيها لقتيل طالبي تربة.

ثم قال عليه السلام بعد ذلك: لم يخلق دار الدنيا للإخلاد إليها، ولا للاعتماد عليها، والاغترار بفواني رغائبها، وعواري مواهبها، ومقتضى لذتها، ومبهج جدّتها، وخلب بارقها، ومظلم شارقها، ومتقلص ظلها، ومجدب قلها، وأجاج موردها، ومنثني مرقدها، ومستحيل بهائها، ومتغير روائها، بل جُعلت لعمل الأخرى، وتمهيد مقر العقبى.

واعلموا معاشر الناس، أنَّ الله تعالى لم يترككم سدًى هوامى تترددون بغير راع، ولا نفشًا تسرحون بلا محام ولا مراع، ولكن من لطفه الخفي، وصنعه

---

(١) في «أ» السباج.

الهني[1] أن أرسل الأنبياء والرسل ، وجعل منهم الأئمة والهداة الذين قام بهم الصلاح ، ودام بكونهم الفلاح ، وختم النبوة والرسالة بخيرهم نسبا وأشرفهم منصبًا ، وأكرمهم محتدًا ، وأعظمهم وأجلهم مولدًا ، وأطهرهم فخارًا وأعلاهم منارًا ، وأحسنهم ذمامًا ، وأرفعهم دعامًا ، وأهداهم للسبيل ، وأقومهم بالدليل ، فأنقذهم من الضلالة والعمى ، وجنبهم طرق الجهالة والردى ، وهداكم لسواء الطريق ، وألفَّ بين قلوبكم بعد التبديد والتفريق ، ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، يالك من إحسان ما أوفره ! وامتنان ما أكثره ! ومنحة ما أسبغها ! وعارفة ما أسوغها ! وحجة ما أبلغها ! وكان مما وعد الله نبيئه ﷺ وآله استحفاظ بنيه فأقامهم مقامه ، واسترعاه إياهم سنته ، إذ هم العترة الطاهرة ، والحجج الباهرة ، والشهداء لله تعالى على أهل الأرض بإقامة الواجب والفرض ، ذو الثقة والرأفة والشفقة بأمَّة جدهم صلوات الله عليه وآله ، والتوفر على ما يصلحهم دنيا ودينًا ، ويزيدهم بالله سبحانه إيمانا ويقينا ، من توقير الكبار والحنو على الصغار ، والمحافظة على مصالح الأرامل واليتامى والضعائف والأيامى ، وحفظ مالهم من السهام والصدقات والأقسام .

ثم قال عليه السلام بعد ذلك : وإنَّا لَمَّا رأينا السيل قد بلغ الزُّبى ، والأحلام قد حلت لها الحبا ، وكادت الصدور تضيق ، وسوء الأعمال بأهلها تحيق ، وظهرت الفواحش والفسوق ، وشُربت الخمور ، وصرح الفجور ، وضُربت المعازف والمزامير ، وأُوترت العيدان والطنابير ، ولَبِسَ الرجالُ الحرير ، وشاع النكير وقل المُنْكِر ، وضاعت الحدود ، وبارت الحقوق ، ورفضت الشريعة ، واتُّبعَت البدعَة ، وابتذلت السنة ، وقلَّ التناصف ، واستولى البغي ، وهلك الضعيف ، وعزَّ الظالم ، وبُزَّ المظلوم ، ومات المعروف ، وعاش النكير ، ومات المُنْكِرُ ،

(١) في نسخة : الإلهي .

وطلعت شموس الجور ، وأفلت نجوم العدل ، وكسف[1] وجه الدين ، وغاصت مياه الحمية ، واطرحت جواد السؤدد ، وعلت التحوت[2] ، وهبطت الوعول ، وهطلت سماء الطغيان ، وتوافرت جموع الشيطان ، وكَثُرَ الشقاق والتمرد والنفاق ، وغُيِّرت الأحكام ، وارتشت الحُكَّام ، واعضوضل أمر أئمة الزيغ والفساد ، والحيف والإنمياد ، وقصروا لأمرٍ هم عنه قاصرون ، وعن أعبائه عاجزون ، كلا إنهم في الغلو جامحون ، وفي غيل الغواية حاذرون ، وفي تيه الغِرَّة حائرون ، قد حكموا بغير حكم الكتاب ، وضلُّوا عن وجه الصواب ، ووقفوا مواقف الأطهار ، بلا مآثر ولا عناصر ، فلا حياء يردعهم ، ولا ورع يمنعهم ، ولا نكير يصدهم ، ولا دين يردهم ، قد أقروا على عمايتهم ، واتَّبعوا في ظلماتهم ، واستُحسن شنيعهم ، واستعجب فظيعهم ، فعند ما ذكرنا من الأمور المستنكرة ، والأسباب المنفرة ، والأحوال المغيرة ، وجب علينا ترك الدنيا بالكلية ، والفزع إلى الله جل ثناؤه بالجملة ، واستحلى طعم المنية ، والقيام في أمة نبينا ﷺ بالسوية ، واستدعاء أعضاد ليكون لنا رداءً على المناوين ، ويدا على الباغين ، يبذلون المهج ، ويمسحون عن جبين الدين الرهج ، كماة المأزق ، وحماة الحقائق ، ذوي البلاء والآراء ، والنُّقَّاذ لدى المضائق والمضاء ، يقاتلون على بصيرة ، ويلاقون على حسن سريرة ، و يطلبون حقوقًا طالما مُطل غريمها ، وانتهك حريمها ، وسيجبر صنعُ الله الجميل وإحسانه المعهود الجزيل قضاءها ، ويزول عن قريب التواؤها ، إن أعدَّ الله لذلك توفيقاً وتأييداً وصنعاً من لدنه وتسديداً .

ثم قال عليه السلام : ولم يتصل بهذا الأمر الخطير والموضع الأثير ، إلا بالنسب

---

(١) في(أ) وكشف .

(٢) في(أ) التحوت : الأراذل السفلة كما في الحديث «لاتقوم الساعة حتى تظهر التحوت ، وتهلك الوعول » أي الأشراف . القاموس ص ١٩٠ . .

الشهير الذي بلغ السماء وناطح الجوزاء، واتضح وضوح الشمس في الأبراج، وأنار إنارة القمر الوهَّاج، والعلم بالكتاب والسنة ، ومعرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه ، والتأويل والتنزيل، والتحريم والتحليل، والنظر في الكلام والفقه والفرائض واللغة والنحو ، والتصريف والبلاغة والخطابة والشعر، والنشأة على الطهارة من لدن الرضاعة إلى هذه الغاية، من غير جاهلية سلفت ولا جريرة سبقت، والسماحة في حالتي السراء والضراء والبؤس والنعيم ،والإقدام عند مزلة الأقدام، والشجاعة التي لا ترام، بذلك شهد الحجاز والعراقان والشام ومصر وطبرستان ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أدعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَما أنا مِنَ الْمُشرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨]. وهو عليه السلام القائل[١]:

ألا يا لَهمدان بن زيد تعاونوا	على نصرنا فالدين سربٌ مضيَّعُ
ونادوا بَكيْلاً ثم وادعة التي	لها المشهد المشهور ساعة تجمع
ولا بدَّ من يومٍ يكون قتامه[٢]	بوقع القنا والمشرفية أدرع
سينقاد لي من كان بالأمس عاصيًا	ويقرب مني النازحُ المتمنِّعُ
أنا الناصر المنصور والملكُ الذي	تراه طُوال الدهر لا يتضعضعُ
سنملأُ دنيانا من العدلِ بعد ما	مضت حقبًا بالظلم والجور شرَّع

قام عليه السلام[٣] في أرض اليمن بعد وصوله من ناحية الديلم ، وكان قيامه في سني الثلاثين وأربعمائة ، وانتشر ذكره وعلا أمره ، وملك صعدة والظاهر واختط ظفار وهو حصن الإمام المنصور بالله حماه الله تعالى وحرسه ، وحارب الصليحي في بلاد مذحج ، وقتل من خولان بمجن مقتلة عظيمة ، وله حروب على أثافت من قِبَل الصليحي سجالٌ له وعليه، ولم يزل شجًى في حلوق الباطنية

---

(١) الشافي ١/ ٣٣٨.

(٢) في(أ)قيامه.

(٣) التحف شرح الزلف ٢١٨ ، وكتاب الشافي ٣٣٩.

والمعتدين رافعًا لمنار الدين حتى قتله الصليحي في نيِّفٍ وأربعين وأربعمائة سنة ، وقبره عليه السلام بردمان من بلاد عنس ، وله عقب .

الإمام الناصر الحسين الهوسمي عليه السلام[1]

هو : أبو عبدالله الحسين بن أبي أحمد بن الحسين[2] بن الحسن بن علي الأديب الشاعر وهو الأمير أبو الحسن بن الناصر الكبير الحسن بن علي بن الحسن ابن علي بن عُمر بن علي سيد العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

قام بالأمر سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة ، ونَصَبَه العلماء بهوسم للأمر نصبًا ، [ولم يبايعوه على الطاعة لقصور رأوه في علمه ، واشتغلوا بالتدريس له بالليل وبإشادة ذكره بالنهار حتى استتم العلم فبايعوه على الطاعة][3] ، وأحدق به من علماء هوسم رضي الله عنهم ثمانية عشر من المجتهدين ، وزهاء مائتي رجل من أوساط الفقهاء والمتدرسين[4] والحاكمين ، وسبعون ألفا من المنظورين من الأغنياء والعمال والمحسوبين الذين يحصل بكل فرقة منهم صلاحُ أمر من أموره . وجنوده خشنة من الأتراك وأهل التأليف من أبناء صناديد الجيل والديلم ، ودانت له جميع البلاد المنسوبة إلى الناصر للحق الكبير عليه السلام ، من أول (كنانكجا قرية جومه إلى كيلاكجان) هذا جيلان ، ومن الديلم من كيالجان إلى قلعة ألموت ، وكانت إذ ذاك من قلاع بلاد الإسلام وإلى بلاد الإسفندارية إلى نواحي حدود طبرستان . وأمر ببناء الجوامع والرساتيق وبإقامة الجمعات فيها ، وكان قبل ذلك

---

(١) التحف شرح الزلف ٢٢٢ ، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ١٥٢ .

(٢) في الأصل والنسخة(أ) : الحسن ، وأثبتناها صحيحة من التحف ٢٢٢ .

(٣) ما بين القوسين ساقط في (أ) .

(٤) في(أ) : من الفقهاء والمدرسين .

المشهور من مذهب الناصر للحق عليه السلام أن لا تقام الجمعة إلا في الأمصار، وكان شاعراً فصيحاً مفلّقاً. أنشأ على البديهة من وقت الظهر إلى العصر زهاء مائتي قافية في مديحة أهل بيت المصطفى صلى الله عليه وعليهم وتفضيل أمير المؤمنين علي عليه السلام ونقص من خالفه، وفيها:

عليٌّ كباز والشيوخُ كَصَعْوة فما حال صعو في مخالب أصقر

لم يكن له منازع في جميع جيلان وديلمان مع كثرة الملوك والسلاطين فيهما، وكان ذا جاه عريض، ومملكة باسطة، وبطشة قاهرة، وقوة قادرة، وكان لفقراء المسلمين كالأخ الرفيق، وللأيتام كالوالد الشفيق، وللأرامل كالزوج العطوف، وللمتعلمين كالمعاهد الرؤوف، وعلى الظلمة كالحسام القاطع، وعلى المجرمين كالسم الناقع، حارب صاحب طبرستان الملقب (بإصفهبذ) وزوّج إصفهبذ ابنته منه، وكان يُهدي إليها وهي تحته كل شهر سفينة من الهدايا مع جارية واحدة يتألفه ويُسكن ثورته عن نفسه، فلم يسكن وتبرأ منه لما رأى من ظلمه لأهل طبرستان وفساده وعتوّه وكان إذا قل شيء من بيت مال على الفقراء أخذ بالبكاء والتضرع إلى الله، وسؤاله كثرة بيت المال حتى لا ينصرف الفقراء من بابه خائبين لم نسمع أحداً من الأئمة أشد شغلا بمرافق الفقراء منه رضوان الله عليه ومراعاة لحملة القرآن، وكان يحفظ كتاب الله غيبا ويعظم من حفظه، ويرزقه من بيت المال حتى صار أهل الجيل أكثر الناس حفظا لكتاب الله تعالى، وهم مستمرون على ذلك إلى الآن ببركته عليه السلام.

وقصته ونشر محاسنه أكثر من أن تنظم في سلك المدائح. بلغت مدة قيامه بالأمر من أول النصب إلى آخر ختم الإمامة أربعين سنة ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته بهوسم سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة، ومشهده بها مشهور مزور بقرب من مشهد أبي عبد الله [1] عليهما السلام [2].

(١) يعني: محمد الداعي عليه السلام.

(٢) التحف شرح الزلف ٢٢٢، وأخبار الأئمة الزيدية نقلاً عن جلاء الأبصار ١٥٢-١٥٣.

الهادي الحُقيني عليه السلام[1]

هو: أبو الحسن علي بن جعفر بن الحسن بن عبدالله بن علي بن الحسن بن علي بن أحمد الحقيني بن علي بن الحسين بن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام. وكان جامعًا للعلوم، أجمع العلماء في زمانه أن سُبْع علمه آلةٌ للإمامة فترشح للإمامة في بلاد الإسفندارية من أرض الديلم، فأقبل العلماء على بيعته لتكامل خصال الإمامة فيه، وكان عليه السلام يتشدد في الإنكار على من رأى للباطنية صلحًا[2] وإباحة دمه واغتنام ماله دون سبيه واسترقاقه، حتى بلغه عليه السلام ذات يوم أن القاضي مروان بَلَغَه رقعة من الملاحدة الباطنية على يدي رسول أرسلوه إليه والقاضي هذا مروان كان من علماء (لَنْجَا)، وكان يتعذر على الإمام الهادي عليه السلام تنفيذ مراده عليه لقصور يده عنه وفي موضعه، فقال: اللهم إن كان هذا صدقًا فأحضره عندي هاهنا لأصلبه فيك ولك، فلم تمض أيام إلا مقدار مسافة ما بينه وبين القاضي مروان فحضر القاضي مروان فلم يؤجِّله أن صلبه من ساعته تلك.

وكان عليه السلام قد أوصى بوصية هذه نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه وصية العبد المتلهف المتأسف على ما فرط وضيع، وقصر وغدر، المستعبر على نفسه طويلا، الباكي صياحا وعويلا. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له متعالي عن الأضداد والأنداد، منزه عما نسب إليه الظالمون، وأشهد أن

---

(١) التحف شرح الزلف ٢١٦، الشافي ١/ ٣٣٨، طبقات الزيدية الكبرى ٢/ ١١٩٢، ٣/ ١٣٠٥، أعلام المؤلفين الزيدية ٦٦٣، الآلئ المضيئة «خ» الجواهر المضيئة «خ» معجم المؤلفين ٧/ ٥١، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان ١٤٢، معجم المؤلفين ٢/ ٤٦٥، مطمح الآمال ٢٤١.

(٢) في (أ): الباطنية صلحاء.

محمدا عبده ورسوله اختاره للرسالة ودل على صدقه بالدلالة، بعثه إلى كافة الخلق بالأمر الحق بشيراً ونذيراً وسراجًا منيرًا خاتم الأنبياء وخير الأصفياء ﷺ.

وأشهد أن الجنة حق، وأن النار حق، و البعث حق و النشور حق[1]، وأن الخلائق يحشرون ويجمعون إلى أرض صردح ويسألون ويحاسبون، ويثابون ويعاقبون، فريق في الجنة وفريق في السعير.

وأشهد أن أمير المؤمنين إمام المسلمين بعد رسول رب العالمين؛ لما خصه الله تعالى بمجموع الفضائل والمناقب، ووضعه في أشرف المناسب، بمنصوص التنزيل المعرض للتأويل، لتقابل الأشباه والأمثال، وتعارض المعاني والأشكال، سميناه نصًا خفيًا، وإن كان معناه عند الرُّساخ واضحًا جليًا. وأما كبار الصحابة الذين تصدروا للإمامة ونهضوا بالخلافة فلا أغضُّ نفوسهم وأغراضهم، ولا أقابل بالشتم أعراضهم، بل أجد موجدةَ الزاري عليهم، والمستريد منهم لتمسكهم بالمحتملات، وتعلقهم بالمتأوَّلات وأَكِلُ أمرهم إلى الله تعالى.

كما قال القاسم عليه السلام: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ [البقرة: ١٣٤]، وأما الرتبة التي ادعيتُها، والمنزلة التي اعتليتُها، والذُّروة التي امتطيتُها فإنما كان عن اعتقاد وقع مني أني أكمل العترة خصالاً وأتمهم خلالاً، وأجمعهم لشرائطها وأعلمهم بطَرائقها، ولقد خضت غمرتها ومارست شدتها، ما أعلمتني مواضعُها مواقعَها. وأما الأموال التي تسكّعتُ فيها واقتحمت عليها مترخّصًا برُخص الشرع لرزوح الحال، وقلة المال، وظهور الاختلال.

وذكر أبو حنيفة في الجامع الصغير: أنه يجوز للسلطان العادل أن يستقرض لبيت المال إذا كان في بيت المال قلة وبالمسلمين حاجة، ثم لم آلُ جهداً في الاستحلال من المالك حين وجدت، ووصيتُ إلى جميع المسلمين آحادهم وأفرادهم أن يستحلوا كل من وجد في حال حياتي وبعد مماتي، وإن عشتُ أقومُ

---

(١) في (أ): وأن البعث...، وأن النشور...

بإصلاح ما أخذته من المال بطريق الجبر والقهر، وما مددت يدي إليه لقضاء الوطر وابتغاء الأَرَب كما يفعل المسرفون والمترفون والمترغدون، وإنما الغرض الأعظم حفظ قناة الدين أن يعوجَّ ودعائم الإسلام أن ترتجَّ، وعزمت في القابل أن لا أعود إليه، ولا أرجع فيه؛ فإن المحارم أحمية الشرع، فمن حام حولها يوشك أن يقع فيها ويتورط عليها، فدونها القتاد مُخرط، والجواد محبط، والعاقل مورَّط، فليحذر كل الحذر، فإن السفر فيه الخطر، والحساب شديد والرجوع بعيد، والحاكمُ عدلٌ لا يخفى عليه شيءٌ: لا خافية الأعين، ولا همس الألسن، ولا هوادة عبودية في الجزاء والاقتصاص، هيهات لات حين مناص، إلهٌ غفّار وملك جبار، غَضَبٌ عظيمٌ وجنةُ نعيمٍ، وعقاب وجحيم، وزبانية شداد حداد، فأما أسقاط الدفاتر كلها تصرف إلى ابن أخي (الرِّضى) أنبتَه الله نباتا حسنا إن اشتغل بالعلم فيه، ونشأ عليه وشدا منه شدواً حسناً، فإن أضْرب عنه صَفحًا، وطوى عنه كشحًا، فهي مقسّطة على الأكابر والأفاضل من أهل العلم، تُفرّق عليهم بكمالها.

وأما الأثاث والأمتعة لو بقيت في يدي ابنتي الكبرى فهي لها، لا حق لأحد فيها، والأفراسُ والبغالُ ونوعٌ من الأسلحة- وإن قلّتْ- هي مصروفة إلى عمارةَ مشهد والدي على ما استصوبه المسلمون، يُنفق عليها ويُصرف إليها، فالناس اتهموني باختزال نفائس الأملاك وعقائل الأموال واختزانها والبخل بها والشح فيها، فوالذي خلقني وخلق الخلائق أني ما ادخرت من الذهب قط ثلاثة آلاف دينار، وإنما كانت ألفين ونيّفًا، إلى أن أغار عليَّ التركُ ودخلت في ضمان الديلم، فلم يجتمع عندي ألفٌ قط. والله تعالى مطلعٌ على سرائري وضمائري، فالمال مكذوب عليه، والكبير يوجد ثم يرزح[1]، والقوي يعدو ثم يطلح[2]. وأمرت

---

(١) في (أ): والكبير أو الكثير-غير منقوطة- يوجد ثم يرزح: رزحت الناقة: سقطت إعياء أو هزالاً. قاموس، باب رزح.

(٢) طلح: أي تعب وعيي من طلح البعير: أعياء. القاموس: مادة طلح.

المسلمين كافتهم وعامتهم، وآحادهم وأفرادهم، فأذنت لهم أن يختاروا لي خيراً، (ويكسبوا لي ذخراً، بصدقة ودعاء لي خيراً)[1] وطاعة كانت وإن قلَّ ثوابها لي، وأنا استغفر الله العظيم من كل كبيرة وصغيرة، وهفوة وسقطة وعثرة، ومن مسعاة قدمي، ومكسب يدي الذي يُسخط الرب ويُغضب الإله، وأجْأرُ بالدعاء إلى الله ضارعاً، وأخبت له خاضعاً، وقال :

فيا لهف نفسي كم أُسَوِّفُ توبتي ... وعمري فانٍ والردى ليَ قاهرُ

وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت ... يُجازي عليه عادل الحكم قادر

ارحمِ اللّهم شيبتي وذلتي، وقلتي ووحدتي وغربتي، فمَن يرحمنا إذا لم ترحم؟، ومن يكرمنا إذا لم تكرم؟! فأنت آخذ بنواصي العباد، والحاكم يوم المعاد وصلى الله على محمد وآله الطاهرين[2].

ولم يزل عليه السلام ساعيا في إقامة قناة الدين، جاهداً في قطع ضرر المعتدين حتى كان في يوم من الأيام ببلد (كجوا) من بلد الإسفندارية، فوثب عليه بغتة حشيشي من الملاحدة الباطنية أرسلوه من ناحية (ألموت) وهي قلعة من قلاعهم، فاستشهدهُ رضوان الله عليه يوم الإثنين في شهر رجب من شهور سنة تسعين وأربعمائة، ثم نقل إلى (كلار)، ودفن في قرية هسكير[3].

قال ناقل أخباره : وبلغني أنه تردم تابوته بعد حين، فجعلوا يَرْمُونَه فأفضى بهم رمُّهم[4] إلى إظهار جثته، وكان في عصر لم يكن أحد في ذلك العصر باقيا ممن رآه في حياته إلا شيخاً واحداً، فأحضروا ذلك الشيخ لينظر فيه هل تغير عن

---

(١) في (أ): ساقط ما بين القوسين .

(٢) أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٤٦-١٤٧ .

(٣) في التحف ٢١٦ ، وفي (أ): هشكير .

(٤) في (أ): رميهم .

هيئة حياته شيئا، فنظر الشيخ فيه وحدد الرنُّو[1] إليه وقال: لا يتخيل لي شيء في نفسي عما رأيته إلا ذؤابته فإنها الآن أطول منها في حياته.

❖ ❖ ❖

الإمام أبو الرضى الكيسُمي الحسيني عليه السلام[2]

كان عليه السلام جامعًا لشرائط الإمامة، مؤهلاً للزعامة[3]، دعا الخلق إلى نفسه بعد الهادي الحقيني عليه السلام، فاستولى على جميع أقطار جيلان وديلمان إلى حدود طبرستان. وكانت المملكة القاسطة الجائرة إذ ذاك في ديلمان لآل جوجى[4]، فنابذهم الإمام أبو الرضى منابذة علوية حسينية حتى طال عليهم الأمد. قال راوي أخباره: فحدثت أنه رضوان الله عليه كان ذات يوم جالسًا في مسجد من مساجد جيلان في قرية يقال لها: أمْلش، فأراد بعض آل جوجى الهجوم عليه فتكًا، وتهيأ وقال: اليوم أفقأُ عينه، فهجم على المسجد بغتة بقضه وقضيضه، فوثب الإمام وأصحابه، فكان في أصحابه صاحب يقرأ في (إصلاح المنطق) رماه الظالم بمزراق، فاتّقاه بالكتاب، ثم عطف على الظالم بالمزراق فضربه على عينه ففقأها بعزة الله تعالى، وقال: ولقد بلغني أن فرس الظالم أعانه على فقء عينه بأن دنا

---

(١) في(أ): الدنو.

(٢) التحف شرح الزلف ٢٢٤، أعلام المؤلفين الزيدية ٤٣٢، اللآلئ المضيئة «خ» مطمح الآمال ٢٤٢، رسالة يوسف بن أبي الحسن الجيلاني إلى الفقيه عمران بن الحسن العذري مطبوعة ضمن كتاب اخبار أئمة الزيدية في طبرستان ديلمان وجيلان، منتزع الرسالة العالمة بالأدلة الحاكمة ضمن كتاب أخبار أئمة الزيدية ١٦٧.

(٣) الإمام الرضى الكيسمي بن مهدي بن محمد بن خليفة بن محمد بن الحسن بن جعفر بن الإمام الناصر للحق الحسن بن علي الأطروش عليهم السلام أنظر التحف ٢٢٤.

(٤) في (أ): جوى، وفي حاشية الأصل: جواء

من جدار المسجد حتى توكأ ذباب المزراق بالجدار، فلجّ به الفرس حتى تفقأت العين، ونجا الإمام وأصحابه ولم يمسسهم سوء، وابتغوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم .

وكان رضوان الله عليه يعتاد العبادة والقيام بها إذا صرخ الدِّيكُ إلى الصبح، فصرخ الديك ذات ليلة قبل وقته المعتاد، فتأذّى بشغل القلب قبل علْمه بالوقت، فنهض وتفحص الوقت فوجد الوقت قبل العادة، فعاود النوم ودعا على الديك بانشقاق الكبد، فلما أصبحوا وجدوا الديك ميتا وعرفوا أنه من دعاء الإمام فشقوا بطنه فوجدوا كبد الديك منشقة .

وكان عليه السلام متشدداً جدًّا في الإنكار على المناكير، حتى بلغه أن ولداً من أولاده شرب الخمر، فلما سمع ذلك قال : حرمه الله جميع ما ينبت على وجه الأرض، فلم يلبث الولدُ أن عبر قنطرة فزال قدماه فغرق في الوادي، فنودي على الإمام بالملام، فقال : إليكم عني، قال القائل ما قال، وسمع السامع ما سمع .

وقَتَل واحد في أيامه رجلاً كان المسلمون يتأذون به وكان الرجل مليًا عدليًا، فسأله القاتل عن وجوب الدية عليه، فقال- يخاطب غيره ويشير إلى القاتل : هذا الرجل قد غزا فجزاه الله خير الجزاء .

ولم يعش بعد الهادي عليه السلام إلا قليلاً، ثم قبضه الله تعالى إلى رحمته في بلدة كيسُم، ومشهده هناك معروف مزور[1] .



(١) أنظر أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٥١-١٥٢ والتحف ٢٢٤ .

السيد أبو طالب الأخير عليه السلام[1]

هو : أبو طالب يحيى بن أبي الحسين أحمد بن أبي القاسم الحسن المؤيد بالله عليهم السلام بن أحمد بن أبي القاسم الحسين بن المؤيد بالله عليهم السلام ، وكان حافظا لمذاهب أهل البيت عليهم السلام بمتونها وتعاليقها ، غزير العلم وافر الفهم جامعًا لخصال الإمامة .

وكان خروجه بجيلان سنة اثنتين وخمسمائة ، ودان له الأكثر من بلاد الجيل ، واتصل أمره إلى هوسم ، وسرى أمره إلى جبال ديلمان ، فعارضه شريف حسني طرده من هوسم إلى لياهجان . ثم انتهى الحال بعد ذلك إلى أن قويت شوكته ، فطرد هذا الشريف من جيلان وديلمان .

وذكر بعض نقلة أخباره : أنها حدثت حمرةٌ عظيمة ملأت الأفق في السماء ، فأمر من يسأل العلماء وجمعهم فقيل له : إن هذه الآية من عند إبراهيم عليه السلام في أنه لا يحدث في ولده أمر يرفعهم إلا خرجت هذه الآية[2] .

وأخبرني الفقيه الفاضل الزاهد بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع رضي الله عنه أنه حدث مثل ذلك في أوائل أيام الإمام المنصور بالله عليه السلام . وكانت أكثر حروبه مع الباطنية ، قتل في يوم واحد منهم ألفًا وأربعمائة مع الثلج ، وأخذ من قلاعهم ثماني وثلاثين قلعة ، وافتتح من البلاد مسيرة اثنتى عشر ليلة من كل جهة ، وبنى حول قلعة ابن صباح[3] أربع قرى حاصرهم وغزاهم في البحر إلى قرية لهم

---

(١) التحف شرح الزلف ٢٢٥ ، الشافي ١/ ٣٣٦ ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٨٧ ، الأعلام للزركلي ٨/ ١٣٥ ، اتحاف المسترشدين ٥٤ ، دائرة المعارف الإسلامية الشيعية ٣/ ١٧٨ ، مطمح الآمال ٢٤٢ ، أعلام المؤلفين الزيدية ١٠٨٨ ، مؤلفات الزيدية ٢/ ٢٨٩ ، اللآلئ المضيئة «خ» ، الرسالة العاملة بالأدلة الحاكمة ١٦٧ .

(٢) التحف ٢٢٥ .

(٣) في (أ) : ابني صباع .

فأخذها بالحصار، فصالحه كبارهم وضمَّن عليهم[1].

فكان إذا أخطأ منهم مخط لزم الضمين، وكان من لزمه الحد من كبارهم أقامه عليه، ثم يطرحه في البالوعة ويُعفر وجهه ورأسه ويضرب به الأرض ويركس بالنعال. وأقام أربع عشرة سنة ما يخرج من الجوسق وحده إلا للصلاة خوفا من مكرهم ومكيدتهم؛ لأنهم أهل غيلة متناهية في تلك الناحية، وكان لا يقبل لهم توبة، ويأخذ أموالهم ويسبي ذراريهم، وكان يقتل من خالط الباطنية مختاراً، حتى أمر بقتل سبعة أنفس فيهم رجل رأى ملحدا صلحا ولم يتميز عن الستة وقال: القاتل والستة في الجنة والواحد في النار. وصلب ثلاثةَ أحياء، ومذهبه أن الصلب للحي، وهو مذهب كثير من العلماء.

وكاتبه في وقته صاحب عُمان وكان زيديا محبًا مناصراً له، وكانت حاشيته وغلمانه ومن أجابه اثني عشر ألفًا على مذهب الهادي، وخدامه كانوا كلهم يصلون، ولم يكن يستعين من الفاسقين إلا بمن يصلي، وكان له عليه السلام من الهيبة مالم تكن لأحد قبله، وكان يضرب الطبول لاجتماع الناس وللبشارة، وكان يجتمع عنده في الوقت خلق كثير إلى ثلاثة آلاف وأكثر عند الحاجة، وكان يركب الفرس من الأرض، وكانت له غاشية على سرجه يركب بها خيفة من سُمّ الباطنية، ويرقى من المنبر درجتين. وكان وصل إلى صعدة من جهته القاضي أبو طالب نصر بن أبي طالب بن أبي جعفر فقيه الزيدية في عصره وعالمهم، اجتمع في خزائنه من فنون العلم اثنا عشر ألف كتاب[2]. وكانت وصلت دعوته عليه السلام إلى اليمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة إلى الأمير الحسن بن الحسن بن الناصر بن الحسن بن عبدالله بن محمد بن المختار بن الناصر بن الهادي إلى الحق عليه السلام فقام لها

---

(١) الشافي ١/ ٣٣٦.

(٢) الشافي ١/ ٣٣٦، التحف ٢٢٥.

أحسن قيام، ونفذت أوامره في صعدة ونجران والجوفين والظاهر ومصانع حمير، ثم قتله أهل صعدة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة وولده غدراً، فقام بثأره السيد الشريف الواصل من الديلم من جهة الإمام أبي طالب عليه السلام هذا، وأخرب صعدة، وعاونه على ذلك شيخ الشيعة في وقته محمد بن عليان بن أسعد[1] البحيري، وأمدهم الأمير غانم بن يحيى بن حمزة السليماني بمال كثير، وقال محمد بن عليان شعره الذي أوله[2]:

تألبت الغوغاء من أهل صعدة . . . . وهي إلى خمسين بيتا.

وتوفي الإمام أبو طالب عليه السلام في قرية (قيتوك)[3] من قرى تنهجان من أرض الديلم في سنة عشرين وخمسمائة، وأوصى بأن يدفن سرّاً لا يعرف مضجعه مخافة أن لو غلب الملاحدة على تنهجان لنبشوا قبره وأحرقوه، فهو لا يعلم موضع القبر على التعيين وإنما يظن ذلك[4].

ومن محاسن كتبه عليه السلام عهدٌ كتبه للشريف السيد شرف الدين أبي عبدالله الحسين بن الهادي رحمة الله عليهما، لما أمره بالخروج إلى اليمن سنة إحدى عشرة وخمسمائة قال فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤيد بالله أمير الأمة والمؤمنين، الحمد لله الذي شرف هذه الأمة بعد نبيها بالأئمة، وجعلَهم إكمالاً للنعمة، وإتماماً للأمّة، وجمَّل الأئمة بالخلفاء الهداة، والقضاة والكفاة، وسائر من ينوب عنهم من الولاة، وجعل الخلافة والقضاء بالحق من جملة الفرض، وشرع تفويضه إلى من زكا في الدين

---

(١) في (أ): سعد.

(٢) الشافي ١/ ٣٣٦.

(٣) في (أ): فينوك

(٤) أخبار أئمة الزيدية نقلاً عن كتاب جلاء الأبصار ١٥٧.

والعرض، وصيره ذريعة إلى نصرة الحق وشريعةً لتعديل الخلق وإظهار الصدق، ووضع الخلفاء والحكّام ما بلغ النهاية في الإتقان والإحكام، من القياس القويم، والقسطاس المستقيم، ليزنوا بهما الدعاوي، ويميِّزوا الراجح والمساوي، وطرق سبيلاً إلى الردع بما هداهم إليه في الشرع من البينات والأيمان، والتنكيلات في الأسجان، ليحترس من القوي والضعيف ويحترس من الغالب اللهيف، كما وعد أن يضع الموازين القسط ليوم القيامة: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَأُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾ [الأسراء: ٧١].

هذا ما عهد الإمام الحق أبو طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهاروني عليه السلام إلى السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أبي عبدالله الحسين بن الهادي بن رسول الله صلى الله عليه وآله - أعزَّ الله رايته - حين سَبَّره وخَبَّره، وشاهد منظره ومخبره، وعرف فيما لم يعاين خبره، ألفاه سهمًا في النفاذ والمضاء، شهمًا في أبواب الخلافة والقضاء، مستقلا منه بالأعباء مستقبلاً بين الألباء، خليقًا بأسباب الكفاية، حميدًا في الورع والرعاية، مستخلصًا لما يناط برأيه من الولاية، شهيراً بالتوّقي والوقاية، حازمًا في الأمور، جازمًا بين الجمهور، بصيراً بطرائق الشرع، خبيراً بعلائق الأصل والفرع، نقيًا من الأوهام والريب، زكيًا في أقسام الرتب، ناشئًا على المجد[1] والرشاد، كافيًا للاجتهاد والاحتشاد، بريء الساحة من المقابح، نقي الراحة من الفواضح، نزه النفس من الأدناس بعيد الهمة عن هذه الأجناس، وولاه وفوض إليه الخلافة والقضاء ما بين مكة إلى عدن، وسائر نواحي اليمن الأقصى قضبتها ومخاليفها، مدنها وبواديها ومن بلغه الخبر في

(١) في (أ): المحمدة.

ناديها[1] يَنفُذُ أمره ما بين أهالي هذه البقاع، ويمضي على من يتحاكم إليه من أهل هذه الأصقاع، وألقى إليه[2] مقاليد الخلافة والأحكام، وقلّده أمر النقض والإبرام، ليقضي فيما بينهم بالحق، وينظر في أحوالهم متحرّياً للصدق، فإن قبلوا فقد اهتدوا، وإن تولَّوا فإنما عليك البلاغ، والله بصيرٌ بالعباد .

وآمُرُهُ[3] أن يستشعر طاعة الله وتقواه، ويُؤْثِرَ مراده ورضاه، فيما أعلن من أمره وأخفاه، وأن يدَّرع درع طاعته كنه قدرته واستطاعته، وأن يستخيره فيما يختارُه ويمَضيه، ويستجيره فيما يجيزه ويقضيه، وأن يعتصم به في إقامة حقّه، ويتوكّل عليه في جُلِّ أمره ودقّه وأن يستمدَّ معونته، ويطلب معونته ويفزع إليه فيما ينوبه وينويه، ويعتَمدُ عليه فيما يَذَرُه ويأتيه، فالتقوى طريق الإسلام والاستسلام والاعتصام بتخير الأعلام والاستعلام، والاستخارة قوام ما يقترن به الإيثار، وربك يخلق ما يشاء ويختار، والتوكل داعية الاستثبات والانتظام، والاضطلاع بالأمور العظام، فعليه توكّلوا إن كنتم مؤمنين .

وآمُرُهُ أن يسلك طريقة العدل والإنصاف، ويترك سبيل العسف والإجحاف، وأن لا يصل[4] من وليَ هداه، وأن يسوّي في الحكم بين أوليائه و عداه، وألا يتخطى الحقَّ ولا يتعدّاه، بل يحكم بالسوية، ويقضي بعدل فيما يبرم ويمضي، كيلا يلحقه استرابة، ولا يُنسب إليه معابة، وأن يسوّيَ بين الخصمين في لحظه ولفظه، وقوله وفعله، بين القويِّ والضعيف، بحيث لا يكون عنده أقوى من الضعيف حتى يأخذ الحق له، ولا أضعف من القويِّ حتى يأخذ الحق منه .

---

(١) في (أ): تهاديها .

(٢) في (أ): عليه .

(٣) في (أ): وأمره .

(٤) في (أ): وأن لا يضل

وآمُرُهُ أن يمنع التهارج والحيف، والتلاحي في لِمَ وكيف، وأن لا يفُضِّل فيه شريفاً على مشروف، ولا يُنقِّص منكوراً عن معروف، ولا يزيد غنيًّا على فقير، ولا قويًّا على كسير؛ ما جمعهما التخاصم وضمَّهما التحاكم، وأن يميل مع الحق حيث مال، ولا يدع التعديل والاعتدال، بل يحقُّ الحقَّ ويبطل الباطل ولو كَرِه المجرمون، وأن لا يتعصَّب في المذهب عند الحكم لمن يؤالف، ولا يتعصب لخلاف من يخالف، وأن لا يغتر بصراخ الضعفاء وبكاهم ولا بصياح الفقراء واشتكائهم، فكم من خَوَنة يُشكّكون ويَشْكُون، كما جاؤوا أباهم عشاءً يبكون، يعتدون سراً ويستعدون علانية، ويعتدون بالوهم البعوض سانية[1]، وأن يتَّبع الرأي الصائب الوثيق، ويحذر الأدعية التي تدعى المنجنيق، فدعوة المظلوم مستجابة وإن تراخت عنه الإجابة، والظلم مَطْعمُه وخيمٌ ومرتعه ذميمٌ وأقبح ما يكون من القادر النبيه، والحاكم المتَّصف بالتنزيه.

وكلُّ كسوفٍ في الدراري شنيعةٌ ولكنَّه في الشمس والبدر أشنعُ

والخلفاء والقضاة كغيرهم مسئولون عمَّا خُوِّلوا، ومرتهنون بما حَملوا ومأخوذون بما حُمِّلوا: ﴿ **وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة: ٤٧] وليعلم أنه علاّم الغيوب، وبيده أزمَّةُ القلوب ﴿ **يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: ١٩] يبصر ما كدر وصفا، ويعلم السرَّ وأخفى، ولا يضمرَنَّ لأحد ضراً ولا يضمَّن عن أحد نصراً[2] ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الإسراء: ٣٦]، ﴿ **وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [غافر: ٢٠].

---

(١) في (أ): شانية.

(٢) في (أ): بصرا.

وآمره بتقديم الحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، فيما يستنبط منه العلم، ويستخرج منه الحكم، فيبدأ بأعلاها طبقةً، وأسناها درجةً، وأسبقها حكمةً، وهو الحق اليقين، والنور المبين، كتاب الله العزيز، وحرزه الحريز، الهادي إلى الرشد، والمنادي لدى الحشد، والحجّة في التعرُّف والتعريف، والباقي مدى[1] التكليف، المنجي من الردى، والمرجى نحوه الهدى، والمصباح الأزهر، والصباح الأنور، والمهيع الألوح، والمشرع الأروح، والعهد الذي لا يُفسخ، والقصد الذي لا يُنسخ، والمتين الذي لا يتضعضع، والمكين الذي لا يتزعزع، تجد عنده اليُمنَ والأُنس، وعجز عنه الجنُّ والإنس، وانتفى عنه العمى واللبس، وسكن إليه اللبُّ والنفس، شفاءٌ لما في الصدور وهدىً ورحمةٌ للمؤمنين، فمهما حَزَنَهُ مشكلٌ، أو دهاه حكمٌ معضل، فَزِعَ إلى نصوصه، وفَحَّصَ معنى عمومه وخصوصه، وائتمر بأوامره، وانزجر عن زواجره، وقام بحدوده، وعمل بعهوده، ولم يَعْدُه إلى ما عداه، ما وجد فيه نصًا أو فحواه، فهو الأصل لما سواه، لا تفترق مبانيه، ولا تختلف معانيه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وآمره إذا أعوزه في هذه المظنّة أن يتطلبه فيما يتلوه من السنة فيتخذه للقضاء فصلاً، سواء ثبت قولاً أو فعلاً، فهو الحجّة الثانية للقرآن، والمحجّة التالية للفرقان، والمضاهي له في الحجّة وإن فاضله في البهجة، والمداني في الإيجاز، وإن لم يبلغ حدَّ الإعجاز، فما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى، إذا تواتر أوجب العلم والعمل، وإذا تقاصر فَرُوِيَ بطريق الآحاد لزم العمل. فهما في وجوب العمل سيّان، وإن اختير الظّن عند الآحاد، وجرى التواتر مجرى العيان في الفؤاد، فإن تعارض الخبران، وتناقض المخبران، فسبيل المجتهد أن يبحث عن

---

(١) في (أ): بقاء.

التأريخ ، فإن وُجدَ وإلا عمل على الترجيح ، فيأخذ عند ذلك بالتحقيق ، أو سلك طريقة التلفيق ، إن رفع[1] فيهما إلى المضيق أو يعدل إلى ما سواه من الدليل إن لم يتمكَّن من التأويل ، ففي السنة الخروج من السنة إذا لم تكن الآية بالممكنة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] فسبيل المجتهدين فيه أن يتنبهوا: ﴿مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وأمْرُه إذا أعوزه ما تعلَّق من هذين بالسَّماع إلى طلب شاهد الإجماع فالإجماعُ يجري بعد الكتاب والسنة للمتمسكين مجرى الجُنَّة ، والطريقةِ الهادية إلى الجنة ، من حيث دلَّ الأوَّلان عليه ، وأشارَ الأفضلان إليه ، واعتمدَ المسلمون أولاً وآخراً عليه ، فمهما وُجد في إجماع العترة مندوحةً عمَّا عداها ، ساق مطية[2] الطلب إليه وحداها ، فإن وجدهم موافقين لسائر الأمة كان المدارُ عليهم لجلاء الغُمَّة ، وإن لم يجد لهم إجماعاً ولا للأمَّة ، طَلَبَ الحقَّ من أقوال ذي العصمة من الأئمة ، فذلك يقوم مقام قول نبي الرحمة ، وهم الوصيُّ والسِّبطان ، عليهم صلوات الملك الديَّان ، وإليه أشار الرسول لمن سمعه حيث يقول : «عليٌّ مع الحقِّ والحقُّ معه» وقال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] . وكما قال تعالى لآل إبراهيم: ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨] .

وأمْرُه إذا لم يجد شفاء الصدور في هذه الأساس ، أن يفزع إلى الاستنباط والقياس ، ويتأنق في رَدِّ الفروع إلى الأصول ، ليظفرَ من الغرض بالمحصول ، متَّخذاً فكره مطيَّة الوصول ، فما وَجَد له أصلاً عتيداً وركناً وطيداً وأساساً مهيداً

---

(١) في (أ): التفليق ، إن دفع .

(٢) في (أ): مظنَّة .

قريبًا أم بعيـدًا أو شبيهًا مديداً ألحق به حكم الفرع، وقضى حقّ دلالة الشّرع، وحقّق فيه تعليلاً، وعلى العلّة دليلاً ثم عوّل عليه تعويلاً، فلابد في كلّ حادثة من حجّة، وإن كانت ربما ولَجت غموضًا في لجة، فيستدعي مثيراً ذكيًا، و مستنبطاً زكيًا يلزم طريق التهذيب والتنقيح، ويُشرف على حقائق التشذيب والترجيح، ولا يمهل[1] أقصى المطايا إلى الروايا، فعسى أن يتيح الله للحادثة وجهاً، لا يجد له في الوجوه شبهها مقويًا للظنّ المطلوب في الحكم المرغوب، هذا إذا لم يجد للإمام القاسم والإمام الهادي وابنيه عليهم السلام - عليه نصًا، بعد ما فَحَصَ عنه فَحصًا، فإن وجد له نصاً صار إليه، وقصر حكمه عَليه، وإن لم يَجدْ له من النصّ ما يرجع إليه، والأقربُ إليه ما ينزل لديه ومال إلى سائر أقوال الأئمة إذ[2] كان الحق لا يخرج عن هذه الفرقة المهديّة، وإنما يعدل إلى الاجتهاد إذا لم يجد شيئاً من هذه الأمّهات، وهي المتون والعيون: ﴿فَسْئَلُوا أَهلَ الذّكرِ إِن كُنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وآمُرُه أن لا يخل بمحاورات العلماء، ومناظرات الفقهاء، واستشارة البصراء واستثارة آراء النظراء، والتَّثبُّت في النظر والارتياء، غير متعسِّف عند الخفاء، ولا متوقِّف عند انكشاف الغطاء، وتبيُّن الرشد من الغي، والصوابَ من الخطأ فالآراء مشتركة، والطرق مشتبكة، والمدار على ما يؤتيه الله من الذكاء، وجودة القريحة والسناء، ودراسة كُتب الأجلاء دون الاتكال على تقليد الكبراء والاستنابة إلى أرباب الاسماء، والتوفيقُ من ربّ السماء، والتحقيقُ رائدُ الذكاء، والتدقيقُ والنظر سببُ النماء، والحقُّ للطالب بالحداء ما فرَّط اللَّهُ في بيان الأشياء، ولا فرَّط فيه خاتم الانبياء، وإنما يؤتى المخطئ من متابعة الأهواء،

---

(١) في (أ): يهمل.

(٢) في (أ): إذا كان ذاك.

والاغترار بمتابعة السفهاء، والإعجاب بدعوى الكبرياء، والتنفق والتشوق بالرياء، واستبدال الظلام من الضياء، والرضى بسوء القضاء: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وآمره برفع الحجاب، وقمع الهوى والإعجاب، والتثبت في الجواب، وترك الإكرام والإعجاب، وفتح الباب للأجانب والأصحاب، وتمييز الخطأ من الصواب، وترك التضجر عند الاكتئاب، والملال من الإكثار والإطناب والإعراض عن تقديم الاغنياء وذوي الأخطار، والاحتساب على الفقرا والضعفاء والأذناب والتسوية بين الأعداء والأحباب: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

وآمره بنصح الخصمين إذا أحس منهما بالمين[1]، وأن يوعد المتداعيين بسوء المغبة عند التزوير، ومحاسبة رب العزة بالنقير والقطمير، وبعذاب الله للظالمين والمنغمسين في الإثم باليمين، ويعظهم بالحطمة عند طلب الحطام، وبالقارعة عند القراع واللطام، وبالساعة عند ابتلاع الوساعة، وبالآزفة عند الأيمان العاسفة، وبالنار عند اختيارهم لها على الشنار، وبالأغلال عند الفرية والاعتلال، وبالموازين القسط لمن قصد وجار عن الاعتدال، وبالأنكال والجحيم لمن نكل عن الصدق القويم، وبالزقوم والحميم لمن مال عن الحق للصديق الحميم، وبإنطاق الجوارح من ذب عن الجانح الجارح: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ

(١) المين: الكذب.

وَأَرجُلُهُم بِما كَانُوا يَعمَلُونَ﴾ [النور:٢٤].

وآمُرُهُ أن لا يلقِّن أحد الخصمين الحجة ولا يمكن الوكلاء من المعاون لجة، أو يسلطوا على أحد منهما سخطة أوضجة، أو يرتشوا فيتركوا لأجل النفع محجة، ويعلوا في سوم الوكالة فيصدوا عن طلب الحق بما يشعرون من الجعالة، وربما أوفي أجر الوكيل على ما يدعي من القليل، فيضطر الناس إلى ترك الحق حذرا مما يشاقه من المحق.

وآمُرُهُ بأن يمهل عند عرض اليمين عن مُنكِر المال ريث اشتغاله بالبحث عن جور اليمين والسؤال، فربما شك الحالف في كيفية الحال والقبض عن كشف القناع في ذلك المقام فزعًا من تعجل الخصم للانتقام، وربما خاف ذا الجلال والإكرام، فيريد أن يسلك طريقة التحرج عن الإقسام، والتورّع عن طلب الحرام، فلا يُضيق عليه ليميِّز جائز الإقدام من محظور الإحجام إلى أنحاء ذلك من أغراض الأنام، وهكذا يتثبت في تعديل الشهود وجرحهم وقبولهم وطرحهم واختيار الصالحين من المزكيين والجارحين، فقد كثر في هذا الباب التدليس، وعظم التجويز والتلبيس، وقلّ الصدق في الناس والأمانة، وفشى الطمع والكذب والمين والخيانة، وأُخلق في أعين الأكثرين التدين والصيانة، وندر التعفف الحقيقي والديانة، وصارت الشهادة صناعة وحرفة، والأمانة والتورّع طرفة، يستأكلون بالأكاذيب، ويلبسون مسوك الشياه فوق قلب الذيب، يراءُون الناس ولا يخافون البأس، يحتالون طويلا ولا يذكرون الله إلا قليلا، فإن لم يجد معدّلاً ولا معدَّلاً ولا مزكيا معوّلا باشر بنفسه الفحص عن الأحوال ليستبين الصواب من المحال، فما وثق به من أخبار الرجال مجانباً طريقة الاستعجال، وما قلق الظن فيه ترتب وتثّبت ﴿إِن جَآءَكُم فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَومًا بِجَهالَةٍ فَتُصبِحُوا عَلَى مَا فَعَلتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، ويقدم للشهود

أيضا عظات ولا يدع الوكلاء يلقنوهم لفظات ، فالعامة عميٌ عن مراشد الحق ، بكمٌ عن مواقف الصريح من الصدق ، والوكيل يجعل الكودن[1] جوادًا لتجلُّده ، ويصيِّر البليد ذكيًا مع تبلُّده ، ﴿ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴾ [النور: ١٥] فإن عثر على شاهد زور تعمده ، بالغ في زجره ، وأوعز إلى الناس بهجره ، وشهر إلى الناس حال إفكه وهُجره ، ومتى رجع عن شهادته ضمَّنه ما يلزمه بحكم الشرع بعد مبالغته في الزجر والردع ، وإن عثر من المزكي على مسامحة وتسمح ومساهلة عَزَلَه أوحى عزل ، وعَذَلَه أدهى عذل ، وكشف للناس قناع مخازيه ، فالله معاقبه ومجازيه ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ [يونس: ٨١].

وأَمَرَهُ بمن لم يصل إلى مجلسه ممن نأى من أقطار ولايته أن يستخلف من يثق باستقلاله وكفاياته وورعه ورعايته في تنفيذ الأحكام ، ويحكم بما يحكم به سائر الحكام ، ويعينه على الحكم بين أولئك الإخوان ، فإنما الدين بالأعوان ، وأن يؤدي إلى المصلحين عند طلبهم الصلح ليكون أدنى إلى الفلاح والنجاح ﴿ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ [النساء: ١٢٩].

وأَمَرَهُ بحفظ أموال اليتامى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ ﴾ [النساء: ٦] ، فإن لم تؤنسوا الرشد توقع أن يصلح الله تعالى حالهم ، ويتقدم إلى من ينصبه من ثقات الأوصياء ، ومن ثبته الله من الأولياء كالأجداد والآباء للمنقصي[2] العقول والقاصرين عن المعقول أن يجروا على حكم الشفقة ؛ لئلا يذهب رأس المال بالنفقة ، وينصب على من يُتَّهم مشرفاً يراعي دخلهم ، ويستدرك إن جادلوا دغلهم . وأن يعرف من جنف

---

(١) الكودن : الفرس الهجين .

(٢) في (ب): المنتقصي .

والتوى ؛ لئلا يلحق بالمال التواء ؛ ولئلا يأكله الولي والوصي ، كما يأكله القصي ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ [النساء: ١٠] .

وأمره بإنكاح الأيامى عند فقد الأولياء أو عضلهم إياهم عن الأكفاء أو غيبتهم عن الأقرباء عند اجتماع الشرائط وانتقال الولاية ، وحصول الكفاءة والرغبة في الكفاية ، الإمام ولي من لا ولي له ؛ فإذا حصلت الشروط ﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ، بعد أن تعلموا انتفاء موانع النكاح ، فإذا كملت الأسباب وخطبهن الخطّاب ﴿ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢] .

وأمره إذا عثر على أموال المصالح والمستهلكات ، والمثارات والمستدركات أن يضبطها أحسن ضبط ، ويقف منها عند أبين شرط إلى بيت مال المسلمين ، فقد كفاه الله القيام بأسبابها وأباح له كف الإمامة في عابها : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٣] ، ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٥٤] .

وأمره أن يرتاد لحفظ الوثائق والسجلات من الحجج والبينات من أحاط علمه باحتياطه ، وأمن زلل غلطه واختباطه ، ووثق بعفافه عن المطامع الدنية ، وكفّه عن المطاعم الرديّه ، وتيقظه عن الغفلة والسهو ، وتحرُّزه من الغلط واللهو ، فتلك الحجج هي المفزع للناسين ، والمرجع للساهين ، فما حُفظَ مَرَّ وما كُتب قَرَّ والقيم بها قائم بين الإثم والعار وبين الجنة والنار ، ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود: ١١٣] .

وأمره بتأديب من يستحق التأديب والتعزير ، وحبس من يستحق الحبس والتسخير ، وأن لا يخلي سرية إلا برضى صاحبها دون شفاعة أحد من الخلق ،

والتوكيل لمن يرى التوكيل والتنكيل لمن يستاهل التنكيل، ويأخذ من يطلب الكفيل، ويضيّق على من يلزمه الإرهاق والتضييق، ويخفّف من يحق له التخفيف والترقيق، فإن ظهر إعسار المحبوس: ﴿ **فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة:٢٨٠].

وآمُرُهُ أن يتخير الأوقاف عند فقد من ولاه الواقفون أو خيانتهم من يثق بأمانتهم، فيوليهم أمرها، ويتعرّف كلَّ حينٍ خبرها؛ فإن وُجد على طريق النصفة قرّرها في يده، وإن مال إلى المعسفة سعى في إصلاح أَوَده، أو صرفه عن عَنَده، فالأوقاف صدقات لا يصلح لإمساكها إلا الصادقون، ولا يُعزل[1] عنها إلا الفاسقون، فاتقوا الله: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ** ﴾ [النحل: ١٢٨].

وآمُرُهُ أن لا يستكتب إلا من كانت معارفه قوية وبصائره سوية وديانته قويمة وإصابته عزيمة ومطامعه كريمة دون من يفتر عن الجشع، أو يغتر عن الطمع.

وآمُرُهُ بأن يقرر حكومات من كان قبله من قضاة المسلمين، وأن لا يتعرّض لشيء منها بالتغيير والفسخ، والتبديل والنسخ، مالم يخالف نصًّا من الكتاب والسنة مقطوعاً أو إجماعاً قد خالفوه مفرقاً أو مجموعاً، حينئذٍ يدفع عنه ما كان مدفوعا، ويرفع ما صار مرفوعا، من تعرّض لحكم من قبله بالنقض من غير حجة داعية إلى الدحض، فليوطّن نفسه على مثل صنيعه، وليَرْضَ بمثل تقطيعه، وكَمن يؤذن بالانقضاء إلى يوم فصل القضاء، فالاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد، والظن لا يتعرض على الظن الواقع بالإشهاد ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ** ﴾ [المدثر:٣٨-٣٩].

هذا ما عهد الإمام الحق أبو طالب يحيى بن أحمد بن الحسين الهاروني

---

(١) في (أ): يعتزل.

الحسني إلى السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أبي عبدالله الحسين ابن الهادي بن رسول الله ﷺ أعز الله رايته، ولاّه اليمن سهولها وجبالها وما تضمنه من أعمالها وما والاها، ولاّه أمرها، ونفذ في جميع فعله وقوله وعقده وحله وتولية من شاء من خلفائه فيها وعزله سوى من اخترناه قبل ذلك بالإمارة، وسبقت منا إليه الإشارة، فإنه يجري على طريقته، وينفذ أمره على سننه وسيرته بمشورة السيد الأجل العالم الزاهد تاج السادة شرف الدين أدام الله عزه في قليل أمره وكثيره، ثم فلو تغير عما كان قلبه وتبدّل عما كان عليه قوله أو فعله فَلْيُنْهِ إلينا خبرَهُ، ويبين لنا أمره وعذره لننظر فيه كيف تعملون، فليُتقلّد ما قلّده إياه، وليَرْعَ ما استرعاه، ولْيَعِ من شرائط ما فصّله في هذا العقد واستوعاه، وما بصره فيه من سبيل الرشد وهداه، وليحذر مخالفة ما أمره به من أولى هذه العهدة إلى آخرها، فقد فصّلها وأجراها، وليخف الله جل ثناؤه في العدول عن العدل والوقوع عن الخذل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠] وليستعن بالله يعنه، وليسترعه يرعه ويؤمِّنه، وليتوكل عليه يزده، وليسترشده يرشده: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ [الطلاق: ٣] وسبيل رعايانا أن يجيبوا أمره ولا يعصوه ويعضدوه وينصروه، ويأتمروا بأمره، وينزجروا بزواجره ما أطاع الله ورسوله، فإن خالف الحق فارفضوه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤].

أيها الناس من أطاعه فقد أطاعنا ، ومن أطاعنا فقد أطاع الله ورسوله ، ومن عصاه فقد عصانا ومن عصانا فقد عصى الله ورسوله : **﴿وَما كانَ لِمُؤمِنٍ وَلا مُؤمِنَةٍ إِذا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمراً أَن تَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾** [الاحزاب:٣٦] .

فليعلم إخواننا حفظهم الله تعالى أن مولدنا في ديلمان ، ومنشأنا بين جيلان وطبرستان والعراق وخراسان ، وأهل هؤلاء البلدان ليسوا من أهل اللسان والبيان بل عجم بكم عن العربية ، ولسان العجم لا شك عجمية ، وأدباء العجم وإن بلغوا في الفصاحة الثريا فلا تلحق فرسهم فرس العرب العرباء ولاسيما وقعت بين الخطتين وقائع بين الجمرتين سراً وجهاراً ليلاً ونهاراً ، إلى أن فرع إلى تهذيب الكتاب وإلى ترتيب الخطاب فما وقع بالكتاب من الخلل وبالكتابة من الزلل من هاتين الجهتين فأنا معذور والله غفور شكور .

الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عليه السلام[1]

هو أبو الحسن أحمد بن سليمان بن محمد بن المطهر بن علي بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[2].

وآباؤه عليهم السلام من الصفوة الأكارم ، والخيرة من الأعارب والأعاجم ، مناقبهم شهيرة ، وفضائلهم كثيرة ، ورياض فضلهم مفترة الأزهار ، وفوائد علمهم حلوة الثمار ، وما عسى أن يقول فيهم المادح وإن أكثر ، وقد أثنى عليهم المليك الأكبر ، ورسوله المصطفى الأطهر ، غير أن لذكرهم في اللسان حلاوة ، وعلى الكلام بمدحهم طلاوة ، ولله القائل :

قوم إذا املولح الرجال على ... أفواه من ذاق طعمهم عذبوا

أنوار الهداية إذا اعتكست دياجير ظلم الإشكال ، وشموس الهدى الكاشفة لحنادس الضلال ، و ما أجدرهم بقول من قال :

متى يشتجر قوم يقل سرواتهم ... همُ بيننا فهمْ رضىً وهمُ عدل

همُ جددوا أحكام كلِّ مضلَّة[3] ... من الحكم لا يلقى لأحكامهم فصل

وأمه عليها السلام : الشريفة الفاضلة مليكة بنت عبدالله بن القاسم بن أحمد بن أبي البركات ، واسمه إسماعيل بن أحمد بن القاسم بن محمد بن القاسم بن

---

(١) تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ١/ ٥٥١ ، التحف شرح الزلف ٢٣١ ، بلوغ المرام ٣٩ وتاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن ١٩٣ ، طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٢ ، الشافي ١/ ٣٤٢ ، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني ١/ ٢٩٦ ، أعلام المؤلفين الزيدية ١١٤ ترجمة ٨٥ ، اللآلئ المضيئة «خ» ، الأعلام للزركلي ١/ ١٣٢ ، اتحاف المهتدين ٥٦ ، مطمح الآمال ٢٤٣ ، أئمة اليمن ١٤ ، معجم المؤلفين ١/ ١٤٦ .

(٢) الشافي ١/ ٣٤٢ ، التحف ٢٣١ ، طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٢ .

(٣) في (ج)فضيلة

إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام .

وكان أبوه سليمان بن محمد من عباد الله الصالحين ، بل كان يصلح للإمامة ويرجا منه القيام بنصرة الدين الحنيف ، فرأى في حال حمل امرأته بولده الإمام عليه السلام أن قائلا يقول :

بشراك يا ابن الطهر من هاشم … بماجد دولته تحمد
بأحمد المنصور من مثله … بورك فيمن إسمه أحمد[1]

وأما جده المطهر بن علي بن الناصر عليهم السلام فإنه كان عالما مصنفا له التصانيف في الشريعة على مذهب جده الهادي إلى الحق عليه السلام ، وخرَّج على مذهب الهادي أشياء كثيرة ، من جملتها : أن الترتيب بين اليدين والرجلين في الوضوء لا يجب .

وكان شاعرا فصيحا فمما يروى له عليه السلام :

لحاني في الهوى لاح نصوح … فغالب مقودي رأس جموح
فقلت له وفي الخدين مني … خدود خدها الدمع السفوح
أتطمع أن تريع إلى سلو … وأن ينسى النوى قلب جريح
بروحي من برى روحي فأعجب … بروح كيف منه ذاب روح
سأركب كل هول أو أراني … أميح ولا أراني أستميح
ولا ألوي على وطن فتضحى … مذلته على خدي تلوح
فسح في الأرض واطّلب المعالي … فكم من سيد فيها يسيح
فلولا أن فيمن ساح خيراً … يفوز به لما ساح المسيح

وتوفي عليه السلام بذي جبلة سنة خمس عشرة وأربع مائة .

---

(١) الشافي ١/ ٣٤٣ ، التحف ٢٣٢ .

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

نشأ عليه السلام على طريقة آبائه الأطهار ، وسلفه الأخيار ، جامعا بين العلم والعمل ، ولم يزل عليه السلام مقتبسا من أنواع العلوم حتى برز في ميدانها ، ووقف على غامض بيانها ، وكان في كل فن منها بالغًا مداهُ ، لا يفل الخصم شباه ، ولايلحق منتهاه ، درس في الأصولين على الفقيه العالم فخرالدين زيد بن الحسن ابن علي الخراساني البيهقي الوارد إلى اليمن باستدعاء السيد الإمام العالم علي بن عيسَى بن حمزة بن وهَّاس الحسيني السليماني رحمة الله عليه ورضوانه سنة أربعين وخمسمائة ، وأتى هذا الفقيه رحمه الله من بلاد بيهق وخراسان لما بلغه ظهور مذاهب المطرفية ، وأنهم يعتزون إلى أهل البيت عليهم السلام ، وفي حق الإمام أحمد بن سليمان عليه السلام ، ولحقته المشاق الشديدة ، ونُهِبَ أكثر كتبه بين المدينة ومكة .

وأخبرنا الفقيه جمال الدين عمران بن الحسن رضي الله عنه قال أخبرنا الثقات من أهل البيت عليهم السلام : أنه دفن في مفازة - لا ماء فيها - في تهامة ؛ فأحدث الله تعالى بعد دفنه فيها الماء إلى الآن ، وهو في موضع يعرف بالقباس كثيب بجنب البحرين عتود وعوان . ودرس على الفقيه السيد العالم الفاضل الحسن بن محمد من ولد المرتضى عليه السلام ، ذكر الإمام عبدالله بن حمزة عليه السلام : أنه كان يستملي وهو ينسخ من كتاب ستة أسطرٍ مرة واحدة .

ودرس على الفقيه عبدالله العنسِي اليماني الواصل من جهة الجيل والديلم بعلوم أهل البيت عليهم السلام سنة إحدى وخمسمائة ، وعلى الشيخ العالم إسحاق بن أحمد بن عبدالباعث رحمه الله ، هؤلاء من مشائخ الزيدية ، وإسحاق هذا وأبوه في نهاية العلم مصنف كبير ، صنف على المطرفية ، ولقي

إسحاقُ الحاكمَ الإمام شيخ الإسلام أباسعد رحمه الله سنة إحدَى وثمانين وأربعمائة[1].

وله عليه السلام تصانيف جمّة في الأصول والفروع، وكانت له دراية واسعة ومعرفة ثاقبة بالمقالات، ومن نظر في تصانيفه على المطرفية علم صحة ما قلنا، من ذلك كتاب الرسالة الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال، ومن ذلك كتاب الرسالة الواضحة الصادقة في تبيين ارتداد الفرقة المارقة المطرفية الطبعية الزنادقة، فإنه جمع فيها بين المطرفية وبين كل فرقة من فرق الضلال من أهل القبلة وغيرهم من الخارجين عن الملة، وذكر أقوالاً تفردوا بها عن جميع الأمم موحدها وملحدها. وله كتاب الحقائق في أصول الدين، والمدخل في أصول الفقه، وله كتاب الحكمة الدرّية والدلالة النورية، شرح فيها فضائل أهل البيت عليهم السلام. وله في الأحاديث الفقهية كتاب أصول الأحكام في الحلال والحرام وهو متضمن لثلاثة آلاف حديث ويزيد على ذلك قدر ثلاثمائة وكسر، وفيه علم حسن يدل على تبحره في علم الشريعة، و ذكر فيه فوائد الأخبار، وسلك فيه طريقة الترجيح لمذهب الهادي إلى الحق عليه السلام على مذاهب فقهاء العامة[2].

وكان عليه السلام حلو المراجعة، حسن المخاطبة والمكاتبة، ومن محاسن كلامه عليه السلام مخاطبةٌ دارت بينه وبين السلطان حاتم بن أحمد، وذلك أن حاتم بن أحمد طلب الدخول في طاعته والإقبال إليه، فلم يقبل منه عليه السلام لأمور قد كان عرفها منه، فرد حاتم بن أحمد كلاما جافيا، فرد عليه الإمام في كلام له يقول فيه: إنه طبيب ولم ينتفع بطبه، وعاقل ولم ينتفع بعقله، ومعه داء لا دواء له، فرد عليه

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٣.

(٢) التحف ٢٣٣.

كلاما ، وتمثل فيه بقول المتنبي[1]:

كدعواك كل يدعي صحة العقل   ومن ذا الذي يدري بما فيه من جهل

فرد عليه الإمام عليه السلام :

إذا كنت لا تدري بما فيك من جهلٍ   فذاك إذاً جهل مضاف إلى جهل

ولم أنتحل ما ليس فيَّ وإنما   مقالي حق قد يصدقه فعلي

ومن جحد الرحمن والرسل لم يكن   بمعترف يوما بحق بني الرسل

وكل عباد الله غيرك عارف   بما فيَّ من أصل شريف ومن فضل

فرد عليه كلاما فيه بيتا شعر يقول فيهما :

لنا النهي فيما حرَّم الله والزجر   وليس لكم نهي هناك ولا أمر

فلا زال ذا فينا وذلك فيكم   مدا الدهر حتى يأتي الحشر والنشر

فأجابه الإمام عليه السلام بكتاب تمثل في أوله ببيت شعر يقول فيه :

لا افتخار إلا لمن لا يضام   مدرك أو محارب لا ينام

بسم الله الرحمن الرحيم

حمدت من أنطق الفيلسوف بذكره وحمده ، وإن كان مبطنا من ذلك بخلافه وضده ؛ لأنه سلك في مبتدإ كتابه طريقة محمودة ، لو أتمها ، قدَّم الجفاء والمشاتمة ، ثم عاد إليها فَتَعَدَّى الحدود المضروبة :

جرى ما جرا حتى إذا قيل سابق   تلاحقه عرق الحران فبلداً

فرجع إلى عادته من سلاطة اللسان ، والسلاطة آفة الإنسان ، فكان مثله كمثل صاحب المارستان[2] ، ولا لوم لأنه مضى يوم دخلنا عليه صنعاء يعض لبٍّ

---

(١) أنظر طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٤ .

(٢) في (أ) المارسان .

فؤاده ، ومضى بعضّه يوم الشرزة ، فبقي بلا لب إلا ما يتكلفه ، وأما ما ذكره في الذين قال إنهم قد كفوه مؤنة الهجاء ، فقد هُجيَ رسول الله ﷺ هجاه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث فرد عليه حسان بن ثابت :

هجوت محمدا فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاء

أتهجوه ولست له بكفوء فشركُما لخيركما الفداء

وما مثله هو وهم إلا مثل البعوضة لا يدري الإنسان منها إلا طنينها مع أذنيه فإذا طلبها لم يجدها ، وقد بلغت مكروهه ومكروه غيره بحمد الله تعالى :

إذا شئت أرغمت العدو ولم أبت أقلب فكري في وجوه المكائد

وقد هجانا أخوه الذي مات طريداً لنا فناب عنا بعض شيعتنا فقال :

لو سار ألف مدجج ليحل في عمران غير إمامنا لم يقدر

تلك الشجاعة لا شجاعة معشر مثل العجائز في ظلال المنظر

وأما **قوله**: لهم النهي فيما حرم الله والزجر، فلعل ذلك النهي والزجر على الكلاب، والله ما عرفت لهم سابقة في الجاهلية ولا في الإسلام، كان أول من تَسَلْطَنَ منهم حاتم بن الغشم؛ وذلك أنه سرق السلطنة من آل الصليحي، وذلك أنه أسلفهم مالا جمعه معهم، فأعطاه[1] المكرَّم حلقته فسرق بسبب الحلقة عدن، فتبعه المكرم إلى عدن فخالفه إلى صنعاء، فتبعه إلى صنعاء فهرب إلى براش كما فعل هو، وكذلك كانت صنعاء لآل القبيب، وهو مشتغل في المنظر بالطب والتنجيم واللعب بالكلاب، ثم افترق آل القبيب وقتل بعضهم بعضا ، فخالفهما عليها ولم يكن لأبيه ولا لجده. وأما **قوله**: إنه لا يحسن للرجل أن يمدح نفسه وإن أحسن المدح ما يقرُّبه الضدُّ لضدّه، فلا يعلم اليوم أكثر عداوة منه لنا فقد شهد لنا بالإمامة والوفاء والزعامة فقال فينا :

---

(١) في (ب) وأعطاه .

رأيت إماماً لم ير الناس مثله   أبرُّ وأوفى للطريد المشرد

عفًا ووفا حتى كأني عنده   أخ أو حميم لست عنه بمبعد

وقال أيضا أخوه أسعد في شعره:

ملكت فأسجح منعما يا ابن فاطم   وشيد مباني هاشم ذي المكارم

إلى قوله :

فإن كنت قد بُلِّغْتَ عني مقالة   فقد تبت يا مولاي توبة نادم

وعما قليل يقول كما قال أخوه، ويفرح أن يرجع إلى ما كان عليه أبوه، وقوله: لا يحسن للرجل العاقل أن يمدح نفسه، وقد حكى الله عن يوسف عليه السلام أنه قال: ﴿**اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ**﴾ [سورة يوسف: ٥٥]، وقال الله عزوجل: ﴿**وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾ [الشورى: ٤١-٤٢] الآية. وقوله: إني طالب دنيا، وقوله هذا طار وهذا فلت، ولذتي في دنياي قتاله وقتالُ أمثاله من أعداء الله، وقد نَغَّصْتُ عليه وعلى غيره من أهل الدنيا دنياهم في كل ناحية، ولي اليوم نيفٌ وعشرون سنة، كلما فرغت من حرب قوم من الظالمين قمت في حرب آخرين من أعداء رب العالمين، وإني لا أبرح كذلك حتى أموت.

وأما قوله: إني كفيته ذمَّ نفسي بأني له داء لا دواء له، ونعلم أن الداء الذي لا دواء له هو الموت، وأنا له كذلك إن شاء الله تعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (نحن السُّم فمن شاء فليستم، ونحن الشم فمن شاء فليشتم)، وإن له داء ولضدِّه دواء، فليعلم ذلك والسلام، وصلّى الله على محمد النبي وآله وسلم.

وكان عليه السلام كثير العبادة، حسن الزهادة، وله في هذا المعنَى قصيدته المشهورة:

دعيني أطفي عبرتي ما بداليا ... وأبكي ذنوبي اليوم إن كنت باكيا

لعل البكى يشفي من الوجد بعضه ... إذا لم يكن للكل من ذاك شافيا

وأشفي غليلا في فؤادي بالبكى ... ولو قال جهال من الناس ماليا

ولن يسلم المحزون من غصة القضاء ... إذا كانت الأحزان تبقى كما هيا

فقد مات همّامٌ لوعظ إمامه ... وصادف قلبا للمواعظ واعيا

وليس عجيبا إن بكيت ولو دما ... وأذهب دمعي من بكاي الأماقيا

وقدما بكى قبلي رجال تذكروا ... رسوما عفت عن أهلها ومغانيا

ويومًا[1] محته الذاريات وأشعثا ... وجته العوافي[2] فانشطى وأثافيا

فلم لا إذًا أبكي على ما جنت يدي ... من الذنب لما أن تحققت ذاتيا[3]

فهل من مداوٍ للذنوب من الملا ... فلم ألق للذنب العظيم مداويا

وهل لقروحٍ في فؤادي مرهم ... تداوي عليلا كامنًا في فؤاديا

وليس لذنبي من مداوٍ سوى البكى ... وتوبة ذي صدق وعفو إلاهيا

هبيني نسيت الموت والبعث فينة[4] ... وما كان من علم الغيوبِ ورائيا

ألم أعتبر نفسي ونقصان قوتي ... ولم أك للموت المشاهد ناسيا

وكنت آمرءاً ذا قوة في شبيبتي ... فأصبح مخضرُّ الشبيبة ذاويا

وبدلت نقصانا بدا في جوارحي ... وجاء نذير الشيب للنفس ناعيا

فيا عجباً من غافل غير عاقل ... يجدد من دنياه ما صار باليا

ويعمر ما قد خرب الدهر قبله ... ويتبع تسويفا له وأمانيا

ومن هرم يزداد ضعفا وذلة ... وآماله يرمي بهن المراميا

---

(١) في (أ): وموياً.

(٢) في (ج): الغواني.

(٣) في (ب) دانيا.

(٤) في (ب) فتنةً.

رأيت معين الملك قد صار خاليا فأورثني سقما وأوهى عظاميا

ونشّان والبيضاء بادت وهكذا براقشها والقصر قدكان عاليا

وغمدان والسوداء والبير عطلت منازلها والكل قد صار خاليا

وفي هرم ما يهرم الطفل ذكره وفي كمنا ما كان للناس ناديا

وصرواح أورَوْثان للناس عبرة أباد الردى أسفاله والأعاليا

وفي كل أرض مثلهن مآثر تزهّد في الدنيا وتنفي الدواعيا

فيَارُبَّ قَيْلٍ كان فيهنَّ مترف وذي نخوة قد كان في الناس ساميا

مضى ومضت أمواله ورجاله وقد كان موجودا فأصبح فانيا

فكيف يطيب العيش للمرء بعدهم ويصبح جو الدهر للمرء صافيا

فيا أيها المغرور أقصر عن الهوى وأقبل إلى التقوى ولاتك لاهيا

وكن جاهدا في طاعة الله ربنا تفز بالذي تهوى ولاتك عاصيا

فلو لم يكن غير الممات ووحشة الـ قبور وكون المرء في القبر جاثيا

وماذا يلاقي من نكير ومنكر لكان لنا هذا من الشر كافيا

كفى بالبلا والموت للناس زاجرا وبالشيب عن فعل المظالم ناهيا

فلو كان في العقبى جهنم واديا وكان جنان الخلد عشرين واديا

لخاف الذي يخشى العذاب لقاءها ويصبح يوما في جهنم ثاويا

وليست سوى دارين نار وجنة فمن لم يحاذر صار للنار صاليا

ولولم يكن غير الخلود وكم عسى تخلد في هاتيك أو تلك باقيا

ولولا الترجي للشهادة والهدى وأضحى إلى الرحمن والدين داعيا

فطوبى لمن يعطى الشهادة تحفة ومن كان مهديا ومن كان هاديا

وإعزاز دين الله بعد خمولة لأُشبعَ غرثاناً وأكسوَ عاريا

وأنصرَ مظلوما وأقمعَ ظالما وأُنقذَ ملهوفا وأفني معاديا

لما كنت بين الناس أنظر فعلهم ... وما كنت للجهال يوما مدانيا

وأغدو لمن عادى الإله معاديا ... وأضحي لمن والى الإله مواليا

لماسرت إلا في طريق ابن أدهم ... وكنت لعمرو بن العبيد مواسيا

وكابن جُشيم والجنيد أخي التقى ... فما كان منهم واحد متوانيا

فرحمة رب العالمين عليهم ... وكان لهم من كل خير مكافيا

ويممت أرضاً لا أرى الناس عندها ... وكنت لأصناف الوحوش مواخيا

وقلت لأولادي وأهلي وإخوتي ... وأهل ودادي اليوم ألا تلاقيا

وإني رجوت الله عفوا ورحمة ... وإن إلهي لا يخيب رجائيا

وصلى إلهي كل يوم وليلة ... على من غدا للحق في الناس داعيا[1]

وقال عليه السلام في حال صغره وروي أنه قالها وهو يتعلم في نصف القرآن :

إذا أُعطيَتْ نفسُ الفتى قُوتَها الذي ... حباها به رب العباد اطمأنت

وطابت ولم تغلبه إن كان عاقلا ... وعادت إلى التقوى وصامت وصلّت

وإن هي لم تُعط الذي حببت[2] به ... من الرزق أمست في الهموم وظلّت

وكان قصارى أمرها أن ترده ... إلى جهلها قسرا وخابت وضلّت

فأما أخو التقوى الصحيح ومن له ... يقين فلا يخشى اللتيا ولاالتي

إذا ماتمنت نفسه الشيء ردّها ... ولم يعطها عند المنى ما تمنت

يكلفها ما لا تريد وتشتهي ... وإن سئمت[3] صرف الزمان وملّت

ويمنعها من كل ما هويت ولا ... يملكها أمراً وإن هي زلّت

وما تعبت نفس وهانت وأنصبت ... وذلت لرب الناس إلا وعزّت

فيارب فارزقني اليقين فإنه ... وتقواك رأس الدين واجعله عدتي

---

(١) هذا البيت ناقص من(أ، ب) .

(٢) في نسخة حبيتَ .

(٣) في (ب) شتمت .

وزدنيَ علمـا نافـعـا وتوفَّني — شهيدا ولا تدحض بعدلك حجتي

وكفِّر ذنوبي رب واغفر خطيئتي — وإن عظمت يومـا لديك وجلت

وأخِّر حمـامي رب حتى تميتني — وقـد كـملت مني الفـروض وتمت

وقال عليه السلام من قصيدة:

لا يسـام الدهر ولا يقـصـر — يفـزعني دأبا بما أحـذر

لـو أنه أنـصف في حكمـه — مـا اخـتلف المنذر والمنذَر

يقـذف بالخطب سـواد الملا — فـيـتـقي بالأكـبـر الأَصـغـر

وتلك منه عـادة قـد جـرت — لم ينج منهـا المصطفَى الأطهـر

لكنني عـوَّدته عـادةً — لا أنثني عنهـا ولا أفـتـر

أصـبـر للكُبّـار مِن صـرفـه — في حيث لا يلقَى امـرأٌ يصـبـر

أرفع مـن قـلبي الأسَى بـالأسَى — سنلتـقي الأكـثـر فـالأكـثـر

صادفت عـصـراً شـرُّه ظاهر — يضحك من أفـعـاله الأصـغـر

له أُهَيْلٌ جُلُّ أفـعـالهم[1] — تكره في الناس وتسـتنكر

دَعَـوتُهم طُرّاً إلى رشـدهم — فـأعـرضـوا عنيَ واسـتكبـروا

ومنها:

يعـرف ربي صـدق قـولي وقـد — يعـرفـه الغُـيَّب والحـضَّـر

وصـارم في شـفـرتيـه الردَى — يعـرفني والرمح والمغـفـر

وسـابغ مـسـتـحكم سـرده — كـأنه في حـسنه الجـعـفـر

وسـابح ذو منعـة[2] سـابق — نهـد رحيب سحـره مـضـمـر

والخـيل والليل وحـسن اللقـا — والضَّـيف والمسجـد والمنبـر

والنظم والنثـر وفـعـل العـلا — والطرس والأقـلام والدفـتـر

---

(١) في (ب) أفعاله .

(٢) في (أ): ميعة .

والفضل والمجد معاً والوفا ... أرديتي والشرف الأشهر

لم يغشني ذام ولا ذلة ... ولا كلام أبداً معور

لي همة ما فوقها همة ... وعنصر ما مثله عنصر

إذا أنا لم أثأر من أعدائنا ... للحق بالسيف فمن يثأر

فسوف أفني معشراً خُسّراً ... في أرضهم يستحسن المنكر

لهم دروب سوف يعميهم ... في وسطها الدُّخَّانُ والعِثْيَرُ

نرفع من هاماتهم[1] بيضنا ... يسيل منها العلق الأحمر

بجحفل من بعده جحفلٌ ... وعسكر في إثره عسكر

لا تبرح الغارات في أرضهم ... أهون ما يأتيهم الميسر

حتى يكونوا عبرةً للملا ... يعرفها السائل والمخبر

وقال عليه السلام:

لأحكِّمنَّ صوارماً ورماحا ... ولأبذلنَّ مع السماح سماحا

ولأقتلن قبيلةً بقبيلة ... ولأسلبنَّ من العدا أرواحا

ولأروينَّ السمر ممن ابتغي ... فإذا روين أفدنني إصلاحا

ولأجلونَّ الأفق عن ديجوره ... حتى يعود دجى الظلام صباحا

ولأكسونَّ الأرض عما سرعة ... نقعاً مثاراً أو دماً سفَّاحا

ولأجلبنَّ الخيل من أقصى المدى ... لاينثنين ولا يردن مراحا

ولأرمينَّ بها الحصيب وأهله ... ولأنجحنَّ ملوكهم إنجاحا

ولأرمينَّ الواديين بصيلم ... والمشرقين وأنثني صرواحا

جيش تئنُّ الأرض من جولانه ... كأنين من يشكو عنّي وجراحا

ولأوقعنَّ بحي يامٍ وقعة ... تدع الحمِيَّ من الطغاة مباحا

ولأمطرنَّ عليهم مني سَمًّا ... تدع البلاد من الدما أقداحا

---

(١) في (ب) هامهم.

بفوارسٍ من مذحجٍ أُسد الشرى ... صاروا لكل مرتَّج مفتاحا

قوم فتحت بهم أزال ولم أزل ... لجميع أمصار الملا فتَّاحا

يا آل مذحج إنني أعددتكم ... لي في الحوادث جُنة وسلاحا

يا راكبا أبلغ ذؤابة يعربٍ ... عني مقالة من يريد صلاحا

أبلغ زبيد الأكرمين مقالتي ... وسراة عنس وقبلها الجحجاحا

أبلغ إلى الأتلاف من أصحابها[1] ... وإلى أفيق وأبلغَنَّ صباحا

وإلى رداع والموشح أبلغا ... ابنا ضرار الضاربين كفاحا

ثم ادع فيهم يا لمذحج دعوة ... دوسوا الصفيح وثقفوا الأرماحا

قودوا إلينا مقنبا يغشى الربا ... جيشا أجش عرمرما نطَّاحا

فيه الصوارم والمثقفة الظما ... وأسود غاب تُتلف الأرواحا[2]

بالمشرفية والمثقفة الظما ... والأعوجية أبتغي الأرباحا

لا بالسلوِّ مع القيان وقوله ... هاك اضربي دفّاً وهاتي راحا

لست ابن أحمد إن تركت زعانفاً ... يتبخترون وينكحون سفاحا

يتواعدون لكل ليلة جمعةٍ ... فإذا توافوا أطفأوا المصباحا[3]

وكانت له عليه السلام كرامات جمة تكشف عن فضله وشرفه عند الله عز وجل، فمنها ما روي أنه عليه السلام أصبح ذات يوم من الأيام يريد الوضوء عقيب مطر في الناحية التي هو فيها، فلم يجد ما يرتضي[4] لعدم المناهل، ولا وجد ترابا فبقي في

---

(١) في (ب) الأتلا ومن أضحى بها .

(٢) في (ب) من هنا اختلف ترتيب الأبيات .

(٣) في (أ) حاشية : قال منصف الكتاب رحمه الله : هذا البيت يعني قوله يتواعدون إلخ لم يذكره في السيرة وهو في ألسنة الناس ينسبونه إلى القصيدة .

(٤) في (ج) فلم يجد ماء يتوضى .

حيرة فبينا هو كذلك إذا التفت على يمنيه فوجد تراباً مسكوباً[1] ليس من جنس تراب تلك الناحية، فتيمم عليه السلام وأصحابه من ذلك التراب، وبنى أهل الناحية على موضعه مسجداً[2].

وروى أنه عليه السلام كان في بعض أسفاره إلى نجران فأصابه عليه السلام وأصحابه الظمأ الشديد، وباتوا ليلتهم كذلك، وقيل لهم إنه لا ماء إلا بنجران، ثم أصبحوا وتيمموا لصلاة الفجر، وصدروا وقد أجهدهم العطش، وهم في أوائل الشتاء ولا يرجون ماء إلا على مسيرة يوم فبيناهم على ذلك إذ رأوا عند طلوع الشمس شيئا من السحاب الرقيق أو الضباب، وهم لا يحدثون أنفسهم في ذلك الوقت بمطر، ثم تجلّى ذلك السحاب وهم على مسيرهم، فوقعوا على أمارات المطر، وكلما قربوا كثر ذلك حتى أفضوا إلى غدرات من الماء القراح فشربوا وحمدوا الله ومعهم شريف يقال له: إبراهيم بن فتيح، فقال: كنت الليلة قد ساء ظني ثم قلت في نفسي داعياً: اللّهم بيِّن لنا أمر هذا القائم برحمة منك فإن يسَّرت لنا ماء من السماء فهو الذي نرجوا ونأمل، وإن لم تيسره فليس به، وأقسم على نفسه بصيام سنتين، لقد أسرّ ذلك[3].

وروي أنه عليه السلام كان في بيت بوس، وقد صلّى صلاة الجمعة في مسجد بيت بوس، فلما فرغ من الصلاة والناس يزدحمون عليه وينظرون إليه ويستمعون مواعظه وكلامه وفوائده، فدخل عليه شيخ كبير يقوده أولاده، فسلم وقرب من الإمام عليه السلام فشكا عليه الصمم في إذنيه، فنفث في أذنية ودعا له، ثم قام هو وأولاده إلى ناحية من جوانب المسجد فإذا به يشهد ويكبر، فقالوا له: مالك؟ قال: فإني سمعت في أذنَايَ إيقاظًا كإيقاظ الوضِف فإذا بي أسمع ما يقال ويُحَدَّث

(١) في (أ) مسكوباً.
(٢) الشافي ١/ ٣٤٤.
(٣) الشافي ١/ ٣٤٣.

به ، فحدَّثوه وكلموه[1] فحدثهم وأجابهم عن كل ما سألوه ، وإذا به قد صار سميعا بعد أن قد شهد أولاده أنه كان لا يسمع الجباجب ولا الأصوات العالية ، فعجب الناس لذلك عجباً شديدا .

ثم أتى إليه رجل آخر أعمى يقال له : جابر البصير ، فسلّم وجلس بين يديه وهو يريد أن يسأله هبة جربة وصية في بلده ، وظن الإمام أنه أتاه ليمسح على عينيه ، فلما قرب من الإمام مسح له على عينيه ودعى الله تعالى ، فرد الله تعالى في عينيه النظر ، فنظره ونظر من حوله فقال : إني لم آتك لهذا فعادت الظلمة في بصره كما كانت ، وأقر بذلك وأخبر به ، حتى عرفه المخالف والموالف ، وكان الرجل من المطرفية الكفرة الشقية فلذلك قل يقينه فسمرت به السمار ونظمت فيه الأشعار فمما قيل في ذلك من الشعر قول القاضي الحميري من قصيدة أولُها :

يا ابن بنت النبي كل لسان ... ما دح ما يكون مدح لساني

ظهرت فيك معجزات كبار ... لم نخلها تكون[2] في إنسان

لم نُخبَّر عنها سماعا ولكـ ... ـنّا رأينا يقينها بالعيان

تبرئ الأكمه العليل وتشفي ... بشفا الله أعين العميان

وتسوق الحَيَا إلى حيث ماكنـ ... ـت وتجري الأنهار في الغيطاني[3]

هبك تشفي عمَى القلوب بعلمٍ ... فبماذا تشفي عمَى العميان

غير أن الوليَّ لله لا تنـ ... ـكر فيه خصائص الرحمن[4]

وروي أنها وجدت ورقة من ورق الذرة وفيها مكتوب بالحمرة خلقة : لا إله إلا الله محمد رسول الله الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان . قال راوي

---

(١) في (ب ، ج) محادثوه .

(٢) في (أ) تكنّ .

(٣) في (أ) الأعيان .

(٤) الشافي ١/ ٣٤٤-٣٤٥.

ذلك وكان عدلاً رضًى، وأثنى عليه ثناءً قد ذهب عني لفظه وذلك في وقت قيامه عليه السلام ووجد ذلك الصنّاع الذين أمرهم بعمارة مسجده بناحية تلمص. روينا ذلك عن شيخنا محيي الدين حميد بن أحمد رحمه الله تعالى[1] عن حنظلة بن أسعد ابن عرابة وهو[2] الذي وجد الورقة الذرة.

وروي أن غلاما من مذحج يقال له: دهمش وكان رئيسا شجاعا شابا جاهد بين يدي الإمام المتوكل على الله عليه السلام في بلاد يام، فاستشهد صابرا محتسبا ومات عند القتال، وكان قبل ذلك مسترسلا فبقي أهله يتأسفون عليه من النار، فَرُضِخَت صَبِيَّةٌ صغيرة ابنت ثلاث سنين بحجر فَشُدِخَ رأسها فقالت وهي تجود بنفسها: لا تقبروني مع الكبار الكفار أهل النار واقبروني مع الصغار أهل الجنة، وإن دهمشاً من أهل الجنة وعليه صيام شهر رمضان، وهي لا تعرفه ولا تعرف ما عليه، فلما وصل الإمام إلى بلد الغلام أمرت إليه والدة الغلام فقالت: إن دهمشًا كان أفطر شهر رمضان أفأصوم عنه أم ماذا أصنع؟ فعجب الناس من ذلك[3].

وروي أن الإمام عليه السلام لما خرج لحرب صعدة - لما نكث أهلها أيمانهم ونقضوا عهودهم في عسكر عظيم من خولان وهمدان، حكّى مصنف سيرته وكان ثقة: أن العسكر كانوا عشرين ألفاً بين فارس وراجل، فلما علم أهل صعدة بإقبال الجنود كبسوا الآبار وتركوا في بعضها الجيف، فأشفقت جنود الإمام من الظمأ، ففزع إلى الله تعالى ودعى بالغياث فأنشأ الله سبحانه سحابةً وكان ذلك الوقت حزيران فمطرت مطرا لا يظن بمثله أنه يسيل، وعسكره بإزاء مكان ما كاد يصلهم إلا الشفان حتى أتاه البشير يعلمه بنزول سيل عظيم حتى أحاط بمدينة صعدة

---

(١) في (ج)محمد بن أحمد، وقال في لوامع الأنوار ٢/ ٤٤: وله الاسمان.

(٢) وهو: ساقطة من (أ).

(٣) الشافي ١/ ٣٤٥.

وبإزائها حفر عظيمة يجاوز بعضها حد البرك الواسعة فامتلأت ماءً قراحاً عذبًا سمهجًا، وكان فيه شيء من البرد، فتقدم بعساكره المنصورة فحارب مدينة صعدة فقهرها وأخذها عنوة وتغنمت الجنود منها أموالا جليلة وأخربها، وما زال ذلك العسكر على كثرته مستريحا في تلك المياة العذبة الهنية مدة إقامته، وقد ذكره في شعر له على قافية البا: نصرت بالسيل... إلخ[١].

ذكر مدته وانتصابه للأمر ونهاية عمره وموضع قبره عليه السلام:

أنشأ عليه السلام دعوته في سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وكان قيامه في شدة في البلاد ونفور من أكثر الناس، فأقام على تلك الحالة مدة مديدة يدعو الناس إلى الرشاد ويبايعهم حتى انتظم له الأمر أولاً في صعدة وأعمالها ونجران، ثم في الجوف والظاهر، وانتشر حسن سيرته في أقطار اليمن واشرأبت قلوب الناس إليه فوصلت إليه المكاتبة من صنعاء يستدعونه إليها فأجاب عليه السلام بقوله:

أنشرٌ سرَى[٢] ينشئ من الروض أفنانا	ومسكا وكافورا وروحا وريحانا
أم الجوهر الشفاف أم سلك لؤلؤ	تضمن ياقوتاً ثمينًا وعقيانا
أم العنبر الشحري أم طرس ماجد	حسبناه لما أن فضضناه بستانا
أرقُّ من الماء المعين معانيا	وأبهر من نور الغزالة برهانا

ومنها:

فعمَّا قليل نملأ الأرض كلها	بتوفيق رب العرش عدلاً وإحسانا
ونجمع شمل العدل بعد افتراقه	وننفي من البلدان جوراً وعدوانا
ونترك أحزاب الضلالة والخنا	هباءً ونروي السيف من كل من خانا
ونجعلهم دون الأنام جميعهم	على من طغى في الأرض نصرا وأعوانا

(١) الشافي ١/ ٣٤٥.

(٢) في (ج) مصلح أنسرٌ سرى.

وركنًا منيعـــا لا يرام مـــرامـــه وحصنا حصينا في الزمان وجيرانا

ثم أقام عليه السلام مدة وانتهى إلى الجوف وعمد موضعا يقال له : المقيلد من مآثر الجاهلية فأثار العمارة فيه في سنة خمس و أربعين ، فوصل إليه خلق كثير من أهل الشرق والمسلمين زهاء ألف وأربعمائة رجل إلى المقيلد فأقاموا عنده ثمانية أيام يسألون عن المشكلات ويتصفحون أحواله وطرائقه ، ثم بايعوه بعد ذلك وطلبوا منه النهوض إلى اليمن فوافقوا منه بغية كان يقصدها وضالةً كان ينشدها من إرغام أهل الظلم والفساد ، فنهض عليه السلام حتى انتهى إلى بيت بوس وأقام فيه مدة أيام ، ثم بعث رسله إلى جهات اليمن ودعوا الناس إلى طاعته وبيعته ، فبايع الناس في بلاد مذحج وبكيل ومقرا وغيرها ، وواعدهم للنهوض في شهر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، فوقف عليه السلام حتى وصل لميعاده قبائل ضخمة يقودها رؤساؤها وأكابرها من جنب وعبس وزبيد وغيرهم ، وساروا من فورهم بعد أن نزل الإمام عليه السلام إلى السهل للقائهم حتى قصدوا صنعاء ، وفيها عساكر كثيره من همدان قد جمعهم السلطان حاتم بن أحمد ؛ فدخلوا قهرا بعد قتال شديد ، وكان الإمام عليه السلام قد تخلف يومه ذلك في بيت بوس ، حتى كان اليوم الثاني أقبلت العساكر إلى بين يديه فنزل نحو صنعاء في عسكر ضخم فنظم أمورها وأصلح جمهورها وأقام الحدود ، وشرب رجل من أهل صنعاء الخمر فأمر بجلده ؛ فأبلغ آلآفا[1] من الدنانير ضريبة الوقت ولا يجلده ، فما ثناه ذلك عن إقامة الحد عليه ، والناس يَفِدُون إليه من كل ناحية وهو يأمر بالولاة معهم واتسقت له الأمور كذلك .

وكان من عجائبه عليه السلام وقد تقدم إلى ذمار في بعض أيامه فبيناهم يسيرون

(١) في (ب) ألفاً .

في بعض طريقهم غشيهم نور ساطع يميل إلى الصفرة، فقال لأصحابه: هل ترون ما أرَى؟ فقال له قائل: قد رأيت يا مولانا نورا زائدا فكأن الثياب البيض مثل الثياب المُسَحَّمَة[1] بالصباغ فعجبوا من ذلك، وتموا في طريقهم حتى كان اليوم الثاني ولقيهم جماعة من أهل البلاد فقالوا: أين كنتم بالأمس عند الهاجرة؟ فقالوا: في ذلك النقيل في رأس الوادي، فقالوا: فإنا رأينا في ذلك الموضع نوراً عظيما في تلك الساعة.

ومن أيامه عليه السلام المشهورة يوم غيل جلاجل وذلك أن قوما من يام الخانق أظهروا مذهب الباطنية، وكان لهم مأذون قد أظهر إلحاده؛ فأعمل الإمام عليه السلام الحيلة في قتله فَقُتل، واستمروا على إظهار المنكرات وارتكبوا[2] الفواحش العظام واطَّرحوا شرائع الإسلام حتى روي أنهم رموا قوما على قولهم الحمد لله.

وكانت لهم ليلة تعرف بليلة الإفاضة، يجتمع فيها الرجال والنساء ويفضي بعضهم إلى بعض، وجاءت امرأة منهم جَزَّت ذوائبها بين يديه، وأخبرت أن ولدها غشيها في هذه الليله، فغضب الإمام عليه السلام وتجهز للخروج فنهض إلى الشام، فوصل إلى بلاد بني شريف وسنحان، ودعاهم إلى جهاد يام والخروج إليهم، واتعدوا للمخرج في شهر جمادى الأولى سنة تسع وأربعين، ثم أقبلت نهد وجنب وخثعم فقصدوا وادعة ويام، وقد لزموا جنبتي الوادي بغيل جلاجل في كل قابلٍ مائة فارس وألف راجل، فوقع القتال الشديد وهُزِمَت عساكر الباطنية، وقُتِل منهم جماعة كثيرة وانهزموا؛ فعاد العسكر المنصور إلى محطتهم بالغنائم الكثيرة، فباتوا ليلتهم، وكان من الغد تبعوا الدروب يخربون ويحملون ما يجدون فيها من الطعام والأثاث؛ فأقاموا على ذلك ثلاثة أيام يخربون دروب

---

(١) السحمة: السواد. قاموس، مادة: سحم.

(٢) في (أ): وأظهروا.

الغيـل والأرنب[1] وأجلا أهل الغرير والخانق وهداده عنها وانهزموا ، وكذلك أهل الجفة والحمرة فوصلوا نجران وأقفرت بلادهم وخلت عن أهلها وهي قدر مسيرة ثلاث مراحل . وكانت وقعة غيل جلاجل في أول رجب سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

وفي هذه الوقعة يقول الإمام عليه السلام :

الله أكـــبـــر أي نصـــر عـــاجلٍ	من ذي الجلال بفتح غيل جلاجل
كم منَّة مِنْهُ عليَّ ونعـــمـــة	وسعـادة تترى وفضل فاضل
حـمـداً له عـدد الزمان وعدة النّـ	ـعمـاء والنَّفَس الكثير الحائل
كـفـرت به يام ووادعــة مـعـاً	وتجـبَّـروا وتمسكوا بالباطل
وأتوا من الفحشاء كل كبيرةٍ	فـعلاً وقولاً فوق قول القائل
وأتوا[2] بدين الباطنية وهو من	دين المجوس وفوق جهل الجاهل
فعمدت خانقهم بسنحان الأولى	وبني شريف أهل كل فضائل
فأتت عيونهم وقالوا : كـذبة	مـا دون مـا يبغونه[3] من حائل
فاستعضلوا[4] حتى تنازع حزبهم	ووقفت في أعقابهم والحائل
فتمكنوا من أرضهم ومتاعهم	من بعـد قـتلٍ ثم هدم منازل
وغـــدت رجـــال منهم لغنائم	من بعد ذاك فقتلوا بالقابل
ثم انثنينا مـسـرعين وصـدنا	والكل منا كالنعام الحافل
فعتوا عليَّ وأطلقوا أشداقهم	وتفرقوا بشقاشق وبلابل

---

(١) الأرنب : قرية من قرى وادعة .

(٢) في (ج) دانو .

(٣) في (ب) ما يبغوا به .

(٤) في (ج)فاستعجلوا .

وطغـوا وتاهوا ثم قـالوا جـهـرة ... يا ناس مـا أحـدٌ لنا بممـاثل
فَخَروا عليّ وأكثروا وتوعـدوا ... فخر البهام على الهزبر الباسل
كم شامتٍ أبدى شمـاتته وكم ... من حاسد أبدَى الكلام وخاذل
وأنا الذي عرفوه لستُ بعاجزٍ ... عمـا نهضتُ له ولست بخامل
وسماحتي وفصاحتي وشجاعتي ... وطبائعي معروفة وشمائلي
فدعوت أبطال الحجاز فبادروا ... وأتت إليّ عساكري وجحافلي
ودعوت ذا العليا منيفا دعوة ... فأجاب كالسبع الفروس الصائل
وله مكارم من أبيه وجده ... مشهورة وسمت بعزٍ طائل
هم روس قحطان وذروة مذحج ... ما أيُّ قحطان لهم بمشاكل
وفوارس من خثعم أكرم بهم ... وصلوا من البلد البعيد الراحل
وأتى ابن جابر عندما ناديته ... بالخيل يجري ليس بالمتثاقل
لما توافَى جندنا يممتهم ... بلد العدا ووطأتهم بكلاكل
وقصدتهم في أرضهم فتركتهم ... جَزَرَ السباع وطعمة للآكل
أخليتهم من أرضهم وبلادهم ... ولعلها تأتي ثلاثَ مراحل
وحصونهم معدودة معروفة ... مئتان قد حسبت وأي معاقل
إني بحرب[1] الباطنية قائم ... وأنا لهم ضد ولست بغافل
كم قد ظفرت بهم فلم أظلم وكم ... جاشت بحرب الكافرين مراجلي
إني دمارُ الفاسقين وإنني ... للظالمين كمثل سمٍّ قاتل
وعلى يديَّ هلاكهم ودمارهم ... إني[2] عليهم كالقضاء[3] النازل

---

(١) في (ب ،ج) لحرب.
(٢) في (ب) آتي .
(٣)في (ب) بالقضاء .

يرجون أن حصونهم تنجيهم	وحصونهم لهم ككفة حابل
ولسوف أنفيهم بعون إلهنا	حقا وألحقهم وراء الساحل
الله أيدني بنصر معجز	بصواعق أفنيتهم وزلازل
يا قوم فاعتبروا بذاك وأبشروا	فلقد ظفرتم بالإمام العادل
ما بعد ما عاينتموه شبهة	لمميِّز في أمره أو عاقل
ثم الصلاة على النبي وآله	خير الملا من راكب أو راجل

ومن أيامه عليه السلام **الغر المحجلة** يوم الشرزة وذلك أنه عليه السلام جمع ألفا وثمانمائة فارس من قبائل يعرب ومذحج وجنب وعنس وزبيد في شهر شعبان سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، ونهض حاتم بن أحمد من صنعاء بمن معه من همدان وجنب وسنحان في تسعمائة[1] فارس كلها معدة، وعشرة آلاف راجل فيها ثلاثة آلاف قائس، فلم يكن رحل الإمام عليه السلام إلا قليل؛ فرتب عليه السلام عسكره: الميمنة والميسرة وكان في القلب ومن معه من الأشراف والشيعة؛ فتنازل الناس وقاتل عليه السلام قتالاً شديداً وصار يقصده جماعة من الشجعان لأنه بغيتهم، فقال عليه السلام عند ذلك: اللّهم إنه لم يبق إلا نصرك، وقال في نفسه: إن ظفر القوم اليوم بنا ظهر مذهب الباطنية وارتفع في جميع البلاد وهدم الإسلام والمسلمون، فعند ذلك أرسل الله تعالى ريحًا عاصفًا من الشرق، فقابلت وجوه أعدائه فاستبشر الإمام عليه السلام وقال: إنها ريحهم فاحملوا ثم حمل من نهجه؛ فانهزم القوم فأعطى الله النصر ومنح القوم أكتافهم، فلم يزل الطرد فيهم والقتل الذريع حتى انجلت المعركة عن خمسمائة قتيل وخمسمائة أسير وقريب من ذلك، ولم تزل الهزيمة في همدان إلى صنعاء، ثم انهزموا من صنعاء وتغلقوا الحصون، وعاد الإمام عليه السلام بعسكره إلى محطتهم فأقاموا بها ليلتين، ثم تقدم الإمام عليه السلام إلى نحو صنعاء وقد

---

(١) في (ب، ج) سبعمائة.

كان أمَّن أهلها فحط بالقرب منها ، ولم يدخل بالعسكر خوفا من مَعَرَّتِهم بأهل المدينة ، ثم أمر بخراب درب غمدان الذي عمره حاتم بن أحمد ، وكانت فيه عناية أكيدة جدا فعفيت آثاره ، وبعد هذه الوقعة خضعت له عليه السلام الملوك الأكابر وذلت له الليوث القساور ، وأقام عليه السلام في ناحية بيت بوس حتى بذلت فيه الأموال الجليلة من حاتم بن أحمد إلى مائة ألف من محمد بن سباء صاحب عدن سوى الأطيان وغيرها فسلم الله من مكرهم ، وفي هذه الوقعة يقول القاضي محمد بن عبدالله الحميري رحمه الله وكان من أوليائه عليه السلام في عيد الفطر وقد عيّد بهجرة سناع :

تهنى[1] بك الأعياد إذ أنت عيدها ... وإذ أنت منها بدرها وسعودها

سبقت إلى غايات كل فضيلة ... بعلياء تبديها لنا وتعيدها

أقمت منار الدين يا ابن محمد ... وصرت كمثل الشمس بادٍ عمودها[2]

فأشرقت الآفاق منك بغُرَّة ... كثير لرب العالمين سجودها

ألست الذي أحييت دين محمد ... وأسيافه مُذْ كلٍّ منها جديدها

ألست الذي ذكَّرتَنَا وقعاته ... وبيض الليالي قد محتها وسودها

بنجران والغيل الشهير وصعدة ... وصنعاء والجوفين باقٍ[3] شهودها

ويوم نهضنا من ذمار بخيلنا ... وزيد بن عمروٍ يوم ذاك عميدها

كتائب من جنب بن سعد ومذحج ... تعادَي بهم خيل خفاف لبودها

يهزّون أطراف الوشيج كأنما ... عليها سيوف فارقتها غمودها

فلما وصلنا نجد شيعان أقبلت ... علينا الأعادي كهلها ووليدها

وظنوا ظنونا في الخلاء كذبنهم ... أليس عن الأخياس تحمي أسودها

---

(١) في (أ) يهني ، وفي (ب ، ج) تهني .

(٢) في (ب) عمومها .

(٣) في (ب) بادٍ ، وفي (ج) بان .

ولما أطل الموت واشتجر القنا ... ودارت رحاها واشتتب[1] وقودها
ركزت لهم صدر القناة كأنما ... جبال ثبير ثمَّ أرسا ركودها
وقلت لمرّ النفس صبراً فهذه ... حياض الردى حقا وأني[2] ورودها
فإن لم يكن نصر وإلا شهادة[3] ... تكون خلاصا لي فتلك أريدها
وواساك من أهل الديانة عصبة ... كثير إذا شدَّت قليل عديدها
فليت قبورا بالمدينة بشرت ... بما فعلت من بعد حين جنودها
صعقنا عليهم صعقة[4] مذحجية ... فكادت لها تلك الجبال تميدها
فيا للأكام السود لولا صعودها ... لقد كادت الأبطال جمعا تبيدها
فخمس مئين حُزَّ منها وريدها ... وخمس مئين ثقّلتها قيودها
وطاروا إلى روس الجبال[5] شلاثلا ... من الخوف فيها خافقات كبودها
وسرنا لغمدان المنيف فأصبحت ... ذوائبه في الترب ثاو مشيدها
وأضحى ابن عمران المتوّج حاتم ... يقول ألا عفواً فلست أعودها
وأنت بنفس لا يزال نفيسها ... إلى كل مجد أو طعان يقودها
فيا ابن أمير المؤمنين ومن له ... سوابق مجد ليس يحصى عديدها
إذا طلبت همدان منك إقالةً ... وسنحان يوما واستقام أويدها
فعُدْ لهم بالصفح منك وبالرضى ... فلن يبلغ الغايات إلا معيدها
وحاشاك أن تنسى السوابق منهم ... وما فَعَلَتْهُ في القديم جدودها
أتعلم أن الحق قام بنصره ... إلى الآن قحطان ابن هود وهودها

---

(١) في (أ)وأنشأبت .

(٢) في (ب) فأين.

(٣) في (ب) وإلا منية.

(٤) في (ب): صفعنا، صفعة.

(٥) في (أ): الحبائل.

وتعلم قحطان وهمدان إن عصت	مـقـالك إنَّ اللّه وهناً يزيدها
فقُد جمعها يا ابن النبي إلى الهدَى	فليس يقـود القـوم إلا رشـيـدها
فما اجتمعت[1] خيل الطعان بمشهد	تكون به إلاَّ وأنت وحـيـدها
ولا اعتركت خيل وخيل طعائن	بحَـرِّ القنا إلا وأنت تحيدها
ولا اجتـمعت يوما نزار ويعرب	بمجـتـمع إلا وأنت تسـودها
وإنك لَلْمنصـور من آل هاشم	ومـا بعـدها من غاية تستزيدها
وكل أناس أعرضوا عنك وامتروا	فمـا هم من الإسلام إلا يهودها[2]
فـدمت مـدى الدنيا لأمة أحمـد	تشـد لهـا أركـانهـا وتشـيـدها

ومن أيامه عليه السلام **المجَلّة** الحسانُ يوم قَصَد زبيد في سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة، فلما[3] وصلها عليه السلام أقام فيها ثمانية أيام، وكان أميرها يومئذ فاتك ابن محمد بن جياش، وكان فاسقاً خبيثاً يغلب عليه الخنا والفساد في نفسه، حتى روي أنه كان له بريمان[4] في بطنه كالمرأة، فعني الإمام عليه السلام في هلاكه بعد بذل مال جليل في سلامته فأقسم بالله لو أعطى ملك زبيد كله ما أفداه[5] وذلك أنه قَتَله حداً لقول النبي صلى الله عليه وآله: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوه» فراوده أصحابه على أخذ المال وقالوا إنه لبيت المال، فقال قد نزهت نفسي عن الطمع عند أهل زبيد، وقد كنت قلت لهم: إني لا أسألكم عليه شيئا وتلوت قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلا عَلَى اللَّهِ**﴾ [سبأ :٤٧] ثم نهض بهم وكان القواد يعطون العساكر كفايتهم، فقال

---

(١) في (ب) إذا اجتمعت.

(٢) في (ب، ج) تقدم هذا البيت على الذي قبله.

(٣) في (ب) ولما.

(٤) البريم: هو ما تشده المرأة على وسطها وعضدها. قاموس ١٣٩٤.

(٥) في (ب) لاأفدي.

الإمام: أما أنا فلا أقبض منكم شيئا كفاية ولا غيرها ، وكان معه ومع أصحابه زاد فلما فرغ الزاد كان يأمر من يشتري له الطعام ويأمر من يطحنه [1] وكانت حاشيته مقدار ستين رجلا وولّى على زبيد واليا [2] من جهته ، وعاد مُسلّماً منصورا قد أرضى الله سبحانه عز وعلا ، ولم يزل عليه السلام في جهاد بعد جهاد وجلاد عقيب جلاد حتى أشمخ الحق قباباً ، ومدّ له أطنابا ، شيّد للإسلام في الأرض العز بنيانا ، وأعلى له أركانا ، وكانت كثير من وقعاته على الباطنية الملحدة أقماهم الله تعالى حتى دمرهم تدميرا ، وأنزل بهم ويلا وثبورا ، بعد أن كانت قد تسعرت نارُهم ، وسطع شرارهم ، فطمس الله بحميد سعيه عليه السلام ربوعهم ، وفرّق جموعهم ، وكانوا بين قتيل وطريد تصديقا لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان وليًا من أهل بيتي ، موكّلاً يعلن الحق وينوره ، ويرد كيد الكائدين» فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله . ولم يزل دأبه عليه السلام في نشر الدين ، وإعلاء كلمة الحق اليقين ، وقمع الملحدين ، وطمس آثار المعتدين [3] حتى تجلّى الحق وسطع نوره ، وتضوّع مسكه وكافوره ، واستطار أمره في اليمن من صعدة ونجران ، وبلاد وادعة وسنحان وشريف ، وبلاد خولان والجوف والظاهر وصنعاء وأعمالها ، وبلاد مذحج ونواحيها ، وخطب له بخيبر القاضي الفاضل عبيد مولى علي عليه السلام ، وخطب له بينبع الشريف السيد الشهيد الحسن بن عبدالكريم الحسني رحمه الله ، ونفذت ولايته إلى السيد علي محمد العربوني [4] رحمه الله بالجيل ، وكانت مدة ولايته عليه السلام ثلاثًا وثلاثين سنة ، وأصابه العمى في آخر عمره ، وأسره فليته بن قاسم القاسمي ، وغضبت رجال همدان عاصيها ومطيعها

---

(١) في (ب ، ج) يطبخه .

(٢) في (ب ، ج) على زبيد والناس من جهته .

(٣) في (ب) الملحدين .

(٤) في (أ) العربوي

حتى قرامطتها لحبسه ، وأنفوا أشد الأنفة فنزلوا على فليته بن القاسم متشفعين في أمره وقصدوه بشعر يقولون فيه :

نحن بني هاشم لكم خدم ... بحبلكم نلتوي ونلتزمُ

أنتم لنا كعبة نلوذ بها ... وسوحكم من جهاتها حرمُ

فلا تردّ الوجوه عابسةً ... عنك وقد قابلتك تبتسمُ

فنزل إليهم فليته فأقسموا لا برح حتى يخرج الإمام عليه السلام فأخرجه على كره منه .

وتوفي عليه السلام في شهر ربيع سنة ست وستين وخمسمائة بحيدان من أرض خولان ، وقبره مشهور مزور . ومولده سنة خمسمائة من الهجرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام[1].

ومما رثي به عليه السلام:

أعينيّ جودا بالدموع السواجم ... على أحمد المنصور من آل هاشم

إمام الهدى مولى الأنام جميعهم ... سقى جدثا وآراه صوب[2] الغمائم

تزلزل ركن المجد يوم وفاته ... وثلّت عروشات العُلى والمكارم

لقد جل رزء المسلمين وأصبحت ... ربوع المعالي وحشة كالمآتم[3]

لقد فتكت أيدي الحمام بأوحد ... له شرفٌ فوق النجوم العوائم

فيا موت مَنْ للمشكلات إذا غزت ... ومن يرتجى يوماً لدفع العظائم

ومن ذا يقود الخيل شعثاً عوابساً ... فيوردها بحر القنا والصوارم

عليها من الأبطال كل سُمَيدع ... تعوّد في الهيجاء ضرب الجماجم

ومن تخفق الرايات فوق جبينه ... كأجنحة الطير العطاش الحوائم

---

(١) طبقات الزيدية الكبرى ١/ ١٣٥ .

(٢) في (ب) وبل .

(٣)في (ب) كالمآتم .

ومن يملأ المحراب نورا وبهجة | وخير مصلٍّ في الأنام وصائم
ومن ذا يلاقي الألف في حومة الوغى | فيكبس فيها مثل ليث ضبارم[1]
ومن لعلومٍ كان مُغرًا بنشرها | يقصر عن إدراكها كلُّ عالم
ومن يحفظ الإسلام أم من يحوطه | بسمر العوالي والرقاق الخوادم
ومن ذا يحامي دون شيعة أحمد | ويدفع عنها كل ضد مقاوم
ويمنعها من كل ضيمٍ ينالها | ومن كان عن تدبيرها غير نائم
كأنَّ حياة المرء بعد وفاته | وعيشته في الناس أضغاث حالم
أبا حسن لم يبق بعدك في الورى | جدير بحمل المعضلات الجسائم
أبا حسنٍ ما كنت وحدك ميتا | ولكنه قد مات كل العوالم
أبا حسنٍ لو يَقْبلُ الموت فديةً | فديناك بالأرواح يا ابن الأكارم[2]
عليك أمير المؤمنين تحية | تزورك عني يا سليل الفواطم
وصلى عليك الله ما لاح بارق | وما غرّدت في الأيك ورق الحمائم

أولاده عليه السلام: المطهر الأكبر كان من عباد الله الصالحين مات في حياة أبيه سنة ست وخمسين وخمسمائة ، وفيه يقول السلطان علي بن حاتم :

ألا ليت مولانا المطهر إذ ثوى | بصنعاء ما زمت إلينا ركائبه
وليت علي الألغزي بن حاتم | فداه بما يحوي وما هو كاسبه

ومطهر الأصغر ، ويحيى ، ومحمد ، وسليمان ، وفليته ، وقاسم ، ومحسن وابنتان[3].

◆ ◆ ◆

---

(١) الضّبارم : الأسد والرجل الجري على الأعداء . القاموس ص١٤٦٠ .

(٢) في (أ) : البيت متقدم على البيت الذي قبله .

(٣) في (ب ، ج)بسقط وابنتان .

الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة عليه السلام[1]

هو أمير المؤمنين أبو محمد عبدالله بن حمزة الجواد بن سليمان البر التقي ابن حمزة النجيب بن علي المجاهد بن حمزة الأمير القائم بأمر الله بن الإمام النفس الزكية أبي هاشم الحسن بن الشريف الفاضل عبدالرحمن بن يحيى نجم آل الرَسُول ابن أبي محمد عبدالله العالم بن الحسين الحافظ بن الإمام ترجمان الدين القاسم ابن إبراهيم الغمر طباطبا بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضى ابن الحسن السبط سيد شباب أهل الجنة بن أمير المؤمنين سيد العرب علي بن أبي طالب سيد قريش عليهم السلام[2].

نسب كأنَّ عليه من شمس الضحى ردأً ومن فلق الصباح برودا

وأما أمه عليها السلام فهي الشريفة الفاضلة زينب بنت إبراهيم بن سليمان من ولد الإمام محمد الخارج بتاهرت من أرض الغرب واستقام أمره، وكان يركب الحمار ويلبس الصوف، وأبوه الإمام يحيى بن عبدالله عليهم السلام .

وهو عليه السلام من دوحة بسقت في سماء المجد والعُلا، وأثمرت ثمرا حلو المجتنى، اكتسبت النضارةَ أغصانُها، ولبست البهجةَ أفنانُها، واقترنت بغرائب العلم، وتفتقت كمائمها من عجائب الفهم، ظاهرة البركة للعالمين، تؤتي أكلها كل حين، مباركة شافية زاكية نامية، قطوفها دانية .

---

(١) أنظر سيرة الإمام عبدالله بن حمزة لأبي فراس بن دعثم بتحقيق عبدالغني محمود عبدالعاطي، أئمة اليمن ١/ ١٠٨-١٤٣، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ٤٣، الترجمان «خ» مآثر الأبرار «خ» اللآلي المضيئة «خ» غاية الأماني ١/ ٣٢٩-٤٠٦، التحفة العنبرية «خ»، التحف شرح الزلف ٢٤١-٢٤٩، أعلام المؤلفين الزيدية ٥٧٨-٥٨٦ تاريخ اليمن الفكري في العصر العباسي ٣/ ٣٧-١٦٢، الأعلام ٤/ ٢١٣، معجم المؤلفين ٦/ ٥٠، الجواهر المضيئة «خ». مصادر الفكر العربي الإسلامي في اليمن ٥٣٩، والمقتطف من تاريخ اليمن ١١٦ - ١١٧، ونسمة السحر ٢/ ٣٢٢، والغدير ٥/ ٣٩٦.

(٢) التحف ٢٤١.

قيل ليحيى بن معاذ رحمة الله عليه: ما تقول في أهل البيت عليهم السلام؟ فقال: ما أقول في طينة عجنت بماء النبوة، وغرست بأرض الرسالة، فهل ينفح منها إلا ريح الهدى، وعنبر التقى، وما ظنك ببيت عَمَرَه التنزيل، ومدحه الملك الجليل، وكانت تمائم أبويهم من زغب ريش جبريل (ع)، من ذا يدانيهم أو يساويهم؟. ثم قيل فيهم:

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

يُستدفع السوء والبلوى بحبهم ... ويُستدام به الإحسان والنعم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم ... في كل شيء ومختوم به الكلم

إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل: من خير أهل الأرض؟ قيل: هم

لا يستطيع جواد بعد غايتهم[1] ... ولا يدانيهم قوم وإن كرُمُوا

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت ... والأسد أسد الشرى والبأس يحتدم

يأبى لهم أن يحل البخل ساحتهم ... خيم كريم وأيد بالندى لهم[2]

هذه عناصره عليه السلام الشريفة وجواهره العالية المنيفة.

ولد عليه السلام بعيشان من ظاهر همدان في شهر ربيع الآخر لإحدى وعشرين ليلة خلت منه سنة إحدى وستين وخمسمائة.

وروي أنه عليه السلام عند ولادته ازداد ضوء المصباح وعلا علوا يتجاوز المعتاد حتى بلغ دُوَيْنَ السقف واستقام على ذلك، وأسنده مصنف سيرته عليه السلام إلى الشيخ عواض بن مسعود رحمه الله، رواه عن المرأة التي حضرت الولادة.

وكان أبوه حمزة بن سليمان عليه السلام قد رأى في شأنه منامين: أحدهما أنه رأى كأنَّ رجلا عظيم الشأن في منزلة عالية، عليه هيئة وجلالة وتعظيم عند الناس،

---

(١) في ديوان الفرزدق «جودهم».

(٢) للشاعر الفرزدق في مدح الإمام زين العابدين ديوان الفرزدق ١٨٠-١٨١.

فسأل من هذا ؟ ففهم من الجواب أنه ولدك واسمه عبدالله ، فلما ولد عليه السلام أتى البشير إلى والده فقال له : أما إن كنتَ مبشّراً بعبدالله فقد سبقك غيرك ، فلما وصل إلى منزله سألته زوجته أن يسميه عبدالله فحكى القصة .

والمنام الثاني: أنه رأى أنه ظهر منه نور يملأ الأرض كلها فعبَّره على جدته الشريفة الفاضلة سيدة بنت عبدالله الحرازي فقالت له : اكتم ذلك ، فقد قيل : إنه لا بد أن يظهر منك أو من ابنك المنصورُ أو من يدل عليه ، ثم عبَّرها على رجل وهو يتعجب منها فلما استكملها قال : أبشر يا حمزة بإمام من ذريتك ، فصدق اللّه منامه .

وكان والده حمزة بن سليمان أتاه قوم من بني صُرَيم ثم من الأجارم ثم من أهل عرار [1] يطلبون منه القيام والمدافعة عنهم على ابن حاتم بن أحمد لَمَّا ملك أرضهم فقال : لا فرج لكم على يديَّ وإنما فرجكم على يدي هذا الصبي وهو بين يديه ابن العشر السنين أو دونها ، سمعنا ذلك عمن رواه عنه عليه السلام يروي ذلك .

وكان حمزة من فضلاء أهل عصره وعيونهم له معرفة بأنواع العلوم ، كان قد أقام مع القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد قدس اللّه روحه ، وكان يروي عن القاضي : أنه يصلح للإمامة ويقول : لو دعا لأجبنا دعوته ، وكان معروفا بالسخاء والمروة والطهارة والعبادة والشجاعة ، ومن سخائه أنه لقيه ضيف ولم يكن معه شيء ، فعمد إلى ردائه ، فشقه واشترى له طعاما به ، وفيه يقول الإمام المنصور باللّه عليه السلام في كلمة له لما لامته امرأته في سماحته فقال مفتخرا :

فــإن أبـي أوصى بنيـــه بخطه ... ولست بناس للوصــيـــة من أبي
وباع تراثا من أبيـــه لضـــيــفـــه ... وشق فضـول البـرد غيـر مكذب

ومن ورعه ما أخبرنا به بعض الإخوان كثرهم اللّه عن الإمام المنصور باللّه

---

(1)في (ج) : من بني حريم من الأجارم من أهل نجران .

أنه ضرب في رجله يوم الشرزة فبقي عقيرا، فمرت به دواب ما استجاز الركوب على أحدها -وفي تلك الحال الرخصة جائزة.

وأما سليمان بن حمزة فكان فاضلاً عالماً ورعًا وحيدًا في عصره.

روى مصنف سيرة الإمام عليه السلام بإسناده إلى الشريفين الأميرين الفاضلين يعقوب وإسحاق ابني محمد بن جعفر رحمهما الله تعالى: أنه لما أتاهما خبر نعي سليمان بن حمزة قالا: الآن يأسنا من القائم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عصرنا فقيل لهما: وهل كان يصلح لهذا الأمر؟ قالا: نعم كان له أهلاً.

وأما حمزة بن علي فإنه مات غلاما صغيرا قد بلغ العشرين وافدًا من جهة أبيه إلى حرض على الأمير غانم بن يحيى الحسني.

وأما علي بن حمزة رضوان الله عليه فكان من عيون أهل عصره وأفاضل أبناء دهره يؤهل للإمامة، ويصلح للزعامة، وهو أحد الخمسة الذين جمعهم عصر واحد يصلحون للإمامة، ذكر ذلك مصنف سيرة الإمام المتوكل على الله عليهم السلام، واتصلت به دعوة الإمام السيد أبي طالب الأخير عليه السلام بعد أن سأل عن أفضل أهل البيت عليهم السلام فأشير إليه وقبره عليه السلام بذيبين، وكان له حصن بُكُر، وكان عالي الصيت، نبيه الذكر يُقصد بالمديح، ويثيب عليه بالجوائز السنية.

فمما روي فيه قول شاعر وفد إليه من صنعاء يقال له علي بن زكري:

دع الشعر وامدح خير هاشم عنصرا	عليا حمام الضد عند التكافح
فتىً فاضلاً يسمو على الناس كلهم	بعلم وعقل في البرية راجح
غياث اليتامى مشبع الضيف باذل الـ	ـعطايا لغاد في الأنام ورائح
ترى الناس أفواجا لدى سوح داره	كحجاج بيت الله حول الأباطح

ولبعضهم من قصيدة يستنهضه للقيام يقول فيها:

وقَـابَلَتْ ذِيْبِينُ مَسـرورةً لما التـقت بالهـاشـمي العـتيقْ
أشْـوَسَ من غُـرِّ بني هـاشـم مـسـتنقـذ الجـاني وغـوث الغـريق
رَبّاه بـالجـود أبـو هـاشـم وحـمـزة البـر الكريم الشـفـيق
فـشب كـالصـارم في العـزم بل كـالبـحـر يلقـاك بوجـه طليق
لـم يصـبح الكأس ولا هاجـه نوح حـمـامـات بوادي العـقـيق
ولا دعـا السـاقي في سـحـرة أن هات صرفا من عصير المقيق
قم فـانعش الحق وأشـيـاعـه فـأنت بالمرجـو منه خليق

وأما حمزة بن أبي هاشم فهو القائم بأمر اللّه المحتسب في سبيل اللّه المنابذ لأعداء اللّه شهد بفضله المخالف والموالف، وقد ذكره الإمام المتوكل على اللّه عليه السلام في بعض رسائله على المطرفية الشقية في من ذكر من أهل البيت عليهم السلام الذين أنكروا مذهب المطرفية، وردوا عليهم. وكانت له مع بني الصليحي وقعات مشهورة ومواقف مأثورة.

وكان عليه السلام في بعض أيامه في مسجد حلملم وقد اجتمع أهل الطرف وأراد الصلح بينهم في أمور كانت، فأحدث واحد بالقرب من المسجد صوتا يريد تفريق الناس حتى ينصرفوا بغير صلح فلما سمعه حمزة قدس اللّه روحه قال: من هذا الذي غير محضرنا غير الله لونه، فأنزل اللّه به البرص في مجلسه عقيب دعائه عليه السلام ورآه الناس حتى وصار آية شاهدة بفضله وكرامته، ولم يزل مجاهدا حتى مضى لحال سبيله، وقتل في المعركة عليه السلام في المَنْوِي[1] آخر سنة تسع وخمسين وأربعمائة في أيام علي بن محمد الصليحي وكان عليه السلام يقاتل يوم قتله وهو يقول:

أطعن طعنا ثائرا غـبـاره طعن غـلام بعـدت أنصـاره
وانتزحت عن قومه دياره

(١) موضع في الخشم.

وفيه يقول شاعر المكرم:

وصرعن بالمَنْوي منكم سيدا قرما ولم أرضَ به أن يصرعا

وكان جيشه ألفا وخمسمائة فارس وخمسة عشر ألف راجل، ووقف عنده سبعون شيخا من همدان يجالدون معه حتى هلكوا، وقتل معه عشرة من رؤساء همدان كل واحد له عشرة ذكور وعشر بنات، وعجل اللّه تعالى انتقام قاتله علي ابن محمد الصليحي، فلم يَحُلْ عليه الحول حتى قتله سعيد بن نجاح في شهر ذي القعدة لسبعة أيام خالية منه سنة ستين وأربعمائة، وقيل سنة ثلاث وسبعين، وقتل معه بنو عمه وسبيت حرمه. وقال الإمام عليه السلام في قصيدة منها:

كم بين قولي عن أبي عن جده وأبو أبي فهو النبي الهادي

وفتى يقول حكى لنا أشياخنا ماذلك الإسناد من إسنادي

ما أحسن النظر البليغ لمنصف في مقتضى الإصدار والإيراد

خذ ما دنا ودع البعيد لشأنه يغنيك دانيه عن الإبعاد

وقال فيها ... وذكر حمزة عليهما السلام:

أفليس جدي حمزة نعش الهدى بحسامه وبعزمه الوقاد

حسما إلى أن ذاق كأس حمامه وسط العجاجة والخيول عوادي

وسليله جدي علي ذو العلا علم العلوم وزاهد الزهاد

لم يرتدع في حربه عن عامر عن فرط إبراق ولا إرعاد

يعني عامر بن سليمان الزواحي الذي قتله الأمير المحسن بن الحسن بين ثلا وشبام، وثأر بحمزة بن أبي هاشم عليهما السلام وحمل السلطان عامر بن سليمان على الأمير المحسن فتطارد له عليه السلام ثم لقاه الرمح في هزمته[1] فوقع في نحره وعطف عليه ولده، فشل شيعي من خلصان الزيديه كنانته ورماه بسهم كان فيه حمام ولده، فقال الشاعر من الزيدية:

---

(1) هزمه: جمعها هزوم وهي للثغرة من الترقوتين. المنجد: مادة هزم.

إنا قــتلنا عــامــزا وابنه يحـيى وكـانا ملكي حـمـيـر

وقال -يمدح المحسن وذكر طعنته :

لله در مــحــسن من طاعن والخيل بين عـجـاجـة وَسَنورٍ[1]

جـادت له كف الشـريف بطعنة ضـمنت له منهـا بموت أحـمـر

وقال الإمام المنصور بالله بعدما تقدم :

وسليله جـدي سليـمـان الرضى كـثـرت مكارمـه عن التـعـداد

ولحـمـزة سبق إلى طرق العـلا يـرويه كل أخي تُقىً وسـداد

والله مـا بيني وبين مـحـمـد إلا امــرؤٌ هـاد نماه هـادي

وأنا الذي عـاينتـمـوا أحـواله وكـفى عـيـانكم عن استـشـهـاد

وسلوا فـإنا قـد عـرضنا أمـرنا للناس من عـدن إلى سنداد

وأخبرني الأمير شيخ آل الرسول عماد الدين يحيى بن حمزة طول الله عمره بسنده إلى بعض أهله أنه لما دفن حمزة عليه السلام وأراد أولاده نقله من الموضع الذي دفن فيه حمزة عليه السلام فأقاموا مدة يطوفون بقبره ليلاً حتى أمكنتهم الفرصة فحملوه في شملة ليلا وله نور ساطع يرى منه أهداب تلك الشملة ، ولما نقلوه من حيث كان قبروه في بيت الجالد رضوان الله عليه .

وأما أبوهاشم الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام فكان من فضلاء العترة وعلمائها وكان قد دعى إلى نفسه سنة ثمان عشرة وأربعمائة . وله دعوة حسنة وهي تكشف عن فضله وغزارة علمه وهي موجودة ، وله كتاب سياسة النفس في الزهد والوعظ .

ولم تطل أيامه عليه السلام وإن كان قد دخل صنعاء وأقام فيها في سنة ست وعشرين وأربعمائة ، واستقام أمره حتى عارضه الشقي الحسين المرواني لا رحمه

---

(١)السنور : لبوس من قد كالدرع . القاموس ٥٢٦ .

اللّه. وتوفي بناعط في بلاد حاشد، ومشهده هناك مشهور مزور، وكان قدم من الحجاز ومعه ولداه: حمزة ومحمد، وقد بينا خبره فيما مضى، وأما من عدا هؤلاء فإنهم قدوة أعلام سادة أمجاد، قد تبوأوا غرف الشرف العالية، و تسنموا ذرى الفخار السامية، فالمجد بهم معصوب، والحق إليهم منسوب، وما حال قوم أحسابهم نبوية، وأنسابهم علوية، قد أشرق جوهرها، وطاب مخبرها! فهل لهؤلاء من عديل، أو يوجد لهم مثيل؟ إنهم لمعشر نجباء حلماء، وقوم خيرة كرماء.

فهذه صفة أبآئه عليهم السلام الذي ينتمي إليهم في نسبه، وينتهي إليهم في حسبه، فما ترى حال هذه الأنساب والأفعال يا من يميز بين الأقوال، وإذا كانت هذه صفتهم أوحالتهم، فكيف ترى حالته؟ إنها لصفة شريفة، وحالة عالية منيفة، وإنه عليه السلام وإياهم لكما قال بعض من مضى وهم أخلق به وأولى:

من أهل بيت ترى ذا العرش فضلهم … بنى لهم في جنان الخلد مرتفقا

المطعمين إذا ما أزمة أزمت … والطيبين ثيابًا كلما عرقوا

كأن آخرهم في المجد أولهم … إن المكارم والأخلاق تتسق

إن قامروا قمروا أو فاخروا فخروا … أو فاضلوا فضلوا أو سابقوا سبقوا

تنافس الأرض موتاهم إذا دفنوا … كما تنوفس عند الباعة الوَرِقِ

صفته عليه السلام:

كان عليه السلام طويل القامة، تام الخلق، رويُّ اللون، أقنى الأنف، حديد البصر، فيه حدة مفرطة، أبلج كث اللحية، كأن شيبها قصب الفضة صقالة وصفاء، قد كسي الكمال والمهابة والجمال حتى فاق أهل عصره في خلقه كما فاقهم في خلقه. ولقد روى لنا بعضهم أنه رآه في حال صباه وعنفوان شبابه وأنه إذا سجد يرى نور وجهه فيما يحاذيه يتردد كما يتردد نور الشمس عند وقوعه من

الماء في الجدار. مات عليه السلام وقد غلب الشيب على عارضيه خاصة، وقال له بعضهم: يخضب عارضيه[1]. فقال بديهًا:

قالوا اخضب الشيب إن الشيب منقصة ... في أعين الرشـئيَّـات[2] الرغاديد

فقلت: ذاك كما قلتم وهيبته ... نقيض قولكم في أعين الصيد

نحن الذين ضربنا الناس عن عُرُض ... على البياض فهل نرضى بتسويد[3]

وكان عليه السلام صادق الحدس، قوي الفراسة، يعرف بذلك من خبره من المخالطين، ويعد باليقين من جملة المحدثين، ولَكَمْ من أمر أخبر به قبل أوانه بالحدس فكان كذلك وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور اللَّه»[4]، قال الشاعر:

الألمعي الذي يظن بك الظـ ... ـن كأن قد رأى وقد سمعا

ذكر طرف من مناقبه وأحواله عليه السلام

هذا باب لا سبيل إلى استقصائه، وإنما نذكر اليسير ففيه كفاية ومقنع لمن قلّت خبرتُه به عليه السلام وإلا فأحواله ظاهرة وبدور شرفه باهرة.

نشأ عليه السلام من صغره على أشرف طريقة وأزكى حالة، لم يعرف له شغل في حال صباه باللعب ولا ميل إلى اللَّهو والطرب، وأخبرني من أثق به كل الثقة أنه عليه السلام لما فرغ من تعلم القرآن الكريم في حال صغره وأدرك منه الوطر أخذ يتأسف على ضياع العمر وفوات العلم وأطنب في ذلك، فأعلم بعض إخوته والده عليه السلام بذلك فدعاه وتحدث معه، وقال له: يا بني إنه لم يمض من المدة إلا القدر الذي

---

(١) في (أ): عارضه.

(٢) الظاهر أنه جمع رشأ وهو ولد الظبية. معجم قواميس اللغة ٣٨٤.

(٣) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة «خ» ٣٠٥.

(٤) كنز العمال ١١/ ٨٨ برقم ٣٠٧٣٠ والترمذي ٥/ ٢٧٨ برقم ٣١٢٧، وفتح الباري في شرح البخاري ١٢/ ٣٨٨.

يمكنك أن تصل فيه إلى ما قد وصلت إليه وأنت مستقبل فشمر في ذلك، ثم انتقل بعد ذلك إلى الدراسة في أنواع العلم، فأخذ في علم الأدب حتى لَجَّ في أغواره والتقط من درره من قراره، وبرز في ذلك تبريزا بليغا، ولقد كان يحفظ من شواهد اللغة ما لم يحفظه أحد من أهل عصره .

وأخبرني الأمير الكبير شيخ آل الرَسُول في عصره، وناعش الحق في دهره، عماد الدين، ذو الشرفين، أبو المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان طول الله عمره وأعلا [1] قدره: أنه رأى مع الإمام عليه السلام مجلدا فيه أشعار، ثم قال له: قد قرأته شرفًا فحفظته [2] فخذه فاسألني عن أي قصيدة منه شئت قال: فأخذته وجعلت أسأله من أوله ووسطه وآخره وأنا أذكر له بيتا من القصيدة فيأتي بها تامة حتى استرويته عدة قصائد. وأخبرني الفقيه العالم جمال الدين عمران بن الحسن ابن ناصر أدام الله سعادته عن بعض من له حظ وافر من الحفظ لأشعار القدماء والمحدثين: أنه قال: أنا أحفظ [3] قدر مائة ألف بيت، وفلان يحفظ مثلها وذكر رجلا من أهل الأدب ونحن لا نعد حفظنا إلى جنب حفظ الإمام عليه السلام شيئا وكان إذا عرض البيت من القصيدة يحتج به على لفظة غريبة [4] من الكتاب والسنة أو غيرهما من كَلام العرب روى القصيدة أو أكثرها وربما روى [5] سبب إنشائها ونسب قائلها، وقد يحكي كثيراً من أشعاره إلى غير ذلك من الأحوال المشاهدة له في هذا الباب من السبق .

وكان عليه السلام عارفا بأيام العرب على ضرب من التفصيل، ثم ارتحل عليه السلام

---

(١) في (ج): شرف .

(٢) في (ج): أشرافًا ثم حفظته .

(٣) في (ج): قال: أحفظ .

(٤) في (ج): غريبة .

(٥) في (أ): ذكر .

للقراءة إلى الشيخ العالم حسام الدين أبي محمد الحسن بن محمد الرصاص رضوان الله عليه، وكان عالم الزيدية في عصره، والمبرز على أبناء دهره، وإليه انتهت رئاسة أصحاب القاضي شمس الدين قدس اللّه روحه، فوقف عنده رضي الله عنه فقرأ في الأصوليين حتى فاق الأقران وتقدم الكهول والشبان .

وحكى لي عليه السلام أنه كان يكتب في لوح عشرا في أصول الدين في جانب وفي جانب آخر عشرا في أصول الفقه قال: وقرأت هذه ثلاثة أشراف وحفظتها وهذا ثلاثة أشراف وحفظتها[1] فجمع بين القراءة في فنين وصنف عليه السلام في أصول الدين قبل بلوغ العشرين من مولده، وكان من محاسن تصانيفه في حال صباه ودراسته عند شيخه حسام الدين قدس اللّه روحه كتاب «الجوهرة الشفافة» وهو جواب رسالة أنشأها رجل من أهل مصر، ووسمها «بالرسالة الطوافة إلى العلماء كافة» تشتمل على مسائل في الأصول، بألفاظ يغلب على كثير منها: التعقيد والتقعير، وهي نيف وأربعون مسألة، ومُوردها أشعري متفلسف، فطافت على كثير من البلدان، فما تصدى عالم لجوابها، ولا رام فتح بابها حتى انتهت إلى الشيخ المقدم ذكره؛ لأنه كان في علم الكلام شمسا مشرقة على الأنام، وحبراً من أحبار الإسلام، فأمر رضي الله عنه الإمامَ أن يجيب عنها، فأجاب عليه السلام بأحسن جواب وأوضح خطاب، مع الإيجاز في الألفاظ والاستيفاء للمعاني، فجاءت حالية الجيد، محاكية للعقد الفريد .

وقال عليه السلام فيها بعد حمد اللّه تعالى والثناء عليه، والصلاة على محمد صلى الله عليه وآله: فإن الرسالة الطوافة انتهت إلينا إلى أرض اليمن قاطعة خطامها، حاسرة لثامها، تقطع المجاهل والجهول[2]، وتصعد معاقل الوعول[3]، كم واد جزعت،

---

(١)في (ج): ساقطة: وحفظتها.

(٢)في (ج): الفحول.

ومَرْت قطعت، وشامخ طلعت. . . .

تأتي على الناس لا تلوي على أحد — حتى أتتنا وكانت دوننا مصر

لكنها جاءت بما برّد الأحشاء، ولم يكن كلسان الأعشى.

ثم قال: فلما اتصلت بحسام الدين، ورأس الموحدين أبي علي الحسن علامة أهل اليمن، عاينت ما يبهر العقول نورا، ويرد الطرف خاسئا حسيرا، كسرت من طرفها، وطامنت في أنفها، وقبضت من كفها، وسلمت له القياد، وقالت: هيت لك يا خير هاد، ألقت رحلها بحيث حط الفضل رحله، وصارت إلى من صار للعلماء قبله، وكان يومئذ مشغولاً بتصانيف وأجوبة لا يقوم بها سواه، ولا ينهض بعبئها إلا إياه، دفعها إليّ وقال: حلل عقدها، وقوِّم أودها، وكنت قد اغترفت من تياره غرفة طالوتية، أفرغت علي صبراً، ومنحتني على المناضل نصراً، فامتثلت الرسم العالي، على كثرة اشتغالي، وقلة إيغالي، مستعينا برب أزلي، قديم أبدي. فانظر إلى هذه الشذور الذهبية واليواقيت الفائقة العربية.

ثم أخذ عليه السلام في الكلام والأجوبة فكأنه السحر دقة، والماء عذوبة ورقة، وفرغ الجواب عليها من نهاية الإيضاح والبيان، ووسم الجواب« بالجوهرة الشفافة رادعة الطوافة» وأصحبها هذه الأبيات أنشدها عليه السلام في داره بحصن ظفار حرسه اللّه تعالى:

هذي أمانة من تلم به — حتى يبلغها إلى مصر

غراء واضحة تضيء ظلا — م الليل مثل جمانة البحر

عدلية تمضي لحاجتها — فتنحَّ عنها أيها الجبري

إن كان فيها ما يسوءك من — ديني فليس عليك من وزري

دعني وما ضمنتها فيه — أرجو النجاة صبيحة الحشر

---

(٣)في (أ): ساقطة: الوعول.

ثم صدرت منه عليه السلام شاهدة له بالعلو والكمال، مخبرة بأنه من الشرف في أعلا يفاعه العال.

ومن تصانيفه عليه السلام شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة وهو مشتمل على جزأين. **الأول** الكلام في أصول الدين من التوحيد والعدل والنبوءات والوعد والوعيد وما يتبعها. **والثاني**: الكلام في فضائل العترة عليهم السلام وهو يشتمل على نكت حسنة من أخبارهم، وملح آثارهم، وهو كتاب جليل القدر. **ومن تصانيفه** عليه السلام في أصول الفقه: **صفوة الاختيار**. **ومنها** في أصول الدين: **كتاب الشافي** وهو يشتمل على أربعة مجلدات: تولى الربع الأول على الخصوص وهو يتعلق بأخبار القائمين من العترة عليهم السلام ومن يصلح للقيام وإن لم يقم، ومن عارضهم من بني أمية وبني العباس من أمير المؤمنين عليه السلام إلى وقت الإمام المنصور بالله عليه السلام.

ومن تصانيفه عليه السلام حديقة الحكمة النبوية في تفسير الأربعين السيلقية وهو من محاسن الكتب التي فاقت، والتصانيف التي راقت، مضمنا إيضاح الألفاظ اللغوية بشواهدها العربية، وبيان المعاني على نهاية الحسن والتمام، ولقد سمعته عليه السلام يقول: إنه فرغ من تأليف الجزء الثاني منها في سبعة أيام أو ثمانية أيام، وهو في خلال ذلك مشغول بتجهيز العسكر إلى بعض الجهات، ورأيت ذلك الجزء بخطه عليه السلام الذي هو المسودة، ومن شاهده عجب من ذلك، حتى إنه لا يكاد يوجد فيه سطر مطموس، ولا مزيد إلا النادر الذي لا يؤبه له، وهذا شيء خارج عن المعتاد، هذا مع أن فيه من الألفاظ الرائقة والكلمات الفائقة ما يقل مثلها في مثله.

ومن كلامه عليه السلام: وقد ذكر معنى الإنابة وأنها الإقبال على الطاعات والقُرب المنجّيات، ثم قال: فبذلك ينال دار الخلود والرضوان، والروح والريحان، وهي دار القرار ودار الحيوان. ولم لا تكون كذلك وهي دار لا ينفد نعيمها، ولا يظعن

مقيمها، ولا يكدر شرابها، ولا يهجم قبابها، ولا ييأس أربابها، وكيف لا يعمل لها العاملون، وينيب إليها المنيبون، وأهلها في الغرفات آمنون، وفي منازل اللذات قاطنون، يميسون بين ثياب العبقري الأحمر، والسندس الأخضر، والطميم المدثر والدمقسي المصور. ثياب خلقها الجبار، لم تصنع في هذه الدار، ولم تر مثلها الأبصار، لم تنسب إلى تنيس ودمياط، ليست بقهرية ولا قوهية ولا سيرية، ولا مفوفة مزورة، ولا حضرمية محبرة، ولا تنيسية مهلهة، ولا هشامية مثقلة، ففي ذلك فليتنافس المنافسون[1].

ومن كلامه عليه السلام: ومن للمخف باللحاق، إذا أرسلت[2] خيل السباق، وألصق القطيع بالساق، وكان إلى الحكم العادل المساق، فكم من متجلد مقطوع الأباهر، ومن ذي جلد للخد عاثر، وكم من موفق فاز بقدح القامر، وحد الواتر، فمن أنهته القناعة إلى السعة فاز، ومن أنهته الرغبة إلى الضيق عطب.

ومن كلامه عليه السلام في هذا الكتاب قوله: فانظر إلى أمية الطاغية، وفئتها الباغية، وعزتها العالية، ونخوتها السامية، وسطوتها العاتية، فهل ترى لها من باقية؟ دهمتها الداهية النآد، فألحقتها بظالمي قوم عاد، بعد أن طغت في البلاد، وأكثرت فيها الفساد، ووثرت المهاد، وثبت لها الوساد، وملكت النجاد والوهاد، حتى كان يخطب للواحد منهم كل يوم جمعة على ثمانين ألف منبر على رؤوس الأشهاد، فأي طمأنينة أعظم من هذه، فأحدث الله بعد أمر أمراً، فأصبح المهنّى بهم معزى، ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم :٩٨] فيا له من إزعاج ما آله وأهمه وبطش ما أشده وأطمّه، وإن نظرت في أمر الجاهلية فكم من واعظة جلية، أين العمالقة والأكاسرة! والتبابعة والقياصرة! والفراعنة

---

(١) حديقة الحكمة النبوية ٤١.

(٢) في (أ): وقد أطلقت.

والمنادرة!؟ وترتْهم الواترة، فرذوا في الحافرة، وطرحوا في الساهرة، فباءوا بصفقة خاسرة، وتجارة بائرة، فأصبحت قبورهم عامرة، وقصورهم داثرة، فهل يأمن الدنيا بعدهم لبيب أو يسكن إليها أريب[1].

ومن كلامه عليه السلام في صفة الجنة: فيها قصور مشيدة، وقباب معمدة، وعقود مكللة، وخيام مجللة، وأنهار مطردة، وحدائق متسردة مشيدة بالذهب والفضة، معمدة بالياقوت الأحمر، والزبرجد الأخضر، واللؤلؤ والجوهر، طينها من المسك والعنبر، فكيف يصف الواصفون وصفًا قال الجبار القادر[2] كن فكان، هل يزهد فيها زاهد، أو يرقد عنها راقد، وأما النار فالنار غضب في غضب، ولهب يعلوه لهب، وأدراك متناهية في الهبوط، ونقم دائمة السقوط، لا يرحم باكيها، ولا يُشكا شاكيها، كلما نضجت جلودهم بدلها الباري[3] جلودا غيرها ليذوقوا العذاب، فلمَ ينام هاربها ويرد نصيحة المخوف منها.

ومن كلامه عليه السلام: في هذا الكتاب قوله: إن الدنيا قد ارتحلت مدبرة، فكيف يعمل لها مع إدبارها عمل المستقبلين، أو كيف يركن إليها الحاضر الفطين، وقد خلت لنا فيها المثلاتُ بأبنائها الفارطين، ولقد عاينا من إدبارها عن المقبلين عليها رؤية عين اليقين، فكم لها من ضريب وطعين، وطريح ودفين، أبدت لنا محاسنها الفتانة، وتدثرت بالعفة والأمانة، حتى إذا تمكنت مخالب حبها في شغاف قلبه، وألب ودها بلبه قلبت له ظهر المجن، وجرعته كؤوس المحن، فأضرمت عليه نيران الفتن، وقلبته لوجهه حيران، وأهبطه العشا منها على سرحان، فخان فيمن خان، ودين بما دان، وقيل كان وما كان، فلَم تغنه الأحزان[4]، ولا ترفع منه

---

(١) حديقة الحكمة النبوية ١٢٠ - ١٢١.

(٢) في (أ): أمرًا قال له الملك الجبار: . . .

(٣) في (أ): بدلناهم جلوداً.

(٤) في نسخة فلم يغنه الأخوان.

الأشجان . إلى غير ذلك من فرائد كلامه الغر الثمينة ، وإنما قصدنا التنبيه دون الإكثار .

ومن تصانيفه عليه السلام: الرسالة الهادية بالأدلة البادية في السبي وما يتعلق به، وهي بالغة النهاية . **ومن كتبه** عليه السلام :**الدرة اليتيمة في تبيين أحكام**[1] **السبي والغنيمة**، فصَّل فيها شيئًا حسنا في السير، وأوضح الكلام في مسائل أوردها موردها من فقه العترة عليهم السلام، فجاء فيها من الكلام بما يوازن اليواقيت .

وقال فيها عليه السلام: لأن موردها تعمّق في الإيراد، ولم يسلك طريقة الاسترشاد، كم بين من شغله[2] يتفقد حرمه وأغراضه وعنابه وإباضه، وبين من شغله بطغيه واعتراضه وتجارزه وإبغاضه :

يطرق إطراق الكرى ... لكي يرى ما لا يُرى

حدد مداه ليقطع ما أمر الله بوصله، ويقضي على العلم بجهله، ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ** ﴾ [النساء: ٨٣] ويقول: ﴿ **أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ** ﴾ [النساء: ٥٩] فكيف تثبت طاعة مع الخلاف والنزاع، والاعتراض على ولي الأمر في الأفعال والأوضاع، إنما هو فجرأ وبجر، فرحم اللّه امرءًا تبصر وتفكر، وعقل الأمر وتدبر، وسلم لمن أمرنا التسليم له، وسلك من الرشد سبيله، أصل الاعتراض المرض، كما أن أصل الشَّرَق[3] الجَرَض، هل كان في الوصي المعصوم لقائل مقالة، فقطع العباد المجتهدون على كفره[4] لا محالة، بعد شهادة

---

(١) في (ج) ساقطة: أحكام.

(٢) في (ج) ساقطة: شغله .

(٣) الشرقة: غصة تقول أخذته شرقة كاد يموت منها، الجرض والجريض: الريق يغص به. المنجد ٨٧، ٣٨٤.

(٤) في (أ): أمره .

رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله وسلم بالعصمة وزوال الوصمة، ما كان أحوج أهل الدين الصحيح إلى العمل بالجد والاجتهاد فيما وقع فيه من الباري سبحانه للنص الصريح في إعزاز الدين ومنابذة المعتدين، أصلح شَسْع النعل، وتأبد عن الإسلام بالحجارة والنبل، وكن ضجيعا للحسام، واصبر صبر الكرام، فإنما هي شهقة وقد أفضيت إلى دار المقام، فإما إلى سعادة دائمة، وإما إلى شقوة لازمة، كم بين الودع والورع، والبازل والفزع[1].

ومنها قوله عليه السلام: اتهم نفسك لا إمامك، وتقدم فالصلاة أمامك، لا تضرب وجه الجواد السابق، لتصده عن الغاية فتكون للناس آية، ما أحوج السلاح إلى الْحَمَلَة، والعلم إلى العَمَلَة، يا طالب الدين لا بد من الآلة لا تقوم مقام الدرع الغلالة، انصب وارغب فلا تُتعب ولا تَتعب، فالدين نهج قويم، وصراط مستقيم، اليمين والشمال مضلة مزلة، والوسطى توصلك بحبوحة الملة، تنيمك في الأظلة، لابد للمسافر من زاد ومزاد، ولا بد للمقاتل من سلاح وعتاد، انظر لنفسك ولا تقيدها بالوكَل، ولا تعللها بليت ولعل؛ فإن هول المطلع شديد، والشاهد عليك عنيد، إن من التكبير ما يكتب على صاحبه كبيرة، فنسأل اللَّه حسن البصيرة، سبح ما استطعت بكلمة أو حركة، ففي القليل مع الاستقامة البركة[2].

ومنها قوله عليه السلام: قليل من العلم يحتاج إلى كثير من العمل فإياك أن ينتظمك المثل (سعيت وحج الجمل) كم بين من شغله علاج دبر جواده ممن همُّه التعلل في إيراده.

لو أن سلمى شهدت مطلي * تمنح أو تدلج أو تعلي * إذًا لراحت غير ذات دلي

---

(١) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧١-١٧٢.

(٢) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٣.

الإسلام عند المستحفظين به غض، وأديمه لديهم أبيض نض، وعند سواهم أسود اللون، شاحب الجبين، لا يعرف مع التوسم والتفرس إلا بعد حين، وذلك لأنهم طلبوه في غير مطلبته فلم يتحصنوا بجنته، للعلم أرباب وللدين نصاب، آل محمد أربابه وفيهم نصابه، إن أقدموا فأقدموا مصممين، وإن أحجموا فكونوا محجمين، إن التقدم على الإمام تأخر عن شريف المقام، التأخر عنه دين وشرف، والتقدم عليه شين وسرف[1].

ومنها قوله عليه السلام: إن شككت في قضية السبية فابحث عن الحنفية يا ورع يا أورع، أين أنت عن قصة الوصي الأنزع، بالغت[2] للسنة في نتف الإبطين، وغفلت عن قصة أبي السبطين[3]، ومنها قوله عليه السلام: هلك من كذب القطا[4]، وركب في أمره متن الخطا[5]، لو تُرك القطا لنام فعلق رأسها اللجام.

ومنها قوله عليه السلام[6]:

فقلت لكأس ألجميها فإنما حللت الكثيب من زرود لأفرغا

لا يصلح آخر هذا الدين إلا بما صلح به أوله، تنبيك بأيام الصيف حرملة[7].

ومنها قوله عليه السلام: ما كان أحوجنا من مورد السؤال إلى المعرفة والنصرة بئس السجية التغرب بعد الهجرة، قال الصادق الأمين عليه وعلى آله صلوات

---

(١) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٣-١٧٤.

(٢)في (أ): تابعت.

(٣) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٥.

(٤)القطا: طائر معروف سمي بذلك لثقل مشيه واحدته قطاة، والمثل: «لو ترك القطا لنام» يضرب مثلاً لمن يهيج إذا تُهيِّج. لسان العرب ٣/ ١٢٤.

(٥)في (أ): وأمن في أمره من الخطا.

(٦) هكذا في المخطوطات ولكن رسالته في هذا الموضع متصله فليس لها معنى، أنظر مجموع رسائل الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٥.

(٧) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٥.

رب العالمين: «من جهز غازيا أو خلفه في أهله كان له مثل أجره»[1] فما حاله إذا لسنّه بملامه، وطعنه بكلامه، وثبط عنه بتشكيكه وإيهامه، وعض كالمتأسف على إبهامه.

يا خاطر الماء لا معروف عندكم لكن أذاكم إلينا رائح غادي
بتنا غروثا وبات البق يلسعنا يشوي الفراخ كأن لاحي في الوادي
إني لمثلكم في سوء فعلكم .إن جئتكم أبدا إلا معي زادي

هذا الشاعر المسكين تأذى من لسع البق والطوى، فما لنا بمثل حاله والبلوى بمثل خلاله[2].

ومنها قوله ﷺ في صفة هذه الرسالة: فلما تكرر السؤال من الأصحاب، وحق لكل سائل[3] أن يجاب، أنشأنا هذه الرسالة وسميناها (بالدرة اليتيمة في تبيين أحكام السبي والغنيمة) على أشغال تُبلبل البالَ الساكن، وتلحق المقيم بالظاعن، ثم لم نتمكن فيها من البسط، وإن كان فيها بحمد الله ما يغني عن الرحل والحط، اعتراض البرق يدل على الحياء، وإن تعذرت مشاهدة الرباب، وقيل إن السبع المثاني هي أم الكتاب فليتدبرها الإخوان بعين الإنصاف، فلعلها- إن شاء الله - تنزل منزلة الألطاف، وتُعرف المسترشدين ما عرف أهل الأعراف، ويكون ما فيها كاف شاف[4].

ومن كتبه ﷺ الأجوبة الكافية بالأدلة الوافية وفيها يقول ﷺ:

إذا غضب الفحل يوم الهياج فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد والدّم منها يحاكي المطر

---

(١) الترمذي برقم ١٦٢٩، وابن حبان برقم ١٦١٩، والترغيب والترهيب ٢/ ٢٥٤ بلفظ مقارب.

(٢) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٦.

(٣)في (أ): محب.

(٤) أنظر مجموع الإمام عبدالله بن حمزة ٢/ ١٧٧.

أيُنكر حــــقي برجم الظنون	وهل يكتم الناس ضوء القـمـر
فـإن سُـيِّـرت سيـرتي باليـقين	كـانت لعـمـرك خـيـرُ السيـر
ألست الذي شق بُرْد الضـــلال	بفكر يَشُق الحـصى والشـعـر
وعــــزم توارثتــــه من عليّ	وحــزم تعلمتــه من عـمـر
لسـاني كـشـقـشـقـة الأرحبي	أو كـالحـسام اليـمـاني الذكـر[1]

ومنها الأجوبة الرافعة للإشكال والفاتحة للأقفال. ومنها الناصحة المشيرة بترك الاعتراض على السيرة . ومنها كتاب الإيضاح لعجمة الإفصاح، وأكثر هذا فيما يتعلق بباب السير، فقد كان الناس بَعُدَ عهدهم بالعلم حتى كثر اعتراضاتهم ففصلَّ عليه السلام في هذه الكتب من البراهين على صحة أفعاله ما يبهر العقول ويردع الجهول، ولقد قال عليه السلام في بعض تصانيفه لما كثر الاقتراح عليه والتعنت، وأن لا يجيب إلا من أقوال الأئمة دون السير فقال: فحمَّلنا أيده اللّه ما لا طاقة لنا به، ولم يأت البيت من بابه لأن السيرة النبوية والأعمال الصحابية هي الأصل في الفتاوى الشرعية، أو الأعمال الدينية؛ فحالُ هذا المسترشد في سؤاله كحال من يقول لغيره أوصلني إلى بلد كذا وكذا، ولا تسلك بي طريقه. وهل صنف الأئمة عليهم السلام إلا ما بنوه على كتاب اللّه وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وأعمال السلف رضوان الله عليهم مجمعين؛ فيكون أصلا لاحقًا بالأصول، أو مفترقين فيكون مذهبا ودينا يفتقر[2] إلى الترجيح والتعليل، ثم قال عليه السلام: والذي ذكرنا علم إن لم يوجد فيما مضى من علوم الأئمة عليهم السلام ألحق بها، وحَمِدَ اللّه أهل هذا المذهب على ما منَّ الله به عليهم واختصهم به من كون الهداة الطيبين فيهم، وسعة علومهم، وتواتر ذلك كذلك مع بقاء التكليف.

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٣٢.

(٢)في (أ): يرجع.

وكان كل من سأله عليه السلام ممن له أيسر معرفة، يروم المطالبة بالدليل، فكان عليه السلام يسلك بهم طريقة الرفق واللين، إذ كان ذلك شيمة له معروفة، وسجية مألوفة، وطريقة موصوفة، وشنشنة[1] مشهورة.

ومن **كتبه** عليه السلام الرسالة الكافية إلى أهل العقول الوافية. **ومنها** الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة، وذكر عليًا عليه السلام وفتحه خيبر، فقال في حقه ومن تقدم عليه من الصحابة:

قد عُرِّفوا طرق التقديم لو عرفوا   لكنهم جهلوا والجهل ضَرَّارُ
ساروا برايته فاسترجعوا هربا   والخيل تعثر والأبطال فرار
حتى إذا انسدَّ وجه الفتح واختلجت   خواطر من بني الدنيا وأفكار
نادى أبا حسن موفي مواعده   صبحا وقد شخصت في ذاك أبصار
فجاء كالليث يمشي خلف قائده   إذ كان في عينه ضر وعوار
فمج فيها بريق طعمه عسل   وريحه المسك لم يفضضه عطار
وقال خذها وصمم يا أبا حسن   فكان فتح وباقي الجيش صدار

ومنها دعوات عدة:

منها الدعوة العامة التي ابتدأها، وفيها من غزير الكلام، وبديع النظام ما يدل على علو منزلته في العلم، ودعوات عدة بعدها. **منها** دعوته إلى إسماعيل، **ومنها** دعوته إلى جكو، **ومنها** دعوته إلى خوارزم شاه، **ومنها** دعوته الأخيرة إلى أهل اليمن جندهم ورعاياهم، أنشأها في سنة اثني عشرة وستمائة بكوكبان، ولقد جمع فيها على التحقيق علمًا جمًا، ففيها في الوعظ والتذكير ما يأخذ بمجامع القلوب، ويصد عن ارتكاب الحوب، وفيها كثير في فضل العترة عليهم السلام، وفيها كلام في حكاية أحوال كثير من خلفاء بني العباس وما فعلوه ببعضهم بعضا من أنواع النكال، وفيها طرف من السير، وفيها الحث العظيم على

---

(١) الشنشنة: الخلق والطبيعة. مختار الصحاح ٣٤٩.

الجهاد، وغير ذلك . . . ولم يرد دعوة مثلها لأحد قط فهي من عجائب العلم وكلامه عليه السلام عجيب .

ومن **كلامه** عليه السلام فيها قوله : فرحم الله امرءاً نظر لنفسه قبل أن يغلق الرهن، ويظهر الوهن، وتتعذر الرجعة، ويخيب النجعة، ويبلس المجرمون، ويقال ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: ١٠٨] فيا لها من كلمة ما أفجعها! وموعظة ما أوجعها! إن صادفت قلبًا حيًا ولم يلو على النهج ليًا . ومنها قوله عليه السلام : هلموا رحمكم الله إلى نور مصباح الزجاجة، ودهن زيت الزيتونة، وراية ما خفقت على رأس مسلم فدخل النار، لا يُشرب عليها الخمر، ولا يسمع العزف والزمر، ولا يظهر من المعاصي ظاهر إلا أنزل بصاحبه حكمه من الرجم فما دونه، فأما من غبا أمره فحسابه إلى الله، كم بين من يُؤَمِّنُ أهل المعاصي وبين من يخيفهم ومن يعاقبهم ومن يشوقهم ومن يسلبهم ومن يسبقهم ومن يطردهم ومن يضيفهم ما سمعنا رحمكم الله الملاهي، ولا درينا قبل كسرها بالعيان ما هي، كما قلنا في بعض الأشعار:

لا نعرف الخمر إلا حين نهرقها ... ولا الفواحش إلا حين ننفيها

أنا ابن من نسجت آي الكتاب له ... مُلاَّة غمرت جسمي حواشيها

ومنها قوله عليه السلام : ما خالفنا أبو حنيفة ولا الشافعي ولا مالك، فانظر أين تضع قدمك يا سالك، وهؤلاء فقهاء الأمة، فهم بحمد الله أتباع آبائنا الأئمة رحمة الله على أولئك، وعلى آبائنا أفضل السلام، أين النبع من الثمام، والجود من الرهام، واليحموم من الغمام، ما أنصف نفسَه من خدعها، ولا رفعها من وضعها . ومنها قوله عليه السلام: نحن أهل التحريم والتحليل والتنزيل والتأويل، أعلام الهدى، وأقمار الدجى، بحار العلم، وجبال الحلم، فلا تعدلوا رحمكم الله عن منهاجنا، ولا تسلكوا غير فجاجنا ،فإن الفتنة بنا مطرودة، والرحمة إلينا

مردودة، اتباع الحق أحجى، وسلوك منهاج الذرية أنجى، كم بين من يعتزي إلى أهل الكساء ومن ينتسب إلى نهاوند ونسا!! ليس من أحسن كمن أساء، ومن لان كم قسا، يا أهل اليمن قد طالما سحبتم ذيول الفتن، وتجرعتم كئوس المحن، ورفضتم عترة الحسين والحسن، وجريتم في خلاف العترة على سنن، فانظروا لأنفسكم نظرا يخلصكم عندنا اليوم وعند الله غدا، فإن الله لم يخلقكم عبثا ولا يهملكم سدى، ومنها قوله عليه السلام: إن العجب كل العجب فيمن صدق الوعد والوعيد، وأعطى نفسه من الهوى ما يريد، اجعلوا أنفسكم لوامة ذمّامة، إن أردتم الفوز يوم القيامة لا تعوقوها في الخير من طريقها، ولا تشرقوها بريقها، الجنة تحت البارقة، الجنة تحت أطراف العوالي، خوضوا أبحار الحتوف وناطحوا أشفار السيوف، واستهونوا المخوف، وكونوا فوارط لا خلوف، وابتذلوا الدروع لا الشفوف، واركبوا الذريع لا القطوف، إن أردتم حلول ذات القطوف، ألا إن للدين دعاة فها نحن من سادات دعاته، وإن له حماة فكونوا من أفضل حماته.

ومنها قوله عليه السلام: ألا وإن دين الله محروس بنا ومحوط بهيبتنا، وما زال الله منا غاضب، نشيط على أطراف الأسنة وحد القواضب، تخفق منه قلوب الجبابرة على متون الأسرة، ويتركها على الأظرة، فكم من مظهر للنسك لم تكن من عادته لهيبتنا، ومن متأله وهجيراه الجبرية مخافة سطوتنا، ألم يلبس هارون المسمى بالرشيد الصوف، ويفترش اللبود، لما قام يحيى بن عبدالله عليه السلام بالديلم، وأظهر من الصلاح ما لم يكن يعلم. ومنها قوله عليه السلام: لست بجبري ولا رافضي ولا قدري ولا معتزلي ولا مُرجٍ ولا غال ولا ناصب، قال: انما هو فخر أوبجر، كم بين السراب والشراب، والقِطر والقَطر، اغترف من النهر الطالوتي، وفارق الجيش الجالوتي، حاذر أمواج الانتقام المتلاطمة في حرب أبناء فاطمة، كم بين الرشد والغي! والميت والحي! والعطاء واللي! والنفث والكي! لا تكابر الدليل العارف فيجترفك الجارف، تابع مرشدك واشدد به عضدك، ولا تهلك نفسك

وولدك، ولا تؤثر لددَك، وارخص للقبول جلدك، ولا تقطع من الباري مددك، ولا توغر جددك:

أمن غير أبناء النبي محمد	إمام لقد حاولت نقل شمام
وهل يستحق الأمر من جُلُّ همه	لجمع حطام أو لشرب مدام
تمسك بأبناء النبي فإنهم	زمام لدين الله أي زمام
لتنجو مع الناجين من كل موبق	إذا قيل للوفد ادخلوا بسلام
سيدعى الورى[1] يوم اللقا بإمامهم	فاعدد لذاك اليوم خير إمام

لا تصحب الخائف فتكتب في زمرة الخائفين، ما أنفعها من كلمة لو قبلتها قلوب العارفين، زكِّ نفسك فقد أفلح من زكاها، ولا تدسها فقد خاب من دساها. ومنها قوله ﷺ: كيف يُلبِّس العاقل على نفسه حق آل المصطفى، وقد طبق الآفاق وطفا، ما كان حديث الغدير يخفى، ومن لنا بأهل الوفاء. علينا نصب الدليل وعلى الأمة الاستدلال، موجب إرث الجنين الاستهلال، ما عُذرَ من سمع الصوت عاليا بالدعاء إلى الرشد في ترك الإجابة وتعدى سبيل الإصابة، ما قُدر كان وما حان حان، لكل نباء مستقر، والعاصي إلى سقر، يا طالب الرشد من غير أهله، أنت كطالب الدر في الحجر، والياقوت في المدر، إن للخير وللشر معادن، لا تجري مع عتاق العراز الكوادن، أين السنام من السناسن[2]، والذروة من الفراسن، والقبائح من المحاسن، والأوابد من الدواجن، إن أردت النجاة فاتبع الهادة، كم بين المرشد والمغوي، اسلك مسلك الرشد ترشد، ولا تبعد من الخير تبعد، وكن كالجمل الأنف في الانقياد للهدى، وكالسبع النافر عن الغي والردى، أنزل آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم منهم بمنزلة الرأس من الجسد، وبمنزلة

---

(١) في (أ): الملأ.

(٢) في (ج): السنابس.

العين من الرأس، فإنه لا يصلح جسد لا رأس فيه، ولا رأس لا عين فيه، ما ضر من سمع واعيتنا أهل البيت لو سعى إلينا ثم تفقد أحوالنا، فإن رأى رشداً تبعه بيقين، وإن رأى -والعياذ بالله- غيًا فارقه مع المفارقين، وفاز ببرد علم اليقين، إن على العاقل عند التخويف أن يحاذر، وإن كذب المخوِّف في النادر، إن سلكت سبيل السلامة فاعرف شروط الإمامة، واطلبها في مدعيها إن كنت ممن يعيها، إن الدعاوي متساوية من المدعين، ولكن أين الثمد[1] من المعين! والشك من اليقين! التفاضل بين البينات، ولا إشكال في المتعينات، لا تستوي الدرة ولا الصدَفة، ولا الأريكةُ و الحصفة، ولا الزيتونة واللصفة، كم بين من يدعي الإمامة وشاهده زرزر والموصلي وبُر صُومًا وحنجفَةٌ وسلامة، ومن يدعيها فيملأ البلاد صلاحا وعلوما، ويظهر عليه من الخير سيما ويشهد له الفاضل والعلامة. من أنصف نفسه أنعم النظر في نجاتها، ومن تحرى رشده سعى في حياتها، ماضر من أتعب نفسه مدة يسيرة لنيل ملكا كبيراً، وحاسبها على القطمير والنقير، فجاء موقف القيامة وقد أحرز السلامة، وفاز بالكرامة، ونجا من أهوال الطامة، رحم الله امرءًا أخذ بعنان فرسه، وطار في سبيل الله إلى الهايعة، واستظل باللامعة، وجعل أشعة الحديد سراجه، وشق برد العجاجة، ودعا في فوارط أنوف الرجال نزال نزال، وصاح بأعلا صوته لعلو صيته، وشرف نيته، يا أيها الجند المجند، والحشد الملبد، حسبي عيال محمد، لا خَلْف لي عنهم ولا أمام، ولا نكول ولا انهزام، إن البيعة أخذت على المسلمين بيعة الإسلام، رويناه مسندا على أن يمنعوا رسول الله ﷺ وذريتــه من بعــده مما يمنعون منه أنفسهم وذراريهم، فوفى بها لله من وفّى وهـلك بهـا من هلك، فـانظر على من الشـقـوة والدرك بأنصـار الذرية. أين النفـوس الحرية، والمغارس الذريّة، والأحساب المضـية، والأخلاق الرضـية،

(١) الثمد: المال القليل.

والطرائق المرضية، أين أبي الدنية، ومن لي بأبي الدبية، هلم إلى شرف الدنيا والآخرة، ولبوس ثيابها الفاخرة، هلم إلى أندية لا يظهر فيها الفحش والفحشاء، ولا تقرع فيها الأرقش والرقشاء، ولا يتنابز فيها بالألقاب، ولا يلعب فيها بالقرود، ولا تسلا الكلاب للهراش، ولا يلهى بالعيدان والأوتار والمعازف والمزمار، ولا يلاقى بين الديكة، ولا يناطح بين الكباش، إنما هو ذكر أو فكر، أو تأويل سنة أو كتاب، أو وعظ لذوي الألباب، يأنس بها الملائكة الكرام، و فضلاء الأنام، لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما، ولا ينظرون إثما عظيما، ولا فعلا ذميما، فارجعوا -رحمكم الله بحميد عنايتكم- الأمرَ إلى أربابه، والدين إلى نصابه من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومختلف الملائكة، ليأخذ القوس باريها، وينزل الدار بانيها، فتجري الأمور على سنن الإصابة، وتسعدوا بودق تلك السحابة، جمع الله على التقوى شملكم، وبارك فيكم ولكم، وأخذ إلى الخير بنواصيكم، وأصلح دانيكم وقاصيكم ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف: ١٠٨] وما وعظتكم حتى وعظت نفسي، ولا دعوتكم حتى دعوتها، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ﴿ **إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيهِ أُنِيبُ** ﴾ [هود: ٨٨].

وهذه غرر يسيرة وإن كانت كلها في الرفيع من طبقات الفصيح .

ومن تصنيف له عليه السلام في جواب كتاب لبعض العجم: عقدت الفواطم في أعناقنا [١] التمائم، ولواء هاشم في رؤوسنا العمائم، ومن الصريح من الدعوة وقعات الملاحم وضرب الجماجم، وأي فئة لقيناها أو نصفها ولم تسحب ذيل الهزائم؟ ومن هذا الكتاب قوله عليه السلام: وأما علماء العدل والتوحيد الدائنون

(١)في (ج): أعناقها .

بتصديق الوعد والوعيد فهم بقولنا قائلون، وإلينا مائلون، وبعلمنا عاملون، يرون ولاءنا جُنة وخلافنا فتنة، في جميع أقطار الأرض قد أجابوا دعوتنا سرا وجهرا، نشروا مدائحنا نظمًا ونثراً، وأفنوا كتبنا طيًا ونشراً، وسوف يطلعونها إن شاء الله على الخرصان[1] صُلعًا وزُهراً:

أبابيلَ خيلٍ دينُ أحمد دينُها	مسوّمة جبريل فيها يقودها
فويل لأرباب الضلالة والخنا	إذا خفقت في الخافقين بنودها
وصاح القنا في الدارعين وبُدِّلت	كُنا صيدها وازداد حَراً وقُودُها
وعُفّيت الآثارُ من كل ظالم	وبُلّت لأخذ الثار منها لبودها
ولاحت كأمثال العقايق بيضها	وبانت كألوان الشقائق سودها
ودارت رحا الحرب العوان بشوسها	وقام بأيدي الدارعين عمودها
فهذا أوان الحق يسطع نوره	ووقت نيار الظلم يبدو خمودها

فحينئذ نقول خلفًا وعقراً، ونبدي منكم خُبراً ونهتك ستراً، ونلقيك بما عملت كتابًا تلقاه منشوراً، ونقدم إلى ما عملتم من عمل فنجعله هباءاً منثوراً، ونمشي وقد جعل الله من بين أيدينا نوراً ومن خلفنا نوراً، فإن قلتم انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً وحينئذ تضرب جلالة النبوة وهيبة الخلافة بيننا وبينكم بسور له باب باطنه في الرحمة وظاهره من قبله العذاب، فترومون الذهاب ولات حين ذهاب، وأنى لكم ذلك وقد أسفَّ العُقاب، وحجل الغراب جذلاً لخلع العيون وخرق الإهاب، والتفكه بين اللحوم والأعصاب، وليس هذا بعجيب أن يكون، فهل خطر في القلوب يوم وُصاب.

ومن هذا الكتاب قوله ﷺ: ولكنك لا تدري أين تولغ لسانك، وتطلق عنانك، وتضع سنانك، قد أعماك البطر، وأصمّك الأشر، فصرتَ كغراب على

---

(١) الخُرصان: الرماح. القاموس ص٧٩٥.

مشر[1] لا تفرق بين جنى النحل ونفاخ العشر، تنكر البغي ولا تعرف حقيقة الباغي، وتحذر من الطغيان وأنت عين الطاغي، لا تعرف الزواجر فتنزجر، ولا تأمّل العبر فتعتبر، فأنت كالبهيمة المهملة، والضالة المرسلة، لا تعرف من الخير والشر إلا ما شاهدت، ولا تعتذر إن حاردت، تلعب إن أخصبت، وتنكب من أجدبت، جَعلْتَ أهل بيت الذكر والرحمة وولادة النبوة ومعدن الحكمة خوارج، ويحك فمن الوالج؟ ما أنت إلا من الهمج الهامج، تستخفه أخف ريح، فيرنح ويطيح.

ومن هذا الكتاب قوله ﷺ بعد ذكر جماعة من الأئمة السابقين عليهم السلام: أفهؤلاء بزعمك خوارج، إعرف المداخل والمخارج، قبل أن تحطمك الأنياب اللوامج، فتحرمك الصفو، وتسقيك الحاضج، أفرق بين الخل الذايل والسنم العُفاضج[2]، وبين أضعف الدوارج وبين الفيل السائج، كم بين النبع والعشر، واللب والقشر، والقبس والدخان، والنحاس والعقيان، حولت وبدلت وضيعت وأهملت، وظننت أن الدين يبطل بالغلب، وأن المال يملك بالسلب، لابد من حدود شرعية توقف عندها ودونها، ويلعن الذين يتجاوزونها، والباطل فرقة ولو انضاف إليه الأكثر، والحق جماعة وإن كان حزبه المشفّر.

ومنها قوله: رِدْ و رد القطاة، واحمل في الحوصل والأطحل، لا تحجل في الفلاة محجل فلن ينتقص بحر مجدنا، ولن يستلب شرف جدنا، ولن تفل شباة حدنا:

ما يضر البحر أمسى زاخراً   أن رمى فيه غلام بحجر

---

(١) المشر: شيء كالخوص يخرج في اسم والطلح. لسان العرب ٥/ ١٧٣.

(٢) الخلّ: النحيف المختل الجسم. الذايل: طويل الذيل. والسنم: ككتف، وهو البعير العظيم السنام. والعفاضج: الضخم السمين. القاموس المحيط ص١٢٨٤، ١٢٩٥، ١٤٥٢، ٢٥٤.

ومنها قوله عليه السلام: ويحك أين السنام من الغارب؟ لقد تحكّكتْ بالأفاعي العقاربُ، وفاخرت الصقور الجنادبُ، ونازلت الليوث الثعالب، واستهزأت بصنعة السرق[1] العناكب، وأرقلت الأفائل القزع[2] لمصاولة الفحول المصاعب، وساوت الروايا المواقر ضوء أمرد غالب النجايب، كم بين الذروة والحضيض، والصحيح والمريض، ليس قطاً مثل قطي، ولا المرعي في الأقوام كالراعي .

وله عليه السلام **في الفقه** الاختيارات المنصورية في المسائل الفقهية، علقه عنه بعض أصحابه، وفيه فقه غريب . وله كتاب الفتاوى وهو مجلد علق من أجوبة السائلين ورتب على المعتاد من ترتيب كتب الفقه .

وكان عليه السلام في الفقه المبرز في ميدانه، الناظم لدره وجمانه، المستنبط لغرائبه، المستخرج لعجائبه، وكم من غريبة جاء بها من غير تكلف مشقة .

ولقد أخبرني الفقيه الفاضل جمال الدين عمدة المسلمين عمران بن الحسن ابن ناصر أسعده الله عن والده العالم الفاضل الحسن بن ناصر رحمه الله أنه كان يقول: إن فقهه عليه السلام فقه طري يشبه فقه الصحابة رضي الله عنهم، وقال لي بعض شيوخنا رحمهم الله وهو الفقيه الفاضل بهاء الدين علي بن أحمد الأكوع رحمه الله كانت المسألة إذا أشكلت عليَّ [من] الإمام عليه السلام طلبتها فوجدتها لأمير المؤمنين عليه السلام ولزيد بن علي عليهما السلام، وسمعت شيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص رضوان الله عليه يقول: أخشى أن تكون إمامة الإمام عليه السلام صارفة للناس عن إمامة غيره بعده، فقلت: ولم ذاك؟ فقال: لأن الناس يطلبون منه من العلم ما يُعهد من الإمام وربما لا يتفق ذلك .

ولما صدرت تصانيفه إلى الجيل والديلم صحبة الداعيين سنة أربع

---

(١) السرق : ثياب من الحرير .

(٢) أرقل : أسرع ، وأرقل المفازة : قطعها . والأفائل : مفرده أفيل ، وهو ابن المخاض فما فوقه . والقزع : صغار الإبل . القاموس ص١٣٠٢ ، ١٢٤٢ ، ٩٧٠ .

وستمائة ، وأظل عليها السادة من أهل البيت عليهم السلام وفقهاء الزيدية تداكوا على بيعته تداكّ الإبل العطاش عند الحياض ، وقالوا : هو أعلم من الناصر للحق ، سمعنا ذلك من الواردين علينا منهم مع أنهم في الجيل خاصة لا يكادون يعدلون بالناصر عليه السلام أحداً .

وأخبرني من أثق به وهو الفقيه صالح بن محمد من جهات تهامة رحمه الله وكان من عباد الله الصالحين أنه سمع السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني قدس الله روحه يقول إمامنا هذا عليه السلام أعلم من الهادي عليه السلام .

وأخبرني من أثق به أيضاً عن بعض عيون علمائنا رضي الله عنهم أنه كان يقول مثل ذلك ، وقد كان هذا السيد[1] رحمه الله من أغزر أهل عصره علماً ، وأكثرهم فهماً ، وهو الذي قال فيه الإمام عليه السلام :

ولو يحيى دعا قِدْمًا إليها ... لكان بها إمامًا للإمام

واستنهضه للقيام في أبيات أخر يقول فيها :

دعا الدمع مني بين أروع ماجد ... كريم عليم من ذؤابة هاشم
يذكرني الهندي صرمة عزمه ... وفكرته في الحادث المتفاقم
أجامع أصناف المكارم مذ نشا ... كما جمع الياقوت سلك النواظم
إذا استعجمت بين القضاة قضية ... تناول أقصاها بفكرة حازم
بقيت لشيد المكرمات مكرمًا ... ودمتَ ومن عاداك ليس بدائم
أيحيى أَرى الإسلام قُصَّ جناحُه ... ولا ينهض البازي بغير قوادم
وليس لها إلاك يا علم الهدى ... وأنت بأمر الدين أعلم عالم

ومن شاهده في تصانيفه عليه السلام علم أن له المزية العظمى ، وذلك أنه كان لا يصده كثرة الناس حوله عن التصنيف ، ولقد شهدته في مجلس الصباح وهو

---

(١) يعني السيد نظام الدين يحيى بن علي السليماني .

غاص بمن فيه يكتب في تفسير القرآن العظيم كتابة مستمرة وهو يُسأل في أثناء ذلك عن أمور في الدين والدنيا فيجيب عنها وإنَّ قلمه لينحدر انحداراً سريعًا ، وهذه درجة عالية ومرتبة سامية ، ورأيت بخط موثوق به أنه أجاب في بعض تصانيفه من أول النهار إلى حين العصر إلى موضع سماه من التصنيف فعددت ذلك فوجدته بخط متوسط خمس كوامل . فليعجب المتعجبون ولا عجب! ذلك من فضل الله يؤتيه من يشاء . وقلَّ ما كان ينظر عليه السلام في جواب مسألة بل كانت أجوبته على البديهة فإذا سئل عن التعليل شفى العليل ونقع الغليل وأوضح السبيل وجلا الدليل .

وكان عليه السلام في الورع والاحتياط ما يليق بسعة علمه وغزارة فهمه وعرف بذلك في جميع أحواله والحكايات في هذا المعنى كثيرة ، وإنما نذكر اليسير ليستدل به على ما عداه . **فمن ذلك** أنه كان عليه السلام يأتيه قوم كثير في أوقات مختلفة بشيء من الدراهم وغيرها فيقبض ذلك منهم ، ثم يشكون شكيةً أو يطلبون إيفاء حق ونحوه ، فيرد ذلك كله بعد إبلاغهم ما يجب إبلاغه . **ومنها** ما روي أن رجلا أتاه بدينار وسائل يسأله فسلمه إليه ، فعاد صاحب الدينار فشكى عليه أمراً فأمر له بدينار عوضًا عن ديناره وأن يستبري منه ، فقال الرجل : إنه بريء ، فقال : قد قبلناه ، وهذا صدقة عليك . ولقد رأيته عليه السلام ذات يوم من الأيام وهو قابض على درهم يريد صرفه إلى بيت المال عوضًا عن شيء لا خطر له من نقل تناوله ، وكان قد جيء به من قوم فدى ومن بعضهم دون بعض فالتبس ذلك .

وكان عليه السلام معروفًا بالإيثار على نفسه من حال شبابه ، كثير الإحسان إلى الوافدين ، جم المعروف للطالبين ، يعطى ما يجد ، ويستدين إذا لم يجد ، وهذه أمور تعلم باضطرار من حاله فلا معنى للاتساع منها .

وكان عليه السلام في ثبات القلب ومنازلة الأقران ، ومجاولة الفرسان ، بحيث لا

يتماري فيه اثنان، ولا يتراد رجلان، وكم من موقف حطَّم فيه الوشيج، وثلّم الصفائح، وكان أمام جنوده معلمًا، يمشي إلى الموت قدما قدما، حتى انجلى القتام، وقد فاز بمحاسن الثناء من أهل الأرض والسماء، يشهد لذلك يوم عجيب، وقد قل رجع الكلام، وانهزمت جنوده الجمة وهو في وجه العدو،ولا يرغب في التولي عن لقائه حتى لقد دقّه الأمير عماد الدين بالرمح دقة لما تفرقت العساكر بعد أن أحب الصبر للشهادة فحاطه الله عز وعلا عن كيد الأعداء، لما انتهى إليه الحال من علو كلمة الدين وإخماد نار الجاحدين، وقطع دابر المفسدين.

وكذلك يوم صنعاء فله فيها المقام الهائل، فإنه دخل في نفر يسير لا يدفع بهم عن نفسه وفيها من جنود العجم خلق كثير إلى سبعمائة فارس وهو المقصود، فدخل عليه السلام غير هائب للموت، وأذن مؤذنه بالأذان النبوي، فصلى وروعه مجموع، وقلبه غير مصدوع، ثم أعلا الله يده، ووفَّر جنده، وقذف الرعب في قلوب أعدائه، [وكذلك يوم ذَمار فإنه كان سابقًا لجنوده يذود][1] جنود الأعاجم على كثرتها بين يديه كما يذود الراعي غنمه، ولقد أخبرني من كان حاضر الوقعة أنه شاهده منفرداً لا ثاني له في الكر عليهم، وقد ذكر ذلك في بعض أشعاره عليه السلام فقال:

وفي ذمار تركت الجيش عن كمل خلفي وكافحتها عن دين معبودي

وكذلك يوم هران وهو حاسر، فانجلى ذلك اليوم عن مقام له أغر، ولكم له من يوم أغر، عاود فيه الكر واستحيى من الفر، وكان قطب رحى الحرب إذا توقدت نيرانها، وتنازلت فرسانها، وتداعت أقرانها، فحينئذ تجده خائضًا لغمرتها، متوسطا في لجتها، تارة يحطم القنا في نحور المفسدين، وحينا يعصب بالهندي كبش المعتدين. وكان عليه السلام حسن التدبير، صائب الرأي، ولقد استقرت

---

(١) في (ب) ساقط ما بين المعكوفين.

أوامره ونواهيه في الأقطار، وكان في الدهاء والحذق والحدس الصائب إلى حد يفوق، ومن عاشره علم ذلك ضرورة من حاله، وعرف مرتبته على أرباب هذا الشأن، وإنّ آراءه كانت تشرق أنوارها إذا دجت دياجير الخطوب، واعلنكست[1] وتضاعفت ظلمات الكروب، حتى يستثير الآراء الكامنة الصائبة، ويستنبط أنواع الصواب الباطنة.

وأما كراماته التي خُصَّ بها فهي كثيرة لا سبيل إلى استقصائها، وكثير منها يُعلم بالاضطرار لقرب العهد إلا أنا نُنبه على ما لعلَّه يغمض عمن نأت داره، فمن ذلك ما روى لنا الأمير الأجل الكبير عماد الدين شيخ العترة الأكرمين حرس الله ببقائه الإسلام- عن خالته أم الإمام المنصور بالله وكانت في نهاية الصلاح قالت: أمسينا على غير طعام والإمام عليه السلام في حال صغره، فلمَّا نام وهي متيقظة سمعته يمضغ ساعة ثم تجشأ بعد ذلك، فوضعت يدها على بطنه فوجدته ممتليًا كما يوجد بطن الشبعان فلما استيقظ سألته: ما أكل؟ فأخبرها أنه أُتي إليه بشيء على هيئة الملح فأكل منه حتى شبع.

ومن ذلك ما رواه لنا شيخنا بهاءالدين أحمد بن الحسن الرصاص قدس الله روحه: لما دخل عليه السلام صنعاء المرة الأولى، رأى فوق الإمام عليه السلام وعسكره طيوراً صافةً من الثمانية إلى التسعة إلى العشرة بيضاء مخالفة لما عهد من الطيور، وهي قصة ظاهرة.

ومن ذلك مجيء فرسه عليه السلام وبغلته عليها درعه؛ وذلك لأنه[2] لما دخل المسجد وأحاطت به الجنود وهي إلى سبعمائة فارس لا يُرى منها إلا الحدق، ووقف في المسجد الجامع حتى صلى صلاة المغرب والعشاء، وتفرقت تلك الجنود

---

(١)في (ب): واعتكست.

(٢)في (ب): أنه.

بفضل الله جلّ ثناؤه وبركته عليه السلام، وخرج من المسجد حتى أتى دار رجل من أهل المدينة ولا علم له ولا لأحد من أصحابه ولا خدمه بالبهائم، فهم في تلك الدار حتى أتى الحصان والبغلة وعليها درعه إلى باب الدار بلطف الله سبحانه وتعالى .

ومن ذلك قصة النشاب وفتح الباب به، وذلك خلاف المعتاد عند أهل البلد وهذا من الأمور المشهورة التي لا يتمارى فيها من له بحث وخبرة. ومن ذلك قصة الأكسح وكانت في المرة الثانية من دخوله صنعاء فإنه كان يمشي على أرباعه فمسح عليه فعافاه الله، وهذا أيضًا ظاهر وقد شاهده خلق جمٌّ لا يحصون من أهل المدينة على حالته الأولى وحالته الثانية .

ومن ذلك ما روي أن رجلاً كانت أسنانه كلها قد ذهبت، فمسح عليه السلام عليه ودعا له فعادت كلها ما تخلف منها واحد . ومنها أنه عليه السلام يوم دخل شبام لليلة باقية من شهر جمادى الآخرى سنة أربع وتسعين وخمسمائة، فوقع على الدار نور عظيم ساطع بعد صلاة العشاء الآخرة واستطار في الأرض حتى أن شيخا كبيرا كان في المسجد الجامع وكان إذا خرج بعد صلاة العشاء الآخرة يتعثر في طريقة لضعف بصره، فخرج فشاهد ذلك النور وقال لجماعة معه إني أُفرق الليلة بين الحصمة البيضاء والسوداء، قال مصنف السيرة الإمامية المنصورية : وشهدت أنا بذلك ورأيته، وأخرت صلاة المغرب لأجل ذلك النور حتى دخل أول وقت العتمة وبعده، وكنت قاعدًا في البيت وظننت أنه ضوء القمر حتى أنبهني من حضر أنه آخر الشهر، فخرجت إلى حجرة فإذا النور ساطع في الجدران، وظننت أنه لم يره أحد غيرنا حتى أصبح المسلمون يروون ذلك في مسجد الغيل . ومنها ما رواه مصنف السيرة عن الثقة الأمير : أن أهل ذمار رووا يوم دخل الإمام عليه السلام أنهم شاهدوا عسكرًا من خيل ورجال سدت عليهم الآفاق، وريحا عظيمة كفت

وجوههم وأبصارهم، حتى منعتهم التصرف[1] في القتال، وأنهم يريدون الرمي بالنشاب فتساقط في أيديهم، وربما يتفقأ ويتكسر في الهواء، قال: وكانت خيل الإمام عليه السلام نيفا وعشرين، والمغزية دون المائة، فانتهى الحال بعد ذلك إلى تغنم الأموال وأسر الرجال. ومنها الرواية المشهورة الظاهرة أن رجلا من المطرفية الشقية أتى ناحية من بني عبيد بظاهر بلد همدان يطلب شيئا من الزكاة، فعرفوه بتسليمها إلى الإمام عليه السلام، فأطلق لسانه بالسب ثم انصرف إلى جانب القرية فسلط الله عليه كلبة لم تجر عادةٌ لها بحضرة أحد، فوثبت على لسانه فاستخرجتها، وضربتها بأنيابها، فأقام مدة كذلك حتى نفر عنه الناس، ولم يعتبر بل بقي على كفره فأمر الإمام عليه السلام بضرب عنقه. وفي ذلك يقول حسن بن علي العصيفري رحمه الله في قصيدة:

اسمع أمير المؤمنين قضية ... أضحى بفضلك ذكرها مشهورا
أنبيت بالراسين كلبٌ مسلم ... سميته لوداده قطميرا
سمع الذي أطرى[2] عليك بسبه ... فجرى فعض لسانه تحذيرا
ها تلك معجزة غدا لك ذكرها ... في بطن كل صحيفة مسطورا

وروى مصنف سيرته عمن يثق به: أن رجلاً أراد نساخة مطاعن لمحمد بن نشوان في سيرة الإمام فشرع في نساختها، فلما انتهى إلى ثمانية أسطر يبست له ثلاث أصابع من يده، فأمسك عن النساخة فعادت أصابعه إلى حالتها الأولى في لينها، فعاد إلى النساخة فيبست مرة أخرى، فأمسك عن النساخة أيامًا ثم عاد فنسخ ثمان قوائم فأصابه الله بوجع في إحدى عينيه، ونجم حولها ثلاثة أفاليل فترك النساخة وانضجع لما نزل به من شدة الوجع، ثم تاب إلى الله تعالى وعزم

---

(١) في «أ» النظر.

(٢) في (ب): يطري.

على ترك النساخة فعوفي .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عمن يثق به : أن صبيا من أهل صنعاء أصابته آفة في عينيه حتى ابيضّتا وذهب بصره ، فأخذ له كتاب بركة من الإمام عليه السلام فما كان إلا أن تعلق الكتاب في يده فأبصر في الحال وعوفي ، وعاد إلى صنعته من الخياطة .

ومن ذلك ما رواه عمن يثق به ، قال : أصاب بُنيةً لي صغيرة رمدٌ شديد حتى طلع على عينيها البياض ويئسنا منها وخشينا ذهاب بصرها ، فأتيت إلى الإمام عليه السلام بقليل من سليط فنفث فيه وتركنا منه شيئا في عينها فعوفيت وزال الألم والبياض .

ومن ذلك ما رواه مصنف سيرته عن جماعة من أصحاب الإمام عليه السلام وهم قدر خمسة عشر أو يزيد على ذلك وهو أحدهم قال : راح الإمام إلى قرية عتم من بلاد بكيل وقد أصابنا جوع شديد ، فأتى له صاحب المنزل الذي نزل عنده بقليل من عيش قدر نصف صاع أو دونه ليفطر منه ، فأكل منه لُقيمات ثم دفع باقيه إلينا فأكلنا منه حتى شبعنا ببركته ، قال : وأقسم كل واحد منا أنه قد أصاب ما يكفيه .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة أن جماعة كانوا في موضع وفيهم رجل مطرفي فأكثر السب للإمام المنصور بالله عليه السلام فلم ينكر أحد منهم ، فأنزل الله به صاعقة فاحتملته من بين أصحابه حتى أخرجته عنهم واحترق وخرج صبّابه ، وصرع أصحابه من هولها .

ومنها ما رواه مصنف سيرته عن الثقة : أن رجلاً من البياض نزل به العمى ، فرأى في منامه أن رجلاً قال له : تعود إلى مذهب الإمام المنصور بالله ويذهب عنك العمى ، ففعل ذلك وتاب مما كان يعتقده فلم يقف بعد ذلك إلا ثلاثة أيام وعاد عليه بصره .

ومنها ما حكاه مصنف سيرته عمن يثق به أن رجلاً اتفق بجماعة من

المطرفية فأمروه بلعن الإمام عليه السلام فساعدهم إلى ذلك، فأنزل الله به الكسح من ساعته، فندم على ما فعل وتاب إلى الله وتضرع إليه وتوسل بالإمام المنصور بالله عليه السلام فزال ذلك عنه .

ومنها القصة المشهورة: وهي أن وردسان لما تقدم إلى ناحية حوث في بعض أيامه فأخرب دار الإمام عليه السلام ثم عاد إلى صنعاء فما تم الأسبوع حتى أنزل الله تبارك وتعالى سيلاً لم يعهد أهل هذه الأعصار مثله، وكان قد بنى في صنعاء قصراً شامخاً وتأنق فيه وتعمق فهدمه ذلك السيل واستلب كثيرا من أمواله ونفائسه ونجا بعد أن أشفا[1] على الهلاك، وتعفت آثار القصر إلى غير ذلك من الكرامات الجمة .

وقد وردت الملاحم بذكره عليه السلام وصفته ، **فمنها** : ما رواه مصنف سيرته عن الأمير الفاضل بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن الهادي للحق عليه السلام قدس الله روحه قال: وجدت في كتاب قديم - قد كاد يتلف من البلى، وله مائة وعشرون سنة إلى وقت قيام الإمام عليه السلام - كلاماً في ذكر قيام القائم المنصور بالله، قال: ثم يظهر القائم المنصور بالله في سنة ثلاث وتسعين [وخمسمائة، وكان نهوض الإمام عليه السلام من الجوف إلى دار معين لطلب البيعة ودعاء الناس إلى القيام والجهاد في سبيل الله في أول ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين][2] وهذا موافق لما ذكره في الكتاب . ومنها ما رواه مصنف سيرته أولاً عن الشريف الفاضل سليمان بن بدر بن عبدالله بن جعفر قال: وجدت في رواية صحيحة عن محمد ابن الحنفية في شعر :

وديعــة عندي لآل مــحـــمــد   أودعــتـهــا وجـعلت من أمنائهـا

---

(١) أشفا : أشرف .

(٢)ما بين المعكوفين ساقط في (ب) .

فـإذا رأيت الكوكـبين تناوحـا ... في الجدي عند صباحها ومسائها

فـهناك يبـدأ عـز آل مـحـمـد ... وقـيامـهـا بالنصـر في أعـدائها

ومنها : ما نقل من أبيات قصيدة قديمة ذكر فيها صاحبها الخوارج ، ثم ذكر صفات الغُز التي شوهدت عيانًا ، ثم ذكر القائم بالحق فقال :

أهـل فـسق ولـواط ظاهـر ... أهل تعـذيب وضـرب بالخشب

كـفـروا بالدين ثم اشـتـغلوا ... بقـراع الناس حـبـا للذهب

يتـركـون الفـرض والسنة لا ... يعـرفـون اللّه ليسـوا بعـرب

فـهم كـالجن من أبصـرهم ... طار رعـبًـا ثم خـوفًـا وهرب

ينقلون المال من أرض سـبـأ ... نحـو مـصـر ودمـشق وحلب

فـإذا مـا الناس ضـاقـوا منهمُ ... في بسـيط الأرض طُرًّا والحـدب

ظهـر القـائم من أرض سـبـأ ... يمنيّ السكن شـاميّ النسب

اسـمـه باسم أبي الطهـر النبي ... ذاك عـبـداللّه كـشاف الكرب

يملأ الأقطار عـدلا مـثلمـا ... ملأت جـوراً وهذا قـد غلب

تظهـر الخيـرات في أيامـه ... وترى البـاطل فـيـه قـد هرب

وترى الأشـيب في دولتـه ... يتـمنى كل يـوم أن يشب

ومن تأمل هذه الصفات تحقق ما قلناه ؛ لأن هذه الصفات المذكورة أولاً هي الموجودة في الغُز بالمشاهدة ، ولم يقم الإمام عليه السلام إلا بعد أن أصاب الناس البلاء الشديد في سهول الأرض وحزونها من هؤلاء الأعاجم ، وقوله : ظهر القائم من أرض سبأ ؛ لأن الإمام المنصور باللّه عليه السلام كان خروجه من ناحية الجوف ، وهو يمني السكن شامي النسب ؛ لأن جده أبا هاشم الحسن بن عبدالرحمن عليه السلام وصل من الحجاز إلى اليمن ثم صرَّح بعد ذلك باسمه وهو عبداللّه ولم يعلم أن أحداً من أئمتنا عليهم السلام إلى الآن على هذه الصفات ، ثم ذكر ظهور الخيرات في أيامه

عليه السلام وذلك ظاهر وإن شئت فانظر إلى الحديد وكيف كان قد اشتد على الناس وأعوزهم نهاية الإعواز فصار في الكثرة على الحد الذي عرفه كل إنسان .

وأما المنامات الصادقة التي رآها الصالحون في حقه عليه السلام فهي كثيرة . فمنها ما رواه مصنف سيرته عن الشريف الفاضل الحسين بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن محمد بن جعفر بن القاسم قال: رأيت -في شعبان سنة أربع وستمائة في منامي -رجلاً يؤذِّن الأذان المعروف حتى انتهى إلى آخر الشهادتين ثم قال عقيب ذلك: أشهد أن عبدالله بن حمزة إمام مفترض الطاعة . ومنها: ما حكاه أهل جيلان في كتاب ورد منهم إلى الإمام عليه السلام عقيب إجابتهم الدعوة وإقامة الجمع، وقالوا: إن رجلاً من المحققين من العلماء وهو الفقيه القاسم بن إبراهيم رأى في المنام كأن هاتفًا يهتف من السماء بأعلى صوته: يا أيها الناس عليكم بالله الأكبر، والإمام الأطهر والنور الأزهر والعلم الأنور عبدالله بن حمزة وإلا فعليكم لعنة الله أجمعين .

وروى مصنف سيرته أن رجلا رأى في المنام كأن رجلاً أتاه بورقة وقال: اقرأ هذه فإذا فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى عبدالله بن حمزة أمير المؤمنين، بشارة له بالجنة وبراءة له من النار بقتله المطرفية .

وهذا الجنس من حكايات كراماته وغيرها يكثر، ولم يعلم أن أحدا من الأئمة المهتدين الهادين سلام الله عليهم أجمعين نقل له ما يقرب مما كان للإمام المنصور بالله عليه السلام فضلاً عن أن يساويه؛ لأنه قام في وقت قد غلب على الناس فيه الإعراضُ عن الدين، وضعف النشاط لجهاد المخلين، حتى كان أهل مذهبه من أكثر الخاذلين إلا من عصم الله رب العالمين وقليل ما هم، فأراد الله عز وجل أن يحرِّك خواطر الناس إلى دعوته، ويحثهم على طاعته بهذه الكرامات التي كان يظهرها عليه حالا بعد حال ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ [التوبة:١٢٥] .

ذكر بيعته عليه السلام، وانتصابه للأمر العام ومنتهى عمره عليه السلام

كانت دعوته عليه السلام العامة التي هي دعوة الإمامة وقد تقدم من الجوف إلى الحقل في شهر ذي القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة، وصار إلى هجرة دار معين فأقام بها أربعة أشهر تنقص أيامًا، وكان في هذه المدة اجتماع العلماء ومحاورتهم له ومناظرته حتى وجدوه بحراً لا ينفده النازح، وخضمًا لا يفنيه الماتح. وكانت الأسئلة في أصول الدين وفروعه، ومعقوله ومسموعه، ومعاني الآيات المشكلة، وفوائد الحديث المعربة، فحينئذ اعترفوا بأن جواده في ميدان الفضل المجلي، وأنه السابق غير المصلي، وتحققوا أنه أولى أهل عصره بالقيام بأمر الأمة، وأنه المرجوّ لكشف الغمّة؛ فلما كان يوم الجمعة الثالث عشر من شهر ربيع الأول سنة أربع وتسعين وخمسمائة تقدم عليه السلام ومن معه إلى المسجد الجامع فبايعه الناس، وكان أولهم الأميران الداعيان إلى الله سبحانه وتعالى شيخا آل الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: شمس الدين وبدرالدين يحيى ومحمد ابنا أحمد بن يحيى بن يحيى بن الناصر بن عبدالله بن محمد بن المختار بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم عليهم السلام، ثم بعدهما الأكابر من فضلاء أهل البيت عليهم السلام، ثم سائر العلماء من شيعتهم رضوان الله عليهم.

وكانت ألفاظ بيعته عليه السلام أن يقول بعد بسط يده: أُبايعك على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاة وليِّنا ومعادات عدونا، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا، فإذا قال الرجل نعم، قال: عليك كذلك ميثاق الله وعهده، وأشد ما أخذ الله على أنبيائه من عهد أو عقد، فيقول الرجل: نعم، فيقول عليه السلام: الله على ما تقول وكيل، وربما أكد فقال: وعلى أن نقيم ألسنتنا بالحق ولا تأخذنا في الله لومة لائم، وربما قال: وعلى الصبر في البأساء والضراء وحين البأس.

ثم أنشأ عليه السلام الدعوة وأودع فيها من الغرائب والعجائب ما ظهوره يغني عن ذكره، قال في صدرها: سلام عليكم، فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، الذي دل على وجود ذاته بما أظهر من آياته، وعلى عدله وحكمته بما بيّن من دلالته، بعث إلى كل أمة رسولاً ليكون نافعًا لهم، عليهم شهيدًا، ولهم إلى الخيرات دليلاً، وخلف النبوءة بالإمامة؛ لتنفيذ أحكام النبوة في البلاد إلى يوم انقطاع التكليف على العباد، فقال لا شريك له: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧] وصلى على المبعوث بجوامع الكلم، وبدائع الحكم، المفضّل على جميع البشر من العرب والعجم، وعلى آله مصابيح الظلم، ومفاتيح البهم.

ثم أخذ عليه السلام في فنون حسنة من الكلام موشحة بالكتاب والسنة وقال فيها: أترون عبد الله يفتتن بدنيا قد عرف باطنها أيقن من معرفة جُلكم بظاهرها؟ واهتم بآجلها أعظم من اهتمام أكثركم بعاجلها؟ يأبى الله ذلك عليه، ورسوله صلى الله عليه، وجدود طابت، وحجور طهرت، ومواليد شرفت، ومناكح استنجبت، كيف تكون النفوس النبوية العاقلة كالبهائم العاملة، فعليكم رحمكم الله بتقديم التوبة والإنابة، قبل الإقبال والإجابة، فإني آمركم بفعلي قبل الأمر لكم بقولي، وأنهاكم عما أنهى نفسي وأهلي، المساوي لي منكم في السن أتخذه أخًا، والمتقدم أبًا، والصغير ولدًا، لا آنس إلا بأهل العلم منكم والطاعة، ولا أنفر إلا عن أهل المعصية والضلالة، ومن العجائب أنه أنشأها على أنها محاسن الكلام ما بين صلاة الظهر والعصر لا غير.

واستقر عليه السلام بناحية صعدة حرسها الله تعالى بالمشاهد المقدسة على ساكنيها السلام، وفرّق الدعاة والولاة في النواحي والأقطار، والأحكام تجري على موافقة الشرع الشريف، فهو يزدادُ ظهورَ الدينِ الحنيف. وكان للأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد قدس الله روحه العناية الأكيدة، والصبر على تحمل مشقة السفر

على ضعفه وكبره . حتى لقد روى لنا الأمير عماد الدين يحيى بن حمزة خلد الله ملكه أنه رأى قدميه قد ورمتا وكثر تعبه ونصبه في بلاد عذر والأهنوم في الدعاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام إلى غير ذلك من الجهات . ووصلت الدعوة الشريفة إلى جهات تهامة ومخلاف بني سليمان ، فقام بأمرها السيد الفاضل العالم نظام الدين يحيى بن علي السليماني قدس الله روحه وانتشرت في سائر الأقطار ، وتقدم الإمام بعد مدة إلى جهة الجوف ، فأقام في براقش مدة والناس يفدون إليه من كل ناحية وينقلب منهم من ينقلب وقد شايع وتابع .

وكان الشيخ الفاضل عزان بن سعد رضي الله عنه من جملة من وصل إليه وكان قد أراد الحج فمر عند الإمام عليه السلام ، فلما مثُل بين يديه وبايعه قال : والله لقد رأيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ وصورته وثيابه على صورة الإمام وثيابه ، وكان منامه هذا من جملة الألطاف الداعية له إلى الالتزام بطاعة الإمام عليه السلام ، ثم أمره عليه السلام بالرجوع إلى بلاده للدعاء إلى طاعته والقيام بأمر الدين ، وكان رحمه الله ذا جدٍّ واجتهاد على رئاسته في قومه ، وأقام عليه السلام في الجوف مدة ثم تقدم إلى جهة اليمن ، كلما مر بناحية أصلح فاسدها ، وأعذب مواردها ، وهدم دور الفساد حتى انتهى إلى المصانع واجتمع معه خلق كثير من كل ناحية ، وحضر أكابر الفرقة الشقية المطرفية من الجهة النائية والدانية ، فبايعوا وشايعوا واعترفوا بصحة إمامته ثم نكثوا بيعته ومرقوا عن طاعته .

وكان من كلامه عليه السلام في ذلك المقام بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على نبيئه صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ أن قال : يا معشر المسلمين إن الله لم يخلقكم عبثًا ، ولم يترككم [1] سدى ، ولم يشرك في خلقكم أحداً ، ولم يوجدكم لِلَذات الدنيا ، وخفض المعاش في المحيا ، وإنما خلقكم لعبادته ، وهداكم سبيل طاعته ،

---

(١)في حاشية (أ) : يهملكم .

وبين السبيل وأوضح الدليل، وجعلكم ممكنين، وعن فعل الخير غير ممنوعين ولا مأسورين، ثم بعث محمداً صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ داعيًا إلى الدين القويم، هاديًا إلى الصراط المستقيم، مبلغًا للرسالة، منقذاً من الضلالة، بشيراً نذيراً، ظهيرا للحق نصيراً، فهدى صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ وبصّر، وقرّب وبشّر، وأنذر وحذر وأعذر، فمن عباده من انتفع واهتدى، ومنهم من اختار الضلالة على الهدى، فذلل اللَّه به أعناق الجبارين فخضعت، وقمع رؤوس المتكبرين فانقمعت، ووضع صياصي الظلم فاتضعت، ورفع ذرى الإسلام فارتفعت، ووسع مسالك الحق فاتسعت؛ فلما أصلح اللَّه به عباده، وأكمل له دينه، قبضه إليه قابلاً له، راضيا عليه؛ فصلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم صلاة تقارن روحه، وتنور ضريحه، وجعل بعده الحجة علي عباده كتابه المبين، وعترة رسوله الأمين، كما روي عن خاتم النبيين: «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى»[1]، وقال صَلَّى اللَّهُ عليه وآله وَسَلَّمَ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»[2].

أيها الناس: إنه لما عظمت نعم اللَّه لدينا، وجبت طاعته[3] علينا، وصرنا أعلم الناس بالحلال والحرام، وأعرفهم بشريعة محمد عليه السلام، وأولاهم بتدبير الأمور، وأبصرهم بسياسة الجمهور، ولم يبق لنا عند اللَّه تعالى في

---

(١) الحاكم ٢/ ٣٤٣، وقال حديث صحيح على شرط مسلم وأخرجه أيضاً في ٣/ ١٤٠، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والطبراني في الأوسط الصغير ٥/ برقم ٣٩٠، وفي الكبير ٣/ برقم ٢٦٣٦، والبزار ٢/ ٣٣٤ رقم ١٩٦٧ من مختصر زوائده لابن حجر.

(٢) المجموع للإمام زيد ٤٠٤، ومسلم عن زيد بن أرقم ٤/ ١٨٧٣ رقم ٢٤٠٨، والترمذي ٥/ ٦٢١ رقم ٣٧٨٦.

(٣)في (ب): حجته.

الغفلة[1] معذرة في الدنيا والآخرة، قمنا إلى الله تعالى داعين، وإلى ما يرضيه ساعين، ولأمره مطيعين، ولهديه متبعين، حيث قال في كتابه المبين: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، فدعونا الناس إلى رضى الله جاهدين، هادين إلى الحق مهتدين، باذلين النفوس والأموال مجاهدين، وقد بلغتكم دعوتُنا، وقرعت أسماعَكم واعيتُنا، ووجبت عليكم بيعتنا، وقد روي عن جدنا سيد البشر أنه قال: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبه الله على منخريه في نار جهنم»[2]، وقد طال ما أسبل الظلم رواقه، وألقى على بدر العدل مُحاقه، وأظهر الشيطان شقاقه، وأخذ على الظالمين ميثاقه، والآن قد أذن الله تعالى بعلو الحق واستظهاره، واشتهار العدل وانتشاره، ودمغ الباطل وخمود ناره، وهدم مناره وانطماس آثاره، فبادروا رحمكم الله فقد وجب عليكم الفرض إلى جنة عرضها السموات والأرض، واغتنموا الفرصة قبل نزول الغصة، واستقصاء كل قصة، وانظروا لأنفسكم مادمتم في مهل قبل حلول الأجل، وانقطاع الأمل والسؤال عن العمل. واعلموا أنا قد أطلقنا لمن أنكر دعوتنا وكره بيعتنا المطالبة بالحجة والبيان، والسؤال عن واضح البرهان، والبروز إلى مضمار الامتحان، فقفوا على العينة؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة، واصدقوا النية، واسلكوا السبيل الجلية، وخذوا الفائدة نقداً لا نسيّة فهذا الفرس وهذا الميدان، لكل شاسع ودان، ولا تأخذوا في دينكم إلا بالوثيقة، ولا تعملوا إلا على البصيرة والحقيقة، وتعاونوا على البر والتقوى، وتناهوا عن المنكر واتباع

---

(١) في (ب) ساقطة: الغفلة.

(٢) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢/ ٢٥٥، والطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٧ في سياق كلام الحسين عليه السلام.

الهوى، وزعوا نفوسكم عما تحب وتهوى. ﴿هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨] ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

وكان الفقيه الفاضل شهاب الدين أبو القاسم بن الحسين بن شبيب التهامي رحمه الله في صحبة الإمام عليه السلام وغيره من عيون أهل العلم رضوان الله عليهم؛ فقام بين يدي الإمام عليه السلام في ذلك الموقف[1] في جهة المصانع، فقال بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله صلى الله عليه وآله: يامعشر القبائل، ويا أسود الجحافل، ويا خطباء المحافل، ويا معشر المسلمين خاصة، دون الناس عامة، إني قائل فاسمعوا، فإذا سمعتم فعوا، اعلموا أن الأمر الذي كنتم تطلبونه، والنور الذي كنتم توقعونه، وتعدون له الليالي والأيام، والشهور والأعوام، هاهو في عترة نبيكم صلى الله عليه وآله قد لمع، وضياؤه قد سطع، وقائمهم بالفضائل قد جمع، وفي العلم قد برع، وفارق الطمع، وباشر الورع، وفارق الراحة، وجانب الاستراحة، واشتدت على الظالمين شكيمته، وتقوت عزيمته، وغزرت ديمته، وعلت همته، وقام في الله تعالى راغبًا، ولأعدائه مناصبًا، ولصلت جبينه ناصبًا، حين بُدِّلت الأحكام، وعطِّلت شرائع الإسلام، وشُرب المدام، وارتكبت الآثام، واستُغني عن الحلال بالحرام، وكثر الفساد بالبلاد، واستطالت أيدي أهل العناد، فبايعه السادة الأجلاء، والكبراء الفضلاء، أهل السؤدد الباذخ، والشرف الشامخ، والعلم البارع، والورع الرائع، من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله وغيرهم من أولياء الله المتقين، والعلماء المخلصين، وأهل الورع واليقين، بعد الاعتبار والبر والاختبار، فوجدوه خضماً لا تنزفه الدِّلاء، وطوداً لا يناله

---

(١) في حاشية «أ»: في بعض مواقفه.

الارتقاء، وليثًا لا تهوله الأهوال، ولا تقوم لصولته الأبطال، وحسامًا لا تقوم له الجنن، ولا تُروِّعه الفتن، وعزّامًا لا يصاحبه الوسن، وجندلة تدمى منها المحاجم، ويتحاماها المراجم، فاحصدوا رحمكم الله ناجم الشرك، وتعاونوا على حصاد أولي الإفك، وسابقوا إلى بيعته، وسارعوا إلى طاعته، تحيوا سعداء، وتموتوا شهداء، فإن عترة نبيكم ﷺ هم السادة القادة الذادة، الحماة الأباة الكفاة، وسفن النجاة التي من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق وهوى، لله أبوكم من أي نور بعده تقتبسون؟ وبعد كتاب الله وسنة نبيه تلتمسون، فمن كان منكم ذا شك وارتياب، متمسكا من الحيرة بأسباب، فها هو في معرض الاعتراض، واقف نفسه لا يعي عن جواب، ولا يكل عن خطاب، عالم بالسنة والكتاب، وهو الجدير بقول جده عليه السلام:

دبوا دبيب النمل لا تفوتوا ... وأصبحوا في حربكم وبيتوا

فإنني قد طال ما عصيت ... قد قلتموا لو جيتنا فجيتُ

ليس لكم ما شيتم أو شيت ... بل ما يشاء المحيي المميت

ثم انتضى الفقيه سيفه وقال:

ولو لم أكن فيكم خطيبا فإنني ... بسيفي إذا جد الوغى لخطيب

أخوض به للضرب في كل غمرة ... فأثني به عن تلك وهو خضيب

ثم تقدم عليه السلام إلى حصن كوكبان فأقام فيه مدة والأمور منوطة بحبل التوفيق من الله تعالى، وفي خلال ذلك أقبل إلى طاعته وتبعته من أمراء العجم حكوا بن محمد، فبايعه رجل من دعاة الإمام في بعض نواحي بكيل، فوصل إلى الإمام وانضاف إليه من خيل العجم إلى قدر مائتي فارس، فبايع الكل منهم، وصلى عليه السلام صلاة يوم النحر في شبام كوكبان ونحر وتقدم إلى صنعاء واثقًا بالله عز وجل متوكلا عليه، فلما وصلها وفيها من العجم إلى قدر سبعمائة فارس فتح أهل المدينة الباب فدخل عليه السلام في سبعة أفراس لا غير وهم أخوته ومن يختص به،

وتأخر حكوا ومن معه من الجند خارج المدينة ، وقصد عليه السلام إلى المسجد الجامع فاجتمع جند العجم وأحاطوا بالمسجد إحاطة الهالة بالقمر ، فوقف عليه السلام فيه حتى حضر وقت صلاة المغرب وأذن المؤذن بأذان أهل البيت عليهم السلام المختار ، وقضى صلاته ووقف ينتظر الفرج من اللّه تعالى والنصر ، فأخبرني الأمير الكبير عمادالدين خلد الله ملكه أنه أمره أن يشرف على العسكر من فوق السطح ، فلما أشرف عليهم آذوه وسبوه- لعنهم اللّه قال : ثم إن الإمام عليه السلام أشرف من ذلك الموضع بعينه على أولئك القوم فما تكلم أحد منهم إليه بكلمة واحدة مع مشاهدتهم إياه لهيبته ، وانتهى الحال بعد ذلك إلى أن أهل صنعاء الذين معه عليه السلام صوّبوا خروجه من المسجد فألبسوه شيئًا من لحافهم ليتنكر بذلك عمن شاهده عند خروجه ، ثم خرجوا به فيما بينهم كأنه واحد منهم وهم يسيرون بين العجم فسلمه الله تعالى من كيدهم حراسة لدينه ، ولما أراد من حياة الإسلام ونعش مذهب العترة عليهم السلام ، فأقام في بعض دور المتولين له جانبا من الليل ثم صوب أصحابه الخروج لعلها تسعف فرصة للخروج من المدينة فخرجوا وقصدوا بعض أبوابها فجاؤا والجند على الباب قد اشتدت الحراسة وتأكدت في كل ناحية وعلى كل باب من أبواب المدينة ، فعادوا إلى موضعهم واشتوروا ، وخاف أهل صنعاء على الإمام عليه السلام ، وأشفقوا لشدة محبتهم فتراجعوا ، وقال بعضهم : نقف في مسجد عيّنوه لا يكاد يصله أحد ، فلم يصَوِّب الإمام ذلك ، ثم اتفق الرأي على أنه يقف في بيت واحد غير معروف ولا مشهور فتقدم عليه السلام وتفرق أصحابه خيفة أن يطلع الصباح وهم كذلك ، وبات عيون أهل المدينة من الزيدية يجتهدون في فساد عسكر العجم حتى أفسدوا من الرَّجْل إلى ثلاثة ألاف راجل وكانت لهم في ذلك عناية أكيدة تليق بصحة عقيدتهم وأكيد محبتهم لأهل البيت عليهم السلام حتى أصبح الصباح وقد انتظم لهم ما أرادوه ، وفتحت أبواب المدينة فدخل حكوا

وأصحابه إلى الإمام عليه السلام، ثم أقبل جند العجم الذين كانوا فيها إلى بين يديه حتى بايعوه عليه السلام، وإن من كبارهم لمن ترعد يده عند البيعة رُعبًا وخوفًا قذفه الله في قلوبهم حتى شملتهم البيعة، وأذن لهم عليه السلام بالانصراف من المدينة فنزلوا نحو اليمن، واستقر الإمام المنصور بالله عليه السلام في المدينة ومن معه من الجنود، وجرت الأحكام النبوية على أحسن حال ووفد إليه عليه السلام الناس من كل ناحية، وكان من جملة الواصلين إليه الشيخان الأوحدان عزّان بن سعيد ومفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى في قوم كثير من جهاتهم بأموال جمة وغيرهم من أهل الجهات والنواحي، وأقام كذلك عليه السلام ينشر الهدى للطالب، والندى للعافي والراغب.

وقال عليه السلام[1] هذا الشعر عقيب دخوله صنعاء، وأثنى على أهلها بما كان لهم من العناية:

دعا ذكر نجد والحمائمَ بالحمى ... وبرقًا ورعدًا لاح وهْناً وأرزما

ودارًا لهم بين العذيب وبارق ... وبين هضاب الأبرقين وأصرما

ومخطوفة المتنين مهظومة الحشى ... خدلَّجة الساقين معسولة اللُّما

ولا تذكرا إلا حسامًا وذابلاً ... ودرعًا سلوقيًا وطرفًا مُسوَّما

وزوراء يُضمي نُبلُها ما شحية ... تمجُّ إلى الأعداء حتفًا مقسَّما

وفجرًا يَرُدُّ اليوم ليلاً بلأمة ... إذا أشرقته المشرفيَّة أظلما

كأنَّ ثبيرًا مسنفاتٌ جيادُه ... ورضوى أخال متنه ويلملما

يُقاد إلى قوم طغاة جبابر ... ليُدرك ثأرًا للعلى ولينقما

ولا تعرضا أمرًا مضى لسبيله ... ولا تنسيا هذا المقام وسلما

وقولا بلا فخر ولا جبرية ... ليَشفي أخا تقوى ويكبت مجرما

أمثلي يلدن المحصناتُ مقدما ... إذا هم يوما بالعظيمة صمَّما

---

(1) الديوان ١٢ - ١٣ مخطوط.

قذفت بنفسي في خميس عرمرم وكنت بنفسي فيه جيشا عرمرما

ليوث شرى لولا بياض وجوههم ولولا العفاف كلّما رمت مغنما

يقودهم حامي الحقيقة ماجد مليك يصفي ساحة الملك بالدما

إذا قال قلت الليث يزأر غاضبًا وإن كف خلته في المفاضة أرقما

غدا طائعا لله غير منازع ولا فاتح بالمعورات له فما

أقلب طرفي هل أرى العرب جهرة فلم أر إلا أعجميا مُهَمْهما

سوى نفرٍ شمِّ الأنوف غطارف رأوا خلطهم للنفس بالنفس أكرما

مسا عير من همدان في حومة الوغا يجرُّون للروع الوشيح المقوَّما

فلمّا قربنا الدرب جادت سماؤه بغيث رأينا منهُ قذًا وتوأما

كرجل جراد أمَّ سلمى عمودها إلى أن زهته ريح نجد فأتهما

فعدنا فأدينا فرائض ربنا وسرت إليهم حاسراً لا ملأما

وتالله ما وطنت نفسي على الرّدى لأحرز مالاً بل لأرحض مأثما

وكنت امرءًا أهوى الحسام مُثلّمًا وأهوى الرديني الأصمَّ محطّما

وأكره كون الحُرِّ خلف جنوده وأرضاه عرنينًا لهم متقدما

رجعنا إلى ذكر الدخول وربما أتى عارض يحكي اللآلي منظما

فجاءت أزالٌ جمَّع الله شملها وأسدى إليها الصالحات وأنعما

فجادوا بفتح الباب وابتهجوا بنا وقالوا لنا أهلاً وسهلاً ومغنما

وقالوا جهاد الظالمين فريضةٌ فقد طال ما كنّا نهابًا مُقسَّما

ستفديك أموال عظامٌ وأنفسٌ كرامٌ وإن أضحى ذووا الفسق لُوّما

فقلنا لهم خيراً ثناءً عليهم لكونهم فيما رجوناه سُلّما

وخضنا إلى أسد العرين عرينها بصبر حسونا منه صابًا وعلقما

وما هي بِكْرٌ خوض مهري إلى العدا إذا كاع يوما عنه جندي وأحجما

سل الخيل عني في عجيبٍ ومشهدي وقد صار ورد الخيل بالركض أدهما

ألم أُلْقَها ملء الفجاج مجرَّدًا ... عن الجيش طلقًا ضاحكًا متبسِّما
وفي بطن هرَّان ألم أحم حاسراً ... ذوي الزرد الموضون يومًا متمّما
وكم موقف نلقى به الندب ساهيًا ... لقيت به الفتيان ليثًا عشمشما
فقل للملوك الأرض لا تطمعوا بها ... مراغمةً ما لاح برق وأنجما
فقد طال ما نلتم حرامًا حطامها ... وأحرزتم ذنبًا بذاك ومأثما
فمن كان يبغي الفوز فليلتزم بنا ... فعصياننا قد صار حجراً محرّما

وقال عليه السلام[1] بصنعاء وقد امتنع قوم من بني أبي الفتوح بالمشرق من الانقياد فأوقع بهم حكوا بن محمد وقعةً عظيمة ، فقال في ذلك :

يا لائمي في مقال الحق لا تلم ... الحكم للسيف ليس الحكم للقلم
إني أبيت قليل النوم أرّقني ... قلب تقلّب من هَمّ إلى همَمِ
ليس الفتى من ينام الليل مُنْهَمكاً ... يفرِّح النفس بالطاري من الحلم
لكنْ فتى الناس من أمسى وهمته ... في منبر الملك لا في الشاء والنعم
إني هززت حساماً صارماً ذكرا ... يفلُّ في الروع حدَّ الصارم الخذم
صمصامة ذكرا تمضي مضاربه ... لا يسأم الحرب إن العجز في السأم
بحراً متى يرض يملأ الأرض نافلة ... وإن تغطمط غطى وجهها بدم
في عصبة وهبوا لله أنفسهم ... غطارف من حماة العرب والعجم
ما أنس لا أنس في صنعاء مواقفهم ... والجيشُ كالبحر حامي الظهر ملتطم
يقودهم ماجد حلوٌ شمائله ... علياه أشهر من نار على علم
أبو المظفر أعلا الناس منزلة ... وأضرب الناس يوم الرّوع للبُهم
سرٌّ لآل رسول الله منكتمٌ ... في سالف الدهر والماضي من الأمم
ينحط من علم ماض ومن طبق ... باق ومن ظهر صنديد إلى رحم
حتى بدا غرة للدهر شادخة ... بيضاء خالصة من شائب القتم

---

(١) الديوان ١٤ – ١٥.

فخان يحيى الفتوحي العهود ولم ... يخش العقاب من الجبار ذي النقم

فكفَّ عنهم عفافا كف مقتدر ... وصال فيها عقابا صول منقتم

قل لي لسيف الهدى إن كنت لاقيهُ ... يا هازم الجحفل الجرار ذي العلم

إني أقول وخير القول أصدَقه ... والقول يبقى وإن أفنى البلى رممي

إني أحبكم لله فاعتقدوا ... حُبّي وحق إله الحلِّ والحرم

من متَّ منا بحبل نال بغيته ... ومن تعدَّى انثنى بالخَزي والندم

إذا المصلي تولى غير ذاكرنا ... كان الوجود لها في الصحف كالعدم

ثم نهض عليه السلام يريد ذمار في شهر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وفيها من العجم خلق كثير فوقع القتال، وكان له عليه السلام في ذلك اليوم العناء العظيم والقتال الشديد، فإنه كان أمام جنوده المعقودة، وعساكره المحشودة، يقذف بنفسه في جموع الأعاجم فقُتل من جند العجم ثلاثون فيهم ثلاثة من العرب والباقي من صميمهم، فأيقنوا بالهلاك حتى سألوا الأمان فأمّنهم عليه السلام على تسليم الأموال والكراع والسلاح. وذكر مصنف سيرته عليه السلام أن الخبر شاع في صنعاء يوم فتح ذمار بنفسه، قال ومثل ذلك رواه جماعة من أهل صنعاء ثقات أن فتح صنعاء اشتهر بمنى يوم العيد وتحدَّث به الناس، واستقرت الأوامر والنواهي في ذمار وأعمالها.

ثم نهض عليه السلام إلى صنعاء؛ لأن بعض العجم الذين كانوا في ذمار كانوا قد قصدوها في خلال ذلك وحطوا على المدينة، فقصدها عليه السلام من ذمار يوم الثلاثاء لعشرين ليلة خلت من ربيع الأول، فلما أيقنوا بالإمام عليه السلام لاذوا بحصن براش ووصل عليه السلام المدينة وأقام مدةً، ثم كان بعد ذلك طلوع إسماعيل وقتل حكوا بن محمد والإمام عليه السلام في ناحية خيَره[1]، ثم نهض عليه السلام إلى جهران فتحقق الخبر بقتل جكوا فانصرف عليه السلام إلى بلاد بكيل ومر إلى ناحية مُقرا.

---

(١) في (ب): في ناحية خشران.

وكان من كلامه عليه السلام في بعض الأيام بناحيتهم في موضع يعرف بجرن القيل في سائلة مُقرا، وقد تحقق خيانة بعض من يتصرف عن أمره من الفرقة الشقية المطرفية فقال: وقد علمت أن البيضة لم تتحفظ والفسق لم يترفَّض إلا بالجند، والجندلا يستقيم إلا بالمال، والمال لا يُؤخذ إلا من الرعية، والرعية لا تجمع على الانقياد للحق إلا بطرف من الشدة، نعم أنعم الله عليك، ومع ذلك فإنهم لو أهملوا لذهب الدين والمال، وانكشف الغطاء، وساءت الحال، وشُغلوا عن القيل والقال، ولكنهم تفيَّئوا في ظل الحق فبغوا للحق[1] الغوائل، وجادلوا بالباطل، وهو كاسمه باطل، فلو ضغمتهم نيوب الباطل، وخافتهم المخالب؛ لصيّحوا صياح الثعالب، وقالوا: ليس لها إلا ابن أبي طالب، أين عمارة الوهاب من عنس؟ وأين زرعة من آنس؟ شتان ما بين الحمار والفرس، وتقلبوا في ذكر المناقب، وشهدوا بها من كل جانب، فأنا صاحبهم بالأمس وغداً، أوطأتهم واضح منهاج الهدى، لم أتدنّس باحتكار المال، ولا حالت بي عن سنن الاستقامة الحال، وهم يذكرون إتيان الملأ منهم، ولولا خشية التطويل لذكرناهم يعرضون علينا نصف المال، ويلزموننا القيام على تلك الشدائد والأهوال، حتى إذا فقأنا عين الفتنة بعد جذورها، وأخمدنا نار الضلالة بعد ظهورها، وتركنا روض الصريمة ليعفورها، ونصبنا منار الحق على أعلامها وفورها؛ فمن لاقف للمال كالهر اللَّبق، وطالب أحمال رجل لا تعق، وقائل إن السهاد قد لعق، فقلت: أبشر فالسكّيتُ قد لحق، واحفظ عرى الدين لئلا يمحق. فلما فأءتْ فئةُ الباطل وأجلت[2] وأصدقت زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر وظن كثير من الناس بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا، فمن

---

(١) في (ب): وتفيئوا في ظل الحق الغوائل.

(٢) في (ب) سقطت: وأصدقت وأخليت.

تائب ثابت، ومن هافت خافت، والله أغير لدينه وأحمى على شرعه، ونحن على موعود ولن يخلف الله وعده، وكيف يخذل بعد العدة بالنصر جنده، وقد هزم الأحزاب وحده، يوم صنعاء وبعده، فكأنك بألوية النصر قد خفقت بالظفر أطرافها، وببحار التوفيق قد طمت بالظالمين نطاقها، فكم هناك من حائز ملكًا حسيمًا، وقائل يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيمًا:

إذا غضب الفحل يوم الهياج	فلا تعذلوه إذا ما هدر
أنا ابن معيد صدور الجياد	والدم فيها يحاكي المطر
أينكر حقي برجم الظنون	وهل يكتم الناس ضوء القمر
فإن سُيِّرت سيرتي باليقين	كانت لعمرك خَيرُ السير
ألست الذي شق برد الضلال	بعزم يشق الحصى والشعر
وبأس توارثته من علي	وحزم تعلمته من عمر
لساني كشقشقة الأرحبي	أو كالحسام اليماني الذكر[1]

ثم لما تقدم إسماعيل إلى صنعاء تقدم الإمام عليه السلام إلى ناحية شبام، ثم إلى ثلا وأنشأ عليه السلام هذين الشعرين[2] قال مصنف سيرته عليه السلام من بعد صلاة الفجر إلى أول ضحوة النهار قبل انبساط الشمس، أحدهما:

لا تذكرنَّ منازل الأحباب	بلوى قضيب فأجرعي شرحاب
دارات آرام الصَّريم وإنما	ليس الزمان زمانَ ذكر تصاب
واذكر بنات الأعوجي ولاحق	شمَّ المتون لواحق الأقراب
والزَّغف كالغدران أحكم نسجها	سَرْداً كجلد الأرقم المنساب
ومناصلاً زرق المتون كأنها	برقٌ تعرَّض في متون سحاب

(١) الديوان: ٣٢.

(٢) الديوان ١٥ - ١٦.

والماشحية كل صفراء القرى ★ وهواك من عَتل ومن نشاب
ومقامة تدع النفوس رخيصة ★ فرسانها والسوق سوق ضراب
ليس المحارب كل يوم غالبًا ... كم قد طرى غلب على غلاَّب
لا تعجبن من جولة في صولة ... فحوادث الأيام غير عُجاب
إني أرِقت وما أرقت لحادثٍ ... من فلِّ جيش أو خمود شهاب
لكن لضلَّة أمة عن رشدها ... ونكوصها عهداً على الأعقاب
عني وقد عَلِمَت دفاعي في الوغى ... عنها وتعظيمي لها ونصاب
ولقد دعتني فاستجبت دعاءها ... ونهضت نهضة ضيغم وثَّاب
ونضوتُ عزما من عزائم حيدر ... يزري بحد الصارم القرضاب
هل تعلماني قد وقفت بموقف ... إلا ويشهد لي ذوو الأحساب
فعلام ينسى الأكرمون مودَّتي ... لجهام سيفان[1] ولمع سراب
إني ومن عمَرت قريشٌ بيته ... لا حلقة الأزلام والأنصاب
لا يثلم الخطب الملمُّ[2] عزائمي ... أبدًا ولا تُرخى فضول ثيابي
أفيحسب الأقوامُ أني نائم ... أو ساهر للهول أقرع نابي
الهول عندي حين يمنع ظهره ... أدنى وأهون من طنين ذباب
إن كنت يا صنعاء أكبر همتي ... وذمارُ إن ذكرت أجلُّ طلابي
فليزهد الأعداء فيَّ فإنني ... واهي العزيمة ضائع الأسلاب
إني إذا خمد اللئام رأيتني ... كالشمس بارزة بغير حجاب
سأقودها شعث النواصي شزَّبًا ... كالبحر ذات تغطمط وعُباب
حتى تصعَّد بالصعيد جيادها ... وتظم غزنة من وراء الباب

---

(١) في (ب): شفار.

(٢) في (ب): العظيم.

وتمرُّ في شط الفرات عوابسًا كالطير تكسر أجنحًا لإياب

وتقيم في بغداد يوم قيامة تنفي شكوك الواقف المرتاب

حتى ترى أبنا أبينا أننا شم الأنوف حماة كل عقاب

أبلغ بني العباس صفوة هاشم وسلالة العلامة الوهاب

من واصل الأرحام غير مقاطع ومشيّع في العالمين مُجاب

إنا أخذنا أمرنا فتبصّروا ودعوا النّهاب فلات حين نهاب

قد حزتموها بالصوارم برهة غصبا وليس الحقُّ للغصّاب

فالآن قرت في محل قرارها أبناء حيدرة الفتى الضرّاب

صنو النبي وخير من وطئ الحصى بعد النبي لباب كل لُباب

نور تنقل حالةً من حالة ما بين أرحام إلى أصلاب

وأبوكم المفضال سلّمها له من غير إسهاب وغير خطاب

الشعر الثاني ذكر فيه أيامه بالجوف وشكر أهله فقال عليه السلام

[الديوان: ١٦-١٧]:

رويدكما لا تعجلا بملامي فليس مقام الليث مثل مقامي

سل الخيل في صنعاء يوم قصدتُها بأرعن جرار أجشّ لُهام

ألم أك رمح الجيش عند قدومه وصمصامه لو حُلّ عقد ذمام

ويوم ذمار عند مشتجر القنا ألم يك فعلي قائداً لكلامي

وكم موقف ينسى به المرء نفسه عُرفْتُ به ماضي العزيمة سامي

ولي كل يوم همة علوية تزيل بإذن الله ركن شمام

يُهال لها عرب وعجم وإنها تشيِّب رأس الطفل قبل فطام

أنا القائم المنصور منصور هاشم حسام رقيق الحد غير كهام

ولي نفس حر الوالدين مهذب ونفس عصام قد سمت بعصام

إذا رمتُ أمراً لم تمنّع صعابه وأدنت رؤسًا جنّحًا لخطام

فلا تجزعا أن كان للحرب جولةٌ فليس بأيدي الحادثات زمامي

تحملت أعباء الحوادث يافعا فأكرم بحمال الخطوب غلام

أبي فارس الإسلام غير مدافع عليٌّ إمام الحق خير إمام

أشد قريش في الهياج شكيمة وأقدمهم في كل يوم صدام

فمن أين يعروني اضطراب إذا القنا سمت بنجوم في سماء قتام

«فيا راكبًا إما عرضت فبلغن» بني هاشم قومي الغداة نظامي

وأبناء قحطان وعدنان عن يد وكل كريم الوالدين محامي

وقل لهم ما عذركم عند ربكم إذا قادكمْ باريكمُ لخصام

وقلتُ له يا رب لم ينصروا الهدى وقد ذُدت عن أديانهم بحسامي

ألا رُبَّ مفتون بعاجل عيشة عَمٍ عن طريق الحق أو متعامي

وكم باسط للعهد كفًا كأنه لغفلته قد مدَّها لسلام

هو العهد والميثاق فالتزموا به أأنتم نيام أم شبيه نيام

تهنونني بالفتح عند قدومه وتنأون عني والنحور دوامي

أهذا من الإنصاف ما نَفْع حاملٍ إذا وضعت حملا لغير تمام

فقل لي لنهمٍ حيث قرَّ قرارها وفرسان هذا الحي حي دعام

أتاني والأنباء تُنمى على النوى فعالٌ لكم مسكٌ بغير ختام

سموتم لنجران وكنتم سَمَادِعًا كراما وأهل الغدر غير كرام

فأدركتم ثأرًا لآل محمد وأبتم على رغم العدا بسلام

سقاكمَ مُلِثٌّ القطر من كل حالك حبيٌّ بطي السير غير جهام

ورعيـاً لأيام لنا ببراقش لدى قومنا السادات صفوة سام

غداة نجرُّ السمر لا اللّهو شأننا وما اللّهو في حَرِّ القنا بحرام

فهل أثلات الواد شرقي منجزر[1] كعهدي نضيرات الغُصون سوامي

ويا ليت شعري هل أبيتن ليلةً بشط معين حاسرا للثامي

وما حال دارات لهم قد عهدتها بأيمن سليام وأيسر حام

بها كل مكسالٍ كأن جبينها سماوة بدر لاح تحت غمام

حمتها رماح الخط في كل غارة بأيدي كرام الجد غير لئام

فإن تُطهروا[2] الآفاق من دنساتها أتاكم سوادي عاجلا وخيامي

أمثلي ينام الليل ملأ جفونه وديني مضيم والعداة أمامي

وكم سائل عن بغيتي ثم قال لي مُرادك نجدي وأنت تهامي

فكلت له بالصاع ثم أجبته هواك يماني وأنت شآمي

أيعظم من مثلي مرام معظم وسمك محل النجم دون مرامي

ولابد من يوم تظل به الظبا تمج نجيعًا من رؤوس طغام

وتقدم الإمام عليه السلام حتى انتهى إلى أثافت، ولم يزل عليه السلام يرحض أدران الفساد، ويسعى في صلاح العباد، حتى جرت الأحكام على موافقة الدين، وخسأت عفاريت المتمردين، واستحكمت الأمور في الظاهر كله بعد أن كان فيه من الفساد ما يكثر، فطهره عليه السلام وانتظمت الأمور في الجوف وصعدة وأعمالها، ونجران ونواحيه، والجهات المغربية، ونفذت دعوته إلى الحجاز فبويع له وأقيمت الجمع في يَنْبُع وخيبر وكانت الحقوق الواجبة تصل إليه من تلك الجهات على سبيل الاستمرار، ووصله مَن وصل من الشرفاء الحسنيين للجهاد في سبيل الله عزوجل بين يديه، فعز بهم الدين، واشتدت شوكة المسلمين، وكانت الغوائر إلى نواحي تهامة حالا بعد حال حتى أجلي كثير من أهلها من تتابع الغوائر، وكانت

---

(١) منطقة قرب براقش.

(٢) في (ب): تطهر.

الغنائم تنقلب بها الجنود حالا بعد حال، واستقر أمره عليه السلام في نواحي مذحج وصُلِّيت الجمع فيها، وقبضت منها الأموال، وكانت تأتيه وقتًا بعد وقت حتى كانت سببا لقوة أمره وظهور كلمته، ونظم الجنود أحسن نظام، وقدر أرزاقهم، وعمر حصن ظفار[1] حرسه الله تعالى في شهر شوال سنة ستمائة فكان سببا لانتظام أحواله وسداد أموره، وأعلا الله كلمة الدين، ولم تزل البعوث والسرايا في كل حين إلى أرض الأعادي تجوس خلالها، وتستلبُ أموالها، وتسبي أطفالها[2]، وتقتل رجالها[3].

ثم وجه عليه السلام دعاته إلى نواحي جيلان وديلمان، فبايعوا جميع من بها من الزيدية، وعلا فيها ذكره، وخطب له في مساجدها، وصليت الجمع، وقبضت الحقوق الواجبة باسمه، وجاهدوا من يليهم من الجبرية المجسمة والباطنية، وتيمنوا ببركة دعوته، واستسعدوا بإجابته حتى إن بلادهم كانت قد أصابتها حطْمةٌ شديدة عظمت معها عليهم البلوى، وعضتهم بها الأزمة الشديدة، فما كان إلا ريث دخول الدعوة إلى جهاتهم، فأبدل الله تعالى بالجدب خصبًا، وزالت الشدة عنهم عن قريب ووردت الدعوة والسعرُ فيها بالمثقال الذهب ما بين ثلاثين قفيزاً إلى خمسين، فبلغ بعد ذلك مائتين وخمسين قفيز إلى ثلاثمائة بالمثقال، وجاهدوا في سبيل الله عز وعلا، وأقيمت عندهم الحدود، وكانت الأوامر النبوية جارية فيها على الوجه الذي هي جارية في هذه النواحي.

ولقد أخبرنا من نثق به وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني من شدة تشددهم في ذلك بما يكثر حتى إن رجلاً من علمائهم ظهر منه تخذيل عن بيعة

---

(١) ظفار داود: حصن أثري في الجهة الشمالية الشرقية من مدينة ذيبين على بعد ٧٠كم شمال صنعاء.

(٢) في (ب): أموالها.

(٣) أنظر السيرة المنصورية لأبي فراس بن دعثم ٢/ ٤٧٩، ٦٣٤-٦٣٦.

الإمام عليه السلام فلما علم ذلك بعضُ الأكابر من العترة عليهم السلام وهو الأمير السيد ظهير الدين أبو طالب بن يوسف الثائري الحسيني قدس الله روحه أمر من صلبه، وكذلك في صورة تشبه هذه، وطُرد رجل من علمائهم المشهورين من بلد إلى بلد لتوقفه في إمامة الإمام عليه السلام حتى صفت له عليه السلام الأمور فيها، وكانت الأموال تصل في كثير من السنين من جهتهم، ولم يُعلم أنه اجتمع لأحد من أئمتنا عليهم السلام ما اجتمع له من انتظام أمور اليمن والحجاز وجيلان وديلمان قبله عليه السلام وكذلك فإن جميع من في جهات الرَّي من الزيدية كلهم اعتقدوا إمامته عليه السلام وعلا صيته في جميع الأقطار.

وكتب عليه السلام الدعوة إلى ملك خوارزم علاء الدين شاه شاه، واتصلت به على يد السيد الفاضل العالم مجدالدين يحيى بن إسماعيل بن علي بن أحمد بن علي ابن محمد بن يحيى بن محمد بن أحمد بن محمد زبارة بن عبدالله بن الحسن بن الحسن الأفطس بن علي بن علي زين العابدين بن الحسين الشهيد بن علي أمير المؤمنين عليه السلام. وكان من سادات الزيدية، وكان متبحراً في العلم يلقب بأستاذ الطوائف المخالف والموالف؛ لتوسعه في كل فن، ومعرفته لفقه كل فقيه من فقهاء الأمة، وكان لما اتصلت به هو المبلغ لها إلى السلطان المقدم ذكره، ثم لما انتهت إليه قرأها وهو من المحققين في العدل والتوحيد هو وأهل بلده معروفون بالتشدد في مذهب المعتزلة والاعتصام به، ويعتقدون من كفر الجبرية القدرية والحشوية الفرية ما نعتقده، ولهم معرفة بحق أهل البيت عليهم السلام، لا تزاحمهم فيها فرقة من فرق الأمة بعد شيعة أهل البيت عليهم السلام، فوهب السلطان للسيد مجدالدين عند ذلك خمسمائة مثقالاً، ولو مد الله في عمر الإمام المنصور بالله عليه السلام لكان ينتظم له الأمر في تلك الناحية إن شاء الله تعالى غير أنه لم يلبث عليه السلام بعد ذلك إلا المدة اليسيرة.

ووردت كتب الملك الظافر غازي بن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب من حلب سنة إحدى وستمائة والوارد بها رجل من ولد النفس الزكية عليه السلام، ووصل اليمن فعاقه سلطان العجم عن الإمام، فأجاب عليه السلام بالشعر الذي أوله :

أتهجر معتمدا دارها . . . . . حتى قال :

إلى حلب حيث صيد الملوك　　تحبو ويكرم زوّارها

سلالة من شاد دين الإله　　وطهّر بالسيف أوزارها

فرحمة ربي على روحه　　عشايا العصور وأبكارها

وكان عليه السلام قد رزقه الله تعالى من حسن الصيت وارتفاع الذكر وحسن الأحدوثة والثناء الجميل ما قل مثله لمن مضى من أئمة الزيدية عليهم السلام، حتى أن الإمامية على حيفهم عن السابقين من أئمة الزيدية واجترائهم على أذيتهم لم ينقل عنهم مثل ذلك في حقه عليه السلام بل كانوا في نهاية المحبة والمودة له عليه السلام على اعتقادهم ظلم القائمين بعد الحسين عليه السلام من أئمة الزيدية عليهم السلام عموما حتى قال بعض شعرائهم وهو السمطي :

سن ظلم الأنام للناس زيد　　إن ظلم الأنام داء عضال

وبنو الشيخ والقتيل بفخ　　ثم يحيى ومؤتم الأشبال

ولم يزل عليه السلام منفذاً للبعوث والسرايا إلى مغرب ومشرق وشام ويمن، فقلَّ ما كان يقف عسكره من الغزو .

ودخل صنعاء المرة الثانية في شهر صفر سنة إحدى عشرة وستمائة، فأقام فيها مدة ثم تقدم ذمار، وانحازت جنود العجم إلى ذي حولان[1] فصمد لهم عليه السلام بنفسه حتى أظفره الله تعالى عليهم واستولى على الخيل والسلاح وأعتق الرقاب .

---

(١) قرية خارج مدينة ذمار معروفة .

وقال عليه السلام[1] في صنعاء بعد رجوعه إليها من ذمار وذكر ذي حَولان:

عجبت فهل عجبت لفيض دمع ... لموحشة على طلل ورسم
ونؤي كالسوار وجذم حوض ... وأشعث قد أطال من التأمي
وما يغنيك من طلل محيل ... لهند أو لجُمْل أو لنُعْم
أوانس كالبدور إذا تجلَّت ... كأن عيونها أعيان رقم
تميس كأنها أغصان بان ... تثني فوق أهْيَل كالخضمِّ
كأن حمولهن مكللات ... بلف من نخيل حُواث غُم
تظل الطير تخطف جانبيها ... لما صوَّرن من عُقم ورقم
فعدٍّ عن المنازل والتصابي ... وهات لنا حديث غدير خم
فيالك موقفا ما كان أسنى ... ولكن مَرَّ في آذان صُمٍّ
لقد مال الأنام معا علينا ... كأن خروجنا من خلف ردم
هدينا الناس كلهم جميعًا ... وكم بين المبيِّن والمعمَّي
فكان جزاؤنا منهم قِراعًا ... ببيض الهند في الرَّهج الأحمِّ
همُ قتلوا أبا حسن عليًّا ... وغالوا سبطه حسنًا بسُم
وهم حظروا الفرات على حسين ... وما صانوه من نصل وسهم
وزيدا أوردوه ظُبى المواضي ... فكم جرم أتوه بعد جرم
وأولاد الهمام الشيخ[2] منا ... هداة الناس من ظُلَم وظُلْم
ولم أر هالكًا كقتيل فخٍّ ... فيا لك من وسيع الباع ضخم

---

(١) الديوان ٨٢ - ٨٣.

(٢) الشيخ هو: عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الملقب بالكامل عليهم السلام، وأولاده الأئمة: محمد بن عبدالله النفس الزكية.. وإخوته: إبراهيم وموسى وإدريس ويحيى عليهم السلام.

أئمةُ أمّةٍ جهلتْ هداها ... بخدعة مارق وشقاق غُتم

همُ قدحوا زناد النار فينا ... فقاموا عن خديجٍ غيرِ تمٍّ

وكم متشيعٍ عاد علينا ... بآنس أو ديار بلاد قُمٍّ

وجبري ينازعنا هدانا ... كذي خطل يعرفني باسمي

أتخطي رشدنا وتصيب رشداً ... كمن يقضي على علم بوهم

أطيعي مرشديك وشايعيهم ... فإن ساعدتني فخلاك ذمي

هم جهلوا سبيل الرشد فينا ... فأعقبهم بها غمّا بغم

وما ضر المصيبَ هداه فينا ... أأمّيّا غدا أم غير أمّيّ

أخي من كان يهديني لرشدي ... وليس أخي هو ابن أبي وأمي

وحاشا شيعة الميمون زيد ... حماة الرّوع فتيان التحمي

أمرضعة الجنين تعرّفيه ... فإن كان الشجاع فلا تصم

فلو عاينت ابنك في ثلاث ... عقيب الموت ويحك لم تشم

بنى الهرمين أعجب ما رأينا ... وأنفع من بناه عريش هرم

متى ترقى سويق البُر إثما ... فمل عن أكله بسويق حَزْم

وأنفع من فرائد كرْم جيد ... فرائد من ثمار بنات كرم

تشابه أهل ملتنا علينا ... فلم ندر الأخصَّ من الأعم

ينازعني أناس أمر ديني ... وهمُّهمُ لعمرك غيرُ همي

وقد أرشدتهم وطلعت شمسا ... لهم في ليل خطب مدلهمٍّ

وأحمد سيد الثقلين جدي ... وجعفر طائر الملكوت عمي

ويوم مثل ظل الرمح طولا ... قصرت طويله بطويل عزمي

فمن يك سائلا عني فإني ... غداة الروع في الجزء الأصمِّ

أظنّ مطرّف إنكار فضلي ... يرد إليه معرفتي وحزمي

فقدما أنكر الزاكين قبلي فلم يظفر لشقوته بغنم
وعارضني بمهديٍّ غويٍّ ألا ليت المسمي لم يُسمِّ
أظنَّ الإسم يُبلغه المعالي وكم إسم يقال لغير جسم
ظننتم حربنا شعراً بشعر وشتما ظل سعيكم بشتم
فلولا حال بينكم وبيني جنود الظلم من عرب وعجم
لزرتكم بأرْعن مكفهر بطيء السير كالطود الأشم
سلوا صنعاء يوم الروع عنا وعن أحلاس خيل غير عُمّ
وذي حَولان إذ لجأت إليه أسود الغاب من كلبي وغشم
وكانوا النار جاء لها عُصار فطار بها إلى تيار يم
فويل مطرِّف من طول حربي ومن طَلَبي ومن ضربي وضغمي
وعدتكم فلمْ أخلف وعيدي وبالرحمن إيعادي وحتمي
فأين وعيدكم وكشيش ضب ظننتم حسَّه كهدير قرم
أنا حامي الملوك فقل كقولي ليعجب كل ذي عقل وفهم
على صور المسائل قلت جهلا وليست هاشم كرجال جُرْم
فإن تك من رجال الحرب فاثبت وكن رجلا بها تُرمَى وتَرمي
وجمِّع كل ذي دين خبيث لنلحق جمعكم بجموع طسم

وصلحت ذمار وتلك الأعمال وجرت فيها الأحكام وهو في خلال ذلك يجتهد في تدمير المطرفية ، وصبَّ كل محنة عليهم وبلية ، حتى صاروا بين قتيل وطريد ، وأجرى فيهم الأحكام من القتل وسبي الذرية في البلاد الحميرية وغيرها من الجهات المغربية ، وعرَّف أحكاما كانت مجهولة ، وجدد شرائع كانت مدروسة وأنار سننًا كانت مطموسة ، وفي خلال ذلك لا يعرى عن جاهل يطعن بغير بصيرة ، فيكشف له عليه السلام المشكل ، ويفتح له المقفل ، فبين قابل ومعرض جاهل .

رسالة ابن النساخ:

ولما أنزل ﷺ بالمطرفية الشقية النكال، واستبى النساء والذراري واستلب الأموال، عظمت عليهم البلية، فأنشأ رجل منهم يعرف بابن النساخ رسالة إلى خليفة بغداد وهو في ذلك الوقت محمد الملقب بالناصر يحثه على إرسال عسكر إلى اليمن، وذكر فيها من مناقبه ﷺ ما هو جدير، ورأينا إثباتها في أخباره؛ لأنها واردة من ضد مكاشح ولا أقوى من شهادة الضد لضده فقال فيها:

السلامُ عليك أيتها المعالم المقدسة بالأكياس، المطهرة من الأدناس، المحلاة بأفضل لباس، المنتجبة لخلفاء بني العباس، المتأرّج عرفها ونشرها، والسائر مع الأمثال السائرة ذكرها، وطن العترة الرضية، ومغرس الشجرة المباركة النبوية . . . شعراً:

ومغنى أمير المؤمنين ودارُهُ وفيها عماد الملك[1] قر قراره

تخيرها المنصور قدمًا فحلَّها وأوطنها من طابَ حقًّا نجاره

هي الروضة الغناء والربوة التي تخيرها قدما ففاق خياره

وفيها أمير المؤمنين محمد وخير شعار العالمين شعاره

عقود العز والتحصين، والحرم المحرم الأمين، مسقط رؤوس الخلفاء الراشدين، والربوة ذات القرار والمعين. . . شعراً:

دار الفكاهة والتأديب والأدبا ومنزل الظرفا الأكياس والأربا

يا رب معنى لطيف في معالمها تراه عن غامض الأفكار قد حجبا

يروى ببغداد أن العلم متجرها وأنه عبد ناديها إذا انتسبا

سلام يستلم شجرها ومدرها، ويستهل بالإجلال والتبجيل شمسها وقمرها:

سلامٌ كالعقود بها لآلٍ مقلدةٌ من الغزلان عينا

---

(١) في (ب): عماد الدين.

سـلامٌ لا تـكدِّره الليـالي ... يروق الناظرين السامعينا

سـلامٌ ريحه عَبقٌ ذكي ... يحاكي نشر مسك التبتبينا

وعند استلامك للباب الأعظم، والمعاينة للحرم المحرم، تقبل مواضع القدم، وتعفر خدك بالسجود للواحد المعبود، حيث بلّغك أقصى المرام، باستهلالك بدر التمام، ملك الإسلام، جمال الدنيا والدين، واسطة عقد الهاشميين، محمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين . . . شعر:

فيكتحل الطرف المحاسنَ كلَّها ... ويرتاح إذْ نال المنى والأمانيا

خليفة أزكى العالمين أرومة ... ومن لم يدع للعدل ضداً مناويا

تشعشع نور الأفق من نور عدله ... ويخجل في الأفق الهلال اليمانيا

وبعد ذلك نحضه على الاستعداد لإطفاء نار تأججت باليمن، أذكى وقودها قائم من بني الحسن، تمالأ أهل اليمن على نصرته، وسارعوا إلى جماعته وجمعته، وعقدوا له الألوية والبنود، وأتوا بالخميس العرمرم المحشود، ولقد قدر علينا واستظهر فعند ذلك اصدع بما تؤمر فقد أعذر من أنذر:

وقبِّل ثرى أرض الخليفة واسجد ... وسلم سلام العارض المتردد

وسائل بني عم النبي محمد ... وأنشد بملء الشدق فيهم وغرِّدِ

أما بلغتكم دعوة المتهجد ... وإيعاده يوما يروح ويغتدي

يسائل بني عمه الأخيار من أهل البادية والقرار، في إعارة يوم من الأعمار ليبتّك الأوتار، وينقم منك بالثأر، وعند استيلائه على الحرمين، والتئام أولاد البطنين، ينهض إلى الشام والعراقين، وَعيدٌ لا يُفند واعده، ومنهل لا يصدر عنه وارده، هي والله إحدى الكبر، التي لا تبقي ولا تذر أين منها المفر فلا منجى ولا وزر!

ويجري إليكم بالمغاور ضمّراً ... دلاص الدروع السابري ثيابها

ببيضٍ مواضٍ ما تفل غُروبها ... وسمر دقاق يطردن كعابها

ويوم ترى أيام صفين دونه بمعركة ما إن يطير عقابها

اللهم إلا أن تنهضوا إليه، على كل صعب وذلول جيلا بعد جيل، ورعيلاً في إثر رعيل، وتعدوا للجلاد السواعد الشداد، والسيوف الحداد، فعسى أن يُحمى بحماها بغداد وكوفان، ويملك ما سواهما من البلدان، هيهات من ذاك هيهات، لا إدراك لما فات، وقد هيأ بضرب الدينار والدرهم دارين، وملأ بهيبته ومملكته كل قلب وعين. . . شعر:

وساعده المقدور حتى جرى له بما يشتهي أفلاكها ونجومها

ونادى أنا ابن المصطفى وابن عمه عليٌ أنا ترب العلا ونديمها

أما أحمد جدي، وحيدر والدي وإني للعلياء حقًّا أقيمها

بكلام يستنزل العصم، ويزلزل الشُم، أحلى من العسل، وأمضى من البيض والأسل، وقد بلغت دعوته جيلان وديلمان، وطنجة وأصبهان، فماذا بعد اشتهاره بالقيام تنتظرون، فكأنه والله بما قد تأمله فيكم يكون:

وتصهل في أكناف دجلة خيله وتضرب فوق الشط منها مضاربه

ويمسي قضيب الملك ملكًا لكفه وخاتمه في خنصر هو صاحبه

ويدخل بغداد فيقتل أهلها ويغنى بسلب الملك من هو سالبه

ويطلع فوق المنبر الأسمر الذي خليفتنا للأمر والنهي راكبه

مقالة حق إن ونيتم رأيتم بداركم ما الكف بالطرس كاتبه

ومن لم يخف من غائلات عدوه فرت نحره أنيابه ومخالبه

ومن جعل التفريط والعجز دأبه وجانب رأي الحزم أعيت مطالبه

على ملك الإسلام ألفُ تحية إذا بلغتنا خيله وكتائبه

ثم قال بعد هذه الرسالة:

لمنشي الحمد ذي الملكوت حمدي رداء الحمد أفضل ما تُردي

حملت على البريد بسعد جدي ... نظاما ناظما تبديد عقدي

شعاع فرنده يشفي نفوسا ... علقن لها السعود بغير كد

يلوح إلى خراسان ومصر ... وبغداد وكوفان بقصد

ينادي في دمشق بفرد صوت ... فيسمع كل فلاح وجندي

قوافيها أزمّتها بكفي ... سأرسلها لخدمتها تؤدي

إلى حرم الخلافة منتهاها ... لتلثم أرضها بثناء حمد

تخصكم رسالة ذي وداد ... يحثكم بحزم بعد رشد

سأنتزع القوافي من لساني ... سناها يستطير بأرض نجد

لها غرب شباه يشيب منها ... نواصي القوم من قرب وبعد

نيامٌ يا بني العباس أنتم ... وهذا ثوب إمرتكم تُردي

أراكم غافلين، وسوف عنها ... نباعدكم بحد أيِّ جد

ونرميكم ببغداد بجيش ... أجش، متابعا برقا برعد

ينادي يا لثارات بفخٍّ ... وباخمرا ووقعة يوم مهدي

ويدعو: أين إدريس ويحيى ... وعبدالله أين أبي وجدي

أأنسى قتلكم لهم جميعا ... معاذ الله لو أفردت وحدي

بأحشائي عليكم نار وجدٍ ... تثير عليكم مكنون حقدي

علينا أن ننبئكم ونبدي ... بأن المرء همته التعدي

إمام هاشمي فاطمي ... معيدٌ للنضال لكم ومبدي

أشار إلى الخلافة فانتضاها ... ولكن لا يُملأها بخلد

وسيماء الملوك عليه باد ... بعيدٌ صيته يعطي ويجدي

فصيح لفظه عذب فرات ... يفض به صلابة كل صلد

يقود قبائل اليمن اللواتي ... تزوركم مكفرة بسرد

بكندة والذرى همـــــدان تأتي ‏ ومذحج، أسدُ حرب أي أسد

وحيي حاشد وبكيل منهم ‏ وعنس والأولى من آل سعد

وسنحان وخولان، ونهم ‏ وجنب والسكون وحي نهد

وقوم من بني الملطوم شوس ‏ يحاكي بأسهم عمرو بن معدي

قبائل دعوة الداعي أجابوا ‏ وأدوكم لقد جاؤا بأد

كتائبه إليكم ذالفات ‏ بأرماح مثقفة وجُرد

وتأتلق البروق من المواضي ‏ إذا عصبت بهامة كل وغد

تشعشع ضوء نور بني علي ‏ سيطفي ناركم من غير بُد

ويتركّكم له خولا عبيداً ‏ إذا ما قاد جنداً بعد جند

وينقم منكم بالثأر قدما ‏ يصارفكم به نقداً بنقد

وظني أن داركم ستضحي ‏ ولا عهداً لها أبدًا بفرد

إذا لم تنهضوا بالخيل شُعثًا ‏ نواصيها عليها كل صلد

من الأتراك أهل البأس حقًا ‏ يقودهم شريف من معد

إذا أبطأتمُ إبطاء فند ‏ ولم تجروا إليه بكل هند

أصبتم قول ليت تجر ضيمًا ‏ وما ليت على التفريط مجدي

لكم إرث الخلافة عن أبيكم ‏ لأنكم أولو رشد ومجد

وأغارت جنوده المنصورة إلى نحو لحج وأبين فغنموا الأموال وقتلوا الرجال وانقلبوا بعزة قعساء لم يمسسهم سوء.

وكتب عليه السلام من صنعاء إلى أهل بغداد:

يا أهل بغداد إنَّ الله سائلكم ‏ عن ملّة الدين إذ ألحدتُمُ فيها

أنتم عيون بني الأيام قاطبة ‏ في النائبات ولكن القذى فيها

قد اشتملتم على عمياء مظلمة ‏ لا يهتدي بنجوم الحق هاديها

إن الخــلافــة أمــرٌ هائلٌ خطرٌ صعبٌ مسالكها صعبٌ مراقيها

لو كـان مـا أنتم فـيـه على سَنَنٍ قـام المريض إلى المرضى يُداويهـا

أيُلزم الحـد مـحـدودٌ بحكم إلـ ـه الناس أم يرشد الضلال مغويها

جعلتم حجة الدعوى مُطهـمَـةً جردا، ومطرورةً تصمى نواحيها

إن الخليـفـة من يهـدى لسنتـه حتى تضيء به الظلمـا لساريهـا

ويقـتـفي سنة المختـار معـتـمـدا حتى يضم إلى الأدنى قواصيهـا

ولا يميل إلى لهـــو ولا لعب إلا بسمر العوالي في مجاريهـا

يجري الشريعة مجراها الذي وضعت عليـه حـتى يحل الدار بانيـهـا

خليـفـة الله يرضي الله سـيـرته ويطهر الارض طُرًا من مخازيها

كم قد سمعتم خلافا في الوصي وفي الـ ـصديق يعظُم في النجوى تلاحيها

فكيف يأخذها مَنْ علِم جملتكم بحـاله عن طلاب الحق يغنيـهـا

القـــوم منا ولكن أين فـاطمــة وزوجـهـا وسليـلاها وواليـهـا

وأين سـيـرتنا المشـهـور طهـرتهـا باسم المهيمن مجريها ومرسيها

نقـفـو بهـا جدنا المختـار لا عـوج فيها ولا أمت تلقى في معانيها

لا نعرف الخمر إلا حين نُهرقـهـا ولا الفـواحش إلا حين ننفـيـهـا

إن الخـلافـة حكم الله فـانتظروا حكم المهيمن فيها فهو معطيها

أيسـتـقل بهـا من لا تقـوم له شـهـادة في حـقـير إذ يؤديها

وكم فتى سُملت عيناه قام بها ويُتكت أذن ثان في تعـاطيـهـا

أي الإمـامين أولى بالقـيـام بهـا يا قـوم، أولّهـا أم ذاك ثانيـهـا

نعـوذ بالله من قـول يقـوم له سوق من الخزي لا تخبى نواديها

أنا ابن أحمد إن فتشت عن نسبي القـائد الخيل منكوبًا حـواميـهـا

المانع النفس مـا تهـواه من صغـر عمدًا لتسمو وتعلو عن مُساميها

وغـارة مـثل لمع البـرق مـشـعلة ... كنا الذوائب منهـا لا تواليـهـا

وهزمة مثل قصف الرعد مجحفة ... ظلت سيوف بني المختار تحميها

وسـائل عن فنون العلم ملتـهف ... همى عليـه بماء العلم هامـيـهـا

وطالب جـاء والآفـاق قـاتمة ... غـبـرآء نال أمـورا وهو راجـيـهـا

من ذا يكون كـآل الطهـر فـاطمـة ... من ذا يقـاربهـا أم من يسـاويهـا

خـلافـة الله دين الله فـانتـقـدوا ... رب السـرير ليُعطى القوس باريها

يا أهل بغـداد خـافـوا الله إن له ... بطشا يحش القرى جمعا ومن فيها

فارعوا حقوق رسول الله والتزموا ... بعروة لا يخاف الفصم راعيها

وراقـبـوا الله في سـر وفي علن ... فنحن مـهـديُّهـا منا وهاديهـا

ونحن في غمرات الشك فُلك هدىً ... تنجي ويهلك عند الموج قـاليـهـا

نحمي حمى الدين بالجرد العتاق وبالـ ... ـبيض الرقاق رؤوس الصيد نغشيهـا

وكم فتى يلتقي الأبطال مبتسمـا ... منا ويطعنهـا شـزراً ويرديهـا

يحـمـيه منصبه الزاكي الفرار إذا ... دقت من السمر في الأحشا عواليها

وفـحـمـة مـثل سيل الليل عـاتيـة ... ردت عواصيها العظمى مواضيها

إن الحـجـاب لربّات الحـجـال فـلا ... تقبل لنفسك تلبيسًا فتصـميهـا

إن الإمـام الذي يبـدو لطالبـه ... كالشمس لا يستطيع الغيم يخفيها

إذا دجت ظلمات الخطب قام لها ... مـشـمـراً وتجلّى أو يجلّيـهـا

ضخم الدسيعة محمود الشريعة لا ... يرضى لنحلتـه كبـراً يدانيـهـا[1]

ولم يزل الأمـر كذلك حتى وصلت جنود العـجم من الشـام إلى اليـمن، فأقاموا فيه مدة مديدة حتى نظموا أحوالهم، ثم نهضوا قاصدين إلى أعـمال صنعـاء، فلمّا قربوا من أعـمالهـا انتقل ﷺ إلى كـوكبـان من صنعـاء يوم الأحد

---

(١) أنظر دوان الإمام عبدالله بن حمزة ٨٩-٩١.

لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الآخر سنة اثني عشرة وستمائة، فأمسى في بيت أنعم ثم تقدم إلى كوكبان، ووصل العجم إلى الأعمال الصنعانية في جيوش يضيق بها الفضاء، فعمدوا إلى بيت أنعم فحطوا عليه ثاني عشر جمادى الأولى من السنة المذكورة وكان عليه السلام قد شحنه بالرجال، وما يحتاجون إليه من الطعام فأقام الحرب عليه مدة وهم مشغولون به حتى تسلموه بعد ذلك يوم الثلاثاء ثاني رجب ونهضوا إلى بلاد خمير فحطوا على المصنعة وعزان يوم الجمعة سادس رمضان من السنة المذكورة، وأقام عليه السلام في مقاتلتهم في اللّطيّة بجبل الضلع مدة ثلاثة أشهر ونصف والحرب متواترة عليهم، وكان أول يوم وقع فيه القتال نهض عليه السلام من اللطية إلى جبل يقال له ثمود، ونزلت الجنود على العجم فقاتلهم قتالاً شديداً ودنوا إلى محطتهم دنوا كثيراً، فقال عليه السلام في ذلك اليوم:

خــذوا هذه عني إلى أن تتمَّ لي — أمـور أُرجي نظمـهـا واتسـاقـهـا
فـإن تنكحـونيـهـا فـإني كـفـؤهـا — كريما وقد وفيت صبحًا صداقها
فأين بكم من لفح سفْع جحيمها — إذا ضربت صبْحًا عليكم رواقها
وصاحت حماة الروع في جنباتها — وحـمَّلهـا مـستكرها من أطاقـهـا
فلا تسأموا الحرب العوان وشمروا — فقد شمرت حرب بن حيدر ساقها
حسبتم طعان الطالبيين في الوغى — مـعـتـقـة لا تسـأمـون مـذاقـهـا
حـرام عليكم لذة العيش بعـدها — فقد صدها عنكم حسام وعاقها
وقـبلكم كـانت ملوك كـثـيـرة — نسـوقكم عـمـا قليل مـسـاقـهـا
إذا زخرت قحطان دوني بجمعها — وهزّت عـواليـهـا وسلت رقـاقـهـا
وشـــدت عليكم شـــدة يمنيـــة — تهـد عليكم شـامـهـا وعـراقـهـا
ودافع من عـــدنان كل مـــشـــيع — إذا نظرته العين في الروع راقـهـا
جـعلتم كـلاب البـاطنيـة ركنكم — فنطقكم بالمشـرفي نطاقـهـا

رويدكم فالحرب دأبي ومتجري ... ومذ طَرَّ شَعَري ما مللت وفاقها
سبرت بنيها مذ لويتُ عمائمي ... ومزت لكم جدعانها وحِقاقها
أنا ابن رسول الله وابن وصيه ... عطية مجد ذو المعارج ساقها
رقا بكم مرقوقةٌ لمحمد ... فما حكمكم إذ تطلبون إباقها
لنا فتية يوم الوغى طالبية ... تعوّدها طعن العدى وعناقها
فكم من عناة قد فككت رقابها ... وكم من عتاة قد شددت وثاقها
وكم منَّة طوقتها العجم فخمة ... فهل خلعت كفراً لضبعي رباقها
وكم ملْك قد رام ملك بلادنا ... فلا هي لاقته ولا هو لاقها
وكم من جنود فخمة صمدت لنا ... فشدت بنات الأعوجي خِناقها
رميناهم يوم الوغى بجباهها ... مسومة قبٌ البطون لحاقها
تجبرتم لما قدرتم على الذي ... أسرتم فذوقوا عارها وشقاقها
نصبنا لكم سوقاً بجعل من الوفا ... جعلنا سبيل العفو ثم نفاقها
فبوؤا على رغم الأنوف بعارها ... ألا فاشربوا غب الجزاء غساقها[1]

وكثر خاذله عليه السلام في تلك المحطة لطول الأمد على الناس وملالهم، وإيثار الأكثر منهم الراحة والدعة، وهو عليه السلام غير مكترث بقلتهم ولا مطول بتفرق جماعتهم، حتى إن أهل الدين الذين ينتمون إليه لم يُر منهم أحد إلا جماعة قليلة من شيعته عليه السلام، فإنهم آسوه بأنفسهم وأدَّوا حق الله تعالى في إجابة دعوته، وقاموا بنصرته، وكانت أحوال أهل اليمن معه في شدة خذلانهم وعظيم انحرافهم تَحكي من كان في عصر الحسين بن علي عليهما السلام في ذلك، فصبر عليه السلام محتسبًا لله مناصبًا لأعداء الله وبنى عليه السلام الدار الواسعة في مخيمه المنصور، وبنى الناس معه الدور، واستقرت دار الضرب في المخيم المنصور، وكثر النفاق

---

(١) الديوان ٢٦٣-٢٦٤.

جداً ، ويسر الله عز وعلا له ﷺ ذلك حتى إن بعض أهل دار الضرب أخبرني أنه ضرب فيها مما وصل من جهات مذحج ونواحيها من الفضة وغيرها من دراهم الغز خمسة وعشرون ألف درهم، هذا من هذه الجهات لا غير سوى ما كان ينقل من سائر النواحي ، وأقام ﷺ كذلك والحرب ابتداءً في الغالب من جهته ﷺ حتى إن الوقعات لم تنحصر لكثرتها إذ كانت على الجملة الكثير من هذه المدة التي أقام فيها مواجهًا لجنود العجم ، وكانت المحطة على قلة من فيها من الأعوان والأنصار قد ألبسها الله عز وجل الهيبة العظيمة مع خلاف أهل مسور وكونهم مع العجم وقربهم ، فلم يُعلم أنه وقع فيها صوت من ابتدائها إلي انتهائها بلطف الله تعالى وبركته ﷺ ، وصلى ﷺ فيها العيدين رمضان والنحر ؛ لأن ابتداء إقامته ﷺ فيها كانت من الرابع عشر شهر رمضان إلى المحرم وهو ﷺ لا يسأم ولا يفتر من قراءة الكتب ومطالعتها حتى لقد قرأ في خلال ذلك مجلدات عدة لا يشتغل بهذا الأمر الهائل ، ولا يطول بهذا الخطب النازل ، فلم يزل ذلك دأبه ﷺ حتى وقع الصلح يوم الأربعاء غرة شهر المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة ، وأقامة محطة العجم عليها مائة ليلة وسبع ليال ، وانصرف العدو وقد كبته الله عز وعلا قد أنفق الأموال الجليلة ، وقتل من رجاله الكثير ولم يظفر بأمنيته ، ولا وصل إلى بغيته .

قال مؤلف سيرته : وحكي أنه وجد في محطة العجم أربعمائة قبر جديد ، وتلف من خيلهم وبغالهم وكراعهم قدر ألف رأس ومائتي رأس ، ومن الإبل سبعة آلاف ، وانتقل ﷺ إلى كوكبان ، وقال في شأن ذلك :

هل تعرف الدار في أعراض ذي ظفر ... إلى الأكارع شرقيّ الخُريبات
فحزم بقلان فالحنوين فالسمحا ... ت السود من تلبس ذات الضُغيات
فدارهم بين شيحاط إلى هرم ... إلى القراشم في مجرى الأثيلات
منازلا قد عهدناها ممنعة ... بذبَّل الخط فوق الأعوجيات

فيها بنات مراد إن سمعت بها ... كالأدم تعطوا عسا ليج الخميلات

ومن جآذر نهم كل مخطفة ... هيفاء آلفة نوم العشيات

وقفت فيها سراة اليوم أسألها ... فأصممت عن جوابي أي إصمات

لأيًا بلأيٍ عرفناها بأسنمة الـ ... ـكثبان فالعقدات المسبخلّات(1)

وكل نوء كجذم الحوض ثلّمه ... سحّ السواري وإثحام الغديات(2)

وماثلات جواد كالزناد بها ... أو كالحمائم أو مثل القطيات

أم الدوادي فعفّ المور معلمها ... إلا مزاحف إضلال وحيات

إني لأعجب من قومٍ ونأيهم ... عني وقد علموا تصريف حالاتي

ألم أقم وكثير من سراتهم ... عند التنافر أحياء كأموات

وهم وشيعتهم في لج ملتطم ... من البلاء بمصيبات وآفات

كآل إسرال إذ فرعون سامهم ... ذبح البنين وإحياء البنيات

وشم قحطان والسادات من مضر ... هيمٌ يعومون في بحر الظلامات

فخضت لجّ ذعاف الموت محتسبا ... نفسي وما لُذت في روع بمنجات

وكم خميس لهام قد صمدت له ... كالبحر يرجف من لغط وأصوات

فصار كالأمس لا عين ولا أثر ... وكان مثل الجبال المشمخرّات

سل من أقام بصنعا عن إقامته ... فيها وإن كان ذا صوم وإخبات

هل أغضب اللهَ أم أرضاه موقفه ... بدار حرب لدى لهو وحانات

قولوا أساءتكم مني معاشرةٌ ... أم بعت دينيَ منكم بالدنيات

الأرض كافرة والحكم مطرد ... فيها بنص أحاديث وسورات

أليس عم رسول الله والده الـ ... ـعباس حل به حكم العتيبات

---

(١) في (ب، والديوان) : المستحلات .

(٢) في الديوان : ثَبجُ السواري .

لم ينج حتى فدى نفسًا مرققة ... بالمال قد مُلكت عن نص آيات

وكم وعظت وكم خوّفت مجتهدا ... وكم نصحت فما أغنت نصيحاتي

إلا أفاضل منهم هاجروا فبنوا ... مجدا يدوم إلى يوم القيامات

وءآلوا وثاروا فيـنا لله درهم ... كم راغموا فيّ من ذي سطوة عاتي

ظننتم الحرب ترديني[1] بكلكلها ... فأتقيها بأغمار وسادات

نشأت فيها كنصل السيف منصلتا ... فلم ترعني وراعتها مصالاتي

مذ بضع عشرة ما غرّبت غاربها ... فالآن إذ كنت سبّاقًا لغايات

أنا ابن رب مَعَدٌّ في مقالهم ... وليس ربٌّ سوى رب السموات

وأي فخر سوى بالطهر والدنا ... محمد وعليٍّ ذي المقامات

سائل قليب وفرسان الشئام ومن ... قد كانَ في يمن أساد غابات

عربًا وعجمًا ألم أضجر لحربهم ... والقوم في لجب جم الجماعات

كان المناخ شهورا لا رسول لنا ... ولا لهم غير بيض المشرفيات

وهم يرومون فينا ما نروم بهم ... كل يحاول ما يدري وما ياتي

كتائب كجبال الروم شامخة ... نباتها من رقاق[2] السمهّريات

كم حومة قد ملأناها وهم علقا ... بسفح واقط تزري بالحكايات

وماجد قد أطار السيف هامته ... منا ومنهم صريعًا بالمناصات

وفي شبام لنا يوم له نبأ ... قد كاد يربي على يوم القصيبات[3]

ونحن عدّة فرسان وهم بشرٌ ... على رؤوس أولي بأس ورايات

راموا الحَصون فلاقوا دون بغيتهم ... ضربا وطعنا يُصم الراغبيّات

---

(١) في (ب): يزريني، وفي الديوان: ترديني.

(٢) في (أ، ب): من دقاق.

(٣) في الديوان: يوم العصيّات.

وفتية من علي أصل نسبتهم	وحي قحطان أرباب الولايات
الضاربين حبيك البيض عن عُرُض	والحاملين حمالات الجنايات
والتاركين دروب الروم خلفهم	والناهدين إلى آطام غايات
والباعثين لكسرى في كتائبه	مآتمًا يوم باب القادسيات
ولو أردنا لقلنا غير أن لهم	حقا يقيم لهم حكم الرَّعيات
ما كان مثلهم في حكم طاعتنا	عند الوفاء على مثلي بمقتات
لعلهم يرأبون الصدع عن كثب	ويطلبون رقى تلك السعايات[1]

ثم انتقل عليه السلام من كوكبان يوم الجمعة لليلتين إن بقيتا من شهر ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى ظفار حرسه الله تعالى، فأقام فيه مدة حتى دنا انقضاء الصلح بينه وبين العجم وانتقل إلى كوكبان لأربع ليال إن بقين من ذي الحجة من السنة المذكورة، ثم جهز ولده الناصر لدين الله عزالدين محمد بن أمير المؤمنين إلى كتن في الجند من الخيل والرجال، وقد كان عليه السلام ابتدأ به أول مرضه في محطته في البون، وطلع كوكبان وهو يزداد بعد ذلك وكان من التجلد في حال مرضه والصبر عليه بالمحل العظيم لقوة يقينه على شدة وجعه، ولقد كان في حال النزع الشديد وهو محتب بثوبه حتى فاضت نفسه وهو كذلك.

أخبرني من شاهده أنه دخل عليه وقد خرجت إحدى ركبتيه من حبوته والأخرى بحالها، واختار الله له الإنتقال إلى دار كرامته ومستقر رحمته يوم الخميس لاثني عشر يومًا من شهر المحرم سنة أربع عشرة وستمائة، ثم نُقل عليه السلام إلى بُكُر فأقام فيها مدة ثم نقل بعد ذلك عليه السلام إلى الموضع الذي قد صار منسوبا إليه ودفن فيه فسلام الله عليه، لقد نُعش الإسلام ببركته، وأعلاه بحميد عنايته، وكثر جماعة أهليه، وقلل سواد قاليه، بعد أن كانت فرق الضلال قد هدرت،

---

(١) الديوان ٩٢-٩٤.

وبحار الجهل قد طمت، حتى أعلى الله كلمة الحق بقيامه، فانتشرت أعلام الحق، وقامت قناة الصدق، وتفجرت عيون العلم، وهطلت سحائب الفهم، وأنقت رياض المعارف الدينية، وعمرت معالم السنن النبوية، وغارت بحار الجهالات، وانطمست رسوم الضلالات، ولقد حصلت ببركته من الخيرات الجسام، والفوائد العظام، من العلم والعمل، وظهور مفردات الدين والجمل، ماظهوره يغني عن بيانه، وضرورته تنوب عن برهانه، ولقد كانت المطرفية الشقية الكفرية الغوية تسعَّرت نارهم، وطلع نهارهم، وأظهروا الكفر في دار الإسلام، ونسبوه إلى العترة الكرام، ودرَّسوه في كنائسهم، ودعوا إليه نظمًا ونثرًا، حتى طبق مذهبهم كثيراً من الآفاق، وخدعوا الأنام بحب العترة عليهم السلام، فلم يزل عليه السلام ساعيًا في إبادة جرثومتهم، واقتلاع أرومتهم، أولاً بالدليل والبرهان، وثانيًا بالهندي والسنان، حتى فرَّق الله عز وعلا جموعهم، وأخرب ربوعهم، وحصل ذلك على يديه سلام الله عليه.

ولقد حكي أن القاضي العالم شمس الدين جعفر بن أحمد بن أبي يحيى رحمه الله رأى في النوم أنه كتب مذهب المطرفية في لوح وأعطاه شريفًا يمحوه، فكان عليه السلام هو الذي طمس آثارهم، وأباد ديارهم، وحكم فيهم بالأحكام النبوية، من القتل وسبي الذرية، وأجراهم مجرى الحربيين؛ عملاً بما انعقد عليه إجماع الصحابة الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين بعد الرسول صلى الله عليه وآله من قتل بني حنيفة وغيرهم، وسبي ذراريهم، وتغنم أموالهم؛ لأنهم كفروا بعد الإسلام وصارت لهم شوكة فانتقل حكمهم إلى حكم الحربيين، وأين الأمر من الأمر إنما كفرت بنو حنيفة بأمور يسيرة، والمطرفية كفرت بأشياء يطول ذكرها، وهي إنكارهم أن يكون الله تعالى يمرض عباده ويسقمهم ويؤلمهم ويميت الأطفال الصغار وغير ذلك من كفرهم، وأنكروا أن يقصد الله تعالى بالصواعق والبرد

المسلمين، وزعموا أن ذلك إنما يقع على جهة المصادفة لا بقصد من الله وإرادة، فحكَّمهم عليه السلام إلى الكتاب الكريم والسنة فحكما له عليه السلام بالقتل وتغنم الأموال، فأعمل في هامهم الصفاح، وثقف لنحورهم الرماح، وقاد إليهم الجنود بعد الجنود، ونظم إليهم حينا بعد حين العسكر المحشود، حتى نال المراد، وأرضى رب العباد، ولقد خرج ببركته من الكفر إلى الإسلام خلق لا يحصيهم عدداً إلا الله تعالى، وهي قبائل ضخمة كانت تدين بدين المطرفية أقمأهم الله تعالى، فشملتهم بركته فتابوا إلى الله تعالى وصاروا سيوفا على المطرفية الشقية، وأضحى مذهبهم بعد تلك الغضارة والبهجة التي كانت له عند الناس ذاوياً، بعد أن كان عندهم عاليًا ساميًا، وكان ذلك بحميد سعيه، ولطيف تدبيره سلام الله عليه بعد توفيق الله تعالى. وكذلك الجبرية القدرية فإنه عليه السلام أجرى فيهم ما أجراه على المطرفية من القتل وسبي الذرية؛ لقضائهم بقدم القرآن فخرجوا بذلك عن التوحيد، ومن خرج عن التوحيد كان كافراً، وكذلك فإنهم حملوا على الله تعالى الكذب والظلم والجور وسائر القبائح، وأخرجوه تعالى عن أن يكون حكيمًا، ومن قضى بإنه ليس بحكيم ولا عدل فلاشبهة في كفره، فكذلك إذا قضى بأنه يفعل سائر القبائح وفنون الفضائح، وقالوا: بأنه تعالى يريد الفواحش وكافة القبائح من الظلم والعبث وأنواع الكفر وهذا مذهب المشركين الذين حكاه الله تعالى بقوله حاكيًا: ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُم مَّا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وقال: ﴿ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، فلما تحقق عليه السلام كفرهم علم جواز قتلهم وسبي ذراريهم وتغنم أموالهم.

وابتلي عليه السلام بحرب العجم والعرب من أهل المذاهب الردية وغيرهم من طغاة البرية، فشفى الله به قلوب المؤمنين، وكثر به سواد المسلمين. ومحاسنه عليه السلام أكثر من أن تنظم في سلك المدائح، وظهور حاله لقرب عهده ومعرفة الخلق به يغني عن شاهد.

وكان عليه السلام في نهاية الرفق بأهل الدين، والتقريب للمسلمين، يمازحهم بالمُلح، ويفاكههم بالطرف، ويكثر التبسم عند الكلام والبشر والطلاقة إلى الخاص والعام، ولقد كان يعرض الأمر ويذكر المسألة فيعرض على من يحضر مجلسه الكلام، ولقد شهدته في بعض الأيام لج عليه بعض الأحداث اللّجاج العظيم حتى كان هو المتكلم وهو عليه السلام ساكت فضلاً جمًّا، هذا مع أنه في كل فن كالبحر الزخار، والغمام المدرار، إلا أن اللين كان له طريقة معروفة والوطاة سجية مألوفة، ولقد عرضت لشيخنا بهاء الدين أحمد بن الحسن رضوان الله عليه مسائل في شيء مما يتعلق بالسيرة فوقف عنده عليه السلام ليلة من الليالي طويلا حتى مضى طائفة من الليل، وقام عند قيام الناس وسلم إليه القرطاس التي هي فيه، فكتب عليه السلام أجوبتها في الحال ثم أمر بها إليه قبل أن ينام قال: لئلا ينام على شبهة، فانظر إلى غزارة العلم ووفوره، وحسن الورع وكثرته، وكان في بعض الأوقات ربما يجيب عن المسائل ليلاً؛ لكثرة الشغل بأمور الناس والتدبير العام، فإذا خلى ليلا تولى الجواب.

تصانيفه[1] عليه السلام

وله من التصانيف الجمة ما لا يوجد لإمام ممن قام في اليمن من أئمة الزيدية عليهم السلام إلى هذه الغاية بل لا يدنو منها. وأما في السير فقد وضع شيئا لم يوجد لأحد مثله من العترة عليهم السلام، وكان في علوم القرآن بالغا الغاية،

---

(١) غير موجود في (أ).

وشرع في تفسير ورتب في أوله مقدمات حسنة لا يعلم مثلها في تفسير قط، ففرغ من سورة البقرة مجلد واحد ولم تكمل بعد، وأودعه من الشواهد العجيبة، ومن الكلام في المعاني الغريبة، ومن الكلام في دلالة الآي على بطلان مذهب المطرفية الطبعية والجبرية القدرية ما تتحير فيه الألباب، ويدل على أنه السابق في هذا الباب، وله لمع أيضا في الكلام على آيات . **ومن تصانيفه** عليه السلام العقد الثمين في تبيين أحكام الأئمة الهادين في الكلام على الإمامية خاصة وهو مجلد .

ومن تصانيفه عليه السلام: الرسالة الفارقة بين الزيدية والمارقة في الكلام على المطرفية، **ومنها** الرسالة الحاكمة بالأدلة العالمة في الدور والتكفير والغنائم، **ومنها** العقيدة النبوية في الأصول الدينية، **ومنها** الرسالة القاطعة للأوراد من لجاج المتعنت في الإيراد في الجهاد وما يتعلق به، **ومنها** الرسالة القاهرة بالأدلة الباهرة في الفقه، وفيها مسائل أوردها موردها على وجه التعنت، وكان ممن له معرفة واسعة في الفروع، فأجابه عليه السلام أحسن جواب بأوضح خطاب، وهي مائة وعشرون مسألة أكثرها في الفقه وفيها القليل مما عداه. **ومنها** كتاب تحفة الإخوان، **ومنها** الرسالة التهامية، وغير ذلك. . . من تصانيفه وأجوبة المسائل التي طارت بها الركبان إلى الداني والنائي من البلدان، ولا سبيل إلى ذكرها في هذا الموضع لكثرتها، ودعوات كثيرة قد ذكرنا بعضها فيما تقدم وتركنا منها أكثر مما ذكرنا .

وكان عليه السلام في الشعر على الحال الذي يعرفه أهل الأدب ولقد كان الجل من قصائده بمنزلة الارتجال، وله ديوان كبير ويشتمل على فنون من الشعر وأنواع، ولنذكر من ذلك طرفا سوى ما تقدم .

ومن محاسن شعره عليه السلام قوله وهو في براقش في شهر جمادى الآخرة في سنة أربع وتسعين وخمسمائة :

طربت وما مثلي إلى اللهو يطرب ولكن إلى خيل إلى الضرب تضرب

خفاف عليها جنة عبقرية ... إذا قوّض الأبطال في الرّوع طنّبوا

بها ليلُ بسّامون في حومة الوغى ... إذا صارت الأبطال فيها تقطّب

نمتهم ليوث الغَاب فاشتد بأسهم ... وفي منصب الآباء ليثٌ وثعلب

وكم من فتى يطفوا إذا جاش موجها ... وآخر فيها عند ذلك يرسُبُ

ومن ضارب بالسيف حامات جمعها ... وآخر بين الفيلقين مذبذب

يرى الموت قيد الرمح وهو مصمِّمٌ ... ويقضب حدَّ السيف والسيف يَقضِبُ

فلا تنعتا لي الخيل ما لم يكن لها ... مناسب فيهن الوجيه ومذهب

ولم يعتلق من لاحق بأواصرٍ ... ومن أعوجٍ فالخيل كالناس تَنجب

أقيما صدور الخيل فالموت مورد ... وكأس المنايا خلفه الدهر يشرب

سِمَا لي جبانًا نال خلدًا بجبنه ... لكلٍّ امرءٍ في الموت عضوٌ مؤرب

ألا إن دين الله أسفر وجهه ... فلم يَغْنَم عنه طالبٌ جاء يطلب

وهز لواء النصر فاطّردت له ... قناة لها من عون ذي العرش أكعُب

لنا في أقاصي الشرق شرقٌ نرومه ... وبعد ديار الغرب في الغرب مغرب

نروم أمورًا والإله ضمينها ... بالمجاز ما نرجوه منه ونطلب

فقل لبني العباس هذا زماننا ... وما لكم إلا إلى الحق مهرب

سنجزيكم بالإثم برًا؛ لأننا ... بنو أحمد وهو النبي المقرب

وأنتم بنو الأعمام والحق حقنا ... ونحن بأطراف الأسنة أدرب

فإن لم أزر بغداد عشرين دوسرًا ... بها حاشد العظمى ونِهْم وأرحب

وشاكر طرًا حيث كانت ومذحج ... وسنحان أهل الصبر والبيض تخضب

وكندة والأبطال شم قضاعة ... فهم جمرات حرُّها ليس يقرب

وخولان أرباب الفخار وحمير ... فهم لإمام الحق جند مقرب

وأعمامنا من حي بكر وتغلب ... ويغلبُ من لبَّته بكر وتغلب

ومن مضر الحمراء كل مقاتل ... له مَنصب منه النبي المهذب

وعك بن عدنان بنو عمِّنا الأولى ... أبوهم إذا عُدَّ النَّجار لنا أب

فلا حَملت كفي حسامًا مجربًا ... ودون مضا عزمي الحسام المجرب

بني عمنا الأوتار عيب ولحنها ... وشارب خرطوم المدامة أعيب

أيستخلف الرحمن قلتم بهيمة ... له مأكلٌ نسلٌ حرامٌ ومشرب

يضلُّ ويمسي لا يقيم فريضة ... ويلهو بأنواع الملاهي ويلعب

كذبتم وبيت الله لا تأخذونها ... مراغمة ما لاح في الجو كوكب

ذرونا نريكم كيف تشتجر القنا ... وكيف يثور النقع والنقع أشهب

ألا كل شيء ما خلا الله باطلٌ ... ونحن جنود الله والله يغلب

فقل لي لأملاك البسيطة سامحوا ... فلا الحصن منّاعٌ ولا الجمع يرهب

فإن لم تدينوا قبل يوم عصبصب ... فعندي لكم تالله يوم عصبصب

أيدفع أمر الله حصنٌ مشيَّد ... وسحت خطاميٌ وجندٌ موشب

سنجلبها شعث النواصي كأنها ... عصائب طير في السماء تقلَّب[1]

ونرسلها زهوًا رعالاً كأنها ... جبال حنين والجبال تأوب

أمثلي ينام الليل والخمر يشرب ... أمثلي يلذ العيش والعود يضرب

حرامٌ علي النوم إلا أقله ... ووجه المعاصي ظاهر لا يُحَجَّبُ

غضبتُ لربي حين عُطِّلَ دينُه ... فهل غاضب مثلي لذي العرش يغضب

---

(١) في (ب) : هذا العجز للصدر الذي يليه . وبدله : جبال حنين والجبال تأوب .

ألا حبذا قرع الحواجب بالظُّبا   وسمر العوالي في النحور تُقَضَّبُ

وصَبِّي لرأس الأعوجي على العدى   وحُمر الدِّما من عارضي تصبب

ويا حبذا قول المنادي بسحرة   ألا طال هذا الليل يا قوم فاركبوا

أغيروا أغيروا لا يفتكم عدوكم   أتموا رؤوس الخيل لا تتهيبوا[1]

وجمعيَ للأعراج والصبح أشهب   وسيري أمام الخيل والليل أخطب

وقولي لخيلي لا تَهُلُكُمْ جموعهم   وشدوا عليهم تقتلوهم وتسلبوا

ألا هل لأمرٍ شاءه الله دافع   وهل لقتيلٍ كاده الله مهرب[2]

وقال عليه السلام معارضة لقصيدة ابن المعتز الميمية في جمادى الأولى سنة اثنتين وستمائة التي يقول فيها:

بني عمِّنا أرجعوا ودَّنا   وسيروا على السنن الأقوم

لنا مفخر ولكم مفخر   ومن يؤثر الحق لم يندم

فأنتم بنو بنته دوننا   ونحن بنو عمه المسلم[3]

إلى آخرها... فقال عليه السلام:

بني عمنا إن يوم الغدير   يشهد للفارس المعلم

أبينا[4] علي وصيُّ الرسول   ومن خصه باللوا الأعظم

لكم حرمة بانتساب إليه   وها نحن من لحمه والدم

لئن كان يجمعنا هاشم   فأين السنام من المنسم

وإن كنتم كنجوم السما   فنحن الأهلة للأنجم

---

(١) في الديوان: أقيموا رؤوس الخيل والليل أخطب.

(٢) الديوان ٩-١١.

(٣) الديوان ٤٧.

(٤) في الديوان: أبونا.

ونحن بنو بنته دونكم ... ونحن بنو عمه المسلم

حماه أبونا أبو طالب ... وأسلم والناس ولم تسلم

وقد كان يكتم إيمانه ... فأما الولاء فلم يكتم

وأيُّ الفضائل لم نحوها ... ببذل النوال وضرب الكمي

قفونا محمد في فعله ... وأنتم قفوتم أبا مجرم[1]

يعني أبا مسلم الخراساني عبدالرحمن القائم بالدعوة العباسية سنة سبع وعشرين ومائة:

هدى لكم الملك هدي العروس ... فكافأتموه بسفك الدم

ورثنا الكتاب وأحكامَه ... على مفصح الناس والأعجم

فإن تفزعوا نحو أوتاركم ... فَزِعنا إلى آية المحكم

أشربُ الخمور، وفعل الفجور ... من شيم النَّفرِ الأكرمِ

قتلتم هداة الورى الطاهرين ... كفعل يزيد الشقي العمي

فخرتم بملكٍ لكم زائلٍ ... يقصِّر عن ملكنا الأدوم

ولا بدَّ للملك من رجعة ... إلى سالك المنهج الأقوم

إلى النَّفر الشمّ أهل الكسا ... ومن طلب الحق لم يَظلم

يغشون بالنور أقطارها ... وتنسل عن ثوبها الأسحم[2]

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٤٧ .

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٤٨ .

وقال عليه السلام وقد غزا جنده المهجم وتغنم أمواله، وقتلوا رجاله في ذي الحجة سنة أربع وستمائة:

لا مَا فوارس رحرحانٍ فاعلمي ... تُبْلِي بلاء فوارسي في المهجم
في معركٍ لم يبق فيه ناطقٌ ... غيرُ المهنَّد والكمي المُعْلم
صَفَّت جنود الظالمين وحاولت ... منع الذمار فعوجلت بالصَّيلم
خفرتهم بيض السيوف وفتية ... تنمى إلى الشرف الرفيع الأكرم
قامت قيامتهم بكل مثقف ... وبكل عضب كالعقيقة مخذم
فكأنهم والسيف يعمل فيهمُ ... أعجاز نخلٍ من طرائق مُلْهَم
لو أنهم ثبتوا لكان بوارُهم ... ولكان مثواهم سواء جهنَّم
سارت إليهم بضع عشرة ليلة ... في مجهل نأي الأنيس ومَعلم
قطعت إليهم جَوْز كل تنوفة ... وتنزَّلت من سُلَّمٍ في سلَّم
تمشي على رجلاتها وصدورها ... فيها وتنساب انسياب الأرقم
لم يحمهم إلا فرارٌ صادق ... عن صدمة الجيش الأجش الأيهم
نَسجَت لها بُرْدي غبار أقتم ... وملاءتين من الدخان الأسحم
فكأنَّ عين الشمس مقلة أرمد ... وكأنَّ وجه البدر حرف الدِّرهم
وكأنَّ أطراف الحريق المضرمِ ... بيض السيوف إذا صُبِغْن من الدَّم
أسدَتْ بنو حسنٍ وكانت عادةً ... منها إذا اكتست السيوف بعَنْدَم
وأكارمٌ من فرع حيدرَ صمَّمت ... فيها وردَّت شأو كلِّ مصمِّم
وحماة همدان ومذحج لم تكن ... فيها بهائبة المقام الأعظم
تركَتْ وجوه العرب بيضًا وضَّحًا ... وطلت وجوه الأعجمين بعظلم
لولا تغيُّب أحمد بن القاسم الـ ... ملك الهمام للذَّ عندي مطعمي
لكن حلاوة دهرنا ممزوجة ... بمرارة كالشهد شيب بعلقم
لله درُّ عصابةٍ زيدية ... زادتْ على أيام آل مُحلِّم

إن شئت ردَّدنا الحديث فربَّما ... سلَبَ الآخير ملاحةَ المتقدِّم

هاك استمع مني ابتداء مسيرها ... والسَّعد يقدمها لأيمن مَقْدم

ما غرَّبت للغور غور تهامة ... والبون يحرز ملأ كفٍّ الأجذم

خبطتهم جُرد السوابق خبطة ... ألصقنَهم بدعائم المتخيِّم

قامت على الجنَّات يوم قيامة ... فكأنها رُميت بجند الدَّيلم

غطَّى الدخان دروبها وعراصها ... فكأنَّها في جنح ليلٍ مظلمِ

دع ذا ولكن ما مساق حديثهم ... يوم استقلّوا كالسحاب المرهمِ

جندان كالطودين يبرق فيهما ... مثل البوارق في العريض المثجم

فيهم بنات الأعوجيّ ولاحق ... وبنات شاحج كالجهام الأطخم

جيش تظل البُلْق في حجُراته ... ويظل قائده ليُعرف ينتمي

جاءوا كأنَّ الأرض قبض أكُفِّهم ... والله يعلم كُنْهَ ما لم تعلم

فرمى بشر حينُه ولجاجُه ... والبغي في لهوات أغلب ضيغم

وحداهم الحَنَق الشديد لحربنا ... والحرب تُبرد غُلَّةَ المتضيِّم

فرميتهم بجحاجح من يعرب ... شمّ الأنوف من السَّنام الأكوم

من حاشد أهل المفاخر والعلا ... وذرى بكيلٍ عصمة المستعصم

فرأوا زعافًا لا يذاق فأحجموا ... والموت كافل نجح عذر المحجم

بَرق الردى من خلفهم وأمامهم ... والقتل أطيب من ملام اللوَّم

فتحمَّلوا والليل يستر جمعهم ... لشوابه وخَدِّ الظليم الأصلم

فتلاحقتهم عصبة يمنية ... لا يسلم الطاغي إذا لم يهزم

فترفَّعوا منها وغودر منهم الـ ... أشلاء للطير العتاق الحوَّم

راموا تزعزع جندنا إذ صمَّموا ... فكأنما راموا هضاب يلملم

هي وقعة عندي وليست بالتي ... تشفي غليل القلب إن لم يفطم

والحرب دائرة ونحن وضدّنا ... كأخي القداح يفوز إن لم يُحرم

ما عـذر عـدنان وقـحطان إذا | خَـذَلت إمـام الحقِّ حـتف المجـرم
ولواء دين الله يخـفق فـيـهم | وقـضـآء أهل الظلم ينفـذ فـيـهم
قـولوا عـصـينا ربنا وإمـامنا | فـامـثل بنا يا رب إن لم ترحم
توبوا وقوموا للجـهاد وشمِّروا | لمنال أجـر في المعـاد ومـغنم
فـالموت حـتمٌ في الرقـاب وغبطة | يا للرجـال يموت من لم يهـرم
والموت أجـمل للفـتى من عـيشة | في الذل يرمى دونهـا بالأسـهم[1]

وقال عليه السلام يوم خروجه من صنعاء وأمر بكتابتها على باب القصر سنة اثنتي عشرة وستمائة :

تركنا ديار الظلم والفـسق خـاليـه | فكـم من فتًى باك عليـهـا وباكـيـهْ
وسوف يُسقَّى القوم كأسًا مريرةً | وسوف نسوق الجَيش للقوم ثانيهْ
فلو نصرتني العرب جمعًا بجمعهم | لكافحـتـهم بالمشـرفيِّ عـلانيـه
فـمـالهمُ في الحـرب باعٌ ولا يدٌ | وأمـهم في سَـوْرَةِ الحـرب هاويه
فـهـا نحن حـزب الله والله غـالبٌ | وهم حزب أتباع اللعين معاويه[2]

وقال عليه السلام وقد عارضه بعض الباطنية على هذه الأبيات وضمَّن ذلك هجواً وأمر به العجم إليه :

أتقـذف بنت المصطفى ووصيـه | كقـول اليـهود الغلف مريم زانيه
ولا عجب قد قال في الله معشرٌ | مقـالاً يهـدُّ الشمَّ والشمّ راسـيـه
وقـد هُجي المختـار أحـمـد جـدُّنا | فـلا قـدّس الله المهـيمن هاجـيـه
عشـوت فأعشت ناظرَيك أشـعةٌ | إلهـيَّـةٌ طهـريَّةٌ مـتـلالـيـه
كفـانا مقـال الطهـر فيك محـمد | فـحـسبك مـا قـد قيل أمُّك هاويه
حـميت فـجـاوزت الحدود تعـدياً | إلى سبِّنا رعـيًـا لحقِّ مـعـاويه

---

(1) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٥٠ .

(2) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٩٤ .

فأمّا ديار الفسق فالفسق ظاهرٌ ... بفعل صنوف المنكرات علانيه

أينكر شرب الخمر في عقر دارهم ... وثالثةٌ مما علمت وثانيه

ونحن أمرنا بالسباء حراسةً ... لدين الهدى من كلّ شانٍ وشانيه

وقد سنّه المختار أحمد جدنا ... بتالي كتاب الله إن كنت راويه

وتابعه جدي المطهّر حيدرٌ ... بسبي ليوث الغاب أسرة تاجيه

وما عبدوا ربّاً سوى الله ربنا ... ولا لهم إلا المطهّر داعيه

ولكن لأحداث أتى الناس فوقها ... جهاراً فأحمى الفاطميُّ مكاويه

سأحطم عرنين الضلال بمنسم[1] ... يلوح بغاو في الأنام وغاويه

وحاشا حماة الثغر من أن نسبّهم ... ولكن بطعن يترك الكبْدَ داميه

سندعوا جنود الله حزب محمد ... زبانيةٌ فليدع من شاءَ ناديه

وتوعدنا بالخوف من سَوْف يسفعَنْ ... بناصية منه لدى الروع ناصيه

نشأت بها مذ بضع عشرة حجّةً ... إلى اليوم يدري الأكرمون مقاميه

وكم منّة طوقتها العجم فخمة ... فصارت لها أعناق حزبك خاليه

وتذكر أملاك الشآم وعندنا ... هم مثل أبواب الجنان ثمانيه

حماة ثغور المسلمين ومن لهم ... معال على برج السّماكين ساميه

رعاهم لنا من شدّ بالملك أزرهم ... على كل جبّار هناك وطاغيه

ونحن طلبنا إرثنا من محمد ... أبينا بطام في العجاج وطاميه

وكم مقعص منا على صهواتها ... له عيشة عند المهيمن راضيه

وكم نفس جبار أسالت سيوفنا ... أُعدّت لها نارٌ من الله حاميه

فإن نحن أغضبناك فاصبر فإنما ... بنو النصب معروفون من كلّ ناحيه

أتحسب أن الشعر يعجز قائلاً ... وكم خامل لو شاء[2] حبّر قافيه

---

(١) في نسخة: بميسم.

(٢) في (أ): لو قال.

ولكن كرام الناس يطلب جزله وما راق من حرٍّ الكلام معانيه
ولعن ابن حرب سنَّةٌ جدُّنا لنا فهل بعده يبغي الهداية باغيه
وقد أظهر اللَّعن الوصيُّ وإنما وَقَتْهُ وردَّته على القوم واقيه
فيا ضيعة الإسلام إن كنت حاميًا عليه لقد أرخصت ويحك غاليه
وأعظمُ فخر جئته أن تسبَّنا وهل يُنكر الكلب العقور مواليه
فأما الحصون المشمخرات في الذرى فهل تلكم الأجناد للشهب راقيه
ومن دونها جُردٌ عتاقٌ وفتيةٌ كرام يروُّون السيوف اليمانيه
مصاليت من حيَّيْ نزار ويعرب بهاليلُ ضحَّاكون والأُسد باكيه
أنا ابن رسول الله وابن وصيِّه وتحرسني عين من الله كاليه
وقد جئتم في السب والقذف منكراً عظيمًا وما يخفى على الله خافيه
وهمدان ترمي من رماني ومذحجٌ وسنحان والأملاك كندة راميه
وخولان أنصار الأئمة إنها علينا كأمٍّ بالمودَّة حانيه
وحمير أرباب الملوك فجدُّهم إلى أرض صين الصين أرسل واليه
ومن سادة الأتراك والكرد معشرٌ لهم هممٌ نحو المكارم عاليه
فإن ثقلوا عني فلي في رقابهم عهودٌ تردُّ القوم نحوي ساعيه
فيا ويلكم عند انقلاب رؤوسهم عليكم بعزمٍ يترك الجنَّ خاسيه[1]

وقال عليه السلام في وقعة شبام وقد أبلى فيها الأمير عماد الدين وقاتل في رجب سنة ستمائة:

كفيت ولم نحضر وما زلت كافيًا وعفْتَ الرِّماح إذ هويت المواضيا
وكنت شجًى بين الوريدين ناشبًا لمن كان للدين الحنيفيِّ قاليًا
دُعيتَ عمادُ الدين لمَّا عَمَدتَه وألقيتَ في الأرجآء منه المراسيا
عَصيتَ العذول في مكافحة العدا وظَلْتَ بمطرور الغرارين عاصيًا

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٢٥٣-٢٥٥ .

وعارضت موج الخيل منك بعاصف   من الريح يلقي كافح الموج ساجيًا

تعاوت عليك الكرد من كل جانب   فجرَّدت عزمًا يترك الليث ساهيًا

فلو حضرت من صيد قومك فتيةٌ   للاقوا بها طَعنًا يشيب النَّواصيا

وكانت لهم من دونَ شخصك وقعة   على الضد نكرا فخمةٌ هي ماهيا

على أنَّ رهطًا من سلالة حيدر   أجابوا إلى طعن النحور المناديا

وقاموا مقاما لم يُشِنْهم حديثه   وطال به من كان في البعد نائيًا[1]

وقال عليه السلام بالمخيم المنصور باللطيَّة وكتبها على لسان مولاه مخلص الدين جابر بن مقبل إلى السلطان علوان بن بشر بن حاتم إلى مخيم الغز بالمصانع في بلاد حمير :

دُعانا أبا حسن لم يدع   لشقاتكم حيلة تُهتَدى

ونقابكم رام ما قد علمت   فأكدى هنالك أو أصلدا

فشدُّوا حيازيكم للحمام   وذوقوا سلاف كؤوس الردى

أيُمسك رحمة ربِّ العباد   جهولٌ عدا طوره واعتدى

يبول لكم مثل بول البعير   ليحبس من ذي الجلال الجَدَا

فأين الحلومُ؟ وأين العلوم؟   وأين العقول؟ وأين الهدى؟

سموتم لحرب سليلِ الرسول   وفرخ البتول وسمِّ العدى

أبوه عليٌّ وصيُّ الرسول   وابن الجدا والسُّدى والندا

سما للحروب ولم يلتثم   وساد عشيرته أمردا

فأين بكم حين يأتيكم   بنو يعرب زاخراً مزبدا

يقودهم من بني حيدر   حماةُ الوغى وبنو أحمدا

وكم ملك خفَّفوا حملهً   وقد كان داهيةً أربدا

دَعُوا الحرَّب تسمو بفتيانها   ويعتقب الأصيدُ الأصيدا

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ١٥٥ .

فتدعوا نزال حماة الرجال إذا نكَّص القرن أو عردا
فإن لم تروها تحاكي البزاة تبادر سرب القطا مرصدا
فلا حملتنا جيادُ الجياد تسمو بنا للعلا مصعدا
دعوا سبَّكم لبني أحمد ولا تُغضبُوا فيهمُ أحمدا
فهم سفن تعصم الخائفين وأقمار رشد بها يُهتدى
وليس يسبّهم من يميز بين الغراب وبين الحدا
وأعجب من سبِّهم حربُهم فهل عاقل يتبع الأَرشدا
فخافوا الذي علمه بالخفى كعلم الذكي بما قد بَدا[1]

وله عليه السلام إلى كافة بني الحسن بالصفرآء وينبع :

دَعْ دار ميَّة بالعلياء فالسَّند وما هنالك من نوء ومن وتد
وخالدات ثلاث غير زائلةٍ على خصيف كخشف الظَّبي ملتبد
وقل لركب تؤم البيتَ واردة يا ركب إن لنا أهلا بذا البلدَ
إذا بلغتم ولا عاقت مطيَّكم عوآئق البين في يُمنٍ وفي رَشَدَ
فأعلنوها على الأحياء ناشدةً لوازم الحق في الأدنى وفي البُعدَ
عمَّت وخصت على الدعوى بني حسن أعزِّ قوم حواهم محفل وندي
وقل لهم دعوة قامت لقائمكم فقايضوها بإنجاز يداً بيدي
فطاعة شملتكم يا بني حسن تهدي إلى قابليها رفعة الأبد
أحقكم يُبتغى من بعد قائمكم كمبتغي الصيد في عرِّيسة الأسد
طال انتظاري لكم والحربُ قائمة والسيف في الكفِّ مني غير منغمد
هذي المنابر لم تعمر بذكركمُ وأنتم الرأس في بدر وفي أحد
قالوا الوصي رباعي فقلت لهم ثاني الرسول بلا مين ولا فَندَ
حاسيتهم في أزالِ كأس حـ فهم وفي ذمار وردت الموت في كبدي

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٢٦٤ - ٢٦٥ .

فلم تُشنكم مقاماتي ولا صدرت ... سمري ظمآءً من الأحشاء والكبد

حتى تركت على الأعواد ذكركم ... باد على رغم أهل البغي والحسد

زمُّوا المطيَّ وقودوا كلَّ سابحة ... مثل السحوق تباري الريح في الجدد

فإرثكم حازه الأقوام دونكمُ ... وطالب الحق يسعى غير متئد

أنتم سنام بني الزهراء فاطمة ... وصيد فهر وأهل المجد والعدد

وقائلٍ قال لي والحرب قائمةٌ ... والخيل يغسلها مثعنجر النجد

وللخميسين أصواتٌ وغمغمة ... والضرب في البيض يحكي حاصب البرد

وقد نضوت رهيف الحدِّ معتمدا ... قلب الكتيبة لا ألوي على أحد

رفقًا بنفسك إن الموت موردُهُ ... صعبٌ فإن كنت تهوى ورده فَرِدَ

فقلت والخيل خلفي: إن لي أجلاً ... إذا بلغناه لم ينقص ولم يزَدَ

وهل فتًى من علي أصلُ نسبته ... يمشي إلى الموت كالمشدود بالصَّفد

مالي أرى حسنًا قومي مخيِّمة ... عني معذِّرةً بالمال والولد

وفيهمُ مقربات غير مقرفة ... تردي بكل طويل الباع منجرِدَ

شمُّ الأنوف إذا ما نوسبوا انتسبوا ... إلى الجحاجح من نَضْرٍ ومن أدد

عليهم كل جدلآء مضاعفة ... من نسج داوود مثل النهر مطَّرِد

ولست أنسى حسينًا في الدعآء لها ... وكيف أنسى إذا جدَّ المضاع[1] يدي

بيض الوجوه بهاليل لباسهم ... إلى الملاحم قمصان من الزرد

ينميهم خير من قامت به قدمٌ ... من آل أحمد أعلا من هَدَا وهُدي

منهم إمام الهدى زيدٌ وشافعه ... أخوه باقرُ علم الله ذي الرَّشد

وجعفر الصادق المصدوق من شَهدت ... بفضله ملل الإسلام عن صمد

وسبط زيد الذي بالجوزجان ثوى ... ولو سئلنا فداه بالنفوس فُدي

أئمةٌ أوجب الرحمن طاعتهم ... فمن تنكَّب عنهم في السبيل رُدي

---

(١) في الديوان «المصاغ»، وفي (ب): إذ حط البضاع.

بني النبي أجيبوا من غدا لكمُ ... أبرّ من والد بَرٌّ على ولد

ما زال مجتهدا في ردِّ ملككمُ ... وملبس الضد ثوب الوَجد والكمدَ

أفي النجيَّة يمسي الحقُّ ذا أود ... وبيضكم مثبتات كلَّ ذي أَوَدَ

أفي المروءة أرجو غيركم وزراً ... وأنتم خير مرجوٍّ ومعتَمدَ

أفي الحمية ألقى الجيش منفرداً ... ولا مؤازر غير الصارم الفرد[1]

وقال عليه السلام يرثي الأمير[2] مجد الدين يحيى بن محمد رضي الله عنه وقد استشهد غازياً[3] وكانت وفاته في شهر صفر سنة ثمان[4] وستمائة:

أمرُّ الوجد ما أجرى الدموعا ... وأضلع من مَضاضته الضليعا

وهاض المشَمخرَّ بناجذيه ... وصيَّر كل قرَّاع قريعا

خليلي إن هذا الدهرَ غولٌ ... تلوَّن فانبرى خلقًا فظيعا

يخادعنا فيورد ناهلينا ... برفق خداعه الآل اللَّموعا

ومستسق لدنياه سقته ... على ثقة بها السم النقيعا

تنازعنا النفوس لها نزاعًا ... فتولينا القطيعة والنزوعا

ونحلب درَّ نائلها ثلوثًا ... ونستمري نوائبها ربوعا[5]

فإن ترني جَزعت فطال ما لم ... أكن من عظم حادثها جزوعا

فكم من رائع كَرَمًا وبأسًا ... أحالته حوادثها مروعا

مصاب الطالبي أبي حسين ... حمى أجفان أعيننا الهجوعا

فقدناه حسامًا مشرفيًا ... وبحراً زاخراً وحيًا مريعا

---

(١) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ١٢٧-١٢٩.

(٢)في (ب): السيد.

(٣)في (ب): غازياً في تهامة في شهر صفر.

(٤)في (ب): سنة تسع.

(٥)في الديوان: (ثلومًا).

إمـام أئمَّـة وشـحـاك ضـدٌّ … وليثًا خادرًا وحمًى منيعا
نـودِّعـه ونـأمـل أن يوافـي … إلينا في عساكره سريعا
وفي المعلوم أن الحشر وعدٌ … متى شمنا لغرَّته طلوعا
دعـته منيةٌ فأجاب سعيًا … وكان لها وإن عظمت سميعا
مضى قدمًا كأنَّ الموت غُنمٌ … ولم يقصد إلى الدنيا رجوعا
فيا لك من فقيد أورثتنا … رزيته الكآبة والخشوعا
صريع أسنَّة الفساق أكْرِمْ … به في ذات خالقه صريعا
شرى في الله مهجته فأعْزِز … بها وبه على حال مبيعا
يهوِّن ما ألاقيه بأنَّ الـ … ـذين سطوا به قُتلوا جميعا
وإن أخي سخى بالنفس فيه … مؤاساةً فصار له ضجيعا
وإن بني أبي وسراة قومي … وغرٌّ صحابتي خاضوا النجيعا
فردُّوا السيف مثلومًا خضيبًا … وردُّوا الرمح مقصودًا صديعا
وصارت حوله الأبطال صرعى … يُشبِّهها مشاهدها الجذوعا
حفاظ أكارم عافوا الدَّنايا … وخافوا قول حاسدهم أُضيعا
وقد هزموا أعاديهم وطالت … وظل السيف يختطف المنيعا
حمت باقيهم الظلما فأضحت … جهالة ما نأى فجرًا صديعا
ونحن لهم طوال الدهر حتفٌ … نزيرهم المهنَّد والوقيعا
علينا أن نزيرهم رجالا … ترى أدنى مغاورها الدّروعا
جيوشًا من أفاضل كلِّ حيٍّ … ترى أدناهم بطلا شجيعا
تظل البُلْق في الحافات منها … وتضحي الشامخات لها خشوعا
يكب الطير عثيرها فتضحي … على الأذقان ساقطة ركوعا
تصدُّ الريح غاب السمر منها … فتلزمها على الكره الرجوعا
أيحيى ليت عينك أبصرتنا … لفقدك ليس عن ذلٍّ خضوعا

فقدنا منك بحرَ جدًى وعلمًا ... وليث شجاعة وندىً ربيعا
ومنبع حكمة ولزار خصم ... إذا أضحى مقدَّمها تبيعا
وركب كابدوا ليلاً بهيمًا ... بسطت لهم به خلقًا وسيعًا
وحادثة من الحدثان إدٍّ ... يردُّ الكهل معضلها رضيعا
حللت عقالها وكشفت عنها ... وكنت لصيد نجدتها قريعا
وكم خَطْب كشفت وقرن شر ... تركت محطَّ رحلٍ كان ريعا
وكم ضاجعت ذا شطب حسامًا ... إذا الفتيان ضاجعت الشُّموعا
ليهنك عيشك الراضي إذا ما ... عداتك كان عيشهم الضَّريعا
وقد ثارت بك الإخوان منهم ... فكن لهم إلى الباري شفيعا
سلام الله زارك كلَّ يوم ... ورحمته التي حسنت وقوعا
ولا زالت ذهاب المزن تهمي ... عليك حَيًا وتستمري الدموعا
سررتَ بما غممنا منه وجدًا ... وجاور شخصك الملأ الرفيعا
تراجعك الملائك كل يوم ... كلامًا يشبه الشهد النَّصيعا
فبدر الدين صبرًا واحتسابًا ... فما كان الذي وافى بديعا
وتاج الدين قد ناداك صبرًا ... توارثه أبوك فكن سميعا
وقل لسراة قومهم اندبوه[1] ... وهزُّوا البيض والأسل الشروعا
أبوكم أربط الثقلين جأشًا ... فكم في معرك هزم الجموعا
وأنتم آله أفهل علمتم ... أصولاً قطُّ خالفت الفروعا[2]

◆ ◆ ◆

(١) في النسخة: (قومك أندبوه) وما أثبتناه من الديوان.

(٢) ديوان الإمام عبدالله بن حمزة ٣٨٦-٣٨٨.

وله عليه السلام ألفاظ في الحكم فرائد نذكرها هاهنا وهي قوله عليه السلام:

كتمان السرِّ رأسُ مالِ الملوك، الإلحاحُ في مطالبة المفلس تؤدِّي إلى الإنكار، أشدُّ ما تكون البدعة صعوداً أقرب ما تكون جمودا، الكذب علّة توجب سوء الظن، الحياء يولِّد الجلالة، البذاء يوجب السقاط، الإيمان كله حَسَنٌ وأحسنه الصبر، العصيان كله قبيح وأقبحه الجَزَع، لكلِّ شيء آفةٌ وآفة المروءة سوء الخلق، الحصون أوتاد الممالك، خنادق الجنود الحرس، الإفراط في المزْحِ يورثُ العداوة، الغلول يؤدِّي إلى الحرمان، البَطَر يؤدِّي إلى الخذلان، شكر النعمة يؤدِّي إلى المزيد، خير الجيوش ما قلَّ حشوه ولم تتنازع أمراؤه، خير الفرسان من عطف عند الجولة وحاذر قبل الصولة، خير النساء من تبثك السرَّ وتقرُّ العين وتثلج الصدر، خير الإخوان المواسي في الشدائد، خير الوزراء من عمَّ نفعه، واتسع ذرعه، من هاب خاب، نائب القدر الكيد، الحزم سوء الظنّ، مصاحبة الأرذال تؤدِّي إلى سقوط المنازل، حبُّ اللئام يَهدم مآثرَ الكرام، مصاحبة أهل الرفعة تؤدِّي إلى الرفعة، خيرُ الأموال ما نفع الأقاربَ وضرَّ المُحاربَ، خيرُ الآباء من يطولُ عنقُ ولده بذكره، وتجري ألسنة الأكثر بشكره، شرُّ البدع ما عارض السنَّة، وشرُّ الولاة من تهاون بالكفاة، وخيرُ الأمراء من انتخب الوزراء، استصغار النعمة يؤدي إلى زوالها، الشكر قيدُ النعمة، والحمد خطامها، الاقتصاد يهوِّن الفقر، والتبذير يقلِّلُ الوَفْرَ، الحاجة تفتح باب الحيلة، الآجال حصون الأعمار، إذا انقطع الأجلُ مات صاحبه بأقل حادث، الأمانةُ من أصلح مفتاح الرزق، رجآء الشجاع أكثر من يأسه، ويأس الجبانَ أكثر من رجائه، سلطان الحق أشدُّ من سلطان الباطل؛ لأنَّ أحكامه لا يجوز فيها التبديلُ ولا يقبل عنها الفداء، أساس الحكمة العقل، ورأسها الورع، ومادتها الفكر، وآيتها الخشية. العفوُ تاج الملك، والانتقامُ سيفه، والعزمُ رمحه، والكيد سهامه، الكرمُ شجرة أصلها الحياء، والحياء شجرة أصلها العقل، وقلّة الحياء شجرة أصلها الجهل، من تفقَّد أحوالَ نفسه قلَّ بالناس اشتغاله،

ومن استعظم نعم الله سبحانه عظم حالُه، ومن صغَّرها كثرت أوجاله وتضاعف بلباله، العقل ميزان والعلم وزَّان، بين الأمانة والخيانة والحزم والمهابة مآلٌ عظيم، ليس العاجز من يترك ما لا يقدر عليه، العاجز من ترك ما يمكنه، دواء الأسف على الماضي نسيانُه، فإن تعذَّر النسيانُ فالتناسي، فراق الحياة أعظم البلوى وأتمُّ الناس نعمةً من لم يُبْتَل إلا بفراق الحياة، أقبح الحرمان حرمان ذي الرَّحم أو مُسدي صنيعة، وأقبحُ الجبن ما كان من نظيرك، وأقبحُ الشحِّ شحُّ الغني[1]، وأقبحُ الرِّياء رياءُ العالم، وأقبحُ النفاق نفاق القادر، وأقبح العشق عشق الشيخ، وأقبح الجهل جهل الشريف، وأحسن العفو ما كان عمَّن هو دونك، قريبُ العهد بالإساءة إليك، وأحسنُ الورع ما كان عمَّا تمسُّ إليه الحاجة ولا ينسب متناوله[2] إلى زيادة.

العدلُ أساس الدِّين؛ لأنَّه لادين لمن لا عدل له وقد يقع العدل ممن لا دين له كالمشركين؛ فإذاً العدلُ يستغني بنفسه عن الدين والدين لا يستغني بنفسه عن العدل، فانظر إلى محلِّه ما أرفعه، وقدمه ما أرسخه، ذكْرُ الموت صعبٌ يهوِّنه ذكر ما بعده من خيرٍ وشرٍّ، احتمال بعض الذلِّ أبقى لجملة العزِّ، الاعتذار بالشغل جهل بقدر النعمة، الموت مصيبةٌ عظيمة يُهوِّنها العلم بوقوع الاشتراك فيها، ما يسترُ الصمات من العورات، كل جارح يصيد بقدره، من الرعية أساس السلطان، الوالي المهين يُسقط هيبة السلطان القوي، الحزْم هو الاحتراز مما يقضي العقل بوقوعه لولا الاحتراز، الفشل هو تجويز ما لا يقضي العقل بوقوعه في غالب الأحوال، إكرام الكريم يقوِّي الداعي إلى الكرم، وتعظيم اللئيم يغري باللؤم، السماحة مفتاح الرزق، والشحُّ مفتاح الحرمان في العاجل والآجل، العلمُ بيتٌ بابه التواضع، ومفتاحه الخشية، وعماده الصبر، وسقفه الرجاء، وحيطانه

---

(١) في (ب): بزيادة: المتقدم.

(٢) في (ب): ولا تنسب مناولته إلى حاجة.

السكينة. التكبر من المخلوق جهل بابتداء الخلقة، ترك المكافأة بالإحسان عن الإحسان لؤم، وترك المكافأة بالسيئة عن السيئة مع القدرة كَرَمٌ، نسيان الصنيع ضربٌ من الكفران، عصيان الحليم سفهٌ، وطاعته حلم، الثقة بالقادر عجزٌ، ملاحاة الرئيس فشل، وعصيانه خذلان، الصبرُ قاعدة النصر، العفَّة في مقامات الجدال والقتال خفة، رأس الغنى مغالبةُ الأقدار، الحوادث حشو بطون الليالي والأيام، خفة الجنان[1] الصلافة، الحلمُ قيد العزّ، السفاهة مفتاح الذل، لجام الحكمة الصمتُ ورحمة الظالم ظلمٌ ونَهْرِ الضعيف تجبُّر ومحاباة فاعل المنكر إغراء له بفعله.

معاجلة الضرّ قبل استحكام الأمر فشلٌ، وإكثار الكلام من غير إصابة غيٌّ، ما غلبت الجليلَ بمثل الجميل، ما ساد حقودٌ، ولا جاد كنود، ولا استراح حسود، أحسن خصال البرّ الرجوع إلى الحق، كم من ظالم لم يتجاوز ظلم نفسه، وكم من عادل لم يعدل إلا في نفسه، الجهل حيلة الشيطان، والتواضع قاعدة الإيمان، تصغير الإحسان حلية الإحسان، السلاح حلية الرجل، وواسطة عقده السيف، رُبَّ كلمة خفيفة أدَّ قائلها ثقلُها، وربَّ ضحك ساق حزنًا طويلا، أكثر الناس راحة أقلهم عقلاً، أبخلُ الناس من ترك الحقوق، ليس على من وقَّر الناس غضاضةٌ. ولا نَهْرُ صاحب البدعة فظاظة، هو أدنى نفسًا من ناكح البهيمة أقلُّ حياءً من ذكرٍ يُؤتى، هو أقوى عَزمًا من مستقبل الجيش بالكفاح، هو أضعف بختًا من كلبة حومل، عتاب من هو فوقك حُمْقٌ، وعتاب من هو دونك خُرْقٌ، وعتاب من هو مثلك نصفةٌ، من قدر على كمال وقصَّر فهو العاجز، من اغتمَّ لاعلَّة لغمِّه إلا غمك واسترَّ لا علَّة لسروره إلا سرورك فهو صادق المودَّة، العاهات تجمع السفهاء، حاجةُ السلطان إلى الرَّعية أعظمُ من حاجة الرعية إلى السلطان؛ لأنه يُوجد رعيةٌ لا سلطانَ لها ولا يوجد سلطانٌ لا رعيَّة له، العافية أصل لطيب كل

---

(١) في (أ): حفة الجنان.

طيّب، من زرع الشرَّ حصد الندامة، من نام على الخوف أمكن من نفسه، الحربُ حرب المنايا، أصلُ الهزائم اختلافُ الأهواء، الرُّعبُ جند السعداء، أشر من الشر شماتة الأعداء، المهزوم مذموم، كم جاءت حلاوة عافية بمرارة، كم ينغمر في أثناء الحق من الباطل، المتجانن مجنون؛ لأن العاقل لا يرضى بتشنيع نفسه، الشجاع محمودٌ ولو كان على ضلالة، الملل أقوى أسباب زوال الدُّول، إذا أراد الله زوال دولة قوّى قلوبَ أضدادها، الإهمال لا ينمو معه المالُ، المطلُ أحد أنواع الفقر، التبذيرُ أقوى أسباب الفقر، الهلاك ثمرة الجهل، الإدلالُ على السلطان مثل مداعبة الأسد، كفرانُ الصنيع يزهِّد في أمثاله، تصغير النعمة نوعٌ من الكفران، الشيخ مع أهله فتًى، التعليم لا يغيِّر الطباع، عذر القادر مقبول على كل حال، أشجع الأمم أهلُ الدول المقبلة من كلِّ أمة، المدلُّ على السلطان كالذي يجرِّب السمَّ بنفسه، لا تقوم الضلالات إلا بأرباب الجهالات، مبتدي المعروف إلى من لا يشكر كمن يبذر الزرع في السباخ، العلم كالعروس يحتاج إلى الخلوة، من أحسنتَ إليه وأساء إليك فداؤه السيف إن أجاز ذلك الشرع، ومن أسأت إليه وأساء إليك فداؤه الإحسان، لو كان الجور صورة لكان من أقبح الصور، ولو كان العطاء صورةً لكان يوسف البشر، الأعمال ثمرات الأفكار، إذا كثرت النعم صغرت كبارُها، الطمع ينافي المروءة، حاجة الملك إلى حسن السياسة أكثر من حاجته إلى القوة، النصيحة أصلٌ لصلاح الدِّين والدنيا، الجواب ثمرة المبتدأ فإن كان خبيثا خبث وإن كان طيبا طاب، قوة الشهوة مع التمكن من المشتهى من أجلِّ النِّعم، كلُّ سلطان يجور على رعيته فهو متبِّر الرأي مقطوع الظهر قليل عمر العزِّ، الحصون أرواح الدول، من التعذير طلبُ الحاجة في غير وقتها، من لم يهتم بصغير العدو لم يضطلع بكبيره، معاتبة الجاهل كالذي يناطح الجبل، الحزم أنفع من الشجاعة، الحيلة أجدى من الجلد، المعروف عمارة الدول، قطع المعروف خراب الدول، الدعاء جند لا يغلب، رزقه الإخلاص وكراعه وسلاحه حسن

الرجاء في الله يقطع المسافات البعيدة في لمح البصر، عمارة الولد خراب الوالد، السِّلم موضع سفاهة الجبان والحرب موضع حلمه، قلة الشدَّة تؤدِّي إلى الجرأة، البخل أساس الذل، الجودُ أساس العزِّ، رب حفظ يؤدِّي إلى ضياع، الجهل بحرٌ لا ينجو من ركبه، العلمُ سفينةٌ عاصمةٌ، الكذَّابُ يهوِّن الشديدَ ويقرِّبُ البعيد ويخفِّف الثقيل ويصحِّح المستحيل. المخاطرة بالمعروف أولى من المخاطرة بضياعه، الشهوات حتف أموال السلاطين، من أصاب الرأي وقبل رأي المصيب أصاب من جهتين، من أخطأ الرأي ولم يقبل رأي المصيب أخطأ من جهتين، الخيانة خراب، الأمانة عمران، من كان عقلُه أكبر من قدرته زانته قدرته وإلا فهي شين أو هلاك، من كان عقله أكثر من ماله دامت نعمته في الحالات، من كان ماله أكثر من عقله افتقر في أسرع الأوقات، من كان عقله أكثر من شجاعته غلب الأقران وهزم الشجعان، من كانت شجاعتُه أكثر من عقله شرب الذُّل بالدِّنان وصار فريسةً لأحداث الزمان، من كان علمه أكثر من عقله كان مسخرةً لأهل العقول، من كان عقله أكثر من علمه فهو من ورثه الرسول، عينُ العفاف أمينه، وعين الغضب مجنونة، وعين الهوى خائنة، استخدام العبد عمارة، وإهماله خرابٌ، بركوب الأخطار تقضى الأوطار، ببذل الأموال تبلغ الآمال، مستحقٌّ الرئاسة يبتدؤها من أسهاسها، وغير مستحقِّها يبتدؤها من رأسها، وأساسها اللِّينُ والبذل، ورأسها الأخذ والقتل. خوف المجوِّزات حزمٌ، وخوف الواقعات جَزَعٌ، من عصى اللَّبيب العارف اجترفه الجارف، الشيب برصُ الشَّعر ولولا أنه يعمُّ الخلق لكان علَّة ينفر عنها ويعيَّر بها من نزلت به، من العناء تكلُّف الفقراء حالة الأغنياء، الاستقصاء يحمل على العصيان، ربَّ مستيقظ لنائم، ربَّ جازم لعَاجز، رُبَّ حافظ لمضيِّع، ما نام من استيقظ جدُّه، ما قدح من كبا زنده، ما نصح من اختلط ودُّه، ما أصاب من غاب رشده، نم على الشوك ولا تنم على الخوف، لا ينفع مهزول العرض سِمَنُه، لا تُعِرْ يدك من يقتبس فيها النار، الحريص معان،

أساس الطاعة الحياء، أساس المعاصي الكذب، عظم الأحداث دليلٌ على زوال الدُّول، مِنْ نِقَمِ الثأر ما يورث العار.

وكتب عليه السلام إلى ولده الأمير الناصر لدين الله في شهر ذي الحجة سنة تسع وتسعين وخمسمائة :

بسم الله الرحمن الرحيم

سلام عليك فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ونسأله لنا فيك بلوغ المراد والهدى إلى سبيل الرشاد، أما بعد : فإن أولى الناس بالفضائل من كانت النبوة أصل شجرته، والوصية بذر ثمرته، والخلافة سنخ نسبه ووشيجة لحمته، وكان مسرحه في كلإ شَرْعٍ جَدُّه شارعُه، ومعقلُه في ذروة مجد والدُه فارعُه، وإنَّ أمير المؤمنين قد تفرَّس فيك فراسةً رجا فيها الاصابة، وقضت له فيك بالأصالة والنجابة، فإياك أن تكذب فراسته أو تخيِّب ظنَّه، وعليك بالصبر فإنه مُرُّ المبدأ، حلو العاقبة، شمِّرْ في درس العلوم فإنها حياة النفوس، وجلاء القلوب، وآثِرْ من ذلك الأهم فالأهم، فأوَّلُ ما تبدأ به معرفة الله سبحانه فإنها رأس العلم، وقاعدة الدين ومغناطيس النجاة، فتفهمها بالبراهين وتوابعها ولوازمها وما ينبني عليها وينضاف إليها من أفعاله تعالى وأحكام أفعاله وما يجوز عليه وما لا يجوز وما يجوز أن يفعله وما لا يجوز أن يفعله، والنبوءات والشرائع، والإمامة وتوابعها وما ينبني عليها.

وأتبع ذلك علم اللسان العربي إذ لا يصح علم الشرع الشريف إلاَّ به، ثم بعد ذلك تعلَّم أصول الشرع وفروعه بأدلتها وعللها وأسبابها وشروطها وما يشهد لها ويدلُّ عليها من الأقول والأفعال النبوية، واعتمد بعد ذلك على ما صحَّ من إجماع الأمة والعترة، اجعل العمل مطيتك، والعلم دليلك، والحق سبيلك، ولا تركن إلى الاغترار، وتفكَّر عند سكون جوارحك من الحركات في طاعة الله،

لتكون قد ألزمت قلبك ما يجب عليك من طاعة ربك، ولا تسأم الدرس، ولا تَملْ إلى هوى النفس، واغتنم أيام الفراغ فيوشك أن يشغلك الناس بأمورهم عن أمر نفسك، فتكون لهم آلة إلى بلوغ أغراضهم إما مالكًا وإمَّا مملوكًا، وقد ضيَّعت الأهم من غرضك، وبادر أيَّام الشبيبة أن تنفد، فما فات منها فلن يرتدَّ، وليس له بدلٌ ولا به عوض، وعليك بالحلم والتواضع لمن أخذت منه العلوم خصوصًا، ولسائر المسلمين عمومًا، والزم الرفق والأناة إلاَّ عن اكتساب الخيرات وفعل الطاعات فبادر ما استطعت فإنه ميدان سباق، وأكره نفسك على مرارة الطاعة لتذوق حلاوة الجزآء والمثوبة، ولا تنس نعمةَ الله سبحانه عليك بشرف النصاب النبوي، وفضل النجار العلوي الذي تقاصرت دونه الأنساب، وخضعت له الأعناق، وأهن[1] نفسك في كسب العلوم لتعزَّ في الدنيا والآخرة، وعليك بحسن الخلق فإنه عنوان الإيمان، وإيَّاك والعجلة فإنها حبالة الشيطان، وتحفَّظ من منطقك من عثرة اللسان، ولا تكثر الضَّحك فإنه يميت القلب ويورث الأحزان، وإيَّاك ومجالسة السفهاء فإنها مجانبة للإيمان، وعليك بتوقير أهل الأسنان، واعرف لأهل الحق حقوقهم، وأنزلهم في نفسك منازلهم، ولا تظلم عند القدرة، وأقل العاثر العثرةَ إلا أن تعلم أو تظن أنَّ ذلك مؤدٍّ إلى التمادي في الطغيان، واشكر على القليل، وجاز على الإحسان بالإحسان، وانصف خصمك من نفسك قبل أن تُلجأ إلى حاكمٍ لا يُصغي إلى الإدهان، واستشعر خيفة الرحمن في السرِّ والإعلان، واعرف حقَّ والديك وأدِّه وصِلْ رحمك، واخفض للمؤمنين جناحك، وأحسن طاعة من وَلِيَك وسياسة من وليته، ولا تكثر النوم فإنه يورث الفقر في الدنيا والآخرة، وشمِّر عن ساق الجدِّ، ولا تيأس من إدراك المطلوب، ونفِّس إن استطعت كربةَ المكروب، واحمد الله على كلِّ حالٍ من رخاء أو شدَّة،

---

(١) في (ب): وأمر.

ولا تجعل نعمة الله عليك دليل الرِّضى ، ولا محنته لك دليل الغضب ، فإنه قد يَبتلي وليَّه ، ويَستدرج عدوَّه ، فكن عند المحنة أرجا منك عند النعمة ، واذكر ربَّك في الرخاء يذكرك في الشدَّة ، ولا ترض لنفسك بصغار الطاعات مع طلبك كبار الدرجات ، فليس مع الراحة رجاحة . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

أولاده عليه السلام [1] :

محمد الناصر لدين الله ، وأحمد المتوكل على الله ، وعلي ، وحمزةُ دَرَج صغيراً ، وإبراهيم ، وسليمان ، والحسن ، وموسى ، ويحيى ، وإدريس درج صغيراً ، والقاسم ، وفضل درج صغيراً ، وجعفر توفي ولا عقب له ، وعيسى توفي ولا عقب له ، وداوود ، وحسين دَرَج صغيراً .

والبنات عشر : زينب ، وسيِّدة ، وفاطمة ، وجمانة ، ورملة ، ونفيسة ، ومريم ، ومهدية ، وآمنة ، وعاتكة .

محمد أمه دنيا بنة قاسم حمزيَّة ، وأحمد وعلي أمهما فاطمة بنة يحيى من أولاد الهادي إلى الحق عليه السلام ، وجعفر أمه نعم بنة سليمان بن مفرح ، وإدريس أمه منعة بنة الفضل بن علي بن حاتم ، والباقي لأمَّهات أولاد شتى ، وقد أنجبت أمهاتهم جميعًا . ومواقف شرفهم معروفة ، ومقاماتهم على الأعداء موصوفة ، شعر :

إذا ركبوا الخيل واستلأموا ... تحرَّقت الأرضُ واليوم قُرّ

وما أحقهم بقول المتنبي:

قومٌ بلوغُ الغلام عندهم ... طعنُ نحور الكماة لا الحلمُ

إن برقوا فالحتوف حاضرةٌ ... أو نطقوا فالصواب والحكمُ

أو حلفوا بالغموس واجتهدوا ... فقولُهم خاب سائلي قَسَمُ

---

(١) أنظر التحف شرح الزلف ٢٤٦ .

أو ركبوا الخيل غير مسرجة ... فإنَّ أفخاذهم لها حُزمُ
أو شهدوا الحرب لاقحًا أخذوا ... من مُهج الدَّارعين ما احتكموا
تُشرق أعراضهم وأوجههم ... كأنها في نفوسهم شِيمُ

عماله عليه السلام وقضاته:

اتفق له عليه السلام عند قيامه من العترة عليهم السلام رجال بذلوا في طاعة الله وطاعته مجهودهم . فولّى الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى قدَّس الله روحه شام بلاد خولان وبني جُماعة وبني نحر والأهنوم، وكان له رضي الله عنه من العناية والاجتهاد ما يليق بمثله حتى لقد أقام يسير في بعض نواحي المغرب داعيا إلى الله تعالى وإلى طاعة الإمام المنصور بالله عليه السلام حتى ورمت قدماه، حكى ذلك الأمير الكبير عماد الدين طوَّل الله عمره على كِبَر سِنّه وضعفه . وولّى الأمير الكبير بدرالدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى رضوان الله عليه نجران. وولّى الأمير علي بن المحسن رضي الله عنه صعدة[1] هذا في ابتداء ولايتهم ثم ولّى بعد ذلك صعدة وأعمالها ونجران وما يتصل بذلك الأمير الشهير مجدالدين يحيى بن الداعي إلى الله محمد يحيى بن يحيى الهادي إلى الحق عليه السلام فوليها حتى استشهد رضوان الله عليه . ثم وليها أخوه تاج الدين أحمد بن محمد بن يحيى حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولّى الظاهر آخراً الشيخ أمير الدين دحروج بن مقبل. وولّى عيان وما يليه إلى نواحي الجهات المغربية من بلاد حجور وقحطان الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم رضي الله عنه وتوفي وهو في يده . وولّى الأمير علم الدين سليمان بن موسى الحمزي رضي الله عنه[2] الجوف وأعماله[3]

---

(١)في (ب): وأعمالها.

(٢)في (ب): رحمه الله.

(٣)في (ب): وأعمالها.

وبقي في يده حتى توفي الإمام المنصور بالله عليه السلام . وولّى الأمير الكبير عماد الدين ذا الشّرفين أبا المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان مما يلي ظاهر بني صريم إلى الطَّرف وما يتصل به من الجهات إلى بلاد حمير ونواحيها إلى بُكُرْ وما يليه من الجهات المغربية إلى مساقط حراز وبقي في يده إلى أن توفي الإمام عليه السلام . وولّى القاضي ركن الدين يحيى بن جعفر حقل وحقاليه وما يليهما من بلاد جَنْب ونواحيها ، وفي بلاد مذحج الشيخ عزّان بن سعد[1] والشيخ مفضل بن أبي رزاح رحمهما الله تعالى وكان فيها من أهل العلم ممن وليّ الفقيه العالم ركن الدين سليمان بن ناصر رضي الله عنه وغيره من أهل العلم ، وقَبَضت ولاتُه الأموال من نواحي الحجاز وكانت تصل إليه موفَّرةً على أيدي رسله عليه السلام واستمراره في نواحي جيلان وديلمان على وفق الأوامر الإمامية على أيدي داعييه محمد بن أسعد ومحمد بن قاسم بن نصير ، وانتظمت الأمور فيها أشدَّ الانتظام ، وأقيمت الحدود ، وجَرَت الأحكام . وولّى القضاء في صعدة وأعمالها القاضي الفاضل محمد بن عبدالله بن أبي النجم رحمه الله تعالى وولده القاضي عبدالله بن محمد بعد أبيه ، والقاضي الفاضل عبدالله بن معرِّف رحمه الله في بلاد وادعة والقاضي عمرو بن علي العنسي رحمه الله في حوث وأعمالها ، وولده القاضي مسعود بن عمرو بعده وهو الشاعر المفلق والخطيب المصقع ، وولّى أيضا القاضي يحيى بن جعفر وكان غزير العلم بالغًا درجة الاجتهاد . أخبرني من أثق به أنَّ الأمام المنصور بالله عليه السلام سُئلَ هل هو مجتهد؟ ، فقال : هو من أكبر المجتهدين ، وكان في اليمن جماعة من أصحاب القاضي شمس الدين جعفر بن أحمد قدَّس الله روحه وغيرهم منهم الفقيه العالم سليمان بن ناصر رحمه الله ، وكان غزير العلم بالغًا

---

(١) في (ب) : سعيد .

درجة الاجتهاد، ومنهم القاضي الفاضل أحمد بن مسعود الربعاني رحمة الله عليه، ومنهم القاضي فائز بن مقبل وغيرهم من العلماء، وكان في نواحي الحجاز السيد يوسف بن علي الحسني - الشهيد بعناية صاحب بغداد وهو الملقَّب بالناصر أحمد، وكان رحمه الله عالما فاضلاً - على ينبع والصفراء، ومنهم القاضي الفاضل عرفطة بن المبارك رحمه الله في ساية وبلاد بني سُليم إلى مكة وقُتل بها عن أمر الناصر أيضًا، والقاضي منصور بن علي البشاري والفقيه داوود بن عبيد الخيبري وغيرهم ممن يطول ذكره وإنما ذكرنا القليل لأن استقصاءهم يخرجنا إلى التطويل، إلاَّ أنا ذكرنا العيون المنظور إليهم من الكفاة والقضاة والدعاة إليه عليه السلام.

ومن مختار ما رُثي به الإمام المنصور بالله عليه السلام قول ولده الأمير الناصر لدين الله أبي القاسم محمد بن عبدالله عليه السلام:

بِفِيْ الشامتين الترب إن يك نالني	مصاب أبي أو هَدَّ من عُظْمه أزري
على حين أعيى المقربات فراقه	وسنَّت له أنياب ذي لبَد حُسر
فإن يك نسوان بكين فقد بكت	عليه الثريًا في كواكبها الزُّهر
وإن يشمت الأعداءُ يوما فإنني	على حدثان الدَّهر كالكوكب الدُّري
وما مات من أبقى لمن كان بعده	سجالين من جود ومن نائل غَمْر
أما إنه لولا احتسابي مصابه	على كبدي كادت تَفيضُ على النحر
رزيَّةُ خَطْبٍ جلَّلتنا وجلَّلت	عماءً على الشمس المنيرة والبدر
ولو لم يكن في مثلنا قبل مثلها	لما كان من صبر عليها لذي حجْر
ولكنَّها الأيام تُبلي جديدها	فتمضي ويمضي كل يوم على مَرِّ
وتلك التي تبدو علينا بوجهها	شتيمًا وتبدو في غلائلها الخُضر
وما طلعت يومًا علينا مشيحةً	فنَمْنَع منها حدَّ ناب ولا ظُفر
ولكنَّها تبدو بأنياب كالح	وألحاظ شَنأن من النظر الشزر
فمَنْ للمعالي والعوالي وللنَّدى	ومن للسريحيات أو للقنا السمر

ومن للعدي بعد ابن حمزة ضامنٌ … بذي لجب تبدو عيا ظله مجر

ومن لجياد الخيل إن ظلَّ بينها … فتًى منه مأطورٌ وآخر ذو كسر

ومن لليتامى يوم خلفت فلَّهم … كما خُلفت في الدَّوِّ بيضُ القطا الكُدْر

فلايهنأ الأعداء مصرع ربِّهم … ولا عتقوا من كلِّ جائحة نُكر

وناعٍ بفيك الترب ليتك لم تكن … نعيتَ الذي لم يبق منَّا على ستر

ولم يبق في عليا لؤي بن غالب … بقاء فأولى للرَّزية في فهْر

رأيت المنايا لم يدَعْنَ محمَّداً … على حاله ولم يدَعْنَ أبَا بكر

وأدركن خير الناس بعد محمَّد … قتيل التجوبي الذي جاء من مصر

ونلن من الأعراب قيس بن عاصمٍ … وعمرو بن كلثوم وعمراً أبا عمرو

وأدركن بسطام بن قيس بن خالد … وأدركن ذا التاج الذي كان في حجر

وعيَّت عليٌّ النائبات فلم تدع … طريقًا إلى علم كأنيَ لا أدري

فلم أر إلا أنها سوف تنتهي … وتلك التي ليست تصح إلى زجر

فلا عين إلا ما استهلت شجونها … ولا قلب إلا ما تقلَّب في جمر

لرُزْء أصاب المسلمين فأصبحوا … له كالسكارى الشاربين من الخمر

أصيب عليٌّ بالذي لم يكن له … كفاءٌ بمحض في شمائله حُر

لعًا لك إما بنْتَ غيرَ مودَّع … ولا ذا قلى فيناً ولا سيئ الذِّكْر

كأنك لم تركب جواداً ولم تكن … صبرت لأيام محجَّلة غُرّ

ولم تغزُ في خيلٍ يلوح عقابها … على رأس ميمون يؤيَّدُ بالنَّصر

ولم تشر دون المرهقين بطعنة … كأنك ليثٌ من خفيَّة ذوأجر[1]

ولم ينتظرك المعتفون لما بهم … كما انتظرت غبرُ السنين إلى القطر

وأضياف ليلٍ قد دعوك إلى القرى … هدوأ وقد بات المطي بهم يسري

وغامض علمٍ قد كشفَتَ وفارسٍ … طعنتَ وعانٍ قد فككت من الأسرِ

---

(١)في (ب): حتفة ذواجر.

وبنتَ كريمٍ قد نكحت ولم يكن   لها خاطب غير المثقفة السُّمر
ومهمة قفرٍ قد قطعت إلى العدى   بقُبٍّ عتاقٍ في أعنتها تجرى
فما كان من هذا فقد كنت أجتني   جَنى شجرٍ جرزٍ مذاقته مُرُّ
تولَّت بهم عنَّا المنون وخلَّفت   به ذات آطال مولعة حُمرِ
فلا أنسين عهداً إليَّ عَهدتّه   أبى الله إلاَّ أن أغيَّب في قبري
وما ضاع من عهدٍ أكون وليته   ولا أنا بالواني الضعيف ولا الغمرِ

◆ ◆ ◆

فَصلٌ نختم به الكتاب

وإذ قد فَرغنا من ذكر الأئمة السابقين عليهم السَّلام على قدر ما اتصل بنا من أخبارهم، وإن كان بعضهم لم نقف على خبره على ضرب من التفصيل فكتبنا في حقِّه ما بلغ إلينا من خبره، ونحنُ نحمد اللَّه على ما مَنَّ به من عرفانهم، وهدَى إليه من الاستنارة ببرهانهم، فإنهم الخيرة من الأمَّة، والكاشفون لكلِّ غمَّة، فطوبى لمن سعد باتِّباعهم، وانخرط في سلك أشياعهم، وأخلص لهم الوداد، وفضَّلهم على العباد، وقام بما أمر به في ذرية النبي الهاد، كما قال الله سبحانه: ﴿قُلْ لا أسألُكُمْ عَلَيه أجْراً إلا الـمَوَدَّةَ فِي القُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣] لما نزلت هذه الآية قالوا يارسول اللَّه مَنْ قرابتك الَّذين افترض اللَّه علينا مودَّتهم؟ (قال: فاطمة وولدها)[1] فما حال من نصب لهم الصفاح، وثقَّف لنحورهم

(١) أنظر الكشاف للزمخشري ٤/ ٢١٩-٢٢٠/ ط منشورات البلاغة، فتح القدير للشوكاني ٤/ ٥٣٤-٥٣٦، ومجمع البيان للطبرسي ٩/ ٢٨ ط. دار إحياء، وابن كثير في تفسيره ٤/ ١٢١، وجامع البيان للطبري ١١/ ١٤٤ ط. دار الكتب العلمية، والنيسابوري في تفسيره المطبوع بهامش جامع البيان ٢٤/ ٣٥، والأميني في الغدير ٢/ ٣٠٦، وشواهد التنزيل ٢/ ١٣٠ رقم ٨٢٢-٨٢٩، والطبراني في الكبير ٣/ ٤٧ رقم ٢٦٤١، وذخائر العقبى ٢٥.

الرماح، وسدَّد لقلوبهم السهام، وجهد في عداوتهم باليد والكلام، لقد اختار الغواية على الهدَى، واستبدل بأنوار اليقين دياجير العمَى، قال ﷺ: «من كان في قلبه مثقال حبَّة من خردلٍ عداوةً لي ولأهل بيتي لم يرح رآئحة الجنة».

وروينا بالإسناد الموثوق به إلَى جرير بن عبدالله عن النَّبي ﷺ أنه قال: «من مات على حب آل محمَّد مات شهيداً، ألا ومَنْ مات على حبِّ آل محمَّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبِّ آل محمَّد مات تائبًا، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد مات مؤمنًا مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد بشَّره ملك الموت بالجنة ثم منكرٌ ونكير، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد جعل اللَّه زوَّار قبره بالرحمة الملائكة، ألا ومن مات على حبٍّ آل محمد مات على السنَّة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جآء يوم القيامة مكتوبًا بين عينيه آيسٌ من رحمة اللَّه، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يرح رآئحة الجنة» وهذا الخبر يكفي في أنَّ شرفهم لا يداني، وفضلهم لا يبارى، وأنهم أساس الدين، وسادة المؤمنين، ومن نظر بعين البصيرة، أخلص للَّه السريرة، علم أنهم أولى الأنام أن يقتدَي بهم أهل الإسلام.

ميِّز يا طالب الهدى والرشاد، بين العذب والملح الشماد، كيف ترضَى بتقديم غير الذرية الأكرمين عليهم في طلَب الصواب، وهم عدلآء السنة والكتاب، قال ﷺ: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدًا كتاب اللَّه وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبَّأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض» فأيُّ شكٍّ بعد ذلك في أنهم على حق وحقيقة، وأن طريقهم في الهدى أوضح طريقة، سفينة العصمة من المهاوي، والهداةُ من المغاوي، قال النَّبي ﷺ: «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلَّف عنها غرق وهوى، ومن قاتلنا

آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»[1] فهل علمت أيها السامع أن أحداً نجا في زَمنِ نوح عليه السلام إلا من اعتصم بالسفينة العاصمة، ومن برح عنها أخذته أمواج الانتقام المتلاطمة، كذلك العترة عليهم السلام، قال بعض الشعراء:

أعـاذلُ إنَّ كسـاء التُّقى ... كسـانيَ حبي لأهلِ الكسـا

سفـينةُ نوحٍ ومن يعتـصم ... بحـبلهم يعـتلق بالنجـا

هم أدلة الحق فلا ترفض دليلك، وصراط الدين السَّويّ فلا تنكب سبيلك، أما إن كل مُنصف يعلم باليقين أن رسول الله صلى الله عليه وآله لو كان في الأحياء لساءه ما ارتكبته أمتُه في عترته من قتل وتطريد وتمزيق وتشريد.

لا أضحك الله سنَّ الدَّهر إن ضحكت ... وآلُ أحمد مطرودون قد قُهروا

مخلَّؤن نُفوا عن عقر دارهم ... كأنهم قَد جنوا ما ليس يُغتَفروا

إذا قام منهُم القَائم بعد جمعه لخصال الكمال، وتبريزه في محاسن الخلال، تلقت جفاة الأمة دعوته بالإنكار، وحكموا بالهم الويل بأنه من الأشرار، ورفضوا قول النَّبي المختار صلى الله عليه وآله الأطهار، حيث يقول: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبها كبَّه الله على منخريه في نار جهنم»[2]؛ فهذا نص نبوي بالكبِّ في النار، لمن رفض قَائم العترة الأبرار، فما ترَى حكمه إذا شفع بالملام، وحكم عليه بأنه من الخوارج على أهل الإسلام، وحث على محاربته، وأفتَى بجواز معاداته ومناصبته، يا ويحه ماذا ارتكب، وأي سبيل تنكَّب، صدَّ عن

---

(1) أخرجه الإمام الهادي في الأحكام ١/ ٤٠، والإمام علي بن موسى الرضى عن آبائه في صحيفته ٤٦٤ بلفظ «أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها زج في النار» والمرشد بالله في أماليه ١/ ١٥٢، وأبو طالب في أماليه ١٣٦، والحاكم ٢/ ٣٤٣ بلفظ «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى» وقال حديث صحيح على شرط مسلم والطبراني والأوسط برقم ٥٣٩٠، والكبير ٣/ ٤٥ برقم ٢٦٣٦.

(2) أخرجه المؤيد بالله في التجريد ٢/ ٢٥٥، والطبري في تاريخه ٥/ ٤٠٧.

السبيل الواضحة، والأعلام اللائحة، واستبدل بالنور ديجوراً، وترك مسكاً وكافوراً، واعتمد أمراً كان الأولى به أن يكون مهجوراً، ولم يرتض بأن يصير ممن جعل الله بين يديه نوراً، ومن خلفه نوراً، إنَّ مذاهب العترة الهادية أخذها الآخر عن الأوَّل بالبرهان، وأسندوها إلى من نزل عليه الفرقان، واصطفي على كل إنسٍ وجان، فأنوارها تغشي أبصار ذوي الإلحاد، وبراهينها تشجي حلوق الأضداد، وأدلتها تقشع سحب الشكوك، وتوضِّح لطالب الرشد مناهج السلوك، وترفعه في الآخرة إلى منازل الملوك، فتنوَّر بأنوار هدايتهم المشرقة، وارتع في رياض حلومهم المزهرة المؤنقة، واقتطف من دوحاتهم المثمرة المورقة، فإن ثمارها دانية، وأنهارها جارية، سارت مناقبهم مسير الشمس والقمر، وتعلَّت إلى من بدا وحضر،هذا على أن بني أمية وبني العباس قَد جهدوا في دفن مكارمهم وطمس معاليهم و مفاخرهم، فما منعها ذلك عن الانتشار، وكيف تُستَرُ شمس النهار، ولقد كانوا يجاهرونهم بإظهار مناقب العترة عليهم السَّلام، كما رُوَي أن هشام بن عبدالملك بن مروان حجَّ في خلافة أخيه سليمان سنةً من السنين فلمَّا كان بالبيت زُوحِمَ على الركن، فكلَّما هَمَّ باستلامه رجع إلى موضع مُصلاه وسلَّم من خلف المقام، واجتمع عنده عِدَّةٌ من الناس وفيهم الفرزدق الشاعر فينظر هشام بن عبدالملك زينَ العابدين صاحب السجادة ذا الثفنات علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السَّلام وهو يطوف كلما بلغ الركن انفرج عنه الناس وخُلِّي له حتى يستلمه، فأغضب ذلك هشامًا وغار على زين العابدين عَلَيه السلام وهمَّ بالاستهزآء به والاستخفاف فقال: من هذا؟ فقال الفرزدق :

هذا الَّذي تعرف البطحَآء وطأته ... والبيت يعرفه والحلُّ والحرمُ

هذا ابن خير عباد اللَّه كلِّهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ

يكاد يلثمه عرفانَ راحته ... ركنُ الحطيمِ إذا ما جَآء يستلمُ

مستنبعٌ من رسول الله نبعته طابت عناصره والخيم والشِّيمُ

في كفه خيزران ريحه عبق من كفّ أروع في عرنينه شممُ

من معشر حبهم فرض وبغضهم كفر وحبهم منجى ومعتصمُ

مقدَّم بعد ذكر الله ذكرهم في كلّ حينٍ ومختوم به الكلمُ

إن عُدّ أهل التُّقى كانوا أئمتهم أو قيل: من خير أهل الأض؟ قيل: هم[1]

فأمر هشام بإسقاط صلة الفرزدق من الديوان فبلغ ذلك زين العابدين عليه السلام فأمر له ببدرة، فلمّا حُملت إليه ردّها، وقال: إنما تكلّمت وقلتُ ما قلتُ للّه عزّوجل ولا أقبل عليه عوضًا وأجرًا، وردّ البدرة على زين العابدين فردها عليه زين العابدين وقال: نحنُ أهل البيت إذا خرجت عنّا صلةٌ لم ترجع أبدًا، وحبس هشام الفرزدق بعسفان على مرحلتين من مكة، فقال يهجو هشامًا:

أتحبسني بين المدينة والتي إليها جميع الناس يهوي منيبُها

يقلّب رأسًا لم يكن رأس سيد وعينًا له حولاء باد عيوبها

وللكميت بن زيد رحمه الله في سلطان بني أمية قصائده المشهورة المعروفة بالهاشميّات ذكر فيها كثيرًا من مناقب العترة عليهم السّلام ومثالب بني أمية ولم يكترث بسلطانهم، وهي خمسمآئة بيت وبضع وثمانون بيتًا، وفي الحكاية: أن الكميت جآء إلى الفرزدق فقال: إني قلتَ قصيدةً أريد أن أعرضها عليك، فقال: هات؛ فأنشدَ:

طربتُ وما شوقًا إلى البيض أطربُ ولا لعبًا مني وذو الشيب يلعب[2]

فقال: إلى من طربت ثكلتك أمك؟، فقال:

ولم يُلهني دارٌ ولا رسمُ منزلٍ ولم يَتطرّبني بنان مخضّبُ

---

(١) ديوان الفرزدق ١٨٠-١٨١.

(٢) ويروى «أذو الشيب يلعب».

وما أنا ممن يزجر الطير همُّهُ ... أصاح غراب أم تعرَّض ثعلبُ

ولا السَّانحات البارحات عشيَّةً ... أمرَّ سليمُ القرن أم مَرَّ أعضبُ

ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهَى ... وخير بني حوآء والخير يُطْلَبُ

فقال الفرزدق : هؤلاء بنو دارم ، فقال الكميت :

إِلَى النفر البيض الَّذين بحُبِّهم ... إلى الله فيما نابني أتقرَّبُ

بني هاشم رهط النَّبي فإنني ... لهم وبهم أرضَى مرارًا وأغضبُ

فقال : والله لو جزتهم إلى من سواهم لذهب قولك باطلاً ، وفيها يقول :

خفضت لهم مني جناحي مودةٍ ... إِلَى كَنَف عطفاه أهلٌ ومرحبُ

وكنت لهم من هؤلاك ومن أولا[1] ... مجنًا على أنّي أذمُّ وأقصبُ

وأرمى وأرمي بالعداوة أهلها ... وإني لأوذى فيهمُ وأؤنَّبُ

فما سَآءني قول امرئٍ ذي سفاهة ... بعورآء فيهم يجتديني فأجدب

فما لي إلاَّ آل أحمد شيعةٌ ... ومالِيَ إلا مذهب الحق مذهب[2]

ومَنْ غيرهم أرضَى لنفسيَ شيعةً ... ومن بعدهم لا من أجلٌ وأُرْجَب

يُعيّرني جهَّالُ قومي بحبِّهم ... ويبغضُهم أدنَى لعار وأعطب

فقل للذي في ظل عميآء جونة ... يرَى الجور عدلاً لا إلى أين تذهب

بأيِّ كتاب أم بأية سنةٍ ... ترَى حُبَّهُم عارًا عليّ وتحسبُ

أأسلَمُ ما تأتي به من عداوةٍ ... ويغضٍ لهم لا جَيْر بَل هو أشجب

ستُقرعُ منهُا سنُّ خزيان نادمٍ ... إذا اليوم ضمَّ الناكثين العصبصبُ

أُريبُ رجالاً منهُم وتُريبني ... خلائق مما أحدثوا هُنَّ أريبُ

إِليكم ذوي آل النَّبي تطلَّعت ... نوازع من قلبي ظمآءٌ وألببُ

---

(١) في هاشميات الكميت «وهؤلا» .

(٢) روي في ديوان الكميت «ومالي إلا مشعب الحق مشعب» وهو بنفس المعنى فيقال : شَعَبَ إذا ذَهَبَ .

وإني على الأمر الَّذي تكرهونه   بقولي وفعلي ما استطعت لأجنب

وإني لمن شايعتُم لمشايع   وإني فيمن سبَّكم لمسبِّبُ

يشيرون بالأيدي إليَّ وقولهم   ألا خاب هذا والمشيرون أخيبُ

فطآئفة قد أكفروني بحبِّكم   وطآئفةٌ قالوا مسيءٌ ومذنبُ

فما سآءني تكفير هاتيك منهُم   ولا عيبُ هاتيك التي هي أعيبُ

يعيبونني من جهلهم وضلالهم   على حبِّكم بل يسخرون وأعجبُ

وقالوا تُرابيٌّ هواه ورأيه   بذلك أدعى فيهم وألقَّبُ

فلا زلتُ منهُم حين يتهمونني   ولا زلت في أشياعكم أتقلبُ

على ذاك إجريَّاي وهي ضريبتي   ولو جمعوا طُرًّا عليَّ وأجلبوا

وأحمل أحقاد الأقارب فيكم   ويُنصب لي في الأبعدين وأنصبُ

بخاتمكم كَرْهًا تجوز أمورهم   فلم أر غصبًا مثله حين يُغْصَبُ

وبُدِّلَتَ الأشرارُ بعد خيارها   وجَدَّ بها من أمة وهي تلعبُ

وجدنا لكم في آل (حم) آيةً(1)   تأوَّلها منَّا تقيٌّ ومُعْرِب

وفي غيرها آيًا وآيًا تتابعت   لكم نصبٌ فيها لذي الشكِّ منصب

بحقكم أمست قريش تقودنا   وبالفذِّ منها والرَّديفين نركبُ

إذا اتضعونا كارهين لبيعة   أناخوا لأخرى والأزمَّة تُجذَبُ

وقال فيها:

ألم ترني من حبِّ آل محمَّد   أروح وأغدوا خآئفًا أترقَّبُ

كأني جانٍ مُحْدِثٌ وكأنما   بهم يُتَّقي من خشية العُرِّ أجرب

على أيِّ جُرمٍ أم بأيَّة سيرة   أعنَّفُ في تقريظهم وأكذَّبُ

أناسٌ بهم عزَّت قريش فأصبحوا   وفيهم خباء المكرمات المطنب

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾ [الشورى: ٢٣].

مصفَّون في الأحساب محضون نجرهم … هم المحض منّا والصريح المهذب
خضمُّون أشرافٌ لهاميمُ سادةٌ … مطاعيمُ أيسارٌ إذا الناس أجدبوا
إذا ما المراضيع الخماص تأوّهت … من البرد إذ مثلان سَعْدٌ وعقرب
وحاردت النُكد الجلادُ ولم يكن … لعقبة قدر المستعيرين مُعْقب
وبات وليد الحي طيان ساغبًا … وكاعبهم ذات العفَاوَة أسغَب
إذا نشأت منهُم بأرض سحابةٌ … فلا النبت محضورٌ ولا البرق خُلَّب
إذا ادلمستَ ظلماء أمرين حِنْدسٌ … فبدرٌ لهم فيها مضيءٌ وكوكبُ
وإن هاج نبت العلم في الناس لَم تزل … لهم تعلةٌ خضراء منه ومذنبُ
لهم رتُبٌ فضلٌ على الناس كلِّهم … فضَائل يستعلي بها المترتّب
مساميح منهُم قَائلونَ وفاعلٌ … وسبَّاقَ غايات إلى الخير مُسْهبُ
أولاكَ نَبيُّ اللّه منهُمَ وجعفرٌ … وحمزةُ ليثَ الفيلقين المجرِّب
وحيدرة الكرار في كل معرك … إذا صارت الأبطال فيه تقصب[1]
هُمُ ما هُمُ وتراً وشفعًا لقومهم … لفقدانهم ما يعذر المتحوِّب[2]

وقال في قصيدة أخرَى :

قومٌ إذا امْلَولَحَ الرجالُ على … أفواه من ذاق طعمهم عَذُبوا
هَيْنُون لَيْنونَ في بيوتهم … سِنخ التقى والفضَائلُ الرتُبُ
إن نزلوا فالغُيُوث باكرة … والأسدُ أسدُ العرين إن ركبوا
والطيبون المبرّؤون من الـ … آفة والمُنْجبُون وَالنُجُبُ
والسالمون المطهَّرون من العيـ … ـب ورأسُ الرؤوس لا الذَّنَبُ
زُهْرٌ أصحاءُ لا حديثهم … واه ولا في أديمهم عَطَبُ
والعارفو الحقَّ للمُدّل به … والمُستقلّو كثيرَ ما وَهَبُوا

---

(١) نقل هذا البيت من حاشية النسخة «ب» .

(٢) أنظر هاشميات الكميت ٤٣ - ٨١ .

والمحـرزو السَّـبق في مـواطن لا ... تُجـعل غـايات أهلهـا القـصبُ
والكاشـفـو المفظِع المهم إذا التـفـ ... ـف بتـصـدير أهلهـا الحـقَبُ[1]

وقال أيضًا :

مَن لِّقَلب مُـتَـيَّم مُـسـتَـهـامِ ... غَـيـر مـا صَـبـوَة ولا أحـلامِ
طارقـات ولا ادكـار غَـوان ... واضـحـات الخُـدُود كـالآرامِ
بَـل هَـوايَ الَّـذي أجـنُّ وأبـدي ... لِبَـني هاشـمٍ فُـروع الأنامِ
للقـريبينَ من نَّدًى والبَـعـيـديـ ... ـنَ منَ الجَـور في عُـرَى الأحكامِ
والمُصـيـبينَ بابَ مـا اخطأ النَّا ... سُ وَمُـرسي قَـواعـد الإسـلامِ
والحُـمـاة الكُفـاة في الحَـرب إن ... لَفَّ ضِـرامًـا وَقُـودُهـا بضِـرامِ
والغُـيُـوث الَّذينَ إن أمـحَلَ النَّا ... سُ فَـمَـأوَى حَـواضِن الأيتـامِ
والوُلاة الكُفَـاة للأمـر إن طَرَّ ... قَ يَتنَا بمُـجـهَضٍ أو تَمـامِ
والأُسـاة الشُّـفَـاة للداء ذي الرِّيـ ... ـبـة والمُدركين بـالأوغـامِ
والرَّوايا الَّتي بهـا يَحـمـلُ النَّا ... سُ وسُـوقَ الـمُطَّبـعـات العظامِ
والبـحـور الَّتي بهـا تُكشَفُ الحرَّ ... ةُ والـدَّاءُ مـن غـلـيـل الأُوامِ
لكَثـيـرينَ طَيِّـبينَ منَ النّا ... سِ وبَرِّينَ صـادقينَ كـرامِ
واضـحي أوجُـه كَـريمي جُـدُود ... واسطي نسـبـة لهـام فَـهـامِ
للذُّرَى فـالذُّرَى مِنَ الحَسَب الثّـا ... قب بَينَ القَـمـقـامِ فـالقَـمـقـامِ
راجحي الوَزن كاملي العَدل في السيـ ... ـرَة طَبِّينَ بالأُمـور الجِـسـامِ
فَضَلُوا النّاسَ في الحَديث حَديثا ... وَقَـديمـا في أوَّل القُـدَّامِ
مُـستَـفـيـدينَ مُـتلفينَ مـواهيـ ... ـبَ مَطَاعـيمَ غَـيـر مـا أبرامِ
مُـستَـعـفِّينَ مُـفـضلِينَ مَـساميـ ... ـحَ مَراجيحَ في الخَميس اللُّهامِ

---

(١) هاشميات الكميت ١٢٠-١٢٢ .

وَمَداريكَ لِلذُّحُولِ مَتاريـ … ـكَ وَإِن أُحفِظُوا لِعُورِ الكَلامِ

لا حُباهُم تُحَلُّ لِلمَنطِقِ الشَّغـ … ـبِ ولا لِلِّطامِ يَومَ اللِّطامِ

أَبطَحِيِّينَ أَرْيَحِيِّينَ كَالأَنـ … ـجُمِ ذاتِ الرُّجُومِ والأَعلامِ

غالِبِيِّينَ هاشِمِيِّينَ في العِلـ … ـمِ رَبَوا مِن عَطِيَّةِ العَلّامِ

وَمُصَفَّيْنَ في المَناسِبِ مَحضـ … ـينَ خِضَمِّينَ كَالقُرُومِ السَّوامي

وَإِذا الحَربُ أَومَضَت بِسَنا البَر … ق وَسارَ الهُمامُ نَحوَ الهُمامِ

وَرَأَيتَ الشَّريجَ يَحنُنَّ والنَّبـ … ـعَ بِمَكسُورَةِ الظُّهارِ اللُّؤامِ

فَهُمُ الأُسدُ في الوَغى لا اللَّواتي … بَينَ خِيسِ العَرينِ ذي الآجامِ

أُسدُ حَربٍ غُيُوثُ جَدبٍ بَهالِيـ … ـلُ مَقاوِيلُ غَيرُ ما أَفدامِ

لا مَهاذِيرَ في النَّدِيِّ مَكاثِيـ … ـرَ وَلا مُصمِتِينَ بِالإِفحامِ

سادَةٌ ذادَةٌ عَنِ الخُرَّدِ البيـ … ـضِ إِذا اليَومُ كانَ كَالأَيّامِ

وَمَغايِيرَ عِندَهُنَّ مَغاوِيـ … ـرُ مَساعِيرَ لَيلَةَ الإِلجامِ

لا مَعازِيلَ في الحُرُوبِ تَنابِيـ … ـلَ وَلا رائِمِينَ بَوَّ اهتِضامِ

وَهُمُ الآخِذُونَ مِن ثِقَةِ الأَمـ … ـرِ بِتَقواهُمُ عُرىً لا انفِصامِ

والمُصِيبُونَ والمُجِيبُونَ لِلدَّعـ … ـوَةِ والمُحرِزُونَ خَصلَ التَّرامي

وَمُحِلُّونَ مُحرِمُونَ مُقِرُّو … نَ لِحِلٍّ قَرارَةً وَحَرامِ

ساسَةٌ لا كَمَن يَرى رَعيَةَ النّا … سِ سَواءً وَرَعيَةَ الأَنعامِ

لا كَعَبدِ المَليكِ أَو كَوَليدٍ … أَو سُلَيمانَ بَعدُ أَو كَهِشامِ

مَن يَمُت لا يَمُت فَقيداً وَمَن يَحـ … ـيَ فَلا ذُو إِلٍّ وَلا ذُو ذِمامِ

رَأيُهُ فيهِمُ كَرَأيِ ذَوي الثُّلَّـ … ـةِ في الثّائِجاتِ جُنحَ الظَّلامِ

جَزَّ ذي الصُّوفِ وانتِقاءً لِذي المُخَّـ … ـةِ وانعِق وَدَعدِعا بِالبِهامِ

فَهُمُ الأَقرَبُونَ مِن كُلِّ خَيرٍ … وَهُمُ الأَبعَدُونَ مِن كُلِّ ذامِ

وَهُمُ الأرأفُونَ بالنّاسِ في الرأ ... فَةِ والأحلمُونَ في الأحلامِ

بَسَطُوا أيدِيَ النَّوالِ وكَفُّوا ... أيديَ البَغيِ عَنهُم والعُرام

ركبوا القسط واستقاموا عليه ... حين جارت زَوامِلُ الآثام[1]

عيرَاتُ الفَعالِ والحَسَبِ العَوْ ... دِ إليهِمْ مَحطُوطَةُ الأعكامِ

أُسرَةُ الصّادقِ الحَديثِ أبي القا ... سِمِ فَرعِ القُدامسِ القُدّامِ

خَيرِ حَيٍّ وَمَيِّتٍ مِن بني آ ... دَمَ طُرّاً مَأمُومِهم والإمامِ

كانَ مَيتاً جنازَةً خَيرُ مَيتٍ ... غَيّبَتهُ حَفائرُ الأقوامِ

وَجَنينًا وَمُرضَعًا ساكِنَ المَهْ ... دِ وَبَعدَ الرِّضاعِ عندَ الفطامِ

خَيرُ مُستَرضَعٍ وَخَيرُ فَطيمٍ ... وَجَنينٍ أُقِرَّ في الأرحامِ

وَغُلامًا وَناشِئًا ثُمَّ كَهلاً ... خَيرُ كَهلٍ وَناشئٍ وَغُلامِ

أنقَذَ اللَّهُ شلوَنا من شَفا النّا ... رِ به نِعمَةً مِنَ المُنعامِ

لَو فَدَى الحَيُّ مَيِّتًا قُلتُ نَفسي ... وَبَنِيَّ الفِدا لِتِلكَ العِظامِ

طَيِّبُ الأصلِ طَيِّبُ العُودِ في البَدْ ... ءِ والفَرعِ يَثرِبيٌّ تِهامي

أبطَحِيٌّ بِمَكَّةَ استَثقَبَ اللّـ ... ـهُ ضِياءَ العَمَى به والظَّلامِ

وَإلَى يَثرِبَ التَّحَوُّلَ عَنها ... لِمَقامٍ عن غَيرِ دارِ مُقامِ

هِجرَةٌ حُوِّلَت إلى الأوسِ والخَزْ ... رَجِ أهلِ الفَسيلِ والآطامِ

غَيرَ دُنيا مُخالِفًا واسمَ صِدقٍ ... باقِيًا مَجدُهُ بَقاءَ السَّلامِ

ذُو الجَناحَينِ وابنُ هالَةَ[2] منهُم ... أسَدُ اللَّهِ والكَميُّ المُحامي

لا ابنُ عَمٍّ يُرَى كَهَذا وَلا عَـ ... ـمٌّ كَهَذاكَ سَيِّدِ الأعمامِ

---

(١) في هاشميات الكميت:

أخذوا القصد واستقاموا عليه ... حين مالت زواملُ الآثام

(٢) يعني حمزة بن عبدالمطلب وأمه هالة بنت وهيب.

والوَصيُّ الّذي أمالَ التّجوبـ ـيُّ[1] به عَرشَ أمّةٍ لانهدامِ

كانَ أهلَ العَفافِ والمجدِ والخَيـ ـرِ ونَقضِ الأمورِ والإبرامِ

والوَصيُّ الوَليُّ والفارسُ المُعـ ـلَمُ تحتَ العَجاجِ غيرُ الكَهامِ

كَم لَهُ ثُمَّ كم لهُ من قَتيلٍ وَصَريعٍ تحتَ السَّنابكِ دامي

وَخَميسٍ يَلُفُّهُ بخَميسٍ وَفِئامٍ حَواهُ بَعدَ فِئامِ

وَعَميدٍ مُتَوَّجٍ حَلَّ عَنهُ عُقَدَ التّاجِ بالصَّنيعِ الحُسامِ

قَتَلُوا يَومَ ذاكَ إذ قَتَلُوهُ حَكَمًا لا كَغابِرِ الحُكّامِ

راعيًا كانَ مُسجِحًا فَفَقَدنا هُ وَفَقدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ

نالَنا قَتلُه وَنالَ سِوانا باجتِداعٍ مِنَ الأُنوفِ اصطلامِ

وَأُشِتَّت بنا مَصادرُ شَتّى بَعدَ نَهجِ السَّبيلِ ذي الآرامِ

جَرَّدَ السَّيفَ تارَتَينِ مِنَ الدَّهـ ـرِ على حينِ دِرَّةٍ من صَرامِ

في مُريدينَ مُخطئينَ هُدى اللّـ ـهِ وَمُستَقسِمينَ بالأزلامِ

وَوَصيُّ الوَصيِّ ذي الخُطَّةِ الفَصـ ـلِ ومُردي الخُصومِ يومَ الخصامِ

وَقَتيلٌ بالطَّفِّ[2] غُودِرَ منهُ بَينَ غَوغاءِ أُمّةٍ وَطَغامِ

تَركَبُ الطَّيرُ كالمجاسدِ منهُ مَعَ هابٍ منَ التُّرابِ هَيامِ

وَتُطيلُ المُرزَّءاتُ المَقالِيـ ـتُ عَلَيهِ القُعودَ بَعدَ القِيامِ

يَتَعَرَّفنَ حُرَّ وَجهٍ عَلَيهِ عُقبَةُ السَّروِ ظاهِرًا والوَسامِ

قَتَلوا (يوم ذاك)[3] إذ قَتَلُوهُ أكرَمَ الشّاربينَ صَوبَ الغَمامِ

وَسَميُّ النَّبيِّ[4] بالشِّعبِ ذي الخَيـ ـفِ طَريدُ المُحِلِّ[5] ذي الأحرامِ

---

(١) التجوبي : عبدالرحمن بن ملجم لعنه الله قاتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع).

(٢) يعني الإمام الحسين بن علي (ع) والطف: شاطئ الفرات.

(٣) في الديوان: قتل الأدعياء.

(٤) يعني محمد بن الحنفية.

وَأَبُو الفَضلِ إنَّ ذِكرَهُمُ الحُلـ ـوَ بِفيَّ الشِّفَاءُ لِلأَسقامِ

فيهِمُ كُنتُ لِلبَعيدِ ابنَ عَمٍّ واتُّهِمتُ القَريبَ أيَّ اتِّهامِ

وَرَأيتُ الشَّريفَ في أعيُنِ النا س وَضيعًا وَقَلَّ مِنهُ احتِشامي

وَتَناوَلتُ مَن تَناوَلَ بِالغَيـ ـبَةِ أعراضَهُم وَقَلَّ اكتِتامي

مُعلِنًا لِلمُعالِنينَ مُسِرًّا لِلمُسِرِّينَ غَيرَ دَحضِ المَقامِ

مُبدِيًا صَفحَتي عَلى المَرقَبِ المُعـ ـلَمِ بِاللَهِ قُوَّتي واعتِصامي

ما أُبالي إذا حَفِظتُ أبا القا سِمِ فيهِم مَلامَةَ اللُوّامِ

ما أُبالي وَلَن أُبالِيَ فيهِم أبَدًا رَغمَ ساخِطينَ رِغامِ

فَهُمُ شيعَتي وَقِسمي مِنَ الأُمَّـ ـةِ حَسبي مِن سائِرِ الأقسامِ

إن أمُتْ لا أمُتْ وَنَفسِيَ نَفسا نِ مِنَ الشَكِّ في عَمًى وَتَعامي

عادِلًا غَيرَهُم مِنَ النّاسِ طُرًّا بِهِمُ لا هَمامِ لي لا هَمامِ

لَم أبِع ديني المُساوِمَ بِالوَكـ ـسِ وَلا مُغلِيًا مِنَ السُوّامِ

أخلَصَ اللَهُ لي هَوايَ فَما أُغرِقُ نَزعًا وَلا تَطيشُ سِهامي

وَلِهَت نَفسِيَ الطَروبُ إلَيهِم وَلَهًا حالَ دونَ طَعمِ الطَعامِ

لَيتَ شِعري هَل ثُمَّ هَل آتِيَنهُم أم يَحُولَنَّ دونَ ذاكَ حِمامي

إن تُشَيِّع بِيَ المُذَكَّرَةُ الوَجـ ـناءُ تَرمي لُغامَها بِلُغامِ

عَنتَريسٌ[1] شِملَّةٌ ذاتُ لَوثٍ هَوجَلٌ مَيلَعٌ كَتُومُ البُغامِ

تَصِلُ السُهبَ بِالسُهوبِ إلَيهِم وَصلَ خَرقاءَ رُمَّةً في رِمامِ

رَدَّهُنَّ الكَلالُ حُدبًا حَدابيـ ـرَ وَحَدُّ الإكامِ بَعدَ الإكامِ

في حَراجيجَ كالحَنِيِّ مَجاهيـ ـضَ يَخِدنَ الوَجيفَ وَخدَ النَعامِ

---

(٥) المحل : يقصد عبدالله بن الزبير أحل القتل بمكة .

(١) الناقة العليقة .

يَكتَنفنَ الجَـهيضَ ذا الرَّمَق المُعـ ـجَـل بَعــــدَ الحَنين بالإرزام
مُنكَرات بَأنفُس عـــارفــات بعُـيُــون هَوامل التَّـسجــام
مـــا أبَالي إذا أنخنَ إلَيـــهـمْ نَقَبَ الخُفِّ واعـتــراقَ السَّنام
يَقضِ زَورٌ هُناكَ حَقَ مَـــزُوريـ ـنَ ويَحبُ السَّلام أهل السَّلامِ[1]

ومن قصيدة له أخرى :

فــقل لبَني أمــيــة حــيث حلُّوا وإن خــفت المهنَّد والقطيــعـــا
أجــاع اللَّه من أشــبـعــتــمـوه وأشبع من بجـوركم أُجـيـعـا[2]

هذا والكميت بن زيد جارٌ لخالد بن عبداللَّه القَسْري بالعراق وسيف خالد يقطر من دمآء الشيعة ظمئان منها لا يروى ، وكذلك الحال في أيام المسوِّدة فإنَّ الأمر ظاهر في انتشار مناقب العترة عَلَيهم السَّلام على إخافة بني العباس لمن مال إليهم ، وتدميرهم لمن تحَنَّن عَلَيهم ، قال منصور بن الزبرقان وهو على بساط هارون :

آلُ النَّبي ومن يحـــبــهـــم يتطامنون مــخــافــة القــتلِ
أمِنَ النصـــارى واليــهـود وهـم من أمـــة التـــوحـــيــد في أزْلِ

وقال إبراهيم بن العباس شاعرهم وكاتبهم في الرِّضَى علي بن موسى عليه السلام في أيام المأمون :

يُمنُّ عليكم بأمــــوالكم وتعطون من مـــائة واحـــدا
فـلا حَـمـد اللَّه مـسـتـبـصـراً يكون لأعــدآئكم حــامــدا

وممن أغـري بمدح أهل البيت عليهم السَّلام دعْبل بن علي بن رزين بن تميم بن نهشل ، وقيل : نيهش الخزاعي ، وكان مفوَّهًا بليغًا متشيِّعًا معروفًا بحبِّ

---

(١) هاشميات الكميت ١١-٤٢ .
(٢) هاشميات الكميت ص١٩٨ .

أهل البيت عليهم السَّلام، منقطعًا في بغض الخلفاء وهجوهم حتى لم يُبْقِ منهم أحدا ولا من وزرائهم وهو معروف بذلك، وقصيدته «مدارس آيات خلت من تلاوة» من فاخر المديح وحسن الشعر المقول في أهل البيت عَلَيهم السَّلام، وقصد بها الرِّضَى علي بن موسى عليه السلام بخراسان فأعطاه عشرة آلاف درهم من الدراهم المضروبة باسمه. وروى الشيخ أبو الفرج علي بن الحسين الكاتب المعروف بالأصبهاني قال: أخبرني الحسن بن علي بإسناد يرفعه إلى موسى بن عيسى المروزي وكان منزله بالكوفة في رحَبْة طيٍّ قال: سمعت دعبل بن علي وأنا صبيٌّ يتحدث في مسجد المروديّة قال: دخلت على علي بن موسى الرضَى، فقال لي: أنشدني شيئًا مما أحدثت بعدنا؛ فأنشدته:

مـــدارسُ آيات خَلَتْ من تلاوة ومنزلُ وحيٍ مُـقْـفِـرِ العـرصـات

حتَى انتهيت مِنهُا إلَى قولي:

إذا وُتِرُوا مـــدُّوا إلى واتريهم أكـفًّـا عن الأوتار منقـبـضـات

قال: فبكى حتى أُغمي عَلَيه، وأومَى إليَّ خادمٌ على رأسه أن اسكت فسكت فمكثت ساعة ثم قال: أعد، فأعدت حتى انتهيت إلى هذا الموضع أيضا فأصابه مثل الَّذي أصابه في المرة الأولى وأومى الخادم إليَّ أن اسكت فسكت، ثم مكثت ساعة أخرى ثم قال لي: أعد فأعدت حتى انتهيت إلى آخرها فقال: أحسنت ثلاث مرات، ثم أمر لي بعشرة آلاف درهم مما ضُرِبت باسمه ولم يكن وقعت إلى أحد بعد، ثم أمر لي من في منزله بحُليٍّ كثير أخرجه الخادم فقدمت العراق فبعت كلَّ درهم منهُا بعشرةٍ اشترتها مني الشيعة، فحصلت لي مائة ألف درهم وكان أول مال اعتقدته.

وروى الشيخ أبو الفرج أن ابن مهروية قال: وحدثني حذيفة بن أحمد أن دعبلاً قال له: استوهَبَ من الرضى ثوبًا قد لبسه ليجعله في أكفانه، فخلع جبّةً

كانت عليه فأعطاه إياها، وبلغ أهل قُمّ خبره فسألوه أن يبيعهم إيَّاها بثلاثين ألف درهم فلم يفعل، فخرجوا عَلَيه في طريقه فأخذوها غصبًا وقالوا له: إن شئت أن تأخذ المال فافعل، وإلا فأنت أعلم، فقال: إني والله لا أعطيكم إياها طوعا ولا تنفعكم غصبًا، وأشكوكم إلى الرضَى عليه السلام، فصالحوه على أن يعطوه الثلاثين الألف وفَرْد كُمّ من بطانتها فرضي بذلك . **والقصيدة هي هذه** :

مَدارس آيات خلت من تلاوة ... ومنزل وحي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى ... وبالركن والتعريف والجمرات

ديارُ عليٍّ والحسين وجعفر ... وحمزة والسجَّاد ذي الثفنات

ديارٌ عفاها جور كل منابذ ... ولم تعف للأيام والسنوات

قفا نسأل الدار التي خفَّ أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات

وأين الألَى شطَّت بهم غُربة النوَى ... أفانين بالأطراف منقبضات(1)

هم أهلُ ميراث النَّبي إذا اعتزوا ... وهم خيرُ قادات وخير حماة

وما الناس إلا حاسدٌ ومكذِّبٌ ... ومضطغن ذو إحنة وترات

إذا ذكروا قتلى ببدر وخيبر ... ويوم حنين أسبلوا العبرات

قد لاينوه في المقال وأضمروا ... قلوبًا على الأحقاد منطويات

قبوراً بكوفان وأخرَى بطيبة ... وأخرَى بفخ نالها صلواتي

وقبراً بأرض الجوزجان نُجِلُّه(2) ... وقبرًا بباخمرًا لدَى الغربات

وقبراً ببغداد لنفس زكيَّة ... تضمَّنها الرحمن بالغرفات

وقبرا بطوس يالها من مصيبة ... تردَّد بين الصدر والجنحات

فأما المصمَّات التي لستُ بالغًا ... مبالغها مني بكُنْه صفات

---

(1) بالآفاق .

(2) في (ب): محله .

إلى الحشر حتى يبعث الله قائما يفرج منها الهم والكربات

نفوسا لدى النهرين من بطن كربلا معرسهم فيها بشط فرات

أخاف بأن أزدارهم فيشوقني معرسهم بالجزع من نخلات

تقسمهم ريب المنون كما ترى لهم عقوة مغشية الجمرات

سوى أن منهم بالمدينة عصبة مدى الدهر أنضاء من الأزمات

قليلة زوار خلا بعض زور من الضبع والعقبان والرخمات

لها كل حين نومة لمضاجع لهم في نواحي الأرض مختلفات

وقد كان منهم بالحجاز وأرضها مغاوير يجتازون في السروات

تنكب لأواء السنين جوارهم فلم تصطليهم جمرة الجمرات

حمى لم تضره المندبات وأوجه تضيء من الأستار في الظلمات

إذا أوردوا خيلا تشمس بالقنى مساعر جمر الموت والغمرات

وإن فخروا يوما أتوا بمحمد وجبريل والفرقان ذي السورات

أولئك لا شيخ هند وتربها سمية من نوكى ومن قذرات

ملامك في آل النبي فإنهم أوداي ما عاشوا وأهل ثقاتي

تخيرتهم رشدا لأمري لأنهم على كل حال خيرة الخيرات

فيارب زدني في يقيني بصيرة وزد حبهم يا رب في حسناتي

بنفسي أنتم من كهول وفتية لفك عنات أو لحمل ديات

وللخيل لما قيد الموت خطوها فأطلقتم منهن بالذربات

أحب قصي الرحم من أجل حبكم وأهجر فيكم زوجتي وبناتي

وأكتم حبيكم مخافة كاشح عنيف لأهل الحق غير موات

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها وإني لأرجوا الأمن بعد وفاتي

ألم تر أني مذ ثلاثين حجة أروح وأغدو دائم الحسرات

أرَى فيئَهم في غيرهم مُتَقسَّمًا ... وأيديهم من فَيْئِهم صفرات
فآل رَسُول اللّه نُحفٌ جُسُومُهم ... وآل زياد جفْر القصرات
بنات زياد في القُصُور مصونةٌ ... وآلُ رَسُول اللّه في الفلوات
إذا وتروا مدُّوا إلى واتريهم ... أكفًا عن الأوتار مُنْقبضاتَ
فَلولا الّذي أرجُوه في اليومِ أو غد ... تَقطَّعَ قلبي إثرَهمْ حسَرات
خُروجُ إمام لا محالة خارجٌ ... يقوم على اسم اللّه والبركات
يميِّز فينا كلَّ حقٍّ وباطل ... ويجزي على النعمَاء والنَّقمات
سأقصرُ نَفْسي جاهدًا عَنْ جدَالهمْ ... كَفَاني مَا ألقَى من العَبرَات
فيا نفسُ طيبي، ثُمَّ يا نفسُ أبشري ... فغيرُ بعيد كلُّ ما هو آت
فإنْ قَرَّبَ الرحمنُ من تلكَ مُدتي ... وأخَّرَ من عُمْري لطُول حَياتي
شَفَيتُ وَلم أتركْ لنفسي رَزيَّةً ... وَرَوَّيتُ منهُمْ مُنصلي وَقَنَاتي
أحَاولُ نَقلَ الشمِّ عن مُستقرِّها ... وأسمعَ أحجار من الصَّلَدَات
فمن عارف لم ينتفع ومعاند ... يميلُ مع الأهواء والشَّهَوَات
إذا قلتُ عدلا أنكروه كمُنْكَرٍ ... فغطّوا على التَّحْقيق بالشُّبُهات
قصاراي منهُم أن أمُوتَ بغصَّة ... تَردَّدُ بين الصَّدْر واللَّهَوَات
كأنّك بالأضلاع قَد ضاق رحبها ... لما ضُمِّنت من شدَّة الزَّفرَات[1]

وحكَى الشيخ أبو الفرج في الأغاني: أن دعبلاً كتب هذه القصيدة فيما يقال في ثوب وأحرم فيه، وأمر بأن تكون بين أكفانه. وقال الشيخ أبو الفرج رحمه اللّه تعالى: أخبرني أحمد بن عبداللّه بن عمار ومحمد بن أحمد الحليمي[2] قالا: حدثنا يعقوب بن إسرائيل قال: حدثني أنس بن عبداللّه النبهاني قال: حدثني

---

(١) ديوان دعبل الخزاعي ١٣١-١٤٥. (وفيه زيادة ونقص واختلاف في الروايات).

(٢) في (ب): الحكيمي.

علي بن المنذر قال: حدثني عبدالله بن سفيان الأشقري قال: حدثني دعبل بن علي، قال: لما هربت من الخليفة بتُّ ليلةً بنيسابور وحدي وعزمت على أن أعمل قصيدةً في عبدالله بن طاهر في تلك الليلة، فإني في ذلك إذ سمعت - والباب مردود - السّلام عليك ورحمة الله.. ألجُ رحمك الله؟ فاقشعرَّ بدني من ذلك، ونالني أمر عظيم، فقال لي: لا ترع عافاك الله فإني من إخوانك الجن، ثم من ساكني اليمن طرأ إلينا طارٍ من أهل العراق فأنشدنا قصيدتك:

مــدارسُ أيات خلت من تلاوة ومنزل وَحيٍ مقفر العرصات

فأحببت أن أسمعها منك قال: فأنشدته إياها فبكَى حتى خرَّ، ثم قال: رحمك الله ألا أحدِّثك حديثًا يزيد في بينتك ويعينك على التمسُّك بمذهبك؟ قلت: بلى، قال: مكثت حينًا أسمع بذكر جعفر بن محمد عليه السلام فصرت إلى المدينة فسمعته يقول: حدثني أبي عن أبيه عن جدِّه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «عليٌّ وشيعته هم الفائزون»[1] ثمَّ ودَّعني لينصرف، فقلت له: يرحمك الله إن رأيت أن تخبرني باسمك، قال: ضَبيان بن عامر.

وكان منصور النمري من شعرآء هارون الرشيد وكان ينافق الرشيد ويذكر هارون في شعره وهو يريد عليًا عليه السلام لقول النَّبي صلى الله عليه وآله: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى»[2] حتى وشى به بعض أعدآئه إلى الرشيد، وأنشد قصيدته **«شآءٌ من الناس رَاتِع هامِل»**، وقد تقدَّمت حتى وصل إلى قوله:

---

(١) ذكره الشوكاني في فتح القدير في تفسير قوله تعالى: «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية»، أخرجه ابن عساكر عن جابر عبدالله قال: «كنا عند النبي صلى الله عليه وآله فأقبل عليٌّ، فقال النبي صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة» فتح القدير ٥/ ٤٧٧.

(٢) أخرجه الإمام عبدالله بن حمزة في الشافي ٢/ ٦١، وأمالي أبو طالب ٥٠ والمرشد بالله ١/ ١٣٤، والبخاري ٤/ ١٦٠٢ برقم ٤١٥٤ ومسلم ١٨٧٠ برقم ٢٤٠٤ والترمذي ٥/ ٥٩٩ برقم ٣٧٣٠ و ٣٧٣١، وأحمد في مسنده ١/ ٣٧٩ برقم ١٥٤.

ألا مصاليتَ يغضبون لهم بسلَّة البيض والقنا الذابل

فأمر بعضهم أن يأتيه برأسه فوصل وقد مات، وروي أنه قال: لقد هممت أن أنبشه. وله أشعار كثيرة في أهل البيت عَلَيهِم السَّلام منهُا قوله:

آل الرسول خيارُ الناس كلِّهم وخير آل رسول اللَّه هارونُ

رضيتُ حكمكَ لا أبغي به بدلاً لأنَّ حكمك بالتوفيق مقرون

وقال علي بن العباس الرومي - وهو مولَى المعتصم - يرثي السيد الإمام الفاضل يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عَلَيهم السَّلام، وكان قد قتله بنو العباس فذكر طرفا من مثالبهم ومناقب أهل البيت عَلَيهم السَّلام وهي:

أمامك فانظر أيَّ نهجيك تَنْهجُ؟ طريقان شتَى: مستقيمٌ وأعوجُ

ألا أيُّهذا الناس: طال ضريركم بآل رسول اللَّه فاخشوا أو ارتجوا

أفي كلِّ يومٍ للنَبِي محمَّد قتيلٌ زكيٌّ بالدمَاء مضرَّجُ

تبيعون فيه الدين شرَّ أئمةٍ فللّه دين اللَّه قَد كاد يمرجُ

لقد ألحجوكم في حبَآئل فتنةٍ وللمُلْحجوكم في الحبائل ألحجُ

بني المصطفَى كم يأكل الناس شلْوكم لبلواكم عما قليل مفرَّجُ

أما فيهم راع لحقٍّ نَبيه ولا خَآئفٌ من ربِّه متحرِّجُ؟

لقد عمهوا ما أنزل اللَّه فيكم كأن كتاب اللَّه فيهم ممجمجُ!

لقد خاب من أنساه منكم نصيبه متاعٌ من الدنيا قليل وزبرجُ

أبعد المكنى بالحسين شهيدكم تضيئ مصابيح الظلام فتسرجُ

لنا وعلينا لا عَلَيه ولا له تُسَحْسِحُ أسراب الدموع وتنشجُ

وكيف نبكِّي فائزًا عند ربِّه له في جنان الخلد عيشٌ مخرفجُ[1]

---

(١) المخرفج: الواسع.

فــإن لا يكن حــيّــا لدينا فــإنّه — لدَى اللّه حيٌّ في الجنان مــزوّجُ

وَقَـد نال في الدنيـا سناء وهيبـةً — وقـام مـقـامـا لم يقـمـه مـزلّج[1]

شوًى ما أصابت أسهم الدهر بعده — هوى ما هوَى أو مات بالرمل بحرجُ

وكنّا نرجّـيــه لكشف عــمــاية — بأمــثـــاله أمــثـــالهــا تتـبلّجُ

فـساهمنا ذو العـرش في ابن نَبيه — فـــفـــاز به واللّه أعلى وأفلجُ

مضى ومضى الفُرّاط من أهل بيته — يؤمٌّ بهـم ورد المنيّـــــة منهجُ

فأصبحت لا هم أبسؤوني بذكره — كما قال قبلي في السنين مؤرّج[2]

ولا هو أنســـاني أســايَ عَلَيــهم — بلى هاجه ، والشجو للشجو أهيجُ

أبيتُ إذا نام الخليُّ كــــأنّمـــــا — تبطن أجـفـاني سَيَال وعـوسج

أيحيى العلا لهفي لذكراك لهفةً — يبـاشــر مكواها الفـؤادَ فـينضجُ

أحين تراءتك العــيــون جــلاءها — وإقــذاءها ظلت مــراثيك تُنسجُ

بنفسي وإن فات الفداء بك الردى — مــحــاسنك اللائي تُمحُّ فَـتُنهجُ

لمن تَسْتجـدُ الأرض بعـدك زينةً — فـتـصـبح في أثوابهـا تتـبـرّجُ

سـلامٌ وريحـانٌ وروحٌ ورحـمـةٌ — عليك وممدودٌ من الظل سـجـسـجُ

ولا برح القـــاع الّذي أنت جــاره — يَرفُّ عليــه الأقــحــوان المفلّجُ

ويا أســـفـــآ أن لاتردَّ تحــيَّـــةً — سوَى أرَجٍ من طيب رمسك يأرجُ[3]

ألا إنما ناح الحــمــائم بعـد مـا — ثويت ، وكـانت قـبـل ذاك تهـزجُ

أذمُّ إليك العين إنَّ دمــوعــهـــا — تداعي لنار الشّـوق حين توهّجُ[4]

وأحمدُها لو كفكفت عن غروبها — عليك وخلّت لا عج الحـزن يلعجُ

---

(١) المزلج : الناقص المروءة .

(٢) المؤرج : الذي يلقي العداوة بين القوم . القاموس ص٢٢٩ .

(٣) الرمس : القبر .

(٤) في الديوان «تداعَى بنار الحزن حين توهج» .

وليس البكا أن تسفح العينُ إنما أحرُّ البكائين البكاء المولَّجُ

أتمنعني[1] عيني عليك بعبرة وأنت لأذيال الروامس مدرجُ

فإني إلى أن يدفن القلبُ داءه ليقتُلني الدآء الدفين لأحوجُ

عفاءٌ على دارٍ ظعنت لغيرها فليس بها للصالحين مُعرَّجُ

ألا أيها المستبشرون بموته أظلَّت عليكم غُمَّةٌ لا تفرَّجُ

أكلُّكم أمسى اطمأنَّ مهادهُ بأنَّ رسول الله في القبر مُزعجُ

فلا تشمتوا وليخسإ المرء منكم بوجهٍ كأن اللون منهُ اليَرَندجُ

فلو شَهِد الهيجا بقلب أبيكم غداة التقى الجمعان والخيل تَمعجُ[2]

لأعطَى يد العاني أو ارمدَّ هاربًا كما ارمدَّ بالقاع الظليم المهيَّجُ

ولكنه ما زال يغشى بنحره شبا الحرب حتى قال ذو الجهل: أهوجُ

وحاشا له من تلكمُ غير أنه أبى خطة الأمر الَّذي هو أسمجُ

وأين به عن ذاك؟ لا أين إنه إليه بعرقيه الزَّكيَّين يخرجُ

كدأب عليٍّ في المواطن قبلَه أبي حسن، والغصنُ من حيث يخرجُ

كأنّي به كالليث يحمي عرينه وأشباله لا يزدهيه المهجهجُ

كأني أراه والرِّماحُ تنوشه شوارعَ كالأشطان تدلى وتخلجُ

كأني أراه إذ هوَى عن جواده وعُفّر بالترب الجبين المشجَّجُ

فحُبَّ به جسما إلى الأرض إذ هوَى وحُبَّ بها روحًا إلى اللَّه تعرجُ

أأرديتم يحيى ولم يُطو أيطلٌ طِراداً ولم يُدبِر من الخيل منسجُ

تأتَّت لكم فيه منى السوء هينةً[3] وذاك لكم بالغيِّ أغرى وألهجُ

---

(١) في (ب): أتمنعي.

(٢) تمعج: تسرع في السير.

(٣) في النسخ: تأتّت لكم فيه من السوء منيةً.

تمدّون في طغيانكم وضلالكم ... ويستدرج المغرور منكم فيدرجُ
أجيبوا بني اللخنا[1] عن شنآنكم ... وشدوا على ما في العياب وأشرجوا
وخلّوا ولاة السوء عنكم وغيّهم ... فأحْر بهم أن يغرقوا حيث لجّجوا
نذار لكم أن يرجع الحقّ راجعٌ ... إلى أهله يومًا فتشجوا كما شجوا
على حين لا عذرى لمعتذريكم ... ولا لكم من حجّة اللّه مخرجُ
فلا تأمنوا الآن الضغائن بينكم ... وبينهُم إن اللواقح تُنتجُ
غُررتم إذا صدّقتُمُ أنّ حالةً ... تدوم لكم والدهر لونان أخرجُ
لعلّ لهم في منطوي الأرض ثائرًا ... سيسمو لكم والصبح في الليل مولجُ
بمجر تضيق الأرضُ عن زفراته ... له زجلٌ ينفي الوحوش وهَزْمَجُ
إذا شيْم بالأبصار أبرق بيضُه ... بوارق لا يستطيعها المحمجُ
توامضه شمس الضحى وكأنما ... ترى النخل[2] في أعراضه تتموّجُ
له وَقْدة بين السماء وبَيْنَهُ ... تُلمُّ بها الطيرُ العوافي فتُهرَجُ
إذا كُرَّ في أعراضه الطرفُ أعرضت ... بحار تحار العينُ فيها فتحرجُ
يؤيّده ركنان بنيان رجله ... وخيل كأرسال الجداد وأرتج[3]
عَلَيها رجالٌ كالليوث بسالةً ... بأمثالهم يُثْنَى الأبيّ فيُعْنَجُ
تدانوا فما للنقع فيهم خصاصةٌ ... تنفّسه عن خيلهم حين ترهجُ
فلو حصبتهم بالفضاء سحابةٌ ... لظلّت على هاماتهم تتدحرجُ
كأن الزّجاج اللّهذميّات فيهم ... فتيل بأطراف الرديني تُسرجُ
يودُّ الّذي لا قوه أنّ سلاحه ... هنالك خَلْخال عَلَيه ودُمْلُجُ

---

(١) في الديوان أجنوا بني العباس.

(٢) في الديوان : البحر.

(٣) في نسخة : وأزلج.

ويظعن خوف السبي بعد إقامة | ظعائن لم يُضْرَبْ عَلَيهنَّ هودجُ
فيدرك ثأر اللّه أنصارُ دينه | ولله أوسٌ آخرون وخزرجُ
ويقضي إمام الحق فيهم قضاءه | تمامًا وما كلُّ الحوامل تُخْدَجُ
وَقَد كان في يحيَى مُذَمَّرُ خطة | وناتجها لو كان في الأمر مَنْتَجُ
هنالكم يشقَى البغيُ ببغيه | إذا ظلَّت الأوداج بالسيف تودجُ
محضْتكُم نصحي وإني بعدها | لأعنقُ فيما سَاءكم وأُهَمْلِجُ
صه لا تهادوا عرة البغي بينكم | كما يتهادى شعلة النار عرفجُ
أفي الحق أن يمسوا خماصًا وأنتمُ | يكادُ أخوكُم بطنةً يتبعَّجُ
تمشُّون مختالين في حجراتكم | ثقال الخُطا أكفالكم تترجرج
وليدُهُم بادي الضَّوى ووليدكم | من الريف ريَّان العظام خَدلَّجُ
تذودونهم عن حوضهم بسلاحهم | وترتع فيه أرتبيلُ وأبلجُ
فقد ألجمتهم خيفة القتل منكم | وفي القوم حاج في الحيازم أحوجُ
بنفسي الألى كظَّتهُم حسراتكم | فقد عَلزوا قبل الممات وحَشرجوا
ولم تقنعوا حتَّى استثارت قُبُورَهُمْ | كلا بُكُمُ منهُا بهيم ودَيْزجُ
وعيرتموهم بالسَّواد ولم يزل | من العرب الأمحاض أخضر أدعجُ
ولكنَّكم زرق يزين وجوهكم | - بني الروم - ألوانٌ من الروم نُعَّجُ
إذا لم تكن بالهاشميين عاهةٌ | لما أصلكم - تاللّه- إلا المُعلْهجُ
بآية ألا يبرح المرء منكم | يتل على حرِّ الجبين فيُعفَجُ[1]
يبيتَ إذا الصهبَاء روَّت مشاشه | يُشاوره علْج من الروم أعلجُ[2]
فيطعنه في سبَّة السوء طعنةً | يقوم لها مَن تحته وهو أفحجُ

---

(١) يعفج : يضرب بالعصا في ظهره ورأسه .

(٢) أعلج : الرجل الشديد الغليظ .

لذاك بني العباس يصبر مثلكم ... ويصبر للموت الكميُّ المدجَّجُ
فهلْ عاهةٌ إلاّ كهذي وإنكم ... لأكذب مسؤول عن الحق ينهج
فلا تجلسوا وسط المجالس حُسَّراً ... ولا تركبوا إلا ركائب تُحدجُ
أبى اللّه إلا أن يَطيبوا وتخبثوا ... وأن يسبقوا بالصالحات وتُفْلَجُوا
وإن كنتم منهُم وكان أبوهم ... أباكم فإن الصَّفو بالرَّنق يمزجُ
أروني امرأ منهُم يُزَنَّ بإبنة ... فلا تنطقوا البهتان فالحقُّ أبلجُ
لعمري لقد أغرَى القلوب ابنُ طاهرٍ ... ببغضائكم ما دامت الريح تنأجُ
سعَى لكم مسعاة سوء ذميمةً ... سعَى مثلها مستكره الرِّجل أعرجُ
فلن تعدموا ما حنَّت النِّيب فتنةً ... تُحشُّ كما حُشَّ الحريق المعرفجُ
وقد بدأت لو تزجرون بريحها ... نوائحها من كل أوب تبوَّجُ[1]
بني مصعب: ما للنَّبي وأهله ... عدوٌّ سواكم أفصحوا أو فلجلجوا
دمَاءُ بني عبَّاسهم وعَلِيِّهم ... لكم كدمَاء الترك والروم يُهرجُ
يلي سفكها العوران والعرجُ منكم ... وغوغاؤكم جهلا بذلك تبهجُ[2]
وما بكُم أن تنصروا أوليَاءكم ... وتلك هنات في القلوب تنجنج
ولو أمكنتكم في الفريقين فرصةٌ ... لقد ظهرت أشياء تلوى وتخلجُ
إذاً لا ستقدتم منهُم وتر فارسٍ ... وإن وَلّيَاكُمْ بالوشائج أو شجُ
أبى أن تحِبُّوهم مدى الدَّهر ذكركم ... ليالي لا ينفك منكم متوَّجُ
وإني على الإسلام منكم لخائفٌ ... بوائق شرٍّ بابها الآن مرتجُ
وللحزم أن يستدرك الناس أمركم ... وحبلهم مستحكم العقد مدمجُ
نظارِ فإنَّ اللّه طالب وتره ... بني مصعب، لن يسبق اللّه مُدلجُ

---

(١) بوّج: صيح، وتبوج البرق: إذا برق ولمع وتكشف.

(٢) في (ب): ينهج.

لعلَّ قلوبا قَد أطلتم غليلها ... ستظفر منكم بالشفاء فتُثلج[1]

وللقاضي التنوخي أبي القاسم علي بن محمد بن أبي الفهم، وكان عبدالله ابن المعتز قد قال قصائد كثيرةً على قواف وأوزان مختلفة يذكر فيها الطالبيين ويطعن عليهم ويصف ما كان من القرامطة، وكان ابن المنجم وغيره قد عارضوه على أوزان قصائده إلا قصيدةً له أولها:

أبى الله إلاّ ما ترون فمالكم ... غضابًا على الأقدار يا آل طالب

فإنه لم يُعارض على وزن قصيدته هذه، فاحتسب علي بن محمد التنوخي الردّ عليه بمثل قصيدته ناقضًا عليه فيما قاله ونصر الطالبيين وأقام لهم الحجج والبراهين في إبطال ما ذكره بن المعتز، وجعلها على لسان بعض الطالبيين، فقال:

من ابنِ رسول الله وابن وصيّه ... إلى مدغل في عقدة الدين ناصب

نشا بين طنبور ورقٍّ ومزهر ... وفي حجر شاد أو على صدر ضارب

ومن ظهر سكران إلى بطن قينة ... على شبّة في ملكها وشوائب

يعيبُ عليًا خيرَ من وطئ الحصى ... وأكرم سار في الأنام وسارب

ويزري على السبطين سبطي محمّد ... فقل في حضيضٍ رام نيل الكواكب

وينسبُ أفعال القرامط كاذبًا ... إلى عترة الهادي الكرام الأطايب

إلى معشر لا يسرح الذم بينهم ... ولا تزدري أعراضهم بالمعايب

إذا ما انتدوا كانوا شموس نديّهم ... وإن ركبوا كانوا بدور الركائب

وإن سُئلوا سحّت سماء أكفّهم ... فأحيوا بميت المال ميت المطالب

وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الرّدى ... وإن ضحكوا بكّوا عيونَ النوائب

نشأوا بين جبريل وبين محمّد ... وبين عليٍّ خير ماشٍ وراكب

وصيّ النّبي المصطفى وصفيّه ... ومشبهه في شيمة وضرائب

---

(1) ديوان ابن الرومي ٢/ ٢٣-٣٠.

ومن قال في يوم الغدير محمَّدٌ ... وَقَدْ خاف من غدر العداة النواصب
أمـا أنا أولَى منكُمُ بنفوسكم ... فقالوا: بلَى، قول المريب الموارب
فقال لهم: من كنت مولاه منكمُ ... فهذا أخي مولاه بعدي وصاحبي
أطيعوه طرًّا فهو مني بمنزلٍ ... كهارونَ من موسَى الكليم المخاطب
وقولوا له إن كنت من آل هاشمٍ ... فما كلُّ نجم في السمَاء بثاقب
وإنك إذ خوَّفتنا منك كالَّذي ... يخوِّف أسداً بالظباء الربَائبِ
وقلت: بنو حرب كسوكم عمَائمًا ... من الضرب في الهامات حمر الذوَائبِ
صدقتَ منايانا السيوف وإنَّما ... تموتون فوق الفرش مثل الكواعب
أبونا القنا والمشرفيَّة أمُّنا ... وإخوتنا جرد المذاكي الشوازب
وما للغواني والوغى فتعوَّدوا ... بقرع المثاني من قراع الكتَائبِ
وقلتم قتلنا عبد شمس فملكهم ... لنا سَلبٌ هل قاتلٌ غير سالبِ
فيا عجبًا من خارب ظلَّ يدعي ... مواريثَ خيرِ الناس ملكًا لخارب
هو السلبُ المغصوب لا تملكونه ... وهل سالبٌ للغصب إلا كغاصب
أأنفال جدَّينا تحوزون دوننا ... بزعمكم الأنفال يا للعجَائبِ
وهل لطليق شركةٌ مع مهاجرٍ ... فلا تثبوا في الدين وَثْبَ المواثب
أخو المرء دون العمِّ يحوي تراثه ... إذا قُسِّم الميراث بين الأقارب
وأولاده في محكم الذكر فاقرأوا ... أحقُّ وأولَى من أخيه المناسب
وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه ... فأبعد بمحجوب لحاجب حاجب
ويوم حنين قال: حُزنا فخاره ... ولو كان يدري عهدها في المثالب
وهل واقفٌ في حومة الحرب حائرًا ... وإن كان وسط الصفِّ إلا كهاربِ
وما شَهِدَ الهيجَاء من كان حاضرًا ... إذا لم يُطاعن قِرنه ويضارب
فهلَّا كما لاقَى الوصيُّ مصمِّمًا ... يعصِّبُ بالهندي كبش العصَائبِ

وقلت: أبونا والدٌ لمحمَّدٍ ... فأنتم بنوه دوننا في المراتب

فلا تنس بالعبَّاس كان وجدُّنا ... أبو طالب مثلين عند التناسب

وأدناهما من كان بالسيف دونه ... يفلُّ شبَاً سيف العدوِّ المناصب

وشتَّان من آوى وآسى بنفسه ... ومزدلف بغزوه بين المقانب

أبونا يقيه جاهداً وأبوكم ... يجاهدُه بالمرهفات القواضب

فنَحنُ بنو عمٍّ لنا فوق ما لكم ... ونَحنُ بنوه دونكم في المناسب

وعبت عليا في الحكومة بينه ... وبين ابن حرب والطغاة الأشايب

فقد حكَّم المبعوث يوم قريظة ... ولا عيب في قول الرسول لعائب

وعبت بعمَّينا أبانا سفاهةً ... وكم لك من عمٍّ عن الدين ناكب

ومثل علي من عقيل وطالب ... أبو لهب من جدكم في التقارب

ونَحنُ أسرنا عمَّنا وأباكُم ... فباتا بليل مكفهرِّ الجوانب

ونَحنُ حقنَّا بالفداء دمَاءكم ... فلا تجحدونا حقَّ تلك المواهب

وقلت: أضعتم ثأر زيد وكنتمُ ... كسالى فكاذب لا تُجب كل كاذب

أما ثار فيه الطالبي ابنُ جعفر ... فدكدك ركنَ الملك من كلِّ جانب

وأمطر في حي وفي أرض فارس ... سحَآئب موت ماطراً كالسحَآئب

إلى أن رَمَتْهُ عاريات دعاتكم ... بسهم اغتيال نافذ النصل صَآئب

وقلت: نهضنا ثآئرين شعارُنا ... بثارات زيد الخير عند التجارب

فما ذاكَ منْ حبٍّ لزيد وآله ... ولكنَّها تشغيبة من مشاغب

دعوتم إلينا عالمين بأنَّكم ... مكان الذنابي من ذرىً ومناكب

فهلاَّ بإبراهيم كان شعاركم ... فيرجع داعيكم بخلَّة خَآئب

بنا نلتُمُ ما نلتُمُ من إمارة ... فلا تظلموا فالظلم مُرُّ العواقب

وكم مثلَ زيد قد أبادت سيوفُكمَ ... بلا سبب غير الظنون الكواذب

أما حَمَلَ المنصورُ من أرض يثرب ... نجوم هدى تجلوا ظلام الغياهب
لهم عند ذكر الله في الليل رنةٌ ... كرنّتكم عند اصطفاق المضارب
يتوّجهم ظلما إذا أظلم الدُّجى ... بكلّ رقيق الحدّ أبيض قاضب
وقطعتُم بالبغي يوم محمّد ... قرآئن أرحامٍ لنا وأقارب
وجرّعتم تحتَ التراب نَبيّكمَ ... بكاسات ثكل لا تطيب لشارب
قفوتم يزيداً في انتهاك حريمه ... بكل محادٍّ للإله محارب
تعدُّونه فتحًا ولو كان أحمد ... لعدّده من فادحات المصآئب
وفي أرض باخمرا مصابيح قَد ثوت ... متربّة الهامات حُمر الترآئب
يغسّلها هامي السحاب إذا همَى ... وتكنفها أيدي الصبا والجنائب
وغادر هاديكم بفخٍّ طوآئفًا ... تهاداهم بالقاع بقع النواعب
فيا لسيوف فُلّلت بمعامد ... ويا لأسود صُرّعت بثعالب
وهارونكم أردى بغير جريرةٍ ... نجومَ تُقىً مثل النجوم الثواقب
ومأمونكم سمَّ الرضى بعد بيعةٍ ... تؤدُّ ذُرَى شمَّ الجبال الرواسب
فهل بعد هذا في البقية بيننا ... بني عمنا والصلح رغبٌ لراغب
كذبتم وبيت الله أو تصدر الظبى ... شوارب من هاماتكم والشوارب
وُلِّينا فولّينا أباكم فخاننا ... وكان بمال الله أول ذاهب
وكنّا لكم في كلّ حال مناهلاً ... عذابًا إذا يوردن خضر الجوانب
فلمّا ملكتم كنتم بعد ذلّة ... أسوداً علينا داميات المخالب
فقل لبَني العباس عمٌّ محمد ... وعمٌّ عليٍّ صنوه في المناسب
عزيز عليّ أن تدبّ عقاربي ... إلى معشري الأدنَى دبيب العقارب
ولكن بدأتم فانتصرتم فأقصروا ... فليس جناة الذنب مثل المعاقب
وليس سوآء سبُّ سيّدة النسا ... وسبّ رماد بالصفا والأخاشب
وَقَد قال أصحاب النّبي محمد ... له قَد هجانا مشركوا آل غالب

فقال لهم قولوا لهم مثل قولهم فما مبتد للهجو مثل مجاوب
فهذا جوابٌ للذي قال مالكم غضابًا علَى الأقدار يا آل طالب

والاشتغال بهذا الشأن يخرجنا إلى ميدان رحيب؛ لأن الَّذين مدحوا العترة عَلَيهم السَّلام أكثر من أن يُعَدُّوا في هذا المقام فضلاً عن إحصاء ما قالوه من المديح والنظام.

والعَجَبُ كُلُّ العَجَبِ ممن أعرض عن إمامتهم، ولم يرتض بزعامتهم، ثُمَّ عمد إلى الجهلة الطغام، من جفاة الأنام، الَّذين شربوا من الجهل ملحًا أجاجًا، وأطفأوا من العلم سراجًا وهَّاجًا من بني أمية وبني العباس، الَّذين اشتهروا بارتكاب الجرائم، ومقارفة العظائم، وعزفت عَلَيهم القينات، وأدنوا المغنيين والمغنِّيات، وتركوا الصلوات، وناموا عن العتمات، وشربوا القهوات، واتخذوا بطانتهم أرباب المنكرات، وظهر تفاضلهم في اختيار نغمات الألحان.

فأين هؤلاء من أئمة الزيدية الَّذين تنزَّهوا عن العصيان، وأعلنوا منار الإيمان، إذا جنَّهُم الليل فرهبان يترنَّمون بالقرآن، ويستنبطون غرائبه، ويستخرجون عجائبه، وإذا تلاقت الأبطال، وتداعت نزال، وكشفت الحرب عن ساقها، ومدَّت بأرواقها، أحسنوا في اللَّه الجلاد، وقاموا بحقِّ الجهاد، تسيل نفوسهم على شفار السيوف، ويستهونون خوض بحار الحتوف، طلبًا بثأر الدين والإسلام من ذوي المروق والإجرام، أفيرضَى عاقل لبيب، أو رشيد أريب أن يطرح طاعتهم ويرفض إمامتهم لإمامة بني العباس! الَّذين شُهِروا بالشَّراب، واختيار أنواع الغنا على معاني الكتاب، ومن نظر في آثارهم القبيحة علم صحَّة ما قلناه فإنَّ مثالبهم تحكي مناقب العترة عَلَيهم السلام في الظهور، وإن شئت طالعت الأغاني وما أودع لهم من الفضائح، وكذلك تاريخ الطبري وما حكَى لهم من

القبائح أليس حكَى في تاريخ الطبري[1] وهو مسموعٌ لنا بالإسناد إلى مُحَمَّد بن جرير: أن الأمين لما نزلت به الجنود من عقبة حلوان جاء إليه الخبر فقال له: يا مولاي هذا طاهر بن الحسين قد نزل من عقبة حلوان في الجيوش، فلم يلتفت إليه فلما ألحَّ عليه انتهره وقال: كوثر قد صاد سمكتين وأنا ما صدت شيئا، ولما حُصِر في بغداد وضُويق إلى مدينة المهدي صارت حجار المجانيق تقع في شقِّ بساطه وهو يختار الجواري للغنا فغنته جاريةٌ فأخطأت في غنائها فشتمها بالقذف، وقال: تغنيني الخطأ خذوها، فكان آخر العهد بها، وما أفاق من الخمر حتى الليلة الَّتي قُتِلَ فيها، وأبو نواس الممازح له في الخمر لما أحلَّها له فقال:

هَـذه المـمنـوع منهـا ... وأنـا المحـتـجُ عَنهـا
مـا لهـا تحـرم في الدنـيـا ... وفي الجنَّة منهـا

فاستدلَّ على إباحتها في الدنيا بإباحتها في الآخرة، وهذا هو الكفر المبين عند جميع المسلمين، فأين هَذا ممن لا يعرف خمراً بالمشاهدة إلا عند إراقتها كما قال الإمام المنصور بالله عليه السلام في كلمة له:

لا أعرفُ الخمر إلا حين أهرقها ... ولا الفواحشَ إلا حين أنفيها
أنا ابن من نَسَجت آي الكتاب له ... ملاءةً غَمَرت جسمي حواشيها

واسمع إلى قصة المأمون وهو عندهم من العيون، وقد طلب من قاضيه يحيَى بن أكثم ووزيره أحمد بن أبي داوود الشرابَ فأبيا عليه، فقال:

إن كنتما لا تشربان معي ... خوف المعاد شربتُها وحدي

فاعجب من إمام المسلمين عند الجهلة العيون كيف يأمر وزيره وقاضيه وهما اللَّذان يدور عَلَيهما التدبير في باب الدين والدنيا بالشراب رافضًا آي الكتاب: ﴿إنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسرُ وَالأَنْصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَان

---

(١) أنظر: خبر طاهر بن الحسين ٩/ ٤٧٦، ٤٧٧.

فَاجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] جمع تعالَى بين الخمر وهذه القبائح فاقتضَى ذلك قبحها، وأخبر بأنها رجس والرجس هو النجس، وقد قال تعالَى: ﴿والرجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥]، وحُكْم رسول اللَّه ﷺ في هجران الرجس حكم غيره، وأخبر بأنها من عمل الشيطان فأمر باجتنابه، وقد قال ﷺ: «لعنَ اللَّه الخمرَ وشاربَها وساقيَها وبائعها ومبتاعها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه»[1] فكيف ترَى حكم هَذا الإمام؟ يا من تعرف حرمة الإسلام وتعقل سنة المصطفَى ﷺ. وأين هذا ممن إذا عرف من أحد شرب الخمر أنزلَ به حكم اللَّه، وجلَدَه الحدَّ الَّذي شرعه رسول اللَّه ﷺ، كما رُوي أن رجلاً شرب الخمر بصنعاء والإمام المتوكل على اللَّه أحمد بن سليمان عليه السلام فيها فأراد إقامة الحدّ عَلَيه، فسأله أن يسقط الحدَّ على ثمانية آلاف دينار فامتنع من ذلك.

ومن وصية بني العباس إلَى صاحب الدعوة بخراسان أن يقتل على التهمة مَنْ بلغ خمسة أشبار، ومن نطق بالعربية، فكان السفَّاح سفَّاكًا للدماء وإن حقنتها العهود والمواثيق؛ لأنه كان لا يرقب عهداً، وسلك أخوه المنصور طريقته الضالَّة المضلَّة، وزاد عَلَيه في اجتهاده في حصد شجرة النبوة وزرع الوصية نحو عبداللَّه بن الحسن وإخوته وأولاده بدور الدجَى وأقمار الهدَى عَلَيهم السلام، ونَظرَ منهم إلى محمد بن إبراهيم بن الحسن عَلَيهم السلام فقال: أنت الديباج الأصفر؟، فقال: نعم، قال: إذاً واللَّه لأقتلنَّك قتلة ما قَتلْتُها أحداً من أهل بيتك، ثُمَّ أمر باسطوانة ففرغت، ثُمَّ أدخل فيها فبنَى عَلَيه وهو حي، رواه ابن جرير الطبري[2].

---

(١) روي من حديث طويل. المستدرك على الصحيحين ٤/ ١٦٠ رقم ٧٢٢٨، وسنن البيهقي ٥/ ٣٢٧ رقم ١٠٥٥٩ وسنن أبي داوود ٣/ ٣٢٦ رقم ٣٦٧٤ وبلفظ لعنت الخمر عن عشرة أوجه. سنن ابن ماجه ٢/ ١١٢١ رقم ٣٣٨٠ ومسند أحمد بن حنبل ٢/ ٢٥ رقم ٤٧٨٧.

(٢) مقاتل الطالبيين ص ٢٠٠.

ولما أُخرِجَ بنو الحسن عليهم السلام من المدينة أنشأ بعض الموالين لأهل البيت عَلَيهم السلام:

مَنْ لنفسٍ كثيرة الإشفاق	ولعين كثيرة الإطراق
جمدت للذي دهاها زمانًا	ثم جادت بدمعها المهراق
لفراق الّذين راحوا إلى المو	ت عيانًا والموت مُرُّ المذاق
ثم راحوا يسلمون علينا	بأكفٍّ مشدودة بالوثاق
ما رأينا من البريَّة طُرّاً	مثلهم لو وقاهم من الموت واق
كرمًا عندما ألمَّ وصبرًا	ليست المقرفات مثل العتاق
فيهم سيِّدُ البرية يشكو	طول حبسٍ وعض كبلٍ مضاق
مسحت وجهه قريش وعادت	بمفد مبارك سبّاق

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب يحيى بن الحسين عليه السلام يرفعه بإسناده إلى مُحَمَّد بن يحيَى الصولي، قال: سمعت مُحَمَّد بن القاسم أبا العيناء، يقول وقد تذاكرنا ذهاب بصره قال: كان أبو جعفر يعني الدوانيقي دعا جدي وكان في نهاية الثقة به والعقل عنده، فقال له: قد ندبتك لأمرٍ عظيمٍ عندي موقعه، وأنت عندي كما قال أبو ذؤيب:

ألكني[1] إليها وخير الرسول	أعلمهم بنوا حي الخبر

ثم عرَّفه ما يريد منه وأطلق له مالاً خطيراً، وقال: كل شيء تريده بعد هذا فخذه وصر إلى المدينة فافتح بها دكان عطّار، وأظهر أنك من خراسان شيعة لعبدالله بن الحسن بن الحسن، وأنفق على أسبابه واهد لهم وله ما يقرِّبك منهم، وكاتبني مع ثقاتك بأنفاسهم، وتعرَّف لي خبر ابنيه مُحَمَّد وإبراهيم، فمضَى جدي ففعل ذلك كلَّه فلمَّا أخذ أبو جعفر عبدالله بن الحسن وإخوته جعل يوبخ عبدالله

---

(١) في الأمالي: أكلني.

على شيء من فعله وقوله، ويأتيه بما ظنَّ عبدالله أنه ليس أحد يعلمه، فقال عبدالله لبعض ثقاته: من أين أُتينا؟ قال: من جهة العطار، قال: اللّهم أبله في نفسه وولده بما يكون نكالاً وردعًا لغيره وبلاء ليشهر به، قال: فعمي جدي وعمي بعده أبي وولده وأنا على الحال الّتي ترون وكذلك ولدي من دعاء عبدالله ابن الحسن إلى يوم القيامة[1].

فانظر إلى هذا الاجتهاد العظيم من أبي الدوانيق وإعمال الحيل والكيد لأهل البيت عليهم السلام، ولو لم يكن من الأوزار الّتي ارتكبها والآثام الّتي احتقبها إلاّ قتل النّفس الزّكية مُحَمَّد بن عبدالله عليه السلام في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله الّتي حرَّم الله عضد شجرها لكفاه وزراً عظيمًا، وحوبًا كبيراً؛ لأنّا روينا بالإسناد الموثوق به إلى السيد أبي طالب عليه السلام يرفعه بإسناده إلى أبي صالح بن عبدالله بن عباس، قال: ينادي منادٍ يوم القيامة يا أهل الجمع غضُّوا أبصاركم هذه فاطمة بنت مُحَمَّد صلى الله عليه وآله وتخرج من قبرها ومعها ثياب تشخب بالدم حتى تنتهي إلى العرش وتقول يا رب: انتصف لولدي ممن قتلهم[2]. وفي هذا أوفى كفاية في هلاك أبي الدوانيق، فكيف يجوز أن يكون إمامًا، ثمَّ هو القاتل لعمه عبدالله بن علي ولأبي مسلم الّذي وطّد لهم قواعد الخلافة بعد العهود الأكيدة.

ثم موسى الملقب بالهادي، وما كان عليه من الطرائق الكافية في الخروج عن الإسلام من قتله أهل البيت عليهم السلام في حال الإحرام لكان كافيًا في العار ودخول النار، والرشيد عقد الخلافة لولده مُحَمَّد وهو ابن خمس سنين، ومعلومٌ من الدين أن من كان بهذه الصفة لا ولاية له على نفسه وماله، فكيف يجعله واليًا على المسلمين، لولا الزيغ عن الدين. وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:

---

(١) الأمالي ١١٧.

(٢) الأمالي ص٨٨.

قـد وفَّقَ اللَّه الخليـفـة إذ بنى | بيت الخـلافـة للهـجـان الأزهر
فـهـو الخليـفـة عن أبيـه وجـدِّه | شـهـدا عَلَيـه بمنظر وبمخـبـرِ
قد بايع الثقـلان في مهـد الهُدَى | لمُحَـمَّـد بن زبيـدةابنةُ جـعـفـرِ

فأين هَذا من كلام الناصر للحق عليه السلام لما قيل له - وقد حضرته الوفاة : يوصي إلى أولاده ، فقال : لا أستجيز ذلك فيما بيني وبين اللَّه لقصور رآه فيهم للقيام بمصالح الإسلام وإن كانوا لا يدنون من أئمة بني العباس ، وأين الأمر من الأمر . ثُمَّ أوصَى إلى الداعي الحسن بن القاسم عليه السلام بعد الهفوة الَّتي كانت منه في حقه عليه السلام ، ولم تمنعه تلك الإساءة من الإيصاء إليه لعلمه بأنه يقوم بأمور المسلمين .

وكان المأمون على أنه من عيونهم يشرب الخمر شربًا ظاهرًا في الخاصَّة والعامة ، فإن في الرواية عنه أنه دخل عَلَيه طاهر بن الحسين وهو يشرب فسلَّم فردَّ المأمون عَلَيه وقال : اسقوه رطلاً فأخذه بيده اليمنَى ، ثُمَّ قال له : اجلس ، فخرج فشربه ثُمَّ عاد وقد شرب المأمون رطلاً ، فقال : اسقوه الثاني ، ففعل كفعله الأوَّل ، ثُمَّ دخل فقال له المأمون : اجلس ، فقال : يا أمير المؤمنين ليس لصاحب الشرط أن يجلس بين يدي سيِّده ، فقال : ذلك في مجلس العامة .

فأين هَذا من أئمتنا عَلَيهم السلام الَّذين خلواتهم في العبادات ، ومتَى اطلع بعض أصحابهم في عبادة حرَّج عَلَيه في كتمانها ؛ لما وردت به الآثار الشريفة من مضاعفة الثواب على أعمال السرِّ كما قدَّمناه في قصة الهادي عليه السلام ليلة وقف صاحبه على باب عبادته حتَى أصبح . وروي أن المأمون ركب بدمشق يريد جبل الثلج فمر ببركة عظيمة من برك بني أمية وعلى جانبها أربع سرادات فكان الماء يدخلها سحًا ويخرج منها ، فاستحسن الموضع ودعا برطلٍ وذكر بني أمية فوضَّع منهم وتنقصهم ، فأقبل علويَةُ على العود واندفع يغني :

أولئك قومي بعد عزٍّ ومنعة تفانوا فلولا أذرف العين أكمد

فضرب المأمون الطعام برجله ووثب وقال لعلويه : يا ابن الفاعلة ، لم يكن لك وقت تذكر فيه مواليك إلا هذا الوقت ، ومعلوم أن هذا من صفات المتهتّكين بالإجرام فكيف يوجد في أئمة أهل الإسلام ، وقد روينا عن النبي ﷺ أنه قال : « من شرب الخمر بعد أن حرّمها الله على لسان نبيه فليس له أن يزوّج إذا خَطَب ، ولا يشفَّع إذا شفع ، ولا يصدَّق إذا حدّث ، ولا يؤتمن على أمانة ، فإن اؤتمن على أمانة فأكلها أو استهلكها فليس لصاحبها أن يأجره الله ولا يخلف عَلَيه» ، فرسول الله ﷺ يقضي بأن شارب الخمر لا يؤتمن على أمانة ، والجهلة الطغام يقضون بأنه أمين على جميع أهل الإسلام ، وهو القاتل لعلي بن موسَى بن جعفر بن مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بعد أن عقد له بالخلافة وجعله وليَّ عهده ، وأمر بأن يكتب اسمه على الطراز والدّرهم ، وأن يخطب له فكان يذكره على المنبر وينسبه إلى آبائه عَلَيهم السلام ثُمَّ يقول :

ستةٌ آباء همُ ما همُ هم خير من يشرب صوب الغمام

وفيه الأثر رويناه بالإسناد الموثوق به إلى الحاكم الإمام شيخ الإسلام أبي سعد المحَسَّن بن كرامة الجشمي البيهقي الزيدي رحمه الله رواه عن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي ﷺ قال : «ستُلقَى بضعةٌ مني بأرض خراسان لا يزورها مؤمنٌ إلا أوجب الله له الجنَّة وحرَّم جسدَه على النار» . وروَى أيضا عن علي عليه السلام عن النبي ﷺ : «ستُدفن بضعةٌ مني بخراسان ما زارها مكروبٌ إلا نَفَّس الله كربته ، ولا مذنبٌ إلا غَفَر الله له ذنبه» . وقد نظم هَذا المعنى بعضهم وكتبه على جدار المسجد[1] فقال :

من سرَّه أن يرَى قبراً برؤيته يفرِّج الله عمَّن زاره كُربَه

---

(١) في (ب) : المشهد .

فليـأت ذا القـبـر إنَّ اللَّه أسكنه   سـلالةً من رسـول اللَّه مُنتـجـبـه

ولما قيلَ لأبي نواس: لم لا تمدح علي بن موسَى الرضَى. أنشأ يقول:

قيل لي: أنت أوحد الناس في النظـ   ـم وفي النثـر والمقـال البـديه

فلمـاذا تركت مـدح ابن مـوسَى   للخـصـال الَّتي تجـمَّـعن فـيـه

قلت: لا اهتـــدي لمدح إمــامٍ   كـان جـبـريلُ خـادمًـا لأبيـه

أراد بقـوله: كـان جـبـريل خـادمـا لأبيه، مـا رويناه بإسناد مـوثوق إلى ابن المغازلي في مناقب أهل البيت الَّتي ألَّفها، رفعه بإسناده إلى أنس بن مالك قال: قـال رسـول اللَّه ﷺ لأبي بكر ولعمر: «امضيا إلَى عليٍّ حتى يحدثكما ما كان منه في ليلته وأنا على إثركما» قال أنس: فمضيَا ومضيت معهما، فاستأذن أبو بكر وعمر على علي عليه السلام؛ فخرج إليهما فقال: يا أبا بكر حدث شيء؟ قال: لا وما حدث إلا خير، قال لي النبي ﷺ ولعمر: «امضيا إلى عليٍّ يحدثكما ما كان منه في ليلته»، وجاء النبي ﷺ وقال: حدثهما ما كان منك في ليلتك، فقال: أستحي يا رسول الله، قال: حدثهما إن اللَّه لا يستحيي من الحق، فقال علي: أردت الماء للطهارة وأصبحت وخفت أن تفوتني الصلاة، فوجَّهت الحسن في طريق والحسين في طلب الماء، فأبطيا فأحزنني ذلك، فرأيت السقف قد انشق، ونزل علي منه سطل مغطى بمنديل، فلما صار في الأرض نحَّيت المنديل عنه فإذا فيه ماء فتطهرت للصلاة واغتسلت وصليت، ثم ارتفع السطل والمنديل والتأم السقف، فقال النبي ﷺ لعلي: أمَّا السطل فمن الجنة، وأما الماء فمن نهر الكوثر، وأما المنديل فمن استبرق الجنة، من مثلك يا علي في ليلته وجبريل يخدمه[1]. هذا معنى قوله: كان جبريل خادما لأبيه؛ فانتهَى الحال كما قلناه إلَى

---

(١) ابن المغـازلي ٧٩ رقم ١٣٩، ابن البطريق ص٤٣٦، والمناقب للكوفي ١/ ٥٥١ رقم ٤٩٠، وكفاية الطالب ٢٨٩ الباب ٧٢.

قتل المأمون لعلي بن موسَى الرضَى على اختلاف الروايات في كيفية قتله ولكنه ورث الغدر عن أبيه المسمَّى بالرشيد في يحيَى بن عبدالله عليه السلام، وقتله له بعد الأيمان المؤكَّدة وقد تقدمت حكايته . وهو الَّذي عناه أبو فراس بقوله :

يا جاهداً في مساويهم يكتِّمها   غدرُ الرشيد بيحيَى كيف ينكتم

ذاق الزبيري غبَّ الحنث وانكشفت   عن ابن فاطمةَ الأقوال والتهم

كم غدرة لكمُ في الدين واضحة   وكم دمٍ لرســـول اللَّه عندكمُ

ثم كان الرشيد له في الإقبال على الأغاني ما لم يكن لأحد ممن سبقه ، فإن المروي أنه اختار منها مائة صوت ، وكان له في صلة المغنين والمغنيات ما لم يكن لأحد ممن قبله ، فإن في الطبري [٢٣٧]: أن مُحَمَّد بن سليمان بن علي بن عبدالله بن العباس لما توفي اصطفَى الرشيد جميع ما خلفه مما يصلح للخلافة وما بذل إلاَّ الخرثي [١]، وأصابوا من العين ستين ألف ألف ، ثُمَّ أدخل جميع الذخائر إلا العين فإنه أمر بصكاك كتب للندماء ما وكُتبت للمغنين ولم يُترك في الديوان منها درهم ، فأرسلوا وكلاهم فقبضوا ذلك المال أجمع .

فأين هَذا مما نقل عن السيد المؤيد بالله - قدس اللَّه روحه - مع ولده الحسين أبي القاسم رضي الله عنه ، فإنه كان يعطيه مثل ما يعطي غيره من سائر الأجناد وكان في الشجاعة بحيث يضرب به المثل ، يهزم الصفوف ، ويرد الألوف ، فلما طلب له بعضهم الزيادة على عطيَّته امتنع السيد المؤيد بالله - قدس اللَّه روحه - وقال : إن اللَّه أمر بالتسوية بين الأقارب والأجانب .

ثم كان من الرشيد ما هو ظاهر مشهور في أمر جعفر بن يحيَى البرمكي ، كان يلبس هو وإياه قميصًا واحدا بجيبين يفضي جسد أحدهما إلَى الآخر ، وكان لا يصبر عن جعفر ولا عن أخته عبَّاسة وابنه المسمَّى بالمهدي ، وكان يحضرها إذا جلس للشراب ، وزوجه إيَّاها قال : ليحل له النظر إليها وعهد إليه ألا يمسَّها ،

---

(١)وهو أردأ المتاع .

فكانوا يحضرون للشراب ثُمَّ يقوم عن مجلسه ويتركهما، وهما شابان قد غلب عليهما السكر فيواقعها، فحملت منه وولدت، وخافت على نفسها من الرشيد، فأمرت بالولد إلى مكة، وأقام مدة حتى وشى بها بعض جواريها إلى الرشيد، فكان ذلك أحد أسباب نكبة البرامكة. رواه الطبري في تأريخه، ثُمَّ كان منه في البرامكة ما هو ظاهر عند الناس من سفك دمائهم بعد المحبة الأكيدة والتمالي على العصيان وهي طريقتهم عمومًا .

والمأمون عمل شمعةً في عُرسه ببوران بنت الحسن قيمتها مائة ألف درهم، وسادات المسلمين من عترة النبي ﷺ يتضوَّرون جوعاً منهم خير أهل الأض في وقته القاسم بن إبراهيم عليه السلام يطبخ الميتة ويأكلها في جبل الرس وهو أولى بمقام المأمون، وجعل النثار رقاعًا فيها أسماء كور وضياع من أموال المسلمين الخراجية من وقعت في يده رقعة بضيعة صار له خراجها . وفيه يقول الباهلي :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن

يابن هارون قد ظفرت ولكن ببنت من؟

ثم كان المعتصم أُمِّيًا مغموراً بالجهل ولكن فقد ذكر بعض المتفقهة ممن لا يعقل حرمة الدين على الحقيقة أنها تجوز إمامة الإمام وإن كان جاهلاً فاسقاً، وكان المعتصم جباراً عنيداً، فإن المروي أنه كان قد جعل لكل واحد من مماليكه شغلا لا يتعدَّاه، فنظر يوما إلى واحد ينظر في ثيابه فلم يفهم، فقام إليه فوجاه فقتله قرما منه لسفك الدم الحرام .

ثُمَّ كان الواثق اختار من الأغاني المائة الَّتي اختارها الرشيد عشرة ألحان فهي منسوبة إليه معروفة بالواثقية، فأين هذا من الغرائب المستحدثات، والأفكار المستنبطات في الفقه المنسوبه إلى العيون من أئمتنا عَلَيهم السلام، وكان هذا المسمَّى بالواثق يضرب الضرب المبرح لاستخراج المال إلى الألف سوط ونحوها،

ويقتل في العذاب، فأين هذا من فعل الإمام الزاكي إبراهيم بن عبدالله بن الحسن عليهم السلام؟ وقد طلب بعض أصحابه أن يستخرج له مالاً من بعض عمال أبي جعفر بالعذاب، فقال عليه السلام: لا حاجة لي في مال لا يخرج إلا بالعذاب.

ثم انظر في المتوكل وكربه لقبر الشهيد سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام بسبب المغنية الّتي قدمت لزيارته، وتوكيله اليهود على منع الزوار من الزيارة. فأين هذا مما رويناه بالإسناد الموثوق به عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من زار قبرا من قبورنا أهل البيت ثم مات من عامه الذي زاره فيه وكل الله بقبره سبعين ألف ملكا يسبحون له إلى يوم القيامة»[1] وروينا بالإسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله فعملنا له جريرة وأهدت لنا أم أيمن قعبًا من لبن وزبدا و صحفة من تمر، فأكل رسول اللّه صلى الله عليه وآله وأكلنا معه، ثمَّ توضأ رسول اللّه صلى الله عليه وآله فمسح رأسه ووجهه ولحيته بيده، ثمَّ استقبل القبلة فدعا اللّه جل ذكره ما شاء، ثمَّ أكب إلى الأرض بدموع غزيرة مثل المطر، ثم أكب إلى الأرض ففعل ذلك ثلاث مرات، فهبنا أن نسأله صلى الله عليه وآله فوثب الحسين عليه السلام فأكب على رسول الله صلى الله عليه وآله وبكى فضمَّه إليه، وقال له: بأبي أنت وأمي وما يبكيك؟ قال: يا أبة إني رأيتك تصنع ما لم تصنع مثله، فقال: يا بني إني سررت بكم اليوم سروراً لم أُسَرَّ بكم قبله، وإن حبيبي جبريل أتاني فأخبرني بأنكم قتلى وأن مصارعكم شتى، فحزنني ذلك فدعوت اللّه لكم، فقال له الحسين عليه السلام: يا رسول اللّه من يزورنا على تَشَتُّتنا وتباعد قبورنا؟ فقال رسول اللّه صلى الله عليه وآله: «طائفة من أمتي يريدون بذلك بِرِّي وصلتي، إذا كان يوم القيامة زرتهم بالموقف فأخذت بأعضادهم فأنجيتهم من أهوالها وشدائدها»[2].

---

(١) رواه أبو طالب في أماليه ١١١.

(٢) رواه أبو طالب في أماليه ١١٢.

فانظر كم بين وعد رسول الله ﷺ لزائر قبر الحسين بالشفاعة والكرامة وبين تسليط المتوكل - على الشيطان لا على الرحمن - للكفرة اليهود على كرب قبره ومنع الزوار من زيارته ؟ وكان المتوكل معروفا بالجبرتة والعتوّ، فقد روي أنه كان يقتل بالحديد يدعه في عنق من يريد قتله حتي يموت إلى غير ذلك من مساوئهم . وكان المعتضد أصدَقَ (قطر الندَى) ألف ألف درهم من مال الله تعالَى ، والمعتمد وصل شارية المغنية بمائةألف دينار وألف ثوب من شرائف الثياب ؛ حبًا للغناء وميلاً إلى الهوَى ، وإدناءً لأهل الفسوق و العصيان والجرائم والمروق .

فأين هذا مما نقل عن الهادي إلى الحق عليه السلام حيث يقول : لكل شيء ضد وضدّ حياتي المعاصي ، ورُوِيَ أن رجلا أتَى يبايعه في جملة قوم ، وكان طويل الشَّعَرِ فامتنع من بيعته أوّلا ، وأمره بأن يحلق رأسه ، وقال : إنا لا نبايع أهل هذا الزي . وروي في أخبار الواثق أيضا : أن إسحاق الموصلي أنشده قول يزيد بن معاوية :

أقول لصحب ضمَّت الكأسُ شملهم   وداعي صبابات الهوَى يترنَّمُ

فخرّق ثلاث ذراريع كانت عَلَيه من الثياب ، وبلغ الغاية في الإعجاب ، فأنَّى يساوي من هذه حاله ممن يسمع الشيء من ذكر الله تعالى فيخرُّ مغشيًا عليه .

كما رُوي عن زيد بن علي عَلَيه السلام وعن غيره من العترة الكرام : يهيم خائفهم من غير شراب ، ويتململ تململ السليم من ذكر العذاب ، يدعو ربه خوفًا وطمعا ، يقطع الليل تسبيحًا وقرآنًا ، والنهار تدريسًا وبيانًا ، وإذا سطع القتام ، رأيته يقتطف الهام ، ويَثِبُ وثْبَ الأسد الضرغام ، غضبًا لدين الله أن يُضام ، وطلبا بثأر الإسلام من ذوي الفسق والإجرام ، يهتزُّ للمصاغ ويرتاح للقراع ، حتَى يردَّ سيوف الضلال كليلة ، ويُصيِّر جنوده بعد الكثرة قليلةً .

ورُوي أن الواثق كانت له جاريةٌ يصدر عن أمرها ويورد ، وقال فيها :

أنـا مملـوكٌ لمـمـ ـلوك عَلَيـه الرقـبـاء
كنت حـرا هاشـمـ ـيًا فَاسترقَتني الإماء

فأين هذه النفوس الخسيسة من نفوس أئمة العترة الشريفة الأبية؟ وهممهم السامية العلية، وابن المعتز وكان ممَّن قد عقدت له الخلافة صنَّف في تحليل الخمر إذا مُزجت بالماء، وهَذا كفرٌ ظاهر عند جميع المسلمين، فإنا للَّه وإنا إليه راجعون، ولم يترك شرب الخمر من جميع خلفائهم إلى وقت أبي العباس الملقب بالناصر إلا الثلاثة الأوَّلون من خلفائهم والملقب بالراضي، والباقون يحتسونها ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، وكان الناصر أبو العباس مشهوراً بإتيان الشراب وغير ذلك من القبائح الَّتي حرَّمتها السنة والكتاب، ولم تتصل بنا أخبار من بعده إلى الآن.

فأين هَذا من قول الإمام المنصور باللَّه عبداللَّه بن حمزة عليه السلام يخاطب بعض العجم. ولا وروحي مُحَمَّد وعلي صلى اللَّه عَلَيهما وعلى الطيبين من آلهما يمينًا كنت غنيًا عنها لو خفت حنثًا فيها، لو أعطيت ملء بيت ذهبًا على أني أقرُّ شارب خمر، أو راكب فاحشة، على منكره - لما فعلت ذلك ولا خطر لي ببال.

وقال عليه السلام: واللَّه ما رأيت خمراً بعيني في يقظة ولا في منام، ولا الملاهي من الطنابير وما يشاكلها حتى ظهرت على الجبارين من الغُزِّ فأمرت بكسرها وإراقة الخمور، ولا فعلت قبيحًا أعلمه قبيحًا معتمداً من الصغر إلى هذه الغاية من الكبر، ولا أكلتُ حَبَّةً حرامًا أعلمها، ولا قبضت درهمًا حرامًا، ولا تركت واجبا عامداً، وإني لمعروفُ النشأة بالطهارة، ما كان لي شغلٌ إلا العلم والدراسة والعبادة، ثُمَّ انقلبت بعد ذلك إلى الجهاد في سبيل اللَّه، فحاربت الظالمين قبل أن أقصَّ شاربي بعلم الخاص والعام، ومعلوم عند جميع المنصفين من العارفين بالسير أجمعين أنه لا يوجد في جميع خلفاء بني العباس الماضين والغابرين أحد قط يُشار إليه بالعدالة فضلاً عن الفوز بمثل هذه المناقب الشريفة والمراتب العالية المنيفة، فكيف يكون لهم الخلافة على المسلمين:

وهل يستحق الأمر من جُلُّ همّه | لجمع حُطامٍ أو لشرب مدامِ
تمسَّكْ بأبناء النبي فإنّهم | زمامٌ لدين اللَّه أيُّ زمامِ

ومن نظر في القصص المنقولة في كتب التاريخ عن أئمة بني العباس عرف بعدهم عن هَذا الشأن وشيوعهم عن أفعال الإيمان، فإنَّ المأمون قتل الأمين، والمنتصر قتل أباه المتوكِّل، والمعتز قتل المستعين، وكان المهتدي قتل المعتزَّ، وكان الموفَّق حبس المعتمد وتولى الأمر دونه وعقد الخلافة له، وكان المعتمد ردَّ ولاية العهد إلَى ابن الموفَّق أحمد الملقب بالمعتضد وخلع ابنه بعد العهد له، وولي ابن المعتز يومًا واحداً، وخلع المقتدر، وولي القاهر وعقدت له البيعة يومين، والمستكفي سمل عين المتقي، والمطيع سمل المستكفي، وخلع المطيع نفسه وسلَّم الخلافة لولده الطائع، وقطعت إحدَى أذنيه ذكره القضاعي صاحب الشهاب في تاريخه وغيره، وهذه نكتةٌ تدل على ما وراها.

قال الإمام المنصور باللَّه عليه السلام بعد هذه النكتة الَّتي رويناها عنه: فيا من يقول بإمامتهم مَنِ الإمام عندك؟ القاتلُ أم المقتول؟ السامل أم المسمول؟ الخالع أم المخلوع؟ الحابس أم المحبوس؟ فكِّر إن كنت من المتفكِّرين (وما يعقلها إلا العالمون).

قال الأمير أبو فراس الحارث بن سعيد بن حمدان قصيدته الميمية وهي مشهورة أودع فيها كثيراً من مناقب العترة عَلَيهم السلام، وطرفًا مما ينافيها من أحوال بني العباس أحببنا ذكرها في هَذا الموضع بكمالها؛ لأنها تليق بما نحن فيه وهي هَذه:

الدينُ محترمٌ والحق مهتضمُ | وفيء آل رسول اللَّه مقتسم
والناس عندك لا ناسٌ فيحفظهم | سوَى الرِّعا ولا شاء ولا نعم
إني أبيتُ قليلَ النوم أرقني | صدر تخالج فيه الهمُّ والهِمَمُ

وعزمةٌ لا ينام الليل صاحبُها — إلاّ على ظفرٍ في طيّه كرم

يصان مهري لأمرٍ لا أبوح به — والدرع والرمح والصمصامة الخذم

وكل مآثرة الضبعين مسرحها — رمثُ الجزيرة والخذراف والعنم

وفتيةٌ قَلْبُهمْ قلبٌ إذا ركبوا — يوماً ورأيهم رأيٌ إذا اعتزموا

يا للرجال أما للحق منتصر — من الطغاة ولا للدين منتقم

بنو علي رعايا في ديارهم — والأمر يملكه النسوان والخدم

محلّأون فأصفى وردهم كدر — عند الورود وأروى وردهم لمم

فالأرض إلا على ملاكها سَعَةٌ — والمال إلا على أربابه ديم

وما السعيد بها إلا الّذي ظلموا — وما الغني بها إلا الّذي حرموا

للمتقين من الدنيا عواقبها — وإن تعجّل منها الظالم الأثم

لا يطغينّ بني العباس ملكهم — بنو عليٍّ مواليهم وإن رغموا

أتفخرون عَلَيهم لا أبا لكم — حتّى كأن رسول اللّه جدُّكم

فما توازن يوماً بينكم شرفٌ — ولا تساوت بكم في موطنٍ قدم

ولا لوالدكم مسعاةُ والدهم — ولا نتيلتكم[1] من أمهم أمم

قام النبي بها يوم الغدير لهم — واللّه يشهد والأملاك والأمم

حتّى إذا أصبحت في غير صاحبها — باتت تنازعها الذؤبان والرخم

وصُيِّرت بعدهم شورى كأنهم — لا يعرفون ولاة الأمر أين هم؟

تاللّه ما جهل الأقوامُ موضعها — لكنّهم كتموا وجه الّذي علموا

ثم ادّعاها بنو العباس إرثهم — وما لهم قَدَمٌ فيها ولا قدَمُ

لا يذكرون إذا ما عصبةٌ ذكرت — ولا تحكّم في مالٍ لهم حكم

ولا رآهم أبو بكر وصاحبُه — أهلاً لما طلبوا منها وما زعموا

---

(١) في الديوان: نفيلتكم.

فهل هم مدّعوها غير واجبة ... أم هل أئمتهم في أخذها ظلموا

أما عليٌّ فقد أدنى قرابتكم ... عند الولاية لو لم تكفر النِّعم

أينكر الحبر عبدالله نعمته ... أبوكم أم عبيدُالله أم قثم

بئس الجزاء جزيتم في بني حسنٍ ... أبوهم العلم الهادي وأمهم

لا بيعة ردعتكم عن دمائهم ... ولا يمين ولا قربَى ولا ذمم

هلا صفحتم عن الأسرى بلا سببٍ ... للصافحين ببدرٍ عن أسيركم

هلا كففتم عن الديباج ألسنكم ... وعن بنات رسولِ الله شتمكم

ما نُزِّهت لرسول الله مهجته ... عن السِّياط فهلا نُزِّه الحرم

كم غدرة لكم في الدين واضحة ... وكم دمٍ لرسول الله عندكم

أأنتم آله فيما ترون وفي ... أيديكم من بنيه الطاهرين دم

هيهات لا قُرِّبت قُربَى ولا رحمٌ ... يومًا إذا أقصت الأخلاق والشيم

كانت مودَّة سلمانَ له رَحِمًا ... ولم يكن بين نوح وابنه رَحِم

ما نال منهم بنو حربٍ وإن عظُمت ... تلك الجرائر إلاَّ دون نيلكم

يا جاهدًا في مساويهم يكتِّمها ... غدر الرشيد بيحيَ كيف ينكتم؟

ذاق الزبيري غبَّ الحنث وانكشفت ... عن ابن فاطمة الأقوال والتهم

يا بئس ما لقيت منهم وإن بليت ... بجانب الطفِّ تلك الأعظم الرمم

باؤا بقتل الرضى من بعد بيعته ... وأبصروا بعد يوم رشدهم وعموا[1]

يا عصبة شقيت من بعد ما سعدت ... ومعشرًا هلكوا من بعد ما سلموا

لا عن أبي مسلم في نصحه صفحوا ... ولا الهبيري نجَّى الحلف والقسم

ولا الأمانُ لأزد الموصل اعتمدوا ... فيه الوفاء ولا عن عمِّهم حلموا

أبلغ لديك بني العباس مألكةً ... لا تدَّعوا ملكها مُلاكها العجم

---

(١) في الديوان : أمرهم غمم .

أيُّ المفاخر أضحت في منابركم ... وغيركم آمرٌ فيهن مُحتكمُ

وهل يزيدكم في مفخر علم ... وفي الخلاف عليكم يخفق العلم

خلُّوا الفخار لعلاّمين إن سُئلوا ... يوم السؤال وعمّالين إن علموا

لا يغضبون لغير الله إن غضبوا ... ولا يضيعون حقَّ الله إن حكموا

ولا يبيت لهم خبثا ينادمهم ... ولا يُرَى لهم قردٌ لهم حَشَمُ

ما في بيوتهم للخمر معتصرٌ ... ولا ديارهم للسوء معتصم

البيت والركن والأستار منزلهم ... وزمزمٌ والصفا والحجر والحرم

تنشوا التلاوة من أبياتهم أبداً ... ومن بيوتكم الأوتارُ والنغم

منكم عليّةُ أم منهم وهل لهم ... شيخ المغنين إبراهيم أم لكم؟

إذا تلوا آيةً غنَّى إمامكم ... قف بالطلال الَّتي لم يعفها الهدم[1]

وقد تقدم تفصيل طرف مما تضمَّنته هذه القصيدة، وعنى بقوله شيخ المغنين إبراهيم ابن المسمى المهدي وهو عم المأمون، وقد كان دعَى إلى نفسه بالخلافة وبويع له حتى خلعه المأمون لما دخل بغداد، واستتر إبراهيم بن المهدي حتَى لزمه بعض الحرس ثالث امرأتين وقد تزيَّا بزي النساء؛ فأمر المأمون بإحضاره على هيئته وعفا عنه، وقال: اخلع نفسك. قال: يكون يوم الجمعة فارتقى المنبر والعود في يده والناس ينتظرون الخطبة فأخرج العود وضرب. وما الخالع في هذا الباب بأثر من المخلوع بل هما سيَّان في البعد عن الإيمان، والشغف بالطنابير والعيدان. هَذا وقد قال الله تعالى: ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ** ﴾ [لقمان: ٦]. وقد رُوي أنها نزلت في شراء الجواري المغنيات، وقيل: في النضر بن الحارث لما اشترَى كتاب رستم واتخذ مجلسًا ليشغل الناس عن مجلس رسول الله ﷺ وسماع القرآن، وقيل: هو اتخاذ

(١) الديوان: ١٣٥-١٣٨، وفيها اختلافات كثيرة في الألفاظ وبزيادة ونقص بعض الأبيات.

المعازف، ولا مانع من حمله على الجميع لأنه لا تنافي[1].

وقد روينا بالإسناد الموثوق به إلى النبي ﷺ أنه قال: «إن اللّه بعثني رحمةً وهدًى للعالمين لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية والأوثان»[2].

وروينا عن النّبي ﷺ أنه قال: «يُمسخ قومٌ من هذه الأمّة في آخر الزمان قردةً وخنازير، قيل: يا رسول اللّه أليس يشهدون أن لا إله إلا اللّه وأن مُحَمَّدا رسول للّه؟. قال: «بلَى، ويصلون ويصومون ويحجُّون»، قال: فما بالهم؟ قال: «اتخذوا المعازف والدفوف والقينات، وباتوا على شرابهم ولهوهم فأصبحوا قردة وخنازير»[3].

وعَنهُ ﷺ أنه قال: «من أدخل بيته مزماراً أو لهواً فقد شمت بأبيه آدم؛ لأن إبليس اتخذ المزامير والسرور والطرب حين وقع آدم في الخطيئة»[4].

وروينا عَنهُ ﷺ أنه قال: «من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله[5]، وعنه ﷺ: «من لعب بالنرد شبراً فكأنما وضع يده في لحم خنزير». وعنه ﷺ أنه قال: «إن للّه في كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة لا ينظر منها إلى صاحب البشاة»[6]، يعني الشطرنج. وَمَرَّ ﷺ بقوم يلعبون الشطرنج، فقال: «ما هذه الصور؟ ألم أنه عن هذه، ألا لعنة اللّه على من لعب بها»[7]. وعَنهُ ﷺ أنه قال: «كسب المغنيه سحتٌ، كسب الزانية سحتٌ، وكسب الزاني سحت، وحق

---

(1) أنظر غريب القرآن ٢٥٠، ورآب الصدع ٣/ ١٥٨١، وأسباب النزول للواحدي ٢٨٨، والدر المنثور ٥/ ٣٠٧، والطبري مج١١ ج٢١/ ٧٤، والقرطبي ١٤/ ٣٧.

(٢) رواه أبو طالب في أماليه ٤٠١.

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٣/ ١٤١.

(٤) الحاكم في السفينة ٣/ ١١٩.

(٥) أحمد بن حنبل في مسنده.

(٦) كنز العمال ١٤/ ٢١٨ رقم ٤٠٦١٤ والعلل المتناهية ٢/ ٧٨٣.

(٧) الحاكم في السفينة ٣/ ١٢٠، والعلل المتناهية ٢/ ٧٧٣، بلفظ «ما هذي الكوبه ألم أنه».

على اللّه أن لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت»[1]. وقال صلى الله عليه وآله: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه خمرٌ أو دف أوطنبور أو نرد، ولا يستجاب دعاؤهم، ورفع اللّه عَنهُم البركة»[2]. وقال صلى الله عليه وآله: «من استمع إلى لهو وغناء حرَّم اللّه عليه مرافقة الصديقين والشهداء والصالحين»[3].

وروينا عن علي عليه السلام قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «عشرة من فعلِ قومِ لوطٍ فاحذروهن: إسبال الشارب، وتصفيف الشعر، ومضغ العلك، وتحليل الأزرار، وإطارة الحمام، والرمي بالجلاهق[4]، والصفير، واجتماعهم على الشراب، ولعب بعضهم ببعض»[5]، وكل هذه الأفعال القبيحة الَّتي حضرها الشرع الشريف هي التي تغلب على خلفاء بني العباس، وتتفاضل فيه أنظارهم وتغوص على لطائفه أفكارهم.

فأما أئمة الزيدية السادة وخلفاؤهم القادة فإن اهتمامهم باستخراج المعاني الغريبة، وخواطرهم تتوق إلى العلوم العجيبة، فترَى أفكارهم بالأبكار قاذفة، وأنوار علمهم لشبهات المبطلين خاطفة، فَبَخٍ بخ لقوم نزل أئمتهم في غرف الشرف، وأضحوا الصفوة الصافية ممن غبر وسلف، فسعدوا باتباعهم، وفازوا بالانخراط في سلك أشياعهم، فنطقت بمدحهم الآثار، وشهدت بشرفهم الأخبار.

وروينا بالإسناد الموثوق به إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام، عن رسول اللّه صلى الله عليه وآله أنه قال: «يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم

---

(١) رواه أبو طالب في أماليه ٤٠٠، والمتقي في الكنز ١٥/ ٢٢٦رقم ٤٠٦٨٩.

(٢) الحاكم في السفينة ٣/ ١١٨.

(٣) أخرجه الحاكم في السفينة ٣/ ١١٨.

(٤) في نسخة: ومنها إسبال الإزار.

(٥) رواه الهادي، درر الأحاديث ص٢٣، ومجموع الإمام زيد بن علي ٤٢٤.

من العيوب والذنوب وجوههم كالقمر في ليلة البدر، وقد فرجت عَنهُم الشدائد، وسهلت لهم الموارد، وأعطوا الأمن والأمان، وارتفعت عَنهُم الأحزان، يخاف الناس ولايخافون، ويحزن الناس ولا يحزنون، شرك نعالهم تتلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحة قد ذللت من غير مهادة، ونجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر ألين من الحرير؛ لكرامتهم على الله عز وجل»[1] .

وروينـا عَنهُ عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أتاني جبريل آنفا، فقال: تختَّموا بالعقيق؛ فإنه أول حجر شهد للّه بالوحدانية، ولي بالنبوة، ولعليٍّ بالوصية، ولولده بالإمامة، ولشيعته بالجنة»[2] .

ومعلوم أنه لم يرد مثل هذا في طائفة من طوائف الأمّة، وإنما ذكرنا هٰذه النكته من أحوال بني العباس وإن كانت لا تليق بنفس الكتاب؛ لأن مبناه على ذكر الآئمة السابقين من عترة الرسول الأمين صلى اللّه عَلَيه وآله الأكرمين، غير أنا رجونا أن يطلَّ على الكتاب من ليس من الزيدية ممن له مقصودٌ صحيح، ومحبة للدين، وربَّما ينخدع بالميل إلى جنبة بني العباس، ويراهم أهلا للخلافة والإمامة، ومحلا للرئاسة والزعامة، ولا يظن أن طريقتهم على الصورة الَّتي حكيناها[3] من الأحوال الَّتي هي مباينةٌ للدين، نازحةٌ عن شرع الرسول الأمين، مخالفة لكتاب رب العالمين، وما انعقد عَلَيه إجماع المسلمين؛ فإذا وقف على ما رويناه أعمل الفكر والنظر، وفزع إلَى التمييز بين الأئمة السابقين إن طلب السلامة وأحبَّ الفوزَ بالكرامة، وقد قال تعالَى حاكيًا عن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾[البقرة: ١٢٤]، وأراد بالعهد الإمامة، فكيف يستحقُّها من عكف

(١) شمس الأخبار ١/ ١٤٤ .

(٢) المناقب للكوفي ١/ ٥٥وابن المغازلي ١٧٩ رقم ٣٢٦، والعمدة لابن البطريق ٤٣٨ .

(٣)في (ب): حكينا.

على المحرَّمات، وأخلد إلى المحظورات، وجعلها ذخره ليوم المعاد، ولم يراقب خوف يوم التناد.

وانظر في أمرٍ معلومٍ عند جميع الأمة قاطبةً وهو أن القاضي يجب أن يكون عدلاً مرضيًّا، ومتى كان مارقًا عن الدين لم تُنفَّذ أحكامه بين المسلمين، فكيف يعتبر فيه من العدالة ما لا يعتبر في الذي ينصبه وهو الإمام، وكذلك الشاهد لا تُقبل شهادته مع سلامة الأحوال إلا بأن يكون عدلاً رضًى، فكيف بإمام الأمة! وكيف يصح أن يلي على جميع المسلمين من يعد من الفجرة الآثمين! أم كيف يعقل أن يقيم الحدود التي انتصب لإقامتها وهو يستحق أن يقام عليه! أفليس الصحابة فزعت إلى الأفضل في الإمامة، ولهَذا ذكروا المناقب الَّتي خُصَّ بها من نصَّبوه إماما، وإن كان قد وقع الاختلاف بينهم في تعيينه، فلولا أن الفضل مراعى في الإمامة وإلا لما صحَّ ذلك، وأي فضل يثبت لمن شرب الخمور، وارتكب الفجور، وقارف الشرور، وجعل بطانته المرَّاق، وأوداءه الفسَّاق، وصيَّر الغنا رأس ماله، وسماع اللهو جلَّ أعماله، إن كان من شرائط الإمام ارتكاب الإجرام، ومقارفة الآثام، ثبت إمامة بني العباس، وإن كان من شرائطه الكفُّ عن العصيان، والمسارعة إلى أعمال البرِّ والإحسان، فهذا مفقود في جميع أئمة بني العباس، عند جميع من تحقق أحوالهم من الناس. فلا تخدع نفسك يا طالب الهدى، ولا تختر الضلال والعَمَى، وارجع إلى الفئة الزاكية والعترة الهادية، الَّذين أعلنوا الدين، وجاهدوا على العداون المعتدين، واشتغلوا بنشر العلم على كثرة شغلهم بعداوة الأمة، حتى انتشرت علومهم في الآفاق والأقطار، وشهد لها بالحسن من أنصف من النظار.

وهَذا آخر ما رمناه في هذا الكتاب الموسوم بـ: «**الحَدائِقِ الوَرديَّة فِي مَنَاقِبِ أئمَّةِ الزَّيديَّة**».

وفيه كفايةٌ كافية لمن طلب الهدَى بجهده، وانحرف إلى العترة عَلَيْهِمُ السلام بودِّه، فورد القيامة مسرورا، جَدلاً محبورا، مؤيَّداً منصورا، قطن في دار السعداء، ومنزل الأتقياء، حيث لا تنوب الفجائع، ولا تحل القوارع، ولا تموت النفوس، ولا يلحق أهلها البؤس، ولا تلحقهم الآفات، ولا تصيبهم العاهات، أمنوا من الفنآء، وأيقنوا بتوالي النعماء، فنضارتهم تتجدَّد على مرِّ الأوقات، وخيراتهم تترى بتوالي الساعات، وما ظنك بدار صفَّاها من المنغِّصات والأكدار المليك العزيز الجبار، لا يمسهم فيها نصب ولا هم يحزنون، ولا ينالهم تعب ولا يتألَّمون، في نعم عظام، ومنح جسام، وما عسى أن يقول فيها الواصف وإن أكثر وهي التي أثنى عليها المليك الأكبر حيث يقول: ﴿وإذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيماً وَمُلْكًا كَبِيراً﴾ [الإنسان: ٢٠]، وقال تعالى فيما رواه عنه نبيه المصطفى ﷺ وآله: «أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، لا خَطَر على قلب بشر»[1]. أفيرغب عن اكتساب الخيرات لبيب، أو يغفل عن إدراكها أريب[2]، وهي دائمة مؤبدة خالدة مخلدة، ويُقْبِل على أعمال النار، وعصيان الجواد الغفَّار، وهو تعالَى المسدي لفوائد الإنعام، والموالي لنوافل البِّر والإكرام، فكيف يجعل شريف نعمته ذريعة إلَى معصيته، ونحن نشاهد أن الوالد إذا واتر على ولده الإحسانَ قبح منه له العصيان، وإحسان اللَّهِ تعالَى يزيد على كل إحسان، وامتنانه يربى على كل امتنان، وهو عز وعلا عالي الشأن، ظاهر العظمة و السلطان، فكيف يعصى بطاعة الشيطان، فاللَّه المستعان، ولولم يحدُّ عقابا لكان ينبغي أن لا يعصى رعيا لجلالته ووحدانيته، وإذعاناً لإلهيته وربوبيته ودخولا في رق عبوديته، واعترافا بنعمته ومنَّته، فكيف وقد توعد بالعقاب الدائم، والعذاب اللازم، الَّذي لا تقوم له الجبال على صلابتها، والأرض على

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٢/ ٤٣٨، الترغيب والترهيب للمنذري ٤/ ٥٢١ رقم ٥٥.

(٢) في (ب) لبيب.

عظمها وشدتها ، فمهلا يا خاطئ كفَّ نفسك عن أسباب الهلاك ، ولا توجها في حبائل الإشراك ، فإن جسمك لا طاقة له على الحريق ، ولا قوَّة به على التمزيق ، فذد نفسك عن المعاصي ، قبل الجمع بين الأقدام والنواصي ، وراقب اللَّه في خلواتك فإنه مطلع على سكناتك وحركاتك ، أما رأيت حياك من مخلوق من جنسك من ارتكاب الخطايا بين يديه ، فكيف لا تستحيي من خالق الخلق أجمعين ، وهو المطلع على بواطنك ، وسرائرك وعلانيتك ، وظواهرك لا تخفَى عَلَيه خافية ، ولا تغيب عَنهُ غائبة ، قال تعالَى : ﴿ **ما يَكُونُ من نَّجوَى ثَلاثَة إلا هُوَ رابِعُهُم وَلا خَمسَةٍ إلا هُوَ سادِسُهُم وَلا أدنَى من ذَلكَ وَلا أكثَر إلا هُوَ مَعَهُم أينَما كانُوا** ﴾ [المجادلة: ٧] أراد تعالى أنه عالم بأحوالهم على التفصيل كجليس القوم في علمه بأحوالهم الظاهرة ، وله تعالَى المزية العظمَى في العلم بأحوالهم الباطنة مع الظاهرة على التفصيل . **فكيف** لا تراقب أيها العبد مولاك ، وهو الَّذي أعطاك ، وخولك وأغناك ، ومنحك وأقناك ، أفتقبل على هواك ، وتشتغلَ بدنياك ، وتعرض عن أخراك ، وإليها عودك ومنتهاك ، جدَّ بك السير فشمِّر شمِّر ، ولا تكن لوارث تثمر ، قبل الانتهاء إلى ما حكاه الحكيم الخلاق : ﴿ **كَلا إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ * وَقِيلَ مَن راقَ * وَظَنَّ أنَّهُ الفِراقُ * والتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ * إلى رَبِّكَ يَومَئذٍ المَساقُ** ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠] .

فكم هناك من نادمٍ لم يغن عَنهُ ندمه ، وهاوٍ في النار زلَّت به قدمه ، ومؤمن يمر إلى الجنة كالبرق الخاطف ، قد أمن من المخاوف ، وأيقن بالفوز من المتالف ، نسأل اللَّه سبحانه توفيقًا يصحبنا في كافَّة الأحوال ، وتسديداً يحدونا على محاسن الخلال ، وتأييداً يذودنا عن مراتع الضلال ، وعلمًا نستنير به إذا دجت دياجير ظلم الجهال ، ونحمده تعالَى على جزيل النوال ، ونسأله الصلاة والسلام على مُحَمَّد وآله خير آل . وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل ونعم المولَى ونعم النصير .

◆ ◆ ◆

المراجع

– الأحكام – الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين – مكتبة التراث– صعدة –ط ١ .

– أخبار أئمة الزيدية في طبرستان وديلمان وجيلان، تحقيق / فيلفرد ماديلونغ.

– أسباب النزول – الواحدي – دار ابن كثير – دمشق – ط ١ .

– أسد الغابة – ابن الأثير – تحقيق علي محمد معوض وآخرون– دار الكتب العلمية .

– الإشارة إلى سيرة المصطفى – مغلطاي بن قليج – دارالقلم دمشق دارالشامية بيروت – ط١ .

– أعيان الشيعة – محسن الأميني – دارالتعارف – بيروت – ١٤٠٦هـ .

– الإستيعاب في معرفة الأصحاب : لأبي عمر يوسف القرطبي .ت :٤٦٣هـ – دار الكتب العلمية – بيروت ط :١٤١٥هـ – ١٩٩٥م .

– الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني – دار الكتاب العربي – بيروت .

– الاعتصام بحبل الله المتين – الإمام القاسم بن محمد – مطابع الجمعية الملكية .

– الأعلام – خير الدين الزركلي – دار العلم للملايين –بيروت –ط ٦ .

– الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، للإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين الهاروني؛ تحقيق / إبراهيم مجد الدين المؤيدي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية – صعدة، ط١ – ٢٠٠١م.

– اللآلي المضيئة – الشرفي – مخطوط .

– الإمامة والسياسة –ابن قتيبة – دارالأضواء – ط١ .

– الأنساب، للإمام أبي سعد عبدالكريم التميمي السمعاني، تقديم / عبدالله عمر البارودي، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

– البداية والنهاية – ابن كثير – تحقيق علي شيري – دار إحياء التراث – ط ١ – ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م .

– البيان والتبيين – الجاحظ – مكتبة الخانجي – القاهرة –ط ٥ .

– التاريخ الكبير – البخاري – دار الكتب العلمية – بيروت .

- التحف شرح الزلف - السيد مجد الدين المؤيدي - مكتبة مركز بدر العلمي .
- التنبيه والأشراف - المسعودي - دار ومكتبة الهلال .
- الجرح والتعديل- الحافظ الرازي - دار الفكر- بيروت - ط ١ .
- السيرة المنصورية - مجلدين- أبي فراس بن دعثم - تحقيق د. عبدالغني محمود عبدالعاطي - دار الفكر المعاصر - بيروت - ط١- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- السيرة النبوية - ابن كثير - دار إحياء التراث .
- الشافي - الإمام عبدالله بن حمزة - تحقيق لجنة علمية برئاسة المولى مجد الدين المؤيدي - مكتبة اليمن الكبرى -ط١ .
- الشعر والشعراء - ابن قتيبة - دار الحديث - ط ٢
- الشفا - القاضي عياض - مؤسسة علوم القرآن - ط ٢ .
- الطبقات الكبرى - ابن سعد - دار الفكر - بيروت .
- الغدير - الأميني - دار الكتب الإسلامية - طهران.
- القاموس المحيط : العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة .
- الكامل في التاريخ - ابن الأثير - دار الكتاب العربي - ط ٤ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- الكامل في ضعفاء الرجال - ابن عدي الجرجاني - دار الفكر.
- الكشاف، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، رتبه/ مصطفى حسين أحمد، دار الريان للتراث - القاهرة ط٣ - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- المجموع المنصوري، للإمام عبدالله بن حمزة، تحقيق/ عبدالسلام عباس الوجيه، مؤسسة الإمام زيد الثقافية ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- المستدرك: على الصحيحين في الحديث للحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري .ت :٤٥٠- دار الكتاب العربي.
- المصابيح - لأبي العباس أحمد بن إبراهيم الحسني - تحقيق عبد الله الحوثي - مؤسسة الإمام زيد بن علي - ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- المصنف : لأبي بكر عبدالرزاق الصنعاني - المكتبة الإسلامي .

- المعارف - ابن قتيبة -دار الشريف الرضي - ط ١ .
- المعجم الأوسط - الطبراني - دار الحرمين -القاهرة .
- المعجم الكبير - الطبراني -مكتبة العلوم والحكم .
- المغازي - الواقدي - مؤسسة الأعلمي .
- المنتظم - ابن الجوزي - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- المواهب اللدنية - ابن حجر القسطلاني -دار الكتب العلمية -ط ١ .
- النهاية في غريب الحديث : للإمام مجدالدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، ابن الأثير ت : ٦٠٦ . دار إحياء التراث .
- أمالي المرشد بالله - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ .
- بلوغ المرام شرح مسك الختام - القاضي حسين بن أحمد العرشي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- تاج العروس - محمد مرتضى الزبيدي - دار الفكر -١٩٩٤م - ١٤١٤هـ.
- تاج اللغة وصحاح العربية لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري بمطبعة بولاق .
- تاريخ الإسلام - الحافظ الذهبي، تحقيق/ بشار عواد معروف وآخرون - مؤسسة الرسالة - ط ١ - ١٤٠٨هـ.
- تاريخ الخلفاء - الحافظ السيوطي - دار الفكر .
- تاريخ الطبري -دار التراث -تحقيق محمد أبو الفضل - دار سويدان - بيروت .
- تاريخ اليعقوبي؛ لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر ، تحقيق/ عبدالأمير مهنا - مؤسسة الأعلمي -ط ١ - ١٤١٣هـ.
- تاريخ اليمن الفكري - أحمد بن محمد الشامي - دار النفائس - بيروت - ط ١- ١٤٠٧ - ١٩٨٧م.
- تاريخ اليمن المسمى فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن، للعلامة عبدالواسع الواسعي، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ط٢ - ١٩٩٠م.
- تأريخ بغداد- الخطيب - دار الفكر - بيروت .

- تاريخ خليفة بن خياط - دار طيبة الرياض- ط ٢ .
- تاريخ مدينة دمشق، للحافظ أبي القاسم علي بن الحسين الشافعي، تحقيق / محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر - لبنان ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري -ت: ٣١٠ - دار الفكر - بيروت .
- تفسير أهل البيت عليهم السلام - عبدالله بن أحمد الشرفي - مكتبة التراث الإسلامي - صعدة - ط ١ .
- تهذيب التهذيب - الحافظ ابن حجر العسقلاني - تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا - دار الكتب العلمية - بيروت - ط١ - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م .
- تهذيب الكمال : للحافظ المتقن جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، تحقيق الدكتور بشاد عواد معدوف ، مؤسسة الرسالة.
- تيسير المطالب في آمالي أبي طالب -الإمام أبي طالب -مؤسسة الأعلمي ، بيروت .
- حلية الأولياء - دار الكتب العلمية - بيروت - ط ١ .
- خصائص أمير المؤمنين- النسائي- دار الكتاب العربي- ط ٢ .
- درر الأحاديث النبوية - الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين - تحقيق يحيى بن عبدالكريم الفضيل - مؤسسة الأعلمي - ط ٢ - ١٤٠٢ - ١٩٨٢م .
- دلائل النبوة - البيهقي - دار الريان ، الكتب العلمية -ط ١ .
- ديوان ابن الرومي - تحقيق وشرح عبد الأمير علي مهنا - منشورات دار مكتبة الهلال بيروت ط ١ - ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ديوان الإمام عبدالله بن حمزة (خ).
- ديوان الصاحب بن عباد، تحقيق / محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة - بيروت، ط٢ - ١٩٧٤م.
- ديوان الفرزدق - تحقيق كرم البستاني - دار صادر بيروت.
- ديوان دعبل الخزاعي - جمع وتحقيق عبد الصاحب عمران الرجيلي- منشورات دار الشريف الرضي - ط٢ - ١٩٧٢م .

- رأب الصدع تخريج آمالي أحمد بن عيسى - السيد العلامة علي بن إسماعيل المؤيد - دار النفائس - بيروت ط ١ . - ١٤١٠هـ .
- سنن ابن ماجة - دار الكتب العلمية - تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .
- سنن أبي داود - دار الكتب العلمية - ط ١ .
- سنن البيهقي - أبي بكر البيهقي - دار المعرفه - ط ١ .
- سنن الترمذي : لأبي عيسى بن محمد بن عيسى بن سورة - دار الكتب العلمية - بيروت .
- سنن الدارمي - دار الكتب العلمية - بيروت .
- سنن الكبرى للبيهقي : للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي - دار المعرفة .
- سنن النسائي - أبي عبد الرحمن النسائي - مكتبة المطبوعات الإسلامية - ط١ .
- سياسة المريدين؛ للمؤيد بالله أحمد بن الحسين الهاروني ، تحقيق/ عبدالله إسماعيل الشريف، منشورات مركز بدر العلمي، ط١ - ١٤٢٢هـ.
- سير أعلام النبلاء - الذهبي - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- سيرة المصطفى - هاشم معروف الحسني - دار الشريف الرضي - ط ٢ .
- سيرة ابن هشام : مطبعة مصطفى البابي الحلبي .ط ٢ : ١٣٧٥- ١٩٥٥م.
- سيرة الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني - الحسين بن أحمد يعقوب - تحقيق عبدالله بن محمد الحبشي - دار الحكمة اليمانية - ط١ - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- سيرة الإمام الهادي - راويه علي بن محمد العباسي العلوي - تحقيق د. سهيل زكار - دار الفكر - ط١ - ١٣٩٢- ١٩٧٢م.
- شرح المواهب اللدنية - الزرقاني - المطبعة الأزهرية - القاهرة - ط ١ .
- شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٣م.
- شواهد التنزيل : عبيدالله بن عبدالله الحاكم الحسكاني - مؤسسة الأعلمي ط ١٣٩٣هـ - ١٩٧٤م.

- صحيح ابن حبان -ابن بلبان - دار الكتب العلمية -ط ١ .
- صحيح البخاري : للإمام أبي عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق الدكتور مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم : للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، دار احياء التراث العربي .
- طبقات الزيدية الكبرى - إبراهيم بن القاسم بن الإمام المؤيد بالله - تحقيق عبدالسلام الوجيه - مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - ط ١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، ليحيى بن الحسين بن محمد، تحقيق د/ سعيد عبدالفتاح عاشور - دار الكاتب العربي - القاهرة ط١ - ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م.
- فتح الباري : للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الفكر - بيروت .
- فضائل الخمسة من الصحاح الستة - السيد مرتضى الحسيني الفيروز آبادي - مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - ط ٣ - ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.
- فضائل الصحابة - الإمام أحمد بن حنبل - تحقيق وصي الله بن محمد عباس - دار ابن حزم الجوزي - ط ٢ - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- فقه السيرة - محمد الغزالي - دار الكتب الحديثه .
- كتاب الفتوح- أحمد بن أعثم الكوفي - تحقيق علي شيري - دار الأضواء - بيروت ط٢- ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- كتاب المراتب؛ للشيخ أبي القاسم إسماعيل البستي المعتزلي، تحقيق/ محمد رضا الأنصاري القمي، ط١ - ١٤٢١هـ.
-كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب - الحافظ أبي عبدالله محمد بن يوسف القرشي- تحقيق محمد هادي الأميني - منشورات المطبعة الحيدرية - النجف - ط٢ ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م .
- كنز العمال : للعلامة علاء الدين المتقي بن حسام الدين الهندي، مؤسسة الرسالة - بيروت .

- لسان العرب - ابن منظور - دار صادر - بيروت - ط ١ .
- لوامع الأنوار - السيد مجدالدين المؤيدي - مكتبة التراث الإسلامي - ط ١ .
- مجمع البيان - الطبرسي - مؤسسة الأعلمي - ط ١ .
- مجمع الزوائد - دار الكتاب العربي - الهيثمي - ط ٣ .
- مجموع الإمام زيد : للإمام الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام - منشورات دار مكتبة الحياة .
- مجموع رسائل الإمام القاسم بن إبراهيم : تحقيق / عبدالكريم جدبان - دار الحكمة اليمانية - صنعاء، ط١ - ١٤٢٢هـ .
- مجموع رسائل الإمام الهادي، تحقيق عبدالله محمد الشاذلي، مؤسسة الإمام زيد، ط١ - ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م .
- مختار الصحاح - أبو بكر الرازي - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٤هـ .
- مختصر مدينة دمشق، للإمام محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، تحقيق / رياض عبدالحميد مراد وآخرون، دار الفكر ط١ - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .
- مروج الذهب - المسعودي - دار الأندلس - ط ٥ .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل - المكتبة التجارية - ط ٢ .
- مسند الإمام زيد بن علي - دار مكتبة الحياة - بيروت - ١٩٦٦م .
- مصنف عبد الرزاق الصنعاني - المكتب الإسلامي - ط ٢ .
- مصنف ابن أبي شيبة - دار التاج .
- مطلع البدور ومجمع البحور : تاليف أحمد بن صالح بن محمد بن أبي الرجال .ت: ١٠٩٢ هـ. (خ).
- مطمح الآمال في إيقاظ جهلة العمال من سنة الضلال، للعلامة الحسين بن ناصر المشهور بالمهلا، تحقيق / عبدالله الحوثي، مؤسسة الإمام زيد ط١ - ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
- معجم أعلام المؤلفين الزيدية : تاليف عبدالسلام بن عباس الوجيه مؤسسة الإمام زيد ابن علي - ط١ .

- معجم المؤلفين - عمر رضا كحالة - إخراج مكتب تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة - مؤسسة الرسالة - بيروت - ط١ - ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .
- معجم رجال الحديث - أبي القاسم الخوئي - ط٥ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م .
- معجم ما استعجم - عبدالله البكري - عالم الكتب - بيروت - ط ٣ .
- مقاتل الطالبين - أبي الفرج الأصفهاني - تحقيق السيد أحمد صقر - مطبعة دار إحياء الكتب العربية - القاهرة - ١٣٦٨هـ - ١٩٤٩م .
- مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - الحافظ محمد بن سليمان الكوفي - تحقيق الشيخ محمد باقر المحمودي - مجمع إحياء الثقافة الإسلامية - قم - ط١ - ١٤١٢هـ.
- نصب الرآية لتحقيق الهداية : عبدالله بن يوسف الحنفي الزيلعي .ت : ٧٦٣هـ - دار الحديث القاهرة .
- نهج البلاغة، جمعه الشريف الرضي من خطب وكتابات ورسائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) - مؤسسة المعارف - بيروت ط١ - ١٩٩٠م .
- نيل الأوطار - الشوكاني - دار الكتب العلميه - ط ١ .
- هاشميات الكميت بن زيد الأسدي بشرح أبي رياش أحمد بن إبراهيم القيسي تحقيق د. داود سلوم ، و د. نوري القيسي - عالم الكتب - ط ٢ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- وفيات الأعيان لمحمد بن خلكان - مطبعة الميمنة بمصر ١٣٠٦هـ .
- وقعة صفين : لنصر بن مزاحم المنقري - عبدالسلام هارون - دار الجيل الجديد - بيروت .
- ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة - الأمير الحسين بن بدر الدين - مكتبة بدر - صنعاء - ط ١ .

* * *

فهرس الجزء الثاني